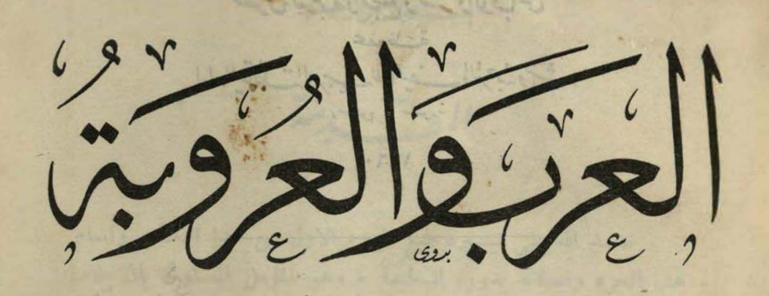
دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر



العرب والعروبة

تأليف

محمد عزة دروزه

الجزء الثاني

دار اليقظة العربيّة للتأليف والترجمة والنشر



العرب والعروبة

تأليف

محمّد عِزة دروزه

الجزء الثانى

دمشق - سورية

١٩٦٠

تعهد

المؤسسة الثقافية

الناشرون في البلاد العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الارومات العربية

فـــي

سورية الوسطى وسواحلها

عـــدا لبنـــان

— ١ —

التنوخيون والارومات العربية في منطقة اللاذقية

أولية التنوخيين في منطقة اللاذقية

— ١ —

نوهنا في بحث تنوخيي لبنان في الجزء الاول من هذا الكتاب بامارة تنوخية كانت تقوم في اللاذقية في القرن الهجري الرابع ، ورجحنا انها وتنوخيو لبنان من قبيلة واحدة هي قبيلة تنوخ . وان التنوخيين حينما وجهوا من منطقة معرة النعمان التي كانوا حلوا وانتشروا فيها عقب حركة الفتح قد وجهوا الى سواحل الشام وجبالها القريبة منها لصد غارات الروم من البحر واحباط دسائسهم بين نصارى هذه الجبال والسواحل وتقوية العنصر العربي الاسلامي فيها وانهم اتجهوا من المعرة الى اللاذقية اولا حيث تقع في طريقهم فاستقر منها جماعات في منطقتها وجاء منهم جماعات أخرى الى لبنان حيث استقروا في انحائه الجبلية الغربية المحاذية لبيروت .

ومن المؤسف ان حظ التنوخيين اللاذقانيين من الاسهاب التاريخي والامتداد المطبوع بطابعهم اقل بكثير من حظ اللبنانيين منهم . وهذا ما جعل الناس يغفلون عنهم ويظنون ويقولون ان الحركة التنوخية خاصة بلبنان ويذكرون تنوخيي لبنان دون تنوخيي اللاذقية .

على ان ديوان المتنبي وفي رسالتين احداهما لمنير الشريف عنوانها

« العلويون » وثانيتهما لمحمد امين الطويل عنوانها « تاريخ العلويين[١] » ما يمكن ان يساعد على تدوين نبذة عنهم ان لم تكن شافية فانها تعطي صورة ما لارومة أصيلة العروبة كان لها بروز في مجال الحكم والسلطان في هذه المنطقة •

- ٢ -

ولقد ذكر منير الشريف في سياق اشارته الى اصل سكان بلاد اللاذقية عزوا الى اليعقوبي والبلاذري ما يفيد ان ارومات عربية جاءت بعد الفتح الى هذه المنطقة وتوطنت فيها وان معاوية بن ابي سفيان في زمن ولايته للشام في عهد عمر وعثمان (رض) وبأمر منهما قد شحن بعض الاماكن العسكرية الاهمية بارومات عربية أصيلة [٢] ، غير ان التنوخيين لم يكونوا في عداد من ذكرهم من هذه الارومات • أما أمين الطويل فانه يذهب دون بيان مصدر ما الى ان سكنى التنوخيين في هذه البلاد تعود الى عهد الحكم الروماني قبل الاسلام حيث قامت امارة تنوخية في بادية الشام فجاء فريق من تنوخ منذ ذلك العهد الى هذه المنطقة واستوطنوها [٣] ، ومع ان الروايات التاريخية قبل الاسلام اشارت الى الامارة التنوخية التي قامت في بادية الشام في عهد الحكم الروماني على .ا اشرنا اليه في بحث التنوخيين في الجزء الاول من هذا الكتاب فاننا نرى ان ما ذهبنا اليه في ذلك البحث واشرنا اليه في مطلع هذا البحث هو الاوجه • وقد أيد هذا كل من فيليب حتي والامير شكيب ارسلان وان اختلفا في المقصد حيث ذهب الاول الى تنوخيي لبنان واللاذقية والمعرة هم من قبيلة واحدة هي تنوخ قضاعة التي كانت

---

(١) ان كثرة سكان منطقة اللاذقية يتسمون باسم العلويين نحلة . ومن هنا جاءت صلة الكتابين بالبحث .

(٢) ص ٣٦ – ٣٨ • (٣) ص ٢٦٥ •

في بلاد الشام قبل الاسلام بينما ذهب الثاني الى ان تنوخيي اللاذقية والمعرة فقط هم من تنوخ قضاعة دون تنوخيي لبنان على ما شرحناه في ذلك البحث [1] .

مركز الامراء التنوخيين ودولتهم من خلال قصائد التنبي

— ٣ —

ولقد احتوى ديوان المتنبي قصائد عديدة في مدح الامراء التنوخيين في اللاذقية محمد بن اسحق والحسين بن اسحق وعلي ابن ابراهيم بن اسحق وفي رثاء محمد بعضها من غرر قصائده ومن شأنها ان تضفي ضوءا ورواء على الامارة التنوخية التي قامت في اللاذقية يعوضان بعض النيء عما حرمته هذه الامارة العربية من الاسهاب اتاريخي .

منها قصيدة قالها جوابا على عتاب من محمد اسحق حيث بلغه هجاء على لسانه فبه مطلعها :

أتنكر يـا ابن اسحق اخـائي   وتحسب مـاء غيري من انـائي

وقد جاء فيها :

أءنطق فيـك هجرا بعد علمي   بـانك خـير من تحت السماء
واكره من ذبـاب السيف طعما   وامضي في الامور من القضاء

ومنها قصيدة مدحه فيها مطلعها :

ملام النوى في ظلمها غاية الظلم   لعل بها مثل الذي بي من السقم

وقد جاء فيها :

كأني دحوت الارض من خبرتي بها   كان بني الاسكندر السد من عزمي

---

(١) انظر ايضا روض الشقيق للامير شكيب ص ٢٤٨ .

لالقي ابن اسحق الذي دق فهمه فابدع حتى جل عن دقة الفهم
واسمع من الفاظه اللغة التي يلذ بها سمعي ولو ضمنت شتمي
يمين بني قحطان رأس قضاعة وعرنينها بدر النجوم بني فهم
اذا بيت الاعداء كان استماعهم صرير العوالي قبل قعقعة اللجم
مذل الاعزاء المعز وان يئن به يتمهم فالموتم الجابر اليتم
مقلد طاغي الشفرتين محكم على الهام الا انه جائر الحكم

ومنها قصيدة في رثاء محمد بن اسحق مطلعها :

اني لاعلم واللبيب خبير ان الحياة وان حرصت غرور

وقد جاء فيها :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى ان الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسير
خرجوا به ولكل باك خلفه صعقات موسى يوم دك الطور
والشمس في كبد السماء مريضة والارض واجفة تكاد تمور
وحفيف اجنحة الملائك حوله وعيون اهل اللاذقية صور

وقصيدة اخرى في رثاء محمد ايضا مطلعها :

لاي صروف الدهر فيه نعاتب وأي رزاياه بوتر نطالب

وقد جاء فيها :

مضى من فقدنا صبرنا عند فقده وقدكان يعطي الصبر والصبر عازب
يزور الاعادي في سماء عجاجة أسنته في جانبيها الكواكب
فتسفر عنه والسيوف كأنما مضاربها مما انفللن ضرائب

ومنها قصيدة في مدح الحسين بن اسحق التنوخي مطلعها :

هو البين حتى ما تأتي الحزائق ويا قلب حتى انت ممن افارق

وقد جاء فيها :

وليل دجوجي كأنا جلت لنا محياك فيه فاهتدينا السمالق

فما زال لولا نور وجهك جنحه ولا جابها الركبان لولا الايانق
شدوا بابن اسحق الحسين فصافحت ذفاريها كيرانها والنمارق
بمن تقشعر الارض خوفا اذا مشى عليها وترتج الجبال الشواهق
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق
كأنك في الاعطاء للمال مبغض وفي كل حرب للمنية عاشق
فما ترزق الاقدام من انت حارم ولا تحرم الاقدار من انت رازق
ولا تفتق الايام ما انت راتق ولا ترتق الايام ما انت فاتق

ومنها قصيدة يمدح فيها عليا بن ابراهيم التنوخي مطلعها :

ملث القطر اعطشها ربوعا والا فاسقها السم النقيعا

وقد جاء فيها :

احبك أو يقولوا جر نمل ثبيرا وابن ابراهيم ريعا
بعيد الصيت منبث السرايا يشيب ذكره الطفل الرضيعا
يغض الطرف من مكر ودهي كأن به وليس به خشوعا
اذا استعطيته ما في يديه فقدك سألت عن سر مذيعا
قبولك مَنَّه منّ عليه والا يبتدىء يره فظيعا
لهون المال أفرشه اديما وللتفريق يكره ان يضيعا
اذا مد الامير رقاب قوم فما لكرامة مد التطوعا
فليس بواهب الا كثيرا وليس بقاتل الا قريعا
وليس مؤدبا الا بنصل كفى الصمصامة التعب القطيعا
علي ليس يمنع من مجيىء مبارزة ويمنعه الرجوعا
علي قاتل البطل المفدى ومبدله من الزرد النجيعا

ومنها قصيدة في مدح علي ايضا مطلعها :

أحاد أم سداس في أحاد لييلتنا المنوطة بالتناد

وقد جاء فيها :

فلما جئته أعلى محلي واجلسني على السبع الشداد

تهلل قبل تسليمي عليه والقى ما له قبل الوساد
نلومك يا علي لغير ذنب لانك قد زريت على العباد
وانك لا تجود على جواد هباتك ان يلقب بالجواد
كأن سخاءك الاسلام تخشى متى ما حلت عاقبة ارتداد
كأن الهام في الهيجاعيون وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الاسنة من هموم فما يخطرن الا في فؤاد
ويوم جلبتها شعث النواصي معقدة السباسب للطراد
وحام بها الهلاك على أناس لهم باللاذقية بغي عاد
فكان الغرب بحرا من مياه وكان الشرق بحرا من جياد
وقد خفقت لك الرايات فيه فظل يموج بالبيض الحداد
لقوك باكبد الابل الابايا فسقتهم وحد السيف حاد

وقصيدة أخرى في مدح علي ايضا مطلعها :

أحق عاف بدمعك الهمم احدث شيء عهدا بها القدم

وقد جاء فيها :

وانما الناس بالملوك ومـا تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم
بكل ارض وطئتها أمم ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخز حين يلمسه وكان يبري بظفره القلم

ومما فيها :

من طلب المجد فليكن كعلي يهب الالف وهو يبتسم
ويطعن الخيل كل نافذة ليس لها من وجائها ألم
ويعرف الامر قبل موقعه فما له بعد فعله ندم
والامر والنهي والسلاهب والبيض له والعبيد والحشم
والسطوات التي سمعت بها تكاد منها الجبال تنقصم

ومما فيها وفيه تعميم لارومة الممدوح :

تـوم بلـوغ الغـلام عنـدهم طعن نحـور الكمـاة لا الحلـم
كـأنما يولـد النـدى معـهم لا صغـير عـاذر ولا هـرم
اذا تـولوا عـداوة كشفوا وان تولوا صنيـعة كتمـوا
تظن من فقـدك اعتـدادهم انهـم انعمـوا ومـا علمـوا
ان برقوا فـالحتوف حـاضـرة أو نطقـوا فـالصواب والحكـم
او ركبوا الخيـل غـير مسرجـة فـان أفخـاذهـم لهـا حـزم
أو شهدوا الحرب لاقحـا أخذوا من مهـج الدارعين مـا احتكموا
تشـرق أعـراضهـم وأوجههـم كـأنهـا فـي نفوسهم شيـم
انيـذكم مـن صـروف دهركم فـانه فـي الكرام متهـم

ومنها قصيدة قالها على لسان بعض الامراء التنوخيين جاء فيها :

قضاعـة تعلـم أنـى الفتـى الـذي أدخرت لصروف الزمـان
ومجـدي يـدل بنـي خنـدف على ان كـل كـريم يمـانـي
انـا ابن اللقـاء انـا ابن السخاء انـا ابن الضراب انـا ابن الطعان
انـا ابن الفيافي انـا ابن القوافي انـا ابن السروج انـا ابن الرعان
طويل النجـاد طويـل العمـاد طويـل القنـاة طويـل السنـان
حـديد اللحـاظ حـديد الحفاظ حديـد الحسام حـديد الجنـان
يسابق سيفـي منـايـا العبـاد اليهم كـأنهمـا فـي رهـان
سأجعلـه حكمـا فـي النفوس ولو نـاب عنـه لساني كفـاني

وقد أكثرنا من المقتبسات الشعرية لان فيها كما قلنا ضوءا على كيان التنوخيين في اللاذقية ومركزهم ، ودلالة على ما كان لهم من مكانة وحيز بل وعلى انهم كانوا اصحاب سلطان وحروب وغارات وغزوات ٠

ولقد مات المتنبي في سنة ٣٥٣ ، ولا بد من انه أنشأ قصائده قبل ذلك بامد ما ٠ وهذا يعني ان الامارة او الدولة التنوخية التي كان هؤلاء الامراء من رجالها أو نجومها كانت قائمة في النصف الاول من

القرن الهجري الرابع ومن المحتمل أن يكون ذلك امتدادا لامد ماقبل ذلك أيضا .

وفي كتاب محمد امين غالب الطويل اشارة مقتضبة الى هذه الامارة جاء فيها [1] ان الحسين بن اسحق الضليعي العلوي التنوخي نهض على رأس العلويين سنة ٣٥٧ هـ حينما استولى الروم على محيط اللاذقية ففاز واستقل في اللاذقية سنة ٣٦٨ هـ ثم حكم مدة محمد بن اسحق التنوخي ثم عقبه اخوه ابراهيم ، وان دولة اللاذقية العلوية حافظت على استقلالها الى حين مجيء اهل الصليب وانقرضت في سنة ٤٧٧ هـ وبقيت اللاذقية في يد اهل الصليب مقدار اربعين سنة حتى مجيء صلاح الدين الايوبي الذي استردها والحقها ببلاد الاسلام ثانية . وقد بقي العلويون في أثنائها تابعين للمشايخ المسمى كل منهم امام البلدة وهو مرجعهم في الامور الدينية ولم يكن لهم تشكيلات سياسية قوية .

ويبدو شيء من الخطأ في تاريخ مجيء اهل الصليب الذي سجله المؤرخون الثقاة في سنة ٤٩١ هـ ، كما يبدو مثل هذا في ذكر محمد بن اسحق كخليفة للحسين بن اسحق في حين ان من قصائد المتنبي قصيدتان يرثي فيهما محمدا بن اسحق الا اذا كان هناك محمد بن اسحق آخر هو الدي تولى الامارة بعد الحسين !.

ويتبادر لنا ان الامارة التنوخية كانت تحت سيادة الدولة الحمدانية الحلبية التي كان سلطانها في زمن سيف الدولة يشمل المعرة وحماة وحمص ومنطقة اللاذقية . فلما مات هذا الملك واضطربت امور الدولة بعده وصار الروم يعتدون على بلادها ويصلون الى حماة وحمص وطرابلس على ما شرحناه في سيرة بني حمدان في الجزء الاول من الكتاب نهض الامير الحسين التنوخي على رأس قومه وأهل امارته وتمكنوا من

---

(١) ص ٢٦٥ – ٢٦٦ .

صد الروم وتوطيد استقلالهم في المنطقة متفلتين من سيادة الحمدانيين • والارجح ان هذا الاستقلال لم يكن تاما • فان الفاطميين ما لبثوا ان تمكنوا من بسط سلطانهم على بلاد الشام في العشر الاول من النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وكانت منطقة اللاذقية وبالتالي الامارة التنوخية في جملة ما انبسطت سيادتهم عليه من هذه البلاد •

والطويل ينعت الحسين التنوخي بالعلوي وينعت اهل المنطقة بالعلويين • وقد جرى على هذا في كتابه حيث نعت كل دولة شيعية بهذا النعت سواء أكانت عربية ام أعجمية وسواء أكان ملوكها من ابناء علي أم من غيرهم • ومن الامثلة على ذلك نعته الدولة الديليمية البويهية والدولة الحمدانية بهذا النعت [1] • ومن المحتمل ان تكون الدعوة العلوية الشيعية قد انتشرت في هذه المنطقة نتيجة لانتشارها في الجزيرة الفراتية ودولة بني حمدان منذ اوائل القرن الهجري الرابع وقبل أن تبسط الدولة الفاطمية سلطانها على بلاد الشام على ما شرحناه في سياق سيرة بني حمدان والامارات العربية الاخرى في الجزيرة الفراتية في الجزء الاول •

ولم نطلع على شيء آخر من سيرة هذه الامارة • فليس لنا الا أن نكتفي بهذا القدر اليسير من تسجيل بروز هذه الامارة العربية في هذه المنطقة •

سيرة سكان المنطقة بعد الامرة التنوخية

— ٤ —

على ان المؤرخين سجلوا احداثا متنوعة لاهل هذه المنطقة بعد

---

(١) بل يذهب في هذا الى حد الغرابة فينعت دولتي مماليك الترك والشركس بهذا النعت مع ان احدا لم يقل انهما كانتا شيعيتين . والخلافة التي اقامتاها عباسية والمؤلف لا ينعت العباسيين بهذا النعت ! انظر تاريخ العلويين ص ١٤٦ — ١٥١ .

ذلك امتد اثرها الى اليوم • وكان لبعض اروماتهم بروز في مجال الحكم والسلطان • وكان من جملة الاحداث صيال ونضال بينهم وبين جيرانهم أو الدول التي كانت صاحبة السيادة عليهم قبل الدولة العثمانية وفي عهدها •

ولما كان التنوخيون وغيرهم من الارومات العربية التي حلت في هذه المنطقة عقب الفتح الاسلامي ثم بعد حلول التنوخيين في ظروف متنوعة [1] هم الذين تتألف منهم كثرة هذه البلاد وهم الذين بالتالي سجل لهم المؤرخون هذه الاحداث فقد صار من الملائم الاستمرار على سيرتهم في هذا البحث •

وفي كتابي الطويل والشريف الذين ذكرناهما قبل ثم في تاريخ ابي الفداء وتاريخ الامير حيدر الشهابي وكتاب ولاية بيروت لرفيق التممي ومحمد بهجة وكتاب ابراهيم باشا في سورية لسليمان ابي عز الدين نبذ عنهم سوف تكون مقتبسا لنا في الاستمرار على سيرتهم •

ولقد لعبت النحلة العلوية التي ينتحلها اكثر اهل هذه المنطقة وما يزالون يتسمون بها دورا كبيرا في معظم احداث المنمطقة • وهذا يسوغ الاستطراد اولا الى ذكر نشأة هذه النحلة وما انطوى فيها من افكار وعقائد •

النحلة العلوية النصيرية التي اعتنقها معظم اهل المنطقة

— ٥ —

نقد ذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب على هامش سيرة بني حمدان حرص العلويين على نشر دعوتهم لتوطيد الولاء لهم عقيدة ودينا

---

(١) انظر كتاب العلويون لمنير الشريف ص ٣٤ ـ ٣٩ و ٤٣ ـ ٤٤ و ٥٣ ـ ٥٥ .

بواسطة دعاة ماهرين . ولقد كانت حلب عاصمة سيف الدولة الحمداني مركزا من مراكز الدعوة حيث حل فيها احد الدعاة المشهورين الحسين ابن حمدان الخصيبي تلميذ ابي محمد عبد الله بن محمد الجنبلاني رئيس الدعاة العلويين في العراق العجمي فاستطاع ان ينشر الدعوة العلوية في منطقة الدولة الحمدانية التي كان سلطانها يشمل منطقة اللاذقية وذلك قبل ان يبسط الفاطميون سلطانهم على بلاد الشام (١) .

ويبدو ان القائمين على الدعوة وجدوا منطقة اللاذقية تربة خصبة فجعلوها مركزا مستقلا وارسلوا اليها في سنة ٤٢٣ هـ احد الدعاة الكبار ابا سعد الميمون بن سرور بن قاسم الطبراني (٢) . ومع ان هذا الداعية لم يلبث الا ثلاث سنوات حسب رواية الطويل ـ حيث مات سنة ٤٢٦هـ فان اسمه ظل مذكورا بالتعظيم والتوقير عند العلويين مما يدل على انه نجح في نشاطه نجاحا عظيما . والذي نرجحه ان القائمين على الدعوة والوا ارسال دعاة كبار ليخلفوه وانهم بدورهم نجحوا في نشاطهم بدليل ان الدعوة العلوية شملت معظم المنطقة وكانت من القوة والرسوخ ان ظلت قائمة شاملة الى الآن رغم ما تعرض له أهلها من محن .

ومع ان الدعوة العلوية اللاذقانية ـ وهي التي تهمنا الآن من البحث ـ كانت في اصلها امامية اثنا عشرية على ما سوف نشرحه بعد فانها على ما يستفاد من الرسائل المخطوطة المعزوة الى رجال العلويين أو مما سمع وشوهد من قبل مؤلفي ولاية بيروت (٣) على ما سوف نشرحه بعد ايضا قد شيبت بشوائب اخرجتها من نطاق الامامية الاثنى عشرية المعتدلة التي تتحد في الاصول وفي كثير من الفروع مع السنية

---

(١) تاريخ العلويين للطويل ص ١٩٥ ـ ١٩٩

(٢) ص ٢٠١ ـ ٢٠٤ .

(٣) ان مؤلفي هذا الكتاب قد قاموا بجولة في جميع انحاء ولاية بيروت ، وكثير مما ورد في كتابهم عن عادات واخلاق وحالة اهل البلاد ونحلها سمعوه أو شاهدوه بانفسهم فضلا عن ما رجعوا اليه من مصادر تاريخية دعموا بها مسموعاتهم ومشهوداتهم .

وجعلتها ذات طابع خاص .

ويسمي العلويون في منطقة اللاذقية نحلتهم بالحنبلانية نسبة الى استاذ الخصيبي ومرشده وهو ابو محمد عبد الله بن محمد الحنبلاني [1] . وللعلويين في هذه المنطقة اسم آخر هو النصيريون . وهناك احتمالان في هذا الاسم احدهما انه نسبة الى جبل اللاذقية الذي كان يسمى جبل النصرة او النصيرة . وثانيهما انه نسبة الى ابي شعيب محمد بن نصير البصري النميري شيخ الجنبلاني وكان ذا مرتبة عالية في النحلة العلوية هي مرتبة الباب [2] .

وليس في كتاب تاريخ العلويين للطويل شيء كثير عن عقائد العلويين النصيريين اللاذقيين . وكل ما فيه كلام عام مبثوث في كتب الشيعة جميعها عن عقيدة الشيعيين العلويين عامة بحق علي وابنائه وأحفاده ــ الذين يسميهم الشيعيون الأئمة ــ في الامامة حصرا دون سائر المسلمين وقدسيتهم وطهارتهم وعصمتهم من الخطأ في الاقوال والأفعال والنوايا واختصاصهم دون غيرهم في الاصابة في تفسير القرآن ومعرفة باطنه وآياته المتشابهة وكون كل منهم قد أوتي علوم الاولين والآخرين مع علم الجفر (الغيب والمستقبل) وامتيازهم على بقية البشر من حيث المزايا الروحية ، وكون الفرق بينهم وبين الانبياء ان هؤلاء يوحي اليهم بواسطة جبريل أو يكلمهم الله بغير واسطة في حين ان الائمة المعصومين المطهرين هم مصدر الارادة الالهية بدون وحي ولا واسطة [3] !.

وقد اورد المؤلف تأييدا لاقواله بعض التأويلات القرآنية والاحاديث النبوية التي اعتاد ان يوردها الشيعيون في كتبهم وتفاسيرهم والتي

---

(1) تاريخ العلويين للطويل ص ١٩٦ .

(2) المصدر نفسه ص ٢٠٠ ــ ٢٦٥ .

(3) تاريخ العلويين للطويل ص ٥٩ ــ ٨٠ و ١٢٧ و ١٧٣ ــ ١٧٦ و ١٨٦ ــ ١٩٠

فيها العجيب الغريب من الغلو والمفارقة [1] مما لا نرى طائلا من ايراده.

وقد قال المؤلف تعقيبا على ذلك ان هذا التوسع هو الذي جعل خصوم العلويين يظنون ان العلويين يعتقدون بالوهية علي [2] . والعبارة تفيد التنصل من هذا كما هو واضح . غير ان مؤلف كتاب ولاية بيروت أورد نصوصا مستقاة كما يبدو من رسائل علوية خطية فيها توكيد لكون العلويين النصيريين كانوا يعتقدون ذلك فعلا على ما سوف نذكره بعد اذا صحت الرواية . ولعل ذلك كان قبل ثم خف في زمن الطويل .

والشيعيون مختلفون في صدد الائمة نتيجة لتنافس الائمة واولادهم على ما هو المتبادر . فهناك فرقة الاثنا عشرية التي تعتقد بامامة وعصمة وطهارة اثنى عشر اماما وهم ١ ــ علي بن ابي طالب ، ٢ ــ الحسن بن علي ، ٣ ــ الحسين بن علي ، ٤ ــ علي زين العابدين ابن الحسين ، ٥ ــ محمد الباقر بن علي ، ٦ ــ جعفر الصادق بن محمد، ٧ ــ موسى الكاظم بن جعفر ، ٨ ــ علي الرضا بن موسى ، ٩ ــ محمد الجواد بن علي ، ١٠ ــ علي الهادي بن محمد ، ١١ ــ حسن العسكري ابن علي ، ١٢ ــ المهدي بن حسن ، ثم يعتقدون ان المهدي دخل سردابا في سامراء في سنة ٢٦٦ هـ وما يزال فيه حيا يرزق وسيظهر في وقت ما ليتولى الامر [3] ويقفون عنده بدون انحراف عن اصول العقيدة الاسلامية بل وكثير من فروعها . وهناك فرقة تعتقد بامامة الستة الاولين ثم تفترق عن الامامية حيث تقول بامامة اسماعيل بن جعفر دون اخيه موسى لانه الاكبر وبزعم ان سر جعفر انما انتقل الى ابنه الاكبر وحسب ثم بامامة ابن اسماعيل محمد المكتوم وتعتقد انه اختفى وسيظهر يوما وتسمى السبعية لانها لا تعترف الا بسبعة أئمة .

---

(١) نفس المصدر والصحف .

(٢) نفس المصدر ص ١٧٥ .

(٣) تاريخ العلويين للطويل ١٧١ و ١٩٢ ــ ١٩٣ .

وهناك فرقة تقول بامامة اسماعيل بن جعفر ثم بامامة ابنه الثاني محمد وذريته من بعده وهي التي كانت عرفت بالفرقة الاسماعيلية [١] والتي كانت حركة القرامطة في اواسط القرن الثالث الهجري ثم حركة الدولة الفاطمية التي قامت في آخر هذا القرن أثرا من آثارها حيث كان وراء الاولى علويان ينتسبان الى اسماعيل بن جعفر ويلقبان بالشيخ وبصاحب الشامة [٢] ، وحيث كان اول الخلفاء الفاطميين عبد الله المهدي ينتسب الى اسماعيل بن جعفر ايضا ، وكان هو المرشح للامامة أو الامام القائم في نظر الاسماعيلية • وكان يقيم في السلمية من اعمال حماه مختفيا او منزويا ومنها ارسل داعيته ابا عبد الله الشيعي الى شمال افريقية لاستثارة البربر لنصرته فلما نجح التحق به ونادى بدولته [٣] •

وعلويو اللاذقية كانوا في الاصل من الاثني عشرية على مايستفاد من سياق الطويل ، حيث يقول ان العلويين استنادا الى حديث مروي عن النبي نصه (انا مدينة العلم وعلي بابها) وحديث آخر نصه (من طلب العلم فعليه بالباب) اعتقدوا انه يجب ان يكون لكل امام بابا واتخذوا سلمان الفارسي بابا لعلي وقيسا بن ورقة بابا للحسن ورشيدا الهجري بابا للحسين وعبد الله الملقب بكنكر بابا لعلي بن الحسين ويحيى ابن معمر بابا لمحمد الباقر وجابرا بن يزيد بابا لجعفر ومحمد الكاهلي بابا لموسى والمفضل بن عمر بابا لعلي بن موسى ومحمدا بن مفضل بابا لمحمد بن موسى وعمر بن الفرات بابا لعلي بن محمد وابا شعيب محمد ابن نصير النميري بابا للحسن العسكري • واعتبروا صفة البابية مستمرة في الاخير لان الامام الثاني عشر توارى • فلما مات ابو شعيب انتقلت الرئاسة الدينية التي هي تعبير آخر للبابية الى الجنبلاني ثم الى القاسم

---

(١) نفس الكتاب ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .

(٢) الطبري طبعته مطبعة الاستقامة ج ٨ ص ٢١٤ ـ ٢٢٥ .

(٣) ابو الفداء ج ٣ ص ٦٣ وتاريخ العلويين للطويل ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .

جنيد ثم الى الحسين بن حمدان الخصيبي ثم الى ابي سعيد الطبراني الذي نعته الطويل بانه اكبر مؤلف بـين العلويـين وآخر شيخ منفرد بالطريقة الجنبلانية التي استحالت بعد ذلك وتشكل منها شعب العلويين النصيريين [١] ، حيث يدل السياق كما قلنا على ان العلويين النصيريين كانوا في الاصل اماميين اثنا عشريين [٢] .

وفي كتاب ولاية بيروت اشياء كثيرة من الافكار والعقائد والمراسم والاشكال التي جعلت النحلة العلوية النصيرية ذات طابـع خاص . ويبدو ان مؤلف الكتاب استقى ما اورده من رسائل مخطوطة ومن المشاهدات والمسموعات [٣] . وقد ذكر اسماء اربعين مخطوطة قال ان المجلة الآسيوية نشرتها لكاتب اسمه يوسف كاتافاكو في سنة ١٨٧٦ م وهي على ما يبدو من اسماء مؤلفيها وعناوينها من وضع رجال النحلة القدماء منذ الخصيبي وتضمنت العقائد والافكار والطقوس والتلقينات العلوية . وبينها تسعة دواوين شعرية منها واحد للخصيبي . وليس

---

(١) تاريخ العلويين للطويل ص ١٩٢ ـ ٢٠٤ .

(٢) مما يؤيد نحلتهم الامامية الاثنا عشرية في الاصل ما ذكره ابو الفداء في الجزء الرابع من كتابه ص ٨٣ في حوادث سنة ٧١٧ هـ من خبر ظهور انسان نصيري في جبل بلاطنس ـ وهو من جبال اللاذقية وزعمه انه محمد بن الحسن العسكري ثاني عشر الائمة عند الامامية الذي يزعمون انه دخل السرداب وقد ذكر ان جماعة كثيرة من النصيريين اتبعته وانه هاجم بهم مدينة جبلة والناس في صلاة الجمعة ونهب اموالهم فجرد عليه والي طرابلس عسكرا طاردوه حتى ظفروا به وقتلوه وابادوا جماعته . وقد ذكر مؤلف كتاب ولاية بيروت ان محمد بن علي وزير الحاكم بامر الله الفاطمي ومن كبار دعاته ـ وهو نبي عند الدروز ـ الف رسالة تهجم فيها على النصيرية ونسب اليهم اباحة الموبقات ، حيث ينطوي في هذا انهم ظلوا ابان قيام الدولة الفاطمية متمسكين بنحلتهم الاثنا عشرية (ج ٢ ص ١٤١ النسخة التركية) ولقد كان العلويون على خلاف وعداء مع اتباع النحلة الاسماعيلية في منطقتهم على ما شرحناه في المتن . وفي هذا ايضا نفس الدلالة .

(٣) كتاب ولاية بيروت النسخة التركية ج ٢ ص ١٦١ و ٤٠١ ـ ٤٤٠ وجميع ما نعزوه الى هذا الكتاب عن النحلة العلوية فيما بعد مرجعه هذه الصحف من هذا الجزء .

في كلام المؤلف ما يفيد صراحة انه اطلع عليها وان كان ما اورده يدل على ذلك او على الاقل يدل على انه اطلع على بعضها .

وقد ذكر المؤلف بالاضافة الى هذه المخطوطات كتابا اسمه الباكورة السليمانية في كشف اسرار الديانة النصيرية ألفه وطبعه سنة ١٢٠٠ هـ علوي تنصر وانتحل البروتستاتنية اسمه سليمان الاضنى . وقد نقل المؤلف عنه بعض العقائد والعادات وقال ان العلويين قتلوه في طرسوس انتقاما منه لانه افشى أسرارهم (١) .

والمستفاد مما جاء في كتاب ولاية بيروت عن عقائد النصيريين وافكارهم ان عليا بن ابي طالب يشغل مكانة الالوهية العليا . فهو الاله الواحد الذي لا يفنى والحاضر في كل مكان والناظر الى كل شيء والمتحكم في الاكوان . وانهم الى هذا مثلثون تثليثا مشابها لتثليث النصارى حيث يقولون ان عليا هو الاب ومحمدا هو الابن وسلمان الفارسي هو روح القدس . ويرمزون الى الاقانيم الثلاثة بحروف العين والميم والسين التي يعتبرونها مقدسة . ويقولون فيما يقولون ان عليا نور الانوار وانه شمس ومحمد شعاعها وان عليا الاله ومحمدا الحجاب وسليمان الباب . ومما يذكره من عقائدهم ان عليا خلق محمدا من نوره وان محمدا خلق سلمان الفارسي وان سلمان خلق الخمسة الموكلين بالكون وهم المقداد بن الاسود الكندي الموكل بالرعد والزلازل والصواعق وابو ذر الغفاري الموكل بالكواكب السيارة والثابتة وعبد الله بن رواحة الموكل بالرياح وقبض الارواح وعثمان بن مظعون النجاشي الموكل بحرارة الاجسام والامراض وقنبر الدوسي الموكل باعادة الارواح الى الاجسام .

وقد اورد المؤلف اسماء ونصوص ست عشرة سورة قال :نها

---

(١) ان الطويل ذكر الباكورة ومؤلفها وقال ان كتابه مزخرف بالاقوال الكاذبة تاريخ العلويين ص ٣٨٧ والاضنى نسبة الى اضنة في كليكيا في تركية اليوم .

محتويات احدى الرسائل العلوية المخطوطة المسماة بكتاب المجموع ٠ وقد احتوت كثيرا من اسس العقيدة النصيرية ومنها ما ذكر آنفا ٠ وقد شغل علي بن ابي طالب المركز التأليهي فيها وفيها تنويهات وتقديسات بالرجال العلويين المقدسين وبدعاة النحلة العظام كالخصيبي والطبراني ٠ ومنها القصير ومنها الطويل ومنها ما ورد فيه آيات قرآنية ٠ واسماء السور هي ، ١ ـ سورة الاول ، ٢ ـ تقديسة ابن الولي ، ٣ ـ تقديسة ابي سعيد ، ٤ ـ سورة النسبة ، ٥ ـ سورة الفتح ، ٦ ـ سورة السجود ، ٧ ـ سورة السلام ، ٨ ـ سورةالاشارة، ٩ ـ سورة العين العلوية ، ١٠ ـ سور ةالعقد ، ١١ ـ سورة الشهادة، ١٢ ـ سورة الامامية ، ١٣ ـ سورة المسامرة ، ١٤ ـ سورة البيت المعمور ، ١٥ ـ سورة الحجابية ، ١٦ـ سورة النقيبية ٠

وقد جاء في مطلع السورة الاولى (سورة الاول) :

قد افلح من أصبح بولاية الاجلح (والاجلح صفة من صفات علي) استفتح بأني عبد استفتحت باول اجابتي بحب قدس معنوية امير النحل علي بن ابي طالب المكني بحيدرة ابي تراب فيه استفتحت وفيه استنجحت وبذكره افوز وفيه انجو واليه الجأ وفيه تباركت وفيه استعنت وفيه بدأت وفيه ختمت بصحة الدين واثبات اليقين ٠ ومما جاء فيها دعاء لعلي الذي وصف بانه الكل والذي لا يعلم ما هو الا هو ان يؤلف بين قلوبنا وقلوب اخواننا المؤمنين على البر والتفوى والتقويم والعلم والدين ٠٠٠ الخ وهي طويلة فيها اقوال وتلقينات معزوة الى ابي شعيب محمد بن نصير يخاطب بها يحيى بن معين السامري ٠

وقد جاء في سورة الفتح :

« اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افراجا فسبح بحمد ربك واستغفره ان كان غفارا ٠

اشهد بان مولاي امير النحل علي اخترع السيد محمد من نور

ذاته وسماه اسمه ونفسه وعرشه وكرسيه وصفاته متصل به ولامنفصل عنه ولا متصل به بحقيقة الاتصال ولا منفصل منه في مباعدة الانفصال متصل به بالنور منفصل عنه بمشاهدة الظهور فهو منه كحسن النفس من النفس او كشعاع الشمس من القرص فان شاء علي بالظهور اظهره وان شاء بالمغيب غيبه واشهد بان السيد محمدا خلق السيد سلمان من نوره وجعله بابه وحامل كتابه سلسل سلسبيل وهو جابر وجبرائيل وهو الهدي واليقين وهو بالحقيقة رب العالمين واشهد بان السيد سليمان خلق الخمسة الايتام الكرام أولهم اليتيم الانبر والكوكب الازهر والمسك الازفر والياقوت الاحمر والزمرد الاحضر المقداد بن الاسود وابو ذر الغفاري وعبد الله بن رواحه وعثمان بن قطعون النجاشي وقنبر بن كادان الدوسي هم عبيد مولانا امير المؤمنين لذكره الجلال والتعظيم وهم خلقوا هذا العالم من شرق الشمس الى مغربها وقبلتها وشمالها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ...

وقد جاء في سورة تقديسة ابي سعيد :

أسألك يامالك الملك يا امير النحل يا علي يا وهاب يا ازلي ياتواب . يا داحي الباب أسألك بالخمسة المصطفية والستة التجلية وبالسبعة الكواكب الدرية . وبالثمانية حمالة العرش القوية وبالتسعة المحمدية وبالعشرة الدجاجات الذكية . وبالاحد عشر مطالع البابية . وبالاثني عشر سطر الامامية بحقهم عندك يا غاية الكلية . يا امير النحل يا صاحب الدولة العلية يا من انت الاوحد واسمك الواحد وبابك الوحدانية . يا من ظهرت في السبع القباب الذاتية . بان تجعل قلوبنا وجوارحنا ثابتة على معرفتك الزكية وخلصنا من هذه الهياكل الناسوتية . ونبسنا القمصان النورانية . بين الكواكب السماوية . نذكر حضرة شيخنا وسيدنا الاجل الاكبر الشاب التقي ابي سعيد الميمون بن قاسم الطبراني العارف معرفة الله الكاف عما حرم الله الذي أخذ حقه بيده من قفا ابي

دهيبة [1] وعلي ابي دهيبة لعنة الله وعلى ابي سعيد السلام ورحمة الله سر ابي سعيد الشاب التقى الحر الميمون بن قاسم الطبراني سره اسعده الله .

وقد جاء في سورة السلام :

سجدت وسلمت ووجهت وجهي لفاطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ! بدء السلام من المعنى القديم . على الاسم العظيم وسلام الاسم العظيم على الباب الكريم وسلام الباب الكريم على الخمسة الايتام اركان الدنيا والدين . السلام على الابواب السلام على الايتام . السلام على النقباء السلام على النجباء السلام على المختصين السلام على المخلصين السلام على الممتحنين . السلام على المقربين . السلام على الكروبيين . السلام على الروحانيين ، السلام على المقدسين . السلام على السائحين . السلام على المستعمقين . السلام على اللاحقين . فهم اهل المراتب يتقدم عالم الصفا اجمعين . السلام على من اتبع الهدى واهتدى وخشي من عواقب الردا واطاع الملك الاعلى واقر بربوبية محمد المصطفى . السلام على المائة الف نبي واربعة وعشرين الف نبي اولهم باب وآخرهم لاحق . السلام عليكم يا عباد الله الصالحين . جمع الله شملنا وشملكم في جنة النعيم بين الكواكب السمائيين ...

وجاء في سورة العين العلوية :

بسر العين العلوية الذاتية الطاهرة الانزعية . بسر الميم المحمدية الهاشمية الملكونية الحجابية القرحية النورانية . بسر السين السلسلية الجبرائيلية السلمانية البابية البكرية النميرية النصيرية بسر ع و م و س.

---

(1) يستفاد مما ورده في كتاب الطويل (ص ٢٠٠ ـ ٢٠١) ان ابا دهيبة هذا هو خليفة باب آخر للامام الحسن العسكري غير ابي شعيب فكان بين البابين وخلفائهما نزاع وتناد فاصبح ابو دهيبة الذي يمثله في زمن ابي سعيد الطبراني موضع نقمة النصيريين ولعنتهم .

وقد اورد المؤلف نصوص ثلاث ترنيمات شعرية واردة في ديوان الخصيبي وقال ان العلويين ينشدونها في اعيادهم وحفلاتهم الدينية •

وهذه الاولى :

يـا ظـاهرا لم تغب عنـا — وبـاطنـا لـم تـزل فردا
صفـاتك الخالقات حسبي — وبـابك السلسلي حمـدا
اجب لـداعيك واعف عنا — وارحم ما مضى قبلا وبعدا
نحمـد الله بـالحق حمدا — واختم صلاتي بـالعين فردا

وهذه الثانية :

منك بـدا ظـاهر الصفات — وكـل خـير منـك يأتي
يـا احـدا لم يحط منـه — لا بصفـات ولا بـذات
وجهـك لي قبلـة اصلي — اليـه من ساير الجهـات
يـا كـل كلي وانت كلي — يا عليا وفيك اختم صلاتي

وهـذه الثالثة :

كل مـا نابني من الدهر خطب — صحت يـا جعفر الـه الانام
انت ربـي وخـالقي ومليكي — وانت ذو الكبرياء ولى النعام
وانت فوق السما على العرش تعلو — وانت في الارض حاضر الكلام
وانت اسماؤك الحسين وموسى — وعلي وانت محيي العظـام

ولهم قصيدة اسمها الهبوط تعزي الى الشيخ محمد كلازو احد كبار العلويين ورؤسائهم القدماء جاء فيها :

ذكرت زمانا كان لي قبل هبطتي — ففاضت عبرتي وزادت حسرتي
فكنا بدار العز في اوج العلـى — نسير مع الاملاك في كل روضة
الـى ان اراد الله تتميم حكمـه — فقال ساهبطكم الـى دار دنية
واظهر ذاتي في حجاب كجنسكم — واريكم حجبي كالسراب بقيعة
ويحسبه الظمآن مـاء اذا اتـى — اليه فلم يوجد شيء حقيقـة
فمن قد عرفني حين اظهر بينكم — حجابـا ويفردني عن البشريـة

فذاك آمنه الخوف والعنا واخلصه من كل هول وشدة
ويرجع الى مأمنه ابدي مسارعا واسكنه في ظل روضات جنتي
رددنا على الرحمن ما قاله لنا هبطنا لدار الذل من بعد عزة[1]

وقد ذكر المؤلف اعياد العلويين النصيريين . وهي خليط عجيب . فمنها عيد الغدير في ٨ ذي الحجة وهو ذكرى اليوم الذي يروي الشيعيون ان النبي عليه السلام عين عليا فيه خليفة من بعده وسأل الله فيه ان يوالي من والاه ويعادي من عاداه . ومنها عيد المباهلة يوم ٢١ ذي الحجة وهو ذكرى اليوم الذي يروي الشيعيون ان النبي عليه السلام جمع عليا وفاطمة والحسن والحسين ليبتهل معهم الى الله بلعن الكاذبين في ظرف مناظرة جرت بينه وبين وفد من النصارى . ومنها عيد الفراش يوم ٢٩ ذي الحجة وهو ذكرى يوم يروي الشيعيون ان عليا نام فيه في فراش النبي ليتمكن النبي من الخروج من مكة والهجرة الى المدينة بدون ان يتعقبه كفار قريش . ومنها يوم عاشوراء في ١٠ المحرم وهو يوم ذكرى قتل الحسين . ومنها عيد الميلاد في ليلة ٢٥ كانون الاول وعيد النيروز في ١٧ آذار . وعيد الصليب في ١٤ ايلول . وعيد بربارة في ١٦ تشرين الاول وعيد القداس في ٣ كانون الاول الشرقي !

ومما يستفاد من الكتاب ان العلويين النصيريين منقسمون الى فرق عديدة وهي الحيدرية والشمسية والكلازية والماخوسية والنيصافية والظهورانية . وكل فرقة منسوبة الى زعيم من زعماء النحلة وهم بالتوالي الشيخ حيدر والشيخ محمد كلازو والشيخ علي الماخوس والشيخ نصر النيصافي والشيخ يوسف العبدي الظهور .

كذلك مما يستفاد من الكتاب ان النحلة ذات مراتب كما هو شأن

---

(١) ان ركة الشعر وعامية الفاظه تسوغ القول انه منظوم في عهد الانحطاط . وانه معزو الى الاسماء التي عزي اليها نحلا للابهام .

الدرزية . فهناك مرتبة « الخاص » أي المتدينين . وتقابل مرتبة العقال في الدروز ، ثم مرتبة « العام » التي لا نصيب لاصحابها من العلم بالدين وتقابل مرتبة الجهال . ومشايخ العلويين على ثلاث مراتب . وهي الامام . ثم النقيب . ثم النجيب . ويتوقف ارتقاء العوام الى رتبة الخواص يأتي الى الامام في يوم يسمونه المشورة يبرهن فيه على ادلال ولا يكون الا بارشاد المشايخ بالتدرج . فمن اراد الانتساب لطبقة الخواص على شروط وقيود كثيرة اشد تعقيدا منها في النحلة الدرزية . نفسه بوضع نعل الامام على رأسه ثم يشرب قدحا من الخمر على سر الامام . وبعد اربعين يوما يحظى بالمثول لديه في يوم يسمونه يوم المليك ويشرب قدحا آخر على سر العين والميم والسين ويؤمر بتلاوة الحروف الثلاثة على ثلاثة ايام كل يوم خمسمائة مرة . وبعد ذلك ينعقد مجلس ثالث يشهده النقيب والنجيب ايضا تقرأ فيه بعض السور وتنشد فيه بعض الاناشيد الدينية ويمتحن الطالب في امور الدين ويحلف على صون السر ثم يتعلم السور الست عشرة ويمتحن فيها . ومن ثم يصبح من هذه الطبقة .

وهذا الذي أوردناه من كتاب ولاية بيروت ليس كل ما ورد فيه عن عقائد النصيريين وافكارهم واشعارهم ، وقد تركنا شيئا كثيرا لأننا لم نر طائلا في نقله جميعه .

وواضح مما نقلناه وما ذكره الطويل في كتابه ان النحلة شيعية امامية اثنا عشرية في الاصل وقد غدت بما تسرب اليها من افكار وعقائد ذات طابع خاص كالنحلة الدرزية . وقداحيطت مثلها بالمراسم والشكليات للتأثير والايهام . والمرجح ان كثيرا مما تسرب اليها قد تسرب بعد الداعية الاول الطبراني وان كان من المحتمل ان يكون هو الذي غرس النواة ، لان انحرافا مثل انحرافهم قد غرس في مثل هذه الظروف في النحلة الشيعية الدرزية متمثلا بنوع خاص في تجلي الله في الحاكم بامر الله الخليفة

الفاطمي على ما شرحناه في بحث تنوخيي لبنان في الجزء الاول [1] .
وان جهل الدعاة والمدعويين معا والظروف السياسية والاجتماعية التي عاش فيها النصيريون خلال قرون عديدة ونظرة الاستعلاء والعداء التي كان ينظر اليهم بها السنيون المسلمون قد ساعدت على تسربها كما ساعدت على ابقاء اصحابها منطوين على انفسهم محتفظين بسرية نحلتهم ومتمسكين بها .

ولقد خفت من جهة شدة هذه الظروف بل زالت أو كادت أن تزول ، ووجد العلم من جهة أخرى طريقه الى النصيريين فأخذ المستنيرون والمثقفون منهم يدركون ما كانوا عليه من أفكار وتأويلات وعادات باطلة ويتراجعون عنها فيعترفون بالقرآن ويتعلمونه ويقومون بالطقوس الاسلامية العادية ويطبقون شؤونهم الشخصية من نكاح وطلاق وارث على المذهب الجعفري الامامي بل لقد ذهبوا الى اكثر من ذلك حيث اذاع رجالهم الدينيون بلاغا في تموز ١٩٣٦ قالوا فيه :

دحضا لما يشاع عن ان المسلمين العلويين غير مسلمين وبعد التداول

---

(١) في الجزء الثاني من كتاب تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ص ١٨٠ وما بعدها ذكرت نحلة مشابهة في عقيدتها واسمها للنصيريين العلويين اللاذقانيين وقد قال المؤلف انها ظهرت في العراق ولم تنقطع منه الى الان وان منها طائفة اليوم في عانة وكان منها على رواية السمعاني جماعة في واسط والحديثة من بلدان الفرات وهم يقولون بالوهية علي وبقيادة الاشخاص ومن عقائدهم التناسخ والحلول والاتحاد ومن رموزهم حروف العين والميم والسين رمزا الى علي ومحمد وسلمان الفارسي ويقولون فيما يقولون انه ليس من امكان للتقارب بين السفليين والعلويين وان الرابطة بين الزمانيين واللازمانيين والمكانيين واللامكانيين مفقودة مما جعله تعالى يهبط من المرتبة الصرفية ودرجة البحتية ويتصل في كل عصر ودور بجسم من الاجسام ليبلغ عباده اوامره ويرشدهم الى ما يريد وان نور الله ظهر في هذا الدور بمظهر علي فكان هو الله فصار هو الله ومحمد رسول علي الذي هو الله . وان اصحاب الدولة العلوية المشعشعية التي قامت في اواسط القرن التاسع الهجري في جنوب العراق ومريديها هم على هذه العقيدة . (انظر الجزء الثالث من الكتاب المذكور ص ١٠٧ ـ ١١٨ و ١٥٢ ـ ١٥٦) .

بالرأي والرجوع الى النصوص الشرعية قررنا البندين الآتيين :

١ ــ كل علوي مسلم ، والعلويون المسلمون هم الذين يعتقدون بالشهادتين ويقيمون اركان الاسلام الخمسة ،

٢ ــ كل من لا يعترف بالاسلام وينكران القرآن الشريف كتابه وان محمدا صلى الله عليه وسلم نبيه لا يعد في نظر الشرع علويا [1] ،

وحيث وضع مؤتمر علوي شهده جمهور رجال العلويين البارزين من مدنيين ودينيين في الشهر نفسه قرارات من جملتها :

ان العلويين ليسوا سوى انصار الامام ، وما الامام سوى ابن عم رسول الله ووصيه ، وان القرآن الشريف هو كتاب العلويين قاطبة ،

وكان هذا ردا على مكيدة استعمارية تبشيرية في عهد الانتداب الافرنسي المشؤوم حيث أراد المستعمرون والمبشرون اليسوعيون لمآرب استعمارية استغلال فكرة التثليث الملموحة في العقيدة النصيرية (علي الاب ومحمد الابن وسلمان روح القدس) فاخذوا يبدون ويعيدون في زعم ان النصيريين من احفـاد الصليبيين وانهم نصارى العقيدة في الاصل مما هو وهم من الاوهام التي يتعمد المستعمرون والمبشرون المأجورون لهم اثارتها في المناسبات المماثلة ، فعروبة معظم سكان المنطقة حقيقة من حقائق التاريخ التي لا تتحمل مكابرة ، ومظاهر الـدعوة والتلقينات الشيعية والاسماء والعادات الاسلامية هي الغالبة على النحلة بحيث لا يصح لمنصف ان يتجاهلها ويتمسك بفكرة التثليث التي قوامها اسماء اسلامية ليتخذها دليلا على اصالة العقيدة النصرانية في النصيريين وهذا فضلا عن ان فكرة التثليث ليست فكرة نصرانية اصيلة ، حبث

---

(١) رسالة « العلويون » لمنير الشريف ص ٦٠ والمتبادر ان هذا متصل بما كان من تنصل الطويل من عقيدة الوهية علي الذي اورده في كتابه ص ١٧٥ على ما ذكرناه قبل . والراجح ان هذا صار يمثل العقيدة العلوية النصيرية في وقتنا الحاضر تراجعا عن الغلو السـابق .

تنمح في الافكار والعقائد الدينية العديدة قبل المسيح وفي بلاد لا صلة لها بالمسيحية ...

ولقد انتهى ذلك العهد المشؤوم . وقوي اندماج العلويين في الدولة وسائر طبقات اهلها بحيث صار من المأمول أن لا يمر جيل أو جيلان حتى يتم الاندماج والانسجام الاجتماعي والثقافي والروحي معا .

- ٦ -

النحلة الاسماعيلية ونبذة من تاريخها في بلاد العجم والشام

ولقد قام في منطقة اللاذقية وما جاورها من اعمال حماه وحمص والسلمية الى جانب النحلة العلوية النصيرية نحلة اخرى عرفت بالنحلة الاسماعيلية . والراجح انها في أصلها دعوة الفرقة الامامية الاسماعيلية التي كان امامها المرشح في اواخر القرن الثالث الهجري وهو عبيد الله المهدي يقيم في السلمية ويبث دعوته وارسل دعاته منها على ما ذكرناه في سياق سابق . وقد شيبت هي الاخرى مع الزمن ونتيجة لجهل الدعاة والمدعووين معا بافكار وتأويلات واحيطت بمراسم وشكليات جعلتها ذات طابع خاص ايضا .

ولقد كان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ) ارسل الى بلاد الفرس داعية اسمه حسن الصباح للتشويش على العباسيين والدعاية ضدهم وازعاجهم . وقد استطاع ان ينجح في دعوته ودعايته وان يؤسس جماعة عرفت بالاسماعيليين أو الباطنيين محاطة بمراسم وشكليات وقائمة على افكار وتأويلات جعلتها بدورها ذات طابع خاص كذلك ، وان يقيم على اكتافها دولة ارهابية ازعجت الملوك السلجوقيين الذين كانوا اصحاب الغلبة والسلطان في الخلافة العباسية في ذلك الوقت واهل المنطقة التي حل فيها ازعاجا شديدا وامتدت بعده الى

اواسط القرن السابع • وقد جاء احد رجال هذه الحركة واسمه ابن بهرام الى بلاد الشام واخذ يقوم بنشاط دعائي وسياسي واستطاع في مدة وجيزة ان يجمع حوله الاسماعيليين الموجودين في منطقة اللاذقية وحماة لما كان بين نحلتهم من ترابط ووحدة اصول وغاية ، وان يدخل غيرهم في النحلة حتى لقد صار الذين في دمشق منهم يعدون بالآلاف • وقد استطاع زعيم من زعماء هذه النحلة ابو الوفاء ان يؤثر على المزدقاني وزير تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق ويغدو صاحب نفوذ في حكومة الشام [١] •

وقبل المضي في سرد وقائعهم ومصاولاتهم مع النصيريين وغيرهم نرى ان نورد نبذة عن نحلتهم وبنيانهم • وقد احتوى الجزء الثاني من كتاب ولاية بيروت نبذة عنهم [٢] سواء الذين كانوا في بلاد العجم أم بلاد الشام ، والمستفاد من هذه النبذة ان اصل النحلة دعوة اسماعيل ابن جعفر الصادق واولاده من بعده التي كانت الحركة القرمطية ثم الدولة الفاطمية من آثارها • وقد بدأ مؤلف الكتاب بذكر حسن الصباح ونحلته في بلاد العجم لانها كانت الاقوى والاعنف والتي يغلب ان تكون عاملا في تطور النحلة الاسماعيلية الشامية • وحسن الصباح عربي حميري كما يروى • وقد ولد في بلاد الري ــ بلاد فارس ــ وكان على جانب عظيم من النشاط والدهاء والمعرفة والذكاء مما جعل الخليفة الفاطمي المستنصر يزوده بالمال ويرسله في سنة ٤٦٤ هـ الى المشرق للدعاية ضد العباسيين وازعاجهم • وقد استطاع ان يجمع حوله انصارا وان يستولي على قلعة الموت وغيرها من من القلاع الجبلية في بلاد العجم ويحصنها فكان ذلك ايذانا بقيام الدولة الاسماعيلية أو الباطنية

---

(١) ابو الفداء ج ٣ ص ٣٢ •

(٢) ج ٢ ص ٥٢ ــ ١٢٠ و ٤٧١ ــ ٤٨٧ النسخة التركية •

التي كان هو رئيسها الاول [1] • وكان يتلقب أحيانا بشيخ الجبل واحيانا بالامام واحيانا بالرئيس ولم يعد يهتم كثيرا بما كان من رابطة بالخلافة الفاطميةاو تلقي توجيهات منها ولاسيما انها اخذت تتدهور الى ان انهارت نهائيا سنة ٥٦٨ هـ على يد صلاح الدين الايوبي [2] •

(١) ان ابا الفداء ذكر في الجزء الثاني من تاريخه (ص ٢١٤) بدء حركة حسن الصباح وقال ان اسم قلعة الموت محرف عن راموت ومعناها قلعة العقاب وان البلاد التي قام حسن الصباح فيها بحركته هي بلاد الطالقان وان من القلاع التي ملكها طبس وقهستن وسنكموه وقاليجان وازدهن وكردكوه والطنبور وخلادخان .

(٢) هناك كتاب ألفه اسماعيلي اسمه مصطفى غالب بعنوان تاريخ الدعوة الاسماعيلية حتى العصر الحاضر فيه اشياء كثيرة عن الدعوة وسيرة ائمتها . ومما ذكره ان المستنصر الفاطمي ترك ولدين واحدا اسمه نزار وآخر اسمه احمد وان بدر الدين الجمالي قائد الجيوش الفاطمية ساعد احمد الاصغر دون نزار الاكبر على تولي الخلافة بعد أبيه وهو المعروف بالمستعلي فغادر نزار مصر الى بلاد الطالقان وانضم الى حسن الصباح وتولى الامامة الاسماعيلية . فاذا صح هذا كان فيه تفسير عدم استمرار الرابطة بين الحركة الاسماعيلية في بلاد الطالقان والخلافة الفاطمية . واذا اخذنا بكلام هذا المؤلف فان حسن الصباح قد صار بمثابة رئيس حكومة وصار نزار واولاده من بعده يتولون الامامة واحد بعد واحد وصار الذين خلفوا حسن الصباح الذين ظلوا يتسمون باسم شيخ الجبل يتولون السلطة التنفيذية الحكومية الى جانبهم وان آغا خان زعيم معظم اسماعيلي الشام وبلاد الفرس والهند وغيرها اليوم هو من ذرية نزار (انظر ص ١٨١ وما بعدها) . وهكذا يكون الاسماعيليون أي أبناء اسماعيل بن جعفر قد انقسموا بدورهم الى ثلاث فرق . فرقة المكتوم المنتظر ظهوره وهم السبعية . وفرقة محمد الذي ينتسب اليه الخلفاء الفاطميون . ثم فرقة نزار الذي ينتسب اليه ائمة الاسماعيليين الذين نحن في صددهم . هذا بالاضافة الى الفرق العديدة التي انقسم اليها العلويون من امامية اثني عشرية وزيدية وادريسية وحسنية وحسينية وغيرها مما لا يكاد يحصى . وائمة كل فرقة يعتبرون انفسهم هم المعصومون الذين يتجلى الله فيهم ويتنافسون مع الائمة الآخرين منافسات كثيرا ما كانت تصل الى الحروب في سبيل الحكم والسلطان ويتفننون في الدعاية لانفسهم والزراية على منافسيهم .

ولقد روى ابن خلدون في تاريخه (ج ٤ ص ٦٦) ما يؤيد رواية المؤلف الاسماعيلي

وقد اقام حركته على اسس وتشكيلات سياسية ودينية عجيبة في اتقانها واحكامها وتأثيرها ومداها تطورت بها الى منظمة سرية رهيبة ذات مراتب يتفاوت اصحابها في معرفة اسرارها حسب تفاوتهم في المرتبة . وكانت دعوتها وتلقيناتها متدرجة بالنسبة لاتباعها . ويرجع مؤلف كتاب ولاية بيروت هذه التنظيمات الى عبد الله بن ميمون القداح أحد كبار دعاة الاسماعيليين بل ومؤسس الدعوة الاسماعيلية الباطنية في اواسط القرن الثالث الهجري ـ والوصف وصف المؤلف ـ ويقول ان حسن الصباح اقتبسها منه . وطبقات رجال النحلة سبع . رأسها الامام الذي هو مصدر الارادة الالهية وموضع التجلي الرباني ثم الحجة الذي يتلقى من الامام ويبلغ عنه وهو حجة على وجوده . ثم ذو المصة الذي يتلقى عن الحجة ويمتص منه افكاره ثم الداعي الاكبر الذي هو في أعلى مراتب المؤمنين والمشرف على سير الدعوة والدعاة ثم الداعي المأذون الذي يأخذ العهد على المدعوويين ويدخلهم في النحلة ثم الدعاة الذين يتولون الدعوة بصورة عامة ثم المؤمن الذي يدخل في النحلة بعد اخذ العهد عليه . والى هذا فالدعوة تسع درجات . اولاها تدور في نطاق الاسلام واركانه وتكاليفه مع تلقين وجوب قيام امام وحق بني اسماعيل بن جعفر بالامامة حصرا . فاذا ما استجاب المدعو الى ذلك اخذت عليه العهود القوية الموثقة بالطلاق والعتاق واباحة الدم بطاعة صاحب الحق ونقبائه ووكلائه واداء الزكاة المترتبة عليه اليهم وتنفيذ الاوامر الصادرة اليه ومنهم والجهاد في سبيل ولاية الامام وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه وكتم ما يعرفه من اسرار . فاذا ما اعطى المدعو

حيث قال ان المستنصر جعل نزارا ولي عهده وان الافضل الجمالي صرف عنه الامر الى اخيه وان حسن الصباح سأل المستنصر حينما ارسله الى بلاد الفرس عن الامام بعده فقال له نزار وان الاسماعيلية يقولون بامامة نزار بناء على ذلك ، وفي كتاب تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم (ص ٣٦٧) سياق مؤيد لهذا ايضا جاء فيه ان حسن الصباح ايد نزارا ومهد الامور في فارس وخراسان لامامته غير ان السياق لا يفيد بصراحة ان نزارا واعقابه هم الذين كانوا الائمة لحكومة حسن الصباح وخلفائه من بعده .

هذا العهد تدرج معه درجة بعد درجة حيث يورد عليه بالتدرج أسئلة واشكالات جدلية قرآنية وفلسفية يثير بها انتباهه وغايتها تلقينه وافاعه في الدرجات الاولى بعصمة الائمة وطهارتهم وكونهم موضع تجلي الله ومصدر ارادته ووحيه ووجوب اخذ الاحكام القرآنية وتفسير القرآن منهم او من حججهم ـ أي نوابهم ـ حصرا وكون القرآن له ظاهر وباطن ، وكون المهم هو الباطن وكون الائمة وحججهم هم المختصون وحدهم بمعرفة الباطن وكون التكاليف الاسلامية رموزا لا حقيقة تهدف الى تنظيم صلات المؤمنين بالامام وقيامهم نحوه بالواجب ، وكون الوحي هو معنى من معاني صفاء النفس الذي يتحقق دائما في الامام وكون الامام بناء على ذلك ذا حق في نسخ الاحكام القرآنية وتبديلها . فاذا ما تجاوز المدعو الدرجات السبع الاولى لقن افكار فلسفية بازلية العالم وابديته وعدم معنى الحياة الاخروية وعدم حقيقتها الخ مما اسهب فيه مؤلف كتاب بيروت اسهابا لا يتحمله منهج الكتاب .

ومما رواه مؤلف كتاب بيروت نقلا عن المصادر القديمة ان حسن الصباح أنشأ جنة مزودة بجميع الملذات والمباهج وانه كان ينقل اليهـا من يرى فيه القوة والحماس من شباب اتباعه بعد ان يخدره ثم يعيد اليه وعيه ويجعله يستمتع بكل ما في الجنة من لذائذ ومباهج ثم يخدره ثانية ويعيده اليه مدهوشا يروي ما رأى ويتلهف ويتحرق اليه شوقا وحينئذ يلقن الشاب ان ذلك رهن بطاعة الامام وعدم التمسك بالحياة لان وراءها الحياة الدائمة في تلك الجنة حتى يثور حماسه ويندفع الى تنفيذ كل امر . وهكذا أنشأ اعدادا كبيرة من الفدائيين الذين كان يوجههم الى اغتيال كبار أعدائه . وممن قتله فدائيو المشرق الخليفة العباسي المسترشد بالله (٥١٢ ـ ٥٢٩) ونظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي المتغلب ثم ابنه فخر الملك . وهكذا القى الرعب في القلوب حتى لقد روي ان ملكشاه ارسل اليه مندوبا لاقناعه بالطاعة فاستدعى واحدا من فـدائييه وامره بقتل نفسه ففعل ثم استدعى واحدا آخر وامره بالقاء نفسه من

فوق السور الى الهوة السحيقة التي تحته ففعل والتفت بعد ذلك الى مندوب ملكشاه وقال له اذهب الى سيدك وقل له ان عندي من هؤلاء سبعين الفا ، وانه ارسل الى سنجر بن ملكشاه فدائيا دخل الى مخدعه وغرس خنجره في مخدته ثم ارسل اليه قائلا لو اردنا قتلك قتلناك فما كان من الملك الا أن ارسل مندوبا عقد هدنة معه وتركه وشأنه . ولقد مات حسن الصباح سنة ٥١٨ هـ بعد حكم ارهابي شديد امتد ٣٥ سنة فخلفه خليفة اسمه كي بزرك اميد بوصية منه . ومات هذا سنة ٥٣٢ هـ فخلفه ابنه محمد ومات هذ سنة ٥٥٧ فخلفه خليفة اسمه حسن الثاني ومات هذا سنة ٥٦١ هـ فخلفه ابنه محمد ومات هذا سنة ٦٠٧ هـ فخلفه ابنه جلال الدين حسن ومات هذا سنة ٦١٨ هـ فخلفه ابنه علاء الدين ومات هذا سنة ٦٥٤ هـ فخلفه ابنه ركن الدين ولم تطل مدته حيث استولى هولاكو التتري على بلاد العجم ونسف دولته في هذه السنة نفسها .

ولقد نشبت مصاولات امتدت طويلا تخف حينا وتشتد حينا بين دولة الاسماعيليين هذه وبين الملوك السلجوقيين المتغلبين على الخلافة العباسية والذين وطدوا حكمهم في العراق وبلاد العجم وبلاد الشام ذكر مؤلف كتاب بيروت صفحاتها [1] ولقد اشتدت المصاولات خاصة في أواخر عهد ملكشاه فلما توفي جرد بركياروق ابنه حملة قوية عليهم سنة ٤٩٤ هـ وساعدها السكان فقتل منهم خلق كثير ولكن شوكتهم لم تخضد ولم يلبثوا ان عادوا الى الاعتداء على المناطق المجاورة لقلاعهم يعملون فيها يد الفتك والتدمير والنهب وهاجموا سنة ٤٩٨ هـ ركب الحج وقتلوا الحجاج ونهبوا اموالهم وسير عليهم السلطان محمد بن بركياروق الذي صار له الملك حملة قوية استولت على بعض قلاعهم المهمة وامعن قائدها في مطاردتهم وتضييق الخناق عليهم حتى كاد يأخذ منهم معصمهم قلعة الموت لولا ان جاء نعي السلطان فجعل كثيرا من الحملة ينسحبون وخرج

---

(١) انظر الصفحات ٨٢ ــ ٩٢ .

عليهم الاسماعيليون وعلى رأسهم حسن الصباح فهزموا بقية الحملة واستولوا على ذخائرها وكان ذلك سنة ٥١١ هـ ، وقد ارسل حسن الصباح معتمده ابن بهرام الى بلاد الشام في ظروف مصاولته مع السلاجقة ليفتح جبهة ثانية عليهم فيها . ولقد انهار السلطان السلجوقي سنة ٥٩٠ هـ والدولة الاسماعيلية قائمة مستمرة على أعمالها الارهابية فتصدى لها الملوك الغوريون الترك ثم ملوك خوارزم الترك ثم المغول الترك ــ التتر الذين كانت نهايتها على ايديهم سنة ٦٥٤ هـ كما ذكرنا قبل . غير ان النحلة أو الدعوة الاسماعيلية الباطنية ظلت قائمة واتباعها منتشرون في انحاء مختلفة يدينون اليوم بامامة من ينعتونه بآغا خان الذي يعتقدون انه من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق وانه امام الزمان ومحل تجلي الله . ويظهر انه طرأ طارىء ما جعلهم بدون امام مدة من الزمن على ما يستفاد من كلام مؤلف كتاب ولاية بيروت الى ان ظهر شخص اسمه محمد الحسن بن الحسين فادعى النسب العلوي الاسماعيلي فآمنوا به ولقبوه بمحمد شاه وآغا خان وصاروا يؤدون اليه زكاتهم ويذكرونه في طقوسهم . ومات سنة ١٢٨٨ هـ فخلفه ابنه علي بلقب علي شاه وآغا خان . ومات هذا سنة ١٣٠٨ هـ فخلفه محمد بلقب محمد علي شاه وآغا خان ومات هذا سنة ١٣٧٥ هـ فخلفه بوصية منه حفيده صدر الدين وهو آغا خان الحالي .

ونتبه على ان مؤلف كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية الذي ذكرناه قبل لا يعترف بانقطاع سلسلة الامامة الاسماعيلية ويذكر انها استمرت قائمة منذ تولاها نزار بن المستنصر في زمن حسن الصباح ويذكر سلسلتهم واحدا بعد آخر حتى يصلوا صاعدا الى نزار ثم الى اسماعيل بن جعفر الصادق ثم الى علي بن أبي طالب وحتى يصلوا نازلا الى محمد علي شاه الآغا خان الثالث الذي كان حيا حينما اصدر كتابه والذي اهداه اليه [1] .

---

(١) هذه سلسلة ائمة الاسماعيليين بعد نزار كما جاءت في هذا الكتاب : علي الهادي ، محمد المهتدي ، حسن بن محمد ، الحسن علي ، اعلا محمد ، جلال الدين حسن ، علاء الدين

أما اسماعيليو الشام فانهم بعد ان خضدت شوكتهم وقضي على سلطانهم في المدن والقلاع على ما سوف نذكره بعد وهنوا واستكانوا ولكنهم ظلوا متمسكين بنحلتهم متكتلين على بعضهم • وهم منتشرون في عشرات القرى في نواحي القدموس والخوابي والسلمية وفي هذه القصبات • ولهم رؤساء يتلقبون بلقب الامارة والميرزا • وليسوا من اصل عربي على ما يرجح ولعلهم من نسل من تولى الامارة عليهم واندمج في نحلتهم من الاكراد أو من الذين جاؤوا من بلاد العجم • واسم بهرام الذي جاء من هذه البلاد مندوبا من حسن الصباح واسس الدولة الاسماعيلية في بلاد الشام قد يدل على ذلك • وهذا لا يعني ان عامة الاسماعيليين غير عرب • فمما لا ريب فيه ان جلهم ان لم يكن كلهم عرب لان الفتح الاسلامي وما اعقبه من احداث غمرت بلاد الشام بالقبائل العربية فضلا عما كان فيها منها قبل الفتح •

ومعظم اسماعيليي الشام كاسماعيليي المشرق يدينون بامامة آغا خان والتجلي الرباني فيه ويؤدون اليه زكاتهم • والمتبادر ان اتصال الاسماعيليين الشرقيين — اسماعيليي بلاد العجم — بالشاميين مما طور النحلة في الشام وجعلها متسقة مع ما كانت عليه الشرق • وقد قلنا معظم اسماعيليي الشام لان هناك شراذم تتسمى بالنحلة الاسماعيلية في مصياف والقدموس ولا تدين بامامة آغا خان • ومن المحتمل ان يكونوا من النحلة الامامية السبعية التي تدين بامامة احمد المكتوم •••

وفي كتاب ولاية بيروت اشياء كثيرة من عقائد وطقوس اسماعيليي الشام الذين يدينون بامامة آغا خان دون عقائد وطقوس اسماعيليي

محمد ، ركن الدين ، شمس الدين ، قاسم شاه ، اسلام شاه ، محمد ابن اسلام شاه ، المستنصر الثاني ، عبد السلام ، غريب ميرزا ، ابو الدر علي ، مراد ميرزا ، ذو الفقار علي ، نور الدين شاه ، خليل الله علي ، نزار الثاني ، سيد علي ، حسن علي ، قاسم علي ، ابو الحسن علي ، شاه خليل الله ، شاه حسن علي ، علي شاه نادر سلطان محمد شاه علي (هذا آغا خان الثالث) وبعد هذا صارت الامامة لحفيده صدر الدين بن علي وهو الآغا الحالي.

الشرق التي لا يذكر المؤلف منها شيئا خاصا • والمتبادر ما دام اتباع النحلة يدينون بامامة واحدة ان تكون الطقوس هناك مثلها هنا • وفي الادعية التي يتلوها اسماعيليو الشام في صلواتهم الفاظ والقاب فارسية كثيرة قد تكون من الدلائل على ذلك وخاصة على تأثير المشارقة في الشاميين لان بلاد الفرس كانت مركز نحلة المشارقة وحركتهم •

ويقول مؤلف كتاب ولاية بيروت ان اسماعيليي الشام فرقتان الحجاوية والسويدانية دون شرح • وقد ذكر مؤلف اسماعيلي آخر اسمه عبد الله المرتضى في كتاب له سماه تاريخ الاسماعيلية [1] ان السويدانية هي نسبة الى محمد سويدان الذي كان شيخا للاسماعيليين في القرن الحادي عشر وان خللا طرأ على شؤونهم الدينية والمدنية فبعث الامام المعصوم العلامة الشيخ خضر مصلحا ومرشدا فعاكسه محمد سويدان فانقسم الاسماعيليون الى فرقتين سويدانية وهي الاقلية تتبع محمدا سويدان والاكثرية تتبع الشيخ خضر الذي كان يلقب بالحاج ايضا فسميت فرقته بالحجاوية •

والاسماعيليون يتعلمون القرآن ويتلونه باهتمام على ما يقوله مؤلف كتاب ولاية بيروت ولكنهم يؤولون آياته تأويلا يخرجها عن معانيها الاسلامية ويحلهم من التكاليف الاسلامية بل ويجعلهم يقدمون على المحظورات الاسلامية • وهم يعتقدون ان الله يتجلى في الائمة الاسماعيليين • ومن هنا جاء ذكرهم لهؤلاء الائمة في صلواتهم باسلوب تأليهي •

ومما ذكره المؤلف انهم صنعوا راية بعد اعلان الدستور العثماني (١٩٠٨ م ــ ١٣٢٦ هـ) كتبوا عليها «لا اله الا السلطان محمد علي شاه» ومما ذكره كذلك ان بعض الاسماعيليين يتظاهرون بالاسلام ويقومون بطقوسه المعتادة ولكن لهم صلاتين واحدة عند الفجر واخرى عند الغروب يؤدونها في معابدهم الخاصة التي هي غرفة ذات بابين متقابلين •

---

(١) ص ٢٤٤ ــ ٢٤٦ •

وعندما يجتمعون للصلاة يضعون في وسط المعبد منضدة يتحلقون حولها وراء امام ويضعون عليها صورة آغا خان ويركعون ويسجدون امامها مقتدين بامامهم الذي يقول حين القيام من ركوعه وسجوده : (علي الله) فيجيبون (صحيح الله) ثم يأخذ الامام بذكر اسماء الائمة متسلسلة مبتدئا بالانبياء آدم وما بعده ثم علي وابنائه الى اسماعيل ثم أبناء اسماعيل ثم ابناء اسماعيل الى آغا خان الحالي • وقبل الاسم جملة مولانا شاه فلان حق فيجيب المؤتمون حق • وحينما يصل الامام الى ذكر آغا خان الحالي يصفه بصفات « الامام الحاضر الموجود الهادي المهدي صاحب الامر وقائم العصر روح الوجود والحي المعبود » ثم يقول موجها الخطاب الى صورته « اللهم يا مولانا انت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام احيينا ربنا بسلام وادخلنا دار السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام » ويمزج الامام كلامه بالفاظ فارسية فيها تحية وذكر وتنويه بالائمة والمؤتمون يؤمنون على كلامه • ومما يقوله الامام في بعض مقاماته في الصلاة « لا اله الا الله الحي القيوم لا اله الا الله محمد رسول الله مولانا امير المؤمنين علي صحيح الله حقا حقا فيجيبه المؤتمون صدقا صدقا » •

وهم في زواجهم وطلاقهم يسيرون وفق الشريعة السنية ويؤدون خمس اموالهم وخمس مهورهم وخمس تركات امواتهم للامام آغا خان• واعيادهم خليط عجيب ، فهم يعيدون الاعياد الاسلامية مع اهتمام خاص بعيد الاضحى • ويعيدون الى ذلك في عيد النيروز ويوقدون فيه المشاعل • ويعيدون في عيد الميلاد الميحي واعياد الغطاس وخميس العهد •

وننبه على ان مؤلف كتاب ولاية بيروت قد زار بلاد الاسماعيليين في منطقتي اللاذقية وحماة ودوَّن ما سمعه عن تقاليدهم ووصلاتهم واعيادهم ••

ولقد جاء في كلمة الاهداء التي وجهها مصطفى غالب مؤلف كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية الى آغا خان « الى سليل الائمة الفاطميين الاطهار . النبراس المضيء والضياء المشرق . الامام المعصوم وحجة الله على العالمين . الناموس الكوني الموجود في كل الوجود . منجي النفوس من الشقاء الابدي وقائد العالم الى الحقيقة المثلى ، الامام حاضر الزمان مولانا آغا خان الثالث » حيث ينطوي في الكلمة عقيدة الاسماعيليين الصريحة في الحلول الالهي في أئمتهم . ومما جاء في هذا الكتاب عن الامام المعصوم [1] انه اداة الباري من حيث الوحدة الحقيقية وانه بمثابة الواحد في العدد والروح القدسية الخالصة التي يتلقى بها الموارد الالهية بواسطة الجواهر العقلية والبسائط النفسية ! وفي الكتاب اقوال معزوة الى علي بن ابي طالب (رض) لا يمكن ان تكون صدرت عنه اوردها المؤلف مرتين باسم خطبة البيان [2] جاء فيها عن لسانه « انا سر الاسرار وشجرة الانوار ودليل السموات وقائد الاملاك وسمندل الافلاك وسائق الرعد وسرير الصراح وحفيظ الالواح وقطب الديجور والبيت المعمور وامين السحاب ومسدد الخلائق ومحقق الحقائق وجوهر القدم والاول والآخر والظاهر والباطن الخ مما يمثل في الحقيقة العقيدة الاسماعيلية المتطورة الى الحلولية والوهية علي وابنائه بعده ومما هو نتيجة التفنن في الدعوة والدعاية الذي كان من اهدافه الجوهرية ربط معتنقي النحلة بامامهم العلوي ربطا وثيقا وعميقا واستغلال عاطفتهم في توطيد امامتهم ونيل ما تعود به هذه الامامة عليهم من جاه وسلطان وثروات طائلة . وأئمة الاسماعيليين الحاضرون يعرفون ذلك ويقرونه بل ويباهون به على ما تدل عليه رسالة بعث بها آغا خان الثالث الذي توفي عام ١٣٧٥ هـ الى فتاة افرنسية خطبها لنفسه جاء فيها « انك تجهلين بان آلاف الآلاف من البشر يعتقدون ان الاله متجسم في » ! وليس ما يمنع ان يكون هذا شأن كثير من أئمة الفرق العلوية الاخرى في

---

(١) ص ١٢ ــ ١٧ . (١) ص ٣٢٣ و ٤٤ .

الحاضر والغابر ايضا بسبيل تلك الاهداف •

ومهما يكن من امر فالذي لا شك فيه ان الظروف الاجتماعية المديدة الامد التي عاشها الاسماعيليون مرتكسين في الجهل والغباء منطوين على انفسهم كاقلية تجاه اكثرية سنية في كنف دعاة مستغلين من أسباب استمرار هذه العقائد والتمسك بها رغم ما فيها من مناقضات صريحة لاحكام القرآن وحقائق الاسلام شأن معتنقي النحلة الدرزية والنحلة النصيرية وان من شأن تبدل تلك الظروف من جهة واتساع نطاق التعليم من جهة ان يخفف من هذا الغلو الى ان يزول كما قدرنا ذلك بالنسبة لمعتنقي النحلتين المذكورتين اللتين هما وهي من باب واحد اصلا وتطورا ••

المصاولات بين الاسماعيليين والنصيريين في بلاد الشام

وتواثق الاولين مع الصليبيين

— ٧ —

ونأتي الآن الى الوقائع والاحداث التي جرت في منطقة اللاذقية بين الاسماعيليين والنصيريين فنقول ان بهرام الذي سيره حسن الصباح الى بلاد الشام لفتح جبهة اسماعيلية ثانية ضد السلطان السلجوقي واستطاع ان يجمع ويوحد الاسماعيليين ويوسع نطاق الدعوةالاسماعيلية على ما ذكرناه قبل اهتم للاستيلاء على منطقة اللاذقية واقامة دولة اسماعيلية فيها على غرار دولة حسن الصباح في المشرق بسبب مناعة جبالها وكثرة قلاعها • وقد تمكن فعلا من الاستيلاء على مدن وقلاع بانياس ومصياف وقدموس وصهيون وابي قبيس والخوابي ومنيقة

والعليقة ومعظمها كان للعلويين (١) • ولما قتل في وقعة حربية جرت بينه وبين هؤلاء على ما سوف نذكره بعد خلفه في زعامة الحركة والدولة الباطنية الاسماعيلية زعيم اسمه اسماعيل ثم خلف هذا زعيم اسمه سنان الذي كان يتلقب بلقب شيخ الجبل راشد الدين وقد اتخذ قلعة ابي قبيس معصما له وأنشأ جنة على غرار جنة حسن الصباح كما نشَّأ فريقا من اتباعه فدائيين يطيعونه طاعة عمياء كما فعل حسن الصباح (٢) •

ولقد عز على العلويين ان يستعلي الاسماعيليون عليهم ويستولوا على بلادهم وقلاعهم فجمعوا امرهم واخذوا يتصاولون معهم واستطاعوا ان يكسبوا بعض المعارك التي قتل في احداها ابن بهرام (٣) ، غير ان ذلك لم يقض على الحركة والدولة الاسماعيلية لانها رسخت وقام على رأسها خلفاء اقوياء لابن بهرام حافظوا عليها وظلوا يضايقون العلويين • وكان الصليبيون قد استطاعوا في هذه الظروف ان يستولوا على اللاذقية وبعض المدن الساحلية من المنطقة فازداد ضيق العلويين • ولا سيما ان الاسماعيليين انحرفوا عن جادة المسلمين أثناء الحروب الصليبية وتواثقوا مع الصليبيين • وقد روي ابو الفداء حوادث كثيرة تدل على ذلك • منها ان ابا الوفاء الاسماعيلي الذي صار له نفوذ كبير في دمشق الشام نتيجة لتأثيره على المزدقاني وزير بوري بن طغتكين على ما ذكرناه قبل كاتبهم ليسلمهم دمشق مقابل تخليهم له عن صور فوافقوه وزحفوا الى دمشق لاستلامها وعرف تاج الملوك بوري صاحب دمشق واهل دمشق

---

(١) تاريخ العلويين للطويل ٢٧٥ وابو الفداء ج ٣ ص ٣ – ٤ •

(٢) تاريخ العلويين ص ٢٧٥ وابو الفداء ج ٣ ص ٣ والتاريخ الاسماعيلي لعبد الله المرتضى ص ٢٠٧ – ٢٢١ وقد ذكر هذا المؤلف ان سنانا توفي سنة ٥٨٩ هـ وان زعيما اسماعيليا اسمه موسى القصار تولى مشيخة الجبل بعد موته بمدة طويلة وامتدت مشيخته من سنة ٦٥٨ الى ٦٧٦ ولكن مركزه كان مدينة حلب ص ٢٣٠ – ٢٣٧ •

(٣) كتاب ولاية بيروت النسخة التركية ج ٢ ص ٩٢ – ٩٥ وابو الفداء ج ٣ ص ٢ وتاريخ العلويين للطويل ص ٢٧٥ •

بالخيانة فقتل بوري وزيره المزالمزدقاني الذي مكن لابي الوفاء ثم قتل ابا الوفاء وثار اهل دمشق بالاسماعيليين فيها فقتلوا منهم ستة آلاف • وخاب امل الصليبيين فارتدوا • وحنق شيخ الجبل رئيس الاسماعيليين في جبل اللاذقية مما فعله تاج الملوك بابي الوفاء واسماعيليه دمشق فارسل فدائيا طعنه طعنتين مات منهما بعد ايام قليلة ثم سلم قلعة بانياس للصليبيين وقوي تواثقه معهم • وكان ذلك سنة ٥٢٣ هـ [١] وقد ذكر ابو الفداء ان شمس الملوك اسماعيل بن تاج الملوك سار في سنة ٥٢٧ هـ الى بانياس فملكها بالسيف وقتل وأسر من كان بها وحاصر قلعتها وتسلمها بالامان [٢] • والمتبادر انه فعل ذلك كرد فعل لما كان من جرأة الاسماعيليين على اغتيال ابيه وتسليمهم بانياس للصليبيين •

ومما ذكره ابو الفداء ايضا ان فدائيين اسماعيليين اندسا في معسكر السلطان صلاح الدين في سنة ٥٧١ وهو يحاصر اعزاز فوثب عليه احدهما وطعنه وجرحه ولكن صلاح الدين قبض عليه فسارع الثاني الى الوثوب عليه بدوره ولكنه تمكن من النجاة منه [٣] حيث يدل هذا على مقدار ما وصل اليه الاسماعيليون من التواثق مع الصليبيين والانحراف عن جادة المسلمين فيما قصدوه من القضاء على صلاح الدين الذي كان اعظم المجاهدين ضد الصليبيين وقد يكونون فعلوا ذلك انتقاما منه لقضائه على الدولة الفاطمية الاسماعيلية بالاضافة الى ان ذلك متصل بصيالهم مع السلاجقة الذين كان صلاح الدين وابوه وعمه من قوادهم [٤] ولا يتعارض هذا مع احتمال تواثقهم في ذلك مع الافرنج كخطة من خطط صيالهم • وقد ذكر ابو الفداء ايضا انهم ارسلوا فدائيا قتل وزير

---

(١) ابو الفداء ج ٣ ص ٣ و ٥ .   (٢) نفس الجزء ص ٧ .

(٣) ابو الفداء ج ٣ ص ٥٨ .

(٤) كان صلاح الدين وابوه وعمه من قواد ورجال عماد الدين زنكي ثم ابنه نور الدين زنكي ملك الشام وكان هؤلاء من رجال السلاجقة .

الخليفة العباسي عضدالدين محمد بن عبد الله بن هبة اللهسنة٥٧٣هـ [1] ولقد ذكر ابو الفداء في حوادث عام ٥٤١ هـ [2] خبر وثوب مماليك عماد الدين زنكي على سيدهم اثناء حصار قلعة جعبر • وعماد الدين هو اول من جد في قتال الصليبيين واصاب نجاحا ازعجهم • وليس من المستبعد ان يكون الفدائيون الاسماعيليون اندسوا بين حاشيته وتزيوا بزي مماليكه وانهم هم الذين وثبوا عليه وقتلوه •

وقد جعلت هذه المواقف المسلمين يتألبون عليهم في ظروف الحروب الصليبية وعقبها •

ومما ذكره ابو الفداء [3] ان السلطان صلاح الدين زحف على بلادهم في سنة ٥٧٢ بعد فراغه من اعزاز واعمل فيها يد النهب والحرق والتخريب وحاصر قلعة مصياف ، فارسل سنان مقدمهم الى خال صلاح الدين صاحب حماه يوسطه في الصلح والصفح فاجابه الى ذلك • وانه زحف سنة ٥٨٤ هـ بعد ان استرد القدس ومعظم بلاد فلسطين على منطقة اللاذقية وضيق عليها واستطاع ان يسترد من الصليبيين وحلفائهم مدن وقلاع اللاذقية وحصن الاكراد وطرطوس وصهيون ، ثم فرق عسكره في الجبال فملكوا حصن بلادنوس ثم قلعة بكاس ، وانه سلم صهيون الى امير من اصحابه يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة ابي قبيس [4] •

ويظهر ان العلويين ظلوا في ضيق من الاسماعيليين والصليبيين • وكان الاخيرون قد اتخذوا جزيرة قبرص مركزا من مراكز عدوانهم بعد ان اخذ صلاح الدين كثيرا مما في ايديهم من السواحل فكانوا يغيرون منها على سواحل منطقة اللاذقية من آن لآخر ويعتدون على العلويين نهبا وسبيا وقتلا مما جعل هؤلاء يفرون من السواحل الى الجبال •

---

(١) ج ٣ ص ٦١ • (٢) ج ٣ ص ١٨ • (٣) ج ٣ ص ٥٩ •

(٤) ج ٣ ص ٧٤ •

وفي أواخر القرن السادس جاء الى بلادهم جماعات كردية وتركية وحلت فيها واخذت بدورها تضايقهم وتزعجهم بل وتحالف الاكراد مع الاسماعيليين ضدهم وانتحل قسم من الاكراد النحلة الاسماعيلية[1] وصار امراؤهم اصحاب الامرة على الاسماعيليين فزاد ذلك في عوتهم ومضايقاتهم للنصيريين مما جعل هؤلاء يرفعون اصوات الاستغاثة وينظمون القصائد الحزينة ويبعثونها الى بني نحلتهم في مصر وغيرها ومن جملتهم الشيخ حسن المكزون السنجاري امير سنجار .

وقد استجاب هذا الى ندائهم فجاء بحملة للمرة الاولى سنة ٦١٧ ﻫ فتصدى لها الاكراد والاسماعيليون المتحالفون واغاروا على معسكرها في مصياف ليلا فهزموا الحملة . ولكن الامير عاد بعد ثلاث سنين على رأس خمسين الف مقاتل عدا النساء والصبيان الذين رافقوها . ودارت بينه وبينهم حروب هائلة كانت الغلبة فيها له عليهم هذه المرة واحتل المنطقة وجبالها واتخذ قلعة ابي قبيس التي اخذها من الاسماعيليين عنوة مركزا له ثم جعلها مصيفا واتخذ قرية سيانو قرب جبله مشتى . وقد استطاع بحركته ان يقضي على نشاط ونفوذ الاسماعيليين وان يجلي الاكراد عن منطقة العلويين الى جهات عكار . ثم اشتغل بعد ذلك في تنظيم شؤون العلويين الدينية والمدنية ثم انصرف للتصوف الى ان مات سنة ٦٣٨ ﻫ مخلفا ديوان شعر صوفي يعتبره العلويون من كتبهم المقدسة، حيث يفيد السياق أنه ظل مقيما مع حملته في المنطقة واليهم تنتسب عشائر عديدة من عشائر العلويين اليوم مثل الحدادية والمتاورة و المهالبة والدراوسة والنميلانية وبني علي[2] .

---

(١) تاريخ العلويين للطويل ص ٢٩٥ ــ ٢٩٧ .

(٢) تاريخ العلويين للطويل ص ٢٩٥ ــ ٣٠١ .

— ٨ —

وينسب الطويل مؤلف تاريخ العلويين [١] الشيخ حسن المكزون الى المهلب بن ابي صفرة الازدي القائد المشهور في زمن الدولة الاموية كما يذكر ان الحملة التي جاءت معه ومعها نساؤها واطفالها وبقيت في المنطقة هي من القبائل العربية الاصيلة التي كانت منتشرة في الجزيرة الفراتية — ولعل استصحاب النساء والاولاد دليل على ذلك — وهذا يعني ان عروبة منطقة اللاذقية قد دعمت دعما قويا بالاضافة الى ما كان لها من أثر في تجدد وقوة النصيريين •

ومن الجدير بالتنبيه ان أبا الفداء ذكر في حوادث سنة ٥٩٤ هـ ان امارة سنجار صارت الى الامير محمد بن مودود بن عماد الدين زنكي امتدادا لما قبله ثم انتقلت الى ابنه ثم الى اخيه ثم الى الملك الاشرف ابن الملك العادل الى ما بعد سنة ٦٢١ هـ [١] ولم يرد ذكر للشيخ حسن المكزون في سياقه ، حيث يبدو ان هذا لم يكن امير اقليم سنجار وانما كان امير قبيلة عربية في سنجار • نقول هذا دون ان ننفي رواية الطويل لان آثار الحملة المكزونية قائمة في العشائر العلوية الحاضرة ممتدة الى وقت مديد •

ومما ذكره الطويل ان الشيخ حسن المكزون حاول بعد ان خضد شوكة الاسماعيليين ان يوحد بينهم وبين العلويين نحلة فلم يوفق وان العلويين كانوا منسجمين مع مماليك الترك واشتركوا معهم بقيادة مقدميهم في صد غارات التتر واسترداد القلاع والمدن التي ظلت في أيدي

---

(١) ص ٢٩٨ — ٢٩٩ •

(٢) ج ٣ ص ٩٣ و ١٢٢ و ١٢٥ وما بعدها •

الصليبيين والاسماعيليين، وانهم ساعدوا الملك الظاهر على الاستيلاء سنة ٦٦٧ هـ على قلعة بلاطونس في جبل اللاذقية التي كانت في يد عز الدين عثمان الاسماعيلي صاحب صهيون وسنة ٦٦٨ هـ على الاستيلاء على مصياف أعظم قلعة اسماعيلية من الاسماعيليين وسنة ٦٦٨ هـ على الاستيلاء على حصن الاكراد وعكار من الصليبيين والقدموس من الاسماعيليين وعلى قلاع اخرى كانت في يد الاسماعيليين وعلى اسر الشيخ خضر شيخ الاسماعيليين كما ساعدوا الملك المنصور سيف الدين قلاوون على الاستيلاء على قلعة المرقب واجلاء الاسماعيليين عنها سنة ٦٨٤ هـ وساعدوا الملك الاشرف سنة ٦٨٨ هـ على الاستيلاء على طرابلس التي كانت هي وملحقاتها علوية محصنة على حد تعبير المؤلف من يد الصليبيين [1] .

وننبه على ان ابا الفداء قد ذكر خبر استيلاء الملك الظاهر على قلعة بلاطنس من عز الدين عثمان صاحب صهيون سنة ٦٦٦ هـ وعلى قلعة مصياف من الاسماعيلية وحصن الاكراد وعكار من الافرنج سنة ٦٦٨ هـ وقلعة القليعة وبلادهما من الاسماعيلية سنة ٦٧١ هـ [2] وخبر استيلاء السلطان منصور قلاوون على المرقب من الافرنج سنة ٦٨٤ هـ [3] وخبر استيلاء الاشرف على طرابلس سنة ٦٨٨ هـ من الافرنج [4] وخبر تسلم نواب الظاهر في سنة ٦٧٠ هـ ما تأخر من حصون الاسماعيليين وهي الكهف والمنيقة وقدموس [5] . ولكنه لم يذكر العلويين ومساعدتهم . والمتبادر ان اغفاله لذلك لا ينفي هذا الاشتراك وقد وصف الطويل صاحب صهيون بوصف الاسماعيلي ولم يصفه ابو الفداء بذلك .

والمتبادر انه من احفاد ناصر الدين منكورس صاحب قلعة ابي قبيس والذي كان السلطان صلاح الدين سلمه صهيون حينما استردها من الافرنج سنة ٥٨٤ هـ على ما ذكرناه قبل نقلا عن ابي الفداء . ومقتضى

---

(١) تاريخ العلويين ص ٣٠٢ و ٣١٧ ـ ٣١٩ .

(٢) ابو الفداء ج ٤ ص ٥و٦ . (٣) ص ٢١ . (٤) ص ٢٤ . (٥) ص ٧ .

كلام الطويل ان هذا كان كرديا واسماعيلي النحلة • ولا يذكر الطويل كعادته مصدرا لكلامه • وقد ذكر ابو الفداء خبر اعتقال الشيخ خضر ايضا ولكنه لم يصفه بانه شيخ الاسماعيليين كما فعل الطويل وانما قال انه بلغ لدى الظاهر ارفع منزلة وانبسطت يده واومره بالشام ومصر[1] •

ولقد ذكر مؤلف الغرر الحسان ايضا [2] خبر فتح الظاهر لحصون الاسماعيلية الكهف والمنيعة والقدموس والعليقة سنة ٦٦٦ هـ وقال ان الملك ولى على الاسماعيلية وهم الاكراد نجم الدين حسن بن الموجراني المشغراني • وقرر عليه ان يحمل في كل عام مئة الف درهم ، وفي هذا الخبر توكيد لاعتناق فريق من الاكراد النحلة الاسماعيلية وهو ما ذكره مؤرخ العلويين الطويل • ولا يبعد ان يكون الذي عينه عليهم منهم جنسا ونحلة ••

وذكر المقدمين في سياق اشتراك العلويين في الحركات الحربية مع ملوك المماليك يفيد ان حكم العلويين في ايام دولتهم كان في يد مشايخ وزعماء منهم • وهذا ما كان جاريا في هذا الظرف في غير هذه البلاد ايضا على ما شرحناه في الجزء الاول • وهناك بعض اشارات ستأتي بعد تؤيد هذا وان لم يكن لدينا مصدر نستطيع ان نقتبس منه اشياء كثيرة عن حكام هذه البلاد والعلويين او مقدميهم •

ومما ذكره الطويل خبر امساك السماء واستدعاء ملك حماه ابو الفداء بناء على نصيحة وزيره للعلماء الاتقياء من العلويين وعلى رأسهم الشيخ حاتم الطوباني من عشيرة الحدادين السنجارية الغسانية الازدية للاستسقاء ونزول المطر بعد دعائهم واعتناق ابي الفداء النحلة العلوية نتيجة لذلك وباقناع الشيخ الطوباني وعودة احفاده الى السنية بعد مدة من الزمن [3] • وقد ذكر ابو الفداء حادث انحباس المطر في سنة ٧٢٣هـ وسماها السنة الحمراء ولكنه قال ان الناس استسقوا ولم يسقوا [4] !

---

(١) ج ٤ ص ٧ — ٨ •
(٢) ج ١ ص ٤٤٥ نسخة مفبفب •
(٣) ص ٣١٤ •
(٤) ج ٤ ص ٩٢ •

ومما قاله الطويل ان ابا الفداء احس ببعض المخالفة لآداب الطريقة الجنبلانية من استاذه الطوباني فهدده بالقتل ففر ووقع في أسر القرصان. وباعه المسيحيون عشرين مرة حتى ساقته التقادير الى بني الاحمر في الاندلس فاعاده الى جده معززا [1] . ولعل ما يورده الطويل من مثل هذه القصص من الروايات التي تتداولها الالسنة والتي يلعب الخيال فيها عادة دورا كبيرا ....

ومما ذكره الطويل ان بلاد العلويين كانت تتعرض لغارات الصليبيين بعد اجلائهم عن بلاد الشام وكانوا قد استقروا في رودس والجزر الاخرى ، وانهم اغاروا سنة ٧١٧ هـ على جبيل وقتلوا من فيها من العلويين مع مقدمهم كما اغاروا سنة ٧٩١ هـ على صافيتا والخوابي وكاف والمرقب والقدموس وقتلوا من ظفروا به من العلويين . وان العلويين كانوا الى هذا عرضة للهجوم جماعة من الترك من شرقهم فتكوا بجماعة كبيرة منهم وفيهم جبلة من علمائهم في مكان يعرف برأس ماعين . غير انهم استطاعوا في النهاية ان يجلوهم الى حدود حلب [2] . ويسمي الطويل الاتراك صابئين وهم على الارجح من القبائل التركمانية او التترية التي كانت تسيح من المشرق نحو المغرب خلال القرن الثامن الهجري امتدادا للزحف التتري في اواسط القرن السابع .

وقد ذكر الطويل بعد ذكر اسم الطوباني اسم شخص آخر وصفه بالعظيم وبامير الجماعة وهو الشيخ حسن الاجرود ، وقال انه ساح بين الشرق والغرب في بلاد العلويين مدة طويلة واكتسب خبرة ومعرفة ثم رجع الى وطنه وسكن في قرية أدار وكان ذا نفوذ عظيم فيها ثم انتقل الى اللاذقية وسكن فيها . ولم يهدأ باله من وجود السفالة بين العلويين في المنطقة ــ ولعله يقصد بالسفالة البؤس والشقاء ــ فسافر الى مصر واخذه شيخ مشايخ العلويين البلقيني فيها الى الملك العادل ابي النصر

---

(١) ص ٣١٥ .   (٢) ص ٣١٦ ــ ٣١٧ .

برسباي العلوي ـ وبرسباي من ملوك مماليك الشركس ـ فاعطاه اوامر متضمنة استقلال جبل النصرة تحت رياسته فأتى بها الى طرابلس وواجه واليها طرباي وسلمه الاوامر وهذا ابلغها لحاكم اللاذقية وكان ذلك سنة ٨٣٦ هـ • ولا يذكر شيئا من سيرة امير الجماعة بعد ذلك ولكنه يقول ان قبره على التل في اللاذقية بجانب قبر ابي الدرداء ويعرف باسم قبر امير الجماعة [١] •••

فاذا لم تكن قصة امير الجماعة كقصة الشيخ الطوباني فيكون هو واحدا من الزعماء العلويين الذين كان لهم حكم محلي في المنطقة في عهد الدولة الشركسية •

وقد سكت الطويل الى عهد السلطان سليم العثماني الذي استولى على بلاد الشام نتيجة لتغلبه على قانصو الغوري ملك بلاد الشام ومصر الشركسي سنة ٩٢٣ هـ ، ثم ذكر ما تعرض له العلويون عامة من اضطهاد أو ذبح عام فقال ان السنيين راجعوا السلطان وشكوا اليه العلويين وما كان من موقفهم المخامر في حركة تيمور لنك ، وان السلطان طلب فتوى من العلماء بقتلهم فافتوه بذلك لانهم بغاة فجرة جمعوا بين اصناف الكفر والبغي والعناد والزندقة والفسق والالحاد ولانهم يسبون ابا بكر وعمر والسيدة عائشة وحينئذ امر السلطان بقتلهم وبدأت المذابح في مناطق حلب وكليكيا وديار بكر حتى لقد بلغ عدد المقتولين اربعين الفا عدا الامراء والمشايخ • وقد هرب كثير من العلويين الى منطقة اللاذقية وجبل النصيرة • فامر السلطان بارسال عشائر تركية الى هذه المنطقة وتسليطها على العلويين فيها فجاء منهم تسعون الف خيمة أي نحو نصف مليون نسمة كما يقول الطويل الذي لا يخلو كلامه من مبالغة • وقد انتشروا في مختلف انحاء المنطقة • وزحفوا مع السنيين على اللاذقية ففتكوا بمن فيها من العلويين وحلوا محلهم فغدت اكثريتها سنية مذئذ •

---

(١) ص ٣١٦ ـ ٣١٧ •

واخذ العلويون والاتراك في الجبال والمناطق الاخرى يتصاولون واستطاع الاولون ان يفتكوا بكثير من الآخرين كما كان للمناخ تأثير كبير في ابادة كثير منهم ايضا [1] .

عشائر العلويين والمهم من احداثهم تحت حكم زعمائهم الى عهد الاستقلال السوري

— ٩ —

ولقد كان من جراء الروح العدائية والعدوانية ضد العلويين النصيريين بعد الفتح العثماني وانطوائهم على انفسهم ان تكتلوا كتلا وانضوى في كل كتلة جماعات منهم بمثابة فروع او حلفاء .

والمستفاد من الفصل الذي عقده الطويل على هذا الموضوع [2] ان كتلهم الرئيسية اربع وهي الخياطية والكلبية والحدادية والمتاورة ، وان الاولى تضم فيما تضمه العلويين القدماء الذين كانوا في المنطقة قبل الحملة السنجارية من ارومات عربية تنوخية وغير تنوخية ومن ارومات قديمة استعربت واعتنقت النحلة العلوية . وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى زعيمها وشيخها الكبير في القرن السادس ثم السابع الشيخ علي الخياط الذي ذهب على رأس وفد الى سنجار للاستنجاد بالامير حسن المكزون . اما الكتل الثلاث الاخرى فانها تنتسب الى الحملة السنجارية .

والعشائر المنضوية الى كتلة الخياطية هي الخياطية والبساترة والعبدية والضلاعنة والفقاورة والعمامرة والبراعنة والخزرجية والسوارخة . والمنضوية الى كتلة الكلبية هي الكلبية والنواصرة والجهنية والقراحلة والجلقية والرشاونة والشلاهمة والرسالنة والجرية . والمنضوية الى كتلة

---

(١) تاريخ العلويين للطويل ص ٣٣١ — ٣٤١ .

(٢) تاريخ العلويين ص ٣٤٩ — ٣٧٥ .

الحدادية هي الحدادية وبنو علــي والبشالوه والباشوطية والعتاريــة والشماسنة والركاونة • والمنضوية الى كتلة المتاورة هي المتاورة والحلبية والنميلاتية والسرابنة والصوارمةوالمهالبةوالدراوسة والمحارزةوالبشارغة والجواهرة والسواحلية والانطاكية والاطنوية •

ومع انتماء الكتل الاربع الرئيسية الى التنوخيين القدماء ومن كان قبلهم من الارومات العربية والمستعربة القديمة فيالمنطقة ثم الى الحملة السنجارية المكزونية ومع دلالة الانقسام على صحة الاصل العربي القبيلي فانه يبدو من التأمل في بعض الاسماء ومما ذكره الطويل الذي اخذناها منه ان هناك جماعات انضوت الى الكتل الرئيسية لاتمت الى التنوخيين والارومات القديمة ولا الى السنجاريين ومنها ما هو تركي الارومــة ومنها ما نزح مؤخرا الى المنطقة من بلاد اخرى كالقراحلة الذين نزحوا من قرن حلباء والجلقية الذين نزحوا من الشام والرشاونة الذين نزحوا من قرية الرشية والحلبية الذين نزحوا منحلبوالانطاكيون والاضنويون الذين نزحوا من جهات انطاكية واضنة والتراكلة الذين هم من اصل تركــي •

والمتبادر ان النازحين كانوا ممن يعتنقون النحلة العلوية وانهم رأوا من مصلحتهم ان ينضوؤا الى الكتل الكبرى وان هذه الكتل قبلت منهم ذلك على طريقة الحلف والولاء القبيلية •

وفي فصل الطويل بعض شروحعنكيفية التكتل والتفرع والانضواء لم نر طائلا في ايرادها •

وفي هذا الفصل يذكر المؤلف بعض الاحداث التي كانت تقع في حقبة التغلب العثماني بين العلويين وغيرهم وبين العلويين انفسهم •

من ذلك ما كان من نزاع وحروب طويلة بــين عشيرة المحــارزة والاسماعيليين • وكانت قلاع القدموس والعليقة والمنيقة موضوع النزاع والحرب • وكان المحارزة يستولون عليها حينا ويستردها الاسماعيليون

حينا . وفي سنة ١٠٠٠ هـ هيأ الاسماعيليون هجوما على القدموس التي كانت اذ ذاك في يد المحارزة بزعامة شيخهم أو اميرهم الشيخ محمد الحبيشمي . وتمكنوا بمخامرة زغيب بن الشيخ الذي اغروه بالوعود الخلابة من الاستيلاء على القلعة وقتل كثير من اهلها .

ومن ذلك ما كان من نزاع وحروب بين المحارزة القاطنين في قرية بعرين والمسيحيين المجاورين لهم . وقد تمت الغلبة للمحارزة واخذوا من المسيحيين قرية الصليب .

ومن ذلك ما كان بين المهالبة والعشائر التركية السنية المجاورة لهم من صيال ونضال . وقد تمكن الاتراك بمساعدة السلطات الحكومية من اجلاء المهالبة عن قلعتهم التي كان اسمها قديما بلاطنس . واستنجد هؤلاء بالشيخ علي شلهوم احد رؤساء العشائر الكلبية فانجدهم وساعدهم على استرداد قلعتهم . وحاول الترك الكرة ولكن العلويين استطاعوا ان يردوهم بعد ان قتلوا منهم مقتلة كبيرة .

وفي سنة ١١٠٠ نشب النزاع بين عشيرة الحداديين والاسماعيليين وكان زعيم الاولين اسعد بن علي . وسارع المحارزة الذين كان لهم ثأر عند الاسماعيليين كما سارع غيرهم من العشائر التنوخية الى التضامن مع الحداديين والهجوم معا على الاسماعيليين فتمكنوا من اجلائهم عن قلعة القدموس وجهات وادي العيون .

وقد ذكر المؤلف في سياقه اسم المقدم محمد من عشيرة المهالبة وقال انه كان رئيس رؤساء العلويين . وان الاتراك في زمنه اتحدوا مع الاسماعيليين في صهيون ضد العلويين وابعدوا معظم من كان منهم فيها . فانتدب الرئيس المذكور احد شجعان العلويين سليمان فرطوس للانتقام ونجح في مهمته وتمكن من اجلاء الترك والاسماعيليين عن جبل دريوس واستقل بالامر واصبح هو المقدم على الجبل . ولا يذكر المؤلف تاريخا لذلك .

ومن الاحداث التي ذكرها الطويل ما كان من نزاع وحروب بين عشائر الكلبية وبني علي سنة ١١٤٠ هـ دون ذكر السبب • وقد ناصرت عشائر النواصرة والقراحلة والباشوطيةوالجهنية العشائر الكلبيةوهاجموا معا بني علي في فلعة عين الشقاق بعد ان خربوا قراهم الاخرى وانتصروا عليهم واجلوهم عن بلادهم ردحا من الزمن حيث اقاموا في بلاد المتاورة الى ان تمكنوا من العودة الى بلادهم بمساعي متسلم اللاذقية •

وفي سنة ١٢٨٠ هـ تجدد النزاع والحرب بين الفريقين • وناصرت كتلة الحدادية مع كل افخاذها هذه المرة بني علي بقيادة رئيسها عباس المكنا فكتبت الهزيمة على الكلبيين •

ومنها ما كان بين عشيرتي الحدادية والقراحلة من نزاع وحروب سنة ١٢٠٠ امتدت ثماني وعشرين سنة سجالا بينهما •

وواضح من هذا ان عشائر العلويين كانت تحت حكم مشايخهم وقيادتهم في حقبة التغلب التركي التي كان فيها حكم الاقطاع المحلي المتمثل في زعامة حكم المشايخ المحليين هو الجاري في هذه البلاد عامة •
وفي تاريخ الشهابي (الغرر الحسان) ما يؤيد ذلك ولو لم يكن في نطاق واسع ومتواصل •

فقد ذكر المؤلف [1] في حوادث سنة ١٠٣٢ هـ اسم الامير مصطفى اليزيدي حاكم الدريكيش في مناسبة ذكر زحف والي الشام مصطفى باشا على الامير فخر الدين المعني الثاني وانضمام حكام وامراء حمص وبعلبك اليه • والسياق يفيد ان اليزيدي كان من جملة المنضمين الى جبهة الوالي• ثم ذكره مرة ثانية [2] في مناسبة النزاع الناشب بين امير العرب مدلج الحياري وابن عمه حسين حيث ذكر ان حسينا لجأ الى اليزيدي فآواه

---

(١) ج ١ ص ٦٩١ – ٦٩٢ نسخة مفبغب والدريكيش تقع شمال صافيتا من بلاد العلويين واهلها علويون •   (٢) ص ٦٦٦ •

وزوجه اخته فانتعش وصار يقوم بحركات مزعجة ضد مدلج . ثم ذكره مرة ثالثة [1] في مناسبة ذكر حركات عدوانية له في نواحي انطاكية حيث ذكر ان مراد باشا والي حلب جمع في سنة ١٠٣٣ هـ عساكره وطلب نجدة من الامير مدلج لمحاربة مصطفى اليزيدي في نواحي انطاكية وان اليزيدي انتصر عليهم في الجولة الاولى ولكنهم كروا عليه فكسروه فانهزم الى نواحي جبلة فارسل مراد باشا من تعقبه واصدر اوامره لحكام البلاد لمسك الطرق عليه فامكن القبض عليه وارساله الى حلب حيث سجن في قلعتها .

وهذه الاخبار تفيد كما هو المتبادر انه كان في بلاد العلويين حكام منهم ، ولعل هذا كان حاكمهم العام او الاقوى والابرز .

ولقد ورد اسم مصطفى اليزيدي في الغرر الحسان مرة اخرى في حوادث سنة ١٢٢٣ هـ[2] في مناسبة زحف والي الشام على بلادالنصيريين للانتقام منهم بسبب ما فعلوه بالامير مصطفى اليزيدي واهل بلاده من القتل والسبي والهتك حتى تملكوا بلاده . والمتبادر ان هذا من احفاد مصطفى الاول وان نزاعا قام بينه وبين فريق آخر من النصيريين كان لخصومه فيه الغلبة ، والخبر يفيد ان حكم هذه الاسرة ظل ممتدا طيلة هذه المدة الطويلة .

وقد ذكر المؤلف في حوادث سنة ١١٩٨ هـ ١٧٨٣ م اسم حاكم علوي آخر اسمه صقر بن محفوظ بن شمسين كان مركزه صافيتا في مناسبة انسحاب الامير يوسف الشهابي من وجه اخيه لما نازعه واخذ الحكم منه [3] وان الامير يوسف لما قدم الى صافيتا تلقاه صاحبها صقر بن محفوظ بن شمسين واباح له الدخول الى دياره وانزله قرية سرستان المقابلة لطرطوس . وقد ذكر المؤلف الشيخ صقر مرة ثانية في حوادث

---

(1) ص ٧٠١ . (2) ج ٢ ـ ٣ ص ٥٣٤ نشر رستم .

(3) ج ٢ ص ١٣٨ نسخة رستم .

سنة ١٢١٤ ــ ١٧٩٩ في مناسبة تولية الامير بشير الثاني الشهابي بلاد جبيل من قبل والي الشام حيث قال [١] ان والي الشام ارسل الى الشيخ صقر في جملة من ارسل اليهم من مشايخ منطقتي طرابلس واللاذقية اللتين كانتا تابعتين لولايته اوامر بالمشي معه وتقديم الذخائر له . ثم ذكره مرة ثالثة [٢] في حوادث السنة نفسها حيث قال ان والي الشام ارسل امرا للشيخ صقر بتقديم ما يلزم للامير حسن اخي الامير بشير الشهابي الثاني من ذخائر وتسهيل اقامته في بلاد النصيرية .

ثم ذكره المؤلف مرة رابعة [٣] في حوادث سنة ١٢٢١ هـ ــ ١٨٠٦ م في مناسبة ذكر خروجه عن الطاعة وامتناعه عن دفع الاموال واستنجاد متسلم طرابلس بالامير بشير الثاني لاجل تأديبه . وقد وصفه هذه المرة بوصف حاكم بلاد صافيتا وشيخ النصيرية . ولقد ارسل الامير النجدة للمتسلم بقيادةمدبره جرجس الباز . وكان المنلا اسماعيل متسلم بلاد اللاذقية يحرض الشيخ صقر ويعده بالنصر وقد اخذ منه مقابل ذلك خمسين كيسا . فلما جاءت حملة التنكيل نكث بعهده . واخذت الحلمة تعمل يد التحريق في المنطقة وظهر للشيخ صقر ان الحكام الآخرين ضده فجعله هذا يراسل الباز ويوسطه بالصلح بينه وبين متسلم طرابلس ووافق هذا للخلاص من صعوبة العمل في هذه المنطقة الوعرة واتم الصلح بين الشيخ والمتسلم على ٢٥٠ كيسا . ثم ذكره مرة خامسة [٤] في مناسبة حملة والي الشام التي جاء بها للانتقام للامير مصطفى اليزيدي والتي ذكرنا خبرها وسببها قبل قليل . وقد قال ان النصيريين لما وصل الى حماه خافوا وتحصنوا في القلاع وتركوا ضياعهم فتقدم الوالي بعسكره واخذ يعمل يد النهب والنحريق والتخريب والسبي واستطاع ان يتملك برج صافيتا بدون قتال . وقد تجمع النصيريون بقيادة الشيخ صقر

---

(١) ص ٢٠٠ . (٢) ص ٢٠٣ . (٣) ص ٥٠١ ــ ٥٠٢ .
(٤) ص ٥٣٤ .

وكروا على عسكر الوزير فلم يظفروا بطائل فرجعوا هاربين • وحاصر الوالي قلاع القدموس ومصياف وغيرها من القلاع النصيرية المنيعة واستمر شهرين يعيث في البلاد حتى تضايق الشيخ صقر وارسل ابنه واخواه للترامي على الوزير • ولما جاءا قيدهما وعذبهما حتى تعهدوا له بستمائة كيس فقبل ونادى بالامان وقفل راجعا مع عسكره • والسياق يفيد ان العدوان على انيزيدي كان من قبل الشيخ صقر وان معظم النصيريين كانوا يدينون له ، وان اليزيدي كان يقف من حكمه موقف المناوىء فاكتسح بلاده لبتم له الحكم على جميع البلاد النصيرية •

وقد ذكر مؤلف الغرر النصيرية في حوادث اخرى دون ذكر الشيخ صقر • منها في حوادث سنة ١٢٢٦ ــ ١٨١١ (١) بمناسبة امر سليمان باشا والي الشام لمتسلم طرابلس بتسيير العساكر لتأديب النصيرية (بدون ذكر السبب) وقد سار المتسلم ولبث اربعة اشهر في بلادهم يقاتلهم ويقاتلونه دون ان يظفر منهم بطائل نظرا لوعورة البلاد • وقد لقي مشقة عظيمة واستمد من الوالي فامر متسلم حماه بارسال مدد له ففعل ولكن ذلك لم يغن شيئا ايضا مما اضطر المتسلم اى التساهل مع النصيرية وقبول مبلغ قليل لايكافيء جزءا مما انفق على الحملات• ومنها في حوادث سنة ١٢٣١ ــ ١٨١٥ بمناسبة ورود امر من الباب العالي ــ حكومة الاستانة ــ لسليمان باشا والي الشام بتوجيه قوة الى بلاد صافيتا والنصيرية والتنكيل بهم لعدوانهم على سائح انكليزي وقتلهم اياه • وقد امر الوالي متسلم طرابلس بتولي المهمة فسار عليهم واشتبك معهم في وقائع عديدة طيلة خمسة اشهر وظل يعيث في البلاد تخريبا وتحريقا وقتلا وسيبا حتى خضعوا (٢) •

ويلحظ ان المؤلف ذكر النصيريين وبلادهم بدون ذكر حاكمها النصيري• ولم يذكر المؤلف خبر وفاة الشيخ صقر الذي ذكره في الاحداث

---

(١) ص ٥٧٣ •

(٢) ص ٦٢٠ •

السابقة . ولقد ذكر ملحق الغرر الذي احتوى بعض احداث الخمسة المصرية من سنة ١٢٤٤ الى سنة ١٢٤٨ اسم ابنه الشيخ ضاهر بصفته حاكم صافيتا وباسلوب يدل على انه كان يشغل زعامة انصيريين كما كان شأن ابيه وامتدادا للسابق ، حيث يسوغ هذا القول ان تلك الاحداث اما ان تكون وقعت في زمن الشيخ أو في زمن ابنه الذي خلفه في زمن لم يسجله المؤرخ .

أما السياق الذي ورد اسم الشيخ ضاهر فيه فهو سياق خبر حملة عثمان باشا العثمانية التركية التي قدمت الى منطقة اللاذقية وطرابلس للوقوف في وجه الحملة المصرية وخبر حملة الامير خليل الشهابي التي امر ابراهيم باشا بارسالها لصدها وذلك في سنة ١٢٤٧ هـ — ١٨٣١ م وقد قال كاتب الملحق ان الشيخ ضاهر صقر المحفوظ حاكم صافيتا هو الذي حرض عثمان باشا على القدوم وتعهد له بثلاثة آلاف مقاتل من النصيرية وتمليكه طرابلس ، وانه جرح في معركة من المعارك ونقل الى بلده جريحا فمات في الطريق [1] . ثم قال كاتب الملحق ان الشيخ درويش صقر ابن عم الشيخ ضاهر حضر الى متسلم طرابلس خاضعا طائعا فطمأنه المتسلم وعينه حاكما مكان ابن عمه [2] .

وقد ذكر مؤلف الغرر في حوادث سنة ١٢٢٠ هـ — ١٨٠٥ م خبر وفاة المقدم غذرا حاكم بلاد المرقب وقال عنه انه كان احسن امثاله في الكرم وحسن الشيم وان ابنه مصطفى تولى الحكم بعده [3] . ولم يذكر المؤلف ما اذا كان المقدم علويا نصيريا أم سنيا ومن المحتمل ان يكون علويا لان المرقب من جملة بلاد منطقة العلويين .

وفي كتاب ابراهيم باشا في سورية لسليمان ابي عز الدين ذكر للنصيريين وحكامهم في سياق احداث الحملة المصرية . فقد ذكر اسم الشيخ خضر متسلم صافيتا في سياق ذكر خبر الاضطرابات التي قامت

---

(١) ص ٨٤١ . (٢) ص ٨٤٣ . (٣) ص ٤٣٧ .

في صيف عام ١٨٣٤ في بلاد عكار وصافيتا وحصن الاكراد نتيجة لمحاولة سليم بك قائد الحملة جمع السلاح من البلاد حيث ذكر ان سليم بك قبض على الشيخ خضر في جملة من قبض عليهم من حكام البلاد وارسلهم مع عيالهم الى جزيرة قبرص (١) .

والمتبادر ان الشيخ خضر هذا قد خلف الشيخ درويش صقر الذي ذكر مؤلف الغرر خبر تعيينه حاكما لصافيتا مكان ابن عمه الشيخ ضاهر الذي جرح في المعركة ومات على ما ذكرناه قبل ولعله اخوه او ابن عم له خلفه بعد موته دون ان يطول امد حكمه .

وقد انتقل المؤلف بعد ذلك الى خبر ثورة النصيريين في خريف السنة نفسها ووصفها بانها أهم ثورات سنة ١٨٣٤ بعد ثورة فلسطين . وقال (٢) ان النصيريين قاتلوا الجيش المصري مستبسلين واصاب بلادهم من النهب والحرق والتدمير ما لم يصب غيرها مثله ، وان سببها تصديهم لكتيبة خيالة مصرية كانت ذاهبة الى حلب بطريق اللاذقية وقتلهم نصف رجالها نتيجة لعدوى الاضطرابات التي كانت قائمة ضد الحملة المصرية في كل بلاد الشام . ويتبادر لنا ان هذا التصدي كان امتدادا للحركة التي ذكرها المؤلف أي اضطرابات بلاد عكار وصافيتا والحصن التي اعتقل سليم بك نتيجة لها حكام هذه البلاد ونفاهم الى قبرص ومن جملتهم حاكم النصيرية الشيخ خضر . وقد ذكر المؤلف ان النصيرية هاجموا ممتلكات الحكومة والمسيحيين في اللاذقية وحاصروا متسلمها سعيد آغا العنتابلي في داره ، وان ابراهيم باشا سير كتيبة مدفعية وامر الامير بشير بارسال قوة من رجاله بقيادة احد ابنائه فارسل قوة بقيادة ابنه خليل وضم اليها بعض الامراء الشهابيين التيميين . وزحفت القوات الى بلاد النصيرية وخيمت في قرية البهلولية . وقد فر النصيريون من امامها تاركين مواشيهم وغلالهم وامتعتهم التي غنمها العسكر وقد احرق

(١) ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .   (٢) ص ١٨٤ ـ ١٨٨ .

العسكر خمس عشرة قرية من قراهم في المنطقة التي حلوا فيها وقطعوا اشجارها ثم تقدموا لحرق القرى الاخرى فصدمهم النصيريون صدمة شديدة واكرهوهم على الرجوع • ولكن الامير خليل كر مع رجاله عليهم وتمكن من كسرهم وحرق قرى عديدة من قراهم • وكروا عليه بدورهم عند قرية منبايا واستبسلوا في كرتهم وكبدوا القوات الزاحفة خسائر فادحة ولكن الغلبة كتبت عليهم فانهزموا مدحورين • وانتقلت القوات الى مقاطعة صهيون وكان سكانها قد اعتصموا في قلعتها وجاءهم نجدة في نحو الفي مقاتل ونشب القتال بينهم وبين القوات الزاحفة فغلبوا ايضا ثم تقدمت القوات الى مقاطعة بيت الشلف وشرعت في حرق القرى فبادر الاهلون الى طلب الامان والاستسلام فقبل منهم وحذا حذوهم اهالي المزيرعة وبيت عمار والمهنا • وقدم الى اللاذقية عثمان الجبور كبير العشائر الكلبية وحميدوش كبير عشائر بني علي لاجئين الى القناصل ملتمسين مساعدتهم متعهدين بتقديم سلاح بلادهم • وامتنع اهل بيت ياشوط وعشائر السرامطة والقراحلة عن التسليم ورابطوا على جسر السن الواقع بين بانياس وجبلة واخذوا يصدون مايجيء من هذا الطريق من مدد وقوات • وقد فعلوا هذا بالشيخ حسين السلمان المتوالي الذي جاء مع سبعين خيالا للانضمام الى الحملة حيث قتلوا بعضهم واستولوا على بعض الخيول • وسير الامير بشير قوة عليهم فصدوها وكسروها فارسل الامير خليل قوة ثانية تمكنت من التغلب عليهم وهزمتهم الى جبل الحمام • وزحف الامير خليل في اليوم التالي على مقاطعاتهم فاعمل فيها يد النهب والحرق ثم سار الى بلاد الشعرة وحرق خمسين قرية ، مما جعل معظم النصيريين يلقون السلاح ويعلنون الاستسلام وان كان بعضهم ظلوا ثائرين وتصدوا للقوات الراجعة في وادي العيون ووادي عميق شمال صافيتا •••

وقد ابقى ابراهيم باشا قائد المدفعية لاتمام جمع السلاح وتوطيد الامن والنظام فتم له ما اراد واستتب الامن في هذه الربوع بعد ذلك

واتنظم نحو اربعة آلاف من ابنائها في سلك الجيش المصري •

ولم يذكر سليمان ابو عزالدين الذي ارخ الحملة المصرية الى حين جلائها عن بلاد الشام سنة ١٨٤١ م ــ ١٢٥٧ هـ اسم حاكم نصيري آخر خلفا للشيخ خضر الذي اعتقل سنة ١٨٣٤ حيث يسوغ القول ان الحكم المصري لم يعين حاكما محليا آخر • ولم يذكر الطويل ولا الشريف في كتابيهما انه قام بعد جلاء الحملة المصرية وعودة الحكم العثماني حاكم نصيري جديد • غير ان وصفي زكريا في الجزء الثاني من كتابه عشائر الشام ــ دون عزو الى مصدر ان اسماعيل خير بك الهواش رئيس عشيرة الكلبيين من العلويين شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية وطغى وبغى وتفرد في حكم انحاء صافيتا وتلكلخ ردحا من الزمن (١٢٧٠ــ١٢٧٥)(١) ثم تمكنت الدولة من قمع حركته وطبقت تنظيماتها الادارية الجديدة التي صارت منطقة اللاذقية بموجبها متصرفية مركزها مدينة اللاذقية ويتبعها اقضية صهيون والمرقب وجبلة على رأسها قائممقامون موظفون أسوة بالبلاد الاخرى فزال بذلك الحكم الاقطاعي العلوي •

على ان النصيريين ظلوا على ما يستفاد من كتابي الطويل والشريف في ظل التنظيمات الجديدة ولم يزالوا كما كانوا من قبلها محتفظين بتكتلهم العشائري • وعلى رأس كل عشيرة رئيس مدني وآخر ديني يطيعهم أبناء عشيرتهم في الشؤون المدنية والسياسية والدينية امتدادا للسابق • حتى لقد كان عدد رؤسائهم ومشايخهم وامرائهم ومقدميهم خمسمائة في ولاية مدحة باشا لبلاد الشام في أواخر القرن السابق على ما ذكره الطويل (٢) الذي ذكر ان مدحة باشا جمعهم وندد بما كانوا عليه من انكماش عن الخدمة العسكرية وتأدية التكاليف الاميرية وقبول القوانين الجديدة •

والمستفاد من كتاب « العلويون » لمنير الشريف ان رؤسائهم

---

(١) ص ١٣٦ .

(٢) تاريخ العلويين للطويل ص ٣٩٤ .

المدنيين يتوارثون رئاستهم عن آبائهم وانهم اصحاب النفوذ الاقوى في جماعاتهم ولهم الاملاك الكبيرة التي تدر عليهم من الايراد ما يضمنون به سلطانهم ووجاهتهم . ولهم الى هذا ضرائب سنوية يجبونها من اتباعهم للانفاق على مصالح العشيرة وبيت الزعامة المطروق كما لهم جعول معينة على الزواج . وتقدم لهم الهدايا في مختلف المناسبات . وهم بمثابة حكام جماعاتهم الاقطاعيين ومراجعهم في خلافاتهم وشؤونهم المدنيـة والمالية والشخصية . والرؤساء الدينيون يخضعون في الاغلب للرؤساء المدنيين أو يسايرونهم . ولم يندر مع ذلك ان ظهر رؤساء دينيون أقوياء قاوموا الرؤساء المدنيين وحلوا محلهم جامعين الزعامة المـدنية والدينية معـا [1] .

ومن الاسر الزعيمة البارزة التي يتوارث رؤساؤها زعامة عشائرها منذ القديم اسرة العباس زعيمة الخياطيين وأسرة الكنج زعيمة الحداديين واسرة نصور زعيمة الياشوطيين وأسرة خير زعيمة المهالبة وأسرة الحامد زعيمة بيت الحداد وأسرة الهواش زعيمة المتاورة وأسرة العلي زعيمـة الدراوسة وأسر الاسعد ورسلان والاسد زعيمات فروع عشائر الكلبية وأسرة الجنيد زعيمة الرشاونة واسـرة خضور وعبد الحميـد زعمية القراحلة واسرة الملحم زعيمة الرسالنة واسرة شمسين زعيمة الشلفية ـ وهذه اسرة حكام صافيتا المار ذكرهم كما هو المتبادر ـ واسرة الموعـي زعيمة النواصرة واسر حلوم وعابدين وشهاب والاحمد زعماء الحيادرة وأسرة المرشد زعيمة العمامرة او الغساسنة واسرة جديد زعيمة البشالوة وأسرة الركن زعيمة الركاونة واسرة سلامة زعيمة العتارية واسرة النعسان والعمر زعيمة الشماسنة [2] .

أما عامة النصيريين فهم مرتكسون في ظلمات الجهل والحرمان

---

(١) العلويون لمنير الشريف ص ٦٤ ـ ٨٢ وهذا الكتاب مطبوع سنة ١٩٤٦ ويبدو ان مؤلفه كتبه بعد اقامة ومشاهدة . انظر كذلك كتاب ولاية بيروت النسخة التركية ج ٢ ص ٤٠١ وما بعدها .

(٢) العلويون لمنير الشريف ص ٦٨ ـ ٧٥ .

وبمثابة عبيد مسخرين لشيوخهم السياسيين والدينيين معا على ماوصفهم الواصفون في أواخر عهد الدولة العثمانية [١] • وكان رؤساؤهم يستغلون حالتهم هذه استغلالا واسعا يصل الى درجة ادعاء الربوبية بالتأويل الحلولي على الارجح كما فعل سليمان المرشد رئيس عشيرة العمامرة الذي كان اتباعه يلقبونه بالرب والذي تواطأ مع الافرنسيين في عهد انتدابهم وكاد يشعل فتنة شعواء ضد الحكومة السورية العربية لولا انها تغلبت عليه وحاكمته وشنقته سنة ١٩٤٦ م • ولقد تحسنت احوال النصيريين كثيرا عن ذي قبل ثقافيا واجتماعيا نفسيا ولكنهم لا يزالون الى اليوم متأخرين عن غيرهم اشواطا كبيرة •

ولقد كانوا موضوع اهتمام الافرنسيين منذ طرأوا على بلاد الشام عقب الحرب العالمية الاولى (١٩١٨ م) حيث ترسموا ان يجعلوا منطقتهم نقطة ارتكاز استعمارية موالية فحكموها حكما افرنسيا مباشرا واخذوا يبثون فيهم الدعايات المتنوعة التي منها تلقينهم بانهم نصارى الاصل واحفاد الصليبيين وشجعوا المبشرين على نشر النصرانية فيهم توطيدا لما ترسموه• ونفثوا في زعمائهم ومتحركيهم فكرة الاستقلال الذاتي حتى يكونوا اصحاب البروز في المنطقة على اعتبار كون النصيريين اكثرية سكانها خلافا لما كان عليه الامر في زمن الدولة العثمانية حيث كان البروز والتقدم للسنيين •

ولقد ابى بعض الرؤساء ان يماشوا هذه السياسة فقاموا بثورة لاهبة اشترك فيها كثير من العشائر بل ورؤسائها [٢] وكان قائد الثورة احد مشايخهم صالح العلي واستمرت نحو سنتين • ولم يتمكن الافرنسيون من اخمادها الا بشق النفس وبعد ان تكبدوا خسائر فادحة

---

(١) كتاب ولاية بيروت ج ٢ ص ٤٠١ وما بعدها النسخة التركية وانظر ايضا كتاب العلويون لمنير الشريف ص ١٤٦ .

(٢) العلويون لمنير الشريف ص ١١٠ .

وكان انهيار الحكم العربي في الشام في ٢٤ تموز ١٩٢٠ مما ساعدهم على ذلك ، وكانت الثورة تهدف الى توطيد الوحدة السورية واستقلالها .

وقد فرض الافرنسيون ارادتهم بعد انهيار هذا الحكم حيث جعلوا منطقة اللاذقية كيانا اداريا مستقلا بعنوان دولة العلويين وجعلوا لها مجلسا تمثيليا اكثريته من العلويين واقاموا على الحكم حاكما عاما افرنسيا . وحينما اصدروا دساتير لدويلات سورية في سنة ١٩٣٠ جعلوا لها هي الاخرى دستورا .

ولقد نشب تشاد بين فرنسة ورجال الحركة الوطنية السورية بشأن هذه المنطقة ووجوب اندماجها في سورية . ولما جرت المفاوضات بينهم وبينها في سنة ١٩٣٥ نتيجة لثورة دمشق وبعد ان اخفقت المحاولات التي حاولوها في اقامة جمهورية سورية موالية لهم وعقد معاهدة معها تضمن لهم السيطرة على البلاد كانت وحدة منطقة اللاذقية مع سورية من الامور الهامة التي دار حولها الجدل . وقد وافقت فرنسة على ذلك في المعاهدة التي انعقدت بينها وبين رجال الحركة الوطنية والتي اعترفت فيها بسيادة سورية واستقلالها سنة ١٩٣٦ وهي المعاهدة التي قامت الجمهورية السورية المستقلة الاولى . غير انها اصرت على ان تحتفظ المنطقة باستقلالها الاداري والمالي . وظل الامر على ذلك الى ان جلاالافرنسيون عن سورية في ١٧ نيسان ١٩٤٦ حيث تم بعد قليل اندماج المنطقة في كيان الجمهورية السورية اندماجا تاما .

— ١ —

الدنادشة

في تلكلخ من اعمال اللاذقية وقراها ارومة تعرف بالدنادشة كان لها شيء من البروز في مجال الحكم والسلطان الاقطاعي في القرن الثاني

عشر والثالث عشر .

وفي الجزء الثاني من كتاب عشائر الشام لوصفي زكريا نبذة عنهم وفي الغرر الحسان للامير حيدر الشهابي جاء ذكرهم اكثر من مرة . وسيكون على هذين المصدرين المعول في هذه النبذة .

ويروي الاستاذ زكريا في صدد اصل هذه الارومة ثلاث روايات مع تنبيهه الى انها منقطعة وغير مدعومة بالبراهين والوثائق التاريخية[١].

واولى هذه الروايات تنسب الدنادشة مباشرة الى حمير اليمن والى بطن اسمه البراجم منهم وتقول ان اجدادهم جاؤوا من اليمن الى العراق في أيام الفتح ولبثوا فيه الى العهد اعثماني ثم ارتحلوا منه الى بلاد الشام .

وثانيتهما تنسبهم الى الضياغم احد فروع عشيرة العبدة من عشائر شمَّر .

وثالثتهما تنسبهم الى عشيرة الفحيلية التي كانت ذات شأن ومجد في القرن الحادي عشر وكان والي الشام يلبس شيخهم خلعة سنوية ويعهد اليه بجباية ضرائب عشائر حوران واللجاه وكانت تتقاضى خوة سنوية من قرى حوران على ما رواه سائح اجنبي زار بلاد الشام في الربع الاول من القرن الثالث عشر [٢] . وقد هاجر بعضهم في اواخر القرن الحادي عشر الى انحاء حمص ثم انتقلوا الى منطقة تلكلخ فاستقروا فيها . والمعرفة والصلة قائمتان الى اليوم بين الدنادشة وبقايا عشيرة الفحيلية ــ التي ضعف شأنها ــ في انحاء فيق وسمخ مما قد يؤيد هذه الرواية .

---

(١) ص ١٣١ ــ ١٣٢ .

(٢) ذكر الامير حيدر الشهابي عرب الفحيل اكثر من مرة باسلوب يدل على قوة شأنهم. فذكر في حوادث سنة ١٢٣٠ هـ خبر التجاء حاكم اريحا محمد سعيد آغا وحاكم الشغرطوبول علي الى امير عرب الفحيل الذي كانت له سطوة عظيمة فقبلهم واكرم مثواهم وارسل والي حلب يطلبهم منه فابى فسير عليه عسكرا فكسرهم (ج ٢ ــ ٣ ص ٦٢١ نسخة رستم) وذكر في حوادث سنة ١٢٣٦ في سياق خبر نزوح الامير بشير الشهابي الى حوران ان الامير بركات

– ٢ –

ويصف الاستاذ زكريا حاضر الدنادشة وشيئا من غابرهم القريب وصف مشاهدة وسماع فيقول انهم عشيرة متمدنة متوطنة منذ نحو قرنين ونصف في قضاء تلكلخ وهم يملكون قرى وخياما عديدة وارضين شاسعة ممتدة من سهل عكار في الغرب الى بحيرة حمص في الشرق من اهمها تل حوش ونعرة وحجر الابيض والعكارى ولفتايا وشتى وبيت حمود وبيت حسن • ثم لهم سهل البقيعة الفسيح المشهور بزكاء تربته وغزارة مياهه والضياع العديدة المحيطة به وعاصمتهم تلكلخ ولهم فيها دور عصرية حسنة وكذلك لهم مثل ذلك في بعض قراهم • واكثرهم ذوو بسطة في الجسم ووسامة في الوجه وطلاقة في اللسان مع الحمية الاريحية والبراعة في الفروسية والمسايفة • وكانوا وما برحوا اهل سنان وعنان اذا ركبوا وتجولوا في ضياعهم تخالهم اهل الاقطاعات من نبلاء العصور المتوسطة وفرسانها • واخص خلالهم العصبية وشدة الشكيمة ونزق الطبعة والتجمل في اللباس والنفقات • ومن محامدهم انهم حاملو لواء العروبة ورافعوا مبادىء الوطنية في تلك الانحاء جاهدوا في سبيلها وجالدوا واضطهدوا فلم يثن ذلك من عقيدتهم ولم يلن من انفسهم وكرامتهم وعزيمتهم • ولهم منازيل (مضافات) وصواوين عديدة كانت وما تزال تغص بالزوار والضيوف • ومن مشهوري زعمائهم في اواخر

امير عرب الفحيلة كان في جملة من التحق بالامير وسار معه (ص ٦٦٣ نسخة رستم) وذكر في حوادث سنة ١٢٣٩ فيسياق خبر نزوح الامير بشير ثانية الى حوران انه اجتمع مع عرب الفحيلة والسلوط ونزل عندهم (ص ٧٥٠) .

القرن الهجري الماضي اسعد باشا المحمد العباس وفي الثلث الاول من القرن الحاضر عبد الله آغا العمر العباس الذي كان شيخا جليلا مهابا ينطق بلهجة بدوية جوادا كريما يجد النازلون عنده الكثير من هشاشة الوجه وحسن القرى . وكان لهم وما يزال الخيول العتاق وعليها السروج المزركشة تملأ الساحات والاصطبلات وتخطر امام البيوت كما تخطر الغزلان ، وكانوا وما يزالون يجيدون اللعب عليها بالرماح والجريد. وقد زارهم الامير محمد علي شقيق خديوي مصر سنة ١٣٢٨ هـ فاستقبلوه واولموا له فادهشوه بمدنيتهم واريحيتهم وعروبتهم وفروسيتهم مما جعله يذكرهم في كتابه الرحلة الشامية ويثني عليهم الثناء الجميل [١]. ويروي الاستاذ زكريا سبب تسميتهم باسمهم ان التركمان السابقين في السكنى في هذه الانحاء لما رأوا اسماعيل آغا واقاربه يزينون سروج خيلهم بعذبات مرسلة تسمى دنادش ويلبسون قمصانا فضفاضة ذات اردان كبقية البدو سموهم الدندشلية ، فصار ذلك علما عليهم [٢] ..

وفي صدد تاريخهم السياسي الاقطاعي يقول الاستاذ زكريا ان الدولة العثمانية منحت في اوائل او اواسط القرن الثاني عشر - كما يروي - رئيسا لهم اسمه الشيخ اسماعيل لقب الآغا ذي القيمة الكبيرة فيما مضى واقطعته خمس قرى في جنوب حمص وهي جوسيه ومودان والحوز وحير البصل ولفتايا ليقوم هو وعشيرته بتامين السابلة بين حمص وطرابلس ويكون حاجزا في وجه علويي هذه الانحاء ومسيحيي لبنان الشمالي . وان هذا مؤيد بفرامين سلطانية فقدت في حادث فرار الدنادشة من وجه ابراهيم باشا المصري [٣] .

ويقول الاستاذ زكريا ان اقدم ذكر في الكتب والاوراق القديمة عثر عليه هو اولا ما جاء في رحلة السائح الدانيماركي نيبوهر المطبوعة سنة ١٧٧٢ م - ١١٨٤ هـ حيث ذكرهم في عداد عشائر التركمان وقال

---

(١) ص ١٢٩ - ١٣١ . (٢) ص ١٣٢ . (٣) ص ١٣٢ .

ان عددهم خمسمائة بيت ويعقب الاستاذ على ذلك بقوله . لعله وهم من لفب الآغا ومن حرف (لي) الذي كان يلحق باسمهم بينما اطوارهم واخبارهم لا تدع أي ريب في عروبتهم الصرحاء ، ثم ذكر انه عثر بين اوراق وحجج قديمة محفوظة في دير مار جرجس على كتاب من ضابط حماه مؤرخ في ٨ رجب سنة ١١٩٧ هـ يطمئن فيه رئيس الدير عن كل ما يصيبه من الضرر من الدنادشة ، وعلى كتاب آخر من والي دمشق مؤرخ سنة ١٢٢٣ موجه الى كواخي ــ مخاتير او مقدمين ــ قرى حذور والدريب واغوات الدنادشة يطلب منهم فيه اداء ما عليهم من ديون الدير [١] . والمتبادر ان لقب الاغوات استمرار او امتداد للقب شيخهم الموجه من الدولة . وقد كان مما يتلقب به الحكام والوجهاء الاقطاعيون كثيرا ، حيث يمكن ان يدل على ما كان لهم من شأن سياسي اقطاعي في القرن الثاني عشر وان يؤيد ما روي من بدء ذلك برئيسهم اسماعيل في اوائل هذا القرن ..

ويستمر الاستاذ زكريا في سياقه قائلا وعلى كل حال فقد قام الدندشيون مدة مديدة منذ عهد سلفهم اسماعيل آغا بالمهمة الموكولة اليهم من الدولة وهي حفظ طريق حمص ــ طرابلس فازدادوا بسطة في العدد وسعة في الملك وقسوة على قرويي هذه الانحاء [٢] . وقال انه عثر على ذكرهم في كتاب تاريخ لبنان في عهد الشهابيين [٣] ، حيث ذكر في حوادث سنة ١٢١٤ هـ ان عبد الله باشا والي عكا ــ والصحيح والي الشام ــ وجه أوامره الى الدنادشة في جملة امراء وحكا منطقة اللاذقية وطرابلس الاقطاعيين علي بك الاسعد المرعبي والشيخ صقر المحفوظ وفاضل رعد حاكم الضنية بان يجمعوا رجالهم ويمشوا صحبة الامير

---

(١) ص ١٣٣ ــ ١٣٤ . (٢) ص ١٣٤ .

(٣) هو المسمى الغرر الحسان للامير حيدر الشهابي الجزء الثاني والثالث نشر اسدرستم .

الشهابي حاكم لبنان [1] . حيث يفيد الخبر انهم كانوا رؤساء أو حكاما اقطاعيين في منطقتهم ، ويستمر الاستاذ زكريا فيذكر ان الشهابي ذكر في حوادث سنة ١٢١٤ هـ ان علي بك الاسعد حاكم وادي راديل ــ راويد ــ من قبل عبد الله باشا تسلم قلعة الحصن وطرد الدنادشة منها [2] .

والخبر يفيد انهم كانوا اصحاب الحكم واليد في هذه القلعة كما هو المتبادر . ثم ذكر الاستاذ زكريا ان الشهابي ذكر في حوادث سنة ١٢١٦ هـ ان الدنادشة قووا علي بك الاسعد واخرجوا اخاه مصطفى من قلعة الحصن بالخداع وتسلموا الحصن [3] . وهذا يفيد انهم استعادوا يدهم وحكمهم على القلعة عودا على بدء . ثم ذكر ان الشهابي ذكر في حوادث سنة ١٢٢٢ هـ ان والي دمشق يوسف باشا امر بالقبض على الدنادشة حكام وادي راويل وغرمهم بمئة كيس [4] . والخبر يفيد انهم صاروا اصحاب الحكم في هذا الوادي الذي كان الحاكم فيه علي بك الاسعد قبلهم . ولعلهم كانوا هم حكامه قبله ايضا . ولا يفيد الخبر عزلهم عن هذا الحكم بالمرة كما هو المتبادر .

وذكر الاستاذ زكريا بعد هذا روايات عن الدنادشة في عهد ابراهيم باشا حيث قال انه لما زحف على بلاد الشام وقفوا كما وقف بعض الاسر الاقطاعية الكبيرة في جانب الدولة الاسلامية وحافظوا على ولائهم لها وقاوموا الحملة فثأر منهم واعدم احد رؤسائهم عبد الله آغا الحمود فخافوا ونزحوا بكليتهم من تلكلخ الى براري حمص الشرقية وظلوا مدة

---

(١) ص ١٣٤ وقد رجعنا الى كتاب الشهابي وقرانا هذا الخبر في الجزء الثاني ص٢٠٠ نسخة رستم وقد سيق في مناسبة نزوح الامير بشير الشهابي في ظرف مناوىء له عن لبنان واعتزامه الرحيل الى حوران فالتقى في طريقه برسل والي الشام عبد الله باشا يحملون الاوامر له بالرجوع الى بلاد جبيل والى حاكم عكار وصافيتا ووادي راويد علي بك الاسعد والشيخ صقر المحفوض والدنادشة والى فاضل الرعد حاكم الضنية بان يجمعوا رجالهم ويمشوا صحبته ويقدموا له الذخائر (ص ٢٠٠) .

(٢) ص ١٣٤ ــ ١٣٥ والخبر وارد في كتاب الشهابي الآنف الذكر ص ٣٦١ .

(٤) ص ١٣٥ والخبر وارد في كتاب الشهابي ص ٥٢٣ .

من زمن حكم ابراهيم باشا (١٢٤٧ ـ ١٢٥٦) مشردين بعد ان اودعوا سلاحهم ومالهم عند احمد المهنا شيخ عشيرة الاحسنة ، ويروى ان ابراهيم باشا طالب الشيخ المذكور بودائعهم فلم يلبه فغضب عليه وصلبه ، ولما جلا ابراهيم باشا عن بلاد الشام رجع الدندشيون الى اوطانهم والى القيام بوظيفتهم في حفظ السابلة واظهار السطوة الى ان استفزوا نقمة اسماعيل خير بك الهواش رئيس عشيرة الكلبيين من العلويين وكان قد شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية وطغى وبغى وتفرد في حكم انحاء صافيتا وتلكلخ (١٢٧٠ ـ ١٢٧٥ هـ) فهاجم الدنادشة واضطرهم الى الانكفاء من امامه والجلاء عن تلكلخ فجاء واحرقها ولكنهم هاجموه بعد ذلك في ساحل عكار وثأروا لكرامتهم منه [١] .

وانتهى الحكم الاقطاعي الدندشي حينما طبقت الدولة تنظيماتها الجديدة وألفت سنة ١٢٨١ هـ قضاء حصن الاكراد وجعلته من اعمال لواء طرابلس الشام فانصرف الدنادشة الى زرعهم وضرعهم والمحافظة على ما في أيديهم من ارض وضياع والاستمرار على عاداتهم من اقراء الضيوف والصيد والقنص واقتناء الخيول وممارسة الفروسية [٢] .

ولما احتل الافرنسيون جبل لبنان والسواحل عام ١٩١٨ وقامت

---

(١) عشائر الشام ج ٢ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ نذكر بهذه المناسبة ان سليمان ابا عز الدين مؤلف كتاب ابراهيم باشا في سورية ذكر في صفحتي ١٨٣ ـ ١٨٤ الاضطرابات التي قامت ضد الحملة المصرية في عكار وصافيتا والحصن سنة ١٨٣٤ م ـ ١٢٥٠ هـ وقال فيما قاله ان القائد سليم بك الموكول اليه اخماد هذه الاضطرابات تقدم من عكار الى صافيتا وقبض على مصطفى بك الاسعد متسلم عكار وآخرين معه ثم قبض على الشيخ دندش والشيخ خضر متسلمي بلاد الحصن وصافيتا وارسلهم جميعا الى قلعة طرابلس . والمتبادر ان الشيخ دندش هذا هو رئيس الدنادشة الذي كان صاحب الحكم في بلاد الحصن . امتدادا لحكمهم لها في سنة ١٢١٦ هـ وربما قبلها . ولقد رأينا الاستاذ زكريا يتساءل باسلوب المرتاب عن ملك الدنادشة لقلعة الحصن حينما روى خبر تسلمهم لها من مصطفى أخي علي بك الاسعد على ما ذكرناه قبل . وذكر هذا في كتاب ابي عز الدين قد يكون مؤيدا لرواية الشهابي وبالتالي لحكم الدنادشة للحصن كما هو المتبادر . (٢) المصدر نفسه ص ١٣٦ .

في دمشق حكومة الامير فيصل وجاشت فيها الحركة العربية القوميةانحاز الدنادشة الى هذه الحركة بحماس وقوة . ولما جاء الحاكم الافرنسي الى تلكلخ وقفوا منه موقف المتجهم ولما اراد ان يرفع العلم الافرنسي على دار الحكومة انذروه بانزاله وتأليف حكومة وطنية فرفض فاطلقوا الرصاص على دار الحكومة وقتلوا بعض الجنود والتقى ضابطان افرنسيان باثنين من شبابهم في تللخ فطلبا منهما تسليم سلاحهما فابيا وجرى بينهما صدام فقتل الشابان احد الضابطين وجرحا الثاني فتفاقم الخطب وساق الافرنسيون من طرابلس حملة فقاتلها الدنادشة وكان ذلك في كانون الاول من عام ١٩١٩ في غربي تلكلخ وردوها فعززها الافرنسيون بحملة قوية اشتبكت مع الدنادشة ثلاثة ايام ودافع هؤلاء ما وسعهم الجهد ثم اضطروا امام القوى المتفوقة الى التراجع واللجوء الى حمص التي كانوا ارسلوا اليها نساءهم واولادهم من قبل . وقد دخل الافرنسيون تكللخ واعملوا فيها وفي قريتي باروحة ومشتى بيت حسن يد الدمار والنهب وقتلوا بعض من صادفوه من شيوخ الدنادشة وشبابهم واتباعهم ثم فرضوا على البارزين منهم غرامات نقدية وخيولا واسلحة وحكموا على من اعتبروهم مسببين للثورة مثل عبد الله الكنج وولده محمد واسعد الفياض واسعد الكنج ومصطفى العبد الله وخالد الرستم وحسن الابراهيم بالاعدام ومصادرة الاموال والارزاق ورحل وقتئذ اكثر رجال الدنادشة الى دمشق حيث استقبلوا بالحفاوة وظلوا فيها مندمجين في حركاتها الى ان سقطت الحكومة الفيصلية . وقد ظلوا مهددين ومشتتين مدة اخرى ثم عفي عنهم فرجعوا الى ديارهم واعمالهم . وظلوا طيلة مدة الانتداب منكمشين عن الافرنسيين بل مناوئين لهم ما وسعهم ذلك وظلوا يتلقون ضروب الحرمان بعزة العروبة وانفتها وكرامتها لا يخضعون ولا يستكينون حتى زال الانتداب الافرنسي البغيض وقام الاستقلال المنشود وانضمت محافظتهم واجتمع شملهم بالوطن الشامي الكبير المستقل (١) .

(١) المصدر نفسه ص ١٣٦ — ١٣٨ .

- ٣ -

بنو العظم

- ١ -

اوليتهم

كان لهذه الاسرة منذ الربع الاول من القرن الثاني عشر الهجري بروز غير يسير في مجال الحكم والسلطان في بلاد الشام • وما يزال اعقابها الى اليوم اصحاب وجاهة واملاك واقطاعات وعدد فيهـا امتدادا لذلك البروز •

والاقوال في اصلها متعددة ، حيث قيل انها من عشيرة تركية كانت تقيم في ربوع قونيه ــ في الاناضول ــ وان السلطان مراد الرابع حينما توجه لفتح بغداد في اواسط القرن الحادي عشر اصطحب معه رئيس هذه العشيرة ابراهيم آغا واخاه مراد آغا مع عدد من فرسانها واظهروا من الشجاعة وصدق المساعدة ما اثلج صدره فانعم عليهما باقطاعات في المعرة فجاؤوا اليها واقاموا فيها ولم يلبث أبناء ابراهيم ان برزوا ونـالوا الحظوة في الدولة كما قيل انها من عشيرة عربية كانت تقيم قرب مدائن صالح وتعرف باسم بني عزيم وان سلاطين آل عثمان كانون يستخدمونها في توطيد الامن في موسم الحج • وقـد انتقل بعض رجالها الى بلاد الشام واستوطنوها ولم يلبثوا ان برزوا ونالوا الحظوة في الدولة •

وقد اورد هذين القولين عبد القادر العظم في كراس اصدره باسم « الاسرة العظمية » دون أن يرجح بينهما ودون أي بحث تاريخي عن الاسرة وسيرة رجالها • وكل ما في الكراس اسماء رجالها وذراريهم الاموات منهم والاحياء •

ولقد احتوى خطط الشام لمحمد علي كرد علي جملة صالحة من تاريخهم • وقال عن اصلهم انه مختلف فيه حيث قيل انهم ترك كما قيل انهم عرب من معرة النعمان دون ترجيح أو تفصيل او اسناد [1] •

وفي الغرر الحسان نبذ كثيرة عن ولاة بني العظم وسيرتهم منذ سنة ١١٤٣ هـ التي ذكرهم فيها المؤلف لاول مرة • غير انه لا يذكر شيئا عن اصلهم [2] •

على ان هناك كتابا اسمه تاريخ الشام بين ١٧٢٠ ــ ١٧٨٣ م (وهذا يصادف لسني ١١٣٣ ــ ١١٩٦ هـ) نشرته مجلة المسرة في جملة سلسلة وثائق تاريخية للكرسي الملكي الانطاكي رقم (٢) ومؤلفه الحوري مخائيل بريك الذي عاش في القرن الثامن عشر ويعتبر شاهد عيان يذكر الاسرة العظمية بتعبير بيت العضم وابن العضم ويقول ان اول طائفة من اولاد العرب صاروا وزراء في بلادنا كانت بيت العضم الذين اصلهم من معرة حلب وان اول وزير منهم كان اسماعيل باشا [3] •

فهذا الوصف من شاهد معاصر مثقف مهم في نظرنا لانه لا يعقل ان يصف بني العظم بهذا الوصف لو لم تكن عروبتهم أو على الاقل اصطباغهم بالصبغة العربية شائعا ملموسا قبل بروزهم وولايتهم •

ومن الجدير بالذكر ان المصادر تتفق على ان الاسرة من المعرة •

---

(١) ج ٢ ص ٢٨٨ وما بعدها .　　(٢) ج ٢ ص ٢٨ نسخة مفبغب .

(٣) ص ٥ و ٣٦ .

والمعرة ومنطقتها كانت وما تزال منطقة عربية ومجالا لقبائل وحمولات وعشائر وارومات عربية اصيلة • ولقد كان يقوم من الاسرة العظمية حاكمان وثلاثة واربعة في وقت واحد متوزعين في مختلف المناطق الشامية منذ عهد مبكر من تاريخ بروزها في مجال الحكم والسلطان على ماسوف نذكره بعد مما قد يدل على انها كانت من الاسر المستقرة الكثيرة العدد في بلاد الشام • وقد يدل هذا على اصلها العربي أو على الاقل على قدم استعرابها واندماجها في العروبة اذا لم تكن من اصل عربي • ولقد ظلت الاسرة بعد افول نجمها في الحكم في العهد الاقطاعي مقيمة في بلاد الشام موطدة المكانة ومصطبغة بالصبغة العربية الخاصة •

فكل هذا مما يبرر سلكها في سلك الاسر العربية التي كان لها حيز وبروز في مجال الحكم والسلطان كما هو المتبادر •

ونريد ان ننبه على امر مهم في صدد بروز هذه الاسرة في مجال الحكم والسلطان • فان هذا البروز لم يكن من نوع بروز الاسرالتنوخية والمعنية والشهابية والحرفوشية وامثالها من حيث كونه بروزا شخصيا وذاتيا مستندا الى عصبية قبلية وجهد وطموح ذاتي ، بل كان حكوميا ان صح التعبير • أي بتولية الدولة • ولقد كانوايتعرضون لغضب الدولة فيعزلون ويسجنون ويقتل بعضهم وتصادر اموالهم ثم تعود الدولة فترضى عنهم وتعينهم ولاة ، دون أي رد فعل ذاتي أو تمردي على نحو ما كان يحدث من الاسر الاقطاعية البارزة الاخرى مما تقدمت الامثلة عليه ، ومما يدل على انهم لم يكونوا ذوي خطورة وعصبية محلية وان سلطانهم انما كان مستمدا من سلطان الدولة وحسب غير ان تعدد الولاة من هذه الاسرة خلال ثمانين عاما في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وبقاؤهم في البلاد حينما كانوا يقصون عن الحكم وعودتهم اليه ثانية ، وتسلسل الحكم في الاسرة يجعل لبروزها في الوقت نفسه معنى غير المعنى الذي يكون لولاية وال غريب أو وطني قضي وقتا ما في الولاية ثم مات أو عزل وانطوى خبره •

ولاة بني العظم

وولاية اسماعيل باشا وناصيف باشا

- ٢ -

وفي خطط الشام نبذة معزوة الى ابن ميرو اوردها المؤلف بعد ذكر خبر تولي اسماعيل باشا العظم لولاية دمشق سنة ١١٣٧ هـ فيها شيء يبين اولية بروز رجال هذه الاسرة في مجال الحكم والسلطان ، حيث جاء فيها انه اول من تولى ولاية دمشق من بني العظم وانه كان قبل ذلك واليا على طرابلس ، وان والده ابراهيم كان جنديا سكن معرة النعمان واعقب اسماعيل وسليمان وموسى ومحمدا وكلهم اعقبوا خلا محمدا وان ولادة اسماعيل كانت قبل سنة ١٠٧٠ هـ في المعرة وفيها نشأ ، وقد تقلبت به الاحوال الى ان صار حاكما ببلده (المعرة) ثم بحماه . وانعمت عليه الدولة بطوخين [١] وبرتبة روملي [٢] ومالكانة [٣] حماه وحمص والمعرة عليه وعلى اخيه سليمان ومنصب ولاية طرابلس عليه ثم منصب سرعسكر الجردة [٤] وانه تولى ولاية الشام وامارة الحج بعد عودته من الجردة وحج ست سنين وحارب في السنة السادسة عرب حرب بين الحرمين ثم عزل وحبس بقلعة دمشق سنة ١١٤٣ هـ

---

(١) من المحتمل ان تكون الكلمة بمعنى وسام او وشاح .

(٢) هذه رتبة يتلقب صاحبها بلقب بك .

(٣) هذا تعبير يقصد به منح املاك للدولة ليتصرف فيها .

(٤) سرعسكر بمعنى قائد الجيش والجردة اصطلاح يطلق على حملة عسكرية توجه الى جهة ما .

واستؤصلت أمواله واموال ذويه . وافرج عنه بعد سنة وولى حانية [1] واعقب ابراهيم واسعد وسعد الدين ومصطفى وكلهم تولوا الوزارة [2] خلا الاول فانه توفي في حماه سنة ١١٥٩ هـ وهو برتبة روملي معزولا من صيدا [3] .

ولقد قال مؤلف الخطط قبل ايراده النبذة السابقة ان بعض المؤرخين يقول ان ناصيف باشا الذي كان واليا على دمشق وقتل في الرملة هو من الاسرة العظمية فيكون هو اول من تولى ولاية دمشق من هذه الاسرة . ولقد ذكر مؤلف الغرر الحسان [4] اسم ناصيف باشا كوال لدمشق في حوادث سنة ١١٢١ هـ - ١٧٠٩ م ولكنه لم يصفه بانه من الاسرة العظمية . ولقد ذكر هذا المؤلف اسماء شركس محمد باشا ثم الطويل يوسف باشا ثم ابراهيم باشا ثم عبد الله باشا ثم رجب باشا ثم عثمان باشا ابا طوق ثم عثمان باشا كتخدا كولاة للشام في سني ١١٢٥ و ١١٢٧ و ١١٢٨ و ١١٢٩ و ١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٣ على التوالي [5] . وهذا يفيد ان ولاية ناصيف باشا انتهت في سنة ١١٢٥ وليس في سنة ١١٣٠ كما ذكر مؤلف الخطط . فاذا صحت نسبته الى الاسرة العظمية فيكون هو اول وال للشام منها والا فيكون اسماعيل هو الاول .

ويظهر ان ابن ميرو كاتب معاصر او قريب من ذلك . فلو كان ناصيف باشا من الاسرة العظمية لذكره . لذلك نميل الى التوقف بل الى النفي ، والى اعتبار اسماعيل الذي كان بروزه متدرجا الى ان تولى ولاية الشام هو اول البارزين من الاسرة في مجال الحكم والسلطان والوجاهة لدى الدولة .

---

(١) مركز جزيرة كريت .
(٢) يراد بالوزارة احيانا رتبة الباشا .
(٣) خطط الشام ج ٢ ص ٢٨٩ .
(٤) ج ٢ ص ١١ نسخة رسنم .
(٥) ج ٣ ص ١٦ - ١٧ .

وهذا ما يؤيده الخوري بريك في كتابه وهو معاصر حيث قال [١] ان الوزارة وجهت بعد قليل من عزل عثمان باشا ابي طوق الى اسماعيل باشا ابن العضم وهو اول وزير من هذا البيت •

ومما ذكره الخوري بريك من سيرة اسماعيل [٢] انه اتخذ كاتبين [٣] اخوين من نصارى حمص اسم احدهما نعمة والثاني يوسف وارتقوا عنده وارتقى اولادهم من بعدهم حتى اشتهر بينهم باسم بيت اليازجي، وانه اقام وزيرا في دمشق ست سنين وكان عادلا غير ظالم ولا جزار وان المغاربة تفرعنوا في عهده (أي صاروا يعتدون أو يتظاهرون بالعتو) وان السلطان محمود لما جلس سنة ١٧٣٠ م ــ ١١٤٣ هـ امر برفعه الى القلعة (أي اعتقاله) وضبط بيته ثم اعطى جزيرة يحكم فيها الى ان مات وانه عمر السرايا (الدار او القصر) المخصوصة بالحريم المسماة باسمه الى يومنا هذا (زمن المؤلف) ، وفي هذا تطابق مع ما ذكره مؤلف الخطط على ما اودناه قبل •

ولاية سليمان باشا

ـ ٣ ـ

ولقد قال مؤلف خطط الشام [٤] بعد نبذةابن ميرو عن اولية بروز اسماعيل وولايته للشام نقلا عن الشهابي في حوادث سنة ١١٤٧ هـ ان اسعد باشا العظم انتقل هذه السنة الى ولاية دمشق وكان قبلها واليا على صيدا منذ سنة ١١٤٣ هـ وان اخاه سعد الدين باشا الذي كان واليا لطرابلس نقل الى صيدا مكان اخيه وان سليمان باشا العظم تولى ولاية

---

(١) ص ٥ . (٢) ص ٥ ــ ٧ .

(٣) ذكر المؤلف كلمة يازجية بدلا من كتاب ، وهذا سبب تسمية بيتهم ببيت اليازجي ومعنى اليازجي التركية كاتب . (٤) ج ٢ ص ٢٩٠ ــ ٢٩١ .

طرابلس الشام مكان سعد الدين ، فقويت بذلك شوكة بني العظم في بلادهم وعظمت دولتهم [1] . وعقب مؤلف الخطط على كلام الشهابي قائلا انهم اخلصوا للدولة فأصفتهم ووسدت اليهم الاحكام في الشام حتى صاروا حكامها (يقصد بلاد الشام) من اقصاها الى اقصاها . وقل جدا في هذا القرن من تولى ولاية حلب او دمشق او طرابلس أو صيدا أو اللاذقية أو غزة بضع سنين . ومن بني العظم من زاد زمن ولايته على عشر سنين فان اسماعيل تولى دمشق ست سنين (١١٣٧ — ١١٤٣) وسليمان تولاها خمس سنين للمرة الاولى (١١٤٦ — ١١٥١) وثلاث سنين للمرة الثانية (١١٥٤ — ١١٥٦) واسعد تولاها اربع عشرة سنة (١١٥٦ — ١١٧٠) وكان تولى صيدا اربع سنين ومحمد تولاها مرتين اثنتي عشرة سنة . وفي تعقيب مؤلف الخطط وفي ما نقله عن الشهابي ايضا تناقض وخطأ . فمؤلف الخطط يروي عن الغرر خبر ولاية اسعد باشا للشام في سنة ١١٤٧ هـ بينما يقول في التعقيب ان سليمان باشا تولى للمرة الاولى من سنة ١١٤٦ الى سنة ١١٥١ وان اسعد تولاها من سنة ١١٥٦ الى سنة ١١٧٠ هـ . ولقد ذكر الخوري بريك [2] ولاية سليمان باشا للشام سنة ١١٤٦ ولبثه فيها الى سنة ١١٥١ ثم عودته اليها سنة ١١٥٤ ولبثه فيها الى سنة ١١٥٧ ثم تعيين ابن اخيه اسعد لها سنة ١١٥٧ هـ . والراجح ان مؤلف الغرر غلط في تاريخ ولاية اسعد للشام فذكر انه سنة ١١٤٧ مع انه سنة ١١٥٧ ونقله عنه مؤلف الخطط ثم ناقض نفسه في التعقيب ...

وسليمان هو اخو اسماعيل وهذا يعني ان ولاية الشام لم تلبث ان عادت الى الاسرة بعد ثلاث سنين من عزل اسماعيل ومصادرته ونفيه الى حانية حاكما ... وقد قال مؤلف الخطط ان سليمان ولي طرابلس وصار جرداويا [3] لاخيه شقيقه الوزير اسماعيل ثم ولي صيدا وبها

---

(١) انظر الغرر ج ٢ ص ٣٠ نسخة رستم . (٢) ص ٨ — ١١ .

(٣) لم تفهم مدى هذه الكلمة . لعلها في معنى قائد جردات اي حملات او محصل اموال.

صارت له الوزارة [1] ثم ولي صيدا ثانية ثم ولي دمشق سنة ١١٤٦ هـ[2]

ولم يذكر مؤلف الخطط ولا الامير حيدر شيئا من سيرة سليمان في ولايته الاولى (١١٤٦ ـ ١١٥١) أما الخوري بريك فانه قال [3] حينما ذكر خبر تعيينه لاول مرة سنة ١١٤٦ ـ ١٧٧٣ م انه كان عادلا ورفع المظالم عن جميع الحرف (الضرائب والرسوم الفاحشة) وعمر السرايا ـ القصر ـ المخصوصة بحرمه ، وان اغاة الانكشارية قتل من قبل اتباعه فاضطربت دمشق فاعتقل الوزير اثني عشر نفرا وقتلهم فهدأ الاضطراب وانه ركب على الامير ملحم في جبل الدروز (المقصود الامير ملحم الشهابي في جبل الشوف لبنان) ثم على ظاهر العمر في قلعة طبريا ولم ينتفع بشيء من سفرتيه . ثم ركب على عرب البلقاء ونهب شيئا قليلا ثم عزل عن الوزارة سنة ١١٥١ ثم اعيد اليها سنة ١١٥٤ هـ

ولقد ذكر مؤلف الخطط ان سليمان باشا ولي مصر سنتين قبل عودته الى ولاية الشام دون أي بيان آخر [4] . اما سيرته في ولايته الثانية فقد ذكر منها انه باغت بالاشتراك مع والي صيدا ووالي طرابلس بلاد الامير ملحم الشهابي في لبنان لتأخره عن اداء المال السلطاني وحرقوا اقليم التفاح ومرج بشره ثم وقع الصلح وأدى ما عليه ، وانه جهز سنة ١١٥٦ عسكرا على الظاهر عمر الزيداني بعد ان قبض على اخيه مصطفى وشنقه في دمشق ـ والكلام غير واضح عما اذا كان مصطفى هذا اخا الوالي أو اخا ظاهر العمر ـ فلما وصل الوزير الى قرب عكا لحصارها

---

(١) اي وجهت له رتبة الوزارة وصار باشا .

(٢) الخطط ج ٢ ص ٢٩٣ .   (٣) ص ٩ ـ ١٠ .

(٤) في الجزء الاول من تاريخ الجبرتي (ص ١٥٥ ـ ١٥٦) ان سليمان باشا الشهير بابن العظم تولى ولاية مصر سنة ١١٥٢ هـ وانه أراد ايقاع الفتنة بين امراء الجند المماليك ـ حتى يتمكن من الحكم على الارجح ـ فضم اليه عمر بك بن علي بك واتفق معه على قتل عثمان بك ذي الفقار وابراهيم بك قطامش وعبد الله كتخدا وعلي كتخدا وهم اصحاب الرئاسة في مصر ووعده نظير ذلك بامارة مصر والحج وعشرين كيسا من بلادهم فرتب امره وقتل بعضهم وثار الامراء على سليمان باشا واجبروه على النزول من القلعة ثم عزل في السنة التالية من الولاية

رشا ظاهر بعض اتباعه فادخل على سليمان باشا السم في طعامه فمات وجيء به الى دمشق في اكثر الروايات [1] .

ومما ذكره مؤلف الخطط [2] ان الدولة صادرت امواله لما توفي سنة ١١٥٦ وعذب المندوب للمصادرة اسرته على ابشع وجه .

ومن الغريب ان مؤلف الخطط [3] ذكر سليمان باشا كوال للشام سنة ١١٦١ هـ وقال انه غضب في هذه السنة على الانكشارية فاخرجهم عنها فحضر رئيسهم احمد آغا القلطقجي ومعه عدة أغوات الى جبل الشوف واجتمعوا عند المشايخ بني يزبك وكانوا ينزلون وينهبون من نواحي دمشق ويقطعون الطريق ، واكثر غرابة من هذا قوله بعد هذا ان سليمان باشا حاصر الشيخ ظاهر العمر في قلعة طبريا سنة ١١٦٠ هـ ثلاثة اشهر فادركه الحج فارتفع عنها [4] .

أما الخوري بريك فقد قال ان وزارة دمشق وجهت ثانية الى سليمان باشا ابن العضم سنة ١١٥٤ هـ واستقام ثلاث سنين . وفي هذه المدة ركب علي ظاهر العمر بطبريا ولم ينتفع بشيء ثم قويت الانكشارية في دمشق وارتكب الزرباوات (العصاة) ربوات القبائح ضد الرعايا ثم ركب سليمان باشا ثانية علي ظاهر العمر في طبريا وهناك مات وقيل مات مسموما ، واحضروه محملا الى دمشق حيث دفن فيها . وقد ابدى المؤلف اسفه على موته قائلا (يا حيفه يموت [5]) .

واما مؤلف الغرر فانه لم يذكر خبر ولاية سليمان باشا لدمشق للمرة الاولى وانما قال [6] في سياق ذكره ارتفاع شأن الامير ملحم وسريان هيبته في دياره وجواره ومد رعاياه ايديهم على ديار الغير وعيثهم في قرى البقاع نتيجة للانتصار الذي احرزه الامير على متاولة جبل عامل سنة ١١٤٤ هـ ـ ١٧٣١ م ان سليمان باشا العظم كان واليا للشام

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٩٣ . (٢) ص ٢٩٣ . (٣) ص ٢٩٤ .
(٤) ج ٢ ص ٢٩٤ . (٥) ص ١١ (٦) ج ٢ ص ٣٠ نسخة رستم .

يومئذ فحنق على الامير ملحم بسبب محرقة اهل دياره في البقاع ونهض من دمشق بعساكر وافرة لقتاله ولما نزل البقاع ارسل اليه الامير الرسل لاستعطاف خاطره والاعتذار عما كان من اهل بلاده وتعهد له بدفع خمسين الف قرش والتمس منه السماح والعدول عن القتال وعاهده على زجر اهل بلاده عن المخرقة في البقاع وارهن اخاه الامير حسينا مقابل المال الذي تعهد به فقبل الوزير اعتذاره رغبة في المال وقفل راجعا الى دمشق • وقد ظل الامير حسين عنده حتى أدى الامير ملحم المال • ومقتضى كلام مؤلف الغرر ان ولاية سليمان باشا للشام كانت قبل سنة ١١٤٦ هـ وهذا مخالف لروايتي الكرد علي والخوري بريك •

وقد ذكر مؤلف الغرر سليمان باشا في حوادث سنة ١١٥٧ مرتين[1] قال في احداهما انه حاصر الشيخ ظاهر العمر في قلعة طبريا ثلاثة اشهر ثم ادركه الحج فارتفع عنها وقال في ثانيتها — وقدم الثانية على الاولى — ان سليمان باشا مات في هذه السنة في طبريا دون ذكر أي شيء آخر • وكلامه متطابق مع كلام الخوري بريك في ان سليمان باشا زحف على طبريا في سنة ١١٥٧ هـ مرتين ، ويلحظ ان عبارة مؤلف الغرر في حصار سليمان باشا للشيخ ظاهر ثلاثة اشهر وادراكه الحج وارتفاعه عنها مطابقة حرفية تقريبا لعبارة مؤلف الخطط • ومع ذلك فان مؤلف الخطط يؤرخ الحصار في سنة ١١٦٠ بينما يؤرخه مؤلف الغرر في سنة ١١٥٧ هـ • وهذا بقطع النظر عما ذكره مؤلف الخطط قبل من موت سليمان باشا مسموما سنة ١١٥٦ حينما جاء لحصار الشيخ ظاهر • وكل من الخوري بريك والشهابي يذكر حصار سليمان للشيخ ظاهر في طبريا وموته اثناء ذلك بينما يذكر مؤلف الخطط ان سليمان باشا جاء الى حصار الشيخ في عكا ومات هناك مسموما •••

ولقد ذكر مؤلف الغرر [2] حادث زحف وزير الشام على الامير

---

(١) ص ٣٤ — ٣٥ ج ٢ نسخة رستم •
(٢) ج ٢ ص ٣٢ نسخة رستم •

ملحم بسبب تأخره عن اداء المال بالاشتراك مع والي صيدا ووزير طرابلس وبأمر من الدولة واحراقهم اقليم التفاح وبشرى في حوادث سنة ١١٥٦ هـ وهو الحادث الذي ذكره مؤلف الخطط ورويناه قبل عنه . غير ان مؤلف الغرر قال ان وزير الشام أنئذ هو سعد الدين باشا بينما قال مؤلف الخطط انه سليمان باشا . ولقد ذكر مؤلف الخطط هذا الحادث في حوادث سنة ١١٥٦ او قبلها حيث يبدو من هذا ان صاحب الحادث هو سليمان وليس سعد الدين .

ولقد ذكر مخائيل الصباغ في كتابه تاريخ الشيخ ظاهر العمر [1] حادث زحف سليمان باشا على الشيخ ظاهر وحصاره له في طبريا ودسه السم له بواسطة اخيه الشيخ سعد على ماسوف نورده في سيرة الشيخ ظاهر . وقد زعم ان الحادث وقع سنة ١٧٥٣ الموافقة لسنة ١١٦٧ هـ وهذا مخالف لما ذكره الخوري بريك ومؤلف الغرر كما هو واضح . وهذا فضلا عن تكرر زحف سليمان باشا على الشيخ ظاهر وحصاره اياه في قلعته بينما لا يذكر الصباغ الحصار الا مرة واحدة . ورواية الخوري بريك والامير حيدر هي الارجح في نظرنا على ما سوف نذكره كذلك في فصل الزيادنة .

ولاية اسعد باشا

— ٤ —

والخوري بريك والكرد علي متفقان على ان اسعد باشا قد تولى ولاية الشام بعد موت سليمان باشا وظل فيها الى سنة ١١٧٠ هـ وقد قال الامير حيدر في حوادث سنة ١١٥٧ وبعد ذكر خبر وفاة سليمان باشا [2] ان سعد الدين باشا كان في هذه السنة واليا على الشام فتطابق

---

(١) ص ٥٦ وما بعدها . (٢) ج ٢ ص ٣٤ .

مع المؤلفين الاولين برغم الخطأ الذي وقع فيه ونبهنا عليه في ذكره خبر ولاية اسعد باشا في سنة ١١٤٧ هـ .

ولقد اورد مؤلف الخطط نبذة عن ابن ميرو في سيرة اسعد باشا وقد جاء فيها انه لما وسدت اليه الدولة مالكانة حماه سار فيها سيرة حسنة وعمر بها خانات وحمامات وبساتين ودورا ليس لها نظير في البلاد الشامية . ثم ولي صيدا فاستعفى منها وطلب حماه منصبا وكانت مالكانة له ولعمه . فرفعت منه المالكانة ووجهت له منصبا [١] ودخلها سنة ١١٥٤ هـ وبذل الاموال الى ان جعلها مالكانة له بعناية الوزير الكبير بكر باشا والي جده سابقا . وفي سنة ١١٥٦ هـ تولى دمشق وامرة الحج لموت عمه سليمان الوزير وحج بالحجيج اربع عشرة حجة وعزل عن دمشق وامرة الحاج بالوزير حسين باشا مكي وولوه حلب ثم عزل عنها ونفي الى جزيرة كريت ونسبوا له ما وقع بالحجيج وقتل بمدينة انقرة . وانه كان محمودا في ولايته واهل الشام في زمانه كانوا في راحة أمن وطمأنينة وكان صبورا صبر على زرب الاحداث الاسقياء في الشام حتى اخذهم الله على يده وآذاه عرب حرب فصبر على أذاهم حتى انتقم الله له منهم عن يد الوزير المرحوم عبد الله باشا شتهجي وكان له صدقات وادارات على بعض العلماء بالشام والحرمين [٢] .

ومما ذكره مؤلف الخطط من سيرته دون عزو الى مصدر ان الدالاتية (صنف من صنوف الجنود) ملكوا قلعة دمشق سنة ١١٥٨ فقاتلهم الانكشارية (صنف آخر من صنوف الجند) وامر اسعد باشا باطلاق المدافع عليهم من سوق ساروجة حتى تهدم جميعه واعمل السيف بكل عاص وصلب كثيرين وبقيت المشنقة اياما لا تخلو من مصلوب ، وان سليمان باشا ــ وهذا غلط وصحيحه اسعد باشا [٣] ــ غضب في سنة ١١٦١ هـ على الانكشارية في دمشق فاخرجهم عنها فحضر

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٩٢ . (٢) نفس الصحف .

(٣) ان مؤلف الخطط نقل هذا الخبر بغلطه عن الغرر الحسان على ماسوف نذكره بعد.

رئيسهم احمد آغا القلطقجي ومعه عـدة أغوات الى جبـل الشوف واجتمعوا عند المشايخ بني يزبك وكانوا ينزلون وينهبون من نواحـي دمشق ويقطعون الطريق ، وانه ورد في سنة ١١٦١ حظ شريف بقتل اغوات الانكشارية بدمشق فقبض الوالي على بعضهم .

ثم عزا الى مؤلف اسمه ابن بدير حادث قدوم جمـاعة مـن الدروز من جماعة ابن تلحوق الى نهب نواحي دمشق سنة ١١٦٢ هـ بحجة قدومهم لاخراج اخوان لهم في السجن فلما موطلوا نادوا في حارة الميدان والقبيبات ان كل من لا يخرج للقتال معنا ننهب ماله وداره فانضم جماعة من الحارات ونزلوا الى السويقة ووقع القتال بينهم وبين القبوقول ـ صنف من الجند والدالاتية واغلقت البلد حوانيتها وحصرت الحارات ونبه المتسلم على اهلها ان لا يخرجوا الى الازقة ثم جرت مقتلة بـين الفريقين قتل فيها نحو خمسين قتيلا من جماعة المتسلم والقبوقول . وقد ارسل الوالي الى الموالي ـ العلماء ـ والمفتي والقاضي يأمرهم بحمل الاعلام والنداء بالناس ان يخرج كل من يحب الله والسلطان الـى قتالهم لانهم خوارج فاستجاب كثير من الناس الى النداء وحاول الدروز والاشقياء الذين انضموا اليهم الصمود ونصرهم اهل الميدان ولكن الناس اشتدوا في المطاردة والقتل حتى هرب الدروز . وحينئذ نودي بالامان وفتح الاسواق . وظلت الحالة مضطربة مـع ذلـك اياما حيث كانت الوشايات والتهم توجه الى الناس فيقبض عليهم ويقتلون وتنهب اموالهم فكانت كارثة فاجعة على الشام واهلها . ويظهر ان ابن بدير الذي يعزو مؤلف الخطط اليه كان حيا في الشام في أثناء ذلك حيث يقول اني سرت مع من سار فرأيت فضائح الميدان والقتلى مجدلة والابواب محطمـة والدكاكين مقفرة وقد استولى الخوف على الجميع وبلغ عدد الدور المنهوبة في هذه الوقعة الفا وتسمائة اما الحوانيت فكثيرة جدا [1] .

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

ولقد روي مؤلف الخطط كارثة مفجعة مماثلة اخرى تعرضت لها الشام في هذه الفترة من الزمن ، مما فيه توكيد لما كانت عليه البلاد من شر وويل في هذه الظروف . فقد كا نلاسعد باشا مولى (مملوك) ظالم عات فاخرجه الى حلب من شدة شكوى الناس منه . ولكنه عاد الى الشام في سنة ١١٦١ في رواية وفي سنة ١١٧٠ وبعد عزل اسعد باشا عن الشام وفي حكم الوالي الذي خلفه وهو حسين مكي الذي كان في وقت عودته في الحج في رواية اخرى فقام عليه الانكشارية والعامة قومة رجل واحد فالتجأ الى القلعة وحماه القبوقول ولما اريد على الخروج من دمشق ابى فاغلقت البلدة دكاكينها ومحالها وتجمع الانكشارية وتبعهم الناس وتعصب العناتبة والاكراد والدالاتية مع القبوقول واهل حارة العمارة فاخذت الاشتباكات تقع بين الفريقين والنار تطلق واحرقت العمارة حتى صارت بلقعا وقد امكن اخراج مملوك بن العظم ولكن الفتنة لم تهدأ حيث استمر القتال بين القبوقول والانكشارية وثارت الحرب في شوارع المدينة ونهبت الدور والدكاكين ونكبت الفيحاء نكبة عظيمة وعريت النساء وخطفت الجواري والعذارى (١) .

ومما ذكره الخطط عن اسعد باشا ان الدولة صادرت امواله واخرجت الدفائن من قصره وكان بعضها مخبوءا في الارض والجدران والاحواض وبيوت الخلاء وفعلت مثل ذلك باتباعه ورجاله (٢) .

وفي كتاب الخوري بريك نبذة عن سيرة اسعد باشا يتطابق بعض ما جاء فيها مع ما اورده مؤلف الخطط نقلا عن ابن بدير وما اورده كذلك عن مصادرة امواله .

وقد وصفه حينما ذكر ولايته للشام سنة ١١٥٧ هـ بانه كان حاكما عادلا قليل الظلم (٣) وقال فيما قاله من كوارث الشا م في عهده (٤)

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٢٩٥ — ٢٩٧ .

(٢) الخطط ج ٢ ص ٢٩١ .

(٣) ص ١١ .

(٤) ص ١١و١٣و١٨ .

ان الانكشارية تمردوا في زمنه وتظاهروا وداسوا الاحكام ونهبوا المحكمة الكبرى وفعلوا ربوات المساوىء بالاسلام والنصارى والاعراض وان اسعد باشا حاربهم وكسرهم وقتل كثيرا منهم ونهب بيوتهم واحرقها ونهب الميدان لان اكثرهم كانوا يسكنون فيه واعاد وجاق ـ منظمة ـ القبوقول الذي الغاه عثمان باشا وانه قتل في جملة من قتله الدفتردار فتحي افف باذن من السلطان وختم داره وضبط املاكه للدولة وقتل اناسا من جماعته فاستطاع بذلك ان يضبط امور المدينة ويهدىء احوالها ويزيل عنها اسباب الخوف والاضطراب ويوطد فيها العدل والامن ..

ومما ذكره من احداث عهد اسعد باشا انه اقام كاتبا له اسمه عبد الله اليازجي حاكما في حمص وما يليها فتكبر وتجبر وسلط اتباعه على الناس فأثار غضب سيده عليه فعزله واحضره الى دمشق وسجنه وسلب جميع ما يملكه وكان شيئا لا يقدر (لايحصى [(١)]) .

وذكر القصر الذي أنشأه في آخر سوق البزورية لحرمه وقيسارته في البزورية (الخان المشهور باسمه) وقال انها لا نظير لها في دمشق[(٢)].

ثم ذكر خبر عزله في اوائل سنة ١٧٥٧ م ـ ١١٧٠ هـ عن ولاية دمشق وتعيينه واليا لحلب بعد حكم امتد اربع عشرة سنة ذهب فيها للحجاز اربع عشرة مرة مما لم يسبق لغيره [(٣)] .

ووصف عهده بقوله انه قرأ تواريخ كثيرة لدمشق منذ تسلمها الاسلام فما رأى تاريخا يخبر عزا وجاها وصيتا وسطوة لدمشق كما كان لها في السنين العشر من عهده . وقد تظاهر النصارى الدمشقيون في عهد بما شاؤوا من ملابس رجالهم ونسائهم عدا اللون الاخضر ـ وهذا كان منحصرا في الشرفاء المنسوبين للبيت النبوي ـ وكان

---

(١) ص ٢٥ . (٢) ص ١٨ . (٣) ص ٣٥ .

البيع والشراء والتجارة رابحة بدون خوف وتظاهر النصارى بعمارة الدور والقصور والقاعات مما لم يكن لاحد منهم مجال فيه كما تظاهروا بالخروج الى البساتين والجناين والمنتزهات ـ السيرانات ـ رجالا ونساء كجمعية واحدة مع عرقهم وخمرهم واولادهم وبناتهم دون ان يعترضهم احد وقد تعدى نساء النصارى الحدود بملابسهم وزينتهم وشرب الدخان والاجتماعات المختلطة وغرهم الشيطان واكلوا الحصرم ورجالهم ضرسوا [١] ..

وقد ذكر الخوري فتنة الانكشارية والقبوقول وأرخها بسنة ١٧٥٧ م ـ ١١٧٠ هـ وقال ان البلد سكرت وحاصر وجاق القبوقول في القلعة وظل القتل والنهب مستمرا في دمشق وكا نالوالي حسين مكي باشا ـ وهو الذي عين خلفا لاسعد باشا ـ في الدورة فلما عاد هدأت الحالة ثم ذهب الى الحج فعادت الفتنة ثانية وقوي الانكشارية على العمارة وحرقوا دورها وسوقها ونهبوها [٢] .

وفي هذه الاثناء جاء الخبر بان عرب بني صخر نهبوا الحج وقتلوا كثيرا من الحجاج واخذوا المحمل بقيادة رئيسهم قعدان الفائز واشتراك عرب آخرين ، وان حسين مكي سافر من تبوك الى غزة بلده رأسا في حالة الذل [٣] . وازدادت الفتنة في الشام بهذه الاخبار اشتعالا وتفرعن الانكشارية وارتكبوا ربوات المساوىء واستمر الامر كذلك الى ان جاء الوالي الجديد الذي عينته الدولة واسمه عبد الله باشا الشتهجي فالقى الخوف في قلوب الانكشارية وجميع اهل البلد . وعقب الخوري على هذا بالدعاء لله بان يجعل في قلبه الحلم ويكون قدومه على مدينة دمشق خيرا . والعبارة تفيد انه كان حيا في هذه الفترة بل وانه كان يدون مذكراته التي احتوت بالاضافة الى تاريخ الشام السياسي

---

(١) ص ٦٢ ـ ٦٤ . (٢) ص ٤٤ ـ ٤٥ و ٤٩ ـ ٥٣ .

(٣) ص ٤٥ في الجزء الثاني من سلك الدرر للمرادي ما يفيد ان مركب الحج تابع سيره الى تبوك وهناك تعرض لعدوان آخر من العرب انظر ص ٦٠ ـ ٦٣ .

في نطاق الاسلوب الذي اوردناه تاريخ واحداث النصارى الكهنوتية .
ثم عاد فذكر ركوب الوالي مع عسكره على الميدان وارسال جانب من عسكره للاحداق بالمدينة وامره بنهب بيوت الاكابر والاصاغر من الرعية والانكشارية من عند جامع السنانية فوقع النهب على الجانبين وشلحت الحريم والبنات وهتكت الاعراض وكان الانكشارية مجتمعين في الميدان فانكسروا وولوا هاربين واستمر القتل والنهب يومين حتى بلغ عدد القتلى ٥٠٠ عدا الذين قتلوا من المهزومين ثم رفع الوزير القتل والنهب ونادى بالامان . وارسلت الدولة للوزير مئتي الف قرش ذهبا هدية فوزع منها على عسكره العلائف . ثم سافر بعسكر زحاف مع الحج ورجع بالسلامة وفرح اهل البلد وزينوا [1] .

ثم ذكر بعد ذلك خبر حضور مندوب من الاستانة مكلف بضبط مال اسعد باشا ابن العظم وقيل انه ثبت عليه بان العرب اخذوا الحج في العام الفائت بمعرفته وتحريضه وان الدولة اخذت رأسه في مدينة سيواس وارسلت الموفد لضبط امواله ، وقد لبث هذا ما ينيف عن نصف سنة وهو يضبط هذه الاموال . وظهر في أثناء التحري اموال كثيرة مطمورة في الحيطان والارض والجناين . وقد بلغ قيمة ما ضبطه من امواله وامتعته وجواهره وخيله وسلاحه وعبيده نحو مئة الف كيس وحمل على الجمال بمشاهدة الجميع [2] .

وفي الغرر للشهابي ايضا بعض النبذ عن سيرة اسعد باشا . فيها ما يتطابق مع ما ذكره المؤلفان السابقان بعض الشيء وفيها ما لم يذكراه مع التنبيه ان في ما ذكره تخليطا في التاريخ والاسماء ..

واول مرة ذكره فيها في حوادث سنة ١١٤٤ هـ - ١٧٣١ م حينما كان واليا لصيدا . فقد التمس الامير ملحم الشهابي منه ولاية ديار بشارة لكيد المتاولة وزعماءهم بني الصغير والانتقام منهم بسبب شماتتهم

---

(١) ص ٤٧ - ٥٩ . (٢) ص ٥٩ - ٦٠ .

بموت ابيه فاجابه الى طلبه [١] . وذكره مرة ثانية في حوادث سنة ١١٤٧ هـ ـ ١٧٣٤ م فقال انه انتقل هذه السنة من ايالة صيدا الى ولاية الشام [٢] ، وهو خطأ على الارجح لان ولاية الشام في هذه السنة كانت مشغولة بسليمان باشا على ما ذكرناه قبل . وفي حوادث سنة ١١٥٦ ذكر ان سعد الدين باشا تولى في هذه السنة على الشام . وجاءه فرمان شريف باسعاف والي صيدا مع وزير طرابلس ضد الامير ملحم لانه تأخر في دفع المال فسار بعسكره الى صيدا واجتمع بوزيري صيدا وطرابلس واحرقوا اقليم التفاح ومرج بشرى مما اضطر الامير ملحما الى التماس الصلح وتوريد ما انكسر عنده من المال ، وكان الواسطة في ذلك محيي الدين آغا ، واسم سعد الدين هنا غلط وصحيحه اسعد باشا لانه هو الذي تولى الشام بعد سليمان باشا في سنة ١١٥٧ هـ على ماذكرناه قبل . وقد عاد الى الصواب حينما ذكره في حوادث سنة ١١٥٧ هـ حيث قال [٣] ان اسعد باشا والي الشام ركب هذه السنة بعسكره الى البقاع بسبب تأخر الامير ملحم عن دفع الاموال الاميرية عن بلاد بعلبك التي اخذ منه حكمها والتزامها واقام فيها اخويه احمد ومنصورا . وقد خرج الامير ملحم الى لقائه وكسره وطارده الى سهل الجديدة ثم رجع وحرق جميع قرى البقاع وعاد الى بلاده منصورا . وبعد قليل دعا الامير ملحم وجوه البلاد الى اجتماع في الباروك فخرج اسعد باشا بقصد كبسهم فيها ولكن الامير ملحما كان متيقظا ومستعدا فسارع الى لقائه . وحينئذ عدل اسعد باشا عن قصده . وقد استطرد المؤلف بعد ذلك فقال ان اسعد باشا تولى الشام عدة سنين وعمر اماكن عظيمة في الشام وجمع مالا لا يحصى . ومشى الحج جملة سنين وانعمت عليه الدولة بطوق أي علامة الرضاء بحيث يكون آمنا من القتل وجر السلاح عليه . ومع ذلك فانها قتلته في الحمام لاجل كثرة امواله وضبطت امواله . وتولى مكانه ابن عمه سليمان باشا العظم فرجع ثانية

---

(١) ج ٢ ص ٢٩ نسخة رسنم . (٢) ص ٣٠ (٣) ص ٣٤ .

الى الشام • والجملة الاخيرة خطأ واضح على ما شرحناه قبل • والعجيب ان المؤلف ذكر في حوادث السنة نفسها خبر موت سليمان باشا في طبريا •• وذكره في حوادث سنة ١١٥٨ هـ فقال [١] انه ورد اليه خط شريف بقتل اغوات الانكشارية في الشام فقبض على البعض وقتل ابن الفلاقنسي الذي يتبادر انه من هؤلاء الاغوات ••

وذكره في حوادث سنتي ١١٦١ و ١١٦٢ هـ فقال [١] ان الوحشة ظهرت بين اسعد باشا العظم والي الشام والامير ملحم ونهض الوالي بعساكره الى البقاع لقتاله • وسبب ذلك انه كان بين اسعد باشا وبين اخيه سعد الدين باشا والي صيدا ثغرة وكان الامير ملحم يميل الى سعد الدين ويحبه وقد انعقدت بين الرجلين المحبة والمودة وكان كل منهما يستعين بالآخر فثار حنق اسعد باشا وبغضه على الامير ملحم واخذ يترقب فرصة لضربه • وانكسر عليه مال بعلبك التي كانت في التزامه من اسعد باشا فطالبه به واغلظ له الكلام وخرج مسرعا بعسكره لضربه على حين غفلة وقبل ان يجمع شمله ولكن الامير ملحما كان متيقظا مستعدا واشتبك معه في بر الياس فكسره واهلك من عسكره خلقا كثيرا وغنم اصحابه مالا وفيرا وتبع جيشه المهزوم الى سهل الجديدة ثم رجع الى البقاع فحرق قراها ونهب ما فيها وسباها • وبعد قليل سافر اسعد باشا الى الحج فسار الامير ملحم الى ديار بعلبك ونهبها وازاح عنها واليها حيدر الحرفوش الذي تضامن مع اسعد باشا حين القتال وولى مكانه اخاه حسينا الذي كان حليفا له وشهد معه القتال • ولما رجع اسعد باشا من الحج وبلغه ما فعله الامير ملحم ازداد غيظه منه واهتم لجمع العساكر والزحف للانتقام منه فلم تطل له المدة حتى نفذ الامر السلطاني بضرب عنقه وتولى اخوه سعد الدين والي صيدا • وهذا غلط كما ان قتل اسعد باشا كان بعد عشر سنين من هذا التاريخ ! وقد

---

(١) ص ٣٥ ج ٢ نسخة رستم • (٢) ص ٣٦ – ٣٩ •

استمر مؤلف الغرر في تخليطه فقال انه حصل لسعد الدين باشا بعد ايام قليلة حادثة خرج لسببها الى طبريا فمات هناك ، وقدم سليمان باشا العظم بعده واليا على دمشق . ولم يقف عند هذا حيث ذكر قصة تأخر الامير ملحم عن اداء المال وورود امر لواليي الشام وطرابلس باسعاف والي صيدا لارغامه واحراقهم قرى اقليم التفاح والتماس الامير ملحم الصلح ودفعه الاموال المكسورة عليه وكان الواسطة محيي الدين آغا وهي القصة التي ذكرها في حوادث سنة ١١٥٦ هـ ! وهذا الخلط يجعل من الوارد ان تكون قصة القتال الذي جرى بين اسعد باشا والامير ملحم وانكسار الاول فيه ومطاردة الثاني له الى الجديدة هي نفس القصة التي كان ذكرها في حوادث سنة ١١٥٧ هـ !

وقد ذكر في حوادث سنة ١١٦١ هـ [1] قصة غضب سعد الدين باشا العظم والي الشام على الانكشارية واخراجهم من الشام وحضور رئيسهم احمد القلطقجي وجملة اغوات معه الى جبل الدروز واجتماعهم عند بني يزبك ونزولهم من حين لآخر الى نواحي الشام للنهب وقطع الطريق . وقد ارسل سليمان باشا الوالي الى الامير طلبا بنفيهم من بلاده فلم يرض بنو يزبك تعصبا للذمام فاحرق الامير حاراتهم ونزح بيت تلحوق والقلطقجي الى نواحي البقاع ثم نزل الانكشارية الى نواحي الشام وجرى اتصال بينهم وبين سليمان باشا وتم الرضاء بينهم ورجعوا الى موطنهم . وفي الاسماء تخليط عجيب فقد ذكر في بدء الكلام اسم الوالي سعد الدين ثم ذكر في أثنائه سليمان باشا . وهذا وذاك غلط لان الوالي في سنة ١١٦١ كان اسعد باشا ...

ونتبه على ان ولاية سعد الدين باشا للشام لم تذكر الا في الغرر . وقد ذكر الخوري بريك ان الوالي الذي خلف اسعد باشا بعد عزله عن الشام ونقله الى حلب سنة ١١٧٠ هـ هو حسين مكي باشا الذي قال

---

(١) ص ٣٦ ـ ٣٧ .

عنه المؤلف نفسه ان اصل بيته من غزة والرملة وانهم اولاد عرب وان اباه كان مدبرا ـ كاخيه ـ عند اسعد باشا وانهم ثاني طائفة من اولاد العرب الذين صاروا وزراء في بلادنا [1] •• ثم خلفه عبد الله باشا الشتهجي وخلف هذا محمد باشا الشاليك ثم خلفه عثمان باشا الكرجي ثم عزل ووجهت الوزارة بعد قليل من عزله الى محمد باشا العظم [2] وهكذا يبدو ان ورود اسم سعد الدين باشا كوال للشام بعد اسعد باشا غلط انفرد به مؤلف الغرر [3] •

ولايـة محمـد باشا

— ٥ —

ويستفاد من سياق الخوري بريك ان محمد باشا العظم عين للولاية في سنة ١١٨٥هـ ـ ١٧٧٢م ، ومماذكرهمن سيرته ان النصارى والاسلام ظلموا في عهده وانه لما ذهب على رأس الحج ظهر الزرباوات (الاشقياء) وظلموا الفقراء ولم يكد يعود من الحج حتى عزل • ولكنه لم يمض على عزله الا قليل حتى عاد ثانية للولاية أي سنة ١٧٧٣ م ، وقد ساعد الجزار على مطاردة علي بن الشيخ ظاهر العمر وقتله • وقبض على عثمان بن شبيب آغاة الانكشارية وخنقه وضبط امواله لما كان عليه من الظلم والسفه • وان حالة الاضطراب ظلت سائدة في عهده في دمشق وغيرها حيث عاد الانكشارية والقبوقول الى اعتداءاتهم وظلمهم • وقال الخوري الى جانب ما قاله ان الوالي رفع وكيلهم الظالم متري وساعدهم على تعمير الكنيسة الجوانية وتمتع النصارى بعدله وانصافه وحمايته • ومما ذكره من سيرته ايضا انه ركب على السلط سنة ١٧٨٠ م ونصره الله

---

(١) ص ٣٦ •   (٢) ص ٤٧ و٤٩ و٧٠ و٧١ و ٩٦ ـ ٩٧

(٣) ذكر المرادي في سلك الدرر ج ٤ ص ٩٨ ان سعد الدين باشا ولي حلب في سنة ١١٦٣ فلعل الالتباس نشأ من هنا •

على ابن عدوان واخذ رأسه واستسلمت له قلعة السلط ورجع منصورا واطاعته البلاد داخلا وخارجا وصار له صيت عظيم • وانه هو الذي عمر السوق الجديد عند بوابة سوق الاروام الى حد القلعة [1] •

وقد انتهى كتاب الخوري عند هذا •

ولقد قال مؤلف خطط الشام في صدد محمد باشا [2] انه تولى ولاية دمشق مرتين لمدة اثنتي عشرة سنة ـ دون تعيين السنين ـ ، ونقل عن تاريخ جودت باشا في وقائع سنة ١١٩٧ خبر وفاته وخبر ارسال الاستانة مندوبين لضبط امتعته وامواله لما كان مشهورا عنه من الثروة والغنى •

ولقد ذكره مؤلف الغرر اكثر من مرة • فذكر اولا ولايته على صيدا في حوادث سنة ١١٧٧ هـ ـ ١٧٦٣ م ، واستنجاد الامير منصور الشهابي به حينما قام النزاع بينه وبين اخيه الامير احمد ومسارعته الى نجدته بالعساكر الى بيروت [3] ، ثم ذكر خبر عزله عن ولاية صيدا سنة ١١٧٨ هـ [4] ثم ذكره في ظروف ولايته للشام في حوادث سنة ١٧٧٤ م ـ ١١٨٨ هـ بمناسبة ذكر التماس الامير يوسف الشهابي منه ولاية البقاع واجابته الى ذلك [5] • وذكره في حوادث سنة ١١٩٠ بمناسبة ذكر المساعدة على مصادرة علي بن الشيخ ظاهر العمر وقتله [6] • وذكره في حوادث سنة ١١٩١ هـ بمناسبة ذكر التجاء الامير منصور امير راشيا اليه حينما نشب النزاع بينه وبين اخيه محمد الذي ازاحه عن الولاية بمساعدة الامير يوسف طالبا مساعدته على العودة الى ولايته وقال ان أخاه ارسل الى محمد باشا (٢٥٠٠٠) قرشا والتمس منه اهلاك اخيه

---

(١) سيرة محمد باشا مقتبسة من الصحف ٩٩ و ١٠٦ و ١٠٩ و ١١٠ ـ ١١٢ •

(٢) ج ٢ ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ •

(٣) ص ٥٩ ـ ٦٠ ج ٢ نسخة رستم •

(٤) ص ٦٤

(٥) ص ١٠٥

(٦) ص ١١٨ •

فقبل واعتقله ونفاه الى قلعة حسية ثم انفذ امرا بقتله فقتل [1] . وذكره في حوادث سنة ١١٩٢ هـ — ١٧٧٨ م بمناسبة طلب الامير يوسف الشهابي ولاية البقاع منه أثناء نزاعه مع أخويه . وقد اجابه الى التماسه [2] . وذكره في حوادث سنة ١١٩٥ بمناسبة التماس الامير احمد — اخي الامير يوسف — هذه المرة ولاية البقاع ووادي التيم حينما انتصر اخوه عليه وعاد الى الحكم . وقد اجابه كذلك الى التماسه وارسل اليه عسكرا لتأييده . وقد كتب الامير اسماعيل الشهابي امير حاصبيا اليه متوسلا صرف الامير احمد عن حاصبيا فقبل توسله [3] . وشكى اليه المشايخ الجنبلاطيون من تصرف الامير احمد ونقضه الذمام معهم فكتب اليه يعاتبه ويؤنبه ويقول له انه لم يوله البقاع الا بكفالتهم مما جعله يخاف ويعتذر لهم ويجدد الصحبة والمحالفة معهم [4] . ولقد تفاقم النزاع بين الامير يوسف واخيه احمد وتزاحفا للقتال وكان الجزار مؤيدا ليوسف بالجند وكان محمد باشا مؤيدا لاحمد بالجند كذلك فكتبت الهزيمة على سيد احمد ومن معه من عسكر الشام وكتب قائد عسكره اليه بالامر فكتب بدوره الى الجزار يعاتبه على توجيه عساكره الى حدود ولايته من غير حق وجرت محاورة بينهما الى ان اتفق الواليان على هدم قلعة قب الياس التي كانت مبعث التشاد والتناظر . وارسل كل من الواليين مناظرا على هدمها واجتهد العمال فلم يتمكنوا من هدمها الا قليلا [1] .

ويبدو من هذا مصداق ما ذكره المؤلفان السابقان من قوة شخصية وعهد محمد باشا حتى وصل امره الى ان يكون مرجعا للامراء الشهابيين في لبنان فضلا عن وادي النيم وصاحب يد طولى في شؤونهم .

ولقد ترجم المرادي في الجزء الرابع من كتابه سلك الدرر محمد باشا وذكر عنه اشياء لم يذكرها المؤلفون السابق ذكرهم . وقال فيما

---

(١) ص ١٢١ .   (٢) ص ١٢٣   (٣) ص ١٢١   (٤) ص ١٣١ — ١٣٢

(٥) ص ١٣١ — ١٣٣

قاله عنه [1] انه كان عادلا سخيا شجاعا مدبرا مهابا واسع الرأي محبا للعلماء مسديا للمعروف برا بالفقراء وانه ذهب سنة ١١٦٣ هـ مع خاله الوزير الشهر سعد الدين باشا الى حلب لما وليها وجاء معه الى طرابلس مرات ثم انعم علبه برتبة الوزارة وولاية صيدا سنة ١١٧٦ هـ ونقل منها الى ولاية حلب سنة ١١٧٧ هـ فازال كثيرا من مظاهر الفسق والفجور والغلاء . ثم عزل عن حلب وعين في سنة ١١٧٨ هـ لولاية اورفه ثم لولاية ادنه وقبل ان يذهب اليها عين لولاية صيدا ثم لولاية قونيه ثم لولاية الشام مع امارة الحج سنة ١١٨٥ هـ وعزل عنها بعد سنة وعين لقونية ثم أعيد لولاية الشام ولامارة الحج ثانية حيث استمر واليا لها الى ان مات سنة ١١٩٧ هـ وكانت أيامه مواسم اقبال ونامت فيها الفتن وصفا لاهل الشام العيش وهلك على يده جملة من الخوارج (والتعبير للمرادي) منهم علي بن ظاهر العمر الزيداني وصالح العدواني من بغاة المشايخ ومرعي المقداني الشيعي وبنى آثارا حسنة منها في الشام السوق الذي بقرب داره تجاه القلعة ودار خزينة السراي ومحكمة الباب ومنها قلعة بئر الزمرد في طريق الحج . ومدحه ادباء دمشق بعدد كبير من القصائد وكان يجيزهم بالجوائز السنية وفي الجملة هو احسن من ادركناه من ولاة دمشق واكملهم رأيا وتدبيرا .

ومن الجدير بالذكر ان الصباغ مؤلف تاريخ الشيخ ظاهر العمر ذكر خبر زحف قوات الشيخ ظاهر على صيدا بعد موت سليمان باشا العظم امام طبريا سنة ١٧٥٣ م ـ ١١٦٧ هـ [2] ومعنى هذا ان ولاية محمد باشا العظم لصيدا كانت قبل سنة ١١٧٦ هـ ان صحت رواية الصباغ الذي ظهر انه غير دقيق في التواريخ على ما سوف ننبه عليه في سيرة الشيخ ظاهر .

---

(١) ص ٩٧ ـ ١٠٣ (٢) ص ٥٦ .

- ٦ -

ولقد تولى ولاية دمشق وال آخر من الاسرة العظمية من سنة ١٢١٠ الى سنة ١٢٢٢ هـ باستثناء فترة قصيرة خلال ذلك وهو عبدالله باشا بن محمد باشا الذي هو آخر ولاة دمشق من هذه الاسرة والذي كان صاحب شخصية ونشاط واستطاع ان يلعب دورا هاما على مسرح البلاد الشامية في الحقبة التي تولى فيها الولاية .

ومما جاء في الغرر من سيرته ان ولاية الشام نزعت في سنة ١٢١٠هـ ـ ١٧٩٥ م عن الجزار واسندت الى عبد الله باشا [١] . وذكرفيحوادث سنة ١٢١١ هـ ان ابنه خليل باشا كان واليا على طرابلس فارسل اليه ابوه امرا بمساعدة اولاد الامير يوسف الشهابي اثناء نزاعهم مع الامير بشير ففعل . ولما اخفقوا في حركتهم ضد الامير بشير هربوا الى الشام فانزلهم في رحابه مكرمين [٢] . ويبدو ان هذا الموقف اثار العداء والصيال بين عبد الله باشا وبين الجزار الذي كان يناصر الامير بشير والذي يبدو انه حنق من سلخ ولاية الشام عنه في الوقت نفسه . وقد ذكر مؤلف الغرر في حوادث سنة ١٢١١ ان جرجس الباز الذي كان يلتزم اولاد الامير يوسف لما تحقق من ان عبد الله باشا لن ينفعهم لان ولاية لبنان تابعة للجزار اخذهم الى عكا . وان عبد الله لما خرج الى جبل نابلس للدورة المعتادة وجه الجزار عسكرا لربط الطريق عليه فارسل بدوره عسكرا كبس عسكر الجزار وقتل منه مقتلة عظيمة [٣] .
وبعد قليل كانت غزوة نابوليون الى مصر ثم الى فلسطين . وطلب

---

(١) ص ١٣١ ـ ١٣٢ .　　(٢) ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .　　(٣) ص ١٨٥ .

الجزار من الامير بشير مساعدة وتموينا فلم يستجب الى طلبه فثار عليه حنقه واخذ يشجع اولاد الامير يوسف على منازعته • فجنح عبدالله باشا بدوره الى تشجيع ومناصرة الامير بشير فاتصل الصيال بين الواليين• ولقد جاء الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا سنة ١٢١٤ هـ ــ ١٧٩٩ م الى بلاد الشام على رأس حملة قوية لرد غزوة نابليون فسارع الامير بشير الى التزلف اليه لانه استشعر بالخطر من ناحية الجزار وارسل اليه كمية كبيرة من المونة فحاز رضاءه ووصى عبد الله باشا خيرا فكان ذلك مؤكدا لاتجاه الصيال الجديد بين الواليين • وقد طلب الامير بشير من عبد الله باشا عسكرا لقمع حركات اولاد الامير يوسف وانصارهم العماديين ضده فارسل مئتي خيال فنهض بهم وبرجاله الى مطاردتهم فهربوا الى وادي التيم فطلب من عبد الله باشا عسكرا مرة ثانية لمطاردتهم فامر متسلم حماه بارسال نجدة الى الامير ومساعدته بكل قوة ونشاط ، ثم اذاع منشورا على امراء ومشايخ ورعايا جبل الشوف منددا بموقفهم من مناوأة الامير بشير الذي نعته بولدنا الاعز الامجد ومعاضدة اولاد الامير يوسف ومنذرا اياهم بالتنكيل محملا عليهم مسئولية نسائهم واطفالهم • ولم يؤثر هذا المنشور لان الجزار استمر على تشجيع اولاد الامير يوسف وتقويتهم حتى جعل اكثر الدروز يميلون اليهم واضطر الامير بشير الى التخلي عن الحكم والرحيل الى بلاد جبيل وكان والي طرابلس آنذاك رحمون بك أو عبد الرحمن بك العظم فارسل اليه خلع ولاية بلاد جبيل بتوصية من عبد الله باشا • وولى الجزار اولاد الامير يوسف وتضامن معهم على مطاردة الامير بشير وعدم السماح له بالراحة والطمأنينة فجعل هذا الامير يتجه الى ارض الشام • غير ان عبد الله باشا ارسل اليه امرا بالرجوع الى بلاد جبيل وارسل اوامره الى حكام عكار وصافيتا ووادي رويد والضنية بجمع رجالهم والسير معه وتقديم ما يلزمه وامر الملا اسماعيل قائد حماه ومتسلمها بالسير معه ايضا فتشجع الامير بشير بكل ذلك ومارس الحكم في بلاد جبيل واخذ ينشط في تجميع الانصار وبث الدعاية الى ان استوثق امره وعاد

الى ولايته برغم الجزار الذي اضطر الى مسايرة الموقف الناشيء عن تخلي الناس عن اولاد الامير يوسف وتكتلهم الى جانب الامير بشير [١] .

ومما ذكره مؤلف الغرر من سيرة عبد الله باشا في حوادث سنة ١٢١٥ هـ ان يوسف باشا اخا عبد الله باشا عين واليا لطرابلس وكان اخوه يبغضه فابى اهل المدينة قبوله واخرجوه الى الميناء . وحاول ارغامهم بالقوة فاخفق فابحر الى اللاذقية . وعين عبد الله باشا مكانه ابراهيم سلطان من اهل البلد ومصطفى بربر دزدارا (قائدا) على القلعة [٢] .

وذكر المؤلف نفسه في حوادث سنة ١٢١٦ هـ في مناسبة ذكر عودة الصدر الاعظم من مصر بعد جلاء الافرنسيين عنها (١٨٠١ م) انه اقام في الشام اياما وقرر عبد الله باشا العظم واليا عليها [٣] . والعبارة قد تفيد ان عبد الله باشا فصل عن ولاية الشام في هذه الآونة كما قد تفيد ان هذا هو عمل تقليدي .

وذكر في سياق حوادث سنة ١٢١٦ هـ ان مصطفى بربر عصى على عبد الله باشا واستولى على حكم طرابلس وطرد ابراهيم سلطان . ولم يذكر المؤلف ما فعل عبد الله باشا بل قال ان الاوامر وردت الى عبد الله باشا واستولى على حكم طرابلس وطرد ابراهيم سلطان . ولم يذكر المؤلف ما فعل عبد الله باشا بل قال ان الاوامر وردت الى عبد الله باشا بان خاطر الدولة صفا عليه وارجع الى ايالة الشام وطرابلس .

وعلل ذلك فقال ان الدولة فعلت ذلك لاجل تمشية الحج لانها تحققت ان ابا مرق لا يقدر على الحضور للشام [٤] . في حين لم يذكر

---

(١) ص ١٩٩ — ٢٠٦ .　　(٢) ص ٢٠٥　　(٣) ص ٢٤٩ .

(٤) ص ٣٦١ كان ابو مرق متسلما ليافا تابعا للجزار فتحداه واعلن استعدادهلتمشية الحج فقبلت الدولة وعينته اميرا للحج فثار غيظ الجزار عليه وارسل عسكرا للتنكيل به وضرب عليه الحصار مما جعل الدولة تغضب على الجزار وتعلن بمنشور غضبها عليه وتطلب من الامير بشير ومن عبد الله باشا مساعدة ابي مرق ضده (انظر الغرر ص ٣٦١ — ٣٧٠) .

المؤلف خبر غضب الدولة عليه أو خبر انفصاله عن الولاية .
والمتبادر ان مصطفى بربر تمرد وطرد ابراهيم سلطان أثناء ذلك .
ومن المحتمل ان يكون خاطر الدولة قد تكدر على عبد الله باشا لرفضه ولاية اخيه يوسف على طرابلس التي من المحتمل ان تكون وجهت اليه من الاستانة رأسا . وهو المعقول لانه لا يعقل ان يكون يوسف باشا مكروها من اخيه ثم يعينه لولاية طرابلس ويحرض عليه اهلها في الوقت نفسه ..

ومما ذكره مؤلف الغرر ان الجزار حينما غضبت الدولة عليه حاول ان يغري عبد الله باشا بالتضامن معه وتملك بلاد الشام بل وقال انهما اتفقا . غير انهما لم يلبثا ان اختلفا وعادا الى صيالهما [1] .

كذلك مما ذكره المؤلف ان القبوقول ثار سنة ١٢١٨ على وكيل عبد الله باشا أثناء غياب هذا الحج . فلما رجع حاصر القبوقول في القلعة واستولى عليها عنوة وقتل رئيس المنظمة كما قتل شخصا اسمه محمد آغا عرفة اميني الذي كان محرضا لآغاة القبوقول على ثورته وصادر كل من كان له صلة بالحركة [2] .

وفي سنة ١٢١٨ سار عبد الله باشا للتنكيل بمصطفى بربر المتمرد فاستغاث هذا بالجزار فارسل اليه مددا من البحر . وتمكن رجال عبد الله باشا من صدهم وقتل مقتلة كبيرة منهم فارسل الجزار مددا آخر وهبت عليهم عاصفة بحرية اغرقت ثمانية من مراكبهم بمن عليها من رجال وما فيها من ذخيرة .

ثم قال مؤلف الغرر الذي ذكر هذا ان الجزار اتهم عبد الله باشا بانه صار وهابيا حينما ذهب الى الحج وتعهد بتمشية الحج وقهر الوهابيين فصفا خاطر الدولة عليه ووجهت اليه ايالة الشام وطرابلس وارسل عسكرا للشام فاستولوا عليها واعلنوا حكم الجزار فيها وقبضوا على عبدالرحمن

---

(١) ص ٣٦٨ ــ ٣٧٠ .   (٢) ص ٣٧١ .

المرادي وصادروا منه اموالا وتحفا لا تحصى وقتلوه وقتلوا كذلك اغاة القلعة ثم توجه بعضهم فاستولوا على حمص وحماه • وكان عبد الله باشا آن ذاك محاصرا لطرابلس فلما بلغه ما صنعه عسكر الجزار عاد • وفي طريقه التقى بعسكر الجزار عند حماه فدارت بينهم الحرب وكتبت الكسرة على عسكر الجزار حتى لم ينج منهم الا القليل والذين نجوا وهربوا شلحهم العرب • وقتل عبد الله باشا متسلم حمص عبد الله المحمودي الذي انحاز الى الجزار مع انه منصوب من قبله • ثم سار الى دمشق ونزل خارجها • وفي هذه الاثناء ظهرت الخيانة من عسكره ففر هاربا بانفار قليلين الى ان حل في بغداد حيث بقي سنتين بعيدا عن الشام • فلما كانت سنة ١٢٢٠ وكان الجزار قد توفي في السنة السابقة تواردت الاخبار بان والي بغداد توسط في أمره فصدرت الاوامر بعودته الى ولاية الشام وما لبث ان جاء ودخل الشام بالعز والاكرام [١] •

ومما ذكره الغرر من سيرته بعد عودته الى الولاية خبر خروجه الى بلاد نابلس لجباية الاموال الاميرية كالعادة بعد قليل من عودته الى الحكم وعصيان اكثر قرى جبل نابلس عليه واشتباكه معهم بقتال مني فيه بالكسرة اولا ثم تغلب عليهم وجبي المال وعاد الى الشام [٢] •

وقال المؤلف بعد هذا ان عبد الله باشا اخذ يجهز المحمل وجبي من اهل الشام المغارم وافرط في الجور والمظالم • ثم خرج على رأس المحمل ومعه وزير ارسلته الاستانة للاشراف على شؤون الحج وكان مولعا بالخمر حتى سماه الناس سكران باشا • ولما وصل الركب الى المدينة وجدها عبد الله باشا قد دخلت تحت سلطان الوهابيين — ويسميهم مؤلف الغرر الموهب — وارسل حاكمهم الى عبد الله باشا يطلب المال فاعطاه اياه ثم دخل الحج بلاد الحجاز قاصدا مكة فاعترض طريقهم عرب حرب فوقع القتال بينهم وبين ركب الحج • وقد تأخر الركب بسبب ذلك

---

(١) ص ٤٠٤ و ٤٣٤ .　　(٢) ص ٤٣٤ .

حتى ان عبد الله باشا دفع للوهابيين (٣٠٠) كيس ليقدموا له ما يحتاج اليه من جمال وتضايق الحجاج كثيرا وكثير منهم تركوا اثقالهم وذهبت منهم اموال لاتحصى ، وقد لاقوا في عودتهم مشقة عظيمة وهلك كثير منهم بسبب العطش وكان سكران باشا من جملة الهالكين (١) .

وبعد قليل من عودة عبد الله باشا من الحج جاءت حملة وهابية الى اطراف حوران وكانت في ثلاثمائة هجان فارسل اليهم عسكرا حاصروهم في قرية الى ان فرغ بارودهم فاستسلموا فقطع قائد العسكر رؤوس ١٥٠ منهم واخذ خمسين هجينا وعاد الى الشام وكان ذلك سنة ١٢٢١ هـ (٢) .

وفي السنة نفسها ثارت الفتنة بين الانكشارية والقبوقول وكانت الغلبة للاولين بتأييد من عبد الله باشا (٣) . وخرج عبد الله باشا بعد قليل للدورة المعتادة فاغتنم القبوقول الفرصة وخرجوا من القلعة واخذوا يعملون يد التحريق والنهب والتدمير . واحرقوا اكثر الاسواق المجاورة للقلعة ونهبوا اموالا وخربوا عمارا لا يحصى . وعاد عبد الله باشا ولكنه لم يستطع اخماد لهيب الفتنة بالمرة حيث ظلت حالة الشام مضطربة (٤) .

وفي سنة ١٢٢٢ هـ خرج عبد الله باشا بالحج كالعادة ولكنه عاد دون ان يصل الى مكة لان الوهابيين طلبوا من عبد الله باشا الصر (المال الذي ترسله الدولة عادة لتوزيعه على اهل الحجاز) فوجهه اليهم وبعد ان استلموه ارسلوا انذارا الى عبد الله بالرجوع وهددوه بتسليط العرب على الحج اذا لم يرجعوا فرجعوا (٥) .

وفي السنة نفسها جاء امر من الاستانة بتوجيه الولاية الى يوسف الكنج لان الدولة تحققت من شدة بأسه وقدرته على تسيير الحج فتخلى عبد الله باشا عن الحكم والتزم داره (٦) . وكان يوسف الكنج هذا قد

---

(١) ص ٤٣٥ . (٢) ص ٥٠١ (٣) ص ٥٠١ — ٥٠٢ .

(٤) ص ٥٠٢ . (٥) ص ٥١٢ . (٦) ص ٥٢٠ — ٥٢١ .

نشأ في كنف الملا اسماعيل متسلم وقائد حماه وارتقى حتى صار رئيس الدالاتية (نوع من الجند) في حماه ثم ارتقى ودخل في باب عبد الله باشا وصار رئيسا للدالاتية عنده على ما ذكره مؤلف الغرر في السياق ٠ وقد خافه اهل الشام وشدد النكير على الاقوياء والانكشارية وكسر شوكتهم ٠

وقد ذكر مؤلف الغرر عبد الله باشا بعد ذلك مرة في حوادث سنة ١٢٢٩ حيث قال ان الدولة امرت برفع اطواخ عبد الله باشا بن محمد باشا العظم وعزله عن اورفه واقامته في مدينة حماه [١] ٠ ولم يذكر قبل خبر تعيينه لاورفه ٠ والمتبادر ان الدولة حينما عينت يوسف الكنج مكانه لم تسقطه من خدمتها بل عينته لولاية اخرى ٠ ثم بدا لها لاسباب لا يذكرها المؤرخ ان تعزله وتسحب منها الامتيازات او الاوسمة التي منحته اياها وكانت تضمن له الامان والتكريم ٠

ولقد ذكر مؤلف خطط الشام عبد الله باشا وولايته لدمشق سنة ١٢١٠ هـ ويستفاد من سياقه انه تولاها ثلاث مرات بين سنتي ١٢١٠ و ١٢٢٢ هـ وهذا ما يلحظ من ما ذكره مؤلف الغرر ايضا ٠ وقد ذكر كثيرا من الاحداث التي جرت في عهده وذكرها مؤلف الغرر متطابقا حينا ومتخالفا حينا آخر في التفاصيل ٠ ولم نر طائلا من نقل سيرته عنه مرة اخرى [٢] ٠ وننبه على انه لم يذكر ولايته لاورفه و لانزع الاطواخ منه والزامه الاقامة في حماة ٠

وهكذا تكون الاسرة العظمية قد تولت ولاية دمشق نحو قرن أي من الربع الاول من القرن الثاني عشر الى الربع الاول من القرن الثالث عشر الهجري باستثناء فترات قصيرة ٠ فكان ناصيف باشا ــ اذا صحت نسبته اليها ــ ثم اسماعيل باشا ثم اسعد باشا ثم محمد باشا ثم عبد الله باشا ٠

---

(١) ص ٦٠٣ ٠

(٢) انظر خطط الشام ج ٣ ص ١٠ – ١١ و ١٨ – ٢٠ و ٢٦ – ٢٧ ٠

ولاة آخرون من بني العظم

- ٧ -

وبالاضافة الى ذلك فقد تولى عدد غير قليل من رجال بني العظم ولايات اخرى مر ذكر بعضها في سياق الكلام كولاية سليمان باشا لصيدا ولطرابلس واسعد باشا لصيدا ومحمد باشا لصيدا وسعد الدين باشا لطرابلس وصيدا وحلب ويوسف باشالطرابلس وخليل باشا لطرابلس ورحمون بك او عبد الرحمن بك لطرابلس [١] . وهناك رجال آخرون منهم تولوا ولايات أخرى لم يرد ذكرهم سابقا . من ذلك ولاية اسعد بك لحماه في حياة ابيه اسماعيل وياسين بك بن ابراهيم باشا للاذقية في حياة ابيه وحسن بك اخي اسماعيل للمعرة [٢] . ويحيى بك متسلم حماه الذي ذكره مؤلف سنة ١٢٢١ هـ في مناسبة ذكر خبر عصيان صقر المحفوض شيخ النصيرية وحاكم صافيتا وطلب متسلم طرابلس نجده من الامير بشير الشهابي لاخضاعه حيث ذكر ان يحيى العظم متسلم حماه ارسل كتابا الى مصطفى بربر لاجل الوفق مع الشيخ صقر [٣] ، وسليم بك بن عبد الرحمن بك بن سعد الدين باشا متسلم حماه ايضا الذي ذكره في حوادث سنة ١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م في مناسبة ذكر اتفاق الملا اسماعيل متسلم وقائد حماه السابق مع جماعة من عرب عنزة حيث شق عليه ذلك فسار الى الشام واطلع الوالي على الامر وقال له ان ذلك سيؤدي الى خراب حماه وتم الاتفاق بينه وبين الوالي على التربص به وترقب الفرصة لقتله لان قوة مركزه في حماه تجعل قتله اعتباطا وجهرة

---

(١) انظر خطط الشام ج ٣ ص ١٠ - ١١ و ٨ ١- ٢٠ و ٦ - ٢٧ .

(٢) الغرر الحسان نسخة رستم ج ٢ ص ٢٩١ .

(٣) ج ٢ ص ٥٠١ نسخة رستم .

متعذرا . وقد تهيأت الفرصة فيما بعد واطلق الجند عليه الرصاص في موقف فتنة وصخب وفي مجلس كان فيه سليم بك نفسه وكاد العسكر الذين اطلقوا الرصاص على الملا يقتلون سليما ايضا مما ارعبه حتى مرض ومات [1] ...

ومتسلمية سليم بك كانت بعد انقطاع عهد الاسرة بولاية الشام حيث يدل ذلك على ان وجاهة الاسرة ظلت تخدم بعض افرادها وتضعهم في مركز الحكم .

وهكذا يصدق قول مؤلف الخطط بان هذه الحقبة كانت دور آل العظم وانهم حكموا بلاد الشام من اقصاها الى اقصاها مدة قرن [2] ، باستثناء شمال فلسطين ولبنان في زمن ولاية الجزار ١١٩٠ ـ ١٢١٩ هـ.

وهذا ولقد ذكر مؤلف الغرر اسم ناصيف باشا العظم في حوادث سنة ١٢١٣ ـ ١٧٩٨ بمناسبة ذكره حركة مماليك مصر وغزوة نابوليون وقيامه بدور فعال مما يسوغ التنويه به في هذا المقام . والمستفاد من سياق المؤلف ان ناصيف باشا كان لاجئا عند مراد بك كبير المماليك وصاحب السلطة آنئذ ـ دون ان يذكر سبب ذلك ونشأة ناصيف باشا ـ وانه اندمج معه في مناضلة الافرنسيين وابلى بلاء عظيما حتى انه قاد كتيبة من الغز (اسم الجند التركي الذي كان في خدمة مماليك مصر) وتملك مدينة القاهرة وبلغ امره الى ان صار علما من اعلام الموقف . ولم يذكر المؤلف كذلك ماذا جرى له بعد جلاء الافرنسيين ولكنه عاد فذكره في حوادث سنة ١٢٢٩ هـ ـ ١٨١٣ م فقال انه قطن في حماه وتوفي فيها [3] .

---

(١) ص ٦٣٧ ـ ٦٣٨ .

(٢) الخطط ج ٢ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

(٣) ص ٢٢٩ و ٣٠٢ ـ ٣١٢ نسخة رستم .

بنو العظم بعد حكم الاقطاع والمشهورون منهم

— ٨ —

ومع انتهاء بروز الاسرة كحكام وولاة في عهد الاقطاع فانها نمت حتى تجاوز عدد ذراريها الالف وبرزت وظلت بارزة الى الآن كأسرة اقطاعية كبيرة لها الاملاك والقرى والمنشآت والمكانة الاجتماعية والاقتصادية في دمشق وحماه . وصار لبعض رجالها بروز في مجال الحكم والوجاهة بعد زوال حكم الاقطاع مستمد من تاريخها ومكانتها حيث كانت الدولة تولي بعضهم المناصب وتمنح بعضهم الرتب والالقاب. واستمر هذا الى ما بعد الدولة العثمانية ، مع الصفة التي ذكرناها أي ان بروزهم وتوليهم ما تولوه من مناصب كان متصفا بصفة الدولة ولم يكن مستمدا من عصبية ذاتية ان صح التعبيران .

ومن مشهوريهم في هذا الباب صادق باشا المؤيد العظم سفير الدولة العثمانية في الحبشة في اوائل القرن الرابع عشر . وقد انتخب احد بارزيهم شفيق المؤيد العظم نائبا عن دمشق في المجلس النيابي العثماني الذي انعقد بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ م — ١٣٢٦ ه وكان له نشاط في سبيل الفكرة العربية الحديثة فانشأ جمعية الاخاء العثماني واصدر جريدة عربية اللسان بهذا الاسم في الاستانة . وكان ممن اعدمهم الطاغية جمال سنة ١٩١٥ م في أثناء الحرب العالمية الاولى نتيجة لنقمة رجال جمعية الاتحاد والترقي التي كانت قابضة على زمام الحكم على الحركة العربية والساعين في سبيل اهدافها . وقد عينت الحكومة محمد فوزي باشا العظم احد رجالهم عضوا في مجلس الاعيان ثم وزيرا للاوقاف سنة ١٩١٢ م حينما ارادت استرضاء العرب الذين كانوا يطالبون بحقوقهم في الدولة نتيجة لتلك الحركة . وانتخب نائبا عن دمشق للمؤتمر

السوري العام الذي انعقد في دمشق اثر جلاء العثمانيين عنها وقيام حكومة فيصل فيها سنة ١٩١٨ م ثم رئيسا له في دورته الاولى التي انعقدت في سنة ١٩١٩ م ومات في نفس السنة . وبعد قليل من انهيار حكومة فيصل انتدب الجنرال غورور المندوب الافرنسي الذي سير الحملة الباغية وقضت على هذه الحكومة في ٢٤ تموز ١٩٢٠ م حقي العظم رئيسا أو حاكما عاما لسورية تحت الانتداب الافرنسي . وعين المندوب الافرنسي جوفنيل سنة ١٩٢٥ عبد القادر العظم وواثق المؤيد العظم وزراء في وزارة الداماد احمد نامي التي تألفت أثناء الثورة السورية الكبرى . وفي سنة ١٩٣٢ عين المندوب الافرنسي بونسو حقي العظم ثانية رئيسا للوزارة في عهد جمهورية محمد علي العابد التي اقامها. وفي سنة ١٩٤١ عين المندوب الافرنسي خالدا العظم ـ ابن فوزي باشا ـ لرئاسة الحكومة السورية . ثم انتدب خالد مرة بعد مرة وزيرا ورئيسا للوزارة السورية بعد جلاء الافرنسيين عن سورية كان آخرها سنة ١٩٥٧ التي كان فيها وزيرا للمالية والتي قررت الاتحاد مع مصر في وحدة تامة . وقد ترشح لرئاسة الجمهورية ١٩٥٥ فلم يحصل على الاكثرية اللازمة . وانتدب عبد الرحمن العظم احد افراد فرع الاسرة المستقر في حماة وزيرا وسفيرا اكثر من مرة بعد جلاء الافرنسيين كذلك [1] .

---

(١) هذه النبذة من ذاكرة المؤلف وسماعه ومشاهداته .

— ٤ —

زعامة جبل دروز حوران
اوليتها ومصادر تاريخها

— ١ —

لقد قام منـــذ اواسط القرن الحـــادي عشر الهجري زعامة اصيلة العروبة في جبل حوران من النحلة الدرزية مارست الحكم والسلطان المحلي فيه ، وما تزال آثارها قائمة الى الآن • وقد كان لها نشاط وحيز كبيران خاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر مما جعل لها اسما داويا وجعلها جديرة بان تسلك في سلك هذا الكتاب كمظهر من مظاهر السلطان العربي المحلي في فترة من فترات التغلب التركي •

ولقد كتب كريم ثابت كتابا عنها بمناسبة الثورة السوريـــة التي انفجرت سنة ١٩٢٥ ضد الانتداب الافرنسي والتي كان قائدها احـــد رجال هذه الزعامة سلطان الاطرش ثم التي كان لدروز جبل حوران عامة نصيب كبير فيها • وقد استقى ما دونه في كتابه من مشاهداتـــه ومسموعاته وتحرياته ثم من كتب ورسائل عديدة مخطوطة ومطبوءة • ومن هذا الكتاب استقينا ما اوردناه في الجزء الاول من هذا الكتاب عن النحلة الدرزية • وفي الغرر الحسان بعض اشارات الى دور حوران وزعامتهم • وفي كتاب ابراهيم باشا في سورية لسليمان ابي عز الدين بعض نبذ عنهم في سياق احداث حملة ابراهيم باشا • وهذه الكتب الثلاث مع مذكراتنا المخطوطة وذكرياتنا ــ لاننا شهدنا كثيرا من احداث جبل دروز حوران في زمن الانتداب الافرنسي ودوناه في بعض كتبنا ومنها الجزء الثاني من كتابنا حول الحركة العربية الحديثة ــ هي معولنا في هذه النبذة •

وجبل حوران الذي كان مقر هذه الزعامة هو الى الجنوب مـــن

دمشق وقد صار يعرف باسم جبل الدروز بعد هجرة الاسر الدرزية من لبنان اليه في القرن الحادي عشر وغطت تسميته هذه على اسم جبل الدروز الذي كان يطلق قبل ذلك على جبل الشوف على ما ذكرناه في سيرتي بني معن وبني شهاب في الجزء الاول . وفيه قلاع ومدن وقرى وآثار قديمة تدل على انه كان معمورا في زمن اليونانيين والرومان فضلا عن زمن العرب من بعدهم [1] . غير ان اهميته العمرانية قد خفت فيما بعد كثيرا وقل سكانه حتى كاد يقفر . ولكن نزوح الدروز اليه اعاد اليه العمران واثار فيه الحيوية والنشاط مجددا .

زعامة بني حمدان واحداث عهدها الهامة

— ٢ —

وقد كان نزوح الدروز اليه متواليا وليس دفعة واحدة . واولى دفعات النزوح كانت بزعامة اسرة تعرف ببني حمدان التي كانت تنتمي الى النعرة اليمنية واضطرت الى النزوح مع جماعة من ذوي نعرتها الدروز في ظرف استعلى فيه القيسيون على اليمنيين [2] .

ومما قاله اسكندر معلوف عنهم على ماذكره كريم ثابت في كتابه[3] انهم من كبراء الدروز في لبنان بعد الامراء وان مركزهم كان قرية كفرا في غرب لبنان قرب شملان وان الامراء التنوخيين — القيسيين — ناوأوهم وخربوا املاكهم فساروا الى حوران ومعهم آل فخرالدروز ثم اخذ يلتحق بهم اسر درزية يمنية حتى صاروا كتلة قوية وكبيرة فانتشروا في مدن الجبل وقراه وعمروها .

وكانت الزعامة لمشايخ بني حمدان متسلسلة من الآباء الى الابناء الى اواسط القرن الثالث عشر حيث حل محلهم فيها آل الاطرش .

وقد ذكر مؤلف الغرر الحسان [4] المشايخ بني حمدان في سياق

---

(١) كتاب كريم ثابت ص ٢ — ٨ . (٢) المصدر نفسه ص ١٠ (٣) ص ١١
(٤) ج ٣ ص ٦٧٤ نسخة رستم .

ونوه بما كان منهم نحوه من معروف وخدمة في الاكرام والذخائر وقال انهم مشايخ دروز حوران وان اصلهم بلاد الدروز جبل الشوف مقاطعة الغرب من قرية كفرا وأن جدهم حمدان هو الذي نزح الى جبل ذكر رحلة الامير بشير الشهابي الثاني الى حوران سنة ١٨٢٠ ــ ١٨٣٦ حوران واقتنى فيه القرى والمواشي وتظاهر عند الدول ــ والمقصود الحكام والولاة ــ فصار له ماصار من شأن وزعامة . وقد سمي المؤلف بعض أكابرهم الذين احتفوا بالامير بشير مثل المشايخ يوسف ويحيى وحمد ومحمود . وقد ذكرهم المؤلف المذكور مرة ثانية في حوادث سنة ١٢٤٤ ــ ١٨٢٨ [1] فقال ان والي الشام صالح باشا غضب على بيت الحمدان وقبض على كبيرهم الشيخ يوسف وسلب ماله وقتله فنزح أهله الى جبل الشوف فقبلهم الامير بشير واكرمهم وانزلهم في قرية نيحا ورتب لهم المرتبات وقدم لهم كل ما يحتاجون اليه وبقوا في حمايته الى ان عزل الوالي وجاء وال جديد فكتب للامير باعادتهم الى اوطانهم على ان يكونوا متسلمين كما كانوا فخلع عليهم الامير واكرمهم وعادوا ناشرين رايات الحمد والثناء .

وكلام المؤلف صريح بانهم كانوا يتولون الحكم المحلي في جبل حوران ابناء بعد آباء كما هو المتبادر الى سنة ١٨٢٨ ثم أقصوا عنه فترة ثم عادوا اليه .

وليس في المصادر الميسورة شيء ذو بال من سيرتهم وخاصة مما يعود الى ما قبل القرن الثالث عشر . ومع اقتضاب ما مر عنهم فانه يدل على انه كانوا ذوي يد طائلة وشأن وعنف ، سواء فيما ذكر من كرمهم وقراهم للامير بشير أم فيما كان من غضب والي الشام الذي يرجح ان سببه ما كان عليه الدروز وزعماؤهم من حرص شديد على استقلالهم وطابعهم الخاص وما كانت تفرضه عليهم نحلتهم من الانكماش والعصبية والحساسية بالنسبة للاكثرية السنية التي كانت تسكن حوران وسائر انحاء الشام والتي كان معظم الحكام منهم .

(١) ج ٣ ص ٧٩٥ نسخة رستم .

ولقد جعلهم هذا وذاك يهتمون للتسلح والتمرن على استعمال السلاح والفروسية ليكونوا على استعداد للدفاع والهجوم وفقا لما يواجهونه من ظروف • وكان ينشب بينهم وبين جيرانهم من بدو وحضر احتكاكات ومصادمات • فمن المحتمل كثيرا ان يكون غضب الوالي على كبيرهم او حاكمهم الشيخ يوسف بسبب موقف عناد او عنف وقفوه ازاء فريق من جيرانهم أو مطلب من مطالب الوالي •

وفي ما ذكر مؤلف الغرر من طلب الوالي الجديد من الامير بشير اعادتهم لاشغال مراكزهم الحاكمة دليل على ما كان لهم من شأن وما احدثوه بعد نزوحهم من فراغ •

ثورة الدروز الكبرى ضد حملة ابراهيم باشا
بزعامة بني حمدان

— ٣ —

ولقد كان لهم موقف عنف وعناد قوي شديد في عهد الحملة المصرية وحكم ابراهيم باشا بزعامة حاكمهم الشيخ يحيى يمكن ان ان يكون مثلا من امثلة مواقفهم السابقة ولا سيما انه تكرر مرة بعد اخرى وحفظه لهم التاريخ الذي لم يحفظ لهم مواقفهم السابقة •

وقد ذكر ذلك بشيء من التفصيل مؤلف كتاب ابراهيم باشا في سورية [١] مقدما كلامه بمقدمة اشار فيها الى ما كان من ميل دروز حوران الى الحرية واقتناء السلاح والتمرن عليه حتى غدو وكأنما هم جيش محارب فيه الجنود والقواد لما كانوا عليه من أهبة واستعداد دائم بسبب ما كانوا يتعرضون له من تحرشات ويقع بينهم وبين جيرانهم من احتكاك حتى قال قائلهم :

حنا بني معروف نحمي الجار ولو جار
نهوى المزند فتيلك ما نداريه

(١) ص ١٩٤ — ٢٢٠ .

وسيوفنا الحدب تبري كل زنار
وسلاحنا لو صدى بالدم نجليه

بارودتي فلنطة ومزنرة بسوار
حالفة رصاصها عالارض ما ترميه [١]

وقد نشب ذلك الموقف تتيجة لامر ابراهيم بتجنيد شبان بلاد الشام ومن جملتهم دروز حوران • وقد استدعى شريف باشا حاكم الشام شيخ مشايخهم وحاكمهم الشيخ يحيى الحمدان للبحث معه في تنفيذ الامر وكان ذلك سنة ١٨٣٧ ــ ١٨٥٤ فلما اتجه بالامر بيّن للوالي حالتهم وظروفهم وطلب اعفاءهم من ذلك فأصر الوالي فرفض الشيخ بشدة جعلت الوالي يقسو في المقابلة ويهينه ويكرهه على الموافقة على الطلب خلال مهلة عشرة ايام • ورجع الشيخ ورفاقه الى الجبل غاضبين واجتمعوا مع الزعماء فقرروا تأييد الرفض واتفقوا مع عرب السلوط المقيمين في اللجاه ــ وهي منطقة شديدة الوعورة كثيرة المغاور الى شرق الجبل ــ على التضامن في الرفض والمقاومة وانتقل بعضهم اليها ثم انضم اليهم عرب الشمال واخذوا يتحرشون بالقوافل والدوريات المصرية ويتطاولون على القرى المجاورة • فسير شريف باشا كتيبة خيالة من الهوارة [١] ظنا منه انها كافية • وحاول القائد البصلي اغا الذي رافقه متسلم حوران ان يثنيهم عن موقفهم فاخفق ولم يلبثوا ان انقضوا على الكتيبة في الليل فانتصروا عليها وقتلوا عددا غير يسير منها وفر الباقي وكان متسلم حوران في جملة القتلى • فسير ابراهيم

---

(١) حنا ــ نحن • المزند ــ البندقية ذات الزناد • فتيلك ما نداريه ــ يريد الشاعر بذلك ان البندقية ذات الفتيل لم تكن مرغوبة • صدى ــ صدا • فلنطة ــ اسم اطلق على بندقية جديثة قصيرة جيدة •

(١) الهوارة قبيلة بربرية الاصل في رواية وعربية الاصل في رواية اخرى والاولى اوجه • ومنها فرع كبير في مصر من امد طويل •

عليهم حملة جديدة نظامية بقيادة قائد من قواده ومجهزة بالمدافع فاشتبكوا معها قرب بصرى الحرير فغلبتهم فتقهقروا امامها الى اللجاه فتبعتهم فلما بلغت مكانا شديد الوعورة انقضوا عليها وفتكوا فيها فتكا ذريعا وقتلوا واسروا عددا كبيرا وغنموا مقادير وافرة من المؤونة والسلاح • وارتاع ابراهيم فاعتزم ان يقود حملة بنفسه ولكنه شغل بتحركات الجيش العثماني فطلب من والده حملة جديدة فارسلها اليه مؤلفة من عشرة آلاف بقيادة قائد مشهور اسمه احمد المنيكلي وزحف على رأسها على الجبل • واستدرجها الدروز الى اللجاه وفتكوا فيها كذلك حتى بلغت خسائرها اربعة آلاف بين قتيل وجريح وكان القائد وعدد من الضباط في جملة الجرحى واستولى الدروز على مقادير عظيمة من المؤن والذخائر والسلاح والملابس • وكان لهذه الانتصارات صدى عظيم في انحاء بلاد الشام التي كانت نفوس اهلها هائجة ضد ابراهيم بسبب شدته ومحاولته جمع السلاح وتجنيد الشبان كما كان لها اثر شديد في عزيمة الجيش المصري • وارسل الدروز رسلهم ورسائلهم تدعو الى الثورة • واستجاب اليهم دروز وادي التيم فاعلنوا الثورة واخذوا ينهبون ما يقع لهم من قوافل • وسير والي الشام حملة عليهم صحبها الامير سعد الدين الشهابي امير حاصبيا فجمع الدروز امرهم بزعامة أحد ابطالهم شبلي العريان وهبوا للنضال • وانضم اليهم بعض الامراء الشهابيين من راشيا لثأر لهم قبل بني عمهم امراء حاصبيا وحاصروا الحملة في حاصبيا وكادوا يقضون عليها • غير ان نجدة جديدة جاءت ففكوا الحصار ثم انسحب العريان وجماعته الى جبل حوران وانضموا الى اخوانهم فيه • وارسل محمد علي حملة جديدة بقيادة قائده المشهور سليمان الفرنساوي وعززها بحملة من الارناؤوط وضم ابراهيم الى ذلك فرقة من عنده فبلغ مجموع الحملة الجديدة عشرين الفا • وسيرها ثم تبعها بنفسه للاشراف على المعركة • وقد عرف ان مسألة المياه في الجبل واللجاه مسألة حيوية له وللدروز فأمر بتسميم بعض

الآبار والصهاريج الامامية وأقام حراسة شديدة على ما هو في حاجة اليه منها ونشبت معارك شديدة في سبيل الماء استمرت نحو شهرين . وكان الدروز يشنون خلال ذلك غاراتهم الخاطفة على القرى والقوافل فينهبون السلاح والميرة ويقتلون ما يقع في ايديهم من قوات ابراهيم . واشتد ضغط الحملة عليهم فرأوا ان يخففوه فارسلوا شبلي العريان الى وادي التيم ثانية فاخذ يعيث فيها وهاجم راشيا وقتل متسلمها واستولى عليها وغنم ما فيها من مدافع وذخائر . واستطاعت حامية قلعتها ان تفر فتعقبها الدروز وفتكوا بها واستولوا على اسلحتها وامتعتها . وطار صيت شبلي واخذ دروز لبنان المناوئين للامير بشير وللحملة ينضمون اليه بالاضافة الى كثير من دروز حوران. وكان من جملة المنضمين اللبنانيين المشايخ حسن جنبلاط وناصر الدين العماد ومعهم نحو سبعمائة مقاتل ، ونجح الدروز في قصدهم حيث اتجه ابراهيم نحو وادي التيم . وكان صيال شديد بينه وبين العريان كتب النصر في النهاية لابراهيم في الوقعة الاخيرة التي كانت حاسمة والتي تسمى وقعة جنعم وكانت في تموز عام ١٨٣٨ برغم ما كان من بسالة الدروز ومقاومتهم وكرهم وفرهم وبطولة قائدهم . واعلن فريق منهم استعداده للتسليم فقبل منهم ابراهيم وعفا عنهم . ومع ان شبلي استمر في النضال مع الفريق الذي بقي مخلصا له مدة اخرى الا انه اضطر هو الآخر للتسليم فعفا عنه ابراهيم وعامله معاملة كريمة وعينه قائدا لاحدى الفرق المحلية . وانحصرت الثورة حينئذ في جبل الدروز فشدد ابراهيم ضغطه على الثوار ثم اضطرته الظروف السياسية والحربية الى التساهل وكان الدروز قد انهكت قواهم وفت خمود ثورة وادي التيم في عضدهم فاظهروا استعدادهم للتسليم وانقضت المشكلة مقابل تسليم كمية من السلاح مع اعفائهم من الجندية والضرائب والاذن لهم بحمل السلاح ومنحهم حق انتخاب شيوخهم بعد ان استمرت ثورتهم تسعة اشهر عنيفة شديدة . وكانت النتيجة مما قوى سمعتهم وهيبتهم .

وفي سنة ١٨٤٠ انتقل حكم الجبل الى الشيخ اسماعيل الاطرش على ما يذكره كريم ثابت [١] ثم استمر في أسرته الى عهد الانتداب الافرنسي . ولا يذكر المؤلف ظروف هذا الانتقال . وهذا التاريخ هو بعد انقضاض مشكلة الثورة الدرزية بسنتين وقبل سنة من انسحاب الحملة المصرية من الشام . ولعل ابراهيم رأى أن ينزع الزعامة من الحمدانيين الذين كانت الثورة عليه في عهدهم فكان هذا الانقلاب أو الانتقال في الحكم والزعامة .

زعامة بني الاطرش والاحداث الهامة في عهدها

— ٥ —

ويؤخذ من روايات أو تواريخ آل الاطرش كما يقول كريم ثابت [١] ان جدهم الاول هو علي بك العكس ، وانه كان يقيم في قرية تلبيثة غربي مدينة حلب . وان احد احفاده عبد الغفار بك نزح مع عائلته الى قرية برمانا ومعه قريب له اسمه عبد الفتاح بك . وان أسرة عبد الغفار بك انتقلت في عهد الامير بشير المالطي (الثاني الكبير) الى قرية ابل السقي بجوار حاصبيا ثم نزحت الى قرية اقليم البلان ثم الى مرجانا في غوطة الشام . وهنا تعرضت لاضطهاد عرب عنزة فرحلت الى جبل حوران .

وقد يدل السياق على ان نزوح عبد الغفار وأسرته كان قبل عهد الامير بشير الثاني . ولقد ذكر مؤلف الغرر في حوادث سنة ١٢٢٦ — ١٨١١ [٢] ان دروز الجبل الاعلى في اراضي حلب اضطهدوا من قبل السكان الذين تألبوا عليهم واشتبكوا معهم في وقائع حربية عديدة

---

(١) ص ٥٧ . (٢) ج ٢ ص ٥٧٢ نسخة رستم .

وانهم استغاثوا بالامير بشير فاحضرهم وفرقهم في انحاء الجبل وساعدهم على المعيشة والتوطن وانهم كانوا نحو اربعمائة أسرة ، حيث يتبادر من هذا ان النحلة الدرزية قد تسربت الى نواحـي حلب واعتنقها بعض أهلها ، ومن المحتمل ان يكو نعبد الغفار جد بني الاطرش من هؤلاء فنزح الى جبل لبنان حيث يقيم معظم الدروز • ومما يخطر بالبـال ان يكون من جملة من وقع عليهم الاضطهاد واستغاثوا بالامير واحضرهم هذا برغم ما قد يفيده السياق من سبق نزوحه لعهد الامير بشـير ، حيث يمكن ان يكون هنـاك لبس لابس الـذكريات والتواريـخ المرويـة •

وقد قال كريم ثابت [1] ان أسرة عبد الغفار حينما رحلت الـى جبل حوران نزلت في عاهرة ثم هبطت السويداء وطلب رئيسها الشيخ اسماعيل من حاكم الجبل الشيخ مزيد الحمدان ان يمنحه قرية يسكنها فاعطاه قرية الرحـا فلم ترقه فطلب اخرى فاعطاه القريـة مقابل مئـة رأس من المعز • وان اهل القرية طلبوا من الحاكم ان يقيم الشيخ محمد بن اسماعيل شيخا عليهم فاجابهم الى طلبهم • وقـد كـان هذا الشيخ أصم فعرف نسله ببني الاطرش بعد ان كـانت الاسـرة تعرف بآل عبد الغفار ، وانه خلف اربعة اولاد كان اكبرهم اسماعيل وانـه أول من تولى منصب حاكم الجبل في سنة ١٨٤٠ ـ ١٢٥٦ فكان ذلك تدشينا لزعامة الأسرة وبروزها في مجال الحكم والسلطان الاقطاعي • على نحو ما تقدم •

ولقـد جلت الحملة المصرية عن بلاد الشام بعد سنة من هـذا التاريخ فظل الشيخ اسماعيل محتفظا بالمنصب ثم تسلسل في ذريتـه حيث خلفه ابنه ابراهيم حينما مات سنة ١٨٦٩ ـ ١٢٧٥ ثم خلف هذا ابنه شبلي حينما مات سنة ١٢٩٨ ـ ١٨٩٢ ثم يحيى بن شبلي حينمـا مات هذا سنة ١٣٢٠ ـ ١٣٠٤ ثم سليم بن يحيى حينما مات هذا سنة

---

(١) ص ٥٧ ـ ٥٨ .

١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٨ م ، حيث ظل في المنصب الى سنة ١٩٢٣ ـ ١٣٣٨

ولقد الغت الحكومة العثمانية نظام الاقطاع المحلي واقامت مقامه تنظيمات ادارية في زمن ابراهيم بن اسماعيل ، وقد غدا جبل دروز حوران وفقا لهذه التنظيمات التي ادخل في نطاقها قضاء مربطا بتصرفية حوران . غير ان الحكومة راعت خصوصية الجبل التاريخية والاجتماعية والمذهبية فابقت ابراهيم في حكم الجبل باسم قائممقام ثم خلفاءه من بعده حينما كان يموت الذين قبلهم . ومع ان هذا كان هو اللقب الرسمي فان دروز الجبل ظلوا ينعتون صاحب المنصب باسم أمير جبل الدروز وظلت الاسرة التي تعاقب فيها المنصب تتلقب بلقب الامارة دون غيرها من أسر بني الاطرش امتدادا للسابق وما تزال .

ومما سجل لدروز جبل حوران في عهد حكم آل الاطرش ما كان من اشتباكهم سنة ١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٧ م مع عرب المعجل في حوران وكانوا هم المعتدين ولكن المعجل قابلوهم وكسروهم وقتلوا منهم سعين ثم هاجموا قافلة لهم قرب قرية براق وفتكوا في رجالها . فجمع الدروز جموعهم وهاجموا القبيلة بالقرب من مرج غوطة دمشق وقتلوا نحو ٤٠٠ منها (١) .

وفي سنة ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م غزا الدروز جيرانهم اهل قريتي معربة وغصم ـ وسكانهما مسلمون ومسيحيون ـ اثر شجار وقع بين نواطير كروم هؤلاء واولئك فقتلوا ٥٩ شخصا فضلا عن جرح عدد آخر ونهبوا القريتين وامتدت يدهم بالنهب اعتزازا بنصرهم الى قرى السهوة والجيزة والسماقية وطيس في سهل حوران فجردت الحكومة عليهم حملة عسكرية قوية بقيادة سامي باشا الفاروقي نكلت فيهم وقتلت منهم نحو الف ودمرت بعض قراهم وصادرت كثيرا من اموالهم فخضعوا ورضخوا (١) .

---

(١) كريم ثابت ص ٥٨ . (٢) ص ٥٨ ـ ٥٩ .

ولقد كان للدروز بزعامة سلطان الاطرش مواقف هامة ذات صبغة عربية قومية . فقد جاء نسيب البكري احد رجال الحركة العربية القومية منتدبا من الامير (الملك) فيصل بن الشريف حسين في أثناء الحرب العالمية الاولى وبعد اعلان الثورة الهاشمية ضد الدوله العثمانية في سنة ١٩١٦ م الى الجبل يحمل خطابا من فيصل الى اهل الجبل يدعوهم الى التضامن معه في حركة الثورة الهادفة الى استقلال البلاد العربية فاستجاب سلطان وفريق غير يسير من الدروز الى النداء وهيأوا سرية للاشتراك في الحركات الحربية العربية ورفع سلطان كزعيم للحركة العلم العربي الذي كان يتألف من الالوان الحمراء والخضراء والبيضاء والسوداء على داره في قرية « القريّة » التي كانت محل اقامته. وقد ارسل اليه الامير سليم حاكم الجبل كتابا يندد بعمله وينذره وينوه بقوة الدولة العثمانية بتاريخ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ هـ فرد عليه بكتاب قوي اللهجة وظل ثابتا في موقفه [1] . ولم يلبث الموقف الحربي ان تطور تطورا أدى الى انكسار الجبهة العثمانية وتراجعها من فلسطين ثم من سورية الجنوبية ثم من الشام الى الاناضول ودخول فيصل لدمشق في ايلول عام ١٩١٨ م فنال سلطان وجماعته حظوة في العهد الفيصلي الذي استمرا الى ٢٤ تموز ١٩٢٠ وظلوا ثابتين على اخلاصهم للحركة العربية برغم ما كان من دسائس الافرنسيين ودعاية صنائعهم وما اغدقوه من مال وبرغم ما كان من تأثير ذلك في جماعات قوية من الدروز .

وحينما سقطت حكومة فيصل نتيجة لغزوة الجنرال غورو عقد الموالون للافرنسيين منهم مؤتمرا قرروا فيه طلب تأسيس حكومة محلية خاصة بالجبل مع قبولهم بالانتداب الافرنسي وكان قرارهم ينطوي على:
١ ـ قيام مشيخة جبل حوران ممتدة حدوده الى دير علي وداخلا فيها كامل غربي اللجاه والصفاه و ٢ ـ رئاسة هذه الحكومة لحاكم ينتخبه الاهالي مرة كل ثلاث سنين يساعده مجلس استشاري منتخب

(١) كريم ثابت ص ٦٢ ـ ٦٨ .

و ٣ ــ استمداد حكومة الجبل ما تحتاج اليه من مساعدات فنية واقتصادية من الحكومة المنتدبة على ان لايكون لها أي تدخل في شؤون الجبل الداخلية ولا ان تجند منهم جنودا ولا تنزع منهم سلاحا ٤ ــ ان يعهد بأمور الجبل السياسية الخارجية لمأموري الحكومة المنتدبة على ان يكون للحكومة الوطنية مأمورون سياسيون في سورية وفلسطين ولبنان ، ٥ ــ ان تتألف موارد الجبل المالية من حصته في جمارك سورية وفلسطين وايراد الممالح والضرائب التي يطرحها المجلس، ٦ ــ ان يتنحى حاكم الجبل اذا خالف منافع الجبل ومصالحه وأخل بالقوانين من دون ان يحصل على فتوى من مشايخ العقل ، ٧ ــ ان يكون مشايخ العقل طول الحياة دون ان يكون للحكومة الوطنية والحكومة المنتدبة حق عزلهم أو تدخلهم في وظائفهم الدينية .

وقد حمل وفد منهم هذه اللائحة الى الشام حيث تفاوضوا مع سلطات الانتداب فيها وكان الوفد برئاسة الامير سليم الحاكم . وقد رحب الافرنسيون بهذه الحركة لانهم اختطوا خطوة تمزيق سورية اشلاء واقامة دول وحكومات عديدة فيها بقصد الكيد للحركة العربية ، واختطوا بنوع خاص بالنسبة للجبل خطة جعله معصما من معاصمهم الاستعمارية ، ومن ثم وافقوا على القرارات بعد ادخال تعديلات عليها تضمن اشرافهم التام على الجبل ، وخول مندوبهم السامي سليم الاطرش تأليف حكومة وفقا لذلك فدعا هذا زعماء الجبل في مايس عام ١٩٢١ م الى الاجتماع من اجل ذلك في السويداء فاجتمعوا وقرروا المناداة بسليم اميرا على الجبل وتقسيم الجبل الى ثلاث عشرة مقاطعة يكون في كل منها مدير ملكي وضابط عسكري وجرت انتخابات لمجلس نيابي واخرى لمجلس مديرين لمساعدة الامير وقرروا ان يكون للجبل علم خاص من الالوان الخضراء والصفراء والزرقاء والسوداء

ترمز الى رموز درزية دينية ثم يكون فيه ١٣ نجمة ترمز الى المقاطعات الثلاث عشر [١] .

وهكذا قام في الجبل حكومة وطنية اميرها سليم الاطرش والى جانبها مستشارون افرنسيون يهيمنون عليها بالاضافة الى اشراف المندوب السامي الافرنسي العام . ولم يندمج سلطان الاطرش وانصار الحركة العربية في هذه الحركة ووقفوا منها موقف المتربص .

ولم يلبث سلطان ان اصطدم بالافرنسيين اصطدامه الاول في سنة ١٩٢٢ م . فقد اتهمت السلطات الافرنسية شخصا اسمه ادهم خنجر بالاشتراك في محاولة اغتيال الجنرال غورو ففر الى جبل الدروز ونزل في دار سلطان . وكان سلطان غائبا . وعلمت السلطات به فارسلت جندا اعتقلوه . واعتبر سلطان ذلك عدوانا على كرامته وتقاليد الجوار العربية فاحتج وطالب باطلاق سراح ادهم . ولم يتلق جوابا على احتجاجه . وارسلت السلطات قوة لاخذ ادهم الى دمشق فخرج سلطان واخوته واصدقائه وهاجموا القوة وانقذوا ادهم من يدها . وعظم ذلك على الافرنسيين فقصفوا دار سلطان وقريته والقرى التي شدت أزره من الجو فخرج سلطان مع عياله الى حدود الاردن واخذ يدور بينه وبين القوات الافرنسية مناوشات . وبذل الافرنسيون جهدهم في القبض عليه فاخفقوا فاضطروا الى توسيط اقاربه لتسوية الامر بينه وبينهم وتم ذلك فعاد الى قريته [١] .

الثورة الدرزية ضد الافرنسيين وتطورها الى ثورة وطنية كبرى بزعامة سلطان الاطرش

— ٧ —

ولقد اخذ الافرنسيون بعد قيام الحكومة المحلية يدسون اصابعهم

---

(١) كريم ثابت ٧١ — ٨٣ .

(٢) كريم ثابت ص ٩١ — ٩٥ .

حتى غدوا الكل في الكل فيها • ثم اغتنموا فرصة موت الامير سليم سنة ١٩٢٣ م واختلاف مشايخ الدروز على من يخلفه في منصبه فعينوا وكيلا عنه ضابطا افرنسيا ثم ضغطوا على المجلس النيابي الدرزي حتى جعلوه يثبت الوكيل واسمه كاربيه حاكما اصيلا ناقضين بذلك صراحة الاتفاق الذي نص على ان يكون الحاكم وطنيا • وسار هذا سيرة قاسية اثارت المعتدلين من الدروز فضلا عن الوطنيين وجعلتهم يقدمون عرائض الشكوى التي كانت تحتوي الامثلة الكثيرة من الافعال السيئة التي كان يقترفها ويطالبون بحاكم وطني وباستقلال وطني صحيح فلم يبال الافرنسيون بذلك فطلب المعتدلون تبديل الحاكم بافرنسي آخر اصلح على الاقل فلم يجب طلبهم • واوفدوا الى المندوب السامي ساراي في بيروت وفدا من اجل ذلك • فاهان هذا الوفد وامر نائبه في دمشق باعتقاله واستدعاء زعماء آخرين واعتقالهم وكان بين المطلوبين سلطان فتخلف عن اجابة الدعوة • ولما عرف خبر اعتقال الزعماء هاجت الخواطر وهاجم فريق من الشبان الحامية الافرنسية في السويداء وفتكوا فيها • فثارت ثائرة الافرنسيين واخذوا ينكلون بالدروز ويعتقلون وينفون زعماءهم وارسلوا قوة لاعتقال سلطان فقابلها بالقوة وتغلب عليها فكان هذا ايذانا بالثورة ضد الافرنسيين وكان ذلك في تموز عام ١٩٢٥ م [١] •

ولقد تعددت وقائع الثورة وحالف النصر الثوار في معظمها • وكان من أهم وقائعها واقعة المزرعة (١٦ تموز ١٩٢٥) حيث ساق الافرنسيون قوة كبيرة بقيادة الجنرال ميشو لانقاذ الحاميات وقمع الثورة فانقض عليها الدروز في المزرعة وفتكوا فيها فتك ذريعا وغنموا مقادير كبيرة من السلاح والعتاد والامتعة • ولم يكد قائدها ينجو الا باعجوبة [١] • ثم واقعة المسيفرة (١٧ ايلول ١٩٢٥) حيث

---

(١) كريم ثابت ص ٨٤ ـ ١١٤ .
(٢) كريم ثابت ص ١١٥ .

ساق الافرنسيون حملة اقوى بقيادة الجنرال غاملان فتصدى لهـا الدروز في المسيفرة وفتكوا فيها كذلك . وتمكنت بعض كتائبهـا من الوصول الى السويداء غير انها لم تكد تحل في قلعتها حتى قطـع الثوار عنها الماء وحاصروها واضطرت الى الخروج فقتلوا جملة منها . وجمعت فلول الحملة شتاتها ، ثم هاجمت الثوار في قرية غرى حيث كان مركز الثورة الرئيسي فنشبت بينها وبينهم معركـة قويـة انتهت بارتدادها [1] . وقـد اظهر الدروز في هـذه الوقائع بطولة فائقـة وخسروا عددا من افرادهم وزعمائهم ولكن معنوياتهم ظلت قوية .

وكانت الثورة الى هذا الوقت درزية محلية . فرآها زعمـاء سورية الوطنيون الذين كانوا يتصاولون مع الافرنسيين في الميـدان السياسي في سبيل الحصول على استقلال بلادهم وحريتها ووحدتهـا فرصة ذهبية لصبغ الصيال بصبغة الثورة والنضال الحربي فـاسرعوا الى انتهازها وذهب فريق منهم ، منهم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وجميل مردم وحسن الحكيم ونسيب البكري وسعيد حيدر الى الجبـل حيث اجتمعوا بسلطان واتفقوا على توسيع الثورة وقلبهـا الـى ثورة وطنية عامة على ان يتولى هو قيادتها . ومنذئذ اخذت الثورة تتسـع حتى شملت الغوطة وحماه واقليم البلان ووادي التيم. ومثل المجاهدون السوريون الى جانب اخوانهم الدروز ادوارا رائعة من الجرأة وقـوة الشكيمة والتصميم وقدموا ضحايا غالية من قواد وافراد واستمرت الثورة شديدة نشيطة في مختلف ميادينها ردحا من الزمن حتى لقـد كاد ثوار الشام يسيطرون على دمشق ويأسرون الجنرال ساراي المندوب الافرنسي العام . وكان عدد من رجال الحركة العربية خارج بلاد الشام ينشطون في سبيل تدعيمها بالمدد والدعاية . وهال الافرنسيين الموقف فارسلوا الامدادات الكبيرة ودسوا اصابع الفساد والتخدير وقسوا في التدمير والفتك والغدر والاعتقال وقصفوا دمشق وحماه وقرى الجبل

---

(١) ص ١١٥ ــ ١١٨ .

والغوطة بالمدافع فاثر كل ذلك في الثوار الذين لم تكن قوتهم متكافئة بأي حال من الاحوال مع قوات فرنسة وامكانياتها والذين ظلت مواردهم شحيحة ، لان البلاد العربية الاخرى كانت في قبضة الانكليز وتحت كابوسهم الشديد فأخذت قواهم تضعف واستطاع الافرنسيون ان يتغلبوا عليهم ويستردوا الزمام الذي أفلت من ايديهم • وحينئذ انسحب ابطال الثورة وعلى رأسهم سلطان الاطرش الى شرق الاردن ومنه الى الجوف حيث ظلوا بضع سنين صابرين على الشظف والحرمان ثابتين على اهدافهم القومية •ولم يعودوا الى وطنهم الا بعد عقد معاهدة الاستقلال في سنة ١٩٣٦ التي ضمنت كثيرا من اهداف الثورة حيث استقبلوا باعظم مظاهر الحفاوة والتقدير • ومنذئذ وسلطان الاطرش يبدو زعيم الدروز المحترم المطاع وزعيما قوميا مكرما من السوريين والعرب [١] •

جبل الدروز بعد الثورة الدرزية

— ٨ —

ولقد حاول الافرنسيون بعد هدوء الثورة ان يسبغوا على استعمارهم صفة شرعية فسمحوا بانتخاب جمعية تأسيسية لوضع دستور • ورأوا دستور الجمعية أوسع من مآربهم فقيدوه • وأرادوا في الوقت نفسه ان يظل طابع الاستقلال الاداري والمالي قائما في جبل الدروز لضمان مآربهم فاصدروا دستورا خاصا له واقاموا حسن الاطرش ابن سليم آخر حكام الجبل والذي استمر يحتفظ هو وأسرته الخاصة بلقب الامارة [٢] محافظا فعاد حكم آل الاطرش ثانية لفترة قصيرة ، حيث تجدد الصيال بين السوريين وفرنسة ضد ما اقامته هذه من

(١) الجزء الثاني حول الحركة العربية الحديثة ج ٢ ص ٣١ — ٣٥ •

(٢) المصدر المذكور ص ٣٦ — ٤٦ •

جمهورية وعقدته معها من معاهدة ضمنت لها مآربها الاستعمارية (١٩٣٢) وادى الصيال الى ثورة جديدة في سورية وخاصة في دمشق سنة ١٩٣٥ جعلت الافرنسيين مضطرين الى التفاوض مع الوطنيين المخلصين وعقد معاهدة سنة ١٩٣٦ التي اشرنا اليها • وقد أقالت الحكومة الوطنية التي قامت وفاقا لهذه المعاهدة الامير حسن الاطرش سنة ١٩٣٧ وعينت مكانه محافظا غريبا وغير درزي فكان ذلك نهاية حكم آل الاطرش [١] ••• أما طابع الاستقلال الاداري والمالي الذي وضع الافرنسيون جرثومته في الجبل فانه ظل قائما معكرا صفو استقلال سورية ووحدتها الى ما بعد الحرب العالمية الثانية وجلاء الافرنسيين عن سورية في ١٧ نيسان ١٩٤٥ حيث سارعت الحكومة السورية المستقلة الى تصحيح الوضع وجعلت جبل الدروز محافظة عادية كسائر محافظات الدولة [٢] •

هذا ، ولقد شرحنا منشأ النحلة الدرزية وعقائدها وتقاليدها ودرجاتها في الجزء الاول من هذا الكتاب في سياق سيرة الدروز التنوخيين في لبنان استقاء من كتاب كريم ثابت فلم نر حاجة الى تكرار شيء من ذلك في هذا الفصل •

(١) المصدر السابق ص ٤٦ ـ ٥٧ .

(٢) بمشاهدة وذاكرة المؤلف .

زعامات عربية متنوعة في سهل حوران

لم نعثر في ما اطلعنا عليه من مصادر على شيء ذي بال عن بروز ارومات عربية في مجال الحكم والسلطان في سهل حوران . ومرد هذا فيما يتبادر لنا ان هذه البيئة كانت ولم تزل مباءة قبائل بدوية متحركة ومعالم العمران فيها هي قرى متناثرة فيها فلاحون ضعفاء عرضة لغارات هذه القبائل وابتزازها . ولم يكن فيها مدن تتجمع فهيا قوى حضارية تأخذ بزمام الحكم والسلطان .

ومما سجله التاريخ من حركات في سبيل الحكم والسلطان فيها حركة التحالف والتمرد على السلطان الفاطمي التي اندمج فيها سنان ابن عليان امير بني كلب في حوران مع صالح بن مرداس الكلابي وحسان ابن مفرج الطائي في اوائل القرن الخامس الهجري وقد اتفق الثلاثة على اقتسام الحكم في بلاد الشام بحيث يختص سنان بحكم حوران الى دمشق بينما يختص بن مرداس بحكم بلاد الشام الشمالية وحسان بن مفرج بحكم بلاد الشام الجنوبية او بتعيين أدق فلسطين . وقد نفذوا اتفاقهم . غير انه لم يكتب لحركتهم استمرار لان الحكومة الفاطمية سيرت جيشا التقى بقوات الحلفاء الثلاثة وهم على رأسها في فلسطين فغلبتهم وقتلت بعضهم فاخفقت حركتهم نتيجة لذلك على ما شرحناه في سيرة بني مرداس في الجزء الاول من الكتاب وفي سيرة الامارة الطائية الحارثية في هذا الجزء [1] .

ولقد ذكر الامير حيدر الشهابي في تاريخ خبر التنافس الذي نشب بين الشيخ عمر شيخ عرب المفارجة والشيخ رشيد شيخ عرب

---

(١) انظر ايضا خطط الشام للكرد علي ج ٢ ص ٢٤٩ — ٢٥٠

السردية في اوائل القرن الحادي عشر الهجري على هامش سيرة الامير فخر الدين المعني الثاني على مشيخة حوران . وكان الشيخ عمر حليفا للامير المعني وبينه وبين الشيخ رشيد تنافس على هذه المشيخة . فحينما كان الامير المعني منسجما مع ولاة الشام تكون المشيخة للشيخ عمر وحينما ينفسد الامر بينه وبينهم يبسم الحظ للشيخ رشيد فيكون هو صاحب المشيخة . وقد تكرر ذلك اكثر من مرة [1] .

والمتبادر ان هذا كان يجري في نطاق النشاط القبيلي البدوي ولم يكن يتضمن حكما وسلطانا بمعناهما الصحيح . ولقد ذكر هذا وصفي زكريا في الجزء الثاني من كتابه عشائر الشام وذكر بالاضافة اليه اسم شيخ آخر للسردية هو الشيخ محفوظ وقال انه كان يزود ركب الحج بالاباعر ويحميه من عدوان البدو لقاء جعل من الدولة . وقد نقل عن رحلة لسائح دانمياركي اسمه نيبوهر زار بلاد الشام في حدود سنة ١١١٠ هـ قول السائح ان شيخ السردية هو الامير الذي يعتمد عليه والي الشام [2] .

وهذا من قبيل ذلك مظهر من مظاهر النشاط القبيلي البدوي اكثر منه مظهر حكم وسلطان كما هو المتبادر .

وقد ذكر الاستاذ وصفي زكريا في الجزء نفسه وفي سياق ذكره قبيلة الفحيلية في قضاء الزوية احد اقضية حوران ان سائحا اسمه بركهارت زار بلاد الشام سنة ١٢٢٤ هـ فذكر في رحلته ان والي الشام كان يلبس كل عام شيخ هذه القبيلة فروة ويوظفه بجباية ضرائب عشائر حوران واللجاه لقاء تقديم ١٥ ــ ٢٠ كيسا وان القبيلة كانت تتقاضى خوة سنوية من كل قرى حوران وكانت تمتنع احيانا عن اداء ما عليها فتتصاول بسبيل ذلك مع وكيل الوالي في حوران [3] .

وهذا كذلك من ذلك كما واضح .

---

(١) انظر تاريخ الامير حيدر نسخة مفبغب ج ١ ص ٦٢٧ ــ ٧١٥ .
(٢) ص ٧٠ .
(٣) ص ٦٩ .

خـاتمة الفصل

يلحظ اننا لم نسجل في هذا الفصل بروز ونشاط ارومات عربية كثيرة في مجال الحكم والسلطان في سورية الوسطى خلافا لشمال سورية والجزيرة الفراتية ولبنان مما كان موضوع الجزء الاول من هذا الكتاب. وسبب ذلك ان المصادر التاريخية لم تمدنا بما يساعد على التسجيل. ويتبادر لنا ان مرد هذا ان هذه المنطقة كانت منطقة مدن وقصبات وقرى تألف أهلها من مزيج العناصر القديمة والطارئة ضعفت عصبيتهم لانتفاء الحاجة اليها من جهة وانصرافهم الى الحياة المدنية الفردية من جهة وكانت مركز سلطات الدولة السائدة من قوى عسكرية وحكام وولاة وبتعبير آخر كانت يد الدولة منبسطة قوية من جهة ولم تكن بلادا مستعصية المسالك من جهة، ويفسر هذا ما قام في جبل حوران من زعامة عربية قوية العصبية وما احتفظ به اهله من قوة شكيمة واستقلال لان ذلك متسق مع طبيعته وطبيعة اهله كما يفسره بعض الشيء ما كان عليه امر منطقــة اللاذقية المشابهة جغرافيا واجتماعيـا. ولقد كانت الطبيعة الجغرافية والحياة الاجتماعية مساعدة في لبنان وجزيرة الفرات وسورية الشمالية وبراري سورية فكثر نشاط العرب وتعددت اروماتهم التي برزت في مجال الحكم والسلطان فيها في مختلف ادوار حقبـة التغلب التركي على ما شرحناه في الجزء الاول كما كانت مساعـدة في شرق الاردن وفلسطين فتعددت الارومات العربية التي برزت فيهـا كذلك في ذلك المجال على ما سوف نشرحه في الفصول التالية.

الارومات العربية التي برزت مجال
الحكم المحلي في فلسطين

تمهيد .

في المصادر التي اطلعنا عليها نبذ كثيرة عن نشاط عدد غير يسير من الارومات العربية وبروزهـا في مجـال الحكم والسلطان في انحاء مختلفة في فلسطين . ومعظم هذه النبذ يحكى ذلك النشاط والبروز في زمن الحكم العثماني بل في أواخره . وقليل منها ما يمتد الى اوائـل هذا الحكم أو قبله . وهـذا لا يعني فيما يتبادر لنـا أن الارومات العربية في فلسطين لم تنشط الا في الحكم العثماني أو أواخره ، وكـل ما في الامر ان النشاط الذي بدا من الارومات العربية لم يقدم لهـا حظ من تدوين او تسجيل او ان ما سجل منه لم يصل الى ايدينا ، والنبذ القليلة التي روت شيئا من النشاط العربي قبل الحكم العثماني قد تدل على ذلك ، وقد تكون مما يقاس عليه . فبلاد فلسطين اكثرها جبلية ومعظم سكانها عشائر ذات عصبيات قوية ، وهذا فضلا عن انهـا في اكثر ادوارها كانت تخضع لاشراف ولاة الشام ونوابها . وكل هذا يجعل حكم البلاد المباشر من قبل شيوخ عشائرها طبيعيا اكثر كمـا هو المتبادر .

والارومات التي برزت في فلسطين متوزعة في جنوبها وشمالهـا ووسطها . وقد رأينا ان نجعل ارومات كل ناحية مع بعضها بقطع النظر عن تقدم بعضها على بعض في التاريخ .

أولا ـ في المنطقة الجنوبية ـ الرملة ـ القدس ـ الخليل

ـ ١ ـ

الامارة الطائية في الرملة

بالاضافة الى الامارة الطائية التي قامت في شمال سورية وجزيرة الفرات وامتدت الى العراق على أيدي امراء آل فضل وبني مهنا والحياريين وابي ريشة مما شرحناه في الجزء الاول فانه كان للطائيين في فلسطين بروز في مجال الحكم والسلطان ايضا حيث كان بعض فروع قبيلة طي منتشرة في هذا الاقليم .

ومن ذلك ما كان ابان السلطان الفاطمي حيث استغل زعيم طي في فلسطين أو في جهات الرملة منها مفرج بن دغفل الجراح فرصة ارتباك ألم في الدولة فقام بحركة تسردية تمكن بها من بسط سلطانه على هذه البلاد .

ولقد ذكر مؤلف خطط الشام حركة مفرج هذه في الجزء الثاني من كتابه [١] فروى فيما رواه ان الحاكم بامر الله الفاطمي أمّر في سنة ٤٠٤ باروخا التركي الملقب بعلم الدولة على جيوشه ولقبه امير الامراء وولاه الشام فلما سار باهله واثقاله اعترضهم مفرج واولاده فاوقعوا بهم وحازوا على جميع ما كان معهم واخذ باروخا اسيرا وقتله ثم سار الى الرملة فدخلها واقام فيها الدعوة لابي الفتوح الحسن ابن جعفر الحسني امير مكة وسماه امير المؤمنين ولقبه الراشد لدين الله وضرب له السكة واستحوذ على جنوب الشام وملكه من الفرما

---

(١) ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ج ٢ .

الى طبريا واستدعى ابا الفتوح من مكة فجاء الى الرملة ومعه اموال كثيرة فحجز عليه حتى هان امره • وكان الحاكم بذل اموالا جسيمة لمفرج لاجل تطويع ابي الفتوح له فاشار عليه بالرجوع الى طاعة الخليفة العلوي [1] فقبل وعاد الى مكة واقام فيها الدعوة للفاطميين وغدت بلاد الشام الجنوبية في أيدي بني الجراح الى سنة ٤٠٤ هـ حيث سير الحاكم حملة عظيمة وكوتبت الجيوش التي في دمشق والسواحل فسارت بدورها نحوه فغدا مفرج بين قوتين • وفي هذه الاثناء توفي فتخلى اولاده عن الرملة وغيرها من البلاد التي غلبوا عليها وذهبوا الى البرية •

ولم يمنع هذا حسانا ابن مفرج من اغتنام فرصة ارتباك آخر ألم بالفاطميين بعد قليل حيث تحالف وتواطأ مع صالح بن مرداس امير بني كلاب في ناحية حلب وسنان بن عليان امير بني كلب في ناحية حوران على التمرد على الفاطميين واقتسام البلاد فيما بينهم حيث تكون حلب ومنطقتها لابن مرداس ودمشق وحوران لابن سنان والرملة وفلسطين ــ وكانت الرملة هي العاصمة لفلسطين منذ الفتح الاسلامي ــ

---

(١) في السياق تناقض واضح الا ان يكون الحاكم الفاطمي قد اقر مفرجا على حكم فلسطين واغضى عنه موقتا . وتتمة السياق قد يؤيد ذلك . وقد قال مؤلف الخطط في آخر السياق انه قد لخصه من تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي (ص ٢٤٧) وننبه على ان ابن الاثير ذكر حادث خروج لمفرج في سنة ٣٧٠ فقال ان العساكر المصرية سيرت لقتاله لانه عظم شأنه بارض فلسطين وكثر جمعه وقويت شوكته وبالغ في العيث والفساد فجهز العزيز (الخليفة) قائدا تركيا اسمه بلتكين فسار الى الرملة وانشب القتال مع مفرج فكسره وانهزم مفرج الى انطاكية واستجار بصاحبها فاجاره وصادف خروج ملك الروم من القسطنطينية في عساكر عظيمة يريد بلاد الشام فخاف ابن الجراح والتجأ الى بكجور في حمص (انظر ابن الاثير ج ٩ ص ٢ ــ ٣) وشيئا من هذا ذكره ابو الفداء في حوادث سنة ٣٧٢ (انظر ج ٢ ص ١٢٢) ومؤلف الخطط يروي حركة مفرج في سنة ٤٠٤ في زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله بينما كانت حركته التي رواها المؤرخان الاولان في زمن الخليفة العزيز . فاذا صحت رواية الخطط فيكون مفرج قد خرج مرتين ونجح بعض الشيء في الثانية التي لم يذكرها ابن الاثير وابو الفداء .

لحسان . وقد تمكنوا من التغلب على الحاميات الفاطمية سنة (٤١٥ هـ) فصار حسان صاحب السلطان في فلسطين الى سنة ٤٢٠ هـ حيث سير الفاطميون حملة قوية قابلها المتحالفون الثلاثة واشتبكوا معها في فلسطين فدارت الدائرة عليهم وقتل ابن مرداس في جملة من قتل ، وفر حسان فالح القائد في طلبه ففر الى بلاد الروم فخلع عليه ملكهم وارفقه بحملة سار بها الى آفامية فكبسها وغنم ما فيها وسبي اهلها . غير ان القائد الفاطمي استطاع ان يوطد سلطان الفاطميين في بلاد الشام ويرد حملات الروم فظل حسان متشردا الى ان هلك [1] .

ووقفت اخبار هذه الامارة عند هذا حيث لم يعد المؤرخون يذكرونها .

الامارة العويسية الطائية (العويسات)

— ٢ —

بالاضافة الى الامارة الطائية القديمة في الرملة فقد قامت امارة طائية الاصل في جبل القدس والرملة ايضا ، وما يزال اعقاب امرائها الى اليوم يتمتعون بوجاهتهم الاقطاعية في جبل القدس .

ولقد ذكر هذه الارومة الاستاذ البرغوثي في كتابه تاريخ فلسطين [2] في جملة الاسر والمشيخات الاقطاعية الحاضرة بكلمة خاطفة جاء فيها انهم مشايخ بني عمير ووادي الصرار — ناحية الرملةومركزهم البرج .

---

(١) انظر خطط الشام ج ٢ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ وابا الفداء ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤١و١٥٨ وابن الاثير ج ٩ ص ٢٥ — ٣٠ .

(٢) ص ٢٦٦ .

وقد طلبنا من المؤلف البرغوثي المزيد عنها وعن غيرها ممن ذكره بكلمة خاطفة في كتابه • فارسل الينا مذكرات قال في مقدمتها ان هذا الموضوع استوفاه في رسالة مطولة استقاها من المصادر المختلفة ومن الروايات المتداولة وانها ضاعت ، وانه كتب هذه المذكرات من ذاكرته ويعتقد انها صحيحة • ونحن نعرف الاستاذ بحاثة وخاصة في موضوع الارومات العربية الفلسطينية • واعتمادا على ذلك نورد في ما يلي ما كتبه عن العويسات بشيء من التصرف •

ولقد عنون الاستاذ البرغوتي نبذته عنهم بعنوان الامراء وقال ان مساكنهم قرى البرح وبير ماعين من ناحية الرملة وان عشيرتهم بنو عمير احدى فروع جرم من قبيلة طي ، وانهم يمتون الى دغفل وحسان الطائيين الذين كان لهما بعض الحركات والمصالح في فلسطين •

ومما قاله ان ابا العويس امير عرب الجرامنة طرح مظلمة سنة ٨٩٤ هـ على فلاحي القدس وكان له حاجب وحاشية فعارضه نجم الدين بن جماعة ـــ احد علماء القدس ـــ واسترحم من الداودار ان يحمي الفلاحين منه ففعل • وقد قال في سياق ذلك ان هذا هو الجد الذي ينتسب اليه العويسات الساكنون في قريتي البرج وبير ماعين ؛ وان المنطقة الممتدة من حدود البحر الى نهر الاردن بما فيها مدينة القدس كانت خاضعة لهم وانهم كانوا يأخذون الاتاوة من كل شخص يمر في الطريق العام بين الرملة والقدس وانهم ظلوا يمارسون سلطانهم الواسع حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري •

ولقد ورد خبر ابي العويس هذا في الجزء الثاني من الانس الجليل في جوادث سنة ٨٩٣ هـ [1] ، مما يثبت قوة ذاكرة الاستاذ البرغوتي • ومما جاء في ذلك السياق ان امير عربان جرم ابا العويس قصد ان يجدد

---

(1) ص ٦٧٦ - ٦٧٧ في هذا السياق ذكر ابو العويس بصيغة ابي العوير ولكنه ذكر في سياق آخر بصيغة ابي العويس .

مظلمة على الفلاحين بجبل القدس ويأخذ منهم مـالا وكـان هو صغيرا وكان حاجبه هو المدبر لامره فقام شيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة ومنعه من ذلك واستكتب العلماء محضرا ذكروا فيه انه لم تجر عادة قبل اليوم بـذلك وارسل المحضر الى الامـير اقبردي الدادار وهو بسحية الرملة ونتيجة لذلك لم يتمكن امير جرم من اخذ شيء .

ولقد ذكر مؤلف الانس الجليل امير جرم مرة أخرى في حـوادث سنة ٨٩٤ هـ ومما جاء في سياق ذلك [1] ان محمدا بن ابراهيم الودياني استقر في امرة جرم عوضا عن ثابت الرميني بمساعدة الامير جانبلاط نائب القدس فارسل نائب غزة رسائل الى السلطان يذكر فيه عـدم صلاحية الودياني وعجزه عن القيام بالقود وبما هو مقرر عليه للخزائن الشريفة وطلب الايعاز لنائب القدس بالتوجه الى غزة وجمع امراء جرم وتقرير الاصلح الذي ترضى به الرعية ويقدر على ما هو المقرر عليه . وورد امر السلطان لنائب القدس بذلك فتوجه نـاظر الحرمين وقضاة القدس الاربعة الى غزة واجتمعوا بدار النيابة . وكان قصد نـائب غزة ان يستقر في الامارة ابو العويس بن ابي بكر غير ان نائب القدس أصر على ان يكون الودياني هو الامير وألبسه خلعة السلطان في قرية قرنيا وقام بنصرته بكل ما يمكن .

فهذا السياق وذاك يفيدان اذا كانت نسبة العويسات الى ابـي العويس هذا والى قبيلة جرم صحيحة ــ وليس هناك ما يمنع ذلك ــ انه كان في القرن التاسع أمارة عربية طائية النسبة تقوم بشؤون المنطقة التي تمارس فيها امارتها بـين الرملة والقـدس ماليا واداريا وقضائيا ومسئولة عنها امام ولاة الدولة ، وان امراء هذه الامارة وان كانوا يختارون او يصدق على امارتهم من قبل الولاة والسلطان فان امارتهم كانت مستمدة من عصبيتهم القبيلية القوية . ومن المحتمل ان تكون هذه الامارة امتدادا لما قبل القرن التاسع ايضا .

---

(١) ص ٦٩٨ ــ ٦٩٩ .

أما ماجاء بعد ذلك من كلام الاستاذ البرغوثي فانه على ما يبدو مستند الى الروايات المتوارثة • وقد تكون صحيحة كليا او جزئيا • ومعنى ذلك على كل حال ان امارة العويسات او مشيختهم ظلت مستمرة الى القرن الثالث عشر • والمستفاد من الكلام ان ذريتهم في قريتي البرج وبير ماعين ظلت تحتفظ بوجاهتها الاقطاعية بعد ذلك •

البراغثة في جبل القدس

— ٣ —

ورد ذكر هذه الارومة ايضا في تاريخ فلسطين في جملة الارومات الاقطاعية • وقد قال المؤلف انهم مشايخ بني زيد وبني مرة وبني سالم ومركزهم دير غسانة [١] • وتفيد العبارة ان مشيختهم كانت قائمة في الوقت الذي كتب فيها الكتاب سنة ١٩٢٣ م •

وقد جاء في مذكرات الاستاذ البرغوثي — وهو من هذه الارومة — عنهم انهم يمتون في نسبهم الى عمر بن الخطاب وانهم خرجوا من الحجاز في فتنة ابن الزبير فذهبوا الى مصر ثم الى تونس حيث ماتزال قبور اجدادهم في زقاق البلاط معروفة ثم جاؤوا الى فلسطين استجابة للاستنفار للحروب الصليبية وسكنوا اطراف الشوبك واشتركوا في وقعة حطين (٥٨٣ هـ — ١١٨٧ م) وغنموا سيفا من احد امراء الافرنج حاز عليه الاستاذ البرغوثي وظل عنده الى يوم نكبة فلسطين حيث استولى اليهود على بيته واثاثه ومكتبته واستولوا على هذا السيف من الجملة • وقد عزز الاستاذ صحة نسب ارومته برواية من كتاب القلقشندي جاء فيها ان فرقة من ابناء عمر بن الخطاب تسكن وادي بني زيد [٢] • وعلق الاستاذ على ذلك بقوله ان عاصمة البراغثة دير

---

(١) ص ٢٦٦ •

(٢) قرانا هذا ايضا في الجزء الاول من صبح الاعشى للقلقشندي ص ٣٥٤ •

غسانة هي على وادي بني زيد •

ودعوى الانتساب الى عمر ابن الخطاب متكررة من عشائر بل وقبائل عديدة في العراق والشام ومصر • وتتحمل كلاما • ورواية القلقشندي ليست حجة • وعلى كل حال فليس ما يمنع ان تكون هذه الارومة حجازية المنشأ قرشية العشيرة •

ومما قاله الاستاذ البرغوثي في مذكراته ان البراغثة سكنوا حارة النصارى في القدس وأنشأوا فيها مسجدا استولى عليه النصارى اللاتين ، وان مهمتهم كانت حراسة باب الداعية احد ابواب القدس — القريب الى حارة النصارى — والمسمى اليوم بباب الحديد • وكان يعهد اليهم استقبال الافرنج وايصالهم الى الاديرة والكنائس ثم انتقلوا الى البر بامر الظاهر (٦٥٩ — ٦٧٦ هـ) واقطعوا ثمانيا واربعين قرية سكنوا فيها • وهي قرى بني زيد وعددها (١٩) وقرى بني مرة وعددها (٨) وقرى بني سالم وعددها (٤) وقرى بني حارث وعددها (١٧) وعهد اليهم بحماية برج مجدل يابا المعروف بمجدل الصادق ايضا واقام لهم موسم النبي صالح ، وانهم ظلوا يتصرفون في هذا الاقطاع الى منتصف القرن الثالث عشر الهجري •

ومما قاله ان حاكم القدس سجن في اواخر القرن التاسع جماعة من عشيرة بني زيد فجمع آل البرغوثي قبائلهم وهاجموا القدس ونهبوا المدينة ودخلوا المسجد شاهري السلاح وهرب الحاكم من وجههم وكسروا باب السجن واخرجوا المسجونين • وقد عزا هذا الحادث الى الانس الجليل • ورجعنا الى هذا الكتاب فرأيناه يذكر الحادث فيقول [1] ان نائب القدس قبض على جماعة من بني زيد وقتلهم فحضر الى القدس جمع كبير من جماعة المقتولين وعصبيتهم وهجموا عليها فركب النائب وتوجه الى باب الاسباط فتبعوه فدخل المسجد وهو

---

(١) ص ٦٥٦ ج ٢ •

راكب ثم خرج من باب المغاربة وهجم الجميع الى داخل المسجد وهم شاهرو السلاح ولما نجا الحاكم منهم هجموا على السجن فكسروا بابه واخرجوا من به من المسجونين وبادر التجار بتوزيع ما في حوانيتهم، وقد قتل ثلاثة انفار وجرح جماعة آخرون وشرع العرب في قطع الطرق وايذاء الناس وحصل الارجاف في الناس واغلقت المنازل والاسواق خشية النهب وكانت فتنة فاحشة . وارخ المؤلف هذه الحادثة بسنة ٨٨٤ هـ . ولا يذكر المؤلف اسم البراغثة . ولا يمنع هذا من ان يكون الهجوم بقيادتهم وهم مشايخ المنطقة .

ومما قاله الاستاذ البرغوثي ان جد والده شيخ المشايخ عبدالجبار اشترك في اجتماع المشايخ في بيت وزن ــ الذي دعا اليه آل القاسم وتقرر فيه مقاومة ابراهيم باشا ــ عام ١٢٥٠ هـ ــ ، وانه قتل في الثورة التي نشبت نتيجة لذلك على الحملة المصرية ، وان البراغثة ثاروا على الحكومة حينما الغت الاقطاع وعينت المخاتير بدلا من المشايخ سنة ١٢٨٧ هـ ــ ١٨٧٣ م ورفضوا تعيين احد منهم مختارا وظلوا يعارضون ويقاومون التنظيم الجديد ، وان جده الشيخ صالح كان من جملة من نفوا الى طربزون من مشايخ جبل نابلس والقدس مع محمد الحسين ويوسف الجيوسي ، وانهم ثاروا على الحكومة عندما ارادت تسجيل النفوس وامتنعوا عن تسمية الاناث فسيرت الحكومة عليهم قوة كبيرة واعتلقت رؤساءهم بعد مقاومة عنيفة ثم استصدرت فتوى من مفتي الشافعية فسجلوا اسماء بناتهم بناء عليها ، وانهم ثاروا كذلك على الحكومة حينما ارادت تسجيل الاملاك وطرح الضرائب فبطشت الحكومة بهم واعتقلت كثيرا منهم ثم جاء هولو باشا من دمشق واصلح بينهم وبين الحكومة وراحت عليهم املاك كثيرة من املاكهم بحجة انها من املاك الدولة ، وانهم حريصون جدا على المصاهرة ولا يعطون بناتهم الا لاقرانهم آل الجيوسي وآل القاسم ، وان نعرتهم قيسية ، وانهم اشتركوا في الحرب ضد نابوليون مع مشايخ جبل نابلس ، وانهم

كانوا يتضامنون في الاحداث مع قيسية هذا الجبل ، وان لهم (٢٤) منشأة في اقطاعهم بين مسجد ومضافة وحصن كتب على ابواب اكثرها اسم بانيها من البراغثة وسنة بنائها ، وانهم لا يزالون يقطنون في ثماني قرى من قرى بني زيد •

والمتبادر ان اقوال الاستاذ البرغوثي مستندة الى الروايات المتوارثة • ولم نر ذكرا لآل البرغوثي في المصادر التي اطلعنا عليها والتي ذكرت كثيرا من اسماء ومشايخ جبل نابلس والقدس في سياق الاحداث التي جرت في القرون الاخيرة من عهد الاقطاع • ولكن هذا لا يمنع ان يكون في هذه الروايات حقائق تاريخية • وعلى كل حال واعتمادا لما هو حديث العهد من المأثور المؤيد بالواقع فان من السائغ ان يقال انه كان للبراغثة زعامة او مشيخة اقطاعية في منطقة واسعة من جبل القدس مستندة الى عصبية قبلية قوية امتدت الى القرن الثالث عشر الهجري ، وانهم كانوا يشتركون في مختلف احداث البلاد الاقطاعية الى جانب المشايخ الاقطاعيين الآخرين ويتضامنون خاصة مع القيسيين ، وانهم ما يزالون الى اليوم يحتفظون بوجاهتهم الاقطاعية في القرى العديدة التي يسكنونها في منطقة بني زيد في جبل القدس ، وفي قرية دير غسانة منها خاصة التي كانت مركز زعامتهم •

آل ابي غوش في جبل القدس

— ٤ —

وهؤلاء أيضا من الاسر الاقطاعية المهمة في منطقة القدس • وقد ذكرهم البرغوثي في كتابه تاريخ فلسطين فقال انهم من امراء النعرة اليمنية وان اقطاعهم ناحية بني مالك في مقاطعة القدس ومركزهم قرية

العنب [1] . وقال في مذكراته عنهم انهم اسرة شركسية الاصل [2] وان بلادهم كانت داخلة في اقطاع الامراء العويسات فلما ضعف هؤلاء استدعت الحكومة جدهم ابا غوش وعينته ضابطا واقطعته ناحية بني مالك فتغلب عليها ثم مد نفوذه الى نواحي بني حسن والوادية وبيت اكسا وبيتونية ودير دبوان والبيرة وفرضه على مشايخ هذه النواحي الاقطاعيين آل الاعرج وآل عريقات والزيادنة وعبد الله حسن والحشاش والقرعان وامتد ذلك الى آخر عهد الاقطاع .

وقد ذكرهم مؤلف كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا والي عكا وصيدا حيث ذكر في حوادث سنة ١٢٣٣ هـ وفي سياق خبر وكالة سليمان باشا لولاية الشام ودعوته لمتسلمي بلاد القدس ونابلس والخليل ومشايخهم لتقرير الاموال السنوية وتهيئة لوازم الحج اسم الشيخ ابراهيم غوش في جملة من دعاهم الى عكا ووصفه بصفة شيخ جبل القدس واكرمه وخلع عليه واخذ منه صكا بالمال المقرر من الجملة [3] . والعبارة قوية الدلالة على انه كان المسئول عن جميع جبل القدس كما هو المتبادر . ثم ذكره ثانية في سياق خبر رحلة سليمان باشا الى يافا سنة ١٢٣٤ هـ بنفس الصفة في جملة من حضر مع متسلم القدس للسلام على الباشا [4] .

وقد ذكرهم سليمان ابو عزالدين في كتابه ابراهيم باشا في سورية [5]

---

(١) ص ٢٦٦ .

(٢) قد يكون اصلهم الشركسي اذا ما صح قول الاستاذ البرغوثي غير مسوغ لسلكهم في هذا السلك . غير انهم على ما هو المتبادر من امتداد تاريخهم الى ما قبل القرن الثالث عشر والى واقعهم انهم ليسو من المهاجرين الشركس الحديثين الذين قدموا الى بلاد الشام في أواخر القرن الماضي وانهم قد اندمجوا في العروبة وتقاليدها اندماجا تاما يسوغ ذلك فيما نراه . على ان مؤلف تاريخ شرق الاردن وقبائلها ذكر ان اسرة ابي غوش من اقارب عشيرة البطانية زعماء ناحية بني جهمة في منطقة عجلون وهي عشيرة اصيلة العروبة انظر ص ٢٧٢ ترجمة بهاء الدين طوقان .

(٣) ص ٢٩٠ (٤) ص ٤٢٥ (٥) ص ١٦٩ ــ ١٧٥ .

في سياق ثورة فلسطين من نيسان الى ايلول ١٨٣٤ بعبارة تدل على انهم كانوا اصحاب بأس شديد ونفوذ واسع . ومما قاله ان حكومة محمد علي حالت بينهم وبين ابتزاز الحجاج وسجنت كبير قومهم في عكا بسبب ذلك فدارت المفاوضة بينهم وبين زعماء فلسطين واتفقوا على رفض مطالب الحكومة المصرية بالتجنيد وتسليم السلاح واداء الضرائب وتيجة لذلك انفجرت الثورة وكان لانضمام بني ابي غوش اليها تأثير عظيم نظرا لشدة بأسهم وزعامتهم في البلاد الواقعة بين القدس ويافا . وقد تحرج موقف الحامية المرابطة في القدس والبالغ عدد رجالها نحو الف فعزم قائدها على الانسحاب الى يافا فاعترضها آل ابي غوش بشدة وقتلوا منها نحو خمسين وشتتوا شمل الباقي فاضطر قائدها الى الرجوع للقدس مع الجنود الذين تسنى له جمع شتاتهم ودخل القلعة واعتصم بها ، وان ابراهيم باشا وجه كتيبة لرفع الحصار عن حامية القدس فتصدى لها آل غوش ايضا ونشبت بينها وبينهم معركة دامية قتل فيها قائد الكتيبة ونحو ثلاثين من رجاله وأكره الباقون على الرجوع . ولما وصلت الى ابراهيم باشا الامدادات التي أرسلها أبوه بقيادة سليمان باشا الفرنساوي سار على رأسها نحو القدس وكان عدد الجيش ستة آلاف فلما بلغوا قرية العنب على مسيرة ثلاث ساعات من القدس اشتبكوا مع الثوار في معركة دامية استمرت من الظهر الى العشاء دون طائل . وفي الصباح تجدد القتال فابلى الفريقان احسن بلاء واخيرا تغلب ابراهيم باشا على الثوار وفتح طريقه الى القدس حيث فرق جموع الثائرين حولها . ولكنه وجد موقفه فيها حرجا لان الثوار كانوا يحيطون به من كل جانب فالنابلسيون يهاجمونه من جهة وعربان البحر الميت من جهة ومواصلاته مقطوعة لاعتراض آل ابي غوش في الطريق من جهة . وجرت بينه وبين الثوار ثلاث وقائع كان النصر فيها لابراهيم باشا غير ان قوة الثائرين لم يصبها وهن . وفي هذه الاثناء وصل ابوه من

مصر ومعه جيش عدده خمسة عشر ألف مقاتل لانــه بلغه خبر حرج موقف جنوده • ومع ذلك فان ابراهيم باشا لم يقدم على الاشتبــاك وفضل التغلب على خصومه بالمداورة والخديعة ــ لانه بلي شدة بأسهم على ما هو المتبادر ــ فاتصل بالشيخ قاسم الاحمد زعيم ثوار نابلس وأوهمه انه مستعد للعدول عن التجنيد والتسامح في غير ذلك ، وجعل سليمان باشا يفاوض اولاد ابي غوش ويستميلهم ويعدهم باخلاء سبيل والدهم واسدال ستار النسيان على ما مضى • وقد نجح سليمان باشا في مفاوضاته واخذ منهم العهد على ان يكونوا اصدقاء لحكومة محمد علي وينالوا المكافأة التي تناسب الخدمة التي يقومون بها • ويقول المؤلف بعد هذا ان ابراهيم باشا لما استوثق من صداقة آل ابي غوش قطع المفاوضة مع الشيخ قاسم الاحمد مما اغضب هذا وجعله يعود لنابلس ويستعد لتجديد القتــال على النحو الذي سنذكره في ســيرة بني القاسم • ولم يذكر المؤلف آل ابي غوش بعد ذلك ولكن كلمته الاخيرة تدل على ان ابراهيم باشا حرص اشد الحرص على اخراجهم من مجال العصيان واتخاذهم اصدقاء لما كانوا عليه من شدة بأس وقوة نفوذ ظهرت آثارهما في المواقف السابقة •

ولقد ظلت هذه الاسرة قوية نافذة على ما ذكره البرغوثي الــى آخر عهد الاقطاع • ثم ظلت تحتفظ بوجاهتها الاقطاعية بعد زواله وفي عهد الحكم العثماني المستأنف وبعده ايضا •

بنو العزة في جبل الخليل

— ٥ —

وهؤلاء ايضا من الاسر الاقطاعية المهمة في جبل الخليل • وقــد ذكرهم البرغوثي في كتابه تاريخ فلسطين [١] وقال ان مركزهم قرية بيت

---

(١) ص ٢٦٦ •

جبرين . وهي احدى قرى جبل الخليل المهمة . وقد ذكر المؤلف في المذكرات التي ارسلها الينا ان اصلهم من كفر عزة في مديرية الشرقية بمصر وان اقطاعهم في جبل الخليل هو الناحية التي كان مشايخها الدعاجنة فغلبوهم عليها حتى صارت تعرف باسمهم فيقال ناحية العزى ، وانهم قيسيو النعرة . وقد كان لهم نشاط ومشاركات في المنافسات والحروب التي كانت تقع بين القيسيين واليمنيين في جبل الخليل . ولقد قال عباس العزاوي في الجزء الثالث من كتابه عشائر العراق [1] في سياق ذكر قبيلة العزة وفروعها في العراق ان بني العزة في فلسطين هم من هذه القبيلة . والمؤلف هو من هذه القبيلة . وقد بدا لنا شيء من التناقض بين ما قاله هذا المؤلف وبين ما ذكره لنا الاستاذ البرغوثي من كون اصلهم من كفر عزة بمصر ، ورجعنا الى الاستاذ سعيد العزة نائب مدينة الخليل في المجلس النيابي الاردني ومن نابهي رجال فلسطين فوفق بين القولين حيث قال ان هذه القبيلة توزعت منذ الحكم العباسي بين العراق ومصر بسبب اضطهاد العباسيين لها لتشيعها للامويين ولا سيما ان الزعيم العربي المعروف روح بن زنباع الذي اشتهر في عهد عبد الملك بن مروان منها وان الذين نزحوا الى مصر استوطنوا في مديرية الشرقية وعرفوا باسم قبيلة العابد التي ينسب اليها اسرة الاباظيين [2] ، وان من هؤلاء فريق نزح الى فلسطين واستقروا في منطقة جبل الخليل . وانه برز من رجالهم اكثر من زعيم . منهم عبد العزيز العزة الذي تمكن بدهائه من الاستيلاء على قسم كبير من منطقة جبل الخليل وبعض قرى غزة وحكمها . ومنهم مصلح العزة الذي أسس شبه أمارة في هذه المنطقة وكان

---

(١) ص ١٨٨ .

(٢) قال الاستاذ سعيد العزة في تعليل اسم اباظة ان هذه الاسرة كانت تعرف باسرة ابي الحسن وان ابراهيم باشا وهب زعيما لها اسمه حسن جارية شركسية من قبيلة اباظة فلحقت التسمية اولادها .

يعد من اكبر الزعماء القيسيين في القسم الجنوبي من فلسطين • ومنهم محمد العزة الذي كان من جملة قواد الثورة ضد حملة ابراهيم باشا الذي تمكن من القبض عليه وقطع رأسه في النهاية • واضاف الاستاذ سعيد العزة الى هذا ان لدى الاسرة وثائق ومراسيم سلطانية بما كان لهم من اقطاعات ومركز اقطاعي في منطقة الخليل بعيدة عن متناوله لانه كان نازحا عن الاردن ومقيما في دمشق في الظرف الذي قدمنا هذا الجزء الى المطبعة •

وواضح مما تقدم انه كان لهذه الاسرة بروز وشأن ونشاط في مجال الزعامة الاقطاعية والحركات الحزبية المحلية في جبل الخليل مستمد من عصبية قبيلية وشخصية قوية • وما يزال ابناؤها يحتفظون بشيء من ذلك •

بنو عمرو في جبل الخليل

— ٦ —

من عشائر جبل الخليل الاقطاعية المهمة • ذكرها البرغوثي في كتابه تاريخ فلسطين وقال ان مركزها قرية دورة [١] ـ احدى قرى جبل الخليل المهمة ـ ثم ذكرها في مذكراته التي بعث بها الينا فقال انها متصلة من حيث الاصل والنسب بقبيلة العمرو في منطقة الكرك التي تنتمي الى ربيعة ، وان نفوذها الاقطاعي كان واسعا يشمل جميع جبل الخليل حتى انها حكمت المدينة ، وانها قيسية النعرة وقد اشتهرت في الحروب التي كانت تقع بين القيسية واليمنية في هذا الجبل •

ولقد جاء في تاريخ شرق الاردن وقبائلها للانكليزي بيك تعريب بهاء الدين طوقان [٢] ان العمرو كانت عشيرة قوية ذات بأس في

---

(١) ص ٢٦٦ •　　(٢) ص ١٧٢ ـ ١٧٥ و ٢٧٩ ـ ٣٥٩

الكرك وصاحبة الصولة فيها ثم غلبتها عشيرة المجالي فتشتت في الاصقاع وان في شرق الاردن عشائر عديدة تلتقي في النسب والدم معها ، وان جماعات ما تزال تحمل الاسم تنزل بجوار قريتي المعروض والمجرة وان بني عمرو في الخليل منها ، وانه يقال ان اصلها من الحجاز وان القلقشندي يروي مع ذلك في كتابه بلوغ الارب انها بطن من آل تميم من غزية من قحطان .

ولقد ورد اسم احد زعمائها في كتاب تارية ولاية سليمان باشا [١] في سياق خبر وكالة سليمان باشا لولاية الشام سنة ١٢٣٢ هـ ودعوته مشايخ ومتسلمي نابلس والقدس والخليل الى عكا لتقرير الاموال السنوية ولوازم الحج ، حيث ذكر اسم الشيخ عيسى عمرو بصفة شيخ ناحية الخليل وان الوالي خلع عليه واكرمه وكتب عليه صكا بالمال المقرر على ناحيته في الجملة مما فيه الدلالة على انه كان صاحب المشيخة المسئول في جبل الخليل . وقد ذكره مؤلف الكتاب المذكور مرة اخرى في سياق خبر رحلة سليمان باشا والي عكا وصيدا الى يافا سنة ١٢٣٤ هـ ووصفه هذه المرة بشيخ مشايخ جبل الخليل [٢] .

والمتبادر ان مشيخة الشيخ عيسى هي امتداد لما قبل ومستندة الى ما لبني عمرو من عصبية قبيلية . ولا يزال بنو عمرو في الخليل وجبلها يحتفظون بوجاهتهم الاقطاعية ويستمدون منها في الحصول على مراكز بارزة في زمن الحكم العثماني وبعده .

عشائر اقطاعية اخرى في منطقتي الخليل والقدس

— ٧ —

بالاضافة الى ما تقدم ذكره فان الاستاذ البرغوثي ذكر في كتابه

---

(١) ص ٢٩٠ (٢) ص ٤٢٥ .

تاريخ فلسطين [1] وفي المذكرات التي ارسلها الينا اسماء عشائر عديدة في قرى الخليل والقدس ورام الله كانت صاحبة اقطاع ونشاط وزعامة في عهد الاقطاع • وما زالت تحتفظ في نواحيها بشيء من مظاهر زعامتها ووجاهتها فرأينا من المفيد ذكرها فيما يلي :

١ ــ آل عريقات في ناحية الوادية في منطقة القدس ومركزهم قريه ابو ديس وهم يمينو النعرة وينتمون الى الحويطات •

٢ ــ آل الشيخة في ناحية بني حسن في منطقة القدس ومركزهم قرية المالحة • وزعماؤهم اليوم آل درويش • ونعرتهم يسينية •

٣ ــ آل الخطيب في قرية بيت اكسا في منطقة القدس وهم من الزيادنة عشيرة الشيخ ظاهر العمر على ما يظن • ونعرتهم يمنية •

٤ ــ آل عبد الله حسن في قرية بيتونية في منطقة القدس • ونعرتهم يمنية •

٥ ــ آل الحشاش في قرية دير دبوان في منطقة القدس • ونعرتهم يمنية •

٦ ــ آل القرعان في البيرة في منطقة رام الله • ونعرتهم يمنية •

٧ ــ آل الطويل في البيرة في منطقة رام الله • ونعرتهم قيسية •

٨ ــ آل السمحان في قرية راس كركر في منطقة رام الله •ونعرتهم قيسية • واقطاعاتهم ناحية بني حارث التي انتزعوها من آل البرغوثي

٩ ــ آل الخواجة • في قرية نعلين • فيمنطقة رام الله • واقطاعهم ناحية بني حمار • ونعرتهم يمنية •

١٠ ــ آل العملة • مركزهم قرية بيت اولا في منطقة الخليل • ونعرتهم قيسية • وكان لهم اقطاع مؤلف من خمس قرى • وكانوا ينافسون بني العزة •

١١ ــ آل اللحام • اقطاعهم العرقوب في منطقة الخليل • ومركزهم قرية بيت عقاب • ونعرتهم يمنية •

---

(١) ص ٢٦٦ .

ثانيا : في المنطقة الوسطى
بلاد نابلس وبني صعب وجماعين وجنين

— ١ —

الامارة الطائية في اللجون وجنين

لم يعرف اولية هذه الامارة ، وكل ما عرف من ذلك ان امراء بني حارثة من قبيلة طي كانوا اصحاب الحكم والسلطان في منطقة اللجون الممتدة ما بين جنين الى حيفا قبل الفتح العثماني حيث روي ان السلطان فرج بن برقوق الشركسي خرج سنة ٨٠٣ ه الى الشام لصد تيمورلنك فجاء اليه نعير بن حيار وجمع لا يحصى من العرب والقبائل من حارثة وغيرها وان جان بردى الغزالي نائب الشام في اوائل الحكم العثماني حاول نزع حكم لواء اللجون من آل طرباي فثاروا عليه فحاربهم وقتل اربعة منهم من جملتهم الامير قرهجه بن طرباي اميرهم الكبير وان ذلك لم يفت في اعضادهم حيث عادوا الى التمرد في عهد ولاية اياس باشا سنة ٩٢٧ ه وان هذا خرج اليهم فصمدوا له ثم كسروه وردوه بعد ان قتلوا مقتلة كبيرة من جيشه وجرح هو نفسه ولم تهدأ ثورتهم الا بعد اقصاء اياس باشا عن الولاية وجنوح الدولة العثمانية الى الملاينة والتهدئة [1] حيث يفيد هذا ان هذه الامارة كانت قائمة في هذه المنطقة بامد ما قبل الفتح العثماني .

---

(١) انظر خطط الشام ج ٢ ص ٢٣٧ وتاريخ جبل نابلس والبلقاء لاحسان النمر ج ١ ص ٦١ ـ ٦٢ وبدائع الزهور لابن اياس ج ١ ص ٣٢٩ و ج ٢ ص ٢٦٠ . هذا وطرباي اسم تركي كان يتسمى به بعض سلاطين مماليك الشركس ورجال دولته وكان اقتباس رجال العرب اسماء مشاهير الترك قد غدا مألوفا . ومثله قرهجه .

ثم اخذ ذكرهم يتردد في القرن الحادي عشر في سياق سيرة بني معن • وفي الجزء الاول من خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر للمحبي ترجمة لاحدهم الامير احمد [1] ، وقد ذكر المؤلف فيما ذكر انهم من قبيلة حارثة التي ينتهي نسبها الى سنبس احد فروع طي • وقال عن الامير احمد انه نبغ وحيدا في المفاخر والشجاعة وكان له الرأي الصائب والطالع المسعود والعهد الوفي وانه ولى في بدء امره – في حياة ابيه – حكومة صفد ثم تولى حكومة اللجون في سنة ١٠١٦ بعد وفاة ابيه طرباي الذي كان صاحب حكمها •

وليس هناك ما يثبت او ينفي صلة ارومتهم بارومة الزعيمين الطائيين الاولين مفرج وحسان ولا بارومة امراء الامارة الطائية التي كانت قائمة نشيطة في ذلك الوقت •

سيرة الامير احمد الطائي امير اللجون

– ٢ –

والمستفاد من خلاصة الاثر للمحبي وتاريخ الامير حيدر في سياق سيرة الامير فخر الدين المعني الثاني ومن اخبار الاعيان للشدياق في سياق سيرة بني معن [1] ان الامير احمد لعب دورا كبيرا وشغل حيزا واسعا في اواسط القرن الحادي عشر • وكان من الشخصيات العربية البارزة القوية •

ولقد كانت مواقفه من الامير فخر الدين الثاني اقوى وألمع حاكم عربي في هذه الآونة موقف الاباء والقوة • ولقد جاء يوسف سيفا

(١) ج ١ ص ٢٢١ – ٢٢٢ •

(٢) خلاصة الاثر ج ١ ص ٢٢١ – ٢٢٢ وتاريخ الامير حيدر ج ١ ص ٦٨٣ – ٧١٠ نسخة مفيغب • واخبار الاعيان للشدياق ص ٣١٧ – ٣٢٣ •

العدو الالد للامير المعني اليه فارا من وجه الامير المعني وحليفه ابن جنبلاط حينما اشتد الصيال بينهما وضاق عليه الخناق فأجاره واكرمه . وارسل المعني وابن جنبلاط اليه يطلبان منه قتله وله جميع ما معه من اموال وذخائر وكان شيئا لا يحصى وانذراه بالعقاب الشديد اذا لم ينفذ طلبهما فاجابهما بكلمة تدل على قوة نفسه واعتداده واريحيته حيث قال في جوابه « ان هذه كلمة لا تقال ومن وقع في مثل هذا فعثرته لا تقال ثم ضاعف من اكرام جاره وارسله الى دمشق آمنا ليستأنف صياله ضدهما ...

ولما عاد الامير فخر الدين من اوروبا سنة ١٠٢٨ هـ ارسل الامير احمد ابنه للسلام ومعه تقدمة من الخيل [1] غير انه ظل محتفظا بكرامته وصولته حينما استأنف الامير المعني الحكم واتسق امره وازداد قوة وسلطانا حتى لقد وصف [2] بانه كان مناظرا للامير فخر الدين وانه كان يحكم قسما كبيرا من الجليل والسامرة وساحل البحر من حيفا الى يافا وان دخله كان (١٧٠٠٠٠) ليرة ذهب يدفع منها للخزينة (٢٤٠٠٠) وانه ضايق بعض الرهبان في الناصرة نكاية بالامير فخر الدين وسجن بعضهم سنة ١٦٣٢ م — ١٠٤٢ هـ ولم يتركهم الا بعد ان دفعوا فدية له .

ومن الاحداث التي فيها دلالة على ما كان له من مكانة وجاه ماروواه الشهابي في حوادث سنة ١٠٢٩ هـ حيث ذكر ان السلطان عزل الامير احمد بن قنصو من سنجقية عجلون وعين مكانه عمه الامير بشير فالتمس احمد من الامير فخر الدين المعني وكان حليفا له المساعدة على عودته الى منصبه فاعتذر لان التعيين كان من السلطان فارتحل الى جنين على غير رضى ونزل على الامير احمد الحارثي ملتمسا منه المساعدة وكتب هذا للامير المعني يرجوه في ذلك فبذل الامير المعني حينئذ جهده حتى اقنع والي الشام بعزل العم واعادة ابن الاخ الى

---

(١) تاريخ الامير حيدر ج ١ ص ٦٥٩ مغبغب .

(٢) تاريخ الناصرة للقس اسعد منصور ص ٤٦ .

منصبه ثم سافر الامير المعني بنفسه على رأس بعض قواته واستصحب معه الامير احمد ابن قنصو وانضم اليهم الامير الحارثي الى عجلون حيث طردوا العم واحلوا ابن الاخ مكانه عودا على بدء [1] •

ومن ذلك ما كان في سياق النزاع الذي نشب بينه وبين الامير فخر الدين المعني سنة ١٠٣٢ هـ وامتد حينا حيث ناضل الامير الحارثي الامير المعني على ما كان من قوة وسلطان نضالا شديدا ومديدا الى ان اضطر المعني الى الملاينة والمصالحة كند له •

فلقد فوضت الدولة سنجقية نابلس للامير المعني في جملة مافوض اليه من البلاد فاناطها بكتخداه مصطفى فأساء التصرف فاعلن الشيخ عاصي من مشايخ جبل نابلس العصيان عليه وكان صهر الامير الحارثي فأيده هذا في عصيانه واستنجد مصطفى بالامير المعني فتردد كثيرا لانه خشي من تفاقم الحالة في جبل نابلس ثم ارسل اليه تتيجة لالحاحه شيخين من مشايخ عجلون هما ابو شاهين والكناني مع عشائرهما نجدة له • فقابلهما اهل جبل نابلس وكسروهما مما جعل الامير فخرالدين يجنح الى الملاينة فجرت الاتصالات بينه وبين الامير الحارثي وتم الاتفاق على مصالحة الشيخ العاصي مع الكتخدا وفض الطابق بينهما بكفالته • وكان ذلك سنة ١٠٣٢ هـ — ١٦٢٢ م

غير ان الكتخدا عاد الى تصرفاته المثيرة فاثار الامير الحارثي وتفاقم الامر حتى صار نزاعا بين هذا وبين الامير المعني امتد نحو سنتين وجرت في سياق ذلك اشتباكات حربية • ولقد قام شيء من سوء التفاهم لفترة ما بين الامير المعني والسلطات العثمانية فسحبت هذه سنجقية نابلس من الامير المعني وعينت لها شخصا اسمه محمد فروخ فوثق الامير الحارثي صلاته معه ، بل ووثق صلاته كذلك مع الامير بشير عم الامير احمد قنصو الذي كان خصما للامير المعني فتكونت بذلك جبهة قويه

---

(١) الشهابي ج ١ ص ٦٦٨ — ٦٦٩ و ٦٧٣ و ٦٧٦ — ٦٧٧ .

في جبل نابلس ضد مطامح الامير المعني • واستطاع هذا ان يستعيد حكمه على سنجقية نابلس فسير قواته لبسط حكمه فعلا على هـذه السنجقية فتصدت لها الجبهة الثلاثية وردتها فخرج الامير المعني بنفسه ومعه حشود عظيمة مما جعل زعماء الجبهة يغادرون منطقة نابلس الـى ناحية الرملة مع قواتهم ثم يدخلون وخاصة الامير الحارثي مع الامير المعني في مصاولة شديدة • ولقد كان الطرفان يتساجلان النصر والهزيمة في هذه المصاولة • غير ان رجال الامير الحارثي كانوا يشنون غارات قوية مفاجئة على قوات ومخيمات الامير المعني ويقطعون طريق التموين عليها بين عكا وحيفا فكان لذلك اثر ازعاجي شديد • وفي أثناء ذلـك حل موسم الشتاء فاضطر المعني الى العودة الى لبنان فاشتدت ضراوة رجال الحارثي وازعاجهم • وعاد الامير المعني في السنة التالية واخـذ يتصاول مع الامير احمد • وقد تمكن هذا ببراعة خيالته في الكر والفر مرة من ازعاج الامير وقواته مرة بعد مرة مما كان يؤدي الى فرارهم احيانا لا يلوي احدهم على احد • ولقد كان الامير في احدى هـذه المرات على رأس خيالته واشتبك بنفسه مع الامير الحارثي وتمكن هذا من كسر خيالة الامير وهزيمتهم حتى لم يبق معه الا عشرة • ومـع ان المعني تمكن من جمع شمل رجاله والكرة بهم وانقاذ الموقف فانه ادرك هو وابنه ان وكيله الكتخدا مصطفى قد ورطه في ورطة مزعجة فلم يكن منه الا أمر بقتله ثم جرت مراسلات بين الاميرين أدت الـى انعقاد الصلح بينهما كندين حيث وافق المعني على طلب الحارثي بسحب حاميته من حدود اللجون وحيفا وهدم ابراجه في حيفا ووافق الحـارثي بالمقابلة على طلب المعني بمنع عربه من الغارات على بلاد بشارة التي كانت تحت سلطان الامير المعني [1] •

(١) تاريخ الامير حيدر ج ١ ص ٦٨٣ – ٦٨٨ نسخة مفبفب •

- ٣ -

وقد ذكر المحبي [1] ان الامير احمد توفي سنة ١٠٥٧ هـ فخلفه ابنه زين الذي كان شجاعا حكيما ثم تولى بعده اخوه محمـــد الذي كان بدوره شجاعا سمحا ومات هذا سنة ١٠٨٢ هـ فخلفه ابن اخيه زين الى سنة ١٠٨٨ هـ حيث خرج الحكم منهم ، ولم يذكر المحبي الذي ذكر هذا سببا ولا تفصيلا ٠

وواضح من هذه السيرة ان الامارة الطائية الحارثية قد امتدت اكثر من مئة وخمسين سنة اعتبارا من اول ذكر لهـــا في سياق مناوأة اياس باشا الوالي العثماني ممتدا الى ما قبل ذلك بامد ما وان سلطانها كان يشمل معظم الجليل مع منطقة اللجون وسواحل حيفا ـ يافا وقسما كبيرا من جبل نابلس ، وان امراءها كانوا اقوياء الشخصية والحيوية ٠ وما تزال قرى عديدة في منطقة جنين تعرف ببلاد حارثة نسبة اليهم ٠ ولقد ذكرهم عبد الغني النابلسي في رحلته حينما مر بجنين سنة ١١٠١ هـ فقال « وزرنا مدافن الامراء بيت طرباي الذين كانت جنين في ايديهم واجتمعنا بمن بقي من امرائهم هناك ، وقد صاروا للامارة مغارب بعد ان كانوا لها مشارق » حيث يـــدل هـــذا الكلام على ان ذريتهم ظلت مستمرة الى امـــد ما بعـــدهم وان نجمهم قد اخذ بالافول منذ أواخر القرن الحادي عشر ٠٠٠

---

(١) ج ١ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ٠

بنو الجيوسي في بني صعب
اولية الاسرة ومصادر تاريخها

- ٢ -

ليس هناك ما يساعد على الجزم بالارومة العربية الاولى التي تفرعت عنها هذه الاسرة • غير ان ما عرف عنها من عادات وتقاليد عشائرية عربية تسوغ ترجيح اصلها العربي •

ويوجد اليوم في منطقة بني صعب قرية اسمها جيوس • وهناك احتمالان في هذا الاسم فاما ان يكون اسم بني الجيوسي منها واما ان يكون اسمها منهم وليس هناك ما يساعد على الترجيح • وان كان الاحتمال الثاني اوجه بسبب غلبة اسم الجيوسي والجيايسة على الاسرة من زمن قديم •

ولقد ورد اسم هذه الاسرة في بدائع الزهور لابن اياس وفي كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا العادل والي عكا وفي الجزء الاول من تاريخ جبل نابلس والبلقاء •

ومع ان ما جاء عنها في هذه المصادر باستثناء الاخير نوعا ما نتف لا تشفي غليلا فانها تدل على قدم بروزها ونشاطها وقوتهم وتسوغ كتابة نبذة عنها في الكتاب •

ولقد ذكر ابن اياس في بدائع الزهور [١] اسم يوسف ابن الجيوسي بوصفه احد المشايخ في بلاد جبل نابلس في حوادث سنة ٨٩١ هـ ومما قاله انه قام عربان جبل نابلس فتنة مهولة قتل فيها جماعة كثيرة من العربان منهم ابو بكر امير جرم ويوسف بن الجيوسي احد المشايخ وجماعة

---

(١) ج ٢ ص ٢٣٤ •

كثيرة من اولاد اسماعيل واولاد عبد القادر وان السلطان ارسل اقبردي الداودار الكبير الى جبل نابلس لاخمادها ، والعبارة على اقتضابها تفيد قدم بروز هذه الاسرة في مجال الزعامة المحلية في جبل نابلس كما هو المتبادر •

ولقد كتب لنا احد شيوخ الاسرة ان حدود اقطاع الجيوسي كانت تمتد من بني صعب الى الرملة البيضاء وذكر تأييدا لذلك ان السلطان قايتباي احد ملوك الشراكسة لما قدم من مصر الى الشام خيم على بركة الجاموس في الرملة فسرق بعضهم من خيامه بقجة (صرة ثياب) فاستدعى امير الاقطاع الشيخ حرب الجيوسي وطلب منه استرداد البقجة ولما عجز عن ذلك اعتقله وسجنه في قلعة مصر وتوفي فيها • وحادث البقجة ورد في الانس الجليل وحادث وفاة الشيخ حرب في قلعة مصر ورد في بدائع الزهور لابن اياس • الاول ذكر حادث البقجة في حوادث سنة ٨٨٠ هـ (ج ٢ ص ٦٤٩) وقال ان السلطان قبض على الشيخ حرب شيخ نابلس بسبب ذلك وقصد قتله وغرمه مالا • والثاني ذكر وفاة حرب في حوادث سنة ٨٨٩ هـ (ج ٢ ص ٢٢١) فقال ان شيخ عربان جبل نابلس حرب بن ابي بكر بن محمد بن عبدالقادر مات في هذه السنة وهو مسجون في برج القلعة بعد ان جرى عليه شدائد ومحن • والمؤلفان لم ينعتا حربا بالجيوسي • ومع ذلك فان هذا الاهمال لا ينفي ذلك وان كان عدم نعت ابن اياس حربا بذلك بينما ذكر بعد قليل خبر ثورة عربان جبل نابلس واشتراك يوسف بن الجيوسي فيها ووصفه اياه بانه احد المشايخ في بلاد نابلس يسوغ ترجيح النفي كما هو المتبادر • ونقول هذا من باب المساجلة لان ذكر ابن الجيوسي في بدائع الزهور يدل على قدم بروز الاسرة في مجال الزعامة المحلية كما قلنا •

---

(١) ص ١٢٨ — ١٢٩ •

وقائع بارزة من سيرة الاسرة

- ٣ -

ولقد جاء في الجزء الاول من كتاب تاريخ جبل نابلس لاحسان النمر شيء غير يسير عن هذه الاسرة . غير ان المؤلف لا يعزو مايورده الى مصدر معين . ويبدو من كلامه ان جل ما ذكره عنهم مستند الى الروايات المتداولة التي لا تخلو من حقيقة على ما يتبادر منها .

ومما ذكره [١] ان المماليك ـ والمقصود هم ملوك دولة مماليك الشركس ـ قضوا على شيوخ جيوس في آخر القرن التاسع الهجري وحينئذ خرجوا أي اولادهم من قرية جيوس ونزلوا في قرية كور الحصنية ، وان مشايخ منطقة بني صعب اجتمعوا في سنة ١١٢٤ هـ وانتخبوا مقلدا الجيوسي شيخا على المنطقة . وهذا يفيد ان الاسرة كانت مقيمة في قرية جيوس التي أعطتها اسمها أو اخذت منها اسمها قبل القرن التاسع . ولا يذكر المؤلف شيئا عنها قبل سنة ١١٢٤ هـ والراجح انها نمت وبرزت في مجال الزعامة المحلية في مركزها الجديد خلال القرنين بدليل انتخاب زعيمها الشيخ مقلد في هذه السنة شيخا على منطقة بني صعب . وهكذا عادت فاستأنفت نشاطها في مجال الزعامة المحلية .

وقد ذكر المؤلف [٢] ان المشيخة انتقلت بعد موت مقلد لولديه الشيخ حسن والشيخ عساف ، وان الاول تنازل في سنة ١١٤٢ هـ لاخيه، ولما مات الاخوان اختلف اولادهما فادعاها الشيخ عبد الهادي بن الشيخ حسن ونازعه الشيخ محمد بن الشيخ عساف ثم وثب الشيخ محمد على الشيخ عبد الهادي فقتله ووطد المشيخة لنفسه . وكان لعبدالهادي ولد صغير اسمه حسن فلما كبر وثب على قاتل ابيه فقتله فاتسعت الفتنة

---

(١) ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .   (٢) نفس الصحف السابقة .

واختلفت عشائر بني صعب فجعل ذلك والي الشام يعمد الى تعيين مصطفى طوقان سنة ١١٨٠ هـ لمشيخة المنطقة . ومنذئذ غدا الصيان بينهم وبين بني طوقان تقليديا الا انهم اعتبروهم دخلاء وغاصبين لمركزهم التقليدي
ومما اورده المؤلف عنهم انهم اندمجوا في حركة صد ابي الذهب حينما زحف على فلسطين بعد تغلبه على كبير المماليك علي بك الى جانب آل النمر الذين صارت تجمع بينهم وبينهم فكرة العداء لآل طوقان والذين هم قيسيو النعرة مثلهم ثم الـذين هم كانوا في هذا الطرف متحالفين مع الشيخ ظاهر العمر نتيجة لما كان من تغلب بني طوقان عليهم في المنافسة واستيلائهم على الحكم في نابلس من والي الشام ، وانهم اقاموا في قرية كور برجا بسبيل الدفاع في جملة ما بناه مشايخ البلاد من ابراج استعدادا للدفاع والمقاومة (١) .

ومن ذلـك خبر التحالف والاتفاق بـين بني النمر وبني الجرار وبينهم على العصيان حينما عين الجزار احمـد طوقان لمتسلمية نابلس ومحمد طوقان لمشيخة بني صعب وقد تجمد هذا الاتفاق بسبب زحف نابوليون على فلسطين مما جعل جميـع المشايخ بمـا فيهم المتحالفون يندمجون في حركة ضده (٢) .

ومن ذلك خبر استنجاد يافا بجبل نابلس حينما وصل اليهـا الزحف الافرنسـي وخروج جموع بني صعب الى نجـدتهم بقيـادة زعيمين من الجيايسة هما الشيخ يوسف الواكد والشيخ ابو عودة من احفاد الشيـخ محمد بن عساف بن مقلـد ، ومهاجمتهم الافرنسيين وارتدادهم الى وادي عزون (٣) .

ومن ذلـك خبر انـدماج الشيـخ محمود ابو عودة في موقف اللاتعاون الذي وقفه بنو النمر وحلفاؤهم ازاء الدولة بسبب تعيين خليل طوقان متسلما لنابلس ومحمد طوقان شيخا لبني صعب وما كان من احراق الذخائر كمظهر من مظاهر هذا الموقف (٤) .

---

(١) ص ١٥٣ .
(٢) ص ١٥٩ ـ ١٦٠
(٣) ص ١٦١ .
(٤) ص ١٧٢ .

ومن ذلك خبر اضطهاد الجبايسة من قبل الدولة بسبب وشاية بني طوقان بهم بانهم هم الذين احرقوا الذخائر فأثاروا سخطها عليهم فجردتهم من اقطاعهم وحرمت عليهم السكن في غير قرى كور وقلنسوة وارتاح من القرى التي كانت لهم والتي كان عددها اربعا وعشرين دون ذكر اسمائها باستثناء القرى الثلاث • ولم تصبر عشائر بني صعب على اضطهاد شيوخهم ــ والكلام للمؤلف ــ فثاروا من اجلهم وانجدتهم عشائر الشعراوية وجماعين الغربية وجورة عمره وطاردوا عسكر الدولة وخرج موسى طوقان متسلم نابلس بعساكره واستعمل منتهى القسوة فيهم غير ان الثورة اشتدت بدل الخمود وجاء للثوار نجدات من كل صوب فطردت العساكر بما فيهم عساكر المتسلم [1] •

ومن ذلك خبر تمرد الجبايسة ضد اسعد بك طوقان حينما صار متسلما على المغاريب وتحريضهم عشائر بني صعب على عدم الانقياد له • ولقد جاء ابراهيم باشا كتخدا (نائب) والي الشام لجمع الاموال الى هذه البلاد بعد قليل فحرضه موسى فزحف عليهم فتحصن الشيخ محمود العودة كبير الجبايسة في صوفين واستنجد بعشائر البلاد فجاءت اليه من كل صوب مما جعل ابراهيم باشا يكتب لوالي الشام فكتب هذا بدوره لوالي عكا سليمان باشا فانجده بقوة فسيرت لابراهيم باشا الغلبة على الشيخ واضطره الى تسليم القلعة وقد اسره مع اربعين من رجاله واخذهم الى القدس • وتدخل محمد النمر متسلم القدس فجعل ابراهيم باشا يطلق سراح الشيخ لقاء الفي قرش فدية وسراح رجاله خمسمائة قرش عن كل منهم ، مع كف يده عن التدخل بشيء ، وقد جعلت مشيخة القرى الجيوسية الثلاث كور وارتاح وقلنسوة الى ابنه الشيخ احمد وابن عمه الشيخ عساف • وكان ذلك سنة ١٢٢٨ هـ وقد هدم الكتخدا صوفين [2] •

ومن ذلك خبر سفر الشيخ احمد الجيوسي ــ بن الشيخ محمود ــ سنة ١٢٣٦ هـ الى الاستانة يحمل العرائض والتواصي وحصوله على امر

---

(١) ص ١٨٠ ــ ١٨١ • (٢) ص ١٩٢ •

سلطاني بمشيخة بني صعب عودا على بدء وكف يد بني طوقان عنها .
فكان ذلك نهاية النزاع عليها [١] .

وقد ورد اسم الشيخ عبد الوهاب الجيوسي في مرسوم ابراهيم باشا قائد الحملة المصرية الذي وجهه عقب وصوله الى فلسطين في اواسط سنة ١٢٤٧ هـ الى نائب نابلس ومفتيها ونقيب اشرافها ومشايخها، وقد جاء في هذا المرسوم هذه العبارة « اما بلاد جبل نابلس فاننا ابقيناها بعهدة مفاخر المشايخ الشيخ محمود عبد الهادي والشيخ يوسف بن قاسم الاحمد والشيخ عبد الله الجرار والشيخ عبد الوهاب الجيوسي ليتعاطوا امور الاحكام وجباية الاموال وانصاف المظلوم من الظالم الخ [٢] ... » حيث يفيد ان الشيخ عبد الوهاب كان يتولى مشيخة بني صعب حينما جاء ابراهيم باشا استمرارا لما قبل .

ولم يذكر مؤلف جبل نابلس شيئا بعد ذلك من نشاط بني الجيوسي الا ذكره اياهم في عداد زعماء الصف القيسي مع بني النمر في أثناء الحرب الاهلية في جبل نابلس دون ذكر أي حركة او موقف او مشاركة لهم فيها [٣] .

ولقد ذكرهم مؤلف تاريخ سليمان باشا والي عكا وصيدا في ثلاث مناسبات :

اولاها مناسبة عصيان الشيخ ابي عودة الجيوسي على ابراهيم باشا كتخدا والي الشام بسبب استعماله الشدة في جمع المال وذلك في سنة ١٢٢٨ هـ وقد وصفه المؤلف بانه شيخ ناحية بني صعب . ولم يذكر ما ذكره مؤلف جبل نابلس من تحريض موسى طوقان كما لم يذكر اسم شيخ آخر من بني طوقان لهذه الناحية في هذا الظرف . ومما قاله مؤلف تاريخ سليمان باشا ان الشيخ تحصن في قلعة صوفين التي كانت حصينة ومشهورة وقوية بالذخائر والجبخنات في جبل نابلس وان الكتخدا حاصرها فجاءتها الجرود لنجدتها وتعصب سائر

---

(١) ص ٢٢١ .
(٢) ص ٢٥٠ .
(٣) ص ٢٨٥ .

الجبل معها فتحقق الكتخدا العجز عن اخذها ولاحظ الذل العظيم الذي يصادفه ويصادف دولة الشام بقيامه عنها فاشلا فضلا عن انه لا يسلم من أذى الاهالي ونهبهم لعسكره فكتب لوالي الشام وتواقع عليه بالكتابة الى والي صيدا لاجل مده بالعساكر والقوة ففعل واجاب هذا الالتماس فارسل عسكرا بقيادة ضابط مشهور من ضباط وهو الحاج شمدين آغا ـ من اكراد الشام على الارجح ـ وكان جاء اليه لبعض حاجته فاستبقاه في خدمته بموافقة والي الشام ـ وقال له لا اعرف صوفين الا منك مما جعله يقتحم الاهوال والمخاطر حتى استولى بالقوة على القلعة وقطع عدة رؤوس من اهلها • وقد امره والي الشام بعد ذلك بهدم ابراج صوفين واخراج اهلها منها وترتيب الاموال اللازمة عليهم [١] • وسياق مؤلف الكتاب اوسع من سياق مؤلف جبل نابلس واطرف • وليس فيه ما ذكره هذا المؤلف من اسر الشيخ ابي عودة وكف يده • والمؤلف معاصر يساعده مركزه على معرفة مايجري كما هو المتبادر •

وثانية المناسبات التي ذكر فيها بنو الجيوسي هي دعوة سليمان باشا والي عكا وصيدا لمشايخ البلاد حينما وجهت اليه وكالة ولاية الشام سنة ١٢٣٢ هـ لاجل تقرير الاموال الاميرية السنوية واعداد لوازم الحج حيث ذكر الشيخ ابو عودة الجيوسي في جملة الذين دعوا ووصف بانه شيخ ناحية بني صعب [٢] • وهذا صريح أكثر في نقض ما قاله مؤلف جبل نابلس من كف يده عن مشيخة القرى الجيوسية الثلاثة بل انه يفيد ان مشيخته كانت شاملة لجميع بني صعب • ودعوته مؤيدة لذلك كما هو المتبادر •

وثالثة المناسبات كانت في سياق ما قام في جبل نابلس من فتن وحروب اهلية وخاصة بين بني القاسم وبني طوقان على ما سوف نشرحه في سيرة بني طوقان حيث ذكر اسم « الجيوسي » بدون اسم خاص في

---

(١) ص ٢٢١ ـ ٢٢٤ •   (٢) ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ •

جملة من دعاهم سليمان باشا من مشايخ البلاد لفض المشكلة واعادة الهدوء الى البلاد [1] • مع التنبيه انه لم يرد في السياق شيء خاص غير هذا الاسم • والمتبادر انه هو الشيخ ابو عودة لان هذا الاجتماع انعقد في ظرف قريب بعد الاجتماع الاول الذي ذكر فيه اسمه وصفته كشيخ ناحية بني صعب •

— ٣ —

ومهما يكن من امر هذه النتف فان فيها كما قلنا دلالة على ما كان لهذه الاسرة من بروز في مجال زعامة بني صعب الاقطاعية ممتد من القرن الثامن عشر الهجري وربما قبله الى اواسط القرن الثالث عشر •

ولا تزال بعد انتهاء عهد الاقطاع بل والى اليوم تحتفظ بوجاهتها ونفوذها ومظهرها وعاداتها الاقطاعية المتصلة بما كان لها من بروز وزعامة ، ولها في كور وغيرها من القرى التي تقطنها بيوت اقطاعية كبيرة فيها دلالة ولها صلة بذلك • ويمد هذا بعض افرادها من حين لآخر فيصلون بسببه في الدرجة الاولى الى مراكز بارزة في مجال الحكم والحياة الاجتماعية والوطنية وقد وصل بعضهم الى مركز الوزارة في حكومة المملكة الاردنية الهاشمية في مختلف ادوارها •

بنو اسماعيل مشايخ جبل نابلس

— ٣ —

لقد ورد اسم هذه الاسرة اكثر من مرة في كتاب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل لمجيرالدين الحنبلي الذي أرخ بعض احداث هذه البلاد الى تمام المئة التاسعة الهجرية •

---

(١) ص ٣١٠ •

واول مرة ذكروا فيها حوادث سنة ٨٨٤ هـ حيث ذكر المؤلف ان خليل بن اسماعيل شيخ جبل نابلس جاء مع نائب غزة ومعهما خاصكي الغزب الى القدس وكبسوها وانصرفوا من غير شيء . والخبر يفيد ما كان لهذا الشيخ من قوة ونشاط وزعامة بحيث يتفق مع نائب غزة على مناوأة القدس والزحف على منطقته [١] .

ثم ذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٨٦ هـ حيث قال ان نائب القدس قبض على جماعة لتجهيزهم لقتال خليل بن اسماعيل شيخ جبل نابلس ، وان جماعة من مشايخ الفقراء ثاروا على النائب وحملوا الاعلام وتمكنوا من تخليص الجماعة [٢] .

والخبران يفيدان ان خليلا كان صاحب المشيخة المسئول في جبل نابلس قبل هذا التاريخ بامد ما وانه كان صاحب عصبية وتمكين .

ثم ذكره في حوادث سنة ٨٨٩ هـ فقال ان الامير اقبردي الداودار الكبير حضر من القاهرة الى جهة نابلس لاجل تجهيز تجريدة ـ هذا تعبير كان يطلق على المحاربين المتطوعين ـ لقتال بايزيد بن عثمان ملك الروم ونصب مخيمه على تل العوجاء وشرع يتنقل فتارة ينزل بارض قاقون وتارة بارض اللاجون وتارة بالرملة وألبس خليل بن اسماعيل خلعة مشيخة جبل نابلس كعادته [٣] . وفي الخبر تأكيد للخبر السابق . واختصاص خليل بالذكر والخلعة قد يدل على ان مشيخته كانت عامة شاملة لجميع جبل نابلس .

ومن ذلك في حوادث سنة ٨٩٢ هـ انه حضر الامير جانبلاط الى القدس للكشف على الاوقاف وتحرير امرها وانه توجه بعد انهاء

---

(١) ص ٦٥٨ وفي المرات الاتية اشارة الى نزاع وخلاف بين هذا الشيخ ونائب القدس.

(٢) ص ٦٥٩ .

(٣) ج ٢ ص ٦٦٦ وتعبير ملك الروم كان يطلق على سلاطين الدولة العثمانية ومن قبلها على سلاطين الدولة السلجوقية في قونية لان مركز الدولتين كان في بلاد الروم .

مهمته ومعه ملك الامراء بغزة وشيخ الاسلام والناظر والنائب والقضاة الى ظاهر القدس وجلسوا على تل الغول لايقاع الصلح بين نائب القدس وخليل بن اسماعيل شيخ جبل نابلس بسبب ما وقع بينهم من التنافر واتم الصلح بينهما وكتب بذلك للسلطان (١) . والخبر يصور ما كان لخليل بن اسماعيل شيخ جبل نابلس من اهمية ومكانة كما هو المتبادر .

ومن ذلك في حوادث سنة ٨٩٤ هـ ان الامير اقبردي الداودار الكبير حضر الى جبل نابلس للقبض على بني اسماعيل مشايخ جبل نابلس بسبب ما حصل منهم من تقصير في امر تجريدة بلاد الروم وعودة رجالهم بغير اذن وابرز امرا لنائب القدس باسترجاع مال التجريدة ممن كان دفع اليه من الرجال فاحضر النائب كل من دفع اليه واسترجع منه المال بالضرب والحبس وفعل فيهم ما لم يسمع بمثله في زمن الجاهلية وكانت شدة ومحنة لم تعهد بالارض المقدسة قبل ذلك (٢) .

وعبارة بني اسماعيل مشايخ جبل نابلس تفيد انهم عشيرة او أسرة كان لها الزعامة والمشيخة الرسمية المسئولة في هذا الجبل وان خليلا الذي ذكر في هذه الظروف انما كان يمثلها وان زعامة أسرته ومشيختها كانت موطدة قبل هذه الظروف بطبيعة الحال .

ولقد ذكر ابن اياس في كتابه بدائع الزهور بني اسماعيل في حوادث سنة ٨٩١ هـ في سياق الفتنة العظيمة التي قامت في جبل نابلس حيث ذكر انه قتل فيها جماعة كثيرة من العرب ومن جملتهم جماعة كثيرة من اولاد اسماعيل (٣) .

وفي هذا تأييد لما قلناه من ان بني اسماعيل كانوا اصحاب الزعامة والمشيخة في جبل نابلس وكانوا اصحاب عصبية وكثرة ، وان زعامتهم ومشيختهم ممتدتان الى ما قبل هذه الظروف التي ذكروا فيها .

---

(١) ص ٦٦٩ . (٢) ص ٦٧٤ . (٣) ج ٢ ص ٢٣٤

ومن المؤسف ان المصادر التاريخية لا تمدنا عن هذه الارومة القوية الشاملة الزعامة في جبل نابلس اكثر مما مر سواء بالنسبة لما قبل اواسط القرن التاسع الهجري او لما بعده •

ولقد ورد في تاريخ الامير حيدر الشهابي اسم الشيخ عاصي شيخ جبل نابلس في اوائل القرن الحادي عشر في سياق حادث نزاع بين هذا الشيخ ومتسلم نابلس من قبل الامير فخر الدين المعني الثاني [1]، حيث اعلن الشيخ العصيان على هذا المتسلم ــ دون ان يذكر المؤلف سببا لذلك ــ وايده في عصيانه الامير احمد الحارثي امير اللجون لانه كان صهره ــ زوج اخته ــ ولان المتسلم اساء التصرف وأخل بحسن الجوار معه • ومما جاء في السياق ان المتسلم طلب نجدة من الامير فخر الدين فاجابه ان الوقت غير مناسب للحرب لانه موسم الغلال والحج وان جميع الشعب سينحاز الى الشيخ ويحارب معه وان المتسلم ألح في الاستنجاد فاوعز الامير المعني الى محمد آغا ابي شاهين والشيخ احمد الكناني من رؤساء عشائر جبل عجلون بأخذ عشائرهما والذهاب الى نابلس تجمعت وهاجمت النجدة الآتية من عجلون قرب نهر الفارعة وكسرتها ، وان الامير احمد الحارثي توسط وصالح الشيخ عاصي مع المتسلم وكفله ، وان الحالة تعكرت بعد قليل بين الامير الحارثي والامير المعني فانفسد الصلح وتضامن الشيخ عاصي مع اهل جبل نابلس مع الامير الحارثي ضد الامير المعني في النهاية وادرك ان البلاء انما جاء من متسلمه فقبض عليه وأعدمه وتفاوض مع الامير الحارثي وانتهت المفاوضة بالصلح على ما شرحناه في سيرة الامارة الحارثية ، حيث يدل كل هذا على الشيخ عاصي كان صاحب الروز والزعامة والمشيخة في جبل نابلس قبل اصطدامه بالمتسلم بامد ما وحيث يحتمل ان تكون زعامته امتدادا لزعامة أسرته ، وربما كانت هي نفسها اسرة بني اسماعيل •

---

(1) ج ١ ص ٦٨٣ ـ ٧١٠ نسخة مغنم •

— ٤ —

بنو النمر ومرجع تاريخ هذه الاسرة

— ١ —

برزت هذه الاسرة في مجال الحكم والسلطان في شرق الاردن وفلسطين في القرن الحادي عشر واستمر بروزها وخاصة في فلسطين وبنوع اخص في نابلس الى اواخر القرن الثالث عشر •

وقد كتب احد ابناء الاسرة احسان النمر كتابا سماه تاريخ جبل نابلس والبلقاء وحوادث عهد الاقطاع صدر منه الجزء الاول فقط • ومع انه احتوى فعلا اشياء كثيرة من تاريخ جبل نابلس في عهد الاقطاع منذ القرن العاشر الى اواخر القرن الثالث عشر فان سيرة اسرته جاءت فيه مفصلة بل ان تفصيل هذه السيرة هو المقصود من كتابه على مايبدو منه وان ما جاء فيه من احداث وسيرة الاسر الاخرى قد جاء على هامش سيرة اسرته حيث اراد ان يجعلها قطب رحى احداث هذه الفترة وسيرة أسرها الاخرى في جبل نابلس بنوع خاص •

ولقد ذكر المؤلف اسماء عدد من الكتب التاريخية العربية المعروفة كمراجع لكتابه ثم ذكر ان من مصادره محفوظات متنوعة منها سجلات محاكم نابلس والقدس ودمشق الشرعية واوراق الاسرة وما بينها من مراسيم وخطابات رسمية وخصوصية واوراق أسر بارزة اخرى ومنها مذكرات لكاتب سامري اسمه ابراهيم الدنفي كان كاتب سراي نابلس في اواخر القرن الثاني عشر واستند بالاضافة الى ذلك كما يقول الى روايات كان يتداولها ابناء الاسرة وغيرهم عن الاحداث السابقة • وهذه

على ما يبدو مصدر مادة المؤلف الاوسع فيما اورده من تفصيل سيرة أسرته والسير والاحداث الاخرى •

ومع ما يلمس في مادة الكتاب من مفارقات ومناقضات وخيال ومن غلو المؤلف في اسباغ الالقاب على أسرته وتجسيم احداثها ومراكزها غلوا كبيرا لا تتحمله الوقائع التي يسردها والوثائق التي يورد نصوصها الى درجة مثيرة متعمدا في ذلك التفاخر بأسرته وتمجيدها مع اسلوب الحط من خصومها مما يخرج الكتاب من نطاق النزاهة التاريخية فان فيه على ما يبدو كذلك حقائق ووقائع صحيحة تجعل التعويل عليه مع التحفظ سائغا • ولا سيما انه المصدر الوحيد الذي ذكر هذه الاسرة اذا استثنينا نبذة جاءت في رحلة عبد الغني النابلسي عنهم سوف نوردها بعد •

ولقد اقتصدنا كثيرا في متابعة المؤلف في تفصيلاته الكثيرة المستندة الى الروايات المشوبة بالخيال والاطناب والتفاخر • غير ان الكلام جاء مع ذلك مسهبا لكثرة الوقائع والاحداث التي ذكرها المؤلف ، والتي لا يخلو ايرادها من فائدة لانها تمثل تاريخ حقبة طويلة من تاريخ البلاد واسرها ولا تقتصر على اسرة بني النمر •

اولية الاسرة وبروزها على يد عبد الله باشا واولاده

— ٢ —

يقول المؤلف ان اسرته « بني النمر » تنتسب الى قبيلة النمر التي كانت في الجزيرة الفراتية حين الفتح الاسلامي وان اجدادها عرفوا بالمهاينيين نسبة الى مكان اسمه مهاين في بادية حماة كانوا ينزلون

---

(١) الجزء الاول من تاريخ جبل نابلس والبلقاء ص ٢٣ و ٦٨ – ٧١ وما سوف نعروه بعد الآن لهذا التاريخ هو من جزئه الاول الذي لم يصدر المؤلف الى الان جزءا آخر منه •

فيها أثناء الحروب الصليبية التي ساهمت فيها وان اميرا منهم اسمه عبد الله باشا كان اميرا على عساكر البلاد الشامية عهد اليه بقيادة حملة سيرتها الدولة في اواسط القرن الحادي عشر على البلقاء وفلسطين لاقرار الامن المضطرب فيها ، وانه تمكن اولا من تهدئة احوال البلقاء التي كان مركزها الكرك ، وصاهر عشيرة العمرو في منطقة الكرك وعهد اليها بحراسة طرق الحج وأنشأ منازل وقلاعا في هذه الطرق الى تبوك ؛ ثم جاء الى فلسطين فوطد الامن فيها ونظم الحكم في نابلس والقدس والبلقاء ووضع على رأس حكوماتها بعض ابنائه كما أنشأ بعض الكتائب المحلية ووضع على رأسها كذلك بعض ابنائه وكان هو بمثابة الحاكم العام على جبل نابلس وجبل القدس ومدنهما وعلى البلقاء معا فكان ذلك بدء بروز الاسرة واستقرارها في فلسطين ، وقد سميت اولا الاغوات الشوربجية نسبة لوظيفة او رتبة الشوربجي التي كانت الدولة منحتها لابناء عبد الله باشا وهي رتبة او وظيفة عسكرية ، وباليوسفين نسبة الى الامير يوسف الكبير ابن عبد الله باشا الذي يعد مؤسس الامارة والاسرة في نابلس ثم بآل النمر رجوعا الى الاصل القبيلي [1] .

ومما ذكره المؤلف ان عبد الله باشا اشرك ولدين له معه في حكم المناطق الشرقية وهما علي آغا وعثمان آغا ، أما جبل نابلس فقد عهد بحكمه الى ابن ثالث له اسمه يوسف بك الذي كانت امه بنت الصدر الاعظم نصوح باشا وكانت رتبته اميرالاي وتلقب بلقب البكوية ، وانه اتخذ مدينة نابلس مركزا له وأنشأ فيها القصر الاقطاعي الكبير الذي ما يزال موجودا والذي كان مقر الامارة . وهو والحالة هذه أول متسلم من آل النمر في نابلس وحسب تعبير المؤلف مؤسس الامارة النمرية فيها . وقد اطنب المؤلف في صفات ونشاط الامير يوسف وما كان لذلك من اثر في انتظام حالة نابلس ونهضتها العلمية والاقتصادية

---

(١) ص ٧١ — ٧٤ و ٨٨ .

اطنابا فيه كثير من الغلو والخيال . وقد ذكر فيما ذكره خبر انشاء الامير يوسف كتائب محلية عرفت فيما بعد بألاي السباهية وجعلها في بدء الامر تحت قيادته ، وقد انخرط فيها كثير من ابناء الاسر الكبيرة [1] .

ومما ذكره المؤلف ان حالة المناطق الشرقية اضطربت بعد وفاة عبد الله باشا التي كانت سنة ١٠٨٠ حيث طغت قبيلة العمرو التي ولاها عبد الله باشا حراسة الطرق فثار الناس واتسعت الثورة حتى امتدت الى البلقاء ومعان وعجز علي آغا وعثمان آغا عن تسكينها فاستنجدا باخيهما يوسف فسارع على رأس كتائبه ومن انضم اليه من العربان وتمكن من تسكين الفتنة ودخل الكرك مركز الفتنة دخول الظافر وملأ بسطوته قلوب العشائر فاخذت تتوافد عليه معلنة خضوعها ، وانه اجلى العشائر التي حملت لواء الفتنة عن المنطقة وفرقها فضمن بذلك النظام وأنشأ في المنطقة كتائب على غرار كتائبه ، وانه اصبح كافلا لقلعة الكرك ولقب بلقب امير الامراء [2] .

وقد قضى الامير يوسف على ما ذكره المؤلف بعد ذلك بقية حياته التي انتهت سنة ١٠٩٧ متنقلا بين نابلس والقدس والسلط والكرك ومعان ينظم الكتائب ويصلح الاحوال ويؤمن طريق الحج ويساعد على ترقية الصناعات والشؤون التجارية [3] .

ومع ان المؤلف لا يذكر صلة حركة ونشاط عبد الله باشا وابنائه بالدولة العثمانية فان المتبادر ان هذا كان في نطاقها وسلطانها وامرها ، وانها هي التي سيرت حملة عبد الله باشا الذي كان قائدا من قوادها ، وان صفة المتسلم التي وصف المؤلف بها حكام بني النمر في نابلس

---

(١) ص ٨٠ ــ ٨٤ وكلمة السباهية فارسية تعني الفرسان وقد تفيد التسمية ان الكتائب كانت خيالة مهمتها حفظ الامن ومطاردة المجرمين وجباية الاموال او المساعدة عليها على ما عرف من مهام فرق الدرك الخيالة التي ادركنا عهدها في عهد العثمانيين .

(٢) ص ٨٥ ــ ٨٧ .   (٣) ص ٨٦ ــ ٨٨ .

وغيرها هي صفة الموظف الحكومي الاداري التابع للدولة نصبا وعزلا • حتى وليست صفة الملتزم الاقطاعي التي كانت الصفة الرسمية للامراء الشهابيين والمعنيين والحرافشة وغيرهم وغيرهم • وهذا ما تؤيده نصوص المراسيم التي اوردها المؤلف والوقائع التي سردها على ماسوف يأتي شرحه • ومن الجدير بالتنبيه ان آل النمر لم يأتوا الى فلسطين كاصحاب عصبية ومعهم عشائرهم كما كان شأن المعنيين والتنوخيين والشهابيين والحارثيين وغيرهم ، ولم ينبثق حكمهم عن ذلك وانما كانوا وظلوا موظفين دولة •

ومع ذلك فان استمرار عملهم الحكومي نحو قرنين متنقلا من الآباء للابناء يسبغ على مركزهم معنى اكثر من معنى موظفين حكومين عابرين • وهذا ما جعلنا نفرد لهم هذه النبذة • وقد يكونون من هذه النواحي مشابهين للاسرة العظمية مع الفارق العظيم بين الاسرتين حيث كان بروز وشمول وسلطان الاسرة العظمية اعظم بما لا يقاس عليه •

الاغوات علي وصالح ومحمد وعمر واحمد

— ٣ —

روى المؤلف ان متسلمية نابلس آلت بعد يوسف الى اكبر ابنائه علي آغا وكان يساعده فيها اخواه محمد وعمر وعمه صالح وابن عم هذا احمد • وقد نوه بما كان من نشاط كل من هؤلاء في المناسبات الآتية • وهذا ما جعلنا نشركهم في العنوان • ومما ذكره عن علي انه كان يلقب بالشوربجي •

وقد اورد المؤلف نبذة جاءت في رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي عن علي آغا هذا قال فيها « وقد نزلنا في بيت متسلم البلاد النابلسية

---

(١) ص ٨٩ •

جناب علي الشوربجي من اعيان الشوربجية الذين في دمشق المحمية ابن المرحوم مفخر الامراء المعتبرين الامير يوسف كافل قلعة الكرك سابقا وهو صاحب الاخلاق الرضية والسلالة العلمية مفخر الاعيان وانسان عين الانسان [1] » .

وفي هذا توكيد لما ذكره المؤلف من مركز آل النمر وصفة المتسلمية التي كانوا يعملون في نطاقها .

ولقد وصف المؤلف علي آغا بصفة البليغ الفرد ـ وهذا ماصار ديدنه حيث صار يصف الذين تولوا المتسلمية بصفات طنانة ـ وقال عنه انه كان عالما صوفيا خطيرا وانه اصبح قطب الرحى في الجنوب ومرجع الولاة وموضع ثقتهم كما كان ثريا كبيرا وحاكما قويا قديرا وانه وفق للقضاء على التمرد والعصيان وحل المشاكل الخطيرة فدخلت البلاد في عصر ذهبي زاهر كان كله خيرا وبركة [2] . وهذا نموذج لما اخذ المؤلف نفسه به من التجسيم والتفخيم .

ومما ذكره المؤلف انه كان في مرج ابن عامر جماعة من التركمان اخذت في هذه الاثناء تعتدي على القرى والقوافل ، وان متسلم جنين حسين الشافعي استدعى علي آغا الى جنين وكتب الاثنان محضرا بفظائع التركمان وارسلاه الى والي الشام فصدر امره بطردهم فاجلاهم المتسلمان الى جهات حيفا وطبريا . وكان ذلك سنة ١١٠٦ هـ [3] . والسياق يؤكد ما قلناه من ان نشاط وبروز أسرة النمر كان في وظيفة ادارية تابعة لوالي الشام ويعين موظفوها من قبلهم حتى انهم لا يقدرون على التصرف بمثل هذه المسألة المحلية بدون امر الوالي .

---

(١) ص٨٩ والمستفاد من شروح المؤلف ان المقصود من شوربجية دمشق هم آل المهايني الذين كانوا ينعتون بهذا النعت . ويتبادر لنا ان لقب شوربجي لآل النمر متصل بذلك اكثر من اتصاله بلقب شوربجية ابناء عبد الله باشا .

(٢) ص ٨٩ ـ ٩١ .   (٣) ص ٩١ .

ومن الاحداث التي ذكرها المؤلف كذلك ان والي الشام ــ وكان اسمه نصوح باشا ــ خرج كعادته بدورة في البلاد التابعة له لمحاسبة المتسلمين وشيوخ النواحي واستلام الاموال الاميرية سنة ١١٢١ هـ فأساء معاملة الناس واخذ يطالب الشيوخ بالاموال الكثيرة ثم خطف بعض البنات من قرى اللجون وعاد الى الشام فأثار بعمله الاهالي فلما جاء للدورة مرة اخرى سنة ١١٢٦ هـ رابط له اهل البنات بالتآمر مع متسلم اللد احمد آغا وفدائية علي آغا واغتالوه • وأثارت هذه الحادثة متصرف لواء القدس الذي كانت الرملة واللد تابعتين له ــ لانها وقعت في اراضي اللد ــ وأراد التنكيل بمتسلم اللد فتدخل علي آغا وانذر المتصرف وطلب من والي الشام الجديد التحقيق ففوضه بذلك فجرى التحقيق في نطاق كون نصوح باشا قد اغتيل من قبل اهل البنات فأدى ذلك الى العفو عنهم وعزل متصرف القدس والغاء متصرفية القدس وربطها بوالي الشام وتعيين عمر آغا ابن علي آغا متسلما لها وكان قبل متسلما في الرملة وبذلك شمل عصر آل النمر الذهبي القدس نحو قرن كامل ! [1] •

والسياق يفيد اذا صح ان آل النمر كانوا يتولون في هذه الاثناء متسلمية اللد والرملة والقدس بالاضافة الى متسلمية نابلس • وسياق المؤلف مستند الى الروايات على ما يبدو •

وحينما تقدم علي آغا في السن تخلى عن متسلمية نابلس لاخيه صالح • وفي زمن متسلمية صالح جدد محمد آغا ابن علي آغا تنظيم الكتائب السباهية وتولى قيادتها برتبة اميرالاي • ومنذئذ قام في نابلس وظيفة عسكرية هي أمير ألاي منفصلة عن المتسلم كان يتولى قيادتها رجال من آل النمر • وظلت في عهدتهم الى ما بعد انتهاء حكمهم أو متسلميتهم وانتقالها الى أسرة أخرى على ما تفيده نصوص

---

(١) ص ٩٢ ــ ٩٤ والعبارة الاخيرة للمؤلف .

الوثائق التي اوردها المؤلف والتي سوف نشير اليها بعد ، مع التنبيه ان هذه الوظيفة كانت هي الاخرى حكومية خاضعة لامر الوالي عزلا ونصبا كالمتسلمية [١] بل كانت خاضعة للمتسلم عزلا ونصبا على ما تفيده الوقائع الذي ذكرها المؤلف [٢] .

ولم يرق لبعض زعماء السباهية ان يتولى محمد آغا قيادة الكتيبة حيث كانوا يطمحون اليها فاخذوا يناوئونه بزعامة احدهم محمد آغا سلطان التيمي ثم انقلبت المناوأة الى ثورة لم تلبث ان استفحلت فسارع والي الشام اسماعيل باشا العظم الى نابلس لتهدئة الامر فقال له الناس ان ما حصل هو نتيجة ضعف المتسلم صالح آغا فسحب الوظيفة منه وعين لها عمر آغا وكيلا الى ان يصل المتسلم الجديد . وقد استسلم الثوار للوالي وطلبوا منه الاذن بالسفر للشام فاذن لهم . وقد اورد المؤلف نص مرسومين للوالي اسماعيل باشا في ذلك وفيهما الدلالة الحاسمة على صفة حكم آل النمر ومداه [٣] .

ولما استلم عمر آغا متسلمية نابلس عقد محكمة تحقيق في اصل الفتنة فأثار ذلك محمد آغا سلطان وجعله يهج عليه في المجلس بقصد الفتك فيه فكتب الى الوالي بذلك فورد مرسوم موجه الى القاضي والمفتي والعلماء ونقيب الاشراف وأمير ألاي السنجق وارباب التيمارات (الوظائف العسكرية الثانوية) بوجوب مساعدة القائممقام عمر آغا على التنكيل بمحمد سلطان والقضاء على الشقاوة في البلاد واورد المؤلف نص المرسوم المؤرخ في سنة ١١٤١ هـ فاهتم محمد آغا قائد الآلاي ورجال الحكومة وغيرهم لمطاردة بن سلطان وتضييق الخناق عليه ففر للشام وسلم نفسه للوالي فعفا عنه وعاد لنابلس وتوسط القاضي والمفتي فصالحوه مع آل النمر .

---

(١) ص ٩٤ – ٩٦ .　　(٢) انظر مثلا ص ١٩٠ .

(٣) ص ٩٦ – ١٠٠ وهذا نص كتاب الوالي لمحمد آغا وعنوانه :

ومما ذكره من الاحداث في سياق مطاردة ابن سلطان ان هذا نزل أثناء تشرده عند اسرة اسمها المشاقية في قرية طمون من قرى نابلس ثم عند اسرة اسمها النزالية في قرية ياصيد فآوتاه فأثار ذلك ثائرة محمد آغا وجعلتاه يتفق مع آل جرار زعماء حمولة الشقران الذين سوف ترد سيرتهم في نبذة خاصة على التنكيل والاستيلاء على اقطاعاتهم واقتسامها [1] .

ومما ذكره كذلك في السياق نفسه ان محمد سلطان قال لوالي الشام ان حركته كانت بتحريض من صالح باشا طوقان الذي كان متسلما في القدس وعزل بسبب مقتل نصوح باشا وحل محله في المتسلمية عمر آغا النمر حيث حقد على آل النمر وساعد محمد سلطان على حركته [1] . وكان ذلك بدء ما صار تقليديا من التناحر بين آل

قدوة الاعيان ميرالاي بك شوربجي زاره محمد آغا زيد قدره نحيط علما انه في وصول مرسومنا هذا اليك تفتح سراي مدينة نابلس وتتقبد في المتسلمية وكالة الى ان يصل الى المدينة المزبورة قائممقامنا بالقدس الشريف الحاج عمر آغا وتفتح عينك لامور الضبط والربط والحفظ والحراسة مع تناول ما بالمدينة عائد لطرف الميري من احتساب وغيره من الاقلام من حين طلوع الشيخ صالح (المتسلم السابق) من نابلس حسب اليومية وتحفظ احتساب ذلك واعتمده ، غرة ربيع الاول سنة ١١٤٥ هـ .

وهذا نص مرسوم الامان للثوار :

قدوة الاماجد والاعيان المتسلمين من طرفنا بسنجق نابلس والقدس الشريف وغزة عمر آغا ومصطفى آغا وحسين اغا زيدقدرهم .

نعرفكم ان الشيخ شهاب الدين اخو صاحب العرضحال واولاده الشيخ كمال ومحمد وعثمان وعلي اعطيناهم من طرفنا راي الله وامان الله ورأينا واذنا لهم بالمجيء الى الشام ففي دخولهم ومرورهم عن الناحية لا احد يتعرض لهم ولا يمانعهم . اعلموا ذلك واعتمدوه من غير خلاف .

١١ رجب ١١٤١ هـ (ص ٩٩ — ١٠٠) .

ومصطفى آغا المذكور كمتسلم للقدس هو من آل النمر وقد حل محل عمر اغا الذي نقل لمتسلمية نابلس على ما يفيده سياق المؤلف الآتي بعد . اما حسن اغا متسلم غزة فليس في كلام المؤلف ما يفيد هوية اسرته ، وليس من المستبعد ان يكون هو الآخر من آل النمر . وقد يكون في وصف الجميع بلقب آغا مطلقا قرينة على ذلك .

(١) ص ١٠٣ — ١٠٤ .

النمر وآل طوقان • ولقد كان آل النمر ينتحلون النعرة القيسية وآل طوقان ينتحلون النحلة اليمنية • ومن المحتمل كثيرا ان يكون التضاد في النعرة قد لعب دوره في نشوء هذا التناحر واستمراره • ولقد نازع آل سلطان بعد قليل آل النمر في الارض التي قام عليها قصرهم فانتصر آل طوقان لآل النمر فانقسم الناس في نابلس فريقين كل يناصر طرفا [1] ــ والمتبادر ان القيسيين ايدوا آل النمر واليمنيين آل طوقان ــ فكان ذلك بدء مظاهر ذلك التناحر بين الاسرتين •

عمر آغا

— ٤ —

ومات محمد آغا سنة ١١٧٠ فتولى المتسلمية عمر آغا متسلم القدس • وقد عقد المؤلف نبذة لهذا المتسلم وصفه فيها بالصدر الامجد كما وصف عهده بالعصر الذهبي واستغرق في شرحه استغراقا فيه كثير من الغلو [2] • ومما جاء في سياقه عنه ان اباه اشركه في الحكم منذ صغره فتدرب وانه عين متسلما للرملة ثم للقدس ولما نقل لنابلس بمناسبة ثورة ابن سلطان اناب عنه ابنه مصطفى آغا ، ثم عاد الى القدس سنة ١١٤٣ هـ واستلم ابنه مصطفى متسلمية نابلس • وقد استهان النوابلسة بمصطفى هذا واخذوا يشوشون عليه ولكنه خيب ظنهم حيث أظهر من القوة والبراعة ما وطد هيبته واعاد الامن الى نصابه الى درجة عظيمة • ومما جاء في صدد عمر آغا ايضا انه سار في الحكم بحكمة وبصيرة استطاع بهما ان يستميل الاسر والعشائر وان يهدىء الاضطراب بالتي هي أحسن مترفعا عن الحزبية ، وانه اعرف من حكموا نابلس بعقلية النابلسيين وانه ادهش بسياسته ومقدرته

---

(١) ص ١٠٥ ــ ١٠٦

(٢) ص ١٠٨ ــ ١١٦ •

ولاة الشام ففوضوا اليه حكم الالوية الجنوبية كلها فاصبحت تدار باشرافه ولا يعين حكامها الا برأيه وصار الوزراء وامراء الحج يخاطبونه بالاخ العزيز وكان يخاطب في المكاتبات الشعبية بالصدر الامجد وانه قام بكثير من المشاريع والاعمال العمرانية والتنظيمية في القدس وعم الامن جميع البلاد التي يحكمها او يشرف عليها لا سيما القدس ونابلس واللد والرملة ، واتسع نتيجة لذلك نطاق التجارة ورتعت نابلس والقدس في عهده وعهد امراء أسرته بعصر ذهبي زاهر دام اكثر القرن الثاني عشر . وقد غدت نابلس نتيجة لذلك مقر سورية الجنوبية كلها كما غدت مركزا كبيرا مثل حلب وبغداد ودمشق ، يفد اليها الطلاب من كل صوب لتلقي العلم عن فحول علمائها ، ويفد اليها الاشراف والسادات من صيدا وبعلبك وبيروت لتسجيل اسمائهم وانسابهم واخذ التواصي للحكام ، ويفد اليها الصوفيون للاخذ عن خلفائهم وكبرائهم فيها ، ويفد اليها التجار من مختلف الجهات لتنظيم علاقاتهم مع تجارها ، وكانت القوافل التجارية تصدر منها بمنسوجاتها ومصنوعاتها ومنتوجاتها ، وكانت قصور نابلس تتلألأ باعظم مظاهر الترف والزينة والرفاه ، ثم ختم المؤلف كلامه قائلا ان الزائر حيثما تجول شاهد عمرانا وسؤددا وامارة عربية مزركشة بالالقاب العثمانية متمتعة بالعزة والمنعة القومية الكاملة ...

وفي هذا ما فيه من غلو ، وفيه مناقضة لمدى ما كان من صفة حكم آل النمر المحدد في الوثائق التي يوردها المؤلف نفسه ، ثم تجاهل لشيء معقول وهو انه لو كان هناك حقا امارة عظيمة المدى واسعة السلطان شاملة لسورية الجنوبية كما يحلو للمؤلف ان يصفها لما أغفله المؤرخون الشاميون الذين سجلوا احداثا لاسر اقطاعية عديدة أقل خطرا وخطورة من هذا الوصف ، فان هؤلاء المؤرخين الذين كان منهم المعاصر لم يذكروا امارة بني النمر بل ولا ذكروا احدا من رجالهم في سياق الاحداث التي ذكروها في القرن الحادي عشر والثاني عشر

والثالث عشر والتي ذكر كثيرا منها احسان النمر ومنها ما جعله احداث أسرته ومنها ما جعله احداثا جرت تحت كنف ولواء وزعامة رجال أسرته [1] . وهم الامير حيدر الشهابي مؤلف الغرر الحسان والخوري بريك مؤلف تاريخ الشام ومخائيل الصباغ مؤلف تاريخ الشيخ ظاهر العمر وابراهيم عودة مؤلف تاريخ سليمان باشا والي عكا وصيدا . وكل منهم ذكر أسر عبد الهادي والجرار والبرقاوي وقاسم وطوقان والجيوسي وريان في جبل نابلس وهي أسر معاصرة لبني النمر منها من كان يتصاول معها ومنها من كان يتضامن معها في سياق ما كان يجري من احداث في هذا الجبل ولم يذكر احد منهم واحدا من آل النمر معهم ! وسوف ننبه على ذلك مرة بعد اخرى في سياق الاحداث التي سوف نرويها عن المؤرخين المذكورين والتي ذكرت فيها الاسر الاقطاعية في جبل نابلس .

والتعليل المعقول لهذا الاغفال الشامل هو ما شاب روايات احسان النمر من تزيد وخيال وما تعمده من تجسيم احداث أسرته واسماء رجالها ونشاطهم ثم المدى الذي حددته الوثائق والوقائع لمركز هذه الاسرة وهو ان رجالها حينما كانوا يمارسون وظيفة متسلم أو قيادة الآلاي كانوا موظفين حكوميين ولم يكن لهم عصبية قبلية تسندهم وتسبغ عليهم معنى اكثر من ذلك . ووظائف من هذا القبيل في نابلس أو ما يماثلها لم يكن له شأ نكشأن وظائف الولاة التي كان يتقلدها بنو العظم. وهذا لايمنع من انه كان لهم فيمحيط نابلس شأن ونشاط وحيوية في ذلك العهد الذي كانت الوظائف الحكومية الادارية والعسكرية تسبغ على اصحابها شأنا اكثر مما صارت تسبغه بعده . ولا يمنع كذلك من انهم كانوا يندمجون في احداث جبل

---

(1) انظر مثلا الصحف ٩٨ و ١٠٣ و ١٠٩ و ١١١ و ١١٣ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٤٠ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٦٧ و ١٦٨ – ١٧٧ و ١٨٤ – ١٩٦ و ١٩٧ – ٢٠٥و٢٠٨– ٢١٦ و ٢٢٤ – ٢٣٦ و ١٣٩ – ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٣ – ٢٥٩ و ٢٧١ – ٣٠٤ .

نابلس المحلية في نطاق النعرة الحزبية اليمنية والقيسية وانهم كانوا بارزين في صف النعرة القيسية • ولكن هذا وذاك كان دون ما يحلو لاحسان النمر ان يصفه بكثير• ويبدوهذا جلياواضحا خلال ماياتي من الوقائع والوثائق في سياق سيرة هذه الاسرة وغيرها •

ونؤكد بهذه المناسبة ان ملاحظتنا هنا وما يماثلها في غير مكان من هذا الفصل هي بسبيل ابراز الحقيقة التاريخية مجردة من الغلو والهوى • ونحن نعرف كثيرا من ابناء الاسر • ونعرف ان هذه الاسرة من اطيب الاسر الاقطاعية القديمة قلبا واقلها عنفا واكثرها دماثة وصفاء روح •

الاغوات مصطفى واسماعيل وقاسم وابراهيم ومحمد وحسن وعلي

— ٥ —

ذكر احسان النمر هؤلاء الاغوات واحدا بعد آخر • فقال ان مصطفى بن عمر آغا حل محل ابيه في متسلمية القدس حينما طعن ابوه في السن ، وان أخاه اسماعيل قام على حكم نابلس مكانه ، وان مصطفى انتسب للنمر اسم القبيلة القديم وتخلى عن لقب شوربجي ويوسف ومنذئذ صارت الغلبة لهذا الاسم وانه كان نزوعا الى البداوة شغوفا بتنظيم الفتوة والفروسية ، عارفا باصوات العجماوات والطيور والوحوش ! ومات سنة ١١٨٣ هـ عن اربعة اولاد هم حسن وعبد اللطيف وعبد الصمد وعلي • وان اولهم خير مثال لابيه وجده فخلفهما [١] • وعبارته لا تثبت ولا تنفي ان هذا هو الذي خلف اباه في متسلمية القدس ولا يذكر المؤلف في صدد ذلك شيئا آخر •

---

(١) ص ١١٧ — ١١٨ •

ومما قاله المؤلف في صدد اسماعيل آغا الذي آلت اليه متسلمية نابلس انه كان ينوب عن عمه محمد آغا في امارة الآلاي وانه شهد احدى الحروب العثمانية الروسية فانعمت عليه الدولة باقطاع في بساتين نابلس ، وانه تولى امرة الآلاي بعد موت عمه قبل ان يتولى متسلمية نابلس وانه توفي في سنة ١١٧٧ هـ فخلفه فيها ابنه قاسم آغا[1] .

وذكر المؤلف بعد هذا ابراهيم آغا بن محمد آغا فقال انه تقلد وكالة امارة الآلاي ثم صار اميرا للآلاي وانه تولى بعد موت مصطفى آغا حكم القدس تاركا امارة الآلاي لحسن آغا بن مصطفى آغا ، وان ظاهر العمر هاجم في هذا الظرف نابلس فاشترك في رده ، وان الحكومة منحته رتبة امير الامراء ولقب باشا فرفضه لخلاف بينه وبين والي الشام عثمان باشا ومصطفى طوقان باشا وقضى عمره في عداء وصيال مع آل طوقان فجره ذلك الى التمرد على اوامر السلطان والصدر الاعظم على ما شرح المؤلف ادواره في سياق آخر .

وذكر المؤلف بعد ابراهيم علي آغا بن عمر وقال انه كان ثريا حكيما وقاضيا عشائريا وخبيرا في المسائل الشرعية ، وكان مساعدا لابن اخيه قاسم في المتسلمية ، وانه انجد الجزار حينما غزا نابوليون عكا وعين اميرا لجردة الحج (القوة العسكرية التي ترافق الحج) ثم متسلما للقدس حيث ظل في هذا المنصب الى ان مات سنة ١٢٢٦ هـ [2] .

وقد استطرد المؤلف بعد هذا الى شرح احوال البلاد الشامية والمصرية وحكامها وما كان من مساعي آل طوقان الى نزع حكم نابلس من آل النمر ومساعدة الظروف لهم على ذلك ، وما كان من تناحر بين الاسرتين أدى الى تواري آل النمر في النهاية عن مسرح الحكم . ولقد قال المؤلف وهو يشير الى هذه النتيجة ان هذا التناحر جر الى حروب وثورات وتدخل الولاة وأدى الى فقد جبل نابلس استقلاله الذاتي وانحداره من قمة المجد والنهوض الى هاوية الانحطاط والتقهقر [3] .

---

(١) ص ١١٨ – ١١٩ .

(٢) ص ١١٩ (٣) ص ١٢٠ – ١٢٤ .

وفي الكلام غلو لا يتسق مع الوثائق والوقائع مما مر شرحه .

وقد ساق المؤلف بعد هذا سياقا مزيجا من الروايات والخيال والتفاخر والحقيقة معا ذكر فيه التحالف الذي قام بين الشيخ ظاهر العمر وعلي بك كبير مماليك مصر . وقد استولى الشيخ ظاهر نتيجة لما كان من نشاطه في هذه الحقبة وتحالفه مع علي بك على يافا وبني صعب وطرد شيخ بني صعب مصطفى طوقان وزحف على نابلس سنة ١١٨٥ هـ . ولما بلغ ابراهيم آغا متسلم القدس ذلك اسرع الى نابلس واتفق مع آل طوقان على صد الظاهر واستعدوا لذلك استعدادا كبيرا جعل الشيخ ظاهر يلقي مشقة عظيمة في الوصول الى نابلس حيث كان يهاجم في الطريق من القرويين . ولما وصل الظاهر الى ابواب نابلس طالب بتسليم مصطفى طوقان فخرج اليه اخوه احمد بالهدايا فجنح الى الملاينة وارسل وفدا لمفاوضة اهل نابلس وعرض الوفد على وجهاء نابلس شروط الظاهر وهي تسليم السلاح وخروج مصطفى طوقان واخوه احمد الى الظاهر كي يخلع على اولهما خلعة متسلمية نابلس وثانيهما خلعة متسلمية القدس بدلا من آل النمر المتسلمين من قبل والي الشام فرفضت نابلس هذه الشروط وارسلت احمد طوقان للمفاوضة ثانية . ولكن الظاهر اصر على جمع السلاح وتسليم مصطفى بك صاغرا وهدد بهدم نابلس بالمدافع ، فرجع احمد خائبا واخذت الاشتباكات تقع بين النوابلسة وقوات الظاهر واخذت هذه القوات تعيث في قرى نابلس ونصب النوابلسة كمينا وقع فيه مئات من قوات الظاهر قتلى مما جعل هذا يجنح الى المسالمة ويتصل بآل النمر الذين ادرك ــ كما يقول المؤلف ــ انهم الحكام الحقيقيون لنابلس وانتهى الامر الى هدنة تعهد بها الشيخ ظاهر بان لا يتعرض لنابلس وتعهدت نابلس بان لا تتعرض له ثم انكفأ راجعا الى عكا بدون غناء (١) .

---

(١) ص ١٣٩ ــ ١٤٥

ولا يذكر المؤلف في هذا السياق اسم متسلم نابلس في هــذه الآونة غير ان كلامه يفيد ان المتسلمية خرجت من يد آل النمر • وقد ذكر في سياق آخر خبر وفاة قاسم آغا المتسلم وتولى مصطفى طوقان المنصب [١] •

ولقد اقتبس المؤلف بعض جمــل من مخطوطة ابراهيم الدنفي السامري فيها تأييد لبعض ما ذكره في صدد صيال نابلس مع الشيخ ظاهر العمر واشتباك النوابلسة • والمرجح ان المؤلف اتم سياقه من الروايات المشوبة بالخيال ! ومن الجدير بالتنبيه ان السامري لم يذكر آل النمر وكل كلامه عن « النوابلسة »• ولو كان في مخطوطته شيء عن دور بــارز لهم لاهتم المؤلف باقتباسه كــل الاهتمــام كما هو المتبــادر •

ومن الجدير بالتنبيه ايضا ان مخائيل الصباغ لم يذكر هذاالحادث في كتابه تاريخ الشيخ ظاهر العمر فضلا عن انه لم يذكر آل النمر لا في سياق انبساط حكم الشيخ ظاهر على معظم انحاء فلسطين ولا في غيره • وانما ذكر بني الجرار وبني طوقان كمشايخ وامراء جبل نابلس ورجوع أمر الاولين للآخرين وكون بني طوقان هم حكام جبل نابلس من القديم وقد ذكر هذا في سياق حصار الشيخ ظاهر لقلعة صانور في سنة ١٧٣٥ م ــ ١١٤٨ هـ بل ولقد ذكر هذا المؤلف ان الشيخ ظاهر حصل في سنة ١١٨٥ هـ على تقرير الدولة لولايته على يافا والخليل والقدس ، وهذا الظرف هو الذي يذكر مؤلف جبل نابلس ان حكم القــدس كان في يد آل النمر ! [٢] ومؤلف الغرر الحسان الامــير الشهابي لم يذكر ذلك الحادث ولم يذكر آل النمر قط مع انه ذكـر كثيرا من سيرة الشيخ ظاهر العمر •••

هذا • ولقد استمر مؤلف جبل نابلس في سياقه فذكر ــ عزوا

---

(١) ص ١٤٥ ــ ١٤٧ •   (٢) ص ٥١ ــ ٥٢ و ١٠٣ ــ ١٠٥

الى مخطوطة السامري والروايات المشوبة بالخيال معا [1] ـ ان اهل يافا ذعروا حينما جاء الشيخ ظاهر الى مدينتهم ليستقبل حليفه علي بك فاستنجدوا بمصطفى طوقان متسلم نابلس فانجدهم باخيه احمد بك وجموع كثيرة ورابط هو بين الرملة والمجدل لعلي بك والشيخ ظاهر وبلغهما خبر مرابطته فتجنبا الاصطدام معه وانسلا سرا الى عكا مغيظين محنقين ، ومن هناك أوعزا للاسطول الروسي الذي كان في المياه الشامية بناء على طلبهما ـ لان روسية كانت في حرب مع الدولة العثمانية فطلبا منه مدهما بالمساعدة فاجابتهما الى طلبهما وارسلت بعض سفنها بسبيل ذلك على ماشرحناه في سيرة بني شهاب وسوف نشرحه في سيرة الزيادنة [2] ـ لقصف يافا فسارع بحارتها البواسل الى السفن الروسية واستولوا عليها بعد ان قتلوا فريقا من بحارتها واغرقوا فريقا واسروا فريقا ارسله احمد طوقان الى اخيه مصطفى في نابلس فقطع هذا رؤوسهم وارسلها الى والي الشام ، وجن جنون الشيخ ظاهر من هذه المعاملة فاقسم انه لن يرجع عن نابلس هذه المرة ما لم يسق حصانه من عين الست (هي سبيل ماء في وسط نابلس) وانه صار ينهب قوافل نابلس ويقطع الطرق المؤدية متربصا بها [3] .

ومما جاء في سياق المؤلف بعد ذلك ان مصطفى طوقان تآمر مع عثمان باشا الكرجي الذي عهدت اليه الدولة باخضاع الشيخ ظاهر على والي الشام محمد العظم وعلى آل النمر حكام نابلس وتمكنا من استصدار اوامر سلطانية بولاية عثمان للشام وولاية مصطفى لالوية يافا وغزة والرملة ونابلس مع رتبة ميرميران ولقب الباشاوية لابراهيم النمر ترضية لاسرته . وحصل مصطفى طوقان لنفسه على براءة

---

(1) ص ١٠٣ ـ ١٠٨ .

(2) انظر ايضا الغرر الحسان ج ٢ ص ٩١ ـ ٩٣ نسخة رستم .

(3) ص ١٤٦ وننبه على ان الشهابي في الغرر الحسان ومخائيل الصباغ في كتاب تاريخ الشيخ عمر الظاهر لم يذكرا هذا .

بالمالكانة (اقطاع تقطعه الدولة لحكام البلاد مدى حياتهم ويرثه ابناؤهم من بعدهم) التي كان يتصرف فيها قاسم آغا النمر المتسلم السابق ارثا عن ابيه بحجة انها من متعلقات المتسلمية [1] فكان ذلك بالاضافة الى نزع متسلمية نابلس من آل النمر هو الذي جعل ابراهيم يرفض اللقب والرتبة .

ويستمر المؤلف في سياقه فيقول ان ابراهيم آغا رفض في نفس الوقت الاعتراف بعثمان باشا وظل على اتصال بمحمد باشا العظم وان هذا شجعه على الاتفاق مع الشيخ ظاهر العمر ومضايقة مصطفى طوقان فارسل الشيخ يوسف جرار الى الشيخ يدعوه لضيافته في نابلس من جهة واخذ يثير غضب الناس على مصطفى طوقان من جهة ثانية وكان من أقوى الغاضبين قاضي نابلس الشيخ موسى التميمي الذي ثار غضبه بسبب قتل الاسرى لان ذلك ممنوع شرعا ، وان ظاهر العمر طار قلبه فرحا بدعوة آل النمر له وانه جاء لنابلس مع الشيخ يوسف الجرار وحل ضيفا في قصر آل النمر بعد ان سقى حصانه من عين الست ، واتفق معهم ضد عثمان باشا الوالي ومصطفى طوقان المتسلم ، وان مصطفى طوقان لم يجد مناصا من الانسحاب من نابلس هو واخوته وعائلته فانسحبوا الى يافا وهناك انضم اليهم اخوه احمد فابحروا الى صيدا ثم ذهبوا الى الشام ثم سافر مصطفى الى الاستانة مزودا بتواصي الوالي . وقد عادت متسلمية نابلس والقدس نتيجة لذلك الى آل النمر في ظل الشيخ ظاهر ، ولم يذكر المؤلف اسماء الذين صاروا متسلمين في هذين البدين [2] .

ثم ساق المؤلف بعد هذا سياقا آخر ـ فيه كذلك خيال وتفاخر ولا يخلو من حقيقة ـ جاء فيه ان ابا الذهب لما اختلف مع علي بك كبير المماليك وغلبه في مصر اتفق مع الدولة على ان يقوم بحركة

---

(١) ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢) ص ١٤٧ ـ ١٥٠ وننبه على ان الصباغ مؤلف تاريخ الشيخ ظاهر لم يذكر هذه الحوادث

زحف وتنكيل ضد الشيخ ظاهر وزحف فعلا ، فنادى ابراهيم اغا النمر الذي غدا حليفا للشيخ ظاهر بالاستعداد في جبلي نابلس والقدس وبناء الحصون وحشد الحشود ، ورابط مع حليفه الشيخ يوسف الجرار على رأس فريق من رجالهم في الشمال لصد جيوش الشام ولبنان التي كان منتظرا أن تأتي لمساعدة ابي الذهب . ولقد نجح هذا في الاستيلاء على فلسطين وتشريد الشيخ ظاهر عن عكا فزحف والي الشام على جبل نابلس للتنكيل بحلفاء الظاهر وانضم الى الزحف جيش لبناني ارسله الامير يوسف الشهابي ، غير انهم لم ينالوا شيئا لان ابراهيم النمر والشيخ يوسف الجرار تحصنا في قلعة صانور التي أعيت المهاجمين واضطرتهم الى الارتداد ، فكان لذلك رنة عظمى حتى لقد سمي النابلسيون ابراهيم اغا بسلطان جبل نابلس والشيخ يوسف الجرار بسلطان البر ! [١] .

وننبه على ان الامير حيدر الشهابي ذكر في الغرر خبر زحف جيش الشام ولبنان وحصارهما لصانور وانكفاءهما عنها دون ان يتمكنا من فتحها . وعبارته تفيد ان المقصود بالزحف والتنكيل محمد الجرار صاحب قلعة صانور ولم يذكر ابراهيم النمر . وكل ما قاله (محمد الجرار واصحابه) [٢] .

ثم عقد المؤلف نبذة بعنوان « عصر السلطانين » [٣] مزيجة من الروايات والخيال والتفاخر والتناقض والحقيقة معا ايضا جاء فيها فيما جاء ان آل النمر وآل جرار اتفقا على ان يكون الشيخ يوسف الجرار متسلم جنين متسلما في الوقت نفسه لنابلس على ان تكون ادارة المتسلمية في يد صالح بن احمد اغا النمر يساعده حسن آغا النمر اميرالاي وان يظل ابراهيم آغا متسلما للقدس فقامت تتيجة لذلك جبهة قوية امام بني طوقان .

---

(١) ص ١٤٥ ــ ١٥٤ (٢) ج ٢ ص ٦٣ نسخة رستم .
(٣) ص ٥٥ .

وهذه اول مرة يتولى فيها بنو الجرار متسلمية نابلس وقد تكرر ذلك مرارا بعدها . وبقطع النظر عن ما في سياق المؤلف من تبجح فان لذلك دلالته حيث ينطوي فيه على ما هو المتبادر ان آل النمر اصحاب المتسلمية التي غصبها منهم بنو طوقان لم يتمكنوا من العودة اليها مباشرة وان بني الجرار كانوا الاقوى والابرز فتحالفوا معهم ورضوا بان تكون المتسلمية لهم وان يكونوا تحت حكمهم . وقد قال المؤلف بعد هذا ان بني طوقان اضطروا ازاء ما قام امامهم من جبهة قوية الى السعي للتفاهم مع آل النمر حينما عادوا سنة ١١٩٨هـ بدون مصطفى باشا فردوا اليهم المالكانة التي أخذها من ورثة قاسم آغا واعطي احدهم حسن آغا لاحمد طوقان مقابل ذلك اقطاعا في أودله . وان الوفاق بين الاسرتين دام بضع سنين ثم عاد آل طوقان الى المناوأة فحركوا اهل نابلس على يوسف الجرار وجعلوهم يطالبون بفصله واجابهم الوالي الى طلبهم ففصله وعين مكانه اسعد ابن مصطفى طوقان (سنة ١٢٠٤ هـ) ، وخشي ابراهيم آغا من عواقب نشاط آل طوقان فترك القدس لولده محمد آغا وجاء الى نابلس وتولى متسلميتها ــ ونسي المؤلف انه قال ان الوالي عين اسعد طوقان متسلما لنابلس ــ فبدأ القسم الثاني من عصر السلطانين (والعبارة للمؤلف) الذي انقضى بهدوء [1] الى ان ضمت ولاية الشام للجزار وصارت نابلس تحت اشرافه مباشرة . وكان اول عمل قام به هذا اقصاء محمد آغا النمر عن متسلمية القدس وتعيين مملوك له اسمه قاسم بك مكانه . وشعر ابراهيم آغا متسلم نابلس وحسن آغا امير آلايها ــ وجميع السياق للمؤلف ــ بالخطر فارسلا كتابا للجزار يظهران به الاخلاص والولاء ، وكان يستعد للحج فارسل اليهما جوابا يعدهما بالخير بعد رجوعه من الحج بهذا النص :

---

(١) لم يذكر المؤلف شيئا من احداث ما سماه عصر السلطانين مكتفيا من ذلك بالتسمية الطنانة .

قدوة الاماثل والاقران حسن آغا وابراهيم آغا اولاد النمر زيد قدرهم .

بعد السلام التام . بمزيد الاكرام نعرفكم انه انعرض لدينا صدق خدامتكم الى طلب رضانا . بارك الله فيكم فالمراد منكم تكونوا مطيبين البال مسرورين الاحوال من جميع وانشاء الله تعالى متى تيسر رجوعنا من طريق الحج الشريف بالسلامة بحق تلاقونا الى الزرقا وتواجهونا وان شاء الله الرحمن تشاهدون من لدنا كمال الانعام والاكرام وما يسر خاطركم ويقر ناظركم من الخير الوافر والسلام . سنة ١٢٠٨ هـ [1] .

ولم يرد في العنوان صفة لابراهيم آغا وحسن آغا ولو كان الاول هو المتسلم والثاني هو اميرالاي في هذا الظرف كما يروي المؤلف لما كان اغفل ذلك في هذا الكتاب الرسمي كما هو المتبادر .

ويستمر المؤلف في سياقه فيقول ان الجزار عين بعد عودته من الحج احمد طوقان متسلما لنابلس ومحمد طوقان شيخا لبني صعب وحاول اغراء الشيخ صالح السليمان شيخ حمولة الجرارات بتسلمية جنين بدلا من الشيخ الجرار فرفض فسمه وكان ذلك سنة ١٢٠٨ هـ . وتحقق آل النمر وآل الجرار وآل الجيوسي ــ والاخيرون زعماء بني صعب ــ من نوايا الجزار فاتفقوا على مناوأة الحكام الجدد واستطاعوا ان يشلوا حركتهم فتوعدهم الجزار بالخراب والدمار . غير ان نابوليون زحف في هذه الآونة على فلسطين فشغل عنهم بل وانقلب يستنجد بعد ان كان يهدد ــ والعبارة للمؤلف ــ واعتذر ليوسف الجرار [2] وانقلب آل طوقان ، وجنح ابراهيم آغا للتعاون معه على صد الزحف الاجنبي فجمع شيوخ البلاد في رامين وشهد المتسلم احمد طوقان الاجتماع ــ وهذا ينقض ما قاله من انقلاب الجزار على

---

(١) ص ١٥٥ ــ ١٥٩ .

(٢) مما قاله المؤلف ان الجزار اعتذر ليوسف الجرار بقصيدة تثير الجبان(ص٩٨).

آل طوقان لانهم ظلوا على رأس الحكم ــ الذي رتبت فيه الترتيبات اللازمة للوقوف في وجه الفرنساويين . وننبه على ان زحف نابوليون على فلسطين وعكا انما كان في سنة ١٢١٣ هـ [1] . وان مؤلف الغرر الحسان ذكر ان الجزار زحف في سنة ١٢٠٩ هـ [2] على صانور وارتد عنها بدون طائل لان موسم الحج ادركه ، وهذا لم يذكره مؤلف جبل نابلس ويدل على ان الجزار نفذ وعيده الذي ذكره هذا المؤلف . على ان هذا لا يمنع ان يكون الجزار حينما زحف نابوليون على عكا جنح الى التودد الى زعماء نابلس مع استمساكه ببني طوقان فاستجابوا اليه واندمجوا في حركة صد الزحف الافرنسي .

ونعود الى سياق مؤلف جبل نابلس الذي ذكر فيما ذكره ان حسن آغا لنمر وفقا لترتيبات الدفاع ضد الزحف الافرنسي ذهب على رأس آلاي السباهية وجموع مشاريق نابلس لانجاد الشيخ يوسف الواكد الجيوسي الذي سارع الى مهاجمة الافرنسيين في يافا ، وذهب محمد آغا بن ابراهيم اغا على رأس جموع أخرى الى وادي قاقون حيث انضموا الى عسكر الجزار ، ورابطت جموع الشمال بقيادة آل الجرار في مرج بن عامر ومعهم احمد طوقان وعلي عمر آغا . ولقد ردت ميمنة الجيش الافرنسي هجوم الجيوسي فارتدت الى وادي عزون فتعقبتهم ، فسارع حسن آغا الى نجدتهم . وهناك وقع اشتباك بين الطرفين قتل العرب فيه بعض ضباط الافرنسيين وجنودهم وقتل منهم جماعة بالمقابلة ثم اضطر الافرنسيون الى الانكفاء عن الوادي .
وكان محمد آغا مرابطا مع جموع النوابلسة في وادي قاقون فلما جاء الافرنسيون اليه في طريقهم الى عكا فاجأوهم واضطروهم الى التقهقر الى خارج الوادي وانسحب النوابلسة الى وادي الشعير بقصد استدراج الافرنسيين ولكن نابوليون فطن للامر فاكتفى بترتيب

---

(١) انظر الغرر الحسان ج ٢ ص ٢٥٢ (٢) ج ٣ ص ٨٠١ نسخة مغبغب .

ما يضمن الدفاع عن مؤخرة جيشه واستمر في زحفه نحو عكا ... اما الجموع المرابطة في مرج ابن عامر والتي كانت تبلغ ثلاثين الفا وتتألف من جموع جبل نابلس وجنين وعجلون والبلقاء وعسكر الجزار فانها احاطت بكتيبة افرنسية كان يقودها كليبر فاستنجد هذا بنابوليون فسارع الى المرج وامر بقصف الجموع بالمدافع فشردها ثم تتبعها واحرق جنين والقرى المجاورة لها املا برجوع العرب وعساكر الجزار للمقاومة للقضاء عليهم او استسلامهم فلم ينل بغيته فعاد الى الناصرة محطم الآمال . والعبارة للمؤلف مع ان الموقف لا يتحملها [1] .

ويستمر المؤلف في سياقه المزيج من الروايات والتفاخر والخيال فيقول ان فصيلة من ابطال جبل نابلس بقيادة محمد آغا النمر وابن عمه علي آغا ذهبت لانجاد الجزار في عكا أثناء حصار الافرنسيين لها وانها تمكنت من خرق الحصار ودخول عكا بفضل جرأة ومغامرة محمد آغا مما ادهش الافرنسيين واثار اعجاب الجزار ، وان هذا كافأ محمد آغا وابن عمه بعد ارتداد الافرنسيين فعين الاول لامارة سلاح الولاية والثاني لمتسلمية القدس ولم يعد يفكر في مقاومة جبل نابلس[1] وبعد قليل فصلت ولاية الشام عن الجزار وعادت تبعية نابلس لهذه الولاية كما كانت سابقا . وكان الصدر الاعظم قد جاء الى بلاد الشام على رأس حملة كبيرة للسفر الى مصر وقتال الافرنسيين فاصدر امره – ولا يذكر المؤلف سبب ذلك – بعزل احمد طوقان من متسلمية

---

(١) ص ١٦٠ – ١٦٥ ذكر الامير حيدر الشهابي حادث صدام قاقون ومعركة المرج نقط ولم يذكر حادث عزون . ولم يذكر اسم آل النمر في سياقه ولا غيرهم . وقال عن حادث قاقون ان الجيش الافرنسي لما وصل الى اراضي قاقون كان عسكر الجزار والنوابلسة كامنين في الوادي فخرج منهم (٥٠٠) خيال واخذوا يرمحون امام العسكر الافرنسي بقصد جرهم الى الوادي وقد انحدر اليهم الافرنسيون ونشب قتال بين الطرفين فقتل من عساكر الاسلام اربعمائة وولى الباقون منهزمين . أما كلامه عن حادث المرج فهو متطابق اجمالا لكلام المؤلف (انظر الغرر الحسان ج ٢ ص ٢٦١ – ٢٦٤ نسخة رستم) .

(١) ص ١٦٥ .

نابلس فسارع هذا الى ارسال ابن اخيه خليل يحمل الهدايا الى الوالي عبد الله باشا العظم ملتمسا تعيين خليل لمكانه ، وقد ساعد الوالي على تحقيق الالتماس فاصدر الصدر الاعظم مرسوما بتعيين خليل بك متسلما وبانذار المخالفين له وبتوصية المتسلم بانزال العقاب الشديد فيهم . وقد اورد المؤلف نص المرسوم . واورد نص مرسوم آخر من الصدر الاعظم موجها الى نائب الشرع والمفتي ونقيب الاشراف وامرالآلاي وسائر الاعيان والتجار ووجوه البلدة ، ونص مرسوم ثالث من السلطان موجها الى المتسلم خليل طوقان ونواب الشرع في نابلس وجنين ومتسلم جنين يوسف الجرار ومشايخ نواحي نابلس وجنين عموما فيها دعوة الى الامتثال والطاعة وجمع نفقات العساكر المطلوبة وانذار المخالفين . غير ان اهل جبل نابلس بتحريض من آل النمر (والعبارة للمؤلف) وانصارهم رفضوا التعاون مع المتسلم ودفع ما طلب منهم . بل لم يقفوا عند ذلك فاحرقوا ونهبوا الذخائر المخزونة في اماكن عديدة مما جعل المتسلم يشعر بالحرج ويسارع الى مقابلة الصدر الاعظم في مصر واعلامه بما وقع منبيا عنه اخاه موسى الذي كان بطاشا قويا [1] .

ولقد امد الصدر الاعظم موسى بثلاث فرق لارغام المتمردين والمناوئين في جبل نابلس ومنطقتي جنين وبني صعب ، واخذ هذا يقوم بحركات تنكيلية ضد المناوئين الذين كانوا بزعامة آل الجيوسي وآل النمر وآل جرار . وكان ابراهيم اغا قد مات سنة ١٢١٧ هـ فسافر حسن آغا اميرالاي والحاج احمد الجرار يحملان عرائض من اهل البلاد ضد آل طوقان الى والي الشام وتمكنا من استصدار امره بعزل موسى طوقان من متسلمية نابلس ومحمد طوقان من مشيخة بني صعب وتعيين الحاج احمد الجرار وكيلا لمتسلمية نابلس [2] .

---

(١) ص ١٦٧ – ١٧٦ .　　(٢) ص ١٦٧ – ١٨٣ .

ولم ينفض آل طوقان ايديهم فذهبوا بدورهم الى الشام وكان عبد الله باشا العظم قد تولى الولاية في هذا الظرف فقدموا اليه الهدايا الثمينة فاصدر مرسوما بعودة موسى لمتسلمية نابلس ومحمد لمشيخة بني صعب كما كان الامر سابقا [1] •

واغتاظ بنو جرار فجمعوا جموعهم وزحفوا على نابلس وكان قائدهم داود آغا بن الحاج يوسف • الذي ذكر مؤلف جبل نابلس ان موسى طوقان مس كرامته • وقد جاء في السياق الذي ساقه المؤلف في هذا الصدد والمزيج كالعادة بالروايات والخيال والتفاخر والحقيقة ان موسى طوقان خرج لرد غارة بني جرار ولكن هؤلاء تغلبوا عليه وردوه وقتلوا خمسين من عساكره وتبعوه حتى دخلوا بوابة نابلس فثار حماس اهل نابلس وهرعوا الى قصر آل النمر واستنجدوا بالقرى المجاورة وخرجوا للقاء الزحف فرأى ابن جرار ان يعود ادراجه مكتفيا بما جرى حتى لا يتطور الموقف • وان موسى طوقان اخذ بعد هذا ينكل بانصار بني النمر وبني جرار في قرى نابلس وجماعين ، وانه كتب للوالي يشكو من حركاتهم ويقول فيما يقوله ان آل النمر يحشدون الفلاحين في نابلس لايقاع الفساد وان الوالي كتب كتابا لنابلس يهدد فيه ويطلب اخراج الفلاحين فيها وينذر من يؤويهم او من يحرك الفتنة بالعقاب الشديد والغرامات الطائلة وان حسن النمر قائد الآلاي كتب للوالي يقول ان الفلاحين انما لجأوا الى حي الحبلة تخلصا من اضطهاد عساكر موسى بك وان موسى بك احرق زيتون اهل بلاطه لانهم استنجدوا بعشائر القرى حينما اضطهدتهم العساكر وان موسى بك وعساكره سبب الشر وانه يرى ضرورة عزله وتعيين الحاج احمد آغا الجرار مكانه مكانه فاجاب الوالي للطلب الذي أيده العلماء وشيوخ العشائر فعزل موسى بك وعين احمد آغا الجرار

---

(١) ص ١٨٥ .

مكانه . وكان ذلك في سنة ١٢٢٦ هـ [١].

على ان هذا لم يطل فان موسى بك تمكن في السنة التالية من العودة الى المتسلمية . وفي هذه الاثناء مات حسن آغا قائد الآلاي فاغتنمها موسى فرصة لسحب القيادة ايضا من آل النمر فعين رجلا غريبا اسمه ابو بكر مكانه ، ثم عين احد انصاره لمشيخة بني صعب مكان ابن الجيوسي [٢] . وقد قويت بذلك وطأته وادى الامر الى احتدام التناحر بين آل طوقان وآل النمر وانصارهما في نابلس اكثر من عشر سنين أي الى أن جاءت الحملة المصرية سنة ١٢٤٧ هـ ووقع في سياقه كثير من الوقائع المفجعة التي اسهب المؤلف في شرحها شرحا مستندا الى الروايات المشوبة بالخيال كما هو شأن ما تقدم [٣] .

ويلحظ ان بني النمر ظلوا يؤيدون بني جرار لمتسلمية نابلس دون ان يطمحوا اليها . وينطوي في تعيين المتسلم موسى طوقان لقيادة الآلاي رجلا غريبا توكيد كون قيادة الآلاي كانت وظيفة حكومية خاضعة للمتسلم عزلا ونصبا ولو انها كانت وظلت في اغلب الاحيان من نصيب بني النمر .

الاغوات يوسف واحمد وموسى

بالاضافة الى محمد وعلي

— ٦ —

وقد ذكر احسان النمر هؤلاء الاغوات واحدا بعد آخر في سلسلة من احداث الصيال التي جرت بين بني النمر وبني طوقان .

---

(١) ص ١٨٥ — ١٩٠ وحي الحبلة هو الحي الذي يقطن فيه بنو النمر .

(٢) ص ١٩٠ (٣) ص ١٩١ وما بعدها .

ولقد ارسل موسى طوقان المتسلم العساكر للاستيلاء على اقطاع آل النمر في القرى فخرج علي آغا ويوسف آغا ومحمد اغا الى القرى وطردوا العساكر منها على ما ذكره احسان الذي قال انهم بعد ذلك اعلنوا العصيان وصاروا يهاجمون العساكر على بوابات نابلس مما جعل المتسلم ينشيء بوابات اخرى امام البوابات القديمة في شرق نابلس وغربها ، وجعله يحتل قصر آل النمر في حارة الحبلة ويمنع عنهم تيماراتهم (المخصصات العسكرية) ويضطهد انصارهم في المدينة والقرى [1] . وكان ابرزهم في هذه الآونة محمد آغا الذي كان يشغل متسلمية القدس فسافر الى الشام وحصل على امر من الوالي باسترجاع القصر والتيمارات [2] . غير ان موسى طوقان استطاع بدوره حمل الوالي على العدول عن امره بل وعلى اصدار الامر التالي اليه :

بعد التحية والتسليم بمزيد الاعزاز والتكريم نبدي اليكم بخصوص اقارب نمر زاده محمد آغا أن تنزلوهم في بيتهم وتعطوهم تيماراتهم وعلاقاتهم والآن تحققنا انهم من ذوي الشقاوة ودائما ساعين بامور الفساد وما يغاير رضانا فاقتضى اصدار مرسومنا هذا بوصوله اليكم تطردوا المذكورين من طرفكم ولا تدعوهم يستقيموا في نابلس بعد الآن ولا يوم الفرد . اعلمه واعتمده غاية الاعتماد في ١٤ رجب سنة ١٢٣١ [3] .

وحينئذ دعا محمد آغا على ما يرويه احسان النمر في سياق طويل فيه كالعادة مبالغة وتبجح وحقيقة معا شيوخ البلاد الى اجتماع في قرية عينبوس – ولا ندري كيف يقدم محمد آغا على هذا اذا كان حقا متسلما للقدس – تقرر فيه هدر دم آل طوقان وانصارهم وعساكرهم الذين لم يعودوا يتقيدون بشرع ولا عرف والذين اباحوا

---

(١) ص ١٩٣ – ١٩٥ .
(٢) ص ١٩٥ .
(٣) ص ١٩٦ .

الحلال ونهبوا الاموال وظلموا العبـاد • ـ وهذا كلام المؤلف ـ واتشر الاغوات وشيوخ البـلاد يعلنون القرار الحاسم في جميـع الجهات • واحتدت الحركة حتى صارت ثورة لاهبة • وخرج موسى طوقان وابن عمه اسعد بالعسكر الى جماعين لمطاردة شيوخهـا الذين انضموا الى الحركة فوقع بينهم وبين اهل جماعين اشتباكات قتل فيهـا عدد من الفريقين ومن جملتهم ثمانية من بني غازي الذين منهم بنـو القاسم شيوخ الناحية مما اثارها عليهم أشد من قبل • وفي هـذه الاثناء كان الاغوات يثـيرون الاطراف من قرى وبادية ويحشدون الحشود فيشغلون من جهة انصار بني طوقان في الخـارج ويزحفون من جهة على نـابلس • وقد احـاطت الجموع بنـابلس ثم دخلتها وأعملت يـد الذبح بالحراس والعساكر وانصار بني طوقان وهب اهل نابلس رجـالا ونساء الى الاشتراك في ذلك بحماس حتى امتـلأت الازقة والشوارع بالقتلى من عساكر المغاربة والمماليك والارناؤوط.ثم اتجهت الجموع بقيـادة يوسف آغـا النمر نحو قصر بني النمر المحتل من عسكر المغاربة وكان عددهم ١٥٠ فذبحوا منهم ١٤٨ واستردوا القصر •

وخرج موسى طوقـان واقاربه من نـابلس هربـا من القضاء المبرم ليتحصنوا في قلعة الجنيد • غير انهم لم يأمنوا فيها فـأبقوا النساء في القلعـة وذهب موسى الى مصر ليأتي بمدد من واليهـا فلم يفز بطائل فعـاد وذهب الى عكا ليلتمس من الوالي مصالحتـه مع بني القاسم الذي صار بينه وبينهم ثارات ودمـاء ليسهل التفاهم مع آل النمر ! ودعا الوالي سليمان باشا زعيم بني القاسم مع شيوخ نابلس وطلب منهم ان يحكموه ففعلوا فحكم بتسعين الف قرش ديـة قتلى بني غازي وكتب موسى طوقان بها صكا على ان يستوفيهـا من الاموال التي جبيت وبقيت تحت يد امير آلاي نابلس الذي كـان من بني النمر • وكتب الوالي للقاضي بذلك • ثم تدخل القـاضي وتمكن

من مصالحة آل طوقان وآل النمر وظلت المتسلمية في عهـدة موسى طوقـان .

وكثير من العبارات التي اوردناها هي عبارات المؤلف الذي سرد اخبار هذه المذبحة المروعة باسلوب عجيب من الحماس والتشفي والتبجح والشماتة معا [1] .

ولم يذكر المؤلف ان احدا من بني النمر كان من جملة من دعاهم سليمان باشا من شيوخ نابلس واكتفى بذكر جملة « شيوخ نابلس » ولقد ذكر مؤلف تاريخ سليمان باشا ابراهيم العودة هذا الخبر [2] كما ذكره المؤلف غير انه ذكر اسماء شيوخ نابلس وجبلها الذين دعاهم سليمان باشا ولم يكن واحد من بني النمر من جملتهم حيث يكشف هذا ما في محاولة جعل بني النمر قطب رحى هذه الحركة من تبجح . بل وقد يفيد هذا انهم لم يكن منهم احد بارز بروزا شعبيا قويـا . وكل ما كان من امرهم ان قيادة الكتيبة كانت في يد واحد منهم وهي وظيفة حكومية خاضعة للمتسلم ... ولم يذكر ابراهيم عودة كذلـك شيئا عن المذبحة . وليس مما يعقل ان لا يذكرها وان يكون موقف الوالي منها موقف المتفرج والعسكر عسكر الـدولة والمتسلم متسلم الدولة . وهذا مما يبعث الشك في هذه الرواية ويسوغ الترجيح ان الخيال وحب التجسيم لعب فيها دورا كبيرا فجعل واحدها مئة ...

وعلى كل حال فان هذه الحركة أثارت في موسى طوقـان حقدا شديدا على بني النمر فاعتزم على البطش فيهم . وكان على ما يقول احسان النمر قد عرف حينما ذهب الى مصر كيف قضى محمد علـي والي مصر على خصومه المماليك فرجع حاملا الفكرة ليمثلها فيهم دون أن يفكر بين منزلة آل النمر المحبوبين عند النابلسيين ومنزلة المماليك المبغوضين من المصريين ــ وهذه عبارة المؤلف ــ وفي ليلة من ليـالي

---

(١) ص ١٩٧ ــ ٢٠٤ .

(٢) ص ٣٠٥ ــ ٣١٥ .

سنة ١٢٣٤ هـ ارسل عبيده الى الاغوات يقولون لهم ان العسكر المغاربة ثاروا كعادتهم يريدون اقتحام دار الحريم ويطلبون الاسراع في نجدة المتسلم فسارع ثلاثة منهم وهم علي آغا ويوسف آغا واحمد اغا الى دار طوقان حاملين سلاحهم فلما وضعوا اقدامهم في بوابة دار طوقان استراب احمد آغا فرجع ووقع الاثنان في الشبكة حيث اغلقت عليهما البوابة وانهالت عليهما السيوف فكان في ذلك مصرعهما . وقد طارد العسكر احمد آغا وجرحوه ثلاثين جرحا وهو يدافع عن نفسه حتى افلت في النهاية منهم . وأدى هذا الى عودة الاضطراب لنابلس وقاد موسى آغا الحركة واستنجد ببني الجرار . وقابل موسى طوقان الحركة بالشدة والقمع ، وقد ذكر المؤلف صورا عديدة عن حوادث المحنة التي ألمت بنابلس وما كان من تحمس الاهالي لمناصرة بني النسر وما تحملوه في سبيل ذلك من شدائد مما يرجح ان الخيال لعب فيه هو ايضا دورا كبيرا [١] .

وفي أثناء ذلك تسلل موسى آغا الى الاستانة واستطاع أن يقابل السلطان ويقدم اليه عرائض حملها في مظالم موسى طوقان . وقد ساق المؤلف خبر رحلة موسى آغا ومقابلته للسلطان باسلوب فيه كثير من الخيال والتبجح.ومما قالهان موسى آغا كان مهيبا عظيم الجسم جميل الخلق على رأسه عمامة كبيرة من الشال الكشميري ختمها بحجر من الزمرد وعلى جسمه فروة سمور ثمينة فملأ عين السلطان وجعله يصدر امره بعزل والي الشام عبد الله باشا واسعد طوقان وهدر دم آل طوقان وتعيين الحاج احمد الجرار متسلما لنابلس . وقد اورد المؤلف نص المرسوم الذي اصدره والي الشام الجديد درويش باشا بتعيين احمد الجرار متسلما وطرد موسى ورضوان واسعد طوقان من نابلس لانهم خارجون عن خاطره بسبب ما وقع منهم من العصيان والظلم

---

(١) ص ٢٠٥ ـ ٢١٤ .

والعدوان على الرعية واعتقال من تسول له نفسه بالبقاء في نابلس أو العودة اليها منهم ومن يساعدهم من اهل نابلس ايضا • وحينئذ خرج موسى طوقان ـ ولا يذكر المؤلف اخاه رضوان وابن اخيه اسعد ـ الى قلعة الجنيد وتحصن فيها فاصدر الوالي امرا جديدا ـ اورد المؤلف نصه موجها للقاضي والمفتي ونقيب الاشراف والمتسلم حسين آغا السلحدار ـ لان المتسلم الجرار كان قد توفي هذه الاثناء وموسى آغا النمر اميرالاي ووجوه واعيان ومشايخ القرى والنواحي في جماعين وبني صعب والشعراوية الشرقية والغربية ووادي الشعير ومشاريق بيينا بطرده من جبل نابلس لانه كان سبب جميع المفاسد والفتن وسفك الدماء والاعتساف الواقع في نابلس داخلا وخارجا ومطاردته ومطاردة كل من يساعده • وحينئذ خرج موسى آغا وحسين آغا المتسلم والميرالاي ابو بكر [1] واحمد آغا بالجموع مع عساكر الشام الى قضاء جماعين فطردوه منها فاخذ يتنقل شريدا من مكان الى آخر ، وقد نزل على الطرشان في جبل الدروز فاجاروه وارسلوا معه جماعة هاجم بها نابلس ودخلها واعمل فيها يد الفتك وكان موسى اغا مع عساكر الشام يجرون وراءه مطاردين فعلموا بذلك فعادوا مسرعين وتمكنوا من رده فذهب هذه المرة الى يافا لاجئا الى ابي نبوت حاكمها [2] •

وقد ساق المؤلف بعد ذلك سياقا جديدا هو كسابقه مزيج من الروايات والخيال وقد لا يخلو من حقيقة جاء فيه فيما جاء ان مصطفى طوقان سعى للحصول على متسلمية نابلس سنة ١٢٣٨ هـ لان متسلمها

(١) بينما ذكر المؤلف في نص مرسوم الوالي اسم موسى آغا بصفة اميرالاي ذكر في سياق كلامه بعد ذلك اسم ابي بكر بهذه الصفة . ولا ندري اذا كان ذكره لموسى آغا بالصفة المذكورة في المرسوم من باب التزيد ام ان ذكر ابي بكر هنا غلط ...

(٢) هذا السياق مقتبس من الصحف ٢٠٥ ـ ٢٢٢ وفي سياق المؤلف تفصيلات جرت لعب الخيال وحب التفاخر فيها دورهما .

السلحدار هرب ونجح في مسعاه ولكن نابلس رفضته وانتخبت موسى آغا وكيلا فلم ير الوالي مناصا من المسايرة وعين للمتسلمية احد رجاله سليمان آغا مع اقراره وكالة موسى اغا ــ ولا ندري كيف يكون هذا [1] ، ولم ينفض آل طوقان يدهم حيث ذهب موسى بك وحصل على مرسوم الوالي بالمتسلمية لان سليمان آغا عاد الى دمشق مذعورا، وحينئذ قرر زعماء البلاد في نابلس وخارجها اغتيال موسى والخلاص منه فتظاهروا بالرضاء به ودعوه الى بيت وزن وهناك دسوا له السم في القهوة فكان في ذلك مصرعه (سنة ١٢٣٩ هـ) وقد اشترك في المؤامرة موسى آغا النمر واحمد آغا والميرالاي ابو بكر والشيخ قاسم الاحمد وغيره من المشايخ [2] .

واورد المؤلف بعد هذا محضرا شرعيا عليه تواقيع مشايخ البلاد البارزين يقرر حصول التراضي بين آل النمر وآل طوقان على اسقاط حقوقهم بالتقابل في ما جرى بينهم من سفك دماء وقيام صلح بين الاسرتين [3] . ونتيجة لذلك استتب الصلح والهدوء نوعا ما في نابلس واضطلع موسى اغا بمنصب المتسلمية باتفاق مشايخ البلاد ومصادقة الوالي . وقد ذكر المؤلف هذا في نبذة عنونها بعنوان من عناوينه الطنانة (عصر احمد آغا) واثنى فيها على مزايا وسجايا موسى آغا وقال ان حكومته كانت خاتمة عصر الدمار وفاتحة عصر التقدم والعمران وان النابلسيين فتنوا بفتاهم ــ أي موسى ــ ايما فتنة فأحبوه واخلصوا له ولكنه لم يقض في المنصب الا فترة قصيرة حيث مات في سنة ١٢٣٩ هـ ــ في السنة التي استلم فيها المنصب فلم تلبث ابواب الدسائس والفتن ان انفتحت بعده . ثم قال المؤلف جريا على عادته في التفخيم والتجسيم : فكان موته كما قال الشاعر :

---

(١) قال المؤلف ان ذلك مذكور في مرسوم من الوالي ولم يورد نص هذا المرسوم في كتابه.

(٢) ص ٢٢٣ ــ ٢٢٦　　　　(٣) ص ٢٢٥ ــ ٢٢٨ .

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما ! [1]

ثم ذكر بعد ذلك احمد آغا الذي عنون النبذة بعصره فقال انه صار وكيلا للميرالاي ابي بكر ثم انتخبه زعماء السباهية اصيلا حينما سافر هذا فصودق على تعيينه رسميا ثم صار وكيلا للمتسلمية وانه كان الرجل الوحيد الباقي من آل النمر وظل مع ذلك قطب الرحى في جبل نابلس جميعه ومثل دورا كاملا وانه وفق الى مواقف نبيلة جعلته انبل واحكم امراء عصره وكان لنبله الفضل الاكبر في انقاذ نابلس من بطش عبدالله باشا ــ الوالي ــ وابراهيم باشا ــ قائد الحملة المصرية ــ ثم في انقاذ نفسه كما كان له فضل كبير في تخفيف الدسائس والقضاء على اكثرها . والغلو في التبجح بارز في الكلام . ومع كل هذا الثناء لم تدم وكالة متسلمية احمد آغا الا فترة قصيرة حيث عينت الدولة على ما جاء في سياق المؤلف رجلا غريبا اسمه مصطفى آغا للمتسلمية فاقام فيها سنتين وفي سنة ١٢٤٢ هـ ذهب فعينت الدولة شخصا غريبا آخر اسمه خورشيد آغا وكان متكبرا فاصطدم باحمد آغا الذي ظل يمارس امارة الآلاي ، وقد اثار احمد آغا عليه جبل نابلس فاضطره الى ترك المتسلمية قبل انتهاء امدها وحينئذ اتفق مع اسعد طوقان على انهاء عهد الحكام الغرباء وشجعه على السفر للشام والسعي لنيل المتسلمية ففعل . وقد اورد المؤلف نص مرسوم التعيين من الوالي موجها الى احمد آغا النمر اميرالاي نابلس وحاثا اياه على التعاون مع المتسلم [1] . وكان ذلك في سنة ١٢٤٣ هـ .

وخبر تشجيع احمد اغا لاسعد طوقان وترشيحه للمتسلمية عجيب متناقض مع ذلك التبجح ، ويدل على ان بني طوقان كانوا مع ما قاله مؤلف الكتاب من تشردهم وتفتتهم اصحاب وجاهة ونفوذ وان بني النمر لم يكونوا في حالة تمكنهم من ان يضمنوا لانفسهم المنصب الذي

---

(١) ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ .

كانوا ويظلوا يحرصون عليه ويدفعون بني طوقان عنه !

وفي سنة ١٢٤٤ هـ عزل اسعد طوقان من المتسلمية وعين لها الحاج عبد الله الجرار • وقد اورد المؤلف كذلك مرسوم التعيين الجديد موجها الى احمد آغا النمر وحاثا اياه على التعاون معه أيضا [١] •

وفي هذا نفس الدلالة السابقة على ما هو المتبادر •

وفي سنة ١٢٤٦ هـ عزل عبد الله الجرار من المتسلمية لخلاف بينه وبين والي عكا فاستلم احمد اغا المتسلمية بالوكالة على ما يفيده نص كتاب من الوالي المذكور اليه بهذه الصفة • غير ان وكالته لم تطل ايضا لان بني طوقان جددوا مساعيهم مغتنمين فرصة غضب الوالي على الجرار حتى حصل مصطفى طوقان على متسلمية نابلس واسعد طوقان على متسلمية احدثت في مغاريب نابلس مركزها قاقون [٢] •

ومما ذكره المؤلف في صدد الخلاف بين الجرار ووالي عكا ان هذا الخلاف نشأ عن خلاف بين هذا الوالي ووالي الشام على منطقة نابلس التي كانت في اكثر الاوقات تابعة لولاية الشام وان بعض مشايخ جبل نابلس ومن جملتهم المتسلم عبد الله الجرار والشيخ حسين عبد الهادي وقائد الآلاي احمد آغا النمر انحازوا الى جانب والي الشام بل وذهبت جرودهم وهم على رأسها للانضمام الى قوات والي الشام وقتال والي عكا وان والي الشام خذلهم ولم يأت فعادوا بدون نتيجة وان اسعد طوقان قد اغتنم الفرصة فانحاز الى والي عكا وحرضه على الجرار واثاره حقده وغضبه عليه [٣] •

ويستمر المؤلف في سياقه الذي يبدو انه مستند الى الروايات التي لا تخلو من حقيقة ان احمد النمر والشيخ قاسم الاحمد رأيا

---

(١) ص ٢٣٤ ـ ١٣٧ (٢) ص ٢٤٠ (٣) ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠

ضرورة التفاهم مع والي الشام ــ والارجح ان هذا خطأ وان صحيحه والي عكا ــ فكتب احمد اغا له كتابا بصفته وكيل المتسلم باستعداد جبل نابلس للطاعة فاجابه بكتاب اورد المؤلف نصه وبصفته وكيل المتسلم في نابلس يقول فيه انه امر متسلمه في قاقون اسعد بك طوقان بقبول طاعة كل من يريد الدخول في الطاعة من مشايخ جبل نابلس . وقد تردد الشيخ عبد الله الجرار عن الدخول في الطاعة لانه كان مغتاظا من اسعد طوقان وتابعه حسين عبد الهادي فاغتنم اسعد الفرصةفحرضه عليهما فأدى ذلك الى زحف قواته مع قوات الامير بشير الشهابي على صانور وحصارها وهدمها مما سوف نشرحه في سيرة بني الجرار [١] .

وقد ظل احمد آغا يمارس قيادة الآلاي مدة أخرى . ولآخر مرة خاطبه والي عكا بهذه الصفة في سنة ١٢٤٧ هـ وقبيل قدوم الحملة المصرية حينما عزل اسعد طوقان من متسلمية المغاريب (مغاربب بني صعب) واعلن هذا عصيانه . وقد امره الوالي بالتعاون مع المشايخ عبد الله الجرار وحسين عبد الهادي وقاسم الاحمد على مطاردة اسعد طوقان والقبض عليه وهدده اذا تقاعس وخالف او توافق مع اسعد بك بتهديم جدرانه وضبط املاكه وماواله وجعله عبرة لمن اعتبر فيندم ولا ينفعه الندم [١] .

وقد اورد المؤلف نص كتاب الوالي هذا وقد نعت المشايخ الثلاثة بنعت محسوبينا الذي فيه معنى العطف والمودة في حين كانوا وخاصة عبد الله الجرار موضع غضب الوالي الشديد على ما مر شرحه . فالظاهر ان عصيان اسعد طوقان جعل هؤلاء يتوددون للوالي او جعل الوالي يتودد اليهم بسبيل قمع حركته . هذا من جهة ومن جهة اخرى فاسلوب مخاطبة احمد آغا وتهديده يثيرا سؤالا عما اذا كان الوالي توقع ان

---

(١) ص ٢٤٣ ــ ٢٤٤

(٢) ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥ .

لا يتعاون مع المشايخ ضد اسعد بك مع ان المفروض هو العكس . ولا سيما ان بين بني الجرار حلفاء بني النمر الحزبيين وبين آل النمر وآل طوقان احقاد وثارات ونضال . ولعل ما تم بين احمد واسعد من اتفاق سابق ترشح الثاني للمتسلمية نتيجة له قد جعل صلات الاثنين صلات ود وحلف ! وعلى كل حال فان اثر السياسات المحلية والشخصية والحزبية باد في هذه المواقف .

ولقد عين والي عكا الشيخ عبد الله الجرار المتسلمية نابلس وامده بالقوة ليقوى على مطاردة اسعد طوقان . غير ان هذا تمكن من الافلات فاغتاظ الوالي وعزل الشيخ عبد الله وعين مكانه الشيخ محمد القاسم وقطع علاقته باحمد اغا النمر . والعبارة الاخير تعني على الارجح عزله عن قيادة الآلاي ولو لم يحب المؤلف ان يذكر ذلك صراحة [1] .

بنو النمر اثناء الحملة المصرية

— ٧ —

ولم تلبث الحملة المصرية ان قدمت الى فلسطين بقيادة ابراهيم باشا . وقد ساق المؤلف سياقا طويلا مزيجا هو الآخر بالروايات والخيال والتبجح والحقيقة معا جاء فيه فيما جاء في صدد آل النمر [2] ان المشايخ تآمروا على احمد آغا النمر وافهموا ابراهيم باشا بانه معتمد عبد الله باشا والي عكا فحل ألاي السباهية وحرمه اقطاعه فاشتغل بمتاجره واعتزل السياسة . ولما عقد الشيوخ اجتماعهم وصمموا على الثورة بتأثير تحريض بني القاسم الذين اقصاهم ابراهيم باشا عن الحكم بعد ان سلمه اليهم وأحل محلهم فيه بني عبد الهادي

---

(١) ص ٢٤٤ – ٢٤٥

نصحهم بالكف عن ذلك فلم يلتفتوا لقوله فارسل رسله لجميع عشائر
جبل نابلس ينصحهم بالهدوء وعدم الاشتراك بالثورة فقبلوا نصحه
جميعا حتى اضطر المشايخ الى اعلان العصيان والثورة في جبل القدس !
وان ابراهيم باشا غضب على نابلس غضبا شديدا حينما علم ان المشايخ
زعماء الثورة تحولوا اليها لايقاد الثورة فيها فجاء مسرعا من جبل
القدس الى بني صعب فقبض على الشيخ عيسى البرقاوي ثم كسر
جموع بني جرار في وادي الشعير وحاصر صانور وضربها بمدافعه
واضطرهم للتسليم واسر الشيخ عبد الله الجرار ثم حط على سيلة الظهر
ونادى في جيشه باباحة نابلس وهدمها في ظرف ثلاثة ايام ، وهرع اهل
نابلس الى ديوان احمد آغا وطلبوا منه الذهاب الى ابراهيم باشا
وانقاذ البلد فذهب اليه وتحاور معه وهدأ من غضبه وجعله يعدل عن
امره باباحة المدينة ويهبها له بقوله « هي لك يا احمد آغا » وان هذا
دعاه لضيافته فوعده بتلبية الدعوة وانه لما جاء الى نابلس هيأ احمد
آغا له استقبالا حافلا . وقد نصب صيوانه في بستان البصة واخذت
الوفود تأتي للسلام عليه ثم جاء وفد السباهية على الجياد العربية
برئاسة اميرهم احمد آغا وحولهم الخدم والعبيد والاتباع — والكلام
للمؤلف — ولما دخل احمد اغا على ابراهيم باشا قام العلماء جميعا
وقبلوا يده وقدموه لابراهيم باشا قائلين هذا أمير البلاد واولئك
المشايخ الاشقياء خارجون عن طاعته وليس لنابلس بهم صلة وقد
طردتهم واخرجتهم فقال ابراهيم باشا لقد دل عليه شرفه ونبله واخلاصه
وكنت ابحت بلدكم لجيشي ثم وهبتها اليه فانتم وبلدكم هبة مني
لهذا الامير ! والتبجح والتزيد باد في هذا الكلام . وقد ذكر المؤلف
بعد هذا وفيه كذلك تزيد وتبجح ان ابراهيم باشا بعد انتهاء الثورة
عاد الى نابلس وصام فيها رمضان سنة ١٢٥٠ هـ فاخلى له احمد اغا
القصر الكبير فنزل فيه هو وكتابه وخاصته . وقدم له ولده الاكبر
عبد الفتاح اغا ليكون اول جندي من جنود البلاد فادخله جيشه واعزه

ورقاه الى درجة ميرالاي وكان يقربه ويذاكره في كثير من الامور واطلعه على مسائل كثيرة تتعلق بالمسألة الشرقية مما ساعد عبدالفتاح آغا على العمل على جمع كلمة البلاد وتوجيه قوي اهلها للصلاح والعمران والقضاء على دسائس قناصل الدول ! وقد قدر ابراهيم باشا لاحمد آغا موقفه وحكمته فاعاد اليه تيماراته وامارته وألايه وولاه شيخا على نابلس وناحيتها واصبح هو مرجع اهالي جبل نابلس في كل شيء [1] ... والمؤلف يقول هذا مع انه يذكر في سياقه انه كان لابراهيم باشا في نابلس متسلم وهو سليمان عبد الهادي [2] !

ثم ساق المؤلف سياقا جديدا في صدد ما كان من تعاون اوروبا مع الدولة العثمانية ضد محمد علي باشا وابنه واجبارهما على الجلاء عن بلاد الشام ـ هو الآخر مزيج من الروايات والتبجح والحقيقة والتناقض معا ـ جاء فيه فيما جاء ان السلطان عبد المجيد اعتمد احمد آغا النمر في سورية الجنوبية حينما اشتدت مناوأة دول اوروبا والدولة العثمانية لحركة محمد علي وابنه واعلن عزلهما عن سورية وعينه اميرالاي على اربعة سناجق وهي القدس وغزة ونابلس واللجون وارسل اليه ضابطين وعلما واوامر باعلان الحكم العثماني وانه جمع اعيان البلاد وقرأ عليهم الاوامر واخذ ينظم شؤون البلاد دون مبالاة بابراهيم باشا الذي لم يكن انسحب بعد من البلاد وان بعض الاعيان تخوفوا من العاقبة فحاولوا اقناع احمد اغا بتأخير تنفيذ الاوامر فابى فكتبوا محضرا لابراهيم باشا يتنصلون فيه من عمل احمد آغا ـ وقد اورد المؤلف نص العريضة وهي موقعة من مفتي نابلس وقاضيها ونقيب اشرافها وبعض علمائها وواحد من آل طوقان اسمه سليمان .... فارسل ابراهيم باشا من القي القبض عليه ونفاه الى سنار حيث فقد بصره وضعف عصبه . وقد أعيد الى نابلس سنة

---

(١) ص ٢٥٠ ـ ٢٥٩

(٢) ص ٢٥١ وننبه على ان ابا عزالدين مؤرخ حملة ابراهيم باشا في سورية لم يذكر شيئا كل ما مر ذكره المؤلف كما لم يذكر احدا من آل النمر .

١٢٥٧ هـ في جملة من اعيد من المنفيين وتوفي فيها سنة ١٢٦١ هـ [1] .

ومع ذلك فان المؤلف يقول متبجحا [2] ان محمد علي باشا حيما أنذر بالانسحاب من بلاد الشام واخذ جيشه ينسحب وثار لبنان وتخطف اهل البلاد جنوده اكرم جبل نابلس مثواهم . وان ابراهيم بك اليوسف احد قواد الهوارة من متطوعة جيش ابراهيم باشا احتمى بآل النمر فاكرموا مثواه ...

بنو النمر في العهد العثماني بعد الحملة المصرية
ونشاط عبد الفتاح آغا واولاده

ـ ٨ ـ

ولقد عقد المؤلف بعد ذلك نبذة بعنوان « عصر عبد الفتاح [3] » مزيجة هي الاخرى من الروايات والخيال والتبجح والحقيقة معا . وقد نوه فيها بما كان عليه من حكمة وله من منزلة ومواقف واورد مقطوعة لشاعر نابلسي لا يذكر اسمه في مدح مزاياه جاء فيها :

أتي الايـام والايـام غضبي ... فـاحدثت في مباسمهـا افترارا
بصهوة مهره طلـب ـالمعـالي ... وقبـل فطـامه لبس الوقـارا
واصبح للعلى بطـلا كريمـا ... فـاولـدها المحامـد والفخارا

وقد جاء في النبذة فيما جاء ان الدولة العثمانية بعد استئنافها الحكم في البلاد عقب انسحاب الحملة المصرية جعلت نابلس قائممامية تابعة لمتصرفية القدس في نطاق ولاية الشام وعهدت بوكالة امـارة الآلاي لعبد الكريم بن عبد الفتاح آغا وا ن عبد الفتاح اغا ترفع ـ والعبارة للمؤلف ـ عن المنافسة على القائممقامية لانه كان وصل الى

---

(١) ص ٢٦٢ ـ ٢٦٦ .   (٢) ص ٢٦٦   (٣) ص ٢٦٧ ـ ٣٠٤

رتبة الاميرالاي فصارت تتداول بين أسرتي طوقان وعبد الهادي ، وانه كان مع ذلك لعبد الفتاح آغا خدمة جلى لنابلس حيث أطفأ فتنة حاول القناصل اشعالها في جبل نابلس وحيث وقف موقفا قويا في حادث قتل حارس سائح انكليزي احد الاهالي وهجوم الاهالي على الحارس والسائح وقتلهم اياهما حتى كادت تنشب فتنة بين المسلمين والنصارى فتمكن بحكمته من حسم الموقف • وحال دون قتل النصارى ورد الناس عنهم بواسطة عبد القادر ابنه وباقي شبان آل النمر واتوا بهم محروسين الى دورهم وبقي فريق من رجال آل النمر يحرسون دورهم وتعهد عبد الفتاح آغا لهم بدفع ضعف ما خسروه وحمايتهم واخذ منهم عهدا بانكار كل شيء اذا جاء القناصل وسألوهم عما أصابهم • وقد جاء القناصل بعد ايام وسألوا النصارى فانكروا فعادوا بخفي حنين !

وقد فعل عبد الفتاح آغا كل هذا لان ابراهيم باشا اطلعه على نوايا الدول الاوروبية للشرق والدولة العثمانية ! [1]

ولقد نشبت في زمنه الحرب الاهلية الكبرى التي تجمعت اسبابها بين الاسر البارزة قبل الحملة المصرية وفي أثنائها نتيجة لما كان من تنافس وتناحر ووشايات والتي اشترك فيها جميع الاسر البرازة وانصارهم • وقد انقسمت هذه الاسر الى جبهتين على ما يستفاد من سياق المؤلف ـ المزيج من الروايات والخيال والتفاخر والحقيقة معا [2] ـ جبهة القيسية وفيها آل النمر وآل عبد الهادي وآل القاسم وفريق من آل جرار وآل الجيوسي ، وجبهة اليمنية وفيها آل طوقان وآل البرقاوي وآل ريان وفريق من آل جرار ، وكان مع كل أسرةمن أسر الجبهتين جماعات قروية وبدوية تتجمع وتقاتل تحت قيادتها • ومما جاء في السياق في صدد آل النمر ان الجماعات التي كانت

---

(١) ص ٢٦٧ ـ ٢٧١ والعبارة الواردة كلام المؤلف •

(٢) ص ٢٧١ ـ ٢٩٨ •

تتجمع تحت قيادتهم هي حارة الحبلة وفيها مئة عشيرة وفدائية آل النمر واتباعهم وسباهيتهم وتقدر جرودهم بالف بواردي تكون تحت الراية في ساعة واحدة حالما يقرع الطبل ! ثم مشاريق البيتاوي وزعماؤه آل الحاج محمد وقرى جورة عمره وزعماؤه الشتيوات في كفر قدوم وجبارة في قرية حجة ، وقرى نابلس الشمالية ـ عصيره وطلوزة وطوباس وطمون وياصيد باستثناء بعض الاقسام والحمائل ـ وقرى نابلس الغربية ـ زواتا وبيت وزن وبيت ايبا ودير شرف ورفيدية باستثناء بعض الاقسام والحمائل ـ وان موقف عبد الفتاح آغا كان في بدء الامر معتدلا حكيما بدون تورط وبذلك افاد انصاره وقضى على بعض خصومه واضعف البعض الآخر • وان قائممقام نابلس سليمان طوقان شكاه لمتصرف القدس مع ذلك واتهمه بتوسيع الشقة بين بعض الاسر والحيلولة دون الصلح بينهما فكتب المتصرف اليه كتابا (سنة ١٢٦٦ هـ) يطلب منه عدم التدخل وبذل الجهد في ازالة اسبا بالمنازعات لما يعتقده فيه من حسن التعقل والاستقامة ، وانه ذهب للقدس وواجه المتصرف وشرح له حركات بني طوقان واشتراك القائممقام نفسه في الحرب الاهلية وثبت للمتصرف صحة ما قاله فامر بالقبض على القائممقام واثنين من اقاربه هما عبد الله طوقان ومصطفى طوقان ونفاهم الى طربزون مع اثنين من آل عبد الهادي ، وان الحرب الاهلية ظلت مستمرة بل وتفاقمت واتسع نطاقها وان عبد الفتاح ظل مع ذلك معتدلا حكيما محاولا الاصلاح بين الزعماء ثم اضطر بضغط الاحداث الى نصرة انصاره فاشترك ابنه عبد القادر على رأس جموع من حي الحبلة والقرى الاخرى في الوقائع الحربية التي وقعت [١] •وقد اورد فقرة من تقرير لقنصل فرنسة الموسيو فين عن هذه الحرب لا يعزوه الى مصدر جاء فيها [٢] ان جبل نابلس في الحرب الاهلية كان صفين : صف طوقان وانصاره

---

(١) ص ٢٨٣

(٢) ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

اولاد البرقاوي ولهم ثلث وادي الشعير وآل الريان ولهم نصف جماعين وفيها اثنتان وعشرون قرية وآل جرار ومعهم نصف بلاد حارثة . وصف النسر وقواده آل عبد الهادي ومعهم الشعراويتان والقاسم ومعهم جماعين الشرقية وفيها اثنتان وعشرون قرية وآل الجيوسي ومعهم بنو صعب بقراها الاربع والعشرون .

وقد اورد المؤلف بعض فقرات من كتابين ارسلا الى عبد الفتاح آغا واحد من الشيخ محمد السليمان شيخ حمولة الجرادات يقول فيه «بلغنا ان الاخوان الكرام عائلة جرار حضروا لطرفكم فالمأمول من سنيكم الافادة الشافية عن حضور المذكورين وخلافهم للاطمئنان . والامل دائما بذل المجهود واشهاد الهمة بهذه المواد وعدم السهو عن الترقبات بكامل الامور حيث ان الحاضر يرى ما لا يراه الغائب وجنابكم صرتم مقلدين بالجميع وغيرتكم على رؤوس الاشهاد ومهما بدا من مكارب الوجوه فهو عايد على حضرتكم . من قبله توجه لطرفكم احمد اغا ـ الجرار كما يعلق المؤلف في الحاشية ـ ومن يوم توجه لم يحضر لنا من جنابه افادة فالامل تفيدونا عن كامل ما هو حادث بطرفكم » والثاني من شيوخ آل جرار قاسم اغا الداوود واحمد اغا اليوسف وابراهيم اغا المحمد جاء فيه « الموجب لرقم احرف المودة انه بلغنا ان سعادة افندينا الوالي المعظم قريب يشرف محلنا طرف جنابكم فنرغب من الخوة الصادقة حيث الجايز واحد والصالح واحد متى بلغكم الخبر الاكيد ان تفيدونا لاجل تقبيل اتك ـ ذيل ـ سعادته ـ هذا ما لزم افادتكم والله يحفظكم » . وقد اوردهما المؤلف كدليل على ما كان لعبد الفتاح اغا من الزعامة وصيرورته مرجعا لجميع الشؤون [1] . وقد دعم كلامه بايراد فحوى الكتاب الذي جاء الى عبد الفتاح آغا من متصرف القدس حينما عين علي بك طوقان قائممقاما لنابلس جاء فيه

---

(1) ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

« وحيث وان يكن محقق عندنا وحدة الحال بينكم وبين علي بك المومى اليه الآن حيث انوجدتم في نابلس من ارباب الكلام وذوي العقل المقيدين في صداقة الدولة العلية بالاستقامة فالمأمول ان تكونوا مع علي بك المومى اليه يدا واحدة وقلبا واحدا ولا يلزم لحميتكم مزيد الاشراف والتأكيد بهذا الخصوص »[1] .

ومن صفحات الحرب الحرب الاهلية التي ذكر فيها عبد الفتاح آغا النمر وابنه عبد القادر وجهودهما على ما جاء في كتاب جبل نابلس الذي امتزج سياقه كالعادة بالخيال والتفاخر معا ان جماعة الاحفاة في برقة من الصف القيسي تعرضت لضغط شديد من اليمنيين وان عبد الفتاح آغا النمر وسعيد آغا طوقان الذي كان منحازا للصف القيسي كانوا ينجدونهم فادى ذلك الى ارتداد اليمنيين عنهم ودوران الدائرة على هؤلاء[2] ، وان القيسيين واليمنيين في المشاريق تعرضوا لضغط جموع اليمنيين من ناحية جماعين فاستنجدت عورته التي حاصرها هؤلاء بعبد الفتاح اغا النمر فانجدهم بجروده الخاصة بقيادة ابنه عبد القادر وانضم اليه جرود باقي المشاريق فكسروا جموع اليمن وفروا هاربين الى البلقاء وهدم عبد القادر آغا النمر مضافاتهم حتى حدود القدس دلالة على كسرهم[3] ، وان اليمنيين استنجدوا بعرب الصقر الذين اخذوا يغيرون على القيسيين فاستنجد عبد الفتاح آغا النمر ومحمود بك عبد الهادي بعرب العدوان وجمع في الوقت ذاته جميع جروده الخاصة ونزل بهم ابنه مع جموع جماعين القيسية الى غور بيسان وانضم اليهم الغزاوية ثم وصلت نجدة العدوان بقيادة سلطان البلقاء الامير علي الدياب ومعه احلافه من الصخر والفريحات وتوجهوا جميعا للقاء جموع الصقر والمنحازين لليمنية من بني جرار وكانت جموع الطرفين كثيرة جاوز عددها العشرين الفا وان الفريقين التحما في

---

(١) ص ٢٤٣ .

(٢) ص ٢٨٧ (٣) ص ٢٨٩ .

القتال ودارت الدائرة في بدئه على القيسيين وقتل بعض زعمائهم مثل محمود الجرار وعبد الله الحسين عبد الهادي والامير غالب العدوان ثم وثب احد عبيد الامير العدواني على رباح السعيد عقيد الصقر فقتله فاضطرب صف اليمن فدارت الدائرة في الجولة الثانية عليه وتشردت جموعه وهربوا نحو بيسان . وهناك جمعوا شملهم وتحشدوا في مكان اسمه الشرار فتوجه الامير علي دياب نحوهم وكسرهم شر كسرة ونهب جميع مواشيهم وهدم بيوتهم بعد ان قتل عددا كبيرا منهم حتى صار يعرف يوم الشرار بيوم القطران في اهازيج اليمن التي روى المؤلف منها هذا البيت :

يوم حطت عالشرار يوما اسود كالقطران

وان الامير العدواني توجه بعد ذلك نحو الغرب فنهب عرب ابي كشك وكل من صادفه من الصف اليمني ومن جملتهم قرى البرقاوي[١] . وضرب اليمنيون القيسيين في طوباس وطلوزة وطمون ثم أتوا الى عصيرة فاستنجد اهلها بعبد الفتاح آغا النمر فانجدها بثمانمائة بواردي من حارة الحبلة وانضم اليهم حارات اخرى من نابلس كانت تتحزب مع القيسيين وصعد بهم عبد القادر آغا ابنه الى جبل عيبال وهو جبل نابلس الشمالي وكان اهل عصيرة فروا من قريتهم اليه واخذت الجموع تضرب جماعات الصف اليمني وتهدم دورهم وتشردهم[١] .

وفي هذه الاثناء جعلت نابلس متصرفية في نطاق ولاية الشام[٣] (سنة ١٢٧٥ هـ) وعين لها متصرف تركي اسمه يوسف ضيا واخذت تدخل في نطاق التنظيمات الجديدة الهادفة الى القضاء على عهد الاقطاع والتي قضت عليه في النهاية بعد قليل فعمد المتصرف الى الشدة والبطش

---

(١) ص ٢٨٩ ـ ٢٩٢ .   (٢) ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٣) الحقت نابلس بولاية الشام اولا باسم متصرفية البلقاء ثم الحقت باسم متصرفية نابلس بولاية بيروت وظلت كذلك الى آخر العهد العثماني .

لاجل قمع الفتنة الناشبة فاصطدم بسبيل ذلك مع عبد الفتاح آغا الذي وقف موقفا قويا من المتصرف عبر عنه المؤلف متبجحا بجملة « داس رقبة المتصرف » مما جعل هذا يطلب النجدات ويمضي في خطة البطش ويعتقل عبد الفتاح آغا وابنه عبد القادر وينفيهما الى بيروت حيث لبثا مدة عزل المتصرف في أثنائها ــ والمؤلف يعزو هذا الى تأثير الآغا ــ فعاد المنفيان الى نابلس واستقبلا بحفاوة منقطعة النظير كما يقول المؤلف الذي قال بعد ذلك ان هذا كان وداعا لعهد الاقطاع وفروسيته والنوابلسة اعتبروا عبد الفتاح آغا منقذا ، واورد مقطوعة لشاعر نابلسي لا يذكر اسمه فيها غلو في مدحه والاطناب به للتدليل على ما كان له من مكانة :

ولو لا عـابد الفتـاح حـلا	لصرنا في بني الـدنيا أسارى
حليف المكرمات ابو المعـالي	اجل الناس قدرا واقتـدارا
اعز بني الملوك الغـر نفسـا	واشـجعهم وامنعهم ديـارا

وعبد الفتاح وعبد الكريم وعبد القادر النمر آخر من ذكروا من هذه الاسرة في عهد الاقطاع . ولقد ظلت هذه الاسرة بعد هـذا العهد تحتفظ بوجاهتها وقصورها واملاكها وذكرياتها ، ومـع انها ضعفت كثيرا ماديا وادبيا فانها ما تزال الى اليوم تحتفظ بشيء من ذلك ايضاء

— ٥ —

بنو طوقان في منطقة نابلس
مراجع تاريخ هذه الاسرة ومنشؤها

— ١ —

وهذه أسرة عربية كان لها بروز في مجال الحكم في فلسطين وخاصة في منطقة نابلس مثل بني النمر • وكان بروزها على غرار بروز هؤلاء أي انهم كانوا موظفين تابعين للدولة عزلا ونصبا مع امتداد بروزهم أكثر من مئة وخمسين سنة ، مما يجعل لبروزهم معنى اكثر من موظفين عابرين ، ومما يسوغ عقد نبذة لهم في هذا الكتاب •

ولقد ذكرهم مؤرخو حقبتهم الشاميون مرارا في سياق احداث جبل نابلس الاقطاعية ويبدو من سيرتهم انهم كانوا ادوى اسما وصيتا من بني النمر برغم محاولة مؤلف كتاب جبل نابلس تصوير العكس •

ومعظم ما كتب من سيرتهم جاء في الجزء الاول من تاريخ جبل نابلس والبلقاء لاحسان النمر [١] مع التنبيه على ان اسلوب هذا المؤلف عنهم خصم وليس اسلوب مؤرخ مجرد • وفي الغرر الحسان للشهابي وفي كتاب تاريخ الامير فخر الدين المعني لاسكندر المعلوف وفي كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا للمعلم ابراهيم عودة • وفي الجزء الثالث من كتاب سلك الدرر للمرادي شيء عنهم • وسيكون المعول في هذه النبذة على هذه المصادر •

---

(١) لم ينشر المؤلف جزءا آخر من كتابه وما سوف نورده في هذه السيرة هو من الجزء الاول .

ولقد امتزجت سيرتهم في كتاب تاريخ جبل نابلس بسيرة بني النمر ومر شيء كثير اقتباسا من هذا الكتاب في سيرة بني النمر . وهذا ما يجعلنا نقتصد في الشرح عنها في هذه النبذة .

ويقول مؤلف تاريخ جبل نابلس والبلقاء عن اصل الاسرة ان هناك من يقول انهم من شيوخ عرب الموالي وانهم كانوا يضعون طوقين في اعناقهم تمييزا لهم عن افخاذ الموالي الاخرى ومن ذلك اسمهم ، وان هناك من يقول ان الدولة انعمت على جد لهم رتبة بطوقين فصارت ذريته تعرف بهذا الاسم ، وان عشيرتهم كانت في الجولان فجاؤوا مع حملة عبد الله باشا النمر ، وان اول من عرف من اجدادهم جد اسمه عبدالله يقال انه مدفون في جهة مادبا في قرية تسمى قبر عبد الله ، ثم ولده ابراهيم الذي مات عن ولدين هما عفيف والحاج محمود ومنهما تكونت الاسرة [1] .

ولا يسند المؤلف اقواله الى سند ما .

ويقول اسكندر المعلوف ان طوقان فرع من قبيلة الموالي القاطنين في لواء حماه . وقد كانت هذه القبيلة فرعين طوقان وابو ريشة فقام نزاع بين زعيميهما فنزح زعيم فرع طوقان مع عشيرته الى نواحي البلقاء ثم الى نابلس ومنهم آل طوقان في نابلس [2] . وقد ذكر المؤلف هذا في هامش تعليقا على ذكر ارسال زعيم الموالي فياض الحياري سلطانا ابن عبد الله طوقان احد امراء قبيلته لمطاردة الامير علي بن فخر الدين الثاني اثناء تشرده بعد مغادرة ابيه البلاد الى اوروبا .

وفي الجزء الثاني من كتاب عشائر الشام لوصفي زكريا تطابق مع ما ذكره المعلوف حيث ذكر ان الطوقان فرقة من الموالي وان أسرة طوقان المعروفة في مدينة نابلس سنة ١٠٦٦ هـ من هذه الفرقة . وقد عزا هذا المؤلف كلامه الى بعض امراء الموالي المعاصرين وقال انه

---

(١) ص ١٢٤

(٢) ص ١٣١ - ١٣٢ تاريخ الامير فخر الدين الثاني .

ليس لديهم ما يؤيده [١] • ولقد ذكر هذا المؤلف بعد قليل [٢] فروع قبيلة الموالي الشماليين الحاضرة فذكر في عدادها الطوقان حيث يدل هذا على ان فرع الطوقان ما يزال الى الآن موجودا مع فروع الموالي الشماليين في براري حلب وحماه والمعرة وحيث يفيد هذا اذا صحت رواية نزوح زعيم الطوقة مع عشيرته الى نواحي البلقاء ثم الى نابلس ان الفرع لم ينزح جسيعه وانما نزح بعضه وبقي البعض الذي لا يزال ذراريه موجودين يحملون اسم طوقان •

ولقد ذكر مؤلف تاريخ شرق الاردن وقبائلها بيك الانكليزي — عربه بهاء الدين طرقان ونحن ننقل عنه [٣] — ان بني صخر احدى قبائل شرق الاردن المشهورة تتفرع الى فرعين كبيرين هما الطوقة والكعانبة • فمما يرد من الاحتمالات ان يكون آل طوقان من هذا الفرع وان كان احتمال انتسابهم الى فرع طوقان من عرب الموالي هو الاقوى •

وينضوي تحت اسم طوقان اليوم في نابلس أسر خليفة وخضر ورحال وسعيد وعبد الرزاق والعثمان والخواجة ثم الاغوات والبيكات [٣] • والاسرة الاخيرة هي التي كانت تتسمى باسم طوقان دون اسم آخر ، والاسرة الثانيه كانت تتسمى باسم الاغوات فقط ثم صارت منذ خمسين سنة تتسمى باسم طوقان • اما الاسر الاخرى فلم تأخذ بتسمية نفسها باسم طوقان مضاف الى اسمها الاول الا حديثا • والاسرة التي برزت في مجال الحكم والتي هي موضوع هذه النبذة هي الاسرة التي سماها مؤلف تاريخ جبل نابلس بالبيكات والتي كانت تحمل اسم طوقان من الاصل •

وكلام هذا المؤلف يفيد ان آل طوقان جاؤوا لاول مرة الى نابلس في اواسط القرن الحادي عشر الهجري حيث ذكر انهم جاؤوا

---

(١) ص ١٦٤   (٢) ص ١٦٨ •   (٣) ص ٢١٤ •

(٤) تاريخ جبل نابلس والبلقاء ج ١ ص ١٢٤ •

مع حملة عبد الله باشا النمر المتوفي سنة ١٠٨٠ هـ وقد جاءت حملته قبل ذلك بمدة غير يسيرة .

أولية بروز هذه الاسرة

— ٢ —

أما أول من برز أو ذكر من هذه الاسرة في مجال الحكم فهو صالح باشا جد أسرة البيكات حيث ذكر مؤلف جبل نابلس انه التحق بامير الحج فعينه متسلما لاحدى النواحي ثم متصرفا في القدس ومنح لقب باشا وكان لقبه قبل آغا . ثم عزل من القدس بسبب حادث قتل نصوح باشا — وقد مر ذكر ذلك في سيرة بني النمر — فذهب الى الشام وبرأ نفسه من التقصير فأعجب به الوالي فعينه حاكما لبعلبك برتبة ميرلوا . وثارت بعلبك في زمنه فبطش فيها وعظمت سطوته وخشيه والي الشام سليمان باشا العظم فسمه سنة ١١٥٥ هـ فلما شعر بالسم أسرع الى نابلس حيث مات ودفن فيها [١] . ولا يعزو المؤلف سباقه الى مصدر . ولقد ذكر المرادي في الجزء الثالث من كتابه سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر [٢] حكم صالح باشا لبعلبك ووصفه بالنابلسي ابن طوقان في ترجمة شاعر اسمه عبد النبي النابلسي في مناسبة قصيدة لهذا الشاعر مدح فيها صالح باشا واشار الى ثورة بعلبك وما كان من عزمه وحزمه . مطلعها :

لسعدك اقبال له العز يخدم ... لــذا بعلبــك لم تزل تبنسم

منها هذه الابيات :

نووا فتنــة خــابوا بقلــة عقلهم ... وقد اظهروا العصيان والنار اضرموا

---

(١) ج ١ ص ١٢٦ تاريخ جبل نـابلس والبلقاء .

(٢) ص ١٤٠ — ١٤١

وقد جاءهم عكس وظنوا بجهلهم كظن الزرازير الذين توهموا

ومنها :

اذا بعلبك قد تعدى سفيهها فصالح هذا العصر للظلم يهدم

ومنها :

ايا وقعة قد صال فيها على العدا رأينا رؤوس القوم للارض ترجم
ولما رأى العربان فتك حسامه فولوا حيارى والهزيمة مغنم
ولما انتهى من حربهم وقتالهم وكان الذي قد كان منه ومنهم
بني في فلسطين الرواسي صوامعا فهل هذه الاخبار ضلت عليكم
اذا العرب قد ذلت وماتت بحسرة فمن انتم حتى على الشر تعزموا
وتعصوا ولي الامر عمدا بجهلكم ولم تدروا ان البغي للمرء يقصم

ومن الجدير بالتنبيه ان مؤلف تاريخ بعلبك مخائيل الوف لم يذكر ولاية صالح باشا طوقان لبعلبك كما ان سلسلة امارة بني حرفوش ظلت مستمرة منذ القرن الحادي عشر بدون انقطاع على ما تفيده سيرتهم التي اوردناها في الجزء الاول مما يبدو عجيبا وعسير التوفيق . ولعل والي الشام غضب على الامير الحرفوشي في اواسط القرن الثاني عشر فاقصاه عن الامارة وعين صالح باشا لفترة قصيرة وان ثورة بعلبك التي ذكر المرادي خبر قمعها وذكرت في قصيدة الشاعر النابلسي كانت نتيجة لذلك .

نقول هذا لان ما ورد في سلك الدرر يجعل ولاية صالح باشا لبعلبك حقيقة كما هو المتبادر .

ولقد قال المرادي ان الشاعر مات غريقا في سنة ١٠٥٤ هـ وذكر في الوقت نفسه انه غرق في زمن ولاية سليمان باشا العظم كما ذكر ذلك مؤلف جبل نابلس . وسليمان باشا العظم انما تولى في اواسط القرن الثاني عشر فيكون ذكر سنة ١٠٥٤ هـ غلطا مطبعيا او نسخيا ، ولا سيما ان كتاب المرادي معقود على رجال القرن الثاني عشر .

ولقد ورد اسم صالح باشا طوقان في كتاب تاريخ ولايـة والي عكا سليمان باشا كواحد من الذين نالوا رتبة الوزارة من آل طوقان وقيل في صدده انه تولى ايالة الشام بعد طربزون سنة ١٠٩٨ هـ ـ ١٦٨٦ م ولا يسند الكاتب روايته الى مصدر [١] ..

وهذه الصفات التي ذكرت لصالح باشا وتاريخ ولايته لايـالة الشام بعد طربزون بعيدة عن الانطباق على ما ذكره مؤلف جبـل نابلس بل والمرادي ايضا سواء من ناحية التاريخ أم من ناحية النشأة أم من ناحية الرتبة . والتوفيق عسير . وفي القول ان هذا الذي ذكر في كتاب تاريخ سليمان باشا غير الذي ذكره المؤلفان السابقان مجازفة، وليس لنا الا الاكتفاء بالتسجيل .

خلفاء صالح طوقان وسيرة مصطفى طوقان

ـ ٣ ـ

ولقد ذكر مؤلف جبل نابلس ان صالح طوقان خلف ولدا اسمـه ابراهيم بك اشتغل بالعلم وعرف بالشيخ ابراهيم بك وانه برز في العلم حتى ولاه علماء نابلس رئاستهم ، وانه هو الذي بنى القصر الاقطاعي الكبير وعمر جامع العين القريب منه [٢] .

ونسبة القصر الاقطاعي الى الشيخ ابراهيم تتحمل التوقف لان هذا القصر الضخم ذي الاسطبلات والساحات والبوابات والذي يكاد يكون قلعة حصينة لا يمكن ان يكون بني الا من طرف شخص كـان يتولى الحكم ...

---

(١) ص ٣١٥ جاء هذا في ذيل الصفحة ويبدو انه من كلام ناشر الكتاب وليس من كلام مؤلف الكتاب .

(٢) ص ١٢٧ .

وخلف الشيخ ابراهيم على ما ذكره المؤلف [1] خمسة اولاد وهم مصطفى بك واحمد بك وعلي بك وصالح بك وعبد الله بك . وقد تولى اولهم مشيخة بني صعب حوالي سنة ١١٨٠ هـ ثم متسلمية نابلس فيكون هو ثاني من برز أو ذكر بروزه من الاسرة في مجال الحكم [2].

ومنذئذ ظلوا في هذا المجال الى نهاية عهد الاقطاع أي نحو مئة سنة انقضت في صيال ونضال ومنافسة بينهم كزعماء للنعرة اليمنية وبين الاسر البارزة الاخرى التي تجمعها النعرة القيسية . واذا اخذنا بكلام احسان النمر فان الصيال والنضال انما كان بينهم وبين آل النمر الذين كانوا على ما يفيده هذا الكلام زعماء النعرة القيسية وكان حكم نابلس هو موضوع المنافسة والصيال .

ولقد ذكرنا شيئا غير يسير من سيرة مصطفى في أثناء مشيخته لبني صعب ثم متسلميته لنابلس وما كان من اصطدام بينه وبين الشيخ ظاهر العمر وزحف هذا على بني صعب ثم على نابلس في سياق سيرة بني النمر اقتباسا من كتاب جبل نابلس فلا نرى حاجة الى التكرار . ونتجاوزه لنقول ان مصطفى هذا استطاع بمساعدة عثمان الكرجي والي الشام على ما رواه مؤلف جبل نابلس الحصول على ولاية يافا وغزة والرملة ونابلس في سنة ١١٨٦ هـ مع رتبة ميرميران التي تخول صاحبها لقب الباشا . وهذا يفيد ان سلطان بني طوقان في عهد هذا الوالي قد اتسع حتى شمل نصف فلسطين الجنوبي [3] .

وقد احنق هذا خصومهم الحزبيين وبني النمر في المقدمة ولا سيما ان مصطفى استولى على الاقطاع الذي كان في تصرف المتسلم السابق من بني النمر فجعلهم يتصلون بالشيخ ظاهر صاحب الصولة والدولة

---

(١) ص ١٢٧ .

(٢) في كتاب تاريخ سليمان باشا والي عكا وصيدا للمعلم ابراهيم عودة ما يفيد ان حكم بني طوقان لنابلس كان اقدم من هذا التاريخ على ما سوف نذكره بعد .

(٣) تاريخ جبل نبلس ص ١٤٦ — ١٤٧ .

في هذا الظرف ويتفقون معه فلم يسع مصطفى باشا الا الخروج من نابلس هو واولاده واخوته حيث ابحروا الى صيدا ومنها الى الشام وسافر مصطفى الى الاستانة مزودا بتوصية من الوالي • وظلوا متغيبين عن البلاد ومسرح الحكم بضع سنين ثم عاد بعضهم سنة ١١٩٨ هـ [١] واصطلحوا مع بني النمر •

نشاط اسعد واحمد ومحمد وخليل وموسى ومصطفى طوقـان

— ٤ —

ولقد سجل التاريخ لكل من هؤلاء نشاطا وبروزا بعد صالح ومصطفى • ولقد ذكر احسان النمر ان بني طوقان ظلوا بعـد صلحهم مع آل النمر بعيدين عن الحكم الى سنة ١٢٠٤ ثم استأنفوا نشاطهم في سبيله فحركوا اهل نابلس على متسلمهم الحـاج يوسف الجرار ونجحوا في حركتهم حيث فصل هذا عن المتسلمية ووجهت الى اسعد ابن مصطفى ، حيث يكون ثالث البارزين من الاسرة • وسياق احسان يفيد ان هذا اقصي عن المتسلمية في ظروف غامضة الى ان شملت ولاية الجزار ولاية الشام ايضا في سنة ١٢٠٨ فبسم الحظ للاسرة حيث عين الجزار احمد بك طوقان متسلما لنابلس والحاج محمد شيخا لبنـي صعب [٢] •

---

(١) يستفاد من سياق للمؤلف نفسه ان مصطفى عين واليا لمصر ثم نقل منها الى ولاية جدة ومات فيها سنة ١١٩٧ هـ (ص ١٥٤) ولا يذكر المؤلف ولايته لمصر صراحة ولكنه يقول ان خليل باشا عين لولاية مصر فنقل مصطفى باشا طوقان لولاية جدة . وقد ذكر ناشر كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا (ص ٣١٥) خبر ولايته لمصر سنة ١١٨٨ هـ . وذكر الخبر الجبرتي ايضا (ج ٢ ص ٧٤) .

(٢) تاريخ جبل نابلس ص ١٥٤ — ١٥٧ .

ولا يسند المؤلف كلامه الى مصدر كالعادة • وفي الغرر الحسان ما ينقضه [1] حيث ذكر فيه اسم اسعد بك بصفة (احد ولاة ديار نابلس) في حوادث سنة ١١٩٢ هـ وقال ان الجزار اوفده الى جبل لبنان ليهدد باسمه اكابرها ويراود الامير يوسف الشهابي عن عودته الى الحكم ـ وكان الحكم في هذا الظرف في يد اخيه سيد احمد ـ ويدرس امكانياته المالية • وانه قام بالمهمة واخذ من الامير يوسف تعهدا بدفع مئة الف قرش فاعاده الجزار الى الحكم • وكلام الغرر ينقض كلام مؤلف جبل نابلس في نقطتين اولاهما في قوله ان بني طوقان هربوا من نابلس في سنة ١١٨٦ هـ بعد اتفاق بني النمر وحلفائهم مع الشيخ ظاهر العمر وثانيتهما في قوله ان اسعد بك صار متسلما في سنة ١٢٠٤ هـ

ومن المحتمل ان يكون مصطفى باشا وحده هو الذي خرج من نابلس الى صيدا فالشام فالاستانة مع بعض اسرته دون بعض فكان اسعد بك من جملة من تخلف فلما صارت الولاية للجزار في سنة ١١٩٠ هـ [1] عين اسعد بك متسلما لنابلس • لان هناك رواية في ذيل كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا والي عكا وصيدا لناشر الكتاب يذكر فيها ـ بدون سند ـ ان مصطفى باشا الذي اشتهر برد غارة الشيخ ظاهر العمر عن نابلس صار في سنة ١١٨٨ هـ واليا على مصر [3] •

ولقد اغضبت عودة بني طوقان خصومهم على ما قاله احسان النمر • غير ان زحف نابوليون في هذه الآونة على فلسطين شغل الجميع وجعلهم يتعاونون على صده • فلما ارتد وفصلت ايالة الشام عن الجزار شارع خصوم بني طوقان الى الشكوى الى الصدر الاعظم الذي جاء الى دمشق بسبيل السير الى مصر لقتال الافرنسيين فاصدر امره

---

(١) ص ١٢٦ ـ ١٢٦ ج ٢ نسخة رستم •

(٢) انظر الغرر الحسان ج ٢ ص ١١٦ نسخة رستم •   (٣) ص ٣١٥ •

بعزل احمد طوقان عن المتسلمية • غير ان هذا سارع الى ارسال ابن اخيه خليل حاملا الهدايا الى والي الشام عبد الله العظم فساعد على تعديل الامر السابق بتعيينه هو متسلما بدلا من عمه وتثبيت الحاج محمد طوقان في مشيخة بني صعب وتعيين انصارهم محل خصومهم الحزبيين في بعض النواحي •

وقد اورد مؤلف جبل نابلس الذي لخصنا عنه ما تقدم اكتفاء بما اوردناه من تفصيل في سيرة بني النمر مرسوم الصدر الاعظم بتعين خليل بك طوقان متسلما لسنجق نابلس وتاريخه سنة ١٢١٤ هـ وفيه انه عين للمتسلمية بدلا من عمه احمد بك المتاكاسل المتهاون • وقد امر فيه بالقيام بالوظيفة وخدمة الدولة فيها كما ينبغي ومعاقبة كل من يخالفه ويناوئه باشد العقاب [١] •

وقد وقف خصوم بني طوقان الحزبيون وفي مقدمتهم بنو النمر وبنو الجيوسي من خليل ومحمد موقف اللاتعاون بسبيل عرقلة مهمتهم بل وبثوا فكرة اللاتعاون مع الدولة في أثناء اعدادها الحملة على مصر [١] واستمروا على ذلك رغم مرسوم صدر من الصدر الاعظم ثم مرسوم صدر من السلطان بعده وكلاهما مؤرخ في سنة ١٢١٥ هـ [٣]

---

(١) تاريخ جبل نابلس ص ١٥٩ ـ ١٧٠ .

(٢) ص ١٩٨ المصدر السابق .

(٣) نورد فيما يلي نص مرسوم الصدر الاعظم للاطلاع على صورة من صور تاريخ الحقبة وفيه تنديد باهل جبل نابلس لموقفهم الجامد من حركة الجهاد ضد الافرنسيين ينطوي فيه صورة لما كانت تفعله حزازات النفوس والمنافسة على الحكم المحلي (النص منقول من تاريخ جبل نابلس ص ١٧٠ ـ ١٧٥) .

قدوة النواب المتشرعين نائب افندي بمدينة نابلس زيد فضله وعمدة الفقهاء مأذون بالافتاء افف زيد علمه وفخر الاشراف نقيب افف زيد سيداته ومفاخر الاماثل الاي بث الاعيان والتجار ووجوه البلدة زيد قدرهم .

بل لقد تجاوز الامر الموقف السلبي الى موقف ايجابي حيث احرقت الذخائر المخزونة في اماكن عديدة مما جعل خليل بك يشعر بـالحرج على ما رواه المؤلف ويترك نابلس الى مصر للتشاور مع الصدر الاعظم منيبا عنه ابن اخيه موسى بك الذي يبدو من سيرته انه كان قوي الشخصية فتاكا حيث اشتبك مع بني النمر وحلفائهم الحزبيين في صيال ونضال وبذل جهده في القمع والتنكيل والمطاردة والمضايقة (١) . ولقد أعيدت ولاية الشام في هذه الاثناء الى الجزار ثانية فازداد مركز بنـي طوقان توطيدا . وظل الامر على هذا المنوال الى ان توفي الجزار سنة

بعد السلام التام . المنهى اليكم انه غير خافيكم ان الاردو ـ الجيش ـ الهمايوني المبارك جاء الى هذه البلاد لاجل الغزاة والجهاد في سبيل رب العباد وتطهيرها من لوث الشرك والعناد . وصار له في هذه الاطراف والنواحي سنة واكثر . وانتم واجب على ذمتكم وعلى كل مؤمن بالله تعالى الاعانة للمجاهدين ولا سيما بلادكم قريبة من اعداء الدين السابق . وفي السابق رايتم كيف فعل اهل الشرك في هذه البلاد من الفضيحة والفساد ـ يعني الصليبيين على الارجح ـ فالواجب عليكم انكم لما شاهدتم حلول الاردو في هذه البوادي المسارعة والاعانة لاجل الجهاد وقمع اهل الكفر والعنـاد كمـا هو فرض عليكم بحسب قربكم لان العساكر تاتي الى الاردو من مسافة اربعة اشهر واكثر برا وبحرا وهذا غير خافيكم . وما ظهر منكم غيرة اسلامية ولا حمية دينية . فمن عدم غيرتكم اقتضي طلب عسكر بواردية بالعطية ومبايعة بالدراهم وجمال بـالاجرة فما اديتم مـن المطلوب جزءا واحدا ولا [illegible] عقولكم ولا سمعت آذانكم الى الاوامر السلطانية . فبحسب اغماضكم ومخالفتكم لامر اولي الامر عينا عليكم جانب من العساكر والمجاهدين لاجل نظام احوالكم الفاسدة وتصفية افهامكم الجامدة والطلوع من حقكم بما سلف من حمقكم ولكن قد ترامى على أعتاب الدولة محسوبنا وجراغنا ـ الكلمة الثانية بمعنى خادمنا ـ قدوة الاماجد والاعيان طوقان زاده خليل بـك المتسلم فبحسب المومى اليه انه جراغنا وخادمنا قبلنا رجاه ولكن المومى اليه صرف علـى العساكر وهي عندكم في مدينة نابلس خمسة وعشرين الف وثمانمائة قرش عن ذخيرة وشعير فبناء على ذلك اصدرنا لكم مرسومنا هذا المطاع الواجب الامتثال ووالاتباع عموما تحيطون علما انه حال وصول المرسوم اليكم تفرضوا المبلغ المرقوم على اهل المدينة من غير نقصان ولا تحملوا احدا غير طاقته وتجمعوه خلال ثلاثة ايام . وكل من خالف انهي عنه لطرفنـا نائب الشرع باعلام . وان صدر منكم ادنى تهاون او تردد في دفع المبلغ الى المتسلم المومى اليه يقتضي رجوع العساكر الوافرة عليكم وتندموا غاية الندم والحذر من الخلاف .

(١) تاريخ جبل نابلس ص ١٧٥ ـ ١٧٧ .

١٢١٨ هـ (١) وحينئذ حمل حسن آغا اميرالآلاي والحاج احمد الجرار عرائض بالشكوى من موسى الى محمد باشا ابي مرق الذي تولى امر الولاية لفترة قصيرة فادى ذلك الى عزل موسى طوقان من متسلمية نابلس ومحمد طوقان من مشيخة بني صعب وتعيين الحاج احمد الجرار مكان الاول (٢) . غير ان هذا لم يدم الا فترة قصيرة حيث فصلت ايالة الشام عن والي عكا وكان والي الشام حينئذ عبد الله باشا العظم فسارع بنو طوقان اليه يحملون هداياهم الثمينة كما فعلوا قبل فاعاد موسى لمتسلمية نابلس ومحمد لمشيخة بني صعب كما كانا . وكان ذلك سنة ١٢٢٠ هـ ، فعاد الصيال والنضال ثانية بين الطرفين (٣) .

ولقد تجددت شكوى بني النمر وحلفائهم من موسى طوقان بعد عزل عبد الله باشا العظم وأدت الى عزل موسى طوقان عن المتسلمية وتعيين الحاج احمد الجرار مكانه ثانية وكان ذلك سنة ١٢٢٦ هـ . غير ان هذا لم يدم الا سنة واحدة حيث تمكن موسى من العودة الى المنصب في سنة ١٢٢٧ هـ ومات في نفس السنة حسن آغا النمر امير الآلاي فاغتنم موسى الفرصة فعين قائداغريباحتى يضمن خضوع القوة العسكرية لامره ضمانا تاما . وعاد الصيال والنضال والتناحر فاحتدم اكثر من ذي قبل وكانت له صور وفجائع اليمة شرحناها في سيرة بني النمر نقلا عن مؤلف جبل نابلس شرحا يغنينا عن التكرار (٤) .

ولقد ذكرنا في سياق ذلك ما رواه مؤلف جبل نابلس من ذهاب موسى اغا النمر الى الاستانة ومقابلته للسلطان وصدور الاوامر بعزل موسى طوقان وطرده مع اقاربه من نابلس وتعيين احمد الجرار

---

(١) روى الامير حيدر الشهابي ان الجزار توفي سنة ١٢١٩ هـ انظر تاريخه ج ٢ ص ٤٠٨ نشر رستم .

(٢) ص ١٨١ – ١٨٢ تاريخ جبل نابلس وننبه ان خليل طوقان الذي اناب موسى عنه في المتسلمية وذهب الى مصر لم يعد يذكر وقد قال احسان النمر لا يعرف عن مصيره شيء .

(٣) تاريخ جبل نابلس ص ١٨٥ (٤) نفس المصدر ص ١٨٥ – ٢١٤

مكانه [1] .

ونقول هنا ان بني طوقان لم ينفضوا ايديهم حيث روى المؤلف ان مصطفى طوقان استطاع ان ينال منصب المتسلمية في سنة ١٢٣٨ هـ حينما تركها المتسلم السلحدار [2] ، ومع ان نابلس رفضته وعين الوالي مكانه متسلما غريبا فاز هذا لم يستطيع ان يمارس مهمته فذهب موسى طوقان الى الشام وحصل على مرسوم بالمنصب لنفسه ، وحينئذ قرر زعماء القيسيين الخلاص منه ودبروا اغتياله وكان ذلك عام ١٢٣٩ هـ [3] ثم جرت مصالحة واسقاط دماء بين الاسرتين . وتولى في هذه الاثناء متسلمون غرباء مما جعل احمد اغا النمر الذي آلت اليه قيادة الآلاي وزعامة بني النمر يتفق مع اسعد بك طوقان على انهاء حكم الغرباء على ان يتولى المتسلمية . وحينئذ ذهب اسعد الى الشام وطيب خاطر الوالي فاصدر مرسوما بتوليته المتسلمية موجها الى احمد آغا بصفته قائد الآلاي وحاثا اياه على التعاون معه وان يكونوا يدا واحدة ضد ارباب المفاسد والاشقياء [4] . وتاريخ المرسوم سنة ١٢٤٣ هـ وقد اورد مؤلف جبل نابلس الذي لخصنا عن كتابه ما تقدم اكتفاء بالشرح الوارد في سيرة بني النمر نص المرسوم . وهذه اول مرة يذكر المؤلف فيها ترشيح زعيم بني النمر لزعيم بني طوقان للمتسلمية . وقد يفيد هذا اعتراف بني النمر بما كان لبني طوقان من وجاهة ومركز في نابلس ومنطقتها .

على ان متسلمية اسعد بك هذه المرة لم تطل حيث سعى عبد الله الجرار ونال المنصب في سنة ١٢٤٤ هـ [5] .

وفي سنة ١٢٤٦ هـ نشب الخلاف بين والي الشام ووالي عكا على تبعية منطقة نابلس واندمج في الخلاف لجانب والي الشام معظم

---

(١) تاريخ جبل نابلس ص ٢١٥ – ٢١٧
(٢) نفس المصدر ص ٢٢٣
(٣) نفس المصدر ص ٢٢٤ – ٢٢٦
(٤) المصدر نفسه ٢٦٦ – ٢٣٧
(٥) المصدر السابق ص ٢٣٧ .

مشايخ جبل نابلس بما فيهم المتسلم عبد الله الجرار مما اثـار غضب والي عكا على ما شرحناه في سيرة بني النمر فسارع اسعد طوقـان ومصطفى طوقان الى اغتنام الفرصة وانحازا الى والي عكا ونـالا رضاءه فاصدر امره بتعيين الثاني متسلمـا لنابلس والاول متسلما لمتسلمية احدثها في مغاريب نابلس مركزها قاقون [1] .

وقد ذكر المؤلف فيما ذكره في هذا السياق انه كان لاسعد طوقان اثر ويـد في ثوران غضب الوالي على الشيـخ عبد الله الجرار حبث حرضه واثار حقده عليه . وليس هذا بمستبعد لان بين الاسرتين تضادا في النعرة الحزبية وصيالا قديما .

ولقد ذكر مؤلف جبل نابلس بعد هذا في سياق طويل لا يخلو كالعادة من الخيال والحقيقة معا ان الوالي بعد ان هدم صانور شمخ وتعالى واصبح في غنى عن خدمات اسعد طوقان فصار يزدريه فتمرد عليه فعزله وعين احد مماليكه مكانه وامر مصطفى طوقان متسلم نابلس بالقبض عليه فابى فعزله هو الآخر . واغتنم الفرصة المشايخ عبد الله الجرار وحسين عبد الهادي وقاسم الاحمد فتوددوا للوالي ـ أو هو تودد اليهم ـ فاصدر اليهم امره بالتعاون مع العساكر على مطـاردة اسعد طوقان والقبض عليه كما اصدر امره لاحمد اغا النمر اميرالآلاي بالتعاون معهم على ذلك . والمؤلف لم يورد الا نص امر الوالي لاحمد آغا وفيه يذكر انه اصدر الى المشايخ المذكورين اوامره لان اسعـد بك طوقان عصي وتمرد وتجاسر على مخالفة الاوامر الشريفة . وقـد ذكر فحوى بقية كتاب الوالي لاحمد اغا في سيرة بني النمر فلا حاجـة للتكرار وتاريخ الكتاب سنة ١٢٤٧ هـ [2] .

والسياق ينطوي على ما كا نعليه اسعد طوقان من قوة شخصية وحيوية . وقد استطاع ان يخرج من نطاق ولاية عبد الله بـاشا ويذهب

---

(١) ص ٢٣٨ ـ ٢٤١ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤

الى جهات غزة وبئر السبع ويثيرها عليه . ولم تلبث الحملة المصرية بقيادة ابراهيم باشا ان زحفت على فلسطين فشغلت جميع الناس بين مناوىء لها ومندمج فيها .

بنو طوقان اثناء الحملة المصرية
وبعد جلائها وعودة الحكم العثماني

— ٥ —

لم يذكر مؤلف تاريخ جبل نابلس ماذا جرى لمصطفى طوقان متسلم نابلس تتيجة التشاد الذي قام بين بني طوقان ووالي عكا وغضب هذا عليهم كما انه لم يذكر عنهم شيئا أثناء احداث الحملة المصرية . ولم يرد في كتاب ابراهيم باشا في سورية ذكر لهم ايضا في سياق هذه الاحداث . وقد ذكر الشهابي في حوادث سنة ١٢٤٧ ه ان ابراهيم باشا قائد الحملة قبض على اسعد طوقان ونفاه عند قدومه الى فلسطين لانه وقع في يده كتاب منه الى والي الشام [١] . فالظاهر ان بني طوقان خمدوا اثناء الحملة بسبب نفي زعيمهم ولم يأتوا بحركة ما ، وقد استأنفوا نشاطهم بعد جلاء الحملة وعودة الحكم العثماني الى البلاد وسجلوا احداثا متنوعة كاثر لهذا النشاط في مجال الحكم المحلي .

واول من ذكر منهم سليمان طوقان وقد ذكره مؤلف تاريخ جبل نابلس بصفته رئيس الجباة في نابلس في سنة ١٢٥٩ ه ثم بصفته قائممقام نابلس في سنة ١٢٦٤ ه [٢] وقد ذكر هذا المؤلف كذلك خبر عزله عن القائممقامية ثم نفيه الى طربزون سنة ١٢٦٦ ه لاشتراكه في

---

(١) ص ٨٤٠ نشر رستم   (٢) ص ٢٦٨ .

الحرب الاهلية التي نشبت بين آل جرار وآل عبد الهادي في السنة المذكورة واندمج فيها انصار كل من هؤلاء وهؤلاء . وقد نفي مع سليمان اثنان آخران من أسرته وهما عبد الله بك ومصطفى بك [1] . ومن المحتمل ان يكون الثاني هو متسلم نابلس السابق . وذكر المؤلف من بني طوقان ايضا اسم علي بك وقال انه صار قائممقاما لنابلس في سنة ١٢٦٩ هـ وبقي في المنصب ثلاث سنين . والظاهر ان هذا لم يكن ضالعا في الحرب الاهلية فتركته الدولة ثم عينته قائممقاما . وهذا يدل على ان بني طوقان ظلوا اصحاب وجاهة ونفوذ بعد نفي زعمائهم الثلاثة . وقد اورد المؤلف نص كتاب من متصرف القدس الى عبدالفتاح النمر يطلب منه فيه التعاون معه وهو الذي اوردنا نصه في سيرة بني النمر [2] .

وعند هذا الحد وقف المؤلف عن ذكر بني طوقان .

ومما جاء في صدد آل طوقان في سياق الحرب الاهلية الذي ساقه المؤلف واشرنا اليه في سيرة بني النمر ان آل طوقان كانوا رؤساء الصف المتألف منهم ومن آل ريان وقسم من آل جرار وكان معهم بعض اقسام من المشاريق البيتاوي وبدو الصقر والمساعيد وابي كشك ، وكان الثلث الغربي من وادي الشعير مع آل البرقاوي من هذا الصف والنصف الغربي من ناحية جماعين مع بعض جماعات من القرى الاخرى مع آل ريان ونصف بلاد حارثة المؤلف من ثماني عشرة قرية مع بعض حمائل من القرى الاخرى مع جرار اليمنيين ، وان هذا الصف تصدع داخليا نتيجة لخلافات ومنازعات شخصية ووقائع ثأرية بينهم [3] ، وان بني طوقان هاجموا بجموعهم آل عبد الهادي في الشعراوية الغربية فتمكن هؤلاء من صدهم فسارع سليمان طوقان القائممقام الى نجدتهم رغم صفته الحكومية وحينما وصل اقسم بانه

---

(١) ص ٢٧٧ (٢) ص ٢٧٣ .
(٣) ص ٢٨٢ – ٢٨٣ .

لا يقوم ولا يتحول الا غالبا أو مقتولا فأثار بذلك حماس جماعته فكرت على خصومها وكسرتهم [١] وكان عبد الله طوقان ومصطفى طوقان من الذين قادوا المعركة . وقد نفتهما الدولة معه حيث ظلوا في طربزون الى سنة ١٢٨٠ هـ على ما قاله المؤلف . وكان نفيهم مما اضعف الصف اليمني وأدى الى تفوق الصف القيسي في الحركات التي وقعت بين الصفين بعد نفيهم .

بنو طوقان في كتاب ولاية سليمان باشا

- ٦ -

ولقد ورد ذكر بني طوقان اكثر من مرة في كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا والي صيدا وعكا الذي ألفه المعلم ابراهيم عودة كاتب ديوان الولاية وهو معاصر وشاهد عيان . وقد ذكر بعضهم ناشر الكتاب ايضا في حواشي الكتاب . فمما جاء في الحواشي لناشر الكتاب ما اوردناه قبل في صدد صالح باشا وكونه من الذين نالوا رتبة الوزارة من آل طوقان وتولى ايالة طربزون والشام [٢] . ومن ذلك ما جاء في نفس الذيل في صدد مصطفى باشا الذي وصف بانه اشتهر برد غارة الشيخ ظاهر العمر عن نابلس وقال انه تولى تخت مصر سنة ١١٨٨ هـ - ١٧٧٢ م [٣] .

ومصطفى باشا هذا هو متسلم نابلس الذي ذكرنا قبل نقلا عن تاريخ جبل نابلس انه ذهب الى الاستانة مزودا بتوصية الوالي وصار واليا لمصر ثم لجدة الى ان توفي فيها سنة ١١٩٧ هـ .

---

(١) ص ٢٧٥ وموقف سليمان يدل على الرجولة وقوة الشخصية وقد روي مثله عن بعض مشاهير العرب في الجاهلية والاسلام .

(٢) ص ٣١٥

(٣) ص ٣١٥ .

ومن ذلك نص فرمان سلطاني موجه الى محمد بك طوقان يستنهض فيه السلطان همته ليكون عونا لسليمان باشا ـ والي عكا ـ مع رجاله لرد غارة الانكليز عن سواحل صيدا بعد احتلالهم مصر في اول ولاية محمد علي باشا . ومما جاء في الفرمان ان الانكليز اغتنموا فرصة الحرب بين الدولة العثمانية وروسية فاعتدوا على مصر فردهم عنها الاجناد المصرية وانهم بعد ان ارتدوا خائبين خاسرين طلبوا من سليمان باشا السماح لسفنهم بالتردد على سواحل الشام للاتجار مع اهلها وانذروه بامطار المهالك على البلاد اذا لم يساعدهم على ذلك وان قصدهم امتلاك سواحل صيدا والتغلب على المسلمين في بلاد صفد وحيفا وعكا ويافا ، وان عليه ـ والخطاب لمحمد بك طوقان ـ قدوة الاماثل والاقران وصفوة الاماجد والاعيان طوقان زاده الحاج محمد بك ابقى الله مجده وزاده ـ حينما يستنفره سليمان باشا ان ينفر الى نجدته لاعلاء كلمة الله وخفض رايات المشركين .

والفرمان مؤرخ في سنة ١٢٢٢ هـ [١] ومحمد بك هذا هو الذي كان يتولى مشيخة بني صعب على ما ذكرناه قبل نقلا عن مؤلف جبل نابلس .

أما ما جاء في المتن من كلام ابراهيم عودة المؤلف فمنه خبر توجيه متسلمية سنجق نابلس على موسى بك طوقان . وقد وصفه بانه كان ذا هيبة حسنة جميلة مهابة وكان ذا سطوة واقدام ووقار من سائر اهل السنجق [٢] .

ولا يذكر المؤلف التاريخ ولكن هذا جاء بعد ذكر حوادث وقعت بعد ذكر بدء ولاية سليمان باشا بقليل أي بعد سنة ١٢٢٠ هـ . ومنه خبر دعوة موسى بك طوقان متسلم سنجق نابلس ومعه اسعد بك طوقان والشيخ عيسى البرقاوي شيخ وادي الشعير وموسى العشان

---

(١) ص ٣١٦ ـ ٣١٧ .   (٢) ص ١٣٧ .

الجماعيني ويعقوب الجماعيني وقاسم الاحمد وابو عودة الجيوسي شيخ ناحية بني صعب والحاج احمد والحاج محمد الجرار والشيخ حسين عبد الهادي وباقي وجوه ومشايخ جبل نابلس مع المعلم عبده السامري كاتب سنجق نابلس ويوسف السامري كاتب سنجق جنين وكان ذلك في سنة ١٢٣٢ هـ بمناسبة توجيه وكالة ايالة الشام لسليمان باشا ورغبته في تقرير الاموال الاميرية وتجهيزات الحج • وكان مشايخ جبل القدس والخليل وكاتب سنجق القدس من جملة المدعوين • وقد حضر الجميع وخلع عليهم الخلع المعتادة ووزع عليهم مال الدور بكل سهولة وحررت عليهم سندات شرعية بتوريده الى خزينة عكا وحررت أوامر الى متسلم الشام والى سنجق نابلس والقدس وغزة بتحضير ما يلزم للحج[1] • ومن ذلك حبر ارسال الوالي مرسوما الى المتسلم والوجوه بوجوب الكف عن ما بينهم من حرب وقتال وحضورهم جميعا الى عكا وبتهديدهم وانذارهم اذا لم ينصاعوا لامره • وقد انصاعوا في الحال وصرفوا القوات وجاؤوا الى عكا وهم موسى بك متسلم السنجق واسعد بك طوقان وموسى العثمان وقاسم الاحمد الجماعيني واحمد الجرار ومحمد الجرار وعيسى البرقاوي ومحمد الاحمد ومشايخ وادي الشعير وحسين عبد الهادي والجيوسي •

وقد ساق المؤلف سياقا طويلا وطريفا في هذا الصدد[2] • ومما جاء فيه ان موسى طوقان المتسنم كان هو البادي بالفتنة والنزاع مع موسى العثمان وقاسم الاحمد من جماعين فاحتشد انصار الفريقين ووقع بينهم ضرب البارود ووقع سبعة عشر قتيلا وعدد آخر من الجرحى في هذه الوقعة ثم اندمج فيها الآخرون بتأثير النعرة الحزبية •

ومما قاله المؤلف في تصوير حالة المشايخ والاهالي والبلاد ان يد ولاة الشام لم تكن قوية على هذه البلاد بسبب البعد فكان هذا مما

---

(١) ص ٢٨٩ – ٢٩٠ •

(٢) ص ٣٠٣ – ٣١٥ •

جعلهم من القديم يجنحون الى العصيان والتمرد وسفك الدماء فيما بينهم . وكانوا يطيعون زعماءهم ومشايخهم طاعة عمياء فكانوا يسارعون الى الاستجابة لكل نداء من زعمائهم ويقاتلون خصومهم الحزبيين دون سؤال وجواب حتى انهم كانوا يتركون عشاءهم ويأخذون بواريدهم ويتجهون الى مكان القتال كأنهم متجهون الى فرح او وليمة . وكانوا يأخذون معهم نساءهم وبناتهم الجميلات ليحملن لهم الماء ويحمسنهم ويثرن نخوتهم بالزلاغيط والاهازيج والتخويف من العار في وقت الاشتباك . وكانت اموالهم مباحة لمشايخهم بدون حساب . وكان الوالي حينما يخرج لجمع الاموال يقابله المشايخ وبعد ان يكرمهم ويلبسهم الخلع حسب رتبة كل منهم من فراوي وقنابيز حرير وقطن وجبب جوخ ونبشات مخرجة وشالات كشمير وطرابيش يجلسون لتوزيع المال . وبعد الاتفاق مع الوالي على ذلك وعلى ما يقدم للوالي من هدية — كانت تسمى عبوديات — يفرضون على القرى ما يشاؤون فيطيعهم الناس بدون سؤال ولا رد وكانوا اذا رتب على احدهم خمسون الف قرش يجمع مئة وخمسين الفا او مئتي الف . وكانوا يظلون مع الولاة مستقيمين ما دام ماشيا حسب الترتيب المعتاد . فاذا وقع منه خلاف فلا يقبلونه ويبادرون الى العصيان ، وكثيرا ما ارجعوا الولاة بعساكرهم قهرا . وكانوا يسلطون على معسكراتهم من ينهبها فيضطرون الى الرجوع مقهورين . ولذلك كان الولاة يدارونهم . أما حينما تكون بلادهم تابعة لولاة عكا وصيدا فان سلوكهم يكون احسن ويكونون خاضعين مطيعين لقربهم من مركز الولاية . ومما قاله المؤلف في صدد الامر الذي دعاهم الوالي من اجله ان الوالي طاولهم عشرة ايام مع اكرامه لهم واسماعهم في مجلسه المواعظ دون ان يتطرق الى الموضوع الى ان شعر انهم تضايقوا وسئموا وحينئذ عقد ديوانا خاصا وبعد الاحترام والدعاء منهم له — والمؤلف قال سجدوا له ودعوا — تطرق الى الموضوع واسدى لهم النصائح وطلب منهم الكف عن الفتن فاخذوا يعتذرون فاقترح عليهم ان يحكموه ففعلوا فقال

لهم اعتبروني انا السبب في ما جرى وان الذنب ذنبي واني دعوتكم لاستسمح منكم ثم طلب منهم ان يقوموا فيبوسوا رؤوس بعضهم ولحاهم وان يحلفوا قدامه يمين الصفح فبادروا الى الطاعة وفعلوا ما طلب ثم قبلوا ذيل سعادته وكرروا الدعاء له • وقد قدر الوالي بان يدفع موسى طوقان دية عن قتلى جماعة قاسم الاحمد تسعين الف قرش فقبل موسى وحرر على نفسه سندا بذلك فشكرهم الوزير وسلم السند الى قاسم الاحمد ورجع الجميع مسرورين •

وقد اوردنا شيئا من هذا في سيرة آل النمر نقلا عن مؤلف جبل نابلس الذي ذكر الحرب الاهلية بشيء من التفصيل لم نر طائلا من ايراده • وقد اورد المؤلف نص كتاب من الوالي لقاضي نابلس يذكر له ما تم من امر الصلح ويطلب منه التعاون على اخذ قيمة السند من الاموال التي تحت يد ابن النمر امير الالاي ، وان القاضي والمفتي تدخلوا فاجروا صلحا بين بني النمر وبني طوقان •

بنو طوقان في كتاب تاريخ الشيخ ظاهر العمر

— ٧ —

ولقد ورد ذكر بني طوقان في كتاب تاريخ الشيخ ظاهر العمر تأليف مخائيل الصباغ في سياق ما كان من محاولة الشيخ مد حكمه الى جبل نابلس وحصاره لقلعة صانور وعدم تمكنه منها وقتله شيخها ابراهيم الجرار وبسطه حكمه على جبل نابلس • وقد جاء في هذا السياق ان مشايخ جبل نابلس كان يرجع امرهم الى اميرهم المتولي قلعة صانور محمد الجرار بعد قتل ابراهيم وكان امر بيت الجرار يرجع الى بيت قديم اسمه بيت طوقان كانوا متولين البلاد من قبل الدولة لان جبل نابلس ملك خاص لهم ولهم لقب بيكاوات وكانوا يرسلون مال جبلهم المقرر من قديم الزمان الى باشا الشام وهو ٥٠٠ كيس والوالي

برسله الى الدولة ، وانه لما فعل ظاهر معهم ما تقدم عملوا محضرا لسليمان باشا والي الشام واستغاثوا به فجاءهم جوابه بان يعملوا معه صلحا ويطاولوه الى ان يعرض امره على الدولة . فاتصل محمد الجرار به وتم الاتفاق على اعطائه خمسمائة كيس نفقة عسكر ويتركهم وشأنهم في بلادهم (١) .

وسليمان باشا هذا هو سليمان باشا العظم الذي تولى ولاية الشام من سنة ١١٤٦ الى سنة ١١٥١ ثم من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٥٧هـ. وهذا ينقض ما ذكره مؤلف جبل نابلس من ان بدء حكم بني طوقان لنابلس كان في سنة ١١٨٥ بمتسلمية مصطفى باشا بعد ان كان شيخا لبني صعب في سنة ١١٨٠ حيث يفيد ان حكمهم لنابلس وجبلها كان اقدم بكثير مما حلا لمؤلف جبل نابلس ان يسجله دون عزو الى مصدر واستنادا الى الروايات المشوبة بالهوى والخيال .

بنو طوقان في كتاب تاريخ الامير حيدر الشهابي

— ٨ —

ولقد ورد ذكر بني طوقان اكثر من مرة في الغرر الحسان للامير حيدر الشهابي ايضا . فذكر في حوادث سنة ١١٩٢ هـ اسعد بك طوقان وقال انه احد ولاة ديار نابلس وان الجزار ارسله كمندوب من قبله الى جبل لبنان ليتهدد اكابر البلاد ويتوعدهم بلسانه ويتصل في الوقت نفسه بالامير يوسف الشهابي ويراوده على الولاية ويدرس ما اذا كان قادرا على تقديم الاموال ، وكان الحكم آنئذ في عهدة الامير سيد احمد اخي الامير يوسف . والخبر يدل على ما كان لاسعد بك من منزلة وثقة عند الجزار وربما على ما كان متصفا به من صفات ومواهب

---

(١) ص ٥١ — ٥٢ .

تؤهله لمهمة خطيرة مثل هذه المهمة . وقد قام بها وجعل الامير يوسف يتعهد بدفع مئة الف قرش للجزار وادى ذلك الى عودة الامير الى الحكم [1] .

ثم ذكر المؤلف اسعد بك ثانية في حوادث السنة نفسها فقال ان الامير يوسف حول اسعد بك طوقان على بني نكد لتحصيل المال المتعهد به منهم حتى تضايقوا وفروا من دير القمر الى جبل عامل [2] . وفي هذا نفس الدلالة السابقة ايضا .

وذكر اسم اسعد طوقان في حوادث سنة ١٢٤٦ هـ ـ ١٨٣٠ م في سياق ذكر اتباع القدس والخليل وجبل نابلس لوالي صيدا عبد الله باشا . وجاء في هذا الصدد ان الوالي استدعى المشايخ المتولين ، وسلمه كل منهم ما كان بيده . وان بعضهم كبس على متسلم عبد الله باشا في جنين فثار غضب هذا وامر بتوجيه العساكر الى جبل نابلس صحبة اسعد بك طوقان . وحينما وصل هذا الى قرية عرابة امر العسكر بنهبها لما كان بينه وبين حسين عبد الهادي الذي كانت القرية تخصه من مناظرة فتغير خاطر عبد الله باشا على اسعد بسبب ذلك [3] . وليس في السياق ذكر لصفة اسعد بك . وقد كان في هذا الظرف متسلم مغاريب نابلس على ما ذكره مؤلف جبل نابلس ونقلناه عنه سابقا . وهو الذي اتفق مع احمد النمر وترشح نتيجة لذلك لمتسلمية نابلس وتولاها في سنة ١٢٤٣ هـ ايضا . والراجح انه غير اسعد الذي ذكره الغرر في السياق السابق كوال من ولاة ديار نابلس ومندوب للجزار لان المسافة بين الخبرين طويلة جدا .

وذكر اسم اسعد طوقان في سياق آخر بعد هذا السياق بقليل [4]

---

(١) ج ٢ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ (٢) ص ١٢٦ .

(٣) ج ٣ ص ٨٠١ نسخة رستم .

(٤) ص ٨٠٢ ـ ٨١٠ والمقتبس من صفحات ٨٠١ وما بعدها هو من ملحق الغرر الذي الحقه الناشران نقلا عن مخطوطة القس بطرس بدر .

اورده في صدد ما كان من محاولة الوالي اخذ قلعة صانور وامتناع بني الجرار عن تسليمها واغلاقها وحصارهم فيها وزحف القوات العسكرية مع قوات لبنانية على رأسها الامير بشير الشهابي لارغامهم • ومما جاء في السياق في صدد اسعد طوقان انه هرب الى نابلس واعتذر بالمرض عن الذهاب الى الوالي حينما دعا هذا مشايخ جبل نابلس لمعاتبتهم خوفا منه ــ بسبب ما كان من نهبه عرابه على الاغلب ــ واصدر الوالي له كتاب أمان عن يد مصطفى طوقان ابن عمه فظل خائفا ممتنعا وارسل أخاه عبد الله بك الى خيمة الامير بشير ــ في ميدان الحرب ــ وفيعا طالبا سند أمان جديد فحرر له الامان المطلوب وقال اذا لم يحضر فاني أسير بالعسكر واطلبه اين ما كان واهدم نابلس ، غير ان موسى طلب تعزيز أمان الامير بأمان من الوالي نفسه فارسل اليه الوالي كتاب أمان بدوره وحينئذ جاء مع مصطفى طوقان المتسلم وعيسى البرقاوي والشيخ قاسم الاحمد ونزلوا في خيمة الامير فطيب هذا خاطره وطلب منه السعي لتسليم القلعة فتوجه اليها واجتمع ببني جرار ثم رجع وطلب العفو والامان لهم فحرر الامير لهم الامان حسب المطلوب على ما لهم ودمهم وكل ما لهم في القلعة ورجع اسعد اليهم ثم عاد الامير ومعه كبيرهم الحاج عبد الله فطمأنه الامير ثم ذهبوا الى ابراهيم باشا كتخدا الوالي فطمأنه ايضا وألبسه خلعة فاخرة وشالا ثم حرر الامير للوالي عرضا بما توقع والتمس منه قبول الرجاء والعفو على ان يسلموا القلعة ويأخذوا كل مالهم ويقطنوا في القرى التي تخصهم ووافق الوالي وتم التنفيذ وانتشرت اعلام الامن والسرور على جبل نابلس •

والسياق يدل على ما كان لاسعد بك من قوة شخصية وحيوية كما هو واضح • وبين هذا السياق وسياق مؤلف جبل نابلس الذي لخصناه عنه مباينة غير يسيرة بالاضافة الى ما فيه من زيادات • ومؤلف الغرر كان معاصرا مما يقتضي ان تكون روايته اصح •

ولقد نقلنا عن مؤلف جبل نابلس ان اسعد بك عصي وتمرد وان

الوالي كتب للمشايخ احمد القاسم وحسين عبد الهادي وعبد الله الجرار ولاحمد النمر امير الآلاي بمطاردته والقبض عليه وانـه استطاع ان يفلت ويذهب الى جهة بئر السبع وغزة • وهذه حقيقة تاريخية مؤيدة بكتاب رسمي من الوالي لاحمد النمر اورد نصه المؤلف والكتاب مؤرخ في سنة ١٢٤٧ هـ بينما حوادث السياق السابق هي في سنة ١٢٤٦ هـ فالظاهر ان اسعد طوقان عاد فاصطدم مع الوالي فأثار غضبه عليه ثانية• ولهذه الحركة دلالة كذلك على قوة شخصيته •

ولقد ذكر ملحق الغرر اسعد بك في سياق ثالث ايضا في حوادث سنة ١٢٤٧ هـ ـ ١٨٣١ م [١] عقب دخول الحملة المصرية فلسطين حيث ذكر اسمه من جملة الذين امر ابراهيم باشا باعتقالهم وارسالهم الى مصر، لانه وقع على كتابات لهم الى والي الشام • وهذا لم يذكره مؤلف جبل نابلس •

وقد ذكر الملحق اسم رضوان بك في سياق خبر عزل ابراهيم باشا المتسلمين وتعيين متسلمين جدد مكانهم وقال انه اقيم متسلما لصيدا وانه من نابلس من بيت طوقان [٢] •

والى هنا ينتهي ما جاء في الغرر عنهم • وواضح من سيرتهم انهم كانوا من الاسر البارزة في جبل نابلس ، وان بروزها امتد الى الخـارج ايضـا • واذا كان هذا البروز في نطاق التوظيف الحكومي فان امتداده يسبغ عليه معنى اكثر من موظفين عابرين • ولا سيما كان لهم مشاركة في احداث البلاد المتنوعة كأسرة بارزة وزعيمة الحزب اليمني وسجل لبعضهم حيوية ونشاط كبير •

ولقد ظلوا يحتفظون باعتبارهم كأسرة اقطاعية وجيهة في نابلس بعد توطد التنظيمات الادارية الحديثة التي حلت محل النظام القديم وما يزالون يحتفظون بذلك الاعتبار بالاضافة الى احتفاظهم بقصورهم واملاكهم الاقطاعية • وقد تولوا وظائف حكومية متنوعة في عهد الحكم العثماني وامتدذلك الىعهدالانتداب الانكليزي وبعده بتأثيرهذاالاعتبار•

---

(١) ص ٨٤٠ (٢) ص ٨٣٣ •

- ٦ -

بنو جرار في منطقة جنين ونابلس

- ١ -

اوليتهـــا

وهذه أسرة كان لها بروز في مجال الحكم والزعامة الاقطاعية في منطقة نابلس مدة غير قصيرة . وقد مر ذكرها كثيرا في سيرتي بنـي النمر وبني طوقان .

وفي الجزء الاول من تاريخ جبل نابلس والبلقاء شيء غير يسـير من سيرتها كما ان ذكرها ورد اكثر من مرة في الغرر الحسان وتـارخ ولاية سليمان باشا والي عكا كما ذكرت في كتاب تاريخ الشيخ ظـاهر العمر تأليف مخائيل الصباغ .

ويقول مؤلف تاريخ جبل نابلس ان الاسرة تنتمي الى فرع قبلة أزدية اسمه الشقران وانه كان في القسطل ـ البلقاء ـ في القرن الحادي عشر ممتدا الى ما قبل وان الكرك لما ثارت سنة ١٠٨٠ هـ امتدت الثورة اليهم فانتقلوا مع شيخهم الشيخ زين الى مرج ابن عـامر وصار زيـن اميرا على اللجون ، ولما مات هذا نزل ابنه مصطفى في عرابة ، وبعـد موته ضايقت حمولة نزال فيها ـ وكانت لها الزعامة ـ اولاده فرحلوا الى بلاد حارثة . وهناك اصطدموا بحمولة المشاقية ثم اتفق الشيخ جرار شيخهم مع محمد آغا النمر فقضوا على حمولتي نزال والمشاقية وكـان ذلك حوالي سنة ١١٤١ هـ .

---

(١) ص ١٣٠ .

وقد قال فيما قاله بصدد ذلك في سياق آخر ان آل النمر والشقران اقتسموا اقطاعات الحمولتين • فصاروا منذئذ اصحاب اقطاع واخذوا يبرزون على مسرح الحكم والزعامة الاقطاعية • وكان نصيبهم من اقطاعات المشاقية قرى عصيرة وياصيد وزواته وطلوزة وطمون وطوباس ومن اقطاعات النزالية دير الغصون والسيلة الحارثية ويافا الغربية وجبع [1] •

والمؤلف كعادته لا يسند كلامه الى مصدر • وهو على ما يبدو مبني على الروايات التي تختلط عادة بالغث والسمين • ومن المحتمل ان يكون في كلامه عن نسبة بني جرار الى الشقران ونزوحهم من البلقاء في القرن الحادي عشر مع عشيرتهم الى مرج بن عامر وصيرورة شيخهم اميرا على اللجون وتمكنهم من ضرب حمولتي نزال والمشاقية بالتعاون مع بني النمر واقتسامهم اقطاعاتهم شيئا غير قليل من الحقيقة لان آثار ذلك ما تزال ممتدة الى اليوم • وفي ذلك دلالة على ما كانوا عليه من قوة بأس منذ الاصل بروزا بفضلها في مجال الزعامة والامارة بعد حلولهم في مرج بن عامر ثم استمروا متصفين بذلك في سيرتهم على ما سوف يأتي شرحه بعد •

وهكذا يكون كيانهم وبروزهم على غير غرار كيان وبروز بني النمر وبني طوقان • أي انهم كانوا ذوي عصبية قبلية خاصة كانت سندهم في ذلك الكيان والبروز برغم ما يحلو لمؤلف تاريخ جبل نابلس ان يصورهم بانهم كانوا يدورون في فلك بني النمر وان هؤلاء هم أصل قدومهم وبروزهم وان بروزهم قد امتد بفضلهم ايضا •

ومن فحوى ما تقدم يبدو انهم برزوا لاول مرة حينما صارت لزعيمهم امارة اللجون في آخر القرن الحادي عشر • ثم برزوا لثاني

---

(١) ص ١٠٣ - ١٠٤

مرة حينما استولوا على اقطاعات حمولتي نزال والمشاقية في اواسط القرن الثاني عشر .

الشيخ الحاج يوسف الجرار وقلعة صانور

- ٢ -

ومما ذكره مؤلف جبل نابلس من سيرتهم [١] انهم كانوا حلفاء بني النمر حينما اتصلوا بالشيخ ظاهر العمر واتفقوا معه ثم حينما قامت الاستعدادات في جبل نابلس لصد زحف ابي الذهب الذي كان يهدف الى القضاء على الشيخ ظاهر ١١٨٥ ـ ١١٨٨ هـ . وقد ذكر المؤلف ان قلعة صانور وسورها قد انشئا في المناسبة الثانية أي سنة ١١٨٨ هـ من قبل الحاج يوسف الجرار وابراهيم النمر [٢] وان هذا ارسل الاول ليدعو الشيخ ظاهر لضيافة بني النمر وان ابراهيم النمر والحاج يوسف رابطا في الشمال لصد جيشي الشام ولبنان وانهما حينما تغلب ابو الذهب على سواحل فلسطين ووصل الى عكا وتشرد عنها الشيخ ظاهر لفترة من الوقت زحف والي الشام على صانور للتنكيل ببني النمر والجرار الذين احنقه موقفهم ومحالفتهم مع الشيخ ظاهر واستنجد بالامير يوسف الشهابي حاكم لبنان فجاء لنجدته على رأس رجاله وعسكرا في مرج صانور ، وسارعت النجدات الى صانور فغدا عسكر الشام ولبنان محصورين بين نارين وظلت القلعة ممتنعة عليهما فلم يريا مناصا من التراجع بدون نتيجة وقد لاقيا مع جيشهما الاهوال في الاودية والسهول وكان لارتداهما رنة عظمى حتى سمي الناس ابراهيم النمر سلطان

---

(١) ص ١٥٢ ـ ١٥٤ .

(٢) في نبذة وردت في تاريخ الشيخ ظاهر العمر لمخائيل الصباغ ما يفيد ان هذه القلعة كانت موجودة قبل هذا التاريخ بعشرين سنة على ما سوف نورده بعد !

نابلس والحاج يوسف الجرار سلطان البر [1] .

وذكر مؤلف جبل نابلس بعد ذلك [2] أن آل النمر وآل الجرار اتفقوا على ان يكون الشيخ يوسف متسلما لنابلس مكان مصطفى طوقان الذي فر من نابلس بعد تحالف الشيخ يوسف وابراهيم النمر مع الشيخ ظاهر . وكان الشيخ يوسف في الوقت نفسه متسلما لجنين على ما يفيده كلام المؤلف في مكان آخر [3] . ولم ينس المؤلف ان يقول ان المتسلمية كانت باسم الشيخ يوسف والادارة كانت في يد صالح آغا النمر امير الآلاي ، ثم سارع فناقض نفسه فورا حيث قال ان هذا كان بدء حكم آل جرار نابلس .

وبقطع النظر عن تبجح المؤلف فان تسليم بني النمر بان يكون متسلم نابلس ـ حصنهم ومستقرهم ـ ابن جرار واجتماع متسلمية نابلس وجنين في عهدته يدلان على ما كانت هذه الاسرة تشغله من حيز وما كانت عليه من قوة بأس كما هو المتبادر . وكان تاريخ متسلمية الشيخ يوسف لنابلس والتي تعد المظهر الرابع القوي لبروز الاسرة في مجال الحكم سنة ١١٨٦ هـ على ما يفيده سياق المؤلف [4] . أما المظهر الثالث لبروزهم فكان متسلمية الشيخ يوسف لجنين التي لم يذكر المؤلف تاريخها .

وقد ذكر المؤلف بعد هذا خبر انحباس المطر والمجاعة التي حلت في فلسطين ونابلس سنة ١٢٠١ هـ وما بذله يوسف اغا من جهود في سبيل تخفيف كرب الناس ، وقال ان بني طوقان استغلوا مع ذلك كرب الناس فحرضوهم على متسلمهم وجعلوهم يطالبون بعزله واستجاب

---

(١) في نبذ في كتب تاريخ الشيخ ظاهر العمر لمخائيل الصابغ وتاريخ الامير حيدر الشهابي ذكر لقلعة صانور وبعض احداث متصلة بها اقدم من التاريخ الذي يذكره مؤلف جبل نابلس على ما سوف نورده بعد .

(٢) ص ١٥٥ .　　(٣) ص ١٥٧ .

(٤) ص ١٤٩ ـ ١٥١ .

والي الشام اليهم فعزله سنة ١٢٠٤ هـ • أي انه بقي متسلما لنابلس طيلة خمس عشرة سنة [١] • وهو رقم قياسي لم يصل الى نصفه احد من بني النمر ولا من بني طوقان بدون انقطاع • وقد ظل مع ذلك متسلما لجنين التي كان متسلما لها قبل متسلمية نابلس •

وفي سنة ١٢٠٨ هـ حاول الجزار الذي شملت ولايته فيها ايالة الشام وبالتبعية جبل نابلس والذي ثبت بني طوقان في حكم نابلس وبني صعب ان يستبدله بشيخ حمولة الجرادات من حزب بني طوقان فابى [٢] هذا فبقي الحاج يوسف في متسلمية جنين الى ان مات عنها سنة ١٢٢٢ هـ [٣] • وهذا رقم قياسي أكبر حيث امتدت متسلمية الجرار قرابة اربعين عاما في جنين ، وهذا وذاك يدلان على ما كان لهذه الاسرة من نفوذ وتمكن •

ولقد اتفق بنو الجرار وبنو النمر وبنو الجيوسي على العصيان بسبب عزل الحاج يوسف عن نابلس وتثبيت حكم بني طوقان في نابلس وبني صعب على ما ذكره مؤلف جبل نابلس غير ان هذه الحركة تجمدت بسبب الزحف الافرنسي الذي جعل الجزار يعتذر الى الحاج يوسف بقصيدة تثير الجبان كما يقول مؤلف جبل نابلس الذي ساق هذا الخبر والذي اضاف اليه ان الاسر الثلاث اندمجت في حركة صد الزحف وان بني الجرار رابطوا على رأس جموع الشمال في مرج ابن عامر • وكان احمد طوقان متسلم نابلس وعلي النمر منضمين اليهم • وقد شرحنا ما كان من امر هذه الحركة في سيرة بني النمر فلاحاجة الى اعادة ذلك [٤] •

ومما ذكره المؤلف من سيرة بني الجرار في هذه الحقبة ان الحاج يوسف الجرار رغم انه كان يمارس متسلمية جنين اندمج في

(١) ص ١٥٦ ـ ١٥٧ •
(٢) ص ١٥٦
(٣) ص ١٨٥ •
(٤) ص ١٥٩ ـ ١٦١ !

حركة اللاتعاون ازاء الحملة العثمانية التي جاء على رأسها الصدر الاعظم قاصدا بها الى مصر لقتال الافرنسيين سنة ١٢١٤ هـ بسبب تعيين خليل طوقان لمتسلمية نابلس بعد عزل اسعد بك وتثبيت الحاج محمد طوقان في متيخة بني صعب وتعيين بعض المشايخ من انصار بني طوقان لمشيخات بعض النواحي دون اكتراث لما كان من مراسيم التهديد التي صدرت من الصدر الاعظم ثم من السلطان على ما شرحناه في سيرة بني النمر . وقد ذكر اسم الحاج يوسف الجرار بصفة متسلم جنين في مرسوم السلطان المؤرخ في سنة ١٢١٥ هـ حيث وجه الخطاب فيه اليه من جملة من وجه اليهم (وهم متسلم نابلس ونواب نابلس وجنين ـ قضاة ـ ومفاخر المشايخ متسلم جنين يوسف بن جرار) هذا مع التنبيه على ان مرسوم الصدر الاعظم والسلطان لا يتضمنان تأييد كلام المؤلف من اندماج الحاج يوسف في حركة اللاتعاون [1] .

الحاج احمد الجرار

— ٣ —

ولقد ذكر مؤلف جبل نابلس [2] ان الحاج احمد الجرار بن الحاج يوسف حمل مع حسن آغا النمر حينما مات الجزار سنة ١٢١٨ هـ عرائض ضد بني طوقان الى ابي مرق باشا وكيل الولاية فاستجاب وعزل موسى طوقان الذي اقامه اخوه خليل عنه وعين مكانه لمتسلمية نابلس الحاج احمد الجرار . وقد اورد المؤلف نص مرسوم الوالي بذلك وهو مؤرخ في سنة ١٢١٩ هـ وموجه الى النائب والمفتي وقائممقام الاشراف ومفخر الاماجد والاعيان الحاج احمد اغا الجرار المتوكل من طرفه بمتسلمية نابلس . وكان ذلك في حياة ابيه متسلم جنين . وهكذا جمع لبني جرار ثانية متسلمية نابلس وجنين . على ان المؤلف عاد فذكر ان الوالي

(١) ص ١٦٧ ـ ١٧٦ .   (٢) ص ١٨١ ـ ١٨٢

عين في سنة ١٢٢٠ هـ الحاج يوسف لمتسلمية نابلس بالاضافة الى متسلمية جنين ومات عنهما سنة ١٢٢٢ هـ (١) .

وقد قال مؤلف جبل نابلس عن الحاج يوسف بمناسبة وفاته انه سجل لاسرته وبنيه مجدا خالدا ومكانة عالية واظهر عزة جبل نابلس ومكانته باسمى مظاهرها وعدد مواقفه في حركة الزحف الافرنسي ومناهضته للجزار والتمرد على الدولة ومخاصمة بني طوقان وانجاد الجبايسة حينما زحف عليهم كتخدا والي الشام فعاش ومات أبيا وقورا (٢) . وما تقدم من سيرة الحاج يوسف تجعله جديرا بهذا المدح . ولقد روينا عن مؤلف جبل نابلس ان الجزار حينما زحف نابوليون على فلسطين وعكا ارسل الى الحاج يوسف يعتذر له بقصيدة تثير الجبان ، ووصفها بانها مفخرة من مفاخر جبل نابلس (٣) . وقد يبدو من هذا انه كان الاقوى والابرز بين مشايخ جبل نابلس حتى اختصه الجزار من دونهم بالاعتذار والاستنجاد .

وقد ذكر المؤلف ان موسى طوقان هو الذي عين خلفا للحاج يوسف في متسلمية نابلس (٤) ولكنه لم يذكر اسم الذي خلفه في متسلمية جنين . وفي سياق آخر للمؤلف ما يفيد ان هذه المتسلمية ظلت في يد بني الجرار (٥) .

ومما ذكره ان نفورا وقع بين داود الجرار احد اولاد الحاج يوسف وموسى طوقان وان هذا مس كرامة الاول وحاول اغتياله فاسرع بالعودة الى الشمال وجمع جموعه وهجم على نابلس . وخرج موسى طوقان لدفعه ولكن داود هزمه ثم تبعه حتى دخل بمجموعه بوابة نابلس وقتل خمسين من عسكر موسى . وقد دب الحماس في اهل نابلس فتجمهروا واستنجدوا بالقرى لرد غارة ابن جرار فرأى هذا ان

---

(١) ص ١٨٤ (٢) ص ١٨٤ . (٣) ص ١٨٤ .
(٤) ص ١٨٥ (٥) ص ٢٣٩

الموقف قد يتطور الى ما تحمد عقباه فعاد بجروده دون ان يصطدم مع أهل نابلس [١] • حيث يدل هذا على استمرار بني الجرار على الاحتفاظ بقوة بأسهم وعزتهم بعد موت الحاج يوسف الذي كانوا يلقبونه بسلطان البر •

وفي سنة ١٢٢٦ هـ عين والي الشام احمد آغا الجرار متسلما لنابلس على ما ذكره مؤلف جبل نابلس الذي قال في سياق ذلك ان موسى طوقان شكى من حركات بني النمر وبني الجرار للوالي وقال له ان بني النمر يحشدون الفلاحين في نابلس لايقاع الفساد وان الوالي اذاع منشورا هدد فيه وانذر من يتصحب الفلاحين ويؤويهم او يتسبب بحركة فتنة بالعقاب والغرامات وان حسن آغا النمر امير الآلاي كتب للوالي يفند شكوى موسى طوقان ويذكر اضطهاده للناس وانه سبب الشر المباشر ويقترح عزله وتعيين الحاج احمد الجرار مكانه وان العلماء وشيوخ العشائر أيدوه في ذلك فعزل الوالي موسى وعين مكانه احمد [٢] • وهكذا عاد حكم نابلس الى بني الجرار مما فيه الدلالة على قوتهم بصرف النظر عن ما في سياق المؤلف من تبجح • غير ان متسلمية احمد احمد لم تطل حيث تمكن موسى من العودة ثانية للمتسلمية [٣] •

وقد ذكر المؤلف الحاج احمد الجرار في سياق ذكره اشتداد التناحر بين بني النمر وبني طوقان واغتيال بني طوقان لبعض رجال بني النمر بعد ان استدرجوهم الى قصرهم مما شرحناه في سيرة بني النمر • ومما قاله ان الوهم استولى على حارة الحبلة – وهي حارة آل النمر – مما جرى من قتال ودماء ومما كان من قسوة موسى طوقان في البطش والتنكيل الى ان وصل امير الشمال الحاج احمد اليوسف الجرار بجروده وجموعه فقويت معنوياتها وصارت مهاجمة بعد ان كانت مدافعة [٤] ، وكان ذلك سنة ١٢٣٣ هـ • ثم ذكر خبر تعيينه مرة اخرى

---

(١) ص ١٨٩ (٢) ص ١٨٨ – ١٩٠
(٣) ص ١٩٠ (٤) ص ٢١٢ – ٢١٣ •

لمتسلمية نابلس سنة ١٢٣٥ هـ نتيجة لرحلة موسى اغا النمر الى الاستانة ومقابلته للسلطان على ما ذكرناه في سيرة بني النمر نقلا عن المؤلف [١]. وقد اورد المؤلف نص مرسوم والي الشام الموجه الى النائب والمفتي ونقيب الاشراف والى افتخار الاماجد الكرام الحاج احمد آغا الجرار متسلم نابلس وفيه امر لهم بمطاردة موسى طوقان والقبض عليه .وهكذا عاد حكم نابلس ثانية الى بني الجرار .

ولم تطل متسلمية الحاج احمد هذه المرة حيث توفي بعد قليل من تعيينه . وقد قال المؤلف فيه ان جبل نابلس فقد بموته اميرا خطيرا قوي النفس والعصبية شجاعا عزيزا وفقد آل النمر اكبر نصير وفقد آل جرار كبيرا لم يرزقوا بمثله وفقدت نابلس حاكما وطنيا مهابا [٢] .

الحاج عبد الله الجرار

— ٤ —

لم يذكر مؤلف جبل نابلس بني الجرار بعد خبر وفاة الحاج احمد الى سنة ١٢٤٤ هـ فذكر خبر تعيين الحاج عبد الله الجرار في هذه السنة ــ وهو الابن الثالث للحاج يوسف ــ متسلمالنابلس بدلامن اسعد طوقان في هذه السنة . وقد اورد نص مرسوم والي الشام بذلك الموجه الى احمد آغا النمر قائد الآلاي والذي يطلب منه فيه التعاون معه [٣] .

وساق المؤلف بعد ذلك سياقا في ما كان في سنة ١٢٤٦ هـ بين والي الشام ووالي عكا من خلاف وتشاد على تبعية بلاد نابلس والقدس. وقد جاء فيه ان والي الشام كتب للحاج عبد الله بعدم اطاعة والي عكا

(١) ص ٢١٤ ــ ٢١٦ .

(٢) ص ٢١٩

(٣) ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨ .

فرضح للامر فاغضب بذلك هذا الوالي واصدر امره بعزله واخرج جنين من حكم بني الجرار وولى عليها مملوكا اسمه حسين آغا • وبلغ التشاد بين الواليين الى ان طلب والي الشام جرود جبل نابلس لملاقاته الى صفد لقتال والي عكا فخرج الحاج عبد الله مع الشيخ قاسم الاحمد والشيخ حسين عبد الهادي واحمد اغا النمر بجموعهم الى صفد استجابة لطلب والي الشام ولكن هذا خذلهم فلم يحضر ورجعت الجموع الى صانور ، فكان ذلك مما زاد في غضب والي عكا • ولقد جنح المشايخ الآخرون الى مسايرة هذا الوالي وكتب احمد النمر اليه بصفته وكيل المتسلم ان جبل نابلس مستعد لطاعته فقبل وكتب لاحمد آغا انه امر متسلمه اسعد بك طوقان بقبول طاعة من يريد الدخول في طاعته من مشايخ نابلس وعرض المشايخ طاعتهم بواسطة اسعد طوقان غير ان الحاج عبد الله الجرار تأخر عن ذلك لما بينه وبين اسعد فاغتنم هذا الفرصة فاخذ يحرض والي عكا عليه وعلى الشيخ حسين عبد الهادي الذي تأخر عن عرض طاعته مراعاة لخاطر الشيخ عبدالله• واستدعاهما الوالي فذهب حسين دون عبد الله فوجده مغتاظا جدا من عبد الله فرجع واعلم عبد الله بذلك فظل ممتنعا عن الذهاب • وحينئذ عزم الوالي على التنكيل به واستنجد بالامير بشير الشهابي الذي أتى بجموع لبنان وعسكر والي عكا الى صانور وضرب الحصار عليها • ولم يتجاسر احد على امدادها فاضطر الشيخ عبد الله الى التسليم • فاخذ اسيرا الى عكا وهدم سور صانور وقلعتها [١] • ومما ذكره المؤلف في سياقه ان آل جرار عرفوا ان ما حل فيهم انما كان بدسائس اسعد طوقان وحسين عبد الهادي فكان ذلك مما جعلهم يحقدون عليهم حقدهم الذي انفجر في الحرب الاهلية التي نشبت بعد قليل من جلاء الحملة المصرية لان هذه الحملة ما لبثت ان جاءت بعد قليل من هدم

---

(١) ص ٢٣٩ ـ ٢٤٣

صانور فلم يتسع الوقت لذلك الانفجار • ولم ينس المؤلف تبجحه فقال ان ماحل في بني الجرار تتج من شذوذ عقلية الحاج عبد الله وعدم تعاونه مع احمد اغا النمر ومخالفته له ••••

وساق المؤلف سياقا آخر في صدد عصيان اسعد طوقان مما شرحناه في سيرة بني طوقان فكانت فرصة انتقام لعبد الله الجرار فتودد الى الوالي أو تودد الوالي اليه حيث اورد المؤلف نص كتاب الى احمد اغا النمر امير الآلاي يذكر فيه انه كتب لافتخار المشايخ المكرمين محسوبيه الشيخ عبد الله الجرار والشيخ حسين عبد الهادي والشيخ قاسم الاحمد والى عسكره بالتضييق على اسعد طوقان والقبض عليه وامره بالتعاون معهم على ذلك وكان هذا في اوائل عام ١٢٤٧ هـ [١] •

ثم عين الشيخ عبد الله الجرار متسلما لنابلس عودا على بدء لانه عزل مصطفى طوقان متسلمها لرفضه القبض على اسعد وأمده بالقوة لمطاردة اسعد • ولما تمكن هذا من الافلات اغتاظ الوالي فعزل عبد الله من المتسلمية وعين مكانه الشيخ محمد القاسم •

بنو الجرار أثناء الحملة المصرية

— ٥ —

ولم تلبث الحملة المصرية ان قدمت بقيادة ابراهيم باشا • وقد ساق مؤلف جبل نابلس خبر قدومها في سياق طويل [٢] • واورد نص كتاب من ابراهيم باشا موجه الى نائب نابلس ومفتيها ونقيب اشرافها ومشايخها يعلن فيه ابقاءه الشيخ محمد القاسم متسلما وابقاء بلاد جبل نابلس بعهدة مشايخها ومن جملتهم الشيخ عبد الله الجرار ليتعاطوا الاحكام وجباية الاموال وانصاف المظلوم من الظالم ورؤية

---

(١) ص ٢٤٣ — ٢٤٤

(٢) ص ٢٤٦ — ٢٦٦

دعاوى كافة الاهالي الخ .. [١] والعبارة قد تدل على ان عبدالله الجرار عاد قبل قدوم الحملة الى متسلمية جنين كما هو المتبادر .

وقد ذكر المؤلف في سياقه الطويل خبر الثورة التي دعا اليها آل القاسم ضد ابراهيم باشا بسبب اقصائهم عن الحكم اسم الشيخ عبد الله الجرار في جملة الذين حضروا الاجتماع الذي دعا اليه آل القاسم وتقررت الثورة فيه . ولقد كانت ثورة لاهبة امتدت امدا غير يسير وتضامن فيها معظم الاسر البارزة المضادة لآل عبد الهادي الذين نالوا حظوة عند ابراهيم باشا حتى لقد استنجد هذا بابيه فجاء الى فلسطين للاشراف على حركة قمع الثورة حتى امكن ذلك .

ومما جاء في السياق في صدد بني جرار ان ابراهيم باشا بلغه ان مشايخ جبل نابلس ـ زعماء الثورة تحولوا بعد واقعة الدير ـ وهي وقعة جرت بين جموع الثوار وقوات ابراهيم باشا بعد وصول نجدة ابيه الى نابلس لايقاد الثورة فيها فجاء مسرعا من جبل القدس الى بني صعب فقبض على الشيخ عيسى البرقاوي ثم التقى في قلب الوادي بجموع جرار فكسرهم وهربوا الى صانور فحاصرهم فيها وضربها بمدافعه واضطرهم الى التسليم وأسر الشيخ عبد الله الجرار .

ولم يذكر المؤلف في سياقه ما فعله ابراهيم باشا بالشيخ . وانما قال ان ابراهيم باشا ظل يطارد الشيخ قاسم الاحمد واولاده حتى ظفر به وبباقي المشايخ فقتلوا جميعا في دمشق ونابلس وعكا [١] .

---

(١) ص ٢٥٠ .

(١) ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨ في السياق نص كتابين الى وكيل ايالة صيدا واحد من ابراهيم باشا والثاني من محمد علي باشا وتاريخ الاول ٩ ربيع اول سنة ١٢٥٠ هـ والثاني ١١ ربيع اول وفي الاول الذي صدر من نابلس ان قاسم الاحمد اولاده هربوه الى الشرق حينما حل في نابلس مع الجيش . وفي الثاني الذي صدر من يافا ان ابنه كتب اليه يقول انه حل في نابلس وان الاشقياء قاسم الاحمد وعبد الله الجرار وعيسى البرقاوي وناصر المنصور بعد حرب الدير وتشتت الجموع عنهم توجهوا الى نابلس ومن نابلس اخذوا اولادهم وفروا هاربين وان ابنه اوقع الارصاد للقبض عليهم اين ما وجدوا ... وفي هذا نقض لما قاله المؤلف من اسر عيسى البرقاوي والشيخ عبد الله الجرار من قبل ابراهيم قبل وصوله نابلس !

- ٦ -

ولم يذكر المؤلف بني الجرار بعد ذلـك الا في ظروف الحـرب الاهلية التي انفجرت في عهد الحكم العثماني بعد جلاء حملة ابراهيم باشا والتي ذكرنا خبرها في سيرة بني النمر [١] . وكان بنو الجرار ركنا اساسيا فيها لانهم ظلوا يحقدون على بني عبد الهادي لاعتقادهم بانهم دسوا عليهم وكانوا من اسباب تخريب قلعتهم في صانور وزاد فـي حقدهم مقتل زعيمهم الحاج عبد الله الذي اعتبروا آل عبد الهادي مسئولين عنه . ولقد اخذوا يؤلبون الناس عليهم ويهاجمونهم بعد قليل من عودة الحكم للدولة العثمانية . وكان النزاع قد نشب في الوقت نفسه بين بني ريان وبني القاسم ايضا ثم اندمج الناس في النزاع حتى صارت حربا اهلية بين جبهتين او صفين على ما شرحناه في سيرة بني النمر ايضا . على انه لم يقع اشتباك جدي بين بني الجرار وبني عبد الهادي الا في مرحلة متأخرة بسبب وجود عشيرة الحفاة من وراء بني جرار وهي ضدهم . وقد تدخل بالاضافة الى ذلك متصرف القدس بسبيل تهدئة الحرب فنفى عددا من زعماء الجبهتين الى طربزون فخفت حدة الحرب حتى لقد تم الصلح بعد ذلك بين بني القاسم وبني عبـد الهادي . غير ان محمد الحسين عبد الهادي الذي كان من جملة المنفيين هرب من منفاه وعاد الى فلسطين واخذ يهاجم بني الجرار كما هاجمهم الحفاة في الوقت نفسه فاستنجدوا على ما يقول المؤلف بعبدالفتـاح اغا النمر فكتب لمتصرف القدس ووالي الشام شاكيا محمد الحسين ثم كلف بني الجرار بالصلح مع بني عبد الهادي وعشيرة الحفاة فداخلهم

---

(١) ص ٢٥٢ ـ ٢٥٨

(٢) ص ٢٧١ ـ ٣٠٤

الشك في نواياه وانقسموا الى قسمين قسم بقي قيسي النعرة وقسم انتحل النعرة اليمنية وانضم الى صف طوقان والبرقاوي على ما ذكره مؤلف جبل نابلس [1] الذي ذكر ايضا [2] ان جرار القيس احتفظوا بصانور مركزا لهم وتبعهم النصف السمالي من بلاد حارثة من بيت ياروب الى بيسان على طريق جنين وكان معهم جنين وبيسان وان جرار اليمن اتخذوا جبع مركزا لهم وتبعهم النصف الجنوبي من بلاد حـارثة من قرية جبع الى طوباس وانضم اليهم الرشيدات في سير والجرادات في السيلة الحارثية والصورة في دير الغصون وققه في عنزة والصوافتة في طوباس وجميع طلوزة عدا الدبابسة ونصفا ياصيد وطمون وسكان برقين وميثلون ووصل الامر الى الحرب فيما بينهم وكل فريق استنجد بذوي نعرته فعادت الحرب الى حدتها ثانية واخذت تحدث وقـائع متعددة في اماكن مختلفة بين انصار الصفين • وكان متسلم نـابلس في هذه الاونة محمود بك عبد الهادي فتدخل الى جانب اسرته وبلـغ ذلك متصرف القـدس فعزله وامر امـير الآلاي بالقبض عليه فرفض الاستسلام واعلن بنو عبد الهادي العصيان واحتلوا جنين • وفي هذه الاثناء (سنة ١٢٧٥ هـ) تحولت نابلس الى متصرفية فبذل المتصرف جهده حتى جعل محمود عبد الهادي يستسلم وحينئذ انفصل محمـد الحسين من جنين الى عرابة وتحصن فيها وصار يهاجم آل جرار ويخل بالامن فزحف المتصرف على عرابة وانضمت اليه العشائر المعـاديه لآل عبد الهـادي مـع بني جرار الـذين عادوا الى اتحادهم استهدافـا لهدم عرابة انتقاما لصانور • وجرت وساطات ومفاوضات بين المتصرف وآل عبد الهادي وكاد الاتفاق يتم على تسليم محمـد الحسين نفسه والاكتفاء بهدم سور عرابة ، وحينئذ عمد بنو الجرار الى احباط الاتفاق فارسلوا جماعة منهم هاجموا عرابة من الجهة التي كان فيها الجيش

---

(١) ص ٢٧٩ – ٢٨١ .

(٢) ص ٢٨٣ و ٢٨٦ .

فقابلهم اهلها فانهزموا امامهم فتبعوهم بالنار التي كانت تقع على الجيش فظن هذا ان جموع عبد الهادي تهاجمهم فقابلوهم بالمثل وصاح شيوخ بني جرار بالمتصرف ومجلسه الحاضرين امام عرابة قائلين ان محمد الحسين يريد ان يذبحك ولا يريد الصلح وحينئذ قرر المجلس هدم عرابة وامر بقصفها بالمدافع ، وبعد ذلك دخل الجيش عرابة ودخلها في الوقت نفسه جموع بني جرار والبدو فنهبوها وهدموها . وارسل والي بيروت لجنة للتحقيق فثبت لها مكيدة بني الجرار وتسرع المجلس والمتصرف فامر الوالي بالقبض على قاسم واحمد وابراهيم الجرار وعلى اربعة من اعضاء المجلس ونفاهم الى بيروت . وبعد قليل حرج مصطفى السعيد شيخ حمولة جبارة من انصار بني عبد الهادي الى الشمال بجموعه فنهب قرى جبع وميثلون وبرقين وهي قرى بني الجرار اخذا بثأر عرابة وكان ذلك سنة ١٢٧٨ هـ . وهنا ينتهي الجز الاول من كتاب تاريخ جبل نابلس .

بنو الجرار في كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا

— ٧ —

ولقد ورد ذكر بني جرار اكثر من مرة في كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا . واول مرة ورد ذكرهم فيه كانت في مناسبة تكليف الدولة سليمان باشا بالتنكيل بابي مرق حاكم يافا حينما تمرد عليها حيث ذكر المؤلف في سياق ذلك ان سليمان باشا طلب الحاج يوسف الجرار المقيم في قلعة صانور في جملة من طلبهم من مشايخ نابلس واعطاهم الاوامر ليكونوا مع عساكره يدا واحدا واخذ منهم تعهدا بصدق الخدمة واكرمهم والبسهم الخلع . وكان ذلك في سنة ١٢٢٢ هـ [١]

---

(١) ص ٨٣ — ٨٤

ونُنبه على ان الحاج يوسف كان اذ ذاك متسلما لنابلس وجنين ومات في نفس السنة على ما ذكره مؤلف جبل نابلس • ولسنا نرى في وصف مؤلف كتاب تاريخ سليمان باشا الحاج يوسف بالمقيم في قلعة صانور نقضا ولعله اراد ان يقول صاحب القلعة ••

وثاني مرة ذكروا فيها هي في مناسبة تولية سليمان باشا وكالة ولاية الشام سنة ١٢٣٢ هـ حيث استدعى المتسلمين والمشايخ لتقرير الاموال السنوية ولوازم الحج وكان الحاج احمد الجرار والحاج محمد الجرار في جملة من دعوا وحضروا وحررت عليهم سندات شرعية بتوريد الاموال المقررة (١) • ولا يذكر المؤلف صفتهما ولكن المستفاد من سيرة بني جرار في كتاب جبل نابلس ان متسلمية جنين في هذه الاونة كانت في عهدة بني جرار على ما مر ذكره •

وثالث مرة ذكروا فيها كانت في مناسبة الفتنة الاهلية في جبل نابلس • وقد اوردنا خلاصة سياق المؤلف في سيرة بني طوقان ونقول هنا فقط ان المؤلف ذكر اسم احمد الجرار ومحمد الجرار في جملة من دعاهم سليمان باشا الى عكا لفض المشكلة • وقد قال المؤلف فيما قاله ان سليمان باشا كان يميل الى بني الجرار (٢) •

بنو الجرار في تاريخ الامير حيدر

— ٨ —

ولقد ورد ذكر بني الجرار في تاريخ الامير حيدر الشهابي ايضا أكثر من مرة • والمرة الاولى ذكروا فيها في سياق حوادث سنة ١١٧٨ هـ ومناسبة زحف عثمان باشا الصادق والي الشام على قلعة صانور لقتال صاحبها محمد الجرار واستنجاده بالامير يوسف الشهابي وارتداد

---

(١) ص ٢٨٩ — ٢٩٠

(٢) ص ٣٠٩ — ٣١٠

الزحف بدون نتيجة [1] . ومما قاله المؤلف ان محمد الجرار واصحابه كانوا قيسيين وكان هذا من اسباب عدم جد جيش الامير يوسف في الحرب لانه قيسي مثلهم . والخبر يفيد ان قلعة صانور كانت موجودة قبل سنة ١١٨٥ هـ وانه كان هناك زعيم جراري قبل الحاج يوسف هو الحاج محمد بوصفه صاحب القلعة خلافا لما ذكره مؤلف جبل نابلس واوردناه عنه قبل .

والمرة الثانية كانت في سياق حوادث سنة ١٢٤٦ هـ وربط جبل نابلس والقدس بوالي عكا عبد الله باشا وطلب هذا من بيت الجرار تسليم صانور ورفضهم وزحف عسكره مع عسكر الامير بشير عليهم مما شرحناه قبل نقلا عن كتاب جبل نابلس . والسياق طويل جدا استغرق ثماني عشرة صحيفة كبيرة [2] وفيه زيادات ومباينات لسياق مؤلف جبل نابلس ، وسوف نقتصر على المهم من ذلك لان في ايراد السياق كله تطويلا بدون طائل .

ولقد جاء في صدد تعريف الاسرة الجرارية في هذا السياق [3] انها عيلة وافرة اصلها من بلاد البلقاء وانها تقطن في قرية صانور وقرى أخرى وان جدها حينما جاء لاول مرة سكن في عرابة ثم تفرقوا في القرى وان جد الموجودين الان هو الشيخ محمد وانه عمر الداثر من قرية سانور وجعلها كقلعة وحصنها وهو الذي حاصره عثمان باشا الكرجي والي الشام سنة ١١٧٨ هـ مع الامير يوسف ولم يقدر عليها . وان الشيخ يوسف انجرار زاد عليها وبنى بها سرايا وكتب على البوابة هذين البيتين :

---

(١) ج ١ ص ٦٣ نسخة رستم .

(٢) ج ٢ ص ٨٠٠ – ٨١٨ وهذا السياق جاء في ملحق اضافه ناشر الكتاب نقلا عن مخطوطة للقس بطرس بدر .

(٣) ص ٨٠١ – ٨٠٢ .

كن رزينا اذا أتتـك الرزايـا وصبورا اذا اتتـك مصيبة
فـالليالي من الزمـان حبالى مثقلات يلـدن كـل عجيبة

وان احمد الجزار حينما جمعت له ولاية الشام مع ولاية صبدا وعكا سار بذاته سنة ١٢٠٩ هـ وحاصر الشيخ يوسف الجرار في صانور ولم يقدر على تملك القلعة وصنع لها لغما وطلع البارود على عسكره وراح جانب منهم ودهمه في أثناء ذلك الحج فارتحل عنها ولم يقـدر عليها [1] . وهذا حادث لم يذكره مؤلف جبل نابلس على مـا نبهنـا عليه قبل .

ومما جاء في السياق ان عبد الله باشا طلب المشايخ المتولين لمقاطعات جبل نابلس حينما انعمت عليه الدولة بولاية القدس والخليل وجبل نابلس ليقرر عليهم الاموال فلبوا دعوته وسلم كل منهم ما كان فـي يده وان الوالي طلب من بيت الجرار تسليم قلعتهم فأبوا واغلقوا الابواب فامر الوالي بمحاصرتها وطلب من الامير بشير الشهابي نجدة بقيـادة احد اولاده فارسل اليه ما طلب . ثم طلب منه الحضور بالذات فسارع اليه واقترح ان يتولى الامر بنفسه فوافق الوالي منشرحا وسار الامير وكتخدا الوالي ونصبوا المعسكر تجاه صانور وقصفت القلعة مرارا بدون تأثير كبير واخذت المناوشات تقع بين الطرفين دون طائل مما ذكر المؤلف صورا عديدة منه ورأى الوالي ان الامر سيطول والخسائـر ستكثر فاستدعى مشايخ جبل نابلس الى عكا فلما حضروا اخذ يتوعد ويتهدد من جهة ويلوح بالتخفيف والملاينة من جهة اخرى فتعهـدوا له بمال وافر خرجا للعسكر فانعم عليهم والبسهم الخلع . وقـد تأخر اسعد طوقان ثم انتهى الامر بحضوره وتوسطه بين الوالي وبيت الجرار على ما شرحناه في سيرة بني طوقان . وقد خرج بنو الجرار بعيالهم واموالهم الى قرى ثلاث اختاروا السكنى فيهـا وهـي جبع وطلوزة

---

(١) ص ٨٠١ لم يذكر مؤلف جبل نابلس هذا الحادث .

وعصيرة وقدم لهم الامير بشير ثمانمائة مشال ــ دابة ــ لحمل عيالهم وارزاقهم وارسل ابنه الامير خليل محافظا عليهم الى ان وصلوا الى القرى المختارة .

ويلحظ ان السياق لم يذكر ما كان تشاد بين والي الشام ووالي عكا وما كان من موقف مشايخ نابلس وخاصة عبد الله الجرار من ذلك وهو الذي أثار الوالي عليه على ما ذكره مؤلف نابلس . والمتبادر ان ما ذكره هذا المؤلف اوجه ولا سيمان ان الكتاب الذي اورد نصه من الوالي لاحمد اغا النمر والذي يقول فيه انه اذن لمتسلمه بقبول طاعة من يريد الدخول في طاعته من مشايخ جبل نابلس مؤيد لذلك .

وقد جاء في السياق ان ابراهيم باشا كتخدا والي عكا استصحب معه في عودته الى عكا الشيخ عبد الله الجرار والشيخ عبد الهادي والشيخ قاسم الاحمد فعين الشيخ عبد الله الجرار متسلما لنابلس وأذن للشيخين الاخيرين بالرجوع الى محلاتهم وتصريفها والقى القبض على مصطفى بن طوقان والشيخ عيسى البرقاوي لانه ظهر منهما خيانة ضد عسكر الوزير . وبين هذا وما ساقه مؤلف جبل نابلس شيء من المباينة . فان هذا لم يذكر ان الوالي عين عبد الله الجرار فورا لمتسلمية نابلس وانما كان ذلك بعد عزل مصطفى طوقان الذي كان سبب عزله في سياق هذا المؤلف رفضه القبض على اسعد طوقان الذي تمرد على الوالي . وان هذا وذاك كان بعد مدة ما من هدم قلعة صانور ...

ولقد الحق بآخر السياق قائمة بعدد الذين كانوا في قلعة صانور والقرى التي ينتسبون اليها . وكان العدد ٣٦٧ منهم ٤٢ من بني الجرار والباقون من قرى مختلفة من جبل نابلس . وكان عددهم قبل الحصار اكثر من ١٢٠٠ فمات منهم من مات وقتل من قتل وهرب من هرب أثناء الحصار حتى نزل عددهم الى ٣٦٧ .

بنو الجرار في كتاب سليمان ابي عزالدين

— ٩ —

ولقد ورد ذكر بني الجرار في كتاب ابراهيم باشا في سورية لسليمان ابي عز الدين ايضا [1] ، حيث ذكر حصار ابراهيم باشا لصانور ودكها كما ذكر اسم عبد الله الجرار في جملة الذين اندمجوا في ثورة جبل نابلس وفراره مع زعماء الثورة الآخرين الى الخليل ثم الى جهة الكرك حينما هزم ابراهيم باشا جموع الثوار وضربهم ضربة شديدة عند قرية الدير المقابلة لزيتا — هي دير الغصون على الارجح — وقد طاردهم ابراهيم باشا بنفسه الى الكرك وقصف قلعتها . واستطاعوا ان يفلتوا منها ولجأوا الى عرب عنزة فبادر شيخهم الى القبض عليهم وسلمهم الى ابراهيم باشا فقتل بعضهم في دمشق وبعضهم في عكا .

بنو الجرار في كتاب مخائيل الصباغ

— ١٠ —

ولقد ورد ذكر بني الجرار في كتاب تاريخ الشيخ ظاهرالعمر تأليف مخائيل الصباغ وهو معاصر ، حيث ذكر ان الشيخ ظاهر حينما وطد حكمه على الناصرة التي كانت تئن من عدوان النوابلسة فحماها منهم ورفع عن اراضي المرج مظالمهم ثار حقدهم عليه واضمروا له الشر . وذهب بعد هذا الى حيفا فخربها وأنشأ بقربها مدينة جديدة عرفت باسم حيفا الجديدة واقام برجا لحمايتها من القرصان ثم مد يده الى بلدتي الطيرة والطنطورة فضمهما الى حكمه وكانتا في حكم ابن

---

(١) ص ٥٧ و ١٧٥ — ١٧٩ .

ماضي • وحينئذ اتفق امير جبل نابلس ابراهيم الجرار مع ابن ماضي وعرض الاثنان على الشيخ رشيد الجبر امير قبيلة الصقر التحالف معهم فوافق لان الشيخ ظاهر لم يعد يعبأ به برغم ما كان بينهما من تحالف قديم • ومن ثم اخذ المشايخ الثلاثة يحشدون جموعهم ويستعدون وشعر الشيخ ظاهر بالحركة ولكنه لم يكتشف اشتراك امير الصقر فيها بل وطلب منه ارسال رجاله نجدة ثم خرج الى مرج بن عامر بما جمعه من رجال وجاءه من اخبره باشتراك امير الصقر وعربه في الحركة فرتب رجاله ونصب كمائن للانقضاض من وراء الاعداء ودارت المعركة بينه وبينهم وكتبت له الغلبة عليهم وانهزموا وتمزقوا وقتل عدد عظيم منهم وكان الشيخ ابراهيم الجرار من جملة المقتولين • ثم زحف بجموعه على قلعة صانور فلم يقدر على أخذها ولكنه تمكن من بسط حكمه على جميع البلاد النابلسية فأمنت البلاد واطمأنت بعد ذلك • وقد أرخ الصباغ هذه الحادثة بسنة ١٧٣٥ م [١] الموافقة لسنة ١١٤٨هـ ومما قاله بعد ذلك انه عظم على بني جرار وبني طوقان زعماء جبل نابلس ما اصابهم من هزيمة وانبساط حكم الشيخ ظاهر على بلادهم فكتبوا الى والي الشام سليمان باشا يستنجدون به ويحرضونه على الشيخ • غير ان سليمان باشا نصحهم بمصالحته ومطاولته لفرصة أحسن• فاتصل الشيخ محمد الجرار بالشيخ ظاهر وتم الصلح والاتفاق على ان يترك لهم بلادهم مقابل ٥٠٠ كيس يدفعونها له كنفقة عسكر وعلى ان يلتزموا حدودهم ويقبلوا بما تم للشيخ من امتداد حكمه الى الناصرة وحيفا والطيرة والطنطورة [٢] •

وهذه حادثة مهمة لم يذكرها غير الصباغ • وتنقض كلام مؤلف جبل نابلس في جعله تاريخ انشاء قلعة صانور وسورها سنة ١١٨٨ هـ باشتراك ابراهيم النمر كما تنقض كلام مؤلف الغرر في قوله ان الذي

---

(١) ص ٥٠ — ٥٢

(٢) نفس الصحف .

عمر القلعة هو الشيخ محمد ٠ وابراهيم هو في شجرة النسب التي رسمها مؤلف جبل نابلس [1] ابن الشيخ جرار الذي اصطدم مع عشيرتي نزال والمشاقية وغلبهما بالتعاون مع محمد اغا النمر سنة ١١٤١ ه على ما مر ذكره نقلا عن المؤلف ومحمد هو ابن يوسف اخي ابراهيم على ما ذكره هذا المؤلف في شجرة النسب ايضا ٠ فالظاهر ان ابراهيم الذي يبدو ان الزعامة انتقلت اليه بعد ابيه رأى ان يمكن مركزه فأنشأ هذه التلعة في رأس الجبل المطل على السهل الذي يعرف اليوم بسهل صانور، وقد غدت ذات شهرة تاريخية لكثرة الحوادث التي دارت حولها وصمودها لاكثر الزحوف التي زحفت عليها ٠

وسياق كلام الصباغ يفيد ان زعامة جبل نابلس في اواسط القرن الثاني عشر كانت مستقرة لبني جرار وبني طوقان مما فيه نقض لتبجح مؤلف جبل نابلس ٠

هذا ، ومهما يكن في السيرة من ثغرات فالواضح منها ان بني جرار كانوا من الاسر البارزة القوية في جبل نابلس وكانت لهم عصبية قبيلية فكانت سندهم في بروزهم في مجال الحكم والزعامة المحلية ٠ وانهم شغلوا حيزا كبيرا في احداث هذا الجبل الاقطاعية منذ اواخر القرن الحادي عشر الى اواخر القرن الثالث عشر ٠ ولا يزل بنوها الى اليوم يحتفظون بشيء من وجاهتهم وذكرياتهم الاقطاعية ٠ وهم متوزعون في قرى عديدة في قضاء جنين ، ولا تزال ناحية برأسها تتألف من عدد كبير من القرى تحمل اسمهم حيث تسمى مشاريق الجرار كأثر من آثار ذلك الحيز والبروز ٠

---

(١) ص ١٣٠ ٠

- ٦ -

بنو عبد الهادي في لواء نابلس

اوليتهم

- ١ -

وهذه كذلك اسرة من الاسر التي برزت في مجال الحكم والزعامة المحلية في جبل نابلس وان كان بروزها متأخرا عن الاسر السابقة •

وقد احتوى الجزء الاول من تاريخ جبل نابلس والبلقاء شيئا من سيرتها كما ورد اسمها في كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا والغرر الحسان وابراهيم باشا في سورية لسليمان ابي عز الدين •

وقد ذكر مؤلف جبل نابلس انها هي الاخرى من فرع الشقران الذي تنتسب اليه الاسرة الجرارية وجدها صالح هو اخو جرار ولدي زين كما جاء في شجرة النسب التي رسمها ، ومما قاله ان ابا بكر بن صالح سكن عرابة بعد نزوح من نزح من ابناء عمومته ثم صار ابنه عبد الهادي شيخا لها [١] والى هذا تنتسب الاسرة •

والمؤلف لا يسند كلامه كالعادة • والمتبادر انه مبني على الروايات وليس ما يمنع ان يكون صحيحا • ولا سيما ان الامر حديث العهد ولا بد من ان الاجيال الحاضرة ترويه عن آبائها القريبين •

ولقد ورد في كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا ما يؤيد ذلك على ما سوف ننقله عنه بعد •

---

(١) ص ١٣٠ - ١٣١

وعلى هذا فيمكن ان يقال ان هذه الاسرة اصيلة العروبة وان أول البارزين منها كان جدها عبد الهادي وان كان بروزه محدودا ومحليا • وربما كاذ ذلك في اواخر القرن الثاني عشر • والمتبادر ان مشيخته لعرابة لا بد من انها كانت مستندة الى عصبية ما لان هذا هو الذي كان يجعل ذلك ممكنا في مثل تلك الظروف •

حسين ومحمود ومحمد ابناء عبد الهادي
وسليمان ومحمود ومحمد اولاد حسين

- ٢ -

وكان ثاني البارزين بل وألمعهم حسين بن عبد الهادي • ومما قاله مؤلف جبل نابلس في صدد بروزه وفيه شيء من التزيد والتبجح كعادته ان حسينا دعا احمد آغا النمر لضيافته في دور النقاهة من الجروح التي أصيب بها في حادث اغتيال يوسف آغا وعلي آغا من قبل موسى طوقان فاحتفى به حفاوة كبيرة ، فلما وزع الاقطاع ساعده احمد اغا مع المتسلم مصطفى اغا طوبجي باش للحصول على اقطاع عرابة ثم على زعامة ام الفحم فاصبح آل عبد الهادي بذلك من الاسر الاقطاعية [١] •

وقد ذكره هذا المؤلف في عداد مشايخ جبل نابلس البارزين للذين حضروا مجلس الصلح واسقاط الدماء بين اسرتي النمر وطوقان سنة ١٢٣٩ هـ ثم في عداد مشايخ جبل نابلس الذين ذهبوا على رأس الجموع الى صفد للانضمام الى والي الشام وقتال والي عكا حينما اختلف الواليان وتنازعا على تبعية جبل نابلس سنة ١٢٤٦ هـ [٢] • ومما قاله عنه في سياق ذلك [٣] انه ذهب الى عكا حين قبل جبل نابلس

(١) ص ٢٤٨ (٢) ص ٢٤٠ (٣) ص ٢٤٨ - ٢٤٩

الاذعان لوالي عكا وقدم مفاتيح بوابات عرابة اليه فظهر امره ورفعه شيوخ البلاد وامراؤها . ولما باع السلطان قصر بني الجرار الاقطاعي في نابلس اشتراه ونزل في نابلس وصار يتدخل في الصغيرة والكبيرة ويكثر التردد على عكا حتى اصبح واسطة البلاد لدى واليها . وكان يطمح الى متسلمية جنين فلما لم ينلها حقد على الوالي ، وكان من اول مستقبلي ابراهيم باشا حين قدم الى فلسطين على رأس حملته ومن اول المنضمين اليه ، واقنع آل القاسم وبقية المشايخ بالاتفاق معه فنجح وسر الباشا منه فولاه ايالة صيدا ، وولى اخويه وولده واقاربه حكم البلاد فسادوا في سورية الجنوبية واصبحوا اصحاب الكلمة النافذة فيها طيلة الحكم المصري ، ثم ذكر ان ابراهيم باشا عين الشيخ سليمان بن الشيخ حسين متسلما لجنين والشيخ محمودا اخا الشيخ حسين متسلما ليافا ، ولما نقل محمد القاسم من متسلمية نابلس الى متسلمية القدس عين مكانه الشيخ سليمان ، وعقب على ذلك قائلا ان محاولة آل عبد الهادي الاستئثار بكل شيء في البلاد والقضاء على جميع الامراء والشيوخ اكسبهم عداوة جبل نابلس جميعه ، ولولا حكمة محمود بك وتمكينه الصداقة والتفاهم مع آل النمر لقضي على آل عبد الهادي جميعا .. والتبجح والهوى باديان في هذا التعقيب ...

ولقد اورد المؤلف نص مرسوم لابراهيم باشا موجه الى نائب نابلس ومفتيها ونقيب اشرافها ومتسلمها الشيخ محمد القاسم وباقي المشايخ ومؤرخ في ١٥ ج ١٢٤٧ هـ جاء فيه « حيث انكم قدمتم لنا الطاعة ودخلت بلادكم في حوزة حكومتنا فقد صار واجبا علينا حفظها وصيانتها واستجلاب راحة الاهالي ورفاهيتهم من كل وجه . ومن كون محسوبنا الشيخ محمد بن قاسم تحقق لنا صدق خدمته فقد ابقيناه بمدينة نابلس كما كان متسلما وبعهدته بلاد المشاريق التابعة لها .

---

(١) ص ٢٥٠

اما بلاد جبل نابلس فاننا ابقيناها بعهدة مفاخر المشايخ الشيخ محمود عبد الهادي والشيخ يوسف بن قاسم الاحمد والشيخ عبد الله الجرار والشيخ يوسف والشيخ عبد الوهاب الجيوسي يتعاطوا امور الاحكام وجباية الاموال وانصاف المظلوم من الظالم ورؤية دعاوى كافة الاهالي على نهج الشرع الشريف بابطال الباطل واحقاق الحق المستقيم واداء الخدمات المرضية وصيانة الاموال الاميرية الخ ... » حيث يفيد هذا أن محمود عبد الهادي اخا الشيخ حسين كان يمارس مشيخة مـا لها شيء من صلاحية الحكم والجباية . وليس في السياق ما يساعد على القول ان هذا كان قبل قدوم ابراهيم باشا ام بعده حيث حل محمود في مشيخة عرابة بعد ان عين ابراهيم شيخها الشيخ حسين مديرا لايالة صيدا وان كنا نرجح هذا . وعلى هذا فتكون متسلمية محمود ليافا بعد هذا المرسوم .

ولا يذكر المؤلف شيئا من نشاط الشيخ حسين وابنه سليمان واخيه محمود في مناصبهم التي ولاهم اياها ابراهيم باشا ، غير انـه اخذ يورد بعض نبذ من كتب مرسلة منه الى الشيخ سليمان فيهـا عتاب وتثريب بل وتنديد وتحقير ويستنتج منها ان ابراهيم انقلب على آل عبد الهادي وصار يرتاب فيهم ويتوجس منهم . ولا يخفى على المتأمل في أقواله واستنتاجاته ما فيها من هوى وخبط وتناقض . ولقد قال فيما قاله ان محمد علي باشا تحقق حين نزوله في يافا ان ثورة شيوخ نابلس انما كانت بسبب ما فعله آل عبد الهادي وانه هو وابنه رأيا نفوذهم نما وعظم فتجنبا القضاء عليهم علنـا لئلا تتكرر الثورة . وان هذا جعل الشيخ سليمان يتشامخ ولا يرعوي لاوامر ابراهيم باشا مما جعل هذا يكتب اليه قائلا « فياهل ترى ايش منتظر . فان كنت تقول في عقلك انك ابن الشيخ حسين فنحن في المصلحة لا نعرف الشيخ حسين ولا ابنه . وأما اذا كنت تعتمد على حبنا اياه فانت تبقى مغشوش في ذلك فنحن احببنا الشيخ حسين لاجل صداقته في الخدمة فقط لانه

الى الآن ما حصل منه سوى الصداقة . ومن بعد الآن تبقى السبب في تبويظي مع الشيخ حسين ومع بيتكم باكمله » وقد وضع المؤلف هذا الكلام بين قوسين للتدليل على انه ينقلها عن اصلها مع انه لم يذكره . ولم يذكر تاريخ كتاب ابراهيم باشا . ولكنه قال بعد ايراد النبذة ان الشيخ حسين توفي في سنة ١٢٥٣ هـ بعد قليل من وصول هذا الكتاب فشك الشيخ سليمان في امر وفاته التي قيل انها بالسم فكتب الى ابراهيم باشا مستفسرا فاجابه بكتاب اورد المؤلف نصه ومؤرخ ١٧ ب سنة ٥٣ وصادر عن مصر ــ وهذا عجيب ــ جاء فيه « بخصوص وفاة الوالد والحال من المعلوم ان ذلك بأمر الله تعالى مقدر محتوم وكل منا داخل بعموم هذا القضاء المرسوم فلا يقتضي تفكيركم في هذا البحث اذ جميعا بندكان ــ عبيد ــ ولي النعم الخديوي الاعظم فالبقية بحياة دولته[1] »

ثم قال المؤلف ان ابراهيم باشا عطف على ابناء الشيخ حسين الصغار فخصص لهم راتبا . وعين الشيخ سليمان وكيلا لمديرية ايالة صيدا مع بقاء متسلمية نابلس في عهدته قاصدا بذلك ابعاده من نابلس، واحاطه بالجواسيس ، وان سليمان مع ذلك استمر على تمرده وصار يخالف اوامر ابراهيم باشا علنا فكتب اليه في سنة ١٢٥٤ هـ كتابا جاء فيه « وما هذه الجسارة حتى تنتصر لمخالفة امرنا بادروا باحضار المذكورين والا فبحياة رأس محمد علي العزيز ورأسنا الكريم ماتنتظر الا وقد صدر امرنا لاميرالاي يتوجه فيعدمك بالبلطة يا خنزير . ماكفى بهذا المقدار حتى انت تقف ضد اوامرنا ... » . ويستمر المؤلف على سياقه فيقول ان سليمان لم يؤثر فيه ذلك فنقل الجواسيس عنه الى ابراهيم باشا انه يمن بخدماته عليه فكتب اليه سنة ١٢٥٥ هـ يقول « وتقولون نحن خدمنا كثيرا . اين خدمتكم يا خنزير . الله يلعنكم » وجعل هذا سلمان يزداد غيظا كما يقول المؤلف حتى صار يحرض البلاد على عدم دفع الضرائب مع ان المؤلف يقول في السياق نفسه ان سليمان

---

(١) ص ٢٦٠ ـ ٢٦١

بقي متسلما لنابلس الى ان مات في اول سنة ١٢٥٧ هـ بعد جلاء الحملة المصرية وعودة الحكم العثماني [1] حيث يبدو القول عجيبا .

ومما اورده المؤلف مما يتصل بالشيخ سليمان في زمن الحكم المصري نص كتابين احدهما من ابراهيم باشا وثانيهما من محمد علي باشا في يافا في ٩ و ١١ را سنة ١٢٥٠ هـ في صدد ثورة مشايخ جبل نابلس وقمعها وفرار المشايخ . والكتابان موجهان الى فخر المشايخ المكرمين الشيخ سليمان عبد الهادي وكيل مدير ايالة صيدا [2] .

وهذه الوكالة هي غير الوكالة التي ذكرها المؤلف لانها كانت بعد وفاة الشيخ حسين في سنة ١٢٥٣ هـ . فالظاهر ان الشيخ حسين تغيب بسبب ما عن منصبه في صيدا في سنة ١٢٥٠ هـ فاتى ابراهيم باشا بابنه وكيلا عنه . وهذا يدل على ان الشيخ حسين وسليمان ظلا محظيين موثوقين لدى ابراهيم باشا الى هذه السنة ، وان تطور موقفه نحو سليمان قد كان بعد ذلك بامد ما . على ان بقاء حسين مديرا لايالة صيدا الى ان توفي سنة ١٢٥٣ هـ وعطفه على اولاده الصغار وتعيين سليمان محله مع ابقائه متسلما لنابلس ، واحتفاظه بهذه المتسلمية الى ما بعد جلاء الحملة المصرية قد يدل على ان حسينا وسليمان ظلا يتمتعان بثقة ابراهيم باشا ورضائه وان عباراته الغليظة في رسائله كانت هي اسلوبه المعتاد في الكتابة لموظفيه وتابعيه .

بنو عبد الهادي بعد جلاء الحملة المصرية
وعودة الحكم العثماني
ونشاط سليمان ومحمد ومحمود الحسين ويوسف السليمان

— ٣ —

ولقد تم جلاء الحملة المصرية عن بلاد الشام في سنة ١٢٥٦ هـ فعاد

---

(١) ص ٢٦١ – ٢٦٢٢　　(٢) ص ٢٥٩ – ٢٦٠

الحكم العثماني اليها • ومع ذلك فقد احتفظ بنو عبد الهادي ببروزهم وكيانهم رغم ما كان من تعاونهم الشديد مع الحملة مما يدل على ما كان لهم من قوة وعصبية وتمكن • ولقد ظل سليمان في متسلمية نابلس الى ان مات في سنة ١٢٥٧ هـ على ما ذكره مؤلف جبل نابلس فخلفه فيها اخوه الشيخ محمد ولما مات هذا خلفه اخوه الثاني محمود • ثم صارت المتسلمية قائممقامية مرتبطة بمتصرفية القدس وغدت دورية يتداولها بنو عبد الهادي وبنو طوقان وقد كان سليمان طوقان الذي يبدو انه كان زعيم بني طوقان رئيس الجباة حينما كان محمود قائممقاما الى سنة ١٢٥٩ هـ وفي هذه السنة تبادل الزعيمان العمل ـ بامر الدولة على ما هو المتبادر ـ فصار سليمان قائممقاما وصار محمود رئيس جباة • وفي سنة ١٢٦٦ هـ عزل سليمان طوقان ونفي الى طربزون بسبب تدخله في الحرب الاهلية فآلت القائممقامية الى محمود عبد الهادي • وفي سنة ١٢٦٩ هـ عين للمنصب علي طوقان وفي سنة ١٢٧٢ عاد اليه محمود• وفي هذه الاثناء احتدمت الحرب الاهلية وتدخل فيها محمود لجانب اسر تهفعزل عن المتسلمية [1] •

ولقد كان بنو عبد الهادي ركنا أساسيا في هذه الحرب التي ذكرنا اسبابها وتطورها وجبهاتها في سيرتي بني النمر وبني طوقان وبني جرار مما لا ضرورة الى اعادته هنا • وكان التناحر والخصومة خاصة بينهم وبين بني الجرار برغم وحدة اصلهم ونعرتهم ـ وهي القيسية ـ لان بني الجرار حقدوا عليهم في حادث هدم صانور قبيل الحملة المصرية وفي حادث مقتل الشيخ عبد الله أثناء هذه الحملة على ما شرحناه في سيرة بني الجرار فكان هذا مما جعل قسما من بني الجرار ينضم الى الصف المناوىء لهم في تلك الحرب • ولقد نفي يوسف السليمان عبد الهادي ومحمد الحسين عبد الهادي الى طربزون في سنة ١٢٦٦ هـ في جملة من نفي من الزعماء وتصالح بنو عبد الهادي مع

---

(١) ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩

بني القاسم فخفت حدة الحرب • غير ان محمدا الحسين استطاع ان يفلت من منفاه ويعود الى فلسطين واستأنف النضال ضد خصوم أسرته وخاصة ضد بني الجرار فعادت الحرب الى شدتها ثانية • وتدخل فيها متسلم نابلس محمود عبد الهادي لجانب أسرته فعزل وامر امير الآلاي بالقبض عليه فرفض الاستسلام واعلن بنو عبد الهادي العصيان واحتلوا جنين • وقد حولت الدولة في هذه الاثناء (سنة ١٢٧٥ هـ) نابلس الى متصرفية وسير المتصرف يوسف ضيا حملة قوية لحصار بني عبد الهادي في جنين وارغامهم ونجحت في حمل محمود على الاستسلام وحينئذ انتقل محمد الحسين الى عرابة مصمما على الاستمرار على العصيان واخذ يهاجم بني الجرار • وكان محمد هذا قوي الشخصية وقد روي مؤلف جبل نابلس الذي نقتبس منه هذا السياق كلمة له قالها لعبد الفتاح النمر حينما كان هذا يحاول اقناع محمود بالتسليم وهي « يا آغا هذه البلاد اخذناها بالسيف » • وقد انتقلت الحملة ومعها المتصرف ومجلس ادارته الى عرابة فضربت عليها الحصار • ورأى بنو جرار ان فرصة الانتقام من عرابة لصانور قد أتت فاتحدوا بعد انقسام واشتركوا في حصار عرابة • وجرت محاولة توفيق بين الدولة وبين بني عبد الهادي فسارع بنو الجرار الى احباطها بحركة اوهمت الجيش ان بني عبدالهادي يهاجمونه فامر المتصرف ومجلس ادارته قصف عرابة بالمدافع ثم دخلها الجيش وحشود بني الجرار من القرويين والبدو بعد ذلك فنهبوها وهدموها • وقد هرب محمد الحسين واخوه صالح الى البلقاء مع جماعة من رجالهم ثم عفي عنهم حينما عرفت مكيدة بني الجرار فجاء الزعيمان واقاما في نابلس • وقد انهى مؤلف جبل نابلس سياقه ــ الذي اقتبسنا منه ما تقدم على علاته لانه ليس هناك مصدر آخر ــ بقوله انهم تفاهموا مع الدولة فكان لهم بنزولهم في نابلس فوائد كثيرة حيث انتبهوا للتعليم فحافظوا على كيانهم

وحصلوا على مراكز كثيرة في الحكومة [1] واصبحوا يعدون من اقوى عشائر فلسطين مكانة وعلما وعددا .

بنو عبد الهادي في كتاب
تاريخ ولاية سليمان باشا

— ٤ —

لقد ذكر مؤلف هذا الكتاب حسين عبدالهادي اكثرمن مرة. فذكره في جملة الذين دعاهم سليمان باشا من مشايخ جبل نابلس والقدس حينما وجهت اليه وكالة ولاية الشام لاجل تقرير الاموال الاميرية ولوازم الحج سنة ١٢٣٢ هـ وقال ان الوالي خلع عليهم وحرر عليهم سندات شرعية بتوريد المال المقرر في اقرب وقت [1] . وفي ذلك دلالة على ان الشيخ حسين كان يتولى الاشراف والجباية في مقاطعته .

ثم ذكره مرة ثانية في مناسبة فتنة نابلس ودعوة الوالي مشايخ جبلها الى عكا لفض المشكلة بينهم في السنة نفسها حيث كان الشيخ في جملة من دعاهم الوالي . ومما قاله المؤلف عن بروز ومكانة الشيخ حسين في سياق ذلك ان سليمان باشا كان يميل الى عبد الهادي ابي بكر وابنه حسين ولما مات الاب صار الابن مكانه. وبميل سليمان باشا ومعاضدة المعلم حاييم والمعلم حنا ومساعدتهما لـه بمسائله عند الوالي وبكرم نفسه وتحسين سلوكه تقدم بين وجوه جبل نابلس وانطلق اسمه وصار له سمعة بزيادة اضعاف عن والده . فوالده وان كان شيخا لعرابة الا انه لم يكن معدودا من الوجوه المشهورين . اما ابنه حسين فانه تقدم حتى صار يعد من وجوه الديرة (المنطقة) واساطينها والمتكلمين فيها وصار له صفوف وحلوف نظير غيره .

---

(١) ص ٢٧١ — ٣٠٠ (٢) ص ٢٩٠ (٣) ص ٣٠٣ — ٣٠٤

بنو عبد الهادي في تاريخ
الامير حيدر الشهـــابي

— ٥ —

ولقد ورد ذكر حسين عبد الهادي في الملحق المضاف الى تـــاريخ الامير حيدر الشهـــابي اكثر من مرة . وقـــد ذكر في سيـــاق حوادث سنة ١٨٣٠ م ـــ ١٢٤٦ هـ حيث جاء فيه ان الوالي ارسل عسكرا لتأديب جماعة كبسوا على متسلم جنين صحبة اسعد طوقان ولما وصل هـــذا الى عرابة التي تخص حسين عبد الهادي امر العسكر بنهبها لمـــا كان بينه وبينه من منافسة فتغير خاطر الوالي عليه . وقد ارسل حسين اخاه وابنه الى الوالي لاجل استرداد المنهوبات التي كانت مقادير كبـــيرة فامر الوالي بالقائهما بالسجن وحضر الشيخ بنفسه الى عكا فـــامر بسجنه ايضا لانه ضبط في قريته اغلال وارزاق وافرة ، غير ان الوالي عاد بعد قليل فارجعه الى قريته ووعده بالانعام بتعويض مـــا ضبط له من غلال وغيرها حينما غضب على مصطفى طوقان وعين عبد اللهالجرار متسلما لجنين [1] .

ثم ذكر في سياق قدوم حملة ابراهيم باشا الى فلسطين حيث جاء فيه ان الشيخ حسين عبد الهادي ومشايخ بلاد نابلس ساروا في صحبة ابراهيم باشا ومعهم نحو ستة آلاف من جبل نابلس والخليل والقدس حينما سار من عكا الى نواحي الشام في اول سنة ١٢٤٨ هـ [2] .

---

(١) ص ٨٠١ ج ٢ نسخة رستم .   (٢) ص ٨٠٨

بنو عبد الهادي في كتاب
ابراهيم باشا في سورية

- ٦ -

ولقد ذكر حسين عبد الهادي في كتاب ابراهيم باشا في سورية تأليف سليمان ابي عز الدين اكثر من مرة ايضا فذكر لاول مرة في سياق خبر استبدال كاخيته منيب افف متولي شئون عكا حيث قال ان ابراهيم باشا استدعى الشيخ حسين عبد الهادي من زعماء جبل نابلس واحله مكانه وجعله تابعا لشريف باشا حكمدار عربستان [١] . وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٤٩ هـ ــ ١٨٣٤ م .

ثم ذكر في مناسبة ثورة فلسطين . وقد جاء في سياق ذلك ان ابراهيم باشا دعا مشايخ جبل نابلس والقدس فاكثرهم لبوا الدعوة فابلغهم ارادة والده بشأن التجنيد ونزع السلاح والضرائب فاجابوا بالايجاب وحاولوا استبدال التجنيد بتعويض مالي فلم يقبل منهم فرضخوا كارهين . وقد عين رؤساء لمشايخهم الشيخين قاسم الاحمد وحسين عبد الهادي من كبار زعماء جبل نابلس للاشراف على تنفيذ المطالب وابقاهما رهائن عنده [٢] .

ثم ذكر في مناسبة الثورة ايضا تعقيبا او شرحا للاحداث فقال ان ابراهيم باشا قد جعل الشيخ حسين من رجاله المقربين [٣] .

هذا ، وواضح من السيرة ان بروز هذه الاسرة وان جاء متأخرا بالنسبة للاسر الفلسطينية السابق ذكرها وكان بصفة بروز حكومي فقد كان وخاصة في زمن ابراهيم باشا قويا واسعا . وقد كان لها

---

(١) ص ١٣٢ (٢) ص ١٧٠ (٣) ص ١٧٦

عصبية محلية فكانت سندها في ذلك .

ولقد ظل ابناء الاسرة يحتفظون بوجاهتهم واملاكهم وبيوتهم الاقطاعية الكبيرة في نابلس وجنين وعرابة وما يزالون وكان ذلك مما يسر لهم ان يشغلوا وظائف حكومية متنوعة في ظل التنظيمات الادارية العثمانية وان يكون لبعضهم نفوذ كبير وان يحصلوا من الدولة على الالقاب التشريفية . وقد اشتهر منهم في هذا المجال سعيد باشا المحمد الحسين وحافظ باشا المحمد الحسين في جنين وعبد الكريم اليوسف السليمان في نابلس في اوائل القرن الرابع عشر الهجري . ولقد اقبل شبابهم على التعلم بخطوات اوسع واسرع من غيرهم من شباب الاسر الاقطاعية فكان ذلك ايضا مما فتح لهم طريق البروز والتقدم وحفظ لهم كيانهم ومكانتهم . ولقد نمت هذه الاسرة وتكاثرت حتى لتعد اليوم من اكبر الاسر الفلسطينية التي تحمل اسما واحدا او اكبرها . وهذا كذلك مما حفظ لها كيانها ومكانتها ايضا .

— ٧ —

العتوم في جبل نـــابلس

كان لهذه العشيرة مشيخة اقطاعية واسعة في القرن الحادي عشر في بعض نواحي جبل نابلس • ولا يبعد ان تكون مشيختها ممتدة الى ما قبل ذلك • وقد ضعفت وزالت فحل محلها غيرها •

يستفاد هذا من كتاب تاريخ جبل نابلس[1] الذي ورد فيه ان العتوم كانوا شيوخ جماعين وان عشيرة بني غازي حلت محلهم في المشيخة على هذه الناحية بعد القضاء على مشيختهم • وسياق المؤلف يفيد ان ذلك كان في القرن الحادي عشر •

وفي المذكرات الذي بعث بها الينا الاستاذ البرغوثي ما يؤيد ذلك بشيء قليل من الزيادة حيث جاء فيها ان مشاريق البيتاوي وجورة عمرا وجورة مردا في ناحية جماعين كانت تحت حكم هذه الارومة ثم انقرضت فاقتسم آل الحاج محمد وآل قاسم وآل ريان البلاد التي كانت تحت زعامتها ومشيختها وهذا ايضا مما ذكره مؤلف جبل نابلس •

وليس هناك مصدر آخر او بيان آخر فنكتفي بهذه الكلمة الخاطفة عن هذه الارومة التي لها ذرية في نابلس تعرف ببيت عتمة والتي رأينا فيما ذكر عنها ما يجعلها جديرة بان تسلك في سلسلة الاسر الاقطاعية •

---

(١) ج ١ ص ١٣١

— ٨ —

بنو القاسم في لواء نابلس

اوليتهم ومصادر تاريخهم

— ١ —

وهذه أسرة كان لها بروز في مجال الحكم والزعامة الاقطاعية في جبل نابلس وان كان متأخرا بالنسبة لاسرتي بني طوقان وبني النمر .

وقد احتوى الجزء الاول من تاريخ جبل نابلس والبلقاء شيئا من سيرتها كما ورد ذكرها في تاريخ ولاية سليمان باشا وفي الغرر الحسان وفي كتاب ابراهيم باشا في سورية لسليمان ابي عز الدين .

ومما جاء في تاريخ جبل نابلس عن اوليتهاانها منعشيرةبني غازي من قبيلة بني حسن في شرق الاردن وانها نزحت من شرق الاردن مع غيرها من العشائر التي نزحت او أجليت عقب ثورة الكرك سنة ١٠٨٠ ه ونزلت في ناحية جماعين وسادت فيها ، وانه ظهر منها فرعان كبيران بلغا درجة الامارة وهما فرع آل القاسم وفرع آل ريان [١] .

ولا يسند المؤلف كلامه الى مصدر . وهو مبني على الروايات المتداولة . وليس هناك ما يمنع ان يكون ما ذكره من نسبتهم الى بني

---

(١) ص ١٣١ — ١٣٢ رسم مؤلف جبل نابلس شجرة نسب لبني غازي جعل غازي أول الشجرة وسلسل عنه سبعة اولاد احدهم قاسم وقال ان كل ولد تسلسل عنه أسرة ومن جملتهم قاسم الذي تسلسل عنه أسرة بني قاسم ....

غازي من بني حسن ونزوح بني غازي الى جماعين صحيحا ولا سيما ان نسبة آل القاسم الى عشيرة بني غازي كانت وما تزال متداولة .

الشيخ قاسم الاحمد وابنه الشيخ محمد

- ٢ -

واول من ذكره مؤلف هذا الكتاب من رجال هذه الاسرة الشيخ قاسم الاحمد . ومما قاله في سياق ذلك ان آل القاسم اعلى فروع بني غازي وشيوخ جماعين وان كبيرهم الشيخ قاسم الاحمد استفاد من الخلاف الذي وقع بين بني طوقان والاغوات ـ بني النمر ـ فنزل في بيت وزن ـ قرية قريبة من نابلس وتقع في جهتها الغربية ـ وبنى فيها قصرا اقطاعيا وساعد آل النمر ضد موسى بن طوقان فلما وزع الاقطاع ساعده احمد اغا النمر على الحصول على اقطاع بيت وزن وجنسافوط ـ قرية اخرى في ناحية جماعين ـ ثم على زعامة حوارة [1] . وبقطع النظر عما في السياق من تبجح معتاد فانه يفيد ان الشيخ قاسم الاحمد كان اول البارزين من الاسرة في مجال الزعامة الاقطاعية .

ثم ذكره بمناسبة دعوة والي عكا سليمان باشا اياه مع شيخ آخر من جماعين هو موسى العثمان احد زعماء بني غازي ايضا وبعض شيوخ جبل نابلس سنة ١٢٣٢ هـ لفض النزاع بين موسى طوقان من ناحية وبين عشيرة بني غازي من ناحية اخرى لان الاولين قتلوا من جماعة في اشتباك وقع بين الفريقين في جماعين في سياق النضال الذي

---

(١) ص ٢٤٩ قال المؤلف هذا بينما قال في سياق آخر ان مشيخة بني القاسم كانت تشمل اثنتين وعشرين قرية من جماعين اي نصف جماعين الشرقي بينما كانت مشيخة بني الريان قسيمهم من عشيرة بني غازي تشمل نصف جماعين الغربي وفيه قرى في مثل هذا العدد ايضا ، وكانت بيت وزل مركز بني قاسم بينما كانت مجدل يابار مركز بني ريان (انظر ٢٨٢ ـ ٢٨٥ و ٢٧٧) .

قام بين بني النمر وصفهم وبني طوقان وصفهم على ما جاء في سياق المؤلف • ويبدو من السياق انه كان زعيما بارزا على رأس عشيرته أو أسرته في اوائل القرن الثالث عشر • ومما قاله المؤلف ان موسى طوقان لجأ الى الوالي كي يصالحه مع آل القاسم ليخلص من الثأر والانتقام ، وان الوالي طلب منهم ان يحكموه ففعلوا فحكم بتسعين الف قرش دية قتلى بني غازي وكتب موسى طوقان على نفسه بالمبلغ صكا [1] •

ثم اورد اسمه في عداد مشايخ جبل نابلس الذين حضروا المجلس الشرعي المنعقد في نابلس سنة ١٢٣٩ هـ لمصالحة بني النمر وبني طوقان واسقاط الدماء [2] • حيث يفيد هذا انه كان من المشايخ البارزين في جبل نابلس •

ثم ذكره في مناسبة الخلاف الناشب بين والي عكا ووالي الشام سنة ١٢٤٦ هـ في جملة مشايخ جبل نابلس البارزين الذين خرجوا على رأس جرودهم الى صفد استجابة لوالي الشام للانضمام الى عسكره وقتال والي عكا معه ، ومما قاله ان والي الشام خذلهم فلم يتجاسر على الحضور وان جرود جبل نابلس رجعت الى صانور وان احمد اغا النمر والشيخ قاسم الاحمد رأيا ضرورة التفاهم مع والي الشام — والصحيح المتبادر من السياق والي عكا — الى ان تصدر اوامر سلطانية بحل الخلاف فكتب احمد اغا لوالي عكا بصفته متسلما يعلنه استعداد جبل نابلس للطاعة [3] •

ثم ذكر بمناسبة خبر غضب والي عكا على اسعد طوقان وكتابة الوالي له وللشيخ حسين عبد الهادي والشيخ عبد الله الجرار بالتضييق على اسعد والقبض عليه • وقد نعته معهم بنعت افتخار المشايخ المكرمين على ما جاء في نص مرسوم الوالي الى احمد آغا النمر [4] ، حيث يفيد

(١) ص ٢٠٣ — ٢٠٥

(٢) ص ٢٢٨ •

(٣) ص ٢٤٠

(٤) ص ٢٤٣ — ٢٤٤

هــذا ان المشايخ المذكورين كانوا ابرز مشايخ جبل نــابلس فــي هذا الظرف .

وذكر المؤلف بعد ذلك اسم الشيخ محمد القاسم ـ ابن الشيخ قاسم ـ في سياق خبر غضب الوالي على الشيخ عبد الله الجرار متسلم نابلس بسبب افلات اسعد طوقان من المطاردة حيث ذكر ان الوالــي عزل الشيخ عبد الله وولى مكانه الشيخ محمدا وكــان ذلك في اوائل سنة ١٢٤٧ هـ . والمتبادر ان الوالي لم يكن ليعين محمدا للمتسلمية لو لم يكن هو وابوه من ذوي المكانة والعصبية في جبل نابلس . وهو ما يفيده الكلام السابق .

ولقد كان ابن ثان للشيخ قاسم الاحمــد اسمه يوسف صاحب اشراف وحكم ومسئولية في ناحية ما من جبل نابلس ـ والراجـح انها جماعين ـ في الوقت الذي كان اخوه متسلما لنابلس على ما يفيده مرسوم ابراهيم باشا قائد الحملة المصرية التي قدمت الى فلسطين بعـد قليل من تعيين محمد لمتسلمية نابلس .

وقد جاء في المرسوم المذكور المؤرخ في ١٥ ح ١٢٤٧ هـ ان ابراهيم باشا ابقى الناحية التي في يده سابقا في عهدته في جملة من ابقــاهم من المشايخ وفوض اليهم معاطاة الاحكام ورؤية الدعاوى وانصاف المظلومين وجباية الاموال الاميرية الخ [١] ...

وقد ثبت ابراهيم باشا في مرسومه المذكور [٢] الشيخ محمد بن قاسم الاحمد في متسلمية نابلس لما تحقق لديه من صدق خدمته وحسن استقامته ـ وهذه عبارة المرسوم ـ وامر مشايخ النواحي بالاعتراف بمتسلميته وتقديم مراسم الطاعة له . والمشايخ الذين ذكرهم هم مشايخ نواحي بني صعب وجنين والشعراوية وجماعين ، حيث يفيد هذا ان حكم الشيخ محمد كان شاملا لجميع نواحي جبل نابلس ومشايخها .

---

(١) ص ٢٥٠ (٢) ص ٢٥٠

وقد ذكر مؤلف جبل نابلس فيما ذكره من اخبار ابراهيم باشا انه عين الشيخ قاسم الاحمد (الاب) متسلما للقدس في نفس الوقت[1]. وهكذا كان الاب صاحب الحكم في جبل القدس والابن محمد صاحب الحكم في جبل نابلس بالاضافة الى يوسف الابن الثاني الذي كان صاحب الحكم في ناحية جماعين مما فيه توكيد لدلالة قوة أسرتهم وعصبيتهم .

وفي اواخر سنة ١٢٤٩ هـ اصدر حكمدار بلاد الشام مرسوما الى الشيخ قاسم يذكر فيه انه نحي عن متسلمية القدس نظرا لشيخوخته وحاجته الى الراحة وانه عين ابنه محمد مكانه .

وقد قال مؤلف جبل نابلس الذي اورد نص المرسوم في سياق ذلك ان هذا كان بدسائس حسين عبد الهادي حتى يعين ابنه سليمان لمتسلمية نابلس وان آل القاسم لم تخف عليهم اللعبة فتيمزوا غيظا وصاروا يبثون فكرة التمرد والعصيان حتى امتنعت البلاد عن دفع الضرائب وتقديم الجنود . وكان الشيخ محمد القاسم في الحج في اوائل سنة ١٢٥٠ هـ فلما عاد دعا الى اجتماع كبير في بيت وزن حضره اكثر شيوخ البلاد الذين طفحت قلوبهم بالغيظ من آل عبد الهادي ـ والعبارة للمؤلف ـ فاتفقوا على الثورة ، وقد نصحهم احمد اغا النمر بعدم الاشتراك بالثورة مع مشايخهم فقبلوا نصحه جميعا فاضطر المشايخ الى اعلان العصيان والثورة في جبل القدس ! [1] وتزيد المؤلف في كلامه الاخير او تبجحه باد . ولقد كانت ثورة لاهبة اعجزت ابراهيم باشا وشملت جبلي نابلس والقدس بل والخليل على ما سوف ننقله عن كتاب ابراهيم باشا في سورية وكان بنو القاسم زعماءها الاكثر بروزا وحيوية وكان بقيادتهم وقيادة شيوخ نابلس الذين ساهموا معهم فيها جماعاتهم ! ومما لا يعقل ان يرفض عشائر جبل نابلس الاستجابة

---

(١) ص ٢٤٩ (٢) ص ٢٥٥١ ـ ٢٥٣

الى مشايخها وان يكون لهؤلاء المشايخ على عشائر جبل القدس من النفوذ اكثر من عشائرهم !

وقد ذكر المؤلف بعد ذلك في سياق طويل مشوب بالتبجح والخيال والحقيقة معا ان ابراهيم باشا ذهب بكتائبه الى جبل القدس للقضاء على الثورة وكتب لابيه مستنجدا ، وان الثوار كادوا يتغلبون عليه لو لا وصول ابيه ليافا ومعه نجدة مؤلفة من ثلاث آلايات انضمت الى جيش ابراهيم باشا فاستطاع بذلك ان يتغلب على الثوار ويكسرهم في وقعة قرب قرية الدير [١] فتشرد المشايخ واتوا الى جبل نابلس فجاء ابراهيم مسرعا الى بني صعب وقبض على الشيخ عيسى البرقاوي وكان من زعماء الثورة ثم التقى بجموع بني جرار في قلب وادي الشعير — وكان زعيم بني الجرار الشيخ عبد الله ايضا من زعماء الثورة — فكسرهم وأسر الشيخ عبد الله ثم حط على سيلة الظهر ونادى في جيشه باباحة نابلس وهدمها فكان من هلع اهل نابلس وهروعهم الى ديوان احمد اغا النمر وطلبهم مواجهة ابراهيم باشا وتمكنه من انقاذ نابلس ما نقلناه عن المؤلف في سيرة بني النمر فلا حاجة الى اعادته هنا ، ثم جاء ابراهيم باشا بجيشه الى نابلس ففر قاسم الاحمد واولاده وعياله الى الشرق ونزل على عرب العدوان فتبعه بجيشه وضرب العرب وانصارهم بني صخر ففر الشيخ قاسم الى الكرك فتبعه واليها واحرقها ففر منها الى عرب عنزة فقبض هؤلاء عليه وعلى اولاده ورجاله وسلموهم الى والي الشام الذي تمكن من القبض على باقي المشايخ فقتلوا جميعا في دمشق ونابلس وعكا [٢] .

---

(١) يقول المؤلف ان الدير هي المعروفة اليوم بقرية العنب قرية آل ابي غوش بينما المستفاد من كتاب ابراهيم باشا في سورية لسليمان ابي عز الدين (ص ١٧٦) انها قبالة قرية زيتا وهذه في قضاء بني صعب والراجح انها قرية دير الغصون ، ولقد وقعت وقعة بين آل ابي غوش وابراهيم باشا عند قريتهم على مامر ذكره فالتبس الامر على مؤلف جبل نابلس ووحد الوقعتين على ما هو المتبادر .

(٢) ص ٣٥٢ — ٢٥٨ .

وقال المؤلف في نهاية سياقه ان ابراهيم باشا ارسل اولاد الشيخ قاسم الاحمد الصغار وهم محمود وعثمان واحمد الى مصر فنشأوا هناك في المدارس العسكرية ونالوا وظائف في الجيش والاسطول ولما عادوا لقبوا بالبيكات . ومنهم آل القاسم جميعا . وقد مثلوا دورا مهما في الحرب الاهلية التي انفجرت بعد جلاء الحملة المصرية بقليل ..

ومهما يكن من المحتمل ان يكون شاب الروايات التي استند اليها المؤلف من شوائب فان فيها على ما يبدو حقائق كثيرة ايضا . وقد أيدها بقوة واسعة ــ وخاصة وقائع الثورة ــ سليمان ابو عز الدين في كتابه تاريخ باشا في سورية على ما سوف نورده بعد .

والوقائع من اولها الى آخرها تدل على ما كان بنو القاسم عليه من قوة وحيوية ومكانة واعتداد ، حيث غضبوا لكرامتهم التي اعتبروها قد مست بنزع متسلمية نابلس منهم فاقدموا على قيادة حركة العصيان واستطاعوا ان يؤلبوا جبلي نابلس والقدس . وقد فعلوا ذلك قبل ان يتركوا الحكم في نابلس والقدس على ما يفيده بلاغ ابراهيم باشا الموجه الى الشيخ سليمان ــ عبد الهادي ــ وكيل مديرية ايالة صيدا والمؤرخ في ٩ را سنة ١٢٥٠ هـ الذي اورد مؤلف جبل نابلس نصه والذي يقول انهم انهزموا الى الشرق وحل بهم ما يستحقونه من تأديب ونصبنا بدلهم حالا [١] . ولعل وجودهم على رأس الحكم مما ساعدهم على حركتهم في بدء امرها .

بنو القاسم بعد جلاء الحملة المصرية

ـ ٣ ـ

ولم يذكر مؤلف جبل نابلس آل قاسم بعد هذا الا في سياق

---

(١) ص ٢٥٦ .

الحرب الاهلية التي انفجرت عام ١٢٦١ هـ وقد كانوا من اركانها الاساسية على ما يفيده السياق الذي اورده مما يدل على انهم ما لبثوا ان قووا واستأنفوا نشاطهم وزعامتهم في ناحية جماعين .

والمستفاد من هذا السياق [١] الذي يبدو انه مستند الى الروايات التي شابتها بعض الشوائب والتي احتوت مع ذلك حقائق كثيرة لان وقائعها حديثة العهد متصلة التداول ان الحرب بدأت بين آل القاسم الذين كانت مشيختهم الخاصة على نصف ناحية جماعين الشرقي ومركزهم بيت وزن وبين آل ريان الذين يمتون مثل آل القاسم الى عشيرة بني غازي والذين كانت لهم المشيخة على نصف ناحية جماعين الغربي ومركزهم مجدل يابا ، وانه قام مناقشة بين زعماء الاسرتين قبل قدوم الحملة المصرية وأدت المنافسة الى تضاد في النعرة والصف حيث صار آل ريان مع الصف اليمني الذي منه بنو طوقان وبنو البرقاوي وغيرهم وصار آل القاسم مع الصف القيسي الذي منه بنو النمر وبنو عبدالهادي وغيرهم ، وأن آل ريان نتيجة لذلك لم يندمجوا في الثورة التي قادها بنو القاسم ضد ابراهيم باشا ، وانهم بسطوا مشيختهم بعد كسر هؤلاء وقتل كبارهم ونفي صغارهم الى مصر على النصف الشرقي من جماعين خاصة آل قاسم ، وان صغار بني القاسم حينما كبروا وعادوا الى فلسطين استعادوا زعامتهم على النصف المذكور فعادت المنافسة ثانية بين الاسرتين ولم تلبث ان أدت الى القتال بينهما حينما استشرت الحرب الاهلية بين الصفين القيسي واليمني وغدت عامة . ومع ان متصرف القدس عمد بسبيل تهدئة الحرب في سنة ١٢٦٦ هـ الى نفي عدد من زعماء الاسر الى طربزون وكان بينهم زعيم آل الريان الشيخ محمد الصادق فخفت حدة الحرب فترة ما غير انها ما لبثت ان احتدمت بين الاسرتين خاصة لان بني القاسم فرضوا مشيختهم على القسم الغربي

---

(١) ص ٢٧١ - ٢٨٩

الخاص ببني ريان اغتناما لفرصة تفي زعيمهم فبذل زعماء بني ريان الباقون جهودهم حتى جعلوا القائممقام علي بك طوقان الذي كانت أسرته من صفهم يسحب مشيخة جميع جماعين من يد بني القاسم ويعيد النصف الغربي الى بني ريان ويقيم على النصف الشرقي موظفا من قبله فثارت ثائرة بني القاسم وطردوا الموظف من نصفهم وهاجموا بني ريان وضربوهم ضربة شديدة • وقد اغتاظ متصرف القدس منهم فاخذ يطاردهم وأمد خصومهم فصاروا يطاردونهم بدورهم مما جعل بني القاسم يتضايقون ويستنجدون بعبد الفتاح اغا النمر الذي ارسل اليهم نجدة بقيادة ابنه عبد القادر اغا فادركهم وهم محصورون في قرية ديراستيه في منتهى الضيق فانقذهم واتى بهم الى نابلس حيث نزلوا ضيوفا على آل النمر في حي الحبلة مدة سنتين وكان ذلك سنة ١٢٧١ هـ، ثم سعى عبد الفتاح فاصلح بينهم وبين بني عبد الهادي الذين تجمعهم النعرة القيسية في الاصل والذين دب بينهم فتور وحقد لان بني القاسم اعتبروا بني عبد الهادي سبب ما حل فيهم من ابراهيم باشا • وفي سنة ١٢٧٢ هـ أمد بنو عبد الهادي بني القاسم بعد ما صفا الحال بينهم فهاجموا بني ريان وطوقوهم واحرقوا سبعا من القرى التابعة لهم ونهبوا القرى الخمس عشرة الاخرى وفر آل ريان وبعض انصارهم الى نابلس حيث ظلوا فيها مدة كبيرة ثم عادوا ضعفاء لاحول لهم ولاقوة، وتوطدت منذئذ سيادة آل القاسم في جماعين كلها واصبح لهم شان كبير في حكومة نابلس ولا سيما بعد ان صارت منصرفية في سنة ١٢٧٥ هـ •

ولقد حاول اصحاب النعرة اليمنية في المشاريق ان ينتقموا لآل ريان من بني القاسم فهاجموا جماعين الشرقية ونهبوا سلفيت وكانوا بزعامة الشيخ خليل الناصر وقد انجدهم الامير بركات المسعودي بجموعه وبجموع من احلافه العبابيد (قبيلة عباد) وانضم اليهم الشيخ محمود سحويل شيخ بني زيد في جبل القدس ولكن عثمان بك القاسم الذي

كان مديرا للامن في القدس سارع على رأس قوة حكومية الى لقائهم وتمكن من ردهم ..

ولم يعد المؤلف يذكر آل القاسم بعد ذلك ..

بنو القاسم في كتاب تاريخ ولاية سليمان باشا

— ٤ —

ان مؤلف هذا الكتاب ذكر الشيخ قاسم الاحمد في سياق خبر توجيه وكالة ولاية الشام لسليمان باشا والي صيدا وعكا سنة ١٢٣٢ هـ في جملة من دعاهم هذا الوالي من مشايخ البلاد الى عكا لتقرير الاموال ولوازم الحج وخلع عليهم وكتب عليهم سندات شرعية بالاموال الاميرية وتقديسها باقرب وقت [١] مما فيه الدلالة على انه كان شيخا صاحب حكم ومسئولية رسمية في ناحيته .

ثم ذكره في مناسبة ما كان بين عشيرته بني غازي وبين موسى طوقان من دماء حيث ذكر المؤلف في سياق طويل اوردناه في سيرة بني طوقان خبر دعوة الشيخ قاسم الاحمد وزميل له من عشيرته اسمه الشيخ موسى العثمان وموسى طوقان ومشايخ جبل نابلس البارزين وصالحهم مع بعضهم والزم موسى طوقان بدفع دية قتلى جماعة بني غازي وخاطب الشيخ قاسم بقوله يا شيخ قاسم لا يكون الا خاطرك وسلم السند الذي كتبه موسى طوقان له مما يدل على انه كان الشخص الاول في عشيرته وناحيته [٢] .

آل القاسم في تاريخ الامير حيدر

— ٥ —

لقد ذكر اسم الشيخ قاسم الاحمد في الملحق المضاف لهذا التاريخ

---

(١) ص ٢٨٩ — ٢٩٠

(٢) ص ٣٠٣ — ٣١٥ .

في سياق حوادث سنة ١٢٤٦ هـ في مناسبة خبر توجيه حكم القدس والخليل وجبل نابلس لوالي عكا وصيدا عبد الله باشا وما جرى بينه وبين مشايخ جبل نابلس في صدد ذلك . ومما قاله كاتب الملحق عنه [١] ان عسكر عبد الله باشا قبضوا عليه ووجهوه الى عكا . ولقد ذكر مؤلف جبل نابلس ان الشيخ قاسم كان من جملة من انحاز الى والي الشام وذهبوا على رأس جرودهم الى الانضمام اليه لقتال والي الشام [٢] . فيكون والي عكا قد غضب عليه من الجملة وامر عسكره بمطاردته والقبض عليه كما هو المتبادر .

ثم ذكر الشيخ قاسم في الملحق ثانية [٣] في سياق حصار عسكر عبد الله باشا لقلعة صانور في السنة نفسها حيث قال ان اسعد طوقان قد حضر الى خيمة الامير بشير بعد اعطاء الامان له ومعه الشيخ عيسى البرقاوي والشيخ قاسم الاحمد وطلبوا له الامان ثانية ، وحيث يفيد هذا انهم جاؤوا معه رفدا لانهم كانوا من صف واحد على ما شرحناه قبل . ثم ذكر في سياق انتهاء حصار قلعة صانور وتسليمها وهدمها حبث ذكر ان ابراهيم باشا كتخدا الوالي رجع الى عكا ومعم الشبخ عبد الله الجرار والشيخ حسين عبد الهادي والشيخ قاسم الاحمد فعين الشيخ عبد الله لمتسلمية نابلس واذن للشيخين الآخرين ان يعودوا الى محلاتهم ويصرفون شؤونها كالسابق [٤] .

بنو القاسم في كتاب ابراهيم باشا في سورية

— ٦ —

لقد ذكر مؤلف الكتاب الشيخ قاسم الاحمد وابنه الشيخ محمد

---

(١) ج ٢ ص ٨٠٣ نسخة رستم .

(٢) ص ٢٤٠ (٣) ص ٨٠٩ — ٨١٠ (٤) ص ٨١٢ — ٨١٣

في النبذة التي عقدها على ثورة فلسطين من نيسان الى ايلول سنة ١٨٣٤ هـ [١] فقال فيما قال ان ابراهيم باشا تلقى امرا من ابيه باحتكار تجارة الحرير وتحصيل الفردة (الضرائب المفروضة على الاشخاص) ونزع السلاح وتجنيد الشبان فبادر الى اذاعة هذه الاوامر وتنفيذها في البلاد السورية فقامت لها وقعدت وكان أول بوادر الاستياء بين القبائل العربية النازلة في جوار بحر الميت ولم يكن زعماء جبل نابلس أقل استياء وكذلك زعماء قرية العنب آل ابي غوش فدارت المفاوضة بينهم لتوحيد الكلمة على رفض مطالب ابراهيم باشا فاسرع هذا الى القدس على رأس جيشه ودعا الحكام والشيوخ فلبى اكثرهم فبلغهم أوامر ابيه وسألهم عما اذا كانوا مستعدين للتنفيذ فاجابوا بالايجاب ، وحاولوا استبدال التجنيد بتعويض مالي كما توسلوا اليه ان يعفيهم من تسليم السلاح فابى ان يحيد شعرة عن اوامر والده فقبلوا مكرهين وتم الاتفاق على ان يقدموا رجلا من اثني عشر رجلا للتجنيد وعين رؤساء لمشايخهم الشيخ قاسم الاحمد والشيخ حسين عبد الهادي من كبار زعماء جبل نابلس وابقاهما بصفة رهائن عنده وجعل ابن قاسم الاحمد متسلما للقدس ، ورجع المشايخ لدعوة الاهلين للتجنيد حسب الاتفاق . وكانت الحكومة العثمانية تبث الدعاية ضد حملة ابراهيم باشا وتنشر البشائر بارسال جيوشها لاخراجها فلقي ذلك آذانا صاغية عند الاهلين والمشايخ الناقمين وشد من عزائمهم فثار العربان الضاربين بجوار البحر الميت وتبعهم اهل جبل نابلس الاشداء وفر الشيخ قاسم الاحمد من محل رهنه وتولى قيادة الثوار وارسل جماعة الى القدس احضروا ابنه المتسلم لينضم للثورة التي انضم اليها آل ابو غوش الناقمون على ابراهيم باشا وحكومته لسبب سجن كبيرهم في عكا فكان لانضمامهم تأثير عظيم لشدة بأسهم وقوة زعامتهم ومركزهم في البلاد الواقعة بين القدس ويافا ، وتحرج مركز حامية القدس حتى لقد

---

(١) ص ١٦٩ — ١٧٩ وسنة ١٨٣٤ توافق سنة ١٢٥٠ هجرية .

عزم قائدها على الانسحاب الى يافا فاعترضها آل ابي غوش وهاجموها وقتلوا عددا كبيرا منها وردوها ، ووجه ابراهيم باشا كتيبته فتصدى هؤلاء لها ايضا وقتلوا عددا منها وردوها ، وهاجم بعض الثوار حامية الخليل وذبحوها ، وحضر جماهير غفيرة فهاجمت القدس ودخلتها واشتد القتال بينها وبين حاميتها ونهبت دكاكين البلد وبيوت اليهود ، ووصلت لابراهيم باشا امدادات جديدة من مصر فنهض بنفسه وزحف على قرية العنب واشتبك مع الثوار وتغلب عليهم بعد جهد واستبسال من الثوار ، ثم زحف الى القدس وتغلب على الثوار فيها كذلك ثم زحف نحو جبل نابلس فكان بينه وبين ثواره ثلاث وقائع ومع ان النصر كان يكتب له عليهم فيها فانه لم يستطع ان يضربهم ضربة قاصمة ولم تفتر هممهم عن القتال . وفي هذه الاثناء وصل محمد علي باشا الى يافا ومعه خمسة عشر الف مقاتل لانه بلغه خبر تحرج موقف ابنه بفلسطين فاشتد عزم ابراهيم باشا الذي كان جنح الى الملاينة واخذ يفاوض الشيخ قاسم الاحمد بسبيل تعديل المطالب والتسامح فيها وآل ابي غوش بسبيل اخلاء سبيل والدهم واسدال الستار على الماضي واقامة صداقة بينه وبينهم . وحينئذ قطع المفاوضة مع قاسم الاحمد فعاد هذا مغضبا الى نابلس لتجديد القتال وحشد رجاله في قرية الدير ، وزحف ابراهيم باشا لقتاله ونزل في قرية زيتا المقابلة للدير — وهذا يفيد ان قرية الدير هي المعروفة اليوم بدير الغصون في قضاء بني صعب — واشتبك الطرفان في قتال عنيف كتب النصر في نهايته لابراهيم باشا وقتل من النوابلسة ٧٠٠ وأسر عدد آخر ثم تقدم ابراهيم الى قرى نابلس وكان يؤمن من يطلب الامان ويحرق القرى التي يفر اهلها من امامه ولما اقترب من بلدة نابلس خرج اهلها طالبين الامان فاجابهم الى ما طلبوا ، واخذ يطارد زعماء الثورة ومن ظل الى جانبهم . وقد فر الشيخ قاسم الاحمد والشيخ عيسى البرقاوي والشيخ عبد الله الجرار وغيرهم من الزعماء الذين ظلوا مصرين على العصيان الى الخليل مع رجالهم فتبعهم ابراهيم باشا ولحق بهم في الطريق فدعاهم للتسليم

فرفضوا فاشتبك معهم واستبسل الفريقان ثم دارت الدائرة عليهم فارتدوا الى المدينة ــ الخليل ــ فتبعهم ابراهيم واشتبك معهم مرة اخرى وتمكن من دخول المدينة واعمل جيشه فيها يد النهب والسبي والقتل فنهب ما لايحصى كثرة وقتل نحو ٦٠٠ وأسر عدد مماثل ، وفر زعماء الثورة ورجالهم الى السلط فزحف وراءهم ففروا الى الكرك فتبعهم اليها وخرج اهلها المسيحيون للقائه مستأمنين فامهلهم ثلاث ساعات للخروج منها مع ارزاقهم واموالهم ثم اباحها لجنده فدخلوها واثخنوا فيها قتلا ونهبا وتدميرا واعتصم زعماء الثورة في القلعة ولم يكن مع ابراهيم مدفعية فامر الفرسان باقتحامها فاصيبوا بخسائر فادحة وارتدوا مما جعله يأمر بالكف ويتوقف انتظارا لوصول المدفعية ، واغتنم الزعماء الفرصة فانسحبوا ليلا دون ان يشعر بهم فلما جاءت المدفعية وقصفتها ثم دخلها الجند لم يجدوا فيها احدا الا ما لم يقدر الزعماء على حمله من المؤن والذخائر الكثيرة . وعادوا نحو السلط للاستعداد للقتال غير ان اهل السلط لم يوافقوهم فساروا نحو البادية ونزلوا على عرب عنزة فارسل ابراهيم باشا رسله الى مشايخ العرب ينذرهم ويطلب منهم القبض على الزعماء وتسليمهم فدب الرعب في العرب وبادر ابن الدوخي شيخهم الى القبض على الزعماء وسلمهم لخيالة من جيش ابراهيم وذهب معهم حيث اوصلهم اليه فقتل بعضهم في دمشق والبعض الآخر في عكا .

وبين هذا السياق وسياق مؤلف جبل نابلس المقتضب تباين كثير سواء من حيث الوقائع أم من حيث الاسباب كما هو المتبادر .

وسياق ابي عز الدين يفيد ان الثورة لم تكن محلية ولاسباب شخصية وانما كانت عامة . وقد اورد في نبذ اخرى خبر ثورات مماثلة لنفس الاسباب ــ نزع السلاح والتجنيد ــ في بلاد صفد وسائر بلاد الشام في ظروف متقاربة مما لا يدخل في نطاق هذه النبذة ومما شرحنا بعضه في فصول وسير اخرى ومما يدل على اتساق كلامه وصحته .

ويسند هذا المؤلف اقواله الى كتب عربية وافرنجية منها مذكرات كتبها كتاب معاصرون للوقائع وسياقه يصور ما كان من قوة شخصية قاسم الاحمد وشدة بأسه تصويرا فيه كثير من الروعة ..

وهناك كتاب عنوانه مذكرات تاريخية لكاتب حكومي دمشقي معاصر عن حملة ابراهيم باشا نشره الخوري قسطنطين الباشا المخلصي فيه نبذة عن ثورة نابلس [1] متطابقة مع ما جاء في كتاب ابراهيم باشا في سوريه . ومن الزيادات القليلة التي فيها قول صاحب المذكرات ان عدد الذين تجمعوا ومشوا مع قاسم الاحمد وعيسى البرقاوي كان مقدار خمسة وستين الفا ــ وفي الرقم مبالغة كبيرة ــ وان هذين الشيخين قتلا في دمشق وباقي المشايخ قتلوا في عكا .

— ٧ —

وواضح من السيرة ان هذه الاسرة كانت ذات بروز قوي في القرن الثالث عشر وان بروزها امتد من اوائله الى التنظيمات العثمانية التي زال بها حكم الاقطاع بل الى ما بعدها . ولقد ادركنا في شبابنا شيئا من اسمها وصيتها وما كان لها خاصة في ناحية جماعين من كلمة ونفوذ . وكان ينسب اليها شيء من الشدة والاستبداد والتحكم . وقد انبرى جماعة من نابلس لمناوأة نفوذها ــ بل ونفوذ الاسر الاقطاعية بصورة عامة ــ كانت تعرف بالجمعية وظلوا يسعون حتى تمكنوا من استصدار امر سلطاني بالغاء قضاء جماعين في مطلع القرن الرابع عشر لانهم كانوا يؤثرون على حكامه وموظفيه بمختلف المؤثرات ويوطدون بواسطتهم كلمتهم وقبضتهم . ومنذئذ ضعف نفوذهم وان ظلوا وما يزالون يحتفظون بذكرياتهم ومظاهرهم ووجاهتهم الاقطاعية .

---

(١) ص ٩٩ ــ ١٤٤ .

— ٧ —

بنو الريـــان

وهذه أسرة اقطاعية عربية من أسر جبل نابلس • وقد مر ذكرها في سيرة بني القاسم • وهي مثلهم تنتسب الى عشيرة غازي وكانت صاحبة المشيخة على النصف الغربي من ناحية جماعين الذي فيه ٢٢ قرية• وكانت قرية مجدل يابا التي تعرف ايضا بمجدل الصادق مركز زعامتها •

وقد نشب بينها وبين بني قاسم منافسة على زعامة جماعين فتحولت من النعرة اليمنية الى النعرة القيسية وتضامنت مع صف عبد الهادي والنمر وجرار في ما كان يجري من احداث في جبل نابلس في أثناء الحكم العثماني وخاصة بعد جلاء الحملة المصرية • وقد اغتنمت فرصة قتـل احمد القاسم ومحمد القاسم من قبل ابراهيم باشا ونفي صغار بني قاسم الى مصر فبسطت زعامتها على جميع جماعين فترة من الزمن •

ولما عاد بنو القاسم عادت المنافسة والمناصرة بين الاسرتين ثـانية وتمكن بنو القاسم من بسط مشيختهم على جميع جماعين وطرد بني ريان الى نابلس مما شرحناه في سيرة بني قاسم شرحا يغني عن التكرار•

ومع ما طرأ على هذه الاسرة من ضعف ووهن فانها ظلت تحتفظ هي الاخرى بوجاهتها الاقطاعية في ناحية زعامتها الاولى •

- ٨ -

بنو البرقــاوي

- ١ -

ينتسب الى اسم البرقاوي اليوم أسر عديدة متوزعــة في قرى عديدة في وادي الشعير غربي نابلس ، حيث يفيد هذا ان هذا الاسم اسم لحمولة او عشيرة كبيرة ذات عصبية كبيرة قبيلية ينضوي فيــه فروع عديدة .

ولقد كان لزعماء هذه العشيرة في ذلك الوادي مشيخة مركزها قرية شوفة وتشمل ثلث قراه الغربي . وكانت العشيرة يمنية النعرة متضامنة في احداث جبل نابلس مع بني طوقان الــذين كانوا رؤساء هذه النعرة [١] .

ولقد ذكر مؤلف جبل نابلس [٢] أن آل البرقــاوي من عشيرة آل سيف التي تمت الى آل سيفا امراء طرابلس الشــام وان هؤلاء نزلوا برقة ــ من قرى جبل نابلس ــ بعد ان ضايقهم المعنيون في القرن الحادي عشر . وانهم لما كثروا وقعت بينهم وبين عشيرة اخرى في برقة اسمها الاحفاة دماء فخرج منهم ثلاثة فروع واحد عرف بآل داود ذهب الى قرية ذنابة ــ في قضاء بني صعب ــ واثنــان عرفــا بآل موسى وآل عيسى توطنا قريتي شوفة وكفر اللبد ، وان بنــي البروقاوي هم من فرع آل عيسى الذي توطن قرية شوفة .

ولا يسند المؤلف كلامه الى مصدر كعادته . والمعروف ان آل

---

(١) تاريخ جبل نابلس ج ١ ص ٢٨٦ (٢) ص ١٣٣ .

سيفا ظلوا صامدين للامير فخر الدين المعني الثاني الى ان قبض عليه ونفي وشنق ثم ظلوا يتولون حكم طرابلس ردحا آخر من الزمن ولم يصطدموا ببني معن بعده [1] • ولا نستبعد ان يكون اسم آل سيف الذي تنضوي تحته أسرة البرقاوي هو الذي اوحى للمؤلف بصلتهم بآل سيفا ، ولا سيما ان تقاليد العروبة والعشائرية راسخة قوية فيهم تسوغ ترجيح اصلهم العربي وان لم تعرف ارومتهم معرفة يقينية •

الشيخ عيسى البرقاوي

— ٢ —

ولقد ذكر اسم البرقاوي في سياق احداث القرن الثالث عشر الهجري في بعض المصادر الحديثة • واول وألمع من ذكر من زعماء آل البرقاوي الشيخ عيسى الذي ذكر مؤلف جبل نابلس انه عين شيخا لوادي الشعير سنة ١٢١٤ هـ [2] من قبل والي الشام حين ما عين هذا في هذه السنة خليل بك طوقان متسلما لنابلس • ويفيد هذا ان مشيخته كانت ذات صبغة رسمية وان صاحبها كان المسئول امام الحكومة عن ناحيته اداريا وماليا على ما كان الامر يجري عليه في ذلك الظرف •

والمتبادر انه لم يكن ليختار لهذا المنصب في ناحية من نواحي جبل نابلس لو لم يكن صاحب عصبية ترشحه له وتسنده فيه • وقد يفيد هذا ان زعامة عشيرة البرقاوي في هذه الناحية ممتدة الى ما قبل هذا التاريخ •

---

(١) انظر تاريخ الامير حيدر الشهابي ج ١ ص ٧٢١ — ٢٧٥ نسخة مغبغب .

(٢) ص ١٩٨ .

ولقد ورد ذكره في كتاب ولاية سليمان باشا اكثر من مرة. ففي اول مرة ذكر المؤلف ان البرقاوي شيخ وادي الشعير كان في جملة من استنجد بهم سليمان باشا من مشايخ جبل نابلس سنة ١٢٢٣ حينما نشب النزاع بينه وبين والي الشام يوسف باشا (١) .

ثم ذكره في سياق خبر توجيه وكالة الشام لسليمان باشا سنة ١٢٣٢ هـ حيث كان في جملة من وجه سليمان باشا اليهم الدعوة من مشايخ البلاد وحكامها بصفة شيخ وادي الشعير وخلع عليهم واكرمهم وكتب عليهم صكوكا بالاموال المقررة على نواحيهم (٢) . ثم ذكره في سياق خبر فض النزاع بين مشايخ جبل نابلس في السنة نفسها حيث كان من جملة من دعاهم سليمان باشا من مشايخ جبل نابلس (٣) .
وقد دون اسمه في الفرمان السلطاني الذي اورد نصه ناشر هذا الكتاب في ذيل الصحيفة ٣١٦ ـ ٣١٧ والموجه الى محمد بك طوقان بتاريخ ١٢٢٢ هـ في سياق غزوة انكلترا لسواحل مصر ومحاولتها غزوة سواحل سورية ـ مما شرحناه في سيرة بني طوقان ـ حيث طلب السلطان فيه من محمد بك طوقان تحريض مشايخ البرقاوي على الاشتراك في الدفاع والجهاد ، مما فيه دلالة على ما كان له من اسم وصيت وقوة .

ولقد ورد ذكره في الغرر الحسان اكثر من مرة ايضا في سياق حوادث سنة ١٢٤٦ هـ وابان حصار قلعة صانور من قبل عساكر الوالي عكا والامير بشير الشهابي حيث ذكر انه حضر مع اسعد طوقان حينما اعطى له الامان وجاء الى معسكر الامير بشير وطلب منه التوسط في تسليم القلعة كرفد له وطلب من الامير الامان لاسعد بك طوقان فأمنه وطيب خاطره (٤) . ثم ورد ذكره في حوادث السنة نفسها حيث ذكر

---

(١) ص ٩٧ (٢) ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ (٣) ص ٣٠٣ ـ ٣١٥

(٤) ص ٨٠٩ ـ ٨١٠ ج ٣ نسخة رستم وهذا من ما جاء في الملحق المقتبس من مخطوطة القس بطرس بدر .

ان والي عكا القى القبض عليه وعلى مصطفى بك طوقان لما ظهر منهما من خيانة ضد عسكره [1] . ثم ورد ذكره في سياق خبر قدوم حملة ابراهيم باشا وحصاره لعكا ويأس واليها عبد الله باشا من الدفاع وجنوحه الى التسليم حيث ذكر انه خرج من عكا اربعة اشخاص وهم المفتي والشيخ عيسى البرقاوي والشيخ المصري ووكيل الخرج وبيدهم راية بيضاء يطلبون الامان لعبد الله باشا وعسكره [2] ، مما يفيد ان والي عكا الذي اعتقل الشيخ عيسى البرقاوي رأى ان يكون من جملة وفد طلب الامان وفي ذلك دلالة على ما كان يبدو منه من قوة شخصية واهليـــة .

ولقد ذكره مؤلف كتاب ابراهيم باشا في سورية سليمان ابوعزالدين في سياق ذكر ثورة فلسطـين من نيسان الى ايلول سنة ١٨٣٤ م [3] حيث كان من جملة زعماء الثورة الذين ناضلوا نضالا شديدا فيهـا ثم فر مع الشيخ قاسم الاحمد والشيخ عبد الله الجرار الى الخليل فالسلط فالكرك فعرب عنزة وابراهيم باشا من ورائهم يطاردهم الى ان ظفر بهم وقتلهم على ما شرحناه في سيرة بني قاسم .

وبالاضافة الى ما سبق ذكره نقلا عن الجزء الاول من تاريخ جبل نابلس والبلقاء فقد ورد ذكر هذه الاسرة ورجالها في هذا الكتاب مرات عديدة أخرى . من ذلــك ذكر اسم الشيخ عيسى في جملة من حضروا مجلس الصلح واسقاط الدماء بين بني النمر وبني طوقان سنة ١٢٣٩ هـ [3] . وقد ورد اسمه في هذا الكتاب في سياق اخبار ثورة جبل نابلس ضد ابراهيم باشا بما يتطابق بعض الشي مع مع ما ذكره سليمان ابو عز الدين [5] .

---

(١) ص ٨١٣ .

(٢) ص ٨٥١ (٣) ص ١٦٩ ـ ١٧٩ (٤) ص ٢٢٨

(٥) ص ٥١ ٢ـ ٢٥٧ ذكر مؤلف جبل نابلس ان ابراهيم باشا قبض على عيسى البرقاوي في قرية شوفة (ص ٢٥٤) غير ان البلاغ الذي اورده هذا المؤلف الموجه من محمد علي باشا

ثم ذكر مؤلف جبل نابلس اسرة البرقاوي في سياق الحرب الاهلية [1] حيث كانت من اركان الحزب اليمني الذي يترأسه بنو طوقان وكانت جموع وادي الشعير برئاسة رجالها مع بني طوقان ضد بني عبد الهادي . وقد ذكر اسم الشيخ ابراهيم البرقاوي في جملة من تفاهم متصرف القدس سنة١٢٦٦ هـ الى طربزون لتهدئة الحرب [2] . حيث يفيد هذا ان زعامة العشيرة ومشيخة وادي الشعير قد آلتا اليه بعد الشيخ عيسى . ولا يذكر المؤلف صلة ابراهيم بعيسى وقد يكون ابنه أو اخاه .

ولم يذكر مؤلف جبل نابلس نشاطا معينا لهذه العشيرة بعد زوال الحكم الاقطاعي سنة ١٢٧٥ هـ .

والمعروف ان الاسر التي تنتسب اليها ما تزال تحتفظ بوجاهتها وذكرياتها الاقطاعية في القرى العديدة التي تقيم فيها في وادي الشعير .

الى وكيل مديرية صيدا (ص ٢٥٧) يذكر انه فر مع عبد الله الجرار وقاسم الاحمد نحو الشرق وهذا مطابق لما ذكره سليمان ابو عزالدين . في سياق خبر ثورة فلسطين ١٦٩-١٧٩

(١) ص ٢٧١ - ٢٩٠ (٢) ص ٢٧٧

آل الحاج محمد

ينتسب اليوم الى هذا الاسم أسر كثيرة متوزعة في قرى عديدة من قرى مشاريق نابلس مثل بيتا وبيت فوريك وبيت دجن وتلفيت وقصرة وجالود وجوريش والمغير وقريوت ، حيث يدل هذا على انها عشيرة كبيرة .

وقد ذكرها مؤلف تاريخ فلسطين البرغوثي [1] في جملة المشيخات الاقطاعية وقال ان مركزها بيت فوريك . وذكر في مذكراته التي بعث بها الينا انها تنتسب الى قبيلة طي وان اقطاعها مشاريق البيتاوي الذي كان سابقا تحت حكم آل عتمة ، حيث انتزعتها منهم .

ومما جاء عنها في الجزء الاول من تاريخ جبل نابلس والبلقاء [2] ان هناك من يقول ان اصلها من المدينة كما ان هناك من يقول انها من جبل عجلون ، وان جدها الحاج محمد نزل في اواسط القرن الثاني عشر الهجري ضيفا على آل النمر فاختار السكن في قرية بيتا فساعدوه على ذلك فظهر امره في مشاريق نابلس كلها ، وانه بعد القضاء على مشيخة العتوم اصبح الحاج محمد شيخا على المشاريق كلها . ولما حاول بنو غازي الذين حلوا محل العتوم في مشيخة جماعين ان يمدوا نفوذهم الى المشاريق التي كانت في حكم العتوم عارضهم فصالحهم آل النمر وشيوخ البلاد على ان تكون طريق القدس فاصلا فتكون المشيخة على القرى التي تقع شرقها للحاج محمد والتي تقع غربها لبني غازي ، وان الحاج محمد خلف اربعة اولاد هم الشيخ سعادة

---

(١) ص ٢٦٧

(٢) ص ١٣٤ و ٢٨٣ و ٨٥ .

الذي سكن قريوت وعرفت ذريته بآل سعادة ، والشيخ احمد الـذي سكن بيت فوريك وعرفت ذريته بآل احمـد ، وكنعان الـذي سكن جوريش وعرفت ذريته بآل عبد الجليل نسبة الى زعيم منها بهذا الاسم الذي سكن بيت دجن وبنى فيها قصرا ، ومنصور الذي سكن بيتا وعرفت ذريته بآل منصور . وكان في بيتا أسرة تعرف ببني شمسه نشب بينها وبين هؤلاء نزاع ومنافسة على الزعامة .

ولقد كانت مشيخة المشاريق التي كـانت ذات صفة رسميـة ومسئولية محلية الى اوائل القرن الثالث عشر في عهدة آل الحـاج محمد الذي كان يمثلهم اذ ذاك الشيخ سعادة الذي كان قيسي النعرة فلما عين خليل بك طوقان متسلما لنابلس سنة ١٢١٤ هـ استصدر امرا من الوالي باقصائه واحلال الشيخ مصطفى العديلي زعيم بني شمسه الذي كان يمني النعرة من صف بني طوقان محله .

على ان آل الحاج محمد لم يكونوا جميعهم في نطاق نعرة واحدة نتيجة للمنافسة فيما بينهم فصار آل منصور الذين ينتشرون اليوم في تلفيت وجالود والمغـير وقصرة يمنيي النعرة وصاروا يتضامنون فـي الاحداث المحلية مع أصحاب هذه النعرة الذين يترأسهم بنو طوقان . وقد اشترك كل من الفريقين في الحرب الاهلية التي نشبت في جبـل نابلس في سنة ١٢٦٦ هـ واستمرت امدا غير قصير على اساس ذلك : الاولون مع اليمنيين والآخرون مع القيسيين .

وما تزال الاسر العديدة التي تنتسب الـى آل الحاج محمـد والمنتشرة كما قلنا في قرى عديدة ويبلغ عدد افرادها المئات الكثـيرة يحتفظون بوجاهتهم الاقطاعية في القرى التي يقطنونها .

ولقد ادركنا احدهم احمد الجبر الذي كان له زعامة قوية فـي المشاريق استطاع بها ان يشغل حيزا ما عند الحكام ويفرض زعـامته ونفوذه على جميع مشاريق البيتاوي وأسرها البارزة من بني شمسة وبني الحاج محمد .

بنو شمسة

وهذه كذلك من الاسر التي ذكرت في عداد الاسر الاقطاعية في جبل نابلس • ذكرها عمر الصالح في كتابه تاريخ فلسطين وقال ان مركزها قرية بيتا [١] • وذكرها مؤلف جبل نابلس [٢] فقال انها عشيرة قديمة استوطنت بيتا واوصرين وتفرع منها أسر العديلي والحمايل وبلوط والرماتي وذياب ، وانها كانت يمنية النعرة فلما اشتدت المنافسة بين بني النمر وبني طوقان حصل خليل بك طوقان متسلم نابلس للشيخ مصطفى العديلي زعيم اسرة العديلي على امر بمشيخته لمشارق البيتاوي بدلا من الشيخ سعادة الحاج محمد القيسي النعرة •

وهذا كان في سنة ١٢١٤ هـ • وما تزال ذرية الاسر التي تنتسب الى بني شمسة وخاصة أسرة العديلي تحتفظ بشيء من وجاهتها الاقطاعية في منطقتها امتدادا لذلك •

---

(١) ص ٢٦٧ (٢) ص ١٣٥ •

عشائر أخرى في لواء نابلس

ولقد ذكر مؤلف جبل نابلس كذلك اسماء عشائر عديدة في قرى لواء نابلس ويشمل اقضية جنين وبني صعب وجماعين كانت ذات بروز ونشاط في مجال الزعامة والاحداث المحلية القيسية اليمنية واشتباكاتها في العهد الاقطاعي وما زالت تحتفظ الى الآن بشيء من مظاهر زعـامتها ووجاهتها نذكرها فيما يلي :

١ ــ العطاعطة في وادي الشعير ٠ ومركزهم رامين ٠ وهم اقدم مشايخ هذا الوادي على ما يقول المؤلف ٠ وقد رحل جماعة منهم الى شويكة في بني صعب للمحافظة على برج لهم والدفاع عن مدخل واديهم٠

٢ ــ الاحفاة ٠ هم من قبيلة عتيبة في الحجاز ٠ نزل اجدادهم اولا في برقة ثم كثرت ذريتهم وانتشرت في القرى المجاورة لها في وادي الشعير الشرقي وهي دير شرف وسبسطيه والناقورة وبيت امرين وسيلة الظهر وبزارية ونصف اجبيل واجنسنية ، وصار لهم اسماء اسر جديدة ولكنهم جميعا ينتسبون الى اسم الاحفاة ٠

٣ ــ آل احمر ٠ عشيرة كبيرة مركزها قرية عنبتة احدى كبريات قرى قضاء بني صعب ٠ وينضوي تحت هذا الاسم أسر عديدة ٠

٤ ــ الجيتاوية ٠ وهي كسابقتها عشيرة كبيرة في قريـة عنبتـة ينضوي تحت اسمها أسر عديدة ٠

٥ ــ آل سيف ٠ عشيرة كبيرة ينضوي تحت اسمها أسر عديدة ٠ وهي ثلاثة فروع رئيسية ٠ آل داود وآل وموسى وآل عيسى ٠ وكانت في بدء امرها في قرية برقة ٠ فبقي آل عيسى فيها وهم الذين عرفوا بآل

البرقاوي • وذهب آل داود الى ذنابة في بني صعب وآل موسى الى كفر اللبد في القضاء نفسه •

٦ ــ الدويكات • عشيرة كبيرة أسرها منتشرة في قرى بيتا وعسكر وبلاطة وروجيب في قضاء نابلس •

٧ ــ آل الشتيوات • مركزهم كفر قدوم في قضاء نابلس •

٨ ــ آل جبارة • مركزهم قرية حجة في قضاء نابلس •

٩ ــ الضراغمة • عشيرة كبيرة جدا حتى لكأنها قبيلة • مركزها طوباس في قضاء نابلس •

١٠ ــ الصوافته • عشيرة كبيرة مركزها طوباس ايضا •

١١ ــ آل رضوان • مركزهم عزون في قضاء بني صعب •

١٢ ــ آل زيد • مركزهم قلقيليه في قضاء بني صعب •

١٣ ــ آل خلف • مركزهم رنتيس في قضاء جماعين • وهم أقوى جماعين الغربية على ما يقول المؤلف •

١٤ ــ آل منصور • في كفر قليل في قضاء نابلس •

١٥ ــ آل ابي هنطش • في قاقون في قضاء بني صعب •

١٦ ــ آل الطاهر • في قرية يعبد في قضاء جنين • وهم عشيرة كبيرة منهم جماعة كبيرة متوطنة في نابلس •

١٧ ــ الزيود • في السيلة الحارثية في قضاء جنين •

١٨ ــ الدبابسة • في طلوزة في قضاء نابلس •

١٩ ــ الخموس • في حوارة في قضاء نابلس •

٢٠ ــ آل كنعان • في كفر قليل في قضاء نابلس •

٢١ ــ آل شرابة • في عورتة في قضاء نابلس •

٢٢ ــ آل فارس • في مردا في قضاء جماعين •

٢٣ ــ آل نمرة • في سلفيت في قضاء جماعين •

٢٤ ــ آل عفانة • في سلفيت في قضاء جماعين •

٢٥ ــ آل نزال في قلقيلية في قضاء بني صعب •

٢٦ ــ آل الشريم • في قلقيلية في قضاء بني صعب •

٢٧ ــ آل داود • في قلقيلية في قضاء بني صعب •
٢٨ ــ آل قمير • في كفر قدوم في قضاء جماعين •
٢٩ ــ آل ارشيد • في قرى صير والكفير في قضاء جنين •
٣٠ ــ آل الخفش • في قرية مردا في قضاء جماعين •
٣١ ــ الجرادات • في قرية السيلة الحارثية في قضاء جنين •
٣٢ ــ الصورة • في قرية دير الغصون في قضاء بني صعب •
٣٣ ــ بنو قفة • في قرية عين عنزة في قضاء جنين •

ولقد كان بعض هذه العشائر يتحزب ويقاتل مع الصف اليمني الذي يرأسه بنو طوقان وبنو البرقاوي وبعضها يتحزب ويقاتل مع الصف القيسي الذي يرأسه بنو عبد الهادي وبنو النمر • وممن ذكرهم مؤلف جبل نابلس [1] من الحزب اليمني منها آل فارس وآل نمرة وآل نزال وآل الشريم وآل داود وآل الخفش وآل قمير وال ارشيد والجرادات والصورة وبنو قفة والصوافتة وآل شرابة ومن الحزب القيسي منها الدويكات وكنعان والدبابسة والضراغمة والزيود وآل الطاهر وآل هنطش وآل زيد وآل جبارة وبنو شمسة وآل منصور والحفاة وآل خلف •

---

(١) انظر ص ٢٨٢ ــ ٢٨٦ •

وثالثا في شمال فلسطين

— ١ —

الزيـادنـة
اوليتهم ومصادر تاريخهم

— ١ —

برزت هذه الاسرة في شمال فلسطين في القرن الثاني عشر الهجري ــ القرن الثامن عشر الميلادي ــ وكان الشيخ ظاهر العمر الذي مر ذكره أكثر من مرة في سيرة بني شهاب وزعامات جبل عامل وبني النمر وبني طوقان هو اسطع نجومها بل كان من اسطع النجوم العربية في بلاد الشام في هذه الحقبة .

ولقد ألف مخائيل نقولا الصباغ العكاوي كتابا في تاريخ الشيخ ظاهر جمع فيه سيرته وسيرة أسرته [1] . وقد نشر الكتاب من قبل الخوري قسطنطين الباشا المخلصي مع تعليقات عليه له . وفي الجزء الثاني من تاريخ الشهابي كثير من اخبار الزيادنة والشيخ ظاهر وابيه وابنائه . وفي كتاب جبل عامل في التاريخ لمحمد تقي الدين العاملي لمعا عنهم بسبب ما كان بينهم وبين العامليين وزعمائهم من صلات واحداث . وفي كتاب

---

(١) مخائيل الصباغ هذا هو حفيد ابراهيم الصباغ الذي كان وزيرا او مدبرا للشيخ ظاهر . وقد ادرك عما له اسمه يوسف روى عنه بعض الحوادث . وعلى كل حال فهو معاصر يروي او يسمع عن مشاهدين عيان . وفي ما يرويه جزئيات وتفصيلات لم ترد في كتب غيره . فهو اساسي ومهم في تاريخ الشيخ ظاهر . ومع ذلك ففي بعض ما اورده اضطراب وشذوذ وبين ما يرويه ويرويه الامير حيدر الشهابي مباينات غير يسيرة ايضا .

تاريخ الناصرة للقس اسعد منصور نبذة في تاريخ الشيخ ظاهر والزيادنة. وسيكون على هذه المصادر معولنا في هذا البحث .

ولقد تعددت الاقوال واختلفت في اصل الاسرة وكيفية بروزها على المسرح السياسي في فلسطين لاول مرة . فالصباغ يقول ان الزيادنة عيلة (أسرة أو حمولة) كانت نازلة في بني اسد النازلين حول معرة النعمان وانها تدعى النسبة الى زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب . وكانت تعد - في القرن السابع عشر الميلادي على ما يفيده السياق - نحو خمسين رجلا بين اخوة واولاد اعمام واولاد اخوة . وكان اسم كبيرهم الذي يرجعون اليه عليا فلما مات خلفه في زعامة الاسرة ابنه عمر وهو والد الشيخ ظاهر مع اخوين له وهما سعد وعلي ، وان عمر كان يتجر فربح فحسده بعض بني اسد فشد رحاله مع سائر افراد اسرته الى فلسطين ونزلوا في برية طبرية واشتغلوا بالزراعة وتربية الماشية وكان ذلك سنة ١٧٠١ م ، وان عمر كان جوادا كريما وكان منزله مقصد كل قاصد من مشايخ وغيرهم فذاع صيته واحبه اهل طبرية . ولما مات خلفه في مكانته وفي صيته ابنه علي ثم ابنه سعد الذي ترعرع ظاهر الاخ الثالث في كنفه . وقد بدت عليه امارات النجابة وتعلم الفروسية والصيد. وخرج للصيد مرة فوجد احد اسافل طبرية يعتدي على امرأة فقتله فخشي اخوه المغبة ودعاه بعض مشايخ عرب الصقر النازلين في ناحية صفد الى الانتقال اليهم فانتقل مع افراد الاسرة وحلوا في قرية عرابة البطوف وكان ذلك سنة ١٧٣٠ وجروا على عادتهم في استقبال الناس وقراهم حتى صار لهم من الصيت في هذه الناحية ما كان لهم في ناحية طبرية . وتزوج ظاهر من اهل الناصرة وفضلت الاقامة فيها فصار يتردد بين قرية عرابة البطون والناصرة . وكانت البلاد رازحة تحت استبداد الحكام الاقطاعيين وظلمهم فاتفق رشيد الجبر شيخ مشايخ الصقر مع سعد وظاهر على القيام بحركة تتيح لهم التفلت من حكام المنطقة الذين لم يكونوا من اهلها . وتمكن ظاهر في النهاية من التزام طبريا من والي

صيدا وتولى الحكم فيها فكان ذلك بدء بروزه ولمعانه .

وقد اورد المؤلف هذا في سياق قصصي طويل لم نر طائلا في ايراده [1] . ويلحظ ان السياق لا يحتوي اسم زيادنة وزيدان وهو الاسم الذي اتسمت به الاسرة وسماها به المؤلف . ومع ان ناشر الكتاب قسطنطين الباشا علق على ما ذكره الصباغ من اهل اسرة الزيادنة في اول كلامه قائلا ان هذا اوجه ما قيل فيهم فانه نقل عن مؤلف او راوية اسمه عبود الصائغ ان أسرة الزيادنة هي من فلاحي ناحية طبريا وان جدها زيدان الذي تنتسب اليه وتتسمى به كان نابها متقدما على غيره سعى بواسة امير الدروز ـ أي جبل لبنان ـ لدى وزير صيدا فاعطاه طبريا التزاما بكفالة الامير وانه كان له ثلاثة اولاد وهم عمر وعلي وشحطة ، فلما مات قام مقامه في الالتزام ابنه عمر ، وسعى اخوه علي فنال بدوره التزام الدامون ـ احدى بلدان او قرى الناحية ـ باسم اخيه . وانه كان لعمر اربعة اولاد وهم سعد ويوسف وصالح وظاهر فلما مات ابوهم جعلوا التزام طبريا والدامون باسم اخيهم ظاهر نظرا لنجابته فكان ذلك بدء بروزه في مجال الحكم والسلطان . وهذا السياق يحتوي اسم زيدان وبالتالي يحتوي مبرر تسمية الاسرة بالاسم الذي تتسمى به كما هو المتبادر .

ومن الجدير بالذكر ان الصباغ اورد في مناسبة خبر ولاية الظاهر لطبريا [1] ان اقرباءه الزيادنة توافدوا عليه وانه الف منهم ومن حاشيتهم كتيبة فرسان عدد افرادها مئتان .

والخبر يفيد ان الاسرة كانت معروفة باسم الزيادنة ومنتشرة في منطقة طبريا في بدء بروز الشيخ ظاهر أي في سنة ١٧٣٣ م . ويوجد اليوم أسر عديدة يجمعها اسم الزيادنة في بضع قرى من قرى الجليل مثل الدامون والبعنة وكفر منده . وقد يكون هذا وذاك من مؤيدات

---

(١) ص ١٥ ـ ٣٤ .   (٢) ص ٣٥

رواية الصائغ التي تقول ان الزيادنة من فلاحي ناحية طبريا . وهذا لا يمنع بطبيعة الحال ان يكونوا في اصلهم من المدينة وان يكون اجدادهم نزحوا منها او من نواحي معرة النعمان الى فلسطين في ظرف ما وان كنا نرجح ان ذلك اقدم من اواخر القرن السابع عشر ومن علي ابي عمر جد الظاهر . لأن بروزهم في البلاد يقتضي ان يكونوا اصحاب قدم كما هو المتبادر .

ومؤلف كتاب جبل عامل في التاريخ لا يذكر الا الشيخ ظاهر وولديه عثمان وعلي وينقل عن مقدمة لديوان شبيب باشا الاسعد ان الشيخ هو احد رؤساء عرب طبريا والناصرة وانه استأذن من صاحب ترشيحا المقيم في قلعة جدين بالسكنى في بلاده لوخامة هواء طبريا فاعطاه عكا التي كانت خرابا وشرط عليه أن لا يسورها فبنى فيها دورا مكشوفة وجعلها متجرا للحبوب والقطن والزيت وانه اغتال صاحب جدين بالسم وتملك بلاده واعطى ولديه عليا وعثمان شطرا منها فعظم شأنه وخافه العربان الخ [٢] ... وليس في هذا شيء هام الا اتفاقه مع الصائغ بان اصل الشيخ من ناحية طبريا ..

وفي تاريخ الامير حيدر اشارة مقتضبة الى اصل الاسرة حيث جاء فيها انها من البيوت المشهورة في برالمدينة فاراد الله لها السعادة فانتقلت الى فلسطين فلما صارت الولاية على لبنان وملحقاته الى الشهابيين عين الامير بشير الاول أخاه منصورا واليا على صفد وجعل تحت يده شيخا على ديارها عمر بن ابي زيدان الذي كان سنيا قيسيا وهو والد الشيخ ظاهر المشهور . وكان ذلك سنة ١١١٠ هـ ــ ١٦٩٨ م . وفي سنة ١١١٣ هـ مات الامير منصور فولى الامير بشير الشيخ عمر ولاية صفد مكانه [٣] فكان ذلك بدء بروز هذه الاسرة .

---

(١) ص ١٥ ــ ١٦ (٢) ص ٧٣ ــ ٧٤ .

(٣) ج ٢ ص ٦ و ٧٨ نسخة رستم . والحادثان غير مذكورين في نسخة مغبغب انظر الغرر الحسان نسخة مغبغب ج ٢ ص ٧٤٨ ــ ٧٥٠ .

أما اسعد منصور فقد قال في كتابه تاريخ الناصرة [1] ان هناك قولين في تسمية الزيادنة . الاول انهم منسوبون الى زيدان جد ظاهر والد عمر وانه كان من قبائل عرب الطائف في الحجاز أمحلت بلاده سنة ١٦٩٠ م وجاء الى عرابة البطوف مع أخويه صالح وطلحة وكانت اسرة درزية مستولية على هذه القرية فوالت زيدان ثم انتقضت عليه ففتك بها وتولى مكانها سنة ١٦٩٨ م وثبت ولايته عليها قبلان باشا والي صيدا ثم وسع نطاق بلاده بحروب كثيرة فصارت سبع مقاطعات وهي صفورية ولوبية والشيخ داود وترشيحة وصفدوعتليت والدامون. وتوفي سنة ١٧١٧ م فتولى مكانه ابنه عمر وتوفي هذا سنة ١٧٣٧ م . والقول الثاني انهم منسوبون الى بني زيدان وهي عشيرة كبيرة كانت من سوائل الاردن وبحيرة طبريا فقوي امرها وعظمت شوكتها حتى استولت على تلك الانحاء فلما توفي عمر اقتسم اولاده واخوه البلاد فكانت صفد وما يليها لظاهر وما لبث قليلا حتى ضم اليها طبريا. وهكذا جمع هذا المؤلف الاراء المقولة في اصل هذه الاسرة . وقد عزا القول الاول الى دواني القطوف لاسكندر معلوف . والقول الثاني الى دائرة المعارف (والراجح انه يقصد دائرة البستاني) وقال ان الحاج ظاهر الاسعد احد أحياء هذه الاسرة في الناصرة روي له ما روته دائرة المعارف . وقد اورد مع ذلك قولا ثالثا في هامش كتابه مقتبس من تاريخ فلسطين للعمر الصالح وخليل طوطح قال انه لم يقرأه في كتاب آخر ولم يروه له احد ومفاده ان اصل الشيخ ظاهر العمر من الحجاز جاء اجداده الزيادنة في الفتح الاسلامي الصلاحي (نسبة الى صلاح الدين الايوبي) وكانت له خمس قرى اقطاعا وهي بيت اكسا والنبي صموئيل والجيب وبيت نبالا وبيت حانينا (هذه القرى من قرى القدس) فسكنوا في القرية الاولى ثم رحل جدهم زيدان ونزل في شفا عمرو فاكرمه محافظ القلعة وظل يتقدم الى ان تعين ولده على الناصرة . ولم

---

(1) ص ٤٨ — ٤٩ .

ينت هذا المؤلف ان يروي الى ذلك كله ما ذكره مؤلف الغرر عن مبدأ ظهور عمر الزيداني ابي ظاهر وتعيين الامير بشير الشهابي الاول لـه شيخا على ديار صفد ثم تعيينه واليا حين مات اخوه منصور الذي كان يتولى ولاية هذه الديار .

وأخيرا ان المرادي يقول في الجزء الثالث من كتابـه سلك الدرر (ص ١٨٤) ان والد الشيخ ظاهر وجده واعمامه كانوا حكامـا فـي صفد وعكا ويعرفون ببني زيدان وهم حمولة كبيرة . وهذا يتسق مع القول الثاني الذي ذكره اسعد منصور ومع قول الصائغ . ولا يتعارض مع احتمال قدوم هذه الارومة من الحجاز واستقرارها في منطقة صفد وطبريا في زمن اقدم بكثير من زمن الـذين برزوا منهم .

وعلى كل حال فان اسرة الزيادنة او بني زيدان اسرة عربية اصيلة على ما تفيده الاقوال جميعها على اختلافها وقد كان لها شيء من البروز في القرن السادس اذا صحت رواية مؤلفي كتاب فلسطين ثم برزت ولمعت ثانية ثم انطفأت في اواخر القرن الثاني عشر مع استمرار شيء من الوجاهة لذريتها التي ما تزال تقيم في الناصرة الى اليوم .

واول واقدم مرة ذكر فيها بروز الاسرة ــ عدا ما ذكره كتـاب تاريخ فلسطين الذي يظل موضع تساؤل وتوقف ــ في مجال الحكم ما ذكره الامير حيدر الشهابي من تشييخ عمر بن ابي زيدان على بلاد صفد سنة ١١١٠ هـ ثم ولايته لصفد سنة ١١١٣ هـ [١] واقدم واول ذكر لابنه الشيخ ظاهر ما ذكره كذلك هذا المؤرخ في حوادث سنة ١١٣٣ هـ ــ ١٧٢٠ م في سياق القتال الذي جرى بين المشايخ بني متوال والشيخ ظاهر وحكام بلاد صفد . وقد قال ان الصفديين انهزموا وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وان عثمان باشا ــ والي الشام على ما هو المتبادر ــ خرج بالعساكر الى بلاد صفد وقتل منهم اكثر من ثلاثمائة وقتل البشناق واولادد مشايخ بلاد صفد . وقد نقلنا العبارة حرفيا [٢] . وليس فيها

---

(١) ج ٢ نسخة رستم ص ٦ (٢) نفس المصدر ص ١٧ .

مما يوضح مركز الشيخ ظاهر وما اذا كان في جانب مشايخ بني متوال أم في جانب مشايخ بلاد صفد • ومهما يكن من امر فمن المحتمل ان يكون الشيخ ظاهر قد خلف اباه في ولاية صفد لما مات وان لم يعرف تاريخ ذلك يقينا •

واولى مرة ذكر فيها بروز الشيخ ظاهر في كتاب مخائيل الصباغ كانت في سنة ١٧٣٣ م ـ ١١٤٤ هـ حيث ذكر المؤلف ان والي صيدا محمد باشا كتب مرسوما للشيخ بولاية طبريا وارسله اليه مع الخلعة • وقد اورد المؤلف هذا الخبر في سياق طويل يفيد ان الشيخ رشيد الجبر شيخ مشايخ عرب الصقر استثقل وطأة حكم ابن ماضي شيخ مشايخ نابلس [١] والشيخ ناصيف النصار كبير مشايخ المتاولة وما كان يتعرض له هو وعربه من عدوان من النوابلس فاراد ان يتولى بلاد طبريا زعيم من اهلها • واختار لهذه الزعامة بعد الفحص والاختبار الشيخ ظاهر الذي كان ذا عقل راجح ونظر ثاقب وفراسة وفروسية • وتم الاتصال والاتفاق بينه وبين الشيخ ظاهر واخيه سعد ثم جرت المساعي مع والي صيدا حتى اصدر المرسوم بتعيينه [١] •

ومقتضى هذا السياق ان ولاية طبريا في سنة ١١٤٤ هـ ـ ١٧٣٩م كانت اولى ولايات الظاهر بل اولى ولايات الزيادنة لانه لم يذكر شيئا عن بروز وولاية ابيه عمر ولا عن ولاية الظاهر لصفد قبل ذلك في حين ان مقتضى سياق الغرر الذي اوردناه قبل ان اباه عمر كان برز وتولى مشيخة بلاد صفد ثم ولايتها في سنتي ١١١١ و ١١١٣ هـ وان

---

(١) ص ٢٤ ـ ٣٤ ويلحظ في الكلام شيء من الخلط فالمؤلف يصفه ابن ماضي بصفة شيخ مشايخ نابلس ويقول فيما يقول انه كان يوقد الظلم في نواحي الناصرة وقراها والمرج وحيفا والطنطورة وصانور قلعته التي يقيم فيها . وابن ماضي كان حقا صاحب بروز اقطاعي في ناحية حيفا والطنطورة ولكنه لم يكن صاحب قلعة صانور التي كان صاحبها ابن جرار من مشايخ جبل نابلس . وللمؤلف سياق آخر يذكر ابن ماضي وابن جرار معا ويذكر تحالفهما ضد الشيخ ظاهر . فالمتبادر انه هنا قصد الاثنين ايضا .

الظاهر ابنه كان في سنة ١١٣٣ هـ ذا مركز ما في صفد لعله مركز ابيه بعد موته .

وقد قال الصباغ بعد ايراده ذلك السياق الذي فيه خبر تولية الظاهر لطبريا ان اخاه سعدا هو الذي كان يقوم بتدبير جميع الامور وان ظاهرا لم يكن يفعل شيئا الا عن امره ، وانه جند بعض اهل البلاد والعربان وجعل ابن عمه محمدا العلي رئيسا لجيشه وكان من الفروسية والشجاعة والقوة والخداع في الحرب غاية ما يكون [1] .

نشاط الشيخ واتساع سلطانه

— ٢ —

ولقد ذكر مخائيل الصباغ بعد ذلك ان الشيخ حصن طبريا تحصينا جيدا واحضر اليها زوجاته واولاده . وسمع اقاربه الزيادنة بتوفيقه وولايته فاتوا اليه فصار عنده منهم ومن ما معهم من الحاشية ما ينيف عن مئتي فارس . ومن ثم فانه اخذ يمد حكمه ويده شيئا فشيئا الى البلاد المجاورة . وكان يطلب من وزير صيدا التزامها بدعوى حمايتها من العربان لان قبائل التركمان والصقر التي كانت منتشرة في هذه الانحاء كانت تفرض اتاوة معينة على كل بلد وتنهب السابلة وكان يوالي الوالي بالهدايا فكان هذا يجيبه الى التماساته [2] . والسياق يفيد ان المقصود من البلاد المجاورة هي القرى التي كانت في ناحية طبريا .

ومما ذكره المؤلف [3] انه كان في تلك الانحاء قلعة حصينة تسمى جدين يتولاها وال اسمه احمد الحسين من بيت قديم شريف يتوارث

---

(١) ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢) ص ٣٥

(٣) ص ٣٥ — ٣٧ .

ابناؤه الولاية عليها وكان لها حكم البلاد الجبلية التي حولها مثل انوبر وترشيحا وابي سنان وكان العربان يعيثون في هذه الانحاء فسادا ولا يقدر واليها المذكور على منعهم فارسل مشايخها الى الظاهر يطلبون منه انقاذهم • وصدف ان اجترح احد خدمه ذنبا فهرب الى جدين فطلبه من واليها فابى واغلظ في الجواب • فجرد خيله وزحف عليه وكان عرب الصقر معه امتدادا للاتفاق الحلفي السابق وخرج احمد الحسين للقائه فدارت الدائرة عليه وقتل واستولى الظاهر على القلعة • وكان ذلك سنة ١٧٣٨ م •

وكانت صفد ذات قلعة حصينة وقديمة وهي كرسي ناحيتها وكان واليها شخص اسمه محمد نافع — لا يذكر المؤلف هويته — وكان بقربها قلعة اخرى اسمها البعنة يتولاها قريب له اسمه عبد الخالق صالح وكان حكم محمد نافع يشمل قرى عديدة حول صفد مثل سحماتا والدير والقاسي • فتطلع الظاهر الى هذه الناحية بسبيل تشميل حكمه لجميع المنطقة وبذل جهده حتى تمكن من استنزال محمد نافع عن قلعة صفد والحصول على مرسوم ولايتها من والي صيدا ، وبذل جهده مع عبد الخالق فاخفق فجنح الى مصاهرته فتزوج ابنته واستنزله بعد ذلك عما في يده بدوره • وكان ذلك سنة ١٧٣٩ م — ١١٥٢ هـ [١] • وكان هناك بلدان او قريتان مجاورتين لبلاده تحت حكم الشيخ ناصيف النصار كبير متاولة بلاد بشارة واميرهم وهما البصة ويارون • فطلب من الشيخ ناصيف التنازل له عنهما فرفض وضمن جوابه تهديدا حيث قال فيه لا تظن اننا نظير سوانا فوالله ان عندنا مقابل سيفك سوفا أحد منه وازاء كيدك مكائد كثيرة فالاولى بك ان تدعنا غافلين عنك باعتدائك على جيراننا والا فانك تندم فلطالما بغى علينا فانتصفنا من الباغي وعاهدنا ففمنا بعهدنا • واغاظه الجواب فطلب من الوالي ولاية البلدين — أي

(١) الصباغ ص ٣٨ — ٣٩ .

التزامهما على ما هو المتبادر المألوف ـ فاجابه الى طلبه وحينئذ طرد ولاة المتاولة منهما • وجرد الشيخ ناصيف خيله وخرج لصده واشتبك الطرفان قرب قرية طربيخة وامتدت الحرب اياما كانت مداولة بينهما ثم قام قائد جيش الشيخ الدنكزلي [1] بحركة التفافية مباغتة على بلاد المتاولة اسر بها ولدين من اولاد الشيخ ناصيف • وعلم هذا بحركة الدنكزلي فتراجع لصدها شبه مهزوم فتبعته خيل الظاهر يقتلون من يدركونه من رجاله • وأدى الى التفاوض ثم الى عقد الصلح والتحالف• وكان من مقتضى المعاهدة على ما يقوله الصباغ النزول للظاهر عن البلدين ثم التزام الظاهر للاموال المرتبة على بلاد المتاولة حتى لا يكون لهم شأن مع الوالي ومساعدة كل فريق للآخر في أي حرب أو عدوان يقع عليه • وكان وسيط المفاوضة والتعاهد سعد اخو الظاهر • وقد ارسل الظاهر اولاد الشيخ ناصيف مكرمين معززين فاثار فرح ابيهما وجعله يأتي بذاته الى الظاهر فيشكره ويقدم له رأسين من جياد الخيل ويجدد له اليمين على السيف والمصحف بان يكون واياه يدا واحدة • وبادل الشيخ ظاهر الشيخ ناصيف وزعماء المتاولة ودا بود فازداد فرحهم بمحالفته لان الوالي كان يكرههم ويشدد عليهم ويغري النوابلسة بهم بسبب نحلتهم [2] • وقد كان الصلح والتعاهد بين الشيخ ظاهر وزعماء المتاولة تدشينا لتعاون وتواثق شديدين استمرا طيلة حياة الشيخ ظاهر في مختلف الاحداث والحركات •

ولم يذكر الصباغ تاريخ هذه الوقعة ولكن مقتضى سياقه انها بعد قليل من استيلائه على قلاع جدين وصفد والبعنة الذي تم في سنتي ١٧٣٨ و ١٧٣٩ م ـ ١١٥١ و ١١٥٢ هـ •

غير ان مؤلف جبل عامل ذكر ان ذلك كان في سنة ١١٨٠ هـ الموافقة

---

(١) قال الصباغ ان الدنكزلي فتى مغربي كان من جند احمد الحسين في قلعة جدين رأى فيه الظاهر امارات الشجاعة والقوة فاخذه الى خدمته ثم جعله قائدا لجيشه ص ٣٧ •

(٢) الصباغ ص ٣٩ ـ ٤١ •

لسنة ١٧٦٦ م في سياق ذكره للنزاع فالقتال فالمعاهدة بشيء من الخلاف حيث يفيد سياق هذا المؤلف ان الشيخ استولى على البصة فحدثته نفسه بالاستيلاء على قرية اخرى من قرى الشيخ ناصيف اسمها تربيخا فزحف عليها فطارت اليه فرسان المتاولة بقيادة الشيخ ناصيف والشيخ علي الفارس واشتبكوا مع الشيخ ظاهر فكانت الغلبة لهم عليه حتى اقد كاد يقتل لو لا ان منَّ عليه الشيخ ناصيف بحياته مع اخذ فرسه المشهورة منه كعلامة استسلام واذلال وان رجال المتاولة اظهروا من البسالة ما لم يسبق له مثيل مما جعل الشعراء يتغنون به وان الشيخ ظاهر هو الذي سعى الى الصلح والتحالف معهم . وقد اورد هذا المؤلف بعض القصائد التي نظمها الشعراء العامليون بالوقعة وفيها اشادة ببطولة الشيخ ناصيف ورفاقه وفرسان المتاولة [١] . والمتبادر ان كل فريق روى أو دوَّن الحادث وفق هواه فكان هذا التخالف .

ويبقى تاريخ حادث وقعة تربيخا والتحالف الذي قام بين الشيخ ظاهر وزعماء المتاولة مشكلا بدون حل . فسياق الصباغ يقتضي كما قلنا ان يكون بعد قليل من سنة ١٧٣٩ م ــ ١١٥٢ هـ في حين ان مؤلف كتاب جبل عامل يؤرخهما في سنة ١١٨١ هـ ــ ١٧٦٦ م ! والامد طويل بين التاريخين . ومع ان الصباغ لم يذكر حوادث نزاع وصدام بين الشيخ والمتاولة خلال هذا الامد الطويل مما قد يفيد ان الحالة كان صافية بينهم قبل سنة ١١٨١ هـ الا ان مؤلف جبل عامل والغرر الحسان ذكرا حوادث حربية عديدة وقعت خلال هذه المدة بين المتاولة من جهة والامير ملحم الشهابي حينا ووالي صيدا حينا وامير وادي التيم ودروزه ودروز الشوف حينا [٢] دون ذكر اسم الشيخ ظاهر كحليف بينما توالى ذكره كذلك في ما اخذ يقع من حوادث حربية ضده وضدهم بعد هذه السنة ، مما يسوغ القول انه لو كان الحلف قائما بين الفريقين قبلها

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ٩٤ ــ ١٠١

(٢) الغرر ج ٢ ص ٣١ ــ ٣٢ و ٣٤ وجبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ٧٦ .

لكان ذكرهما ورد في سياق هذه الحوادث كحلفاء كما صار يرد بعدها ••••

وقد قال الصباغ بعد ذلك ان بال الشيخ لما ارتاح من جهة المتاولة وصفت له البلاد وخلت من العثمانيين الا مدينة عكا كتب لوزير صيدا طالبا التزامها بحجة حمايتها من القراصنة المالطيين الذين كانوا يتجولون في البحر فرفض الوالي فاشار عليه اخوه سعد باخذها بالسيف وهوَّن عليه الامر فارسل حملة مؤلفة من ثلاثة آلاف فارس ولم يكن فيها من الحامية الا مئة مقاتل فلم تكد الحملة تصل الى ابواب عكا حتى حاول المتسلم الهروب ولكن قائدها قبض عليه وجاء على الاثر الشيخ فدخل البلد وارسل المتسلم الى الوالي مكرما وتعهد بدفع المرتب عليها ، فسكت الوالي على هذا العمل على حقد عظيم • وقد اهتم الشيخ بتحصينها وتسويرها وشيد ابراجا عديدة على سورها وجعل اقامته في احدها المسمى ببرج الذبان ، وقد أرخ هذا الحادث بسنة ١٧٣٣ م الموافقة لسنة ١١٤٦ هـ •

هذا في حين انه أرخ حوادث الاستيلاء على قلاع جدين وصفد والبعنة بسنتي ١٧٣٨ و ١٧٣٩ م • ومقتضى سياق الصباغ ان حادث الاستيلاء على عكا كان بعد ذلك •

وقد لاحظ الناشر ذلك وقال ان في التاريخ خطأ وانه ربما كان في الاصل سنة ١٧٥٣ او ١٧٥٥ م لان الظاهر استولى على عكا بعد موت سليمان باشا والي دمشق في طبريا سنة ١٧٤٤ م حسب رواية رواها مخائيل بريك [١] مؤرخ سيرة الاسرة العظمية • ولقد ذكر مؤلف الغرر [٢] في حوادث سنة ١١٦٥ هـ ــ ١٧٥٣ م خبر تجديد الشيخ ظاهر لسور عكا باسلوب يفيد انه كان مستوليا عليها قبل ذلك حيث قال

---

(١) ص ٤٤

(٢) ج ٢ ص ٤٣ نسخة رستم •

انه خاف بعد انتصار الامير ملحم الشهابي على المتاولة فجدد سور عكا وان شاعرا أرخ ذلك شعرا دون كلمتي الشطر الاخير منه (١١٦٣ [١]). وقد ذكر ناشر كتاب الشيخ ظاهر [٢] انه يوجد فوق سور الباب تاريخ شعري آخر مجموع حروف شطر البيت الاخير منه (١١٦٣) مما فيه توكيد لاستيلاء الظاهر على عكا وتجديده لسورها بعد استيلائه على قلاع جدين وصفد والبعنة في سنتي ١٧٣٨ و ١٧٣٩ م كما أرخه الصباغ نفسه ...

ومقتضى سياق الصباغ ان استيلاء الشيخ ظاهر على عكا كان بعد صدامه ثم صلحه ومحالفته مع زعماء المتاولة . وهذا يتصل بالمشكل الذي نبهنا عليه قبل في صدد تاريخ ذلك .

والتاريخ الشعري المحفور فوق سور الباب يحتوي تنويها بالشيخ ظاهر ودولته مما فيه دلالة على ما صار اليه امره من قوة وتمكين وقد رأينا اثباته هنا من اجل بيان ذلك :

بامر الله هذا السور قاما	بعكا من فتى بالخير قاما
ابي الفرسان ظاهر المفدى	أعز الله دولته دواما
فباطن بابه الرحمات فيه	وظاهره العذاب لمن تعامى
وذا بالله صار حمى فأرخ	بناك الله فخرا لا يسامى

وقد ذكر الصباغ بعد خبر تجديد الظاهر لسور عكا خبر توطبده حكمه على الناصرة التي كانت تئن من عدوان النوابلسة فحماها منهم ورفع عن اراضي المرج ــ والمقصود مرج ابن عامر ــ مظالمهم فأثار بدلك حقدهم عليه واضمارهم الشر له على حد تعبيره [٣] ثم ذهب الى حيفا التي كانت آخر حدود ولاية النوابلسة فخربها ثم أنشأ بقربها

---

(١) هذا هو البيت الاخير لهذا الشعر « لما بناه الشيخ ظاهر عنوة ... اعناه تاريخ بناه ظاهر » والتاريخ في كلمتي (بناه ظاهر) .

(٢) ص ٤٤ .

(٣) ص ٤٥

مدينة أخرى عرفت باسم حيفا الجديدة واقام برجا لاجل حمايتها من القرصان ثم مد يده الى بلدتي الطيرة والطنطورة فضمهما الى حكمه ايضا [1] •

وقد اثار عمله اميري جبل نابلس ابراهيم الجرار والشيخ بن ماضي فكتبوا الى الشيخ رشيد الجبر امير الصقر وعرضوا عليه التحالف معهم ضده • فوافق هذا لان الشيخ ظاهر لم يعد يعبأ به برغم ما كان بينهما من تحالف قديم • واخذ المشايخ الثلاثة يجمعون حشودهم ويستعدون للعمل • وشعر ظاهر بالحركة ولكنه لم يكتشف اشتراك امير الصقر بل وطلب منه ارسال رجاله اليه • ثم خرج بما جمعه من رجال الى المرج ــ مرج ابن عامر ــ وجاءه من اخبره باشتراك شيخ الصقر وعربه في الحركة فرتب رجاله ونصب كمائن للانقضاض من وراء الخصوم بعد الاشتباك ودارت المعركة فكتب له فيها الغلبة وانهزموا وتمزقوا بعد ان قتل منهم عدد عظيم وكان من جملة المقتولين ابراهيم الجرار • ثم زحف بجموعه نحو نابلس وضرب الحصار على قلعة صانور التي اعتصم فيها محمد بن ابراهيم الجرار • ومع انه لم يقدر على الزحف فانه تمكن من بسط حكمه على جميع البلاد • وقد أرخ الصباغ هذه الاحداث بسنة ١٧٣٥ م •

ويقول الصباغ الذي ينفرد في هذه الاخبار ان البلاد بعد ذلك أمنت واطمأنت [2] بحيث اذا سافرت المرأة وعلى كتفها الذهب لا يعترض طريقها احد • وقد عهد بالفتوى في عكا وفي جميع البلاد الى عالم شاعر بارع اسمه الشيخ عبد الحليم الشويكي الذي عهد اليه في الوقت نفسه بتربية اولاده وتثقيفهم • وعين اخاه سعدا واليا على قلعة دير حنا وابنه البكر صليبة واليا على طبريا وابنه الثاني عثما نواليا على كفر كنا وابنه الثالث عليا واليا على قلعة صفد • وكان في عكا

---

(١) ص ٤٥ ــ ٤٦ •

(٢) ص ٥٠ ــ ٥٢ •

تاجر ذو رأي وأمانة وفطنة اسمه يوسفف القسيس فجعله وزيراله وسلمه جميع اموره ، ومما رواه المؤلف كدليل على ما كان عليه من صرامة وعدل واهتمام لتأمين الامن وتيسير امور الناس ومنع الشعوذة انه ارسل مرأة جميلة من البصة وعليها حليها لتطوف البلاد فطافت وعادت فسألها عما اذا اعترضها احد فاخبرته ان احد المغاربة سألها الى اين هي قاصدة وان احد عربان الصقر اعترض طريقها قرب الناصرة فاحضرهما وشنقهما. وانه نبه على التجار واصحاب المهن بمراجعته بشأن كل من يماطلهم في حقوقهم ليدفعها اليهم ويتولى تحصيلها من المماطلين . وانـه امر ولاة البلاد باقراض الفلاحين المعسرين حتى يتمكنوا من زرع اراضيهم وانه كان يقرض التجار بدون فائدة لتسيير امورهم . وانه امر الولاة بعدم اخذ زيادة ما عن المقرر واقسم ان جزاء من يسمع عنه غير ذلك او من يسمع عنه الرشوة قطع رأسه ولو كان ولده . وانه رتب الحراسة على الطرق وجعل الولاة مسئولين عن كل حادث نهب او قطـع طريق او لصوصية . وانه كان يطوف ويتجسس احوال الناس . وانه رأى مرة رجلا عريانا يقبل الناس يديه تبركا فاحضره واقام له مجلس شرع وعزره لان فعله مخالف للشرع وضربه وامر المنادي بالمناداة بحظر كل عمل من اعمال الشعوذة والدجل [1] .

ولقد عظم على بني جرار وبني طوقان زعماء جبل نابلس ما اصابهم من هزيمة وما صار اليه امرهم من رضوخ لحكم الشيخ فكتبوا الى والي الشام سليمان باشا يستنجدون به ويحرضونه على الشيخ . غير ان سليمان باشا نصحهم بمصالحته ومطاولته لفرصة احسن . فاتصل الشيخ محمد الجرار بالشيخ ظاهر وتم الصلح على ان يترك لهم بلادهم مقابل ٥٠٠ كيس يدفعونها له نفقات حربية وان يلتزموا حدودهم ويقبلوا ماتم

---

(١) ص ٥٥ ـ ٥٩

من امتداد حكم الشيخ الى الناصرة وحيفا والطيرة والطنطورة [1] .
وكان عرب الصقر قد خافوا وجفلوا بعد وقعة المرج وانتشروا في جهات قيسارية ويافا وضاق بهم الحال فاخذوا يوسطون الوسطاء لنيل عفو الشيخ ويعطون المواثيق على الوفاء فقبل منهم وجاء كبيرهم الشيخ رشيد مع المشايخ الآخرين اليه فخلع عليهم ورد اليهم اراضيهم واقطعهم غيرها فاستقروا بدورهم واطمأنوا [2] .

ولقد كان سليمان باشا العظم والي الشام محنقا مما صار للشيخ من دولة وصولة . واخذ يتربص به حتى لقد روي مؤلف خطط الشام [3] انه قبض على أخ له اسمه مصطفى وشنقه في دمشق ثم استأذن الاستانة بغزوه فأذنت فجهز حملة زحف على رأسها واستمد من والي صيدا قريبه فانضم اليه على رأس رجاله . وتهيب الشيخ من الموقف فخرج من عكا باهله الى طبريا فاعتصم بها وحصنها واقام نائبا في عكا مقامه فجاء سليمان باشا بحملته القوية التي روى الصباغ ان عددها ستون الفا وضرب الحصار على طبريا . وكان مع الشيخ اخوه سعد فاقترح ان يذهب الى معسكر الوالي متظاهرا بالغضب من اخيه ويترقب الفرص لعله يجد وسيلة الى اغتياله . وقد جازت الحيلةعلىالواليوأمن لسعد وقربه واختصه بمجالسه فاغتنم فرصة دس فيها له السم وهو في الحمام ثم تسلل عائدا الى طبريا ، وخرج هو واخوه برجالهم فباغتوا عسكر سليمان باشا الذين اوقع موته فيهم الاضطراب والفزع فزادتهم المباغتة اضطرابا حتى صاروا يقتلون بعضهم ثم ولوا الادبار تاركين أثقالهم غنيمة باردة للشيخ . وقد عاد الشيخ بعد ذلك الى عكا وارسل قوة الى صيدا طردت محمد باشا الذي انهزم برجاله بعد موت سليمان باشا واستولت على البلد . وقد نظم محضرا وقع عليه مشايخ البلاد وعلمائها بظلم محمد باشا وعجزه وبطلب تولية الشيخ مكانه . وارسل

---

(١) ص٥١ ـ ٥٢ (٢) ص ٥٥ (٣) ج ٢ ص ٢٩٣

الشيخ المحضر مع وفد يحمل هداياه الى رجال الاستانة وكان سليمان باشا قال فيما قاله في شكاويه ضد الشيخ انه نهب من جبل نابلس ٣٠٠ كيس فاشترطت الولاية عليه ردها لتوليه ولاية صيدا فاخذ شهادات من مشايخ نابلس بتكذيب ذلك وارسلها فوجهت الاستانة عليه ولاية صيدا . وقد كان ذلك في سنة ١٧٥٣ م التي توافق سنة ١١٦٧ هـ [١] .

وهذا التاريخ غلط وصحيحه ١٧٣٩ م — ١١٥٧ هـ على ما يستفاد من كلام الخوري بريك مؤلف كتاب تاريخ الشام ١٧٢٠ — ١٧٨٢ وهو شاهد معاصر حيث ذكر حصار سليمان باشا وموته في سنة ١٧٣٩ م الموافقة لسنة ١١٥٧ هـ [٢] .

ومن الجدير بالذكر ان الخوري بريك ذكر ان سليمان باشا زحف على ظاهر العمر في طبريا ثلاث مرات لا مرة واحدة . مرة في أثناء ولايته الاولى للشام ١١٤٦ — ١١٥١ هـ ومرتين في اثناء ولايته الثانية ١١٥٤ — ١١٥٧ هـ ولم يذكر تاريخ المرة الاولى وانما قال انه ركب على ظاهر العمر في طبريا ولم ينتفع بشيء [٣] . ثم قال في مكان آخر [٤] . ان وزارة دمشق وجهت ثانية على سليمان باشا العظم سنة ١١٥٤ هـ واستقام ثلاث سنين وفي هذه المدة ركب على ظاهر العمر في طبريا فلم ينتفع بشيء ثم ركب ثانية عليه وهناك مات وقيل مات مسموما .

وقد أرخ مؤلف الغرر موته سنة ١١٥٧ هـ متطابقا مع الخوري بريك [٥] . وكلام هذا المؤلف مطابق لكلام الخوري من حيث ان سليمان باشا ركب على ظاهر العمر مرتين في سنة ١١٥٧ هـ ومات في الثانية وان لم يذكر خبر ركوبه الاول في وزارته الاولى .

ومن الجدير بالذكر ان الخوري بريك قال [٦] بعد ذكر خبر وفاة سليمان باشا مسموما سنة ١٧٣٩ م ان ظاهر العمر اخذ في هذه السنة

---

(١) ص ٥٦ وما بعدها　(٢) ص ١٠ — ١١　(٣) ص ٩
(٤) ص ١١　(٥) ص ٣٥ ج ٢ نسخة رستم　(٦) ص ١١

مدينة عكا وعمرها قلعة وسكن بها وصار له صيت ذائع بكرمه وشجاعته وسلوك الدرب وانتشر الامان في زمنه وكان محبا للنصارى . وكلامه في اخذ الظاهر لعكا يناقض سياق الصباغ الذي يفيد ان عكا كانت في يده حينما زحف سليمان باشا عليه ويتطابق اجمالا مع ملاحظة ناشر كتاب الصباغ من حيث اخذ الظاهر لعكا كان بعد موت سليمان باشا وان كان يتخالف معه من حيث تاريخ ذلك .

وقد قص المؤلف الصباغ بعد خبر انتصار الظاهر على سليمان باشا ثم على محمد باشا والي صيدا في سياق طويل تخلله احداث متنوعة وقصصا عديدة عن ما كان يقع بين الظاهر واخيه سعد واولاده علي وعثمان وحسين من خلاف ونزاع وما كان يقدم عليه اخوه واولاده من حركات ومؤامرات ضده مع عرب الصقر حينا ومع الدروز حينا ، وما كان يقع بينه وبينهم من مصاولات ومناوشات تراق فيها الدماء حينا . وذلك بسبب طموحهم الى الولايات والاقطاعات وعدم اجابة الشيخ الى ما كانوا يبدون من رغبات ويتقدمون به من طلبات . ومع ان الوسطاء كانوا يسعون في سبيل اصلاح البين وتطويع الاولاد لابيهم ونيل رضائه عنهم وكان يتم ذلك مع العناء فان روح التمرد والتآمر ضد الشيخ كانت تعاود بعضهم وخاصة عثمان كبير ابنائه وتسبب ازعاجا وعنتا للشيخ . وقد قتل سعد اخو الشيخ في احدى المناوشات التي وقعت بينه وبين اخيه [1] .

وفي خلال هذا السياق ذكر المؤلف خبر استبدال الشيخ وزيره ومدبره يوسف القسيس بابراهيم الصباغ من تجار عكا وجد المؤلف . وقال في صدد ذلك ان يوسف غدا ذا ثروة عظيمة فخاف من تقلب الايام بعد ما رآه من حركات اولاد الشيخ وطمعهم بابيهم فاعتزم على الهروب من عكا وشحن مركبين بامتعته الى مالطة . وبلغ الخبر الشيخ فالقى

---

(١) ص ٦٧ - ٩٦

القبض عليه وضبط بيته وجميع ماله واملاكه [1] .

كذلك قص المؤلف في خلال هذا السياق قصة نهب المحمل الشامي من قبل عربان السردية وبني كليب وبني عقيل سنة ١٧٥٧ م التي توافق سنة ١١٧١ هـ وقدوم العرب بالمنهوبات الى المرج وقدوم امرائهم الى عكا واكرام الشيخ لهم وشراء وزيره ابراهيم ما معهم .

وفي خلال هذا السياق ذكر المؤلف ايضا صداما وقع بين الشيخ ظاهر وعرب الصقر سنة ١٧٦٠ ه فقد كان الشيخ حانقا على الشيخ رشيد الجبر شيخ عرب الصقر لمعاضدته لاخيه سعد ضده ، وكان العرب في هذه الاثناء يعتدون على السابلة ويقطعون الطرق فارسل الشيخ ظاهر للشيخ رشيد رسولا يبلغه لومه وتحذيره فشتم الشيخ رشيد الشيخ ظاهر اما م الرسول ولعنه واستخف به فلما بلغ الشيخ ظاهر ذلك زحف على العرب للتنكيل بهم . وكان معه حفيد له اسمه اسمه جهجاه وكان فتى يافعا ولكنه فارس مغوار وكان الشيخ يحبه حبا عظيما فاحاط به العرب وقتلوه فهاج غضب الشيخ اعظم الهياج وصار موتورا فطارد العرب وظفر بهم وذبحهم ذبحة موحشة ــ والعبارة المؤلف ــ وفعل بهم ما لا يسمح من قتل الاطفال والنساء والشيوخ [2] .

كذلك قص المؤلف في خلال هذا السياق ايضا قصة نهب محمل الحج الشامي من قبل عرب السردية وبني كليب وبني عقيل سنة ١٧٥٧ م الموافقة لسنة ١١٧١ هـ ، وقدوم العرب بالمنهوبات الى المرج ــ مرج بن عامر ــ وقدوم امرائهم الى عكا واكرام الشيخ لهم وشراء وزيره ابراهيم ما معهم من منهوبات ومن جملتها راية كان يدعى انها راية النبي المسماة بالعقاب ، وقد ارسل الشيخ الراية الى الاستانة وكتب لها ان العربان انما فعلوا ما فعلوه لان عثمان باشا امير الحج ووالي الشام

(١) ص ٧٣ ــ ٧٤

(٢) ص ٨٠ ــ ٨٣

طمع فلم يعطهم اعطياتهم المعتادة . وقد كتب عثمان باشا بدوره الى الاستانة شاكيا متهما الشيخ بانه ضالع بالحركة . ويقول المؤلف في سياقه ان الاستانة ارسلت مندوبا فظهر له صدق كلام الشيخ ، وجاءه تقرير ولاية صيدا وبلاد صفد على اثر رجوع المندوب ولكن الاستانة في الوقت نفسه كتبت للوالي بالاستعداد التام لقتال الشيخ واغتياله على ما علم من عيون الشيخ في الاستانة . ولم يلبث ان رأى بوادر انقلاب الاستانة عليه حيث ورد الامر العالي اليه برفع يده عن صيدا وتعيين درويش باشا ابن والي الشام واليا عليها وحيث جاءه من عيونه ان اوامر مشددة ارسلت الى عثمان باشا بقتاله والى والي حلب وامير الدروز ووالي طرابلس بمساعدته على ذلك . ومن ثم اخذ يستعد ويحشد قواه واستنجد بمشايخ المتاولة الذين سارعوا اليه برجالهم . وجاء عثمان باشا والي الشام بجموعه ونزل في منطقة الحولة وسارع الشيخ الى لقائه ونشب القتال فدارت الدائرة على حشود عثمان وانهزمت شر هزيمة بعد ان قتل منها مقتلة كبيرة وغرق جماعات كثيرة في الحولة . وقد تركت مقادير عظيمة من الاسلاب كانت غنيمة باردة للشيخ ورجاله . وقد اظهر ابنه علي في القتال بطولة عظيمة حتى كان له الفضل في كسب المعركة . ولم يكد الوالي ينجو الا بكل مشقة حتى انه تزيا بزي غير زيه حتى نجا . ثم ارسل عيونه للتجسس على حركات والي طرابلس ووالي صيدا وامير الدروز يوسف الشهابي الذين كانوا استجابوا للاوامر واخذوا يستعدون للزحف ضده من ناحية الشمال فرجعوا واخبروه بقدومهم من ناحية صور فسارع اليهم هو والمتاولة والتقوا بهم عند قرية كفر الرمان . ودارت المعركة فكتبت الهزيمة على القادمين بعد قتل عدد كبير منهم . وبعد هذا ارسل الشيخ قائده الدنكزلي الى صيدا فطرد واليها درويش باشا واستولى عليها وحصنها واقام فيها نائبا [1] . ولم يذكر المؤلف تاريخا لهذه الاحداث .

---

(١) ص ٧٥ ـ ١٠٢

ولكن خبر اشتراك المتاولة فيها يدل على انها وقعت بعد قيام الحلف بينهم وبين الشيخ ظاهر ، وسياقها يدل على انها وقعت بعد مدة غير طويلة من سنة ١٧٥٧ م ـ ١٧٧١ هـ التي وقع فيها نهب المحمل •

ولقد ذكر هذه الاحداث كل من مؤلف جبل عامل ومؤلف الغرر الحسان • وقد ذكرا حادث الحولة في سياق ذكر حركة علي بك كبير مماليك مصر وزحف قواته بقيادة ابي الذهب وحصاره لدمشق ورجوعه عنها واعتزام عثمان باشا بامر الاستانة على التنكيل بالشيخ ظاهر لاندماجه في حركة علي بك التمردية • وقد كانت هذه الحركة في سنتي ١١٨٤ ـ ١١٨٥ هـ •

وذكروا حادث كفر الرمان بعد ذلك وكنتيجة لتطاول المتاولة على بلاد الامير يوسف الشهابي على ما شرحنا ذلك في فصل زعماء جبل عامل [1] • والامد طويل بين تاريخ نهب المحمل الذي يذكره الصباغ وهو سنة ١٧٥٧ والذي كان السبب المباشر لزحف عثمان باشا حسب رواية هذا المؤلف وبين التاريخ الذي يذكر المؤلفان الآخران لوقعتي الحولة وكفر الرمان وهو سنة ١١٨٥ هـ ـ ١٧٧١ م فضلا عن اختلاف السبب حيث يفيد سياق الصباغ ان السبب هو نهب المحمل بينما يفيد سياق المؤلفين الآخرين ان تواطىء الشيخ مع علي بك في حركته التمردية ضد الدولة هو السبب !•

ومع ذلك فان الصباغ يروي بعد وقعتي الحولة وكفر رمان ان اناسا من الخليل والقدس ويافا لجؤوا الى الشيخ وشكوا له ما هم فيه من مظالم عثمان باشا وكثرة ما يأخذه منهم لنفقات الحرب وان الشيخ اغتنم ذلك فرصة فارسل ابن عمه كريم الايوب وجعله واليا ليافا والقدس والخليل وارسل الى الاستانة طلبا باقرار ذلك ودفع مقابل ذلك خمسمائة كيس فارسلت الدولة اليه تقريرا بولايته عليها ، وان

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ١٠٦ ـ ١١٠ والغرر ج ٢ ص ٧٨ ـ ٩٢ نسخة رسم٠

عثمان باشا عاد فشكى على الشيخ واعتذر عن كسرة الحولـة وكسرة الدروز فقبلت الدولة الاعـذار وارسلت اليه فرمانا بطرد الشيخ ظاهر من يافا ، وان الشيخ لما بلغه ذلك كتب الى علي بك في مصر يشكو من خيانة الدولة وطلب منه نجدة لرد عثمان باشا فبادر علي بـك وجهز تجريدة مؤلفة من اربعة آلاف بقيادة اسماعيل بك من كبار مماليكه وأوصاهم بطاعة الشيخ فلما وصلوا انزعج عثمان باشا وهرب دون قتال فانعم الشيخ على سناجق مصر وارجعهم واصحبهم بكتاب شكر الى علي بك يخبره بما وقع ورتب للبلاد ولاة وامر بتحصين يافا ورجع الى عكا ، وكل هذا كان قبل حملة علي بك التي ارسلها بقيادة ابي الـذهب لفتح بلاد الشام على ما يفيده سياق الصباغ [١] .

ومن الجدير بالذكر ان الصباغ ذكر [٢] بالاضافة الى وقعتي الحولة وكفر الرمان اشتباكات حربية وقعت بين الشيخ ظاهر ومعـه حلفاؤه المتاولة وبين الامير يوسف الشهابي ومعه عساكر الدولة بعـد انسحاب حملة ابي الذهب نتيجة لشكاية عثمان باشا الوالي على الشيخ وورود اوامر من الاستانة الى ولاة حلب وصيدا وطرابلس وامـير الدروز ـ الامير يوسف ـ بقصد التنكيل به على تواطئه مـع علي بك في التمرد ضد الدولة على ما سوف نذكره بعد . وفي هذا يتفق شيئـا مع مؤلفي جبل عامل في التاريخ والغرر الحسان مع الاختلاف في سبب وتاريخ الوقعتين !..

والخروج بشيء يقيني من هذا متعذر او مشكل . فـالمقتضى أن تكون رواية الصباغ أصح لانه معاصر وسامع من مشاهدين ، وان يفرض تبعا لذلك وقوع صدام بـين الظاهر وعثمـان باشا قبـل حركة علي بك . غير ان وصف وقعتي الحولة وكفر الرمان في سيـاق الصباغ وسياق مؤلفي كتابي الغرر وجبل عامل متطابق بحيث لا يحتمل

---

(١) الصباغ ص ١٠٣ ـ ١٠٨

(٢) ص ١١٢ ـ ١١٨

ان تكونا وقعتين متكررتين قبل حركة علي بك وبعدها .

ومهما يكن من امر هذه النقطة فان سياق الصباغ يفيد ان حكم الشيخ ظاهر كان يمتد الى المنطقة الجنوبية من فلسطين ويشمل يافا والقدس والخليل بالاضافة الى الشمال حتى صيدا ثم بالاضافة الى محالفته مع مشايخ المتاولة وغدوه كمشرف أو شريك في الاشراف على جبل عامل قبل حركة علي بك [1] ، وكل هذا هو الذي جعل علي بك كما هو المتبادر يتفق معه ويشركه في حركته العظيمة التي بلغ فيها ذروة القوة والسلطان والشهرة .

ولقد ذكر الصباغ هذه الحركة بعد سياقه الاول الذي ذكر فيه نجدة علي بك للشيخ بحملة قائدها اسماعيل بك ضد عثمان باشا وخوف عثمان باشا منها وثبات يد الشيخ على يافا والخليل والقدس نتيجة لذلك . وقد قال ان علي بك جهز مملوكه محمدا بك ـ ابا الذهب ـ وارسل معه مقدار عشرة آلاف من غز مصر لطرد عثمان باشا وارسل رسولا الى الشيخ ظاهر يخبره بالامر ويرجوه بمساعدته بالرجال وان ظاهرا جرد بثلاثة آلاف خيال وارسلهم بقيادة ابنه مع محمد بك الى الشام [2] .

وكان الصباغ ذكر في مناسبة سابقة حركة علي بك وخروجه على الدولة ودينونة مصر لحكمه وما قام بينه وبين السناجق ـ قواد القوات او رؤساء الاقسام والمديريات الترك ـ من صيال بتحريض الاستانة وتغلبه عليهم في النهاية ، ومده سلطانه الى الحجاز وقتله شريف مكة واقامته شريفا مواليا وخاضعا له [3] ، حيث يفيد السياق ان علي بك بعد ما نجح هذا النجاح اراد ان تشمل حركته بلاد

---

(١) ذكر مؤلف الغرر ج ٢ ص ١٠٨ نسخة رستم في سياق خبر صدور العفو عن الشيخ ظاهر ان حكمه كان في سنة ١١٨٨ شاملا لعكا وصيدا وحيفا ويافا والرملة وجبل نابلس وبلاد اربد وبلاد صفد وان جميع بني متوال كانوا تحت امره .

(٢) ص ١٠٨

(٣) ص ٩٠ ـ ٩٢

الشام ايضا ليتألف من ذلك دولة جديدة كبرى تشمل وادي النيل والجزيرة العربية وبلاد الشام •فلما رأى ما للشيخ ظاهر من سلطان ونشاط في فلسطين جنح الى الاستفادة منه في حركته وبادر هو الى الاندماج فيها لما كان بينه وبين والي الشام من صيال ونضال • ولا شك في ان الشيخ كان يقدر مدى الحركة ويقدر لنفسه فيها مركزا خاصا كأن يكون حاكم بلاد الشام العام أو حاكم فلسطين العام على الاقل • وقد كان شخص اسمه مخائيل الجمل يتولى ديوان مصر لجأ الى عكا أثناء حركة علي بك فرارا منه لانه طلب منه قرضا فاعتذر ووسط الشيخ ووزيره ابراهيم الصباغ في سبيل نيل العفو من علي بك على ما ذكره الصباغ في سياقه فكان ذلك سبيلا للاتصال بين الشيخ وعلي بك توثق فيما بعد بما كان من استنجاد الشيخ من علي بك حينما اراد عثمان باشا الوالي ان يصده عن يافا واستجابته وارساله المدد بقيادة اسماعيل بك •

وقد ذكر الصباغ ان محمد بك حينما وصل الى الشام اجتمع عليه عثمان باشا واطلعه على اوامر من الدولة فيها تحريض له على علي بك ووعد بتنصيبه مكانه اذا انتصر عليه ، وانه خوفه من سطوة الدولة فجعله يعود الى مصر بعد ايام قليلة محتجا بما بدا من علي بن الشيخ ظاهر من عدم الاحتوام له ودخوله عليه بدون استئذان واتكائه في مجلسه كأنه في مجلس عربان لا في مجلس سلطان [1] •

ولم يذكر الصباغ تاريخ حملة محمد بك • والمستفاد من كتابي جبل عامل في التاريخ والغرر الحسان ان ذلك كان في سنتي ١١٨٤ — ١١٨٥ هـ الموافق ١٧٧٠ — ١٧٧١ م • والسياق الذي اورده المؤلفان مختلف بعض الشيء عن سياق الصباغ ايضا • فالاول ذكر ان عثمان باشا فر من دمشق الى حمص واخذ يسعى لجمع العساكر للكرة بها

---

(١) ص ١٠٨ — ١١١

على حملة محمد ابي الذهب ورده ، وقال ان اسماعيل بك احد قواد الحملة هو الذي ثبط عزيمته وخوفه من العواقب وحذره من صولة السلطان ومخالفة الخروج عليه للدين وذكر له بغي اسرة الشيخ ظاهر وتمردهم حتى اقنعه وجعله ينسحب ويعود الى مصر [1] • وسياق الغرر متطابق مع سياق هذا المؤلف مع بيان او فى منه حيث ذكر في سياق طويل بدء حركة علي بك سنة ١١٧٨ هـ ــ ١٧٦٤ م وانقسام الامراء المماليك من قواد وحكام ازاء هذه الحركة حيث ناوأها بعضهم وتضامن فيها مع علي بك بعض آخر وصيال الفريقين مع بعضهم بضع سنوات وانتصار علي بك عليهم وتوطيد حكمه على مصر وارساله حملة الى الحجاز بقيادة محمد ابي الذهب احد امراء المماليك المتضامنين معه وغلبته لشريف مكة ونصبه شريفا خاضعا ، وكتابة الشيخ ظاهر لعلي بك ومهاداته بهدية عظيمة وعرضه ان يكون عونا له في بر الشام وترحيب علي بك بذلك وارساله حملة اولى بقيادة اسماعيل بك الى فلسطين سنة ١١٨٣ هـ وامتناع القائد من محاربة والي الشام بحجة موسم الحج وشكوى الشيخ عليه لعلي بك وارسال هذا حملة جديدة بقيادة ابي الذهب وانضمام رجال الشيخ اليها وسير الحملة الى الشام ؛ ونشوب معركة بينها وبين قوات واليها عثمان باشا سنة ١١٨٤ هـ وكسرها لهذه القوات وفرار عثمان باشا ودخول محمد ابي الذهب الشام وحصاره لقلعتها واذاعته بيانا من علي بك على اهلها يعدهم ويمنيهم ويذكر فيه ظلم عثمان باشا وبغيه ورغبته في تخليصهم منه ويحرضهم عليه ، وخروج اهل الشام اليه وطلبهم منه الامان ، وتضامن الامير منصور الشهابي والي لبنان مع ابي الذهب وتضامن الامير يوسف المناوىء له مع عثمان باشا الوالي ، وتثبيط اسماعيل بك لهمة محمد ابي الذهب عن الشام وتخويفه من عصيان الدولة وطعنه بالشيخ ظاهر اولاده ونعته اياهم بالغدر والتجبر ، واجتماع امين صرة المحمل مع محمد بك ووعده

---

(١) جبل عامل في التاريخ ج ٢ ص ١٠٤ ــ ١٠٥

اياه برضاء السلطان ، وتغير نفسية محمد بك نتيجة لذلك وانسحابه سنة ١١٨٥ هـ مع حملته من الشام الى مصر [١] . وناشر كتاب الصباغ يعلق على ما قاله المؤلف من انسحاب محمد بك بدون قتال ونتيجة لاجتماع عثمان باشا معه وتحريضه واغرائه مؤيدا وقوع صدام بين حملة محمد بك وعثمان باشا وانكسار هذا وفراره الى حمص ويورد للتدليل على ذلك نبذة من كتاب مخائيل ابريك الدمشقي في تاريخ الاسرة العظمية تتضمن ذلك [٢] .

ولقد ذكرنا قبل وقعتي الحولة وكفر الرمان اللتين جرتا بين الشيخ ظاهر وحلفائه المتاولة من ناحية وبين والي الشام عثمان باشا والامير يوسف الشهابي من ناحية اخرى والخلاف بين رواية الصباغ من جهة وروايتي الشهابي والعاملي في كتابيهما الغرر وجبل عامل في التاريخ في تاريخ وقوعهما وسببه من جهة اخرى فلا نرى ضرورة لاعادة ذكرهما هنا ونكتفي بذكر ما جرى بعد انسحاب محمد ابي الذهب وحملته .

ولقد ذكر الصباغ في صدد ذلك ان محمدا ابا الذهب علل رجوعه باشمئزاز نفسه من علي بن الشيخ ظاهر الذي كان يقود قوات ابيه وعدم احترامه له ، وان الشيخ كتب لعلي بك في ذلك فجاءه جوابه بان ابا الذهب خرج عليه وانه عازم على تأديبه والانتقام منه وحثه على الصبر والثبات حتى ينتهي من ذلك ، وان صيالا قام بين علي بك وابي الذهب بعد ذلك كتبت الغلبة فيه للاخير الذي نال عطف الاستانة وتشجيعها في صياله ، وغدا صاحب السلطان والحكم في مصر . وحينئذ خرج علي بك من مصر ومعه جماعة من القواد والجنود الذين ظلوا مخلصين معه الى فلسطين فاستقبله الشيخ ظاهر بالترحاب واخذ الاثنان يتشاوران ويستعدان لغزو مصر وارغام محمد

---

(١) الغرر الحسان ج ٢ ص ٦٣ ٨٧ نسخة رستم .

(٢) كتاب الصباغ ص ١٠٩ — ١١٠

ابي الذهب فيها . واخذ علي بك يتصل ببعض من في مصر بسبيل ذلك.
وجاءته كتب مطمئنة فاعتزم على الزحف وطلب من الشيخ مساعدته
بالمال . ومع ان الشيخ ووزيره حاوراه واظهرا شكهما في اخلاص الذين
كاتبوه فانهم في النهاية ساعدوه باربع عشرة خزنة [1] من المال وارفقه
الشيخ بثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ابنه البكر صليبي . وعلم ابو الذهب
بزحفه فبادر الى الزحف هو الآخر نحو الشام والتقى الزحفان في طريق
مصر ودارت بينهما معركة غلب فيها علي بك وجرح جرحا مات منه
بعد قليل وقتل ابن الشيخ ظاهر . وعادت بقية رجاله مهزومين الى
عكا [2] . وهكذا انطوت حركة هامة من حركات التاريخ الحديث
المصري الشامي التي هدفت الى استقلال البلاد العربية عن الدولة
العثمانية وتوحيدها تحت راية دولة جديدة .

ومما ذكره الصباغ ان عثمان باشا والي الشام استصدر بعد
انسحاب حملة محمد ابي الذهب الى مصر اوامر لوزراء حلب وطرابلس
وصيدا والامير يوسف الشهابي بالتضامن معه في قتال الشيخ ظاهر
واهتم خاصة بتحريض الدروز وتنازل لهم عن ثلاث سنوات من مال
الميري فزحف الامير يوسف الشهابي بجيش كثيف منهم نحو صيدا
وسارع الشيخ مع رجاله وحلفائه المتاولة فنشب القتال بين الطرفين
قرب صيدا فكتبت الكسرة على الدروز وقتل منهم مقتلة كبيرة واستولت
قوات الشيخ وحلفائه على صيدا نتيجة لذلك . وحاول الدروز ومعهم
عساكر الدولة الكرة مرتين ولكنهم ردوا فيهما وكان لعلي بن الشيخ
ولقائده الدنكزلي اثر كبير في هذا النصر . وحاول الشيخ بعد ذلك
الاستيلاء على بيروت فلم ينجح لان الجزار الذي كان يتولى ولايتها
من قبل الدولة والامير يوسف معا قد حصنها وتمكن من صده عنها .

---

(1) لم نقف على تعريف للخزينة التي يتبادر لنا انها غير الكيس الذي كان يذكر كوحدة قياسية ومقداره خمسمائة قرش والراجح انها اكثر منه قيمة .

(2) ص ١١٠ و ١١٨ — ١٢٠ و ١٢٣ — ١٢٩

ولم ينفض الشيخ يده منها فاتصل به الامير يوسف واتفق معه على اخراج الجزار منها • وكانت مراكب مسكوبية تتجول في البحر ـ وكانت الحرب آنذاك قائمة بين الدولة العثمانية والمسكوب ـ فاستنجد الظاهر بها بالاتفاق مع علي بك الذي كان جاء اليه من مصر فجاءت وحاصرت بيروت وضيقت الخناق على الجزار حتى اضطر الى التخلي عنها بعد اخذه امانا لنفسه واهله وامواله بضمانة الشيخ حسين تلحوق احد مشايخ الدروز • ولما خرج منها دخلت اليها عسكر الظاهر • وكان ذلك سنة ١٧٧٣ م [١] •

ولقد ذكر مؤلف الغرر الحسان هذه الاحداث في حوادث سني ١١٨٥ ـ ١١٨٨ هـ ١٧٧١ ـ ١٧٧٤ م بشيء من الخلاف مع سياق الصباغ وخاصة في صدد استيلاء عسكر الظاهر على بيروت [٢] • ومن ذلك استعانة الشيخ ظاهر بالمراكب المسكوبية على صد الامير يوسف وجيشه عن صيدا ، واصطلاح الامير يوسف مع الشيخ بعد ذلك وقيام المودة والصحبة بينهما وغدوهما يدا واحدة على نية سليمة راشدة (والعبارة للمؤلف) وكون مجيء المراكب المسكوبية الى بيروت وتضييقها الخناق على الجزار حتى اضطر الى تسليم المدينة انما كان بطلب من الامير يوسف بسبب امتناع الجزار عن تسليم المدينة بعد وعده بذلك ، وكون الذي استولى على بيروت هو الامير يوسف وليس عسكر الشيخ ظاهر • وكان هذا وذاك بعد قيام حالة الصلح والود بين الشيخ والامير ••

ومن العجيب ان الصباغ لم يذكر خبر الصلح بين الامير والشيخ ولا خبرا مهما آخر كان نتيجة له وقد ذكره مؤلف الغرر [٣] وهو ان الامير يوسف وسّط والي الشام الجديد عثمان باشا المصري الذي جاء بعد وفاة واليها عثمان باشا الكرجي خصم الشيخ في الحصول على العفو

---

(١) ص ١١١ ـ ١٢٢ (٢) ص ٩٣ ـ ٩٤ (٣) ص ١٠٦ ـ ١٠٨

عنه من السلطان وقد نجحت وارسل الوالي اعلاما بذلك للامير يوسف في كتاب ـ وقد اورد نص الكتاب ـ تضمن العفو عن الشيخ وتوليته ايالة صيدا بصفة مالكانة (١) على شرط ان يدفع الف كيس من بقايا الاموال المطلوبة من هذه الايالة عاجلا واربعمائة وخمسين كيسا سنويا ؛ ومما قاله في حوادث سنة ١١٨٨ هـ ـ ١٧٧٤ م انه حضر في هذه الايام قبوجي (٢) من الباب العالي (٣) يحمل فرمانا شريفا الى الشيخ ظاهر العمر بالعفو عنه وتوجيه ايالة صيدا اليه . واورد نصه الذي رأينا اثباته هنا كوثيقة تاريخية من وثائق حكم الشيخ :

قدوة الاماجد والاعيان الشيخ ظاهر العمر زيد قدره نعرفك بعد وصول امر همايوننا هذا يكون معلومك بانك من قديم الزمان من المتنعمين بنعم الدولة العلية . ومحقق صدق عبوديتك ببرهان الخدمات الصادقة . وكنت صاحب الشهرة والشأن بصدق النية وخلوص الطوية يشار اليك بالبنان . وكنت تؤدي الاموال الاميرية قبل كل انسان . وقط ما عرجت عن صدق الخدامة وطرق الاستقامة . الا منذ أزمنة قريبة الحدوث . ولكن في هذا الوقت وصل الى سدتنا الملوكية عرض حالك بواسطة دستور مكرم مشير مفخم ناظم نظام العالم منظم الامم مدبر الجمهور بالفكر الثاقب ومتمم مهمات الانام بالرأي الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد اركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الكرام مكمل ناموس السلاطين العظام المتحوف بعواطف الملك العلام الصدر الاعظم قوي الهمم ادام الله اجلاله . وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله . وكان مفهوم عرض حالك لسدتنا الملوكية بانك اذا حصلت على العفو عما جرى منك من الحركات الغير مستحسنة وصرت منظورا بنظر الرحمة وملحوظا بعين الشفقة تضع قلادة الطاعة في رقبة العبودية فبناء

---

(١) تعبير عربي فارسي يقصد به ان الولاية دائمة لصاحبها لا يعزل عنها

(٢) كلمة تركية معناها بواب وهي اصطلاح يطلق على رسول السلطان .

(٣) الباب العالي كان يطلق على قصر الوزارة العثمانية .

على شوايع اطاعتك وثبوت عبوديتك واتباعا لقوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله • واقتداء بالحديث النبوي من اقال نادما اقاله الله يوم القيامة • وحبذا هذا كونه من الشيم السلطانية والسجايا الملوكية بشرط ان تسلك من بعد الآن سلوك الطاعة والعبودية • ولا تنحرف عن منهج الاستقامة المرضية • ولو باقل الامور واصغرها • ولا تصرف وجهك عن تنظيم قطر الرعية وتحصيل الاموال الميرية سابقا ولاحقا • ومن كل الوجوه اصرف سعيك في تحصيل رضانا الكائن عنه النمو والسعادة • فعلى هذه الشروط المذكورة اجرينا قلم مضى ما مضى عن صفايح ذنوبك الي يومنا هذا كل شيء صدر منك ومن رفاقك ومن توابعك ولواحقك وعشايرك • فصاروا مشمولين بالعفو السلطاني فاشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون • واعدوا هذه الرحمة السلطانية من النعم العظيمة • وقدموا شكرا الى يوم القيامة • وان دمت على طاعة الاحكام الجليلة السلطانية قائما بالخدمة المرضية مظهرا حسن الصداقة والطوبة • فلا تشاهد من طرفنا السلطاني الا اللطف والعناية • وكن امين البال مطمئن الاحوال • وهمايوننا هذا اربطه على عضدك الايمن • ولاظهار انعطافنا نحوك ارسلنا هذا الخط الهمايوني صحبة افتخار الاماجد الكرام قبو جيلر كتخداسي احمد هاشم دام مجده • وليكن معلوما عند الجميع ان سلطتنا المخلدة البنيان المشيدة الاركان قائمة على اساس الرحمة • فان صدر بحسب البشرية اجرأ الذنوب من البيوت العتق واتبعوه بالتوبة والانابة وتعلقوا باذيال المغفرة فالعفو عنهم من خصائص اجدادنا الكرام • ونحن اقتداء بهم قد عفونا عن ذنوبك لكبر سنك وشيخوختك وشفقة منا على الرعايا والبرايا • فعليك رأي الله وأمانه ورأي الرسول ورأينا السعيد • فاحفظ همايوننا هذا قرط جوهر في عقلك واعتمد على علاماتنا السلطانية والحذر ثم الحذر من الخلاف • حرر في ذي القعدة سنة ١١٨٨ هـ •

وقد عقب المؤلف قائلا ان خاطر الشيخ اطمأن وناظره قر حين حضر الحظ الشريف وعزم على ايراد ما كان مكسورا عنده من اموال . وكان حكمه على عكا وصيدا وحيفا ويافا والرملة وجبل نابلس وبلاد اربد وبلاد صفد وكان جميع بني متوال تحت امره [1] ...

وقد ذكر الصباغ بعد خبر مصير حملة علي بك ان الشيخ كتب للاستانة يعتذر عن تأخره في ارسال المرتب عليه ويقول فيما يقول ان علي بك اوجب عليه مساعدته قهرا وانه لم يكن يقدر ان يدافعه أو يقاومه ، وانه ارسل المال عن سنة ١٧٧٢ م ووعد بتجهيز الباقي فقبلت الدولة عذره كالعادة وشددت عليه بسرعة ارسال المال الباقي [2] .

والمتبادر ان هذا كان بعد صدور العفو عنه الذي لم يذكره الصباغ او نتيجة له .

ثم ذكر ان محمدا بك ــ ابا الذهب ــ استصدر امرا بالتنكيل بالشيخ ظاهر وجهز حملة كبيرة برية وبحرية وقد استطاعت الحملة ان تستولي على غزة . وكانت يافا في حكم الشيخ وفيها نائب عنه فارسل اليها مددا ليمكنها من الصمود . ولكن ابا الذهب تمكن من دخولها عنوة وقتل معظم حاميتها وكثيرا من اهلها ثم زحف على عكا فترك الشيخ فيها قائده وذهب الى قلعة هونين للاجتماع بمشايخ المتاولة والتدبر معهم فيما يجب عمله ليدافعوا عن انفسهم وعن البلاد شر ابي الذهب بالمال او المهادنة او الحرب والقتال ــ وهذه عبارة المؤلف ــ وخرج اكثر اهل عكا الى الجبال وهرب اكثر النصارى الى لبنان خوفا من المصير الذي صار اليه اهل يافا . وقد حرض بعضهم ابا الذهب على النصارى وقالوا له انهم تجاوزوا حدودهم وانشأوا مزارا في الكرمل باسم النبي الياس وصاروا يقيمون فيه حجا سنويا فامر

---

(١) ص ٩٩ ــ ١٠٠ و ١٠٦ ــ ١٠٨ ج ٢ نسخة رستم .
(٢) ص ١٢٩ ــ ١٣٠

بهدمه رغم تحذير شيخ من مشايخ المسلمين له فلم يمس المساء حتى اصيب بالحمى والهذيان ثم ما لبث ان فارق الحياة . وكان ذلك سنة ١٧٧٥ م ــ ١١٨٩ هـ . ولما شاع موته اضطرب عسكره حتى كادوا يقتتلون [١] .

ولقد ذكر مؤلفا كتابي جبل عامل والغرر الحسان هذا بشيء من الخلاف . ومما جاء في سياق الاول ان الظاهر فر من عكا حينما جاء اليها ابو الذهب الى صيدا ثم الى صفد ثم الى عرب عنزة وان جميع مشايخ المتاولة ذهبوا الى غزة لاستقبال ابي الذهب بخيلهم ورجالهم بطلب من الشيخ ظاهر ثم جاء الشيخ ناصيف الى عكا للاجتماع به فاكرمه وكانت شفاعته لديه ماضية في كل ما يريد [٢] ، وان ابا الذهب امر بهدم صفد فهدمت وخافته البلدان القريبة والبعيدة ثم توجه الشيخ قبلان لمواجهته في عكا وبينما كان الناس في وجل عظيم منه اذا به صريع القدر ، حيث اختل ثم مات فجأة بعد اختلاله بساعات وكان يقول أثناء ذلك ردوا عني هذا المفترس [٣] . ومما جاء في سياق الثاني ــ مؤلف الغرر ــ ان ابا الذهب كتب للسلطان يشكو على الشيخ وطلب الاذن له بالايقاع به فاجيب توسله وصدر له فرمان سلطاني بذلك ــ ونسي السلطان العفو الرنان والامان الطنان الذي منحه للشيخ ــ وانه خيم في ظاهر عكا وارسل بعض اصحابه فاستولوا على صور وصيدا ومكث في منزلته المذكورة تسعة ايام وفي اليوم العاشر اعتراه البحران واتقدت به النيران وصار يصرخ ردوا عني ذلك الغضبان ولم يلبث ان مات . ثم قال وكان سبب موته انه بعد تملكه بلاد صفد هدم قلعة دير حنا وهدم دير مار الياس الكرمل وقتل رهبانه وشاع بين الناس ان

---

(١) ص ١٣٠ ــ ١٣٧ .

(٢) ذكرنا في سيرة زعماء المتاولة ما تبادر لنا بناء على بعض اقوال المؤلف ان مشايخ المتاولة ذهبوا للسعي في تهدئة ابي الذهب والوساطة بينه وبين الشيخ بطلب من الشيخ .

(٣) ج ٢ ص ١٣٧ ــ ١٤٠ .

سبب موته هو هدم مقام مار الياس . وقد فرح الناس بموته وارخوا ذلك شعرا ومنهم احمد البربير الذي قال :

لما دنا كل المنا والهم عن قلبي ذهب
والسعد اقل ظاهرا ارخت مات ابو الذهب

وان عسكره عاد الى مصر . وكان كريم الايوب الزيداني نائب الشيخ ظاهر في يافا والذي أسره ابو الذهب ما يزال اسيرا معهم فقتلوه في غزة ، وان الامير يوسف الشهابي دخله الخوف من مجيء ابي الذهب وساق اليه اربعة من الخيل الجياد مسومة بالحلى الفاخر مع كتاب تهنئة ومات ابو الذهب قبل وصولها وانه طرب لموته غاية الطرب [1] .

وقد عاد الظاهر الى عكا بعد موت ابي الذهب ورحيل عسكره وهنأه شاعر من المتاولة بقوله :

من كان امره لـلاله كلاه من كل عطب
فرجعت منصورا به من غير رمح ولا غضب
بالفرد ربك انني أرخت مات ابو الذهب [2]

وقال الصباغ ان الظاهر اهتم بوفاء المال المكسور عليه للدولة لكسب رضاء الدولة مع تحصين عكا فطلب من وزيره ابراهيم الصباغ تدبير المال فقال له ان خزنتي فارغة وان الحروب حطمت البلاد وان ابراهيم دبر المال عن سنتين من ماله مقابل ثلث مدخول البلاد . وارسل الظاهر المال مع شخص كان كاتبا للسلطان ومنفيا في عكا بعد ان استأذن الاستانة واذنت له بذلك وارسلت اليه فرمانا بالرضاء . وبعد سفر الكاتب بالمال جاءه خبر من عيونه يفيد ان الدولة قتلت الكاتب فادرك انه مأخوذ لا محالة فجعل دأبه تحصين عكا والاستعداد لما تأتي به الايام ، ثم جاءه خبر بان الدولة امرت حسن باشا قبطان البحر بالتوجه بالمراكب

---

(١) الفرد ح ٢ ص ١٠٨ - ١١١ نسخة رستم .
(٢) كتاب الصباغ ص ١٣٧ .

الى عكا وارسلت الاوامر لباشاوات البلاد بالتوجه برا الى عكا ، وان الظاهر حين وصول حسن باشا بمراكبه احضر اولاده ووزيره ومواليه ومشايخ المتاولة قبلان وناصيف وخلافهم وتشاور معهم فاتفقوا على بذل الجهود لاسترضاء الدولة وحسن باشا فان لم يتمكنوا من ذلك استسلموا للقضاء ودافعوا عن انفسهم يدا واحدة فاما ان ينتصروا واما ان يموتوا . ومع ان مراكب حسن باشا قصفت الابراج ومدافع الابراج ردت بالمثل فان ابراهيم كتب لحسن باشا كتابا يتذلل له ويتلطف معه ويعده بوفاء مال الدولة . ولم يقبل حسن باشا لانه غضب من مقابلة قصفه بمثله ولكن ابراهيم ارسل اليه كتابا ثانيا مع قاضي عكا يعتذر فيه ويفوض اليه الامر ويطلب رضاءه ويؤكد رغبة الطاعة والخضوع والوفاء فاجاب بالايجاب ولكنه قال ان امر السلطان يحتم عليه ان يطأ عكا وانه يعطي الحرية للشيخ وخاصة ولمن يريد اذا كانوا يخافون من دخوله عكا بالخروج منها الى حيث يريدون حتى يدخلها ويقبض مال السنتين ويعود منها ، ويغدو بعد ذلك محاميا عن الظاهر ومن يلوذ به عند الدولة [1] . واستشار الظاهر ذويه فاشاروا عليه بالرحيل من عكا مع عياله الى قلعة هونين عند قبلان شيخ المتاولة .

ومن عجيب ما ذكره الصباغ وهو يذكر ذلك ان عثمان ابن الظاهر

---

(١) يقول المؤلف ان جواب حسن باشا كان محفوظا عندهم وهو بالتركي وعليه علامته وختمه وقد قلبه بيديه مرارا (ص ١٤٧ ـ ١٤٨) وقد اورد الناشر ترجمة لرسالة قال انها رسالة حسن باشا الى الشيخ ظاهر ولم يذكر مصدره والرسالة جواب على طلب الشيخ ظاهر باعلامه عن سبب حضوره ويقول ان سببه لكي يستلم منه ميري البلاد عن سبع سنين مكسورة عنده وبعد ذلك يأخذ راسه ويستلم البلاد . ولكن بما انه يعرف رافة الدولة وشفقتها على رعاياها سيما على من يطيع اوامرها فان شئت تدفع لي المال المكسور وتسلمني عكا وتخرج الى مواضعك القديمة وانا من رجوعي الى الاستانة اعرض عن طاعتك وقبولك للاوامر السلطانية ويخرج فرمان بالعفو عنك عن كل ما سلف منك وترجع الى مدينتك وتكون صنت مالك وعرضك ورجالك وحفظت مقامك والا فانا حاضر للمحاربة . (ص ١٦٧) وبين هذا النص وبين ما ذكره المؤلف عن جواب حسن باشا فرق ظاهر ...

الذي كان في شفا عمرو كان يواصل مكاتيبه لحسن باشا محذرا من سماع أي قول لابيه كما كان يوعز للدنكزلي بعدم ضرب مراكب السلطان وبفتح بوابات عكا صباح اليوم التالي للعسكر السلطاني وان الدنكزلي فتح البوابات وقال لاهل عكا نحن لا نحارب السلطان فمن شاء الخروج فليخرج وان عثمان خشي من عودة ابيه الى عكا بعد رحيل حسن باشا فارسل الى الدنكزلي يحرضه على قتله ، فلما خرج الظاهر مع عياله وصار بعيدا عن عكا بنحو ربع ساعة تفقد محظية له فرجع بجواده حتى لقيها واراد ان يردفها وراءه فسقط عن فرسه فعاجله الدنكزلي الذي كان يترصده مع احد جنوده بطلقة من طبنجته فوقع يتخبط فجاء اليه وقطع رأسه ومضى به الى حسن باشا الذي كان نزل بعسكره من المراكب ودخل عكا يوم ١٦ آب سنة ١٧٧٥ م [١] .

ومما ذكره ان حسن باشا سأل الدنكزلي عن أصله وخدمته للظاهر وغضب من غدره وخيانته لمولاه فامر بعض رجاله فخنقوه ورموه في البحر [٢] .

ولقد ذكر مؤلفا جبل عامل والغرر قصة قدوم حسن باشا ونهاية الشيخ ظاهر بشيء من الخلاف . ومما جاء في سياق الاول ان حسن باشا ارسل كتابا من بحر يافا طالب فيه الشيخ بالاموال المكسورة عنيه واعطاه الامان مع بقاء الايالة كلها في يده وان الشيخ ظاهر عقد مجلسا للمداولة فاشار قائده الدنكزلي بالموافقة وكان ذلك من رأي الشيخ واشار امين المال بالحرب قائلا ليس عندنا مال وليس من جواب الا الخيل والرجال وان المجلس انفرط دون اتفاق وان الدنكزلي امر باقفال المدافع وارسل الى حسن باشا يستحثه على القدوم فجاء بمراكبه واخذ يقصف عكا واصدر الشيخ امره باطلاق المدافع فامتنع المغاربة فجزع حينئذ الشيخ وفر هاربا فرماه احد المغاربة برصاصة فخر قتيلا

---

(١) ص ١٤٣ ــ ١٤٩

(٢) ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

وان الجيش دخل بعد ذلك واستولى على الخزائن فوجد فيها اكثر من اربعين الف الف قرش من النقود عدا الحلى والسلاح والخيل والتحف والذخائر التي كان بينها دواة عزيز مصر قطعة واحدة من الزمرد وكان من الممكن ارضاء الدولة بمئة الف قرش (١) ... وسياق الغرر متطابق مع هذا السياق باختلاف يسير حيث جاء فيه ان الدنكزلي عرض على الظاهر توسطه مع حسن باشا وخوفه من الدولة فوافق وما زال يتلطف مع حسن باشا حتى قبل بان يحمل له مئة وخمسون الف قرش مع وعد بالحصول على رضاء السلطان وعفوه غير ان ابراهيم الصباغ مدبر امور الشيخ وهو رجل ذمي من اهل عكا ـ والعبارة للمؤلف الذي كان نصرانيا بدوره ! ـ ابي وانكر غاية الانكار وحسن للظاهر الحرب فمال هذا لرأيه . وكان اهل عكا قد خرجوا منها ولم يبق فيها الا الظاهر ورجاله ، واغتاظ الدنكزلي من الشيخ واضمر له الشر وامر رجاله بعدم القتال . ولما دارت الحرب تقاعد الدنكزلي عن القتال فانحلت عرى عزيمة الشيخ وحمل اهله وخرج من عكا فارا وتفقد جارية له فرجع لاحضارها فصادفه احد المغاربة من رجال الدنكزلي فاطلق عليه النار وقتله وثار المغاربة على غلمان الشيخ فاخذوا اسلابهم واموالهم وقبضوا عليهم وعلى مدبره ابراهيم الصباغ ثم احتزوا رأسه وانفذوه الى حسن باشا مع الصباغ والغلمان . ودخل بعد ذلك حسن باشا المدينة واقام الدنكزلي نائبا عليها ووضع يده على اموال الظاهر وموجوداته (٢) .

---

(١) تاريخ جبل عامل ج ٢ ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٢) هذا السياق من نسخة رستم ج ٢ ص ١١١ ـ ١١٣ وفي نسخة مغبغب ج ٢ ص ٨٢٦ زيادة مطابقة لما ذكره مؤلف جبل عامل ولعل هذه النسخة مصدرة حيث ذكر ان حسن باشا ضبط خزائن الشيخ التي تحت يد ابراهيم الصباغ فكانت تنوف عن اربعين الف الف قرش عدا الحلى والسلاح والخيل والتحف والبساتين والابنية والذخائر الثمينة مع دواة من الزمرد الاخضر كان يقال انها دواة النبي يوسف من زمن فرعون . وقد ذكر الامير حيدر في صفحة ١٧ انه عاد فقتل الدنكزلي وقيل انه خنقه لئلا يخبر بما اخذه من عكا من التحف والاموال شيئا وافرا جدا يجل عن العدد .

وسياق المؤلف يتهم ابراهيم الصباغ باغراء الظـاهر على الحرب ورفض دفع المال مع ما كان تحت اليد من اموال جسيمة كان جزء صغير منها يجزىء لدفع الكارثة ويذكر وساطة الدنكزلي في تسويـة الامر ونجاحه ورضاء حسن باشا عنه في حين ان سياق الصباغ يـذكر فراغ الخزينة وجهد ابراهيم الصباغ في تـدبير المال منـه قرضا وفي استعطاف حسن باشا مرة بعد مرة وقبول شروطه ، ويتهم عثمان بن الشيخ والدنكزلي ويجعلهما المسئولين عن الكارثة . ومع انه لا سبيل الى الجزم بصحة سياق دون سياق فان كون مؤلف تاريخ الشيخ ظاهر حفيدا لابراهيم الصباغ قد يسوغ القول ان سياقه قد يكون مشوبا بالرغبة في تبرئة جده مما لا بد ان يكون قد شاع وذاع عنه مما دونه مؤلف الغرر . ومن الجدير بالذكر ان مؤلف الغرر كان حيا في اواخر القرن الثامن عشر وبالتالي في أثناء حياة وعهد الشيخ في سنيه الاخـيرة على الاقل ، ومن المحتمل جدا ان يكون سمع كثيرا مما دونه من احداث القرن المذكور من معاصرين ومشاهدين وكان قريب العهد خاصة من احداث نصف القرن المذكور الثاني بل وقد يكون من شاهـدي كثير منها ، لانه توفي في سنة ١٨٣٥ [١] وعمره اكثر من خمسين سنة ممـا يسوغ القول ان روايته ليست اقل قيمة وصحة وقرب عهـد للاحداث من رواية مخائيل الصباغ مع تفوقها عليها بعدم شبهة العـاطفة والرغبة في تغيير الحقيقة لتبرئة ابراهيم الصباغ وهي الشبهة التي يمكن ان تتجه الى حفيده مخائيل المؤلف .

ولقد ذكر الحادث الخوري بريك في كتابه تاريخ الشام ١٧٢٠ - ١٧٨٢ وهو معاصر وشاهد عيان وسماع فقال فيما قاله حينما ذكر قدوم المراكب وطلب المال من الظاهر « وعلى القول انه من بخل كيخيته ابراهيم الصباغ وغروره بالدنيا وكبرياه هدم الله تشامخه واظهر العداوة

---

(١) اخبار الاعيان للشدياق ص ٦٢ اما كتابة الغرر فقد وقف فيه عند تاريخ ٢٥ تموز ١٧٢٧ م - ١٢٤٣ هـ .

على الدولة وفي الحال اطلقوا المدافع من المراكب على مدينة عكا وهرب منها ظاهر العمر واذ هو خارج من عكا ضربه احد المغاربة المعينين عنده رصاصة فرماه وقطع رأسه الخ ... [1] » حيث يتفق هذا مع جاء في كتابي الغرر وجبل عامل في التاريخ .

ولقد ذكر الحادث اسعد منصور مؤلف تاريخ الناصرة فقال ان ابراهيم الصباغ عارض وقال ومن اين لنا المال . وهب انا وجدنا المال هذه المرة فمن يكفل لنا ان لا يطالب منا مضاعفة بعد ايام ونصبح كل ما اتى باشا مضطرين الى استرضائه بالمال فليس عند الشيخ الا سيف يلمع ونار تسطع [2] .

ولقد استطرد الصباغ بعد ذكر قتل الظاهر وموته الى صفاته واخلاقه وقال انه كان حليما من جهة وشديد الانتقام من جهة ثانية كما وصفه الشويكي في هذا البيت :

ان حلمت لست تبقى لحليم او بطشت لست تبقى للسباع

وانه كان كريما محسنا للفقراء ، شديد الهيبة كثير الحياء شديدا على الفساد كارها للخمر ذا فطنة وفراسة وفارسا شجاعا لا يهاب الموت . وانه عمر ٨٦ عاما حيث ولد سنة ١٦٨٩ ومات سنة ١٧٧٥ م [3] .

ثم ذكر ان حسن باشا ترك اولاد الظاهر وشأنهم في قلاعهم محصنين اعزاء . فكان الاكبر فيهم في شفا عمرو . وكان له فيها قلعة شادها لنفسه [4] وكان يعد نفسه الآمر في جميع بلاد صفد بعد والده .

---

(١) ص ١٠٤ (٢) ص ٥٢ .

(٣) تاريخ الظاهر للصباغ ص ١٤٩ – ١٥٧ .

(٤) ذكرها مؤلف تاريخ الناصرة (ص ٥٣) وقال انه انشأها سنة ١١٨٢ هـ – ١٧٧١م وانه يوجد فوق العتبة العليا للبابكة الوسطى حجر عليه الابيات التالية :

قف على دار بهـا الحسنى تجلت وزيادة
دارة البـدر بهـا الليث استوى والعود عادة
شادها عثمان ذو الاحسان من اعطى السعادة
فانظر التاريخ سهلا هذه دار السعادة

وكان اخوه علي ينازعه وكان هذا مرشح ابيه ومحببا اكثر من عثمان لكرمه وبأسه وشجاعته وعقله وحزمه . وقد اخذ حسن باشا رأس الظاهر وامواله وابراهيم الصباغ الى الاستانة [1] . ثم رجع سنة ١٧٧٦ الى عكا لترتيب أمور البلاد وتوطيد طاعة السلطان فاراد عثمان التقرب اليه ليجعله مكان والده وكتب لاخوته بالحضور الى عكا والاستسلام لحسن باشا لاختيار واحد منهم ، وكان قصده الايقاع باخوته حتى ينفرد هو بالحكم ، وان اكثر اخوته انخدعوا عدا علي الذي ظل معتصما في قلعته في دير حنا . ولما قابل عثمان واخوته حسن باشا امر بانزالهم في المراكب واخذهم معه الى الاستانة ووسع عليهم الا عثمان فانه حبسه وضيق عليه لما عرفه من عقوق لوالده ، فنظم قصيدة[2] مدحه فيها وبرر ماكان

---

(١) ص ١٥٨ ذكر الامير حيدر ان حسن باشا قتل ابراهيم الصباغ حين وصل الى القسطنطينية لئلا يخبر عنه بما غنمه من الاموال والتحف ص ١١٧ ج ٢ نسخة رستم .

(٢) قال المؤلف انه وقف على القصيدة في مجموعة بخط مخائيل البحري وهي هذه : وهي هـــذه :

يــا وزير الحق يــا سيف الهـدى	انت قسط لم يـر جحـه محـال
مـن يكـن والـي عصـاة خـارج	وابي ضل فهل اقفو الضـلال
فرض الله علينـــا طـــاعـــة	لولـي امرنـــا فـي كـل حـال
ان رايــت ابنـي شـــق العصـا	حل حقـا ان اذيقنـه النكـال
لا تشمت بـي عـدائي بعـد مـا	نلت حملا ضـاق عنـه الاحتمال
بهوى السلطـــان اوديـت ابـي	جـالبـا فيـه على اهلي الوبال

واذا صحت القصيدة فيكون فيها اعتراف عجيب بالدور الذي لعبه ضد ابيه . والمؤلف قد اكثر من ذكر مواقف تمرده وازعاجه لابيه مما قد يكون فيه تعبير عما كان عليه عثمان من جنوح الى التمرد والازعاج . ويظهر ان عثمان كان شاعرا مشهورا فقد اورد له مؤلف الغرر قصيدة طويلة مطلعها :

كم غـــادر الشعـراء مـن مترنـم	وعرفت ربـع الـدار قبـل توهم

عدد ابياتها ٩٦ وهي جزلة فصيحة تدل على فحولة في الشعر وقد قال المؤلف انه حضر سنة ١١٨٠ الى الامير منصور واقام عنده مدة لانه كان غاضبا على ابيه وانه كان شاعرا فصيحا حسن الصورة طويل القامة وانشأ هذه القصيدة في شرح حاله وهي شبيهة بالمعلقة ج ٢ ص ٦٨ نسخة رستم .

منه نحو ابيه بواجبه نحو السلطان ولي الامر فاطلقه وترقى حتى صار وزيرا على بورصة وانقطعت اخباره واخبار اخوته معه . وقد ضيق حسن باشا على علي الحصار ففر من دير حنا الى صفد واعتصم في قلعتها فتبعه حسن باشا فحمل امتعته واولاده واهله وصار يتنقل كالعربان بين الجليل وفلسطين حتى اعيا امره حسن باشا فتركه وشأنه .

وكان الجزار قد تولى ايالة صيدا واتخذ عكا مركزا له فاعلن ان عليا خارج على السلطان ومتمرد وانذر كل من يساعده وعين قوة لمطاردته وكتب لوالي الشام بمطاردته من ناحية حتى امكن في النهاية الظفر به وقتله . والتحق اولاد علي باعمامهم في الاستانة ونبغوا ولم يعرف شيء مهم عنهم الا الشيخ فاضل الذي نبغ في التصوف . اما اولاد الشيخ ظاهر الذين بقوا في صفد فلم يعرف عنهم شيء الا عباس الذي اقام في الناصرة واليه تنسب سلالة الظاهر فيها . ولما جاء نابوليون وحاصر عكا في عهد الجزار رشحه لولاية عكا واتخذه عونا له . وعند هذا ينتهي كتاب الصباغ (١) .

وفي كتاب تاريخ شرق الاردن وقبائلها تأليف بيك الانكليزي وترجمة بهاء الدين طوقان خبر لم يذكره احد من المؤلفين وهو ان الشيخ ظاهر العمر ارسل حوالي عام ١٧٦٠ م الموافق لعام ١١٧٤ هـ جيشا بقيادة قائد اسمه قاسم السعيد الى البلقاء لغزو قبيلة العدوان التي كان لزعمائها السيادة والحكم في هذه البلاد آنذاك فانتصر عليها وألجأها الى الهرب الى جبال اللجون في منطقة الكرك واحتل قلعة السلط ، حيث يفيد هذا

---

(١) ص ١٥٨ – ١٦٣ ان ناشر الكتاب اورد بعد هذا نص كتاب والي الشام الى الامير يوسف الشهابي بالعفو عن الشيخ ظاهر ونص مرسوم السلطان في ذلك كما اورد نصوص رسائل شخصية عديدة ارسلها بعض النصارى في عكا وفي دير المخلص وفي غريفة الى بعض ذوي قرباهم فيها اشارات الى الاحداث الاخيرة من عهد الشيخ ظاهر ونقمة الدولة عليه وزحف ابي الذهب واعماله في البلاد وموته وقدوم حسن باشا باسطوله واعماله . وهي متطابقة اجمالا مع ما ذكره مخائيل الصباغ مع بعض تفصيلات جزئية اخرى لم نر فيها أشياء هامة فاكتفينا بهذا التنويه (ص ١٦٨ – ١٨١) .

ان الشيخ بعد ان غدا سيد فلسطين وبلاد بشارة رمى ببصره الى شرق الاردن لتوطيد سيادته عليه ايضا • وان لم يحقق قصده حيث ذكر المؤلف ان جماعة من العدوان كانت نازلة في شونـة نمرين في الغور رابطت بزعامة صالح العدوان لقافلة كانت تسير بين نابلس والسلط تحمل الذخائر والاسلحة الى جيش الشيخ ظاهر ونهبتها وزحف قـائد هذا الجيش عليه للتنكيل به فانكسر جيشه وكان هو من القتلى[1] •

ولقد احتوى كتاب تاريخ الناصرة للقس اسعد منصور نبـذة عن الشيخ ظاهر غير انها ليس فيها جديد أو زائد او مخالف لما اوردناه عن المصادر الاخرى فنكتفي بالاشارة الى ذلك •

اولاد الشيخ ظـاهر

— ٣ —

وفي تاريخ الامير حيدر ثم في كتاب جبل عامل في التاريخ شيء عن مصير اولاد الشيخ بعده رأينا من تمام الفائدة ايراده • وقـد جاء في الاول ان اولاده تفرقوا في كل دار فبحث عنهم حسن باشا فبلغه ان بعضهم مقيمون في بلاد الامير يوسف فكتب اليه بالقبض عليهم • فانكر وجودهم عنده غاية الانكار • وكانوا فعلا قد جاؤوا الى اطراف بلاده وطلبوا منه الاقامة فيها مختفين فابى ولم يأذن لهم فانصرفوا الى ديـار اخرى • وقد تلطف الامير مع حسن باشا وتعهد بدفع مئة الف قرش له من المال المكسور مع صلة خاصة له فرضي وانصرف [2] ، ثم جاء فيه في سياق غزوة نابوليون لفلسطين وحصاره لعكا ان نابوليون ارسل الى مشايخ البلاد القريبة منه فحضر اليه الشيخ عباس ابن ظاهر العمر

---

(١) ص ١٦٩

(١) ص ١١٤ – ١١٥ ج ٢ نسخة رستم

وعرض عليه احواله فرحب به واعطاه سلاحا وكسوة وعشرة اكياس وكتب له ان يكون متوليا بلاد ابيه [١] .

وقد جاء في كتاب جبل عامل ان اولاد الشيخ فروا بعد موت ابيهم لاجئين الى الشيخ ناصيف النصار فرحب بهم وان حسن باشا ارسل اليهم كتاب امان فحذرهم الشيخ ناصيف فلم يقبلوا ولما حضروا الى عكا امر حسن باشا فاوثقوا كتافا وهم عثمان وسعيد واحمد وصالح ثم قتل سعيد لانه نال الحكومة لغدرها بهم بعد الامان وارسل اخوته الثلاثة مع رأس ابيهم الى القسطنطينية ، وقد انعمت عليهم الدولة وجعلت عثمان وزيرا في جدة واحمد وزيرا على مدينة في بر الروم . اما علي فانه لم يأت معهم [٢] .

وطبيعي ان مسألة تولية الشيخ عباس من قبل نابوليون ظلت حبرا على ورق لان نابوليون ارتد عن عكا فعاد الجزار الى سيرته من الصولة والقسوة .

وهنا يقف المؤرخون من سيرة هذه الاسرة العربية التي كان الشيخ ظاهر نجمها الساطع بل من اسطع نجوم العرب في بلاد الشام في حقبة طويلة من القرن الثامن عشر تبلغ نحو ستين عاما وشمل حكمه واشرافه معظم البلاد الفلسطينية وجبل عامل وامتد الى صيدا شمالا واربد والبلقاء شرقا ، واندمج في حركة خطيرة لو قدر لها النجاح لكان عد من مؤسسي دولة جديدة كبرى تشمل بلاد الشام ومصر والجزيرة العربية . ولقد رمم كثيرا من القلاع كما أنشأ كثيرا من المنشآت التي لا تزال تحمل اسمه وذكراه في انحاء فلسطين الشمالية .

وما يزال في هذه الانحاء كما قلنا في مطلع الكلام اعقاب عشيرة الزيادنة التي ينتسب اليها كما ان في الناصرة بعض اعقاب ذريته يعرف الناس لهم وجاهتهم المستمدة من ذكرى جدهم العظيم ولمعانه .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٢

(٢) ج ٢ ص ١٤١ — ١٤٢ .

— ٢ —

بنو الحسين وبنو نافع في منطقة صفد

ان مخائيل الصباغ مؤلف تاريخ الشيخ عمر الظاهر ذكر هاتين الاسرتين في سياق سيرة الشيخ .

وقد وصف احمد الحسين بصفة صاحب قلعة جدين وقال ان اهل هذا البيت هم ولاة هذه القلعة ابا عن جد وان احمد كان يحكم جميع البلاد الجبلية التي حوله كالوبر وترشيحه وابي سنان والقاسي ودير حنا وسحماتا . كما وصف محمد نافع بانه كان صاحب الحكم والامر في قلعة صفد وان حكم هذه القلعة كان موطدا في اسرته التي كان حكمها يمتد الى القرى التي حولها ، وقد ذكر ابن عم له اسمه عبد الخالق الصالح فوصفه بأنه صاحب قلعة البعنة ومدبر امور نواحيها وكان هو وابن عمه وأسرتهما من قبل يلتزمون ضرائب نواحيهم ويجبونها ويؤدون ما عين عليهم من مال عنها [١] .

وواضح من هذا الوصف ان أسرتي بني الحسين وبني نافع كانتا من الاسر البارزة في مجال الحكم والسلطان في القرن الثاني عشر الهجري ممتدا الى ما قبله على الاغلب .

واذا كان ليس هناك مرجع نقتبس منه المزيد عنهما فان الوصف يسوغ سلكهما في عداد الارومات العربية على اقتضاب ما جاء عنهما أسوة بما فعلناه في صدد الاسر المماثلة .

---

(١) ص ٣٥ — ٣٩

– ٣ –

بنو مــاضي في منطقة حيفا
مصادر تاريخهم واوليتهم

– ١ –

وهذه أسرة كان لها كذلك بروز في مجال الحكم والزعامة الاقطاعية في فلسطين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين •

وهي من قبيلة الوحيدي احدى قبائل برية بئر السبع على ما جاء في حجة وقفية سجلها احد زعمائهم الشيخ مسعود الماضي في سنة ١٢٤٤هـ واطلعنا بعض ابناء الاسرة على نصها •

ولقد ورد ذكر بني الماضي وبعض زعمائهم في كتاب تاريخ الشيخ ظاهر العمر الذي الفه مخائيل الصباغ وفي كتاب تاريخ ولايه سليمان باشا والي عكا وصيدا الذي الفه المعلم ابراهيم عودة وفي الغرر الحسان وفي كتاب ابراهيم باشا في سورية لسليمان ابي عز الدين •

وقد لا تكون النتف الواردة في هذه الكتب شافية • غير أن مافيها يسوغ كتابة هذه النبذة عنهم وسلكهم في سلك غيرهم من الاسرالعربية التي برزت في فلسطين •

ولقد نعت مؤلف تاريخ الشيخ ظاهر – وهو معاصر – ابن ماضي بنعت شيخ مشايخ جبل نابلس وقال ان نفوذه في القرن الثامن عشر – الموافق للثاني عشر الهجري – كان يشمل نواحي الناصرة وقراها والمرج

ـ مرج ابن عامر ـ وحيفا والطنطورة [1] .

ومما ذكره هذا المؤلف ان الشيخ ظاهر العمر لما تمكن من مد حكمه الى الناصرة وصفد وعكا وحيفا والطيرة والطنطورة ثار اميرا جبل نابلس ابراهيم الجرار وابن ماضي فكتبا الى الشيخ رشيد الجبر امير الصقر وعرضوا عليه التحالف معهم ضده فوافق لان الشيخ ظاهر لم يعد يعبأ به برغم ما كان بينهما من تحالف قديم ، وان المشايخ الثلاثة اخذوا يجمعون حشودهم ويستعدون وان الشيخ ظاهر شعر بالحركة دون ان يكتشف اشتراك امير الصقر فيها فخرج بما جمعه من رجال الى المرج وجاء من اخبره باشتراك شيخ الصقر في الحركة فرتب رجاله ونصب كمائن للانقضاض من وراء الخصوم حين الاشتباك في المعركة ودارت الحرب فكتبت الغلبة فيها للشيخ ظاهر وانهزم خصومه وتمزقوا بعد ان قتل منهم عدد عظيم . وقد ارخ المؤرخ ذلك بسنة ١٧٣٥ م الموافقة لسنة ١١٤٨ هـ [2] .

ولقد ذكر بعد ذلك ان عرب الصقر في بلاد صفد كانوا يقطعون الطرق ويعتدون على الناس وينهبونهم ويروعونهم فكثرت الشكايات ضدهم الى محمد باشا والي صيدا فامر هذا ابن ماضي بتأديبهم فاوقع فيهم مرارا [3] .

ومحمد باشا هذا هو من الاسرة العظمية . وقد تولى ولاية صيدا اكثر من مرة على ما ذكرناه في سيرة بني العظم [4] واقدم مرة تولى فيها كانت سنة ١١٦٧ هـ وهذا يعني ان ابن ماضي لم ينته بضربة الشيخ ظاهر سنة ١١٤٨ هـ وانه استأنف نشاطه ومشيخته الاقطاعية بعد ذلك وكان معترفا بها لدى الولاة العثمانيين .

---

(١) ص ٢٥ (٢) ص ٥٠ ـ ٥٢ (٣) ص ٢٥

(٤) انظر تاريخ الامير حيدر ج ٢ ص ٥٩ و٦٤ و١٠٥ و١١٨ و١٢١ وسلك الدرر للمرادي ج ٢ ٤ ص ٩٧ ـ ١٠٣

— ٢ —

وما سجله المؤرخون لنشاط وزعامة هذه الاسرة الى ما بعد النصف الثاني من القرن الثاني عشر سجلوه باسم ابن ماضي دون ذكر اشخاص بعينهم على ما مر شرحه • وقد ذكروا بعد ذلك زعيما معينا منها هو الشيخ مسعود الذي يستفاد مما ذكروه انه كان من الشخصيات الاقطاعية اللامعة في فلسطين في اواخر القرن الثاني عشر ثم في القرن الثالث عشر • وقد نعته ابراهيم العودة مؤرخ تاريخ ولاية سليمان باشا بنعت ملتزم حيفا وساحل عتليت وقال عنه انه كان محبوبا جدا من علي باشا كتخدا سليمان باشا وكان يتخذه نديما ويستشيره في غالب القضايا ويعمل برأيه [1] •

وقد كان للوالي كاتب او محاسب يهودي اسمه المعلم حاييم كان مكروها من علي باشا فكان يكثر التزلف للوالي حتى ينال حمايته وحظوة لديه تقيه من آثار كراهية علي باشا له ، وكان بدوره يضمر الكراهية للشيخ مسعود لمكانته من علي باشا [2] ويغتنم كل فرصة لاحراجه وتحقيره وايغار صدر الوالي وغيظه عليه مما روي مؤلف هذا الكتاب صورا عنه •

من ذلك ان الشيخ مسعود اشترى محلات في عكا وباشر باقامة دار كبيرة عليها بدار الوزير ، وكانت مجاورة لدار حاييم فعمل على اثارة الوالي عليه باسلوب خبيث — لانه لم يكن ليجرأ على معارضته جهارا لانه مسلم وصاحب اقطاع ومحظي لدى علي باشا — (والكلام

(١) ص ١٤٥ و ١٥٨ •

(٢) ص ٢٢٨ — ٢٢٩ وكلمة كتخدا بمعنى الوكيل •

لابراهيم عودة المؤلف) حيث جعل الوالي يمر على العمارة ويندهش من منظرها ويسأل عن صاحبها ويغضب عليه ويشتمه لمحاولته التشبه بالوزراء ويتوعده ويأمر بهدم الطنف الذي أنشأه من أساسه [1] .

وقد قال المؤلف بعد ذلك ان مسعودا لحظ ان الحركة من حاييم ، وقد سأله عنها بعد ايام فاظهر له الاسف ولام الوالي على فعله وقال له انه لم يقدر على فعل شيء لانه رجل يهودي ...

ومما ذكره هذا المؤلف من اخبار الشيخ مسعود ومواقف حاييم منه ان الشيخ انتهز فرصة انفتحت فيها في مجلس علي باشا سيرة قسط كان رتب على الاهالي متأخرات ضرائب عهد الجزار . فاخذ يشتكي ويتظلم باسم الفلاحين ويقول ان اصله ظلم وان رفعه افضل من الحج للبيت الحرام ويقيم البراهين الموجبة لتحريك علي باشا للعمل على رفعه . وصار الحاضرون يساعدونه ويحركون غيرة علي باشا ويقربون ويبعدون حتى قنع وبذل جهده بدوره لاقناع الولي وحسّن له الكتابة للباب العالي . وقد نفر المعلم حاييم من ذلك وبذل جهده لاحباطه فاخفق وارسل الوالي اقتراحه بذلك الى الاستانة . غير ان هذه أصرت على بقاء القسط ثم ارسلت مندوبين للتحقيق واتسع الامر وتعاظم على الوالي ووكيله وطلبا من حاييم اقناع المندوبين بعدم قيام القسط على اساس حق واخذ حاييم يتبطر حتى جعلهما يتملقانه وحينئذ استطاع بلباقته وحذقه ان يقنع المندوبين ويحملهم على قبول الغاء القسط مما جعل الوالي وكتخداه يسران من حاييم كل السرور على ما شرحه المؤلف في سياق طويل [2] .

وقد علق المؤلف على تظلم الشيخ مسعود باسم الفلاحين من القسط بقوله انه لم يقصد بذلك الخير العام بل خير المقاطعة التي كانت في عهدته وهي ساحل عتليت . ولقد اعتاد المؤلف ان يعلق على اعمال

---

(1) ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

(2) ص ٢٣١ – ٢٤٨

واحداث الشيخ مسعود باسلوب فيه تجريح وتنديد على ما سوف يأتي امثلة اخرى له بحيث يجعل المرء يرى في هذا التعليق وامثاله ما ينطوي على بغض وهوى •

ويظهر ان حاييم اغتر بما كان منه من حذق وبما ناله من حظوة فصب كأس لؤمه على الشيخ مسعود تشفيا منه حيث ذكر المؤلف، بعد ذلك السياق ان مسعودا جاء الى الديوان يوما وكان فيه حاييم وبعض الجماعات دون الوالي والنائب فتعرض لقضية لا تخصه وصار يناقش صاحبها ويعارضه فنفر فيه حاييم واخذ يصرخ باعلى صوته عليه ويعيره بفلاحيته وحداثة نعمته ويوبخه توبيخا قاسيا وينعته بافظع النعوت ثم يطرده بشراسة وعنف • فخرج مسعود كسيرا ذليلا واخبر علي باشا بما كان فنصحه هذا بالتغيب في ساحل عتليت فترة ما [١] •

ومما ذكره المؤلف من اخبار الشيخ مسعود ان وجاهته وميل علي باشا اليه جعلا الفلاحين يعظمونه ويفخمونه وصاروا يلقبون ابنه عيسى بلقب البيك ، وان سليمان باشا لما بلغه ذلك اغتاظ وارسل الى الشيخ مسعود ينذره بقطع رأسه اذا سمع احدا يدعو ابنه بهذا اللقب [٢] •

وقد علق المؤلف على ذلك ان الشيخ مسعود خاف وبدأ يجتهد بابطال هذا اللقب من فم الفلاحين وبجعل الناس لا تعرف الواقع فتلاشى لقب البيكاوية عنه ورجع اسمه القديم الشيخ عيسى وكان ذلك عنده

---

(١) ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠ نذكر بهذه المناسبة انه ورد في ملحق الغرر (ص ٨٦١) ان عبدالله باشا والي عكا قتل حاييم اليهودي بدون ذنب سنة ١٢٤٧ هـ • ولقد كان لمسعود الماضي عند عبد الله باشا الذي هو ابن علي باشا ما كان له عند ابيه على ما سوف نذكره بعد • ونرجح ان مسعودا ظل يحمل حقده وهمه الى ان حانت له الفرصة فاغتنمها وجعل عبد الله باشا يقتل حاييم وبذلك انتقم لكرامته الجريحة • وان كان جاء متأخرا وكان الاولى بالرجولة ان يبادره في الحال ...

(٢) ص ٢٥١

اعظم من فقد حياته . ثم قال ان الشيخ مسعود لم يكن مكروها من حاييم فقط بل من سليمان باشا ودائرته ومن اهل علي باشا ايضا [1] ، حيث ينطوي في هذا تفسير لاسلوب التجريح والتنديد الذي يورد المؤلف ما يورده عن مسعود وامارة علي انه هو نفسه من جملة المبغضين له . والراجح ان حاشية سليمان باشا أو حاييم بالذات هو الذي ابلغ سليمان باشا قصة اللقب واثار غضبه على الشيخ مسعود وابنه . وقد يكون في كل هذا دلالة على ان الشيخ مسعود كان يشغل حيزا مهما في الولاية مستمدا من عطف علي باشا ومحبته فاثار حسد حاشية الوالي وغيرتهم .

ومما ذكره المؤلف عن الشيخ مسعود ان الوالي امره بتحضير الذخائر اللازمة من شعير ولحم وحطب وتبن وخبز وغير ذلك في المنازل الواقعة بين حيفا وام خالد حينما اعتزم سنة ١٢٣٤ هـ السفر الى يافا لازالة ما كان فيها من فساد واضطراب ، وانه قدم في المراحل الاولى المطلوب بزيادة عظيمة عن الحاجة . غير ان الموظف المشرف على التموين حينما طلب الشعير في مرحلة ام خالد قدم له شعير قديم فطلب جديدا فقيل له لا يوجد فاستدعى الشيخ مسعودا فاجابه باسلوب فج وعتاوة نفس بانه لا يوجد شعير جديد دون ان ينتبه الى ما كان من كراهية الوزير وحاشيته له . واغتنمت الحاشية الموقف فقالت للوزير ان مسعودا قدم شعيرا قديما معفنا ولما طلبنا احسن نفر فينا وطردنا فثار غضب سليمان باشا واستدعاه واخذ يوبخه توبيخا شديدا قاسيا وينعته باقبح النعوت ويتوعده بأسوأ العواقب حتى اضطر الى الالتجاء للمعلم حنا البحري ــ وهذا من كتاب تاريخ الولاية ايضا ــ الذي بذل جهده حتى روق خاطر الباشا عليه [2] .

وليس في هذا الكتاب عن مسعود الماضي وأسرته غير ما تقدم ايجازه .

---

(١) ص ٢٥١ ــ ٢٥٢

(٢) ص ٤٢٠ ــ ٤٢٤ .

ولقد ذكر الشيخ مسعود مرارا في تاريخ الامير حيدر • من ذلك في حوادث سنة ١٢٣٦ هـ ــ ١٨٢٠ م في مناسبة النزاع الناشب بين الامير بشير ووالي عكا وصيدا عبد الله باشا ونزوح الامير من لبنان الى حوران، وقد جاء في سياق ذلك ان زمرة اليزبكيين الذين كانوا مناوئين للامير حينما تحققوا من الخلاف بين الامير والوالي اغتنموا الفرصة فساروا الى عكا ونزلوا في بيت الشيخ مسعود الماضي الذي كان له قبول وكلمة عند عبد الله باشا ، وقد سعى فاستصدر لهم من الوالي اوامر تطييب وتطمين وجعل الوالي يقابلهم ويعين لهم خرجا وافرا [١] • وفي الخبر ما يفيد قوة وجاهة ومكانة الشيخ مسعود كما هو المتبادر • وعبد الله باشا هذا هو ابن علي باشا كتخدا سليمان باشا • فالظاهر ان ما كان للشيخ مسعود من محبة ومكانة عند علي باشا صارتا له عند الابن امتدادا لعهد الابن •

ومن ذلك في حوادث السنة نفسها خبر وساطة الشيخ مسعود بين الامير بشير والوالي • وقد ساق المؤلف ذلك في سياق طويل ، حيث شرح ما كان من صفحات الوساطة ونجاحها في اعادة الصفاء بين الوالي والامير ثم في عودة الامير الى الحكم بعد تخليه عنه ونزوحه الى الشام • وقد اورد المؤلف نصوص كتب الوالي التطييبية والتطمينية للامير ومشايخ الجبل والامراء وذكر ان الشيخ مسعود والامير بشير تبادلا الرسائل بسبيل هذه الوساطة الى ان تكللت بالنجاح [٢] •

وفي هذا ما فيه كذلك من توكيد مكانة ووجاهة الشيخ مسعود •

ولقد ذكر سليمان ابو عز الدين في كتابه ابراهيم باشا في سورية الشيخ مسعود مرتين • وصفه في الاولى بانه كان حاكما او متسلما لغزة قبيل قدوم الحملة المصرية وفي سياق شرح حالة البلاد السورية حينما زحفت هذه الحملة • وقد عزا ذلك الى كاتب افرنسي دوّن في

---

(١) ج ٢ ص ٦٥٧ نسخة رستم •   (٢) ص ٦١٥ ــ ٦٨٢ •

رحلة له مشاهداته ومسموعاته عن احوال البلاد . وقد ذكر الكاتب على ما اورده ابو عزالدين ان قاضي غزة قال له ان حاكمنا مسعود الماضي كرمال الصحراء دائم الظمأ . تتسرب ثروة البلاد الى خزائنه كما تتسرب مياه الانهار الى البحار ، وانه كالمطرقة الثقيلة على رأس الغزيين ولا يهمه من امر الشعب سوى نهب امواله (١) . حيث يفيد هذا ان الشيخ مسعود استطاع نتيجة لما كان له من حظوة عند عبد الله باشا ان يظفر بمتسلمية غزة في عهده الذي امتد الى قدوم الحملة المصرية .

اما المرة الثانية التي ذكره مؤلف الكتاب فيها فهي في سياق خبر وسير ثورة فلسطين من نيسان الى ايلول سنة ١٨٣٤ هـ حيث ذكر ان الشيخ مسعود الماضي وابنه كانا من جملة من قبض عليهم ابراهيم باشا وقتلهم (٢) . مما يدل على انهما كانا اندمجا في حركة التمرد على ابرهايم باشا ولو لم يذكر المؤلف لهما موقفا معينا .

ولقد روى لنا صديقنا المرحوم معين الماضي ان بني الماضي قادوا في منطقتهم حركة الثورة ضد ابراهيم باشا وانه وقعت في اجزم بينهم وبين جيش ابراهيم باشا معركة شديدة وان احد اجداده سليمان هو الذي حرض على الثورة ، وان ابراهيم باشا قتل الشيخ مسعودا وابنه والقى القبض على عبد الرحيم وسعد الدين وعبد الملك وغيرهم من ابناء الاسرة ، وان سليمان ومحمدا الماضي اختفوا في الطنطورة ثم استطاعوا ان يهربوا بطريق البحر الى الاستانة وان السلطان محمود قابلهم وانعم عليهم بلقب البيكوية وعين لهم آيدين محل اقامة في ضيافة الحكومة وانهم عادوا الى البلاد مع الجيش العثماني وان الحكومة عينت محمد بك متسلما على اجزم حينما تم جلاء الحملة المصرية . وكانت حيفا تابعة لحكمه . ومما رواه لنا ان عيسى ابن الشيخ مسعود صار متسلما في صفد وان ياسين اخا مسعود هو الذي كان متسلما

---

(١) ص ٦٩ (٢) ص ١٧٦ .

في غزة ، وان جد الاسرة هو نصر الله وهذا خلف مسعودا ويــاسين وصالحا وسعد الدين وعمرو • ومنهم تفرعت الاسرة التي اصبحت تعد بالمئــات •

وقد اطلعنا على صورة وقفية للشيخ مسعود مؤرخة في سنــة ١٢٤٤ هـ ومصدقة من قاضي عكا • وقد نعت فيها الشيخ مسعود بعمدة الاعيان الفخام وقدوة الاماجد العظام نخبة بهجة الزمان شريف النسب كريم الحسب الشيخ مسعود الماضي ابن المرحوم الشيخ نصر الله ابن المرحوم الشيخ سلبمان الهرماسي شعبا الوحيدي قبيلة ، وقد وقفت فيها دور عديدة في عكا واراض كثيرة في قرى اجزام وقلنسوة وذنابة على المنشآت الدينية •

ولقد ظل ابناء هذه الاسرة بعد زوال الحكم الاقطاعي يحتفظون باعتبارهم ووجاهتهم كأسرة اقطاعية كبيرة • وكانت قرية اجزم مركز تجمعهم وفيها دورهم الاقطاعية واملاكهم بالاضافة الى قرى عديدة اخرى مثل المزار وقمبازة وجبع والطنطورة كانوا متوزعين فيها ولهم فيها املاك واراض • وقد اشتركوا في نطاق ذلك الاعتبار في مختلف احداث البلاد التي وقعت في حقبة المئة سنة التي اعقبت ذلك الحكم في زمن الدولة العثمانية وبعدها • وقــد نزح المئات منهم بعد نكبة فلسطين واغتصاب اليهود لبلادهم بمساعدة بغاة المستعمرين الى بــلاد الشام والعراق وبقي قسم منهم في اجزم والقرى الاخرى •

الارومات العربية في شرق الاردن

تمهيد :

في كتاب تاريخ شرق الاردن وقبائلها الذي ألفه بيك الانكليزي ونقله الى العربية بهاء الدين طوقان [1] نبذ كثيرة عن نشاط الارومات العربية في مجال الحكم والسلطان في هذه البلاد . منها ما استند المؤلف فيه الى مصادر عربية واجنبية ومنها ما استند فيه الى الروايات المتداولة ودراساته ومسموعاته الشخصية .

ومعظم هذه النبذ بل وجميعها يدور حول هذا النشاط في عهد الحكم العثماني . ويتبادر لنا ان هذا ناتج عن عدم التسجيل أو عدم وصول المسجلات الى اليد اكثر منه عن عدم النشاط والبروز على مانبهنا على ذلك في صدد فلسطين .

فهذه البلاد كانت منذ أقدم الازمنة مباءة الموجات العربية ومجال حركاتها ونشاطها . وطبيعتها الجغرافية والاجتماعية تحتم ان يكون شيوخها وزعماؤها هم اصحاب اليد المباشرة فيها قياسا على ما حكته النبذ عن الحالة عن عهد الحكم العثماني وما سجلته الروايات والوقائع عن البلاد المشابهة لهذه البلاد .

ولقد سار المؤلف في عرض ما سجله على اساس المناطق . ونحن نتابعه في عرضه كما يلي .

---

(١) الترجمة العربية لهذا الكتاب طبعت سنة ١٩٣٤ م ومع ان الكتاب جزاءن فان صحفهما ظلت متسلسلة كأنها صحف كتاب واحد .

١ ــ في منطقة الكرك

قال المؤلف فيما قاله [1] في صدد الحكم العثماني في شرق الاردن انه لا يعرف الا القليل من تاريخ شرق الاردن في الفترة التي اعقبت سقوط دولة المماليك ــ مماليك الشركس كما هو المتبادر ــ وان الحكومة العثمانية اهتمت بالدرجة الاولى بتأمين طريق الحج وصيانته ولم تحاول تأسيس حكومة الا في الكرك والشوبك حيث اقامت بعض الحاميات والموظفين لارهاب القبائل وجباية الضرائب • وقد كان وجود الدولة عسكريا واداريا ضعيفا مع ذلك حتى ان قبيلة العطورة احدى قبائل الشوبك انقضت بمؤازرة قبيلة القديرات من قبائل برية بير السبع على الحامية التركية القليلة الموجودة في قلعة الشوبك وقتلت اكثرها واستولت على القلعة ثم عهدت بحمايتها الى بعض افراد من أسرتي الحلي والصوالحة المعانيتين •

وقد ذكر المؤلف في ما ذكره ان السلطات العثمانية جرت على اغداق الاموال بكثرة على القبائل البدوية في طريق الحج واخذت تعهد لكل شيخ من شيوخها بحفظ الامن والادارة في منطقته ، مما أدى الى استتاب الامن ردحا من الزمن في هذه الناحية • وفي سنة ١٧٥٤ م ــ الموافقة لسنة ١١٨٢ هـ ــ رفض علي باشا والي الشام الذي كان على رأس موكب الحج اعطاء القبائل مخصصاتهم فاعتصبو في السنة التالية على منع مرور المحمل ما لم يأخذوا المتقدم والمتأخر من استحقاقهم فخضع لهم الباشا ودفع ولكنه صمم على الايقاع بشيوخهم فدعاهم في سنة ١٧٥٦ الى الشام وهناك اعتقلهم وقطع رؤوسهم وارسلها الى الاستانة مما أثار ثائرة القبائل وجعلها تصمم على الانتقام بدلا من الخوف وفي سنة ١٧٥٩ م انقضت على ركب الحج وقتلت حاميته وسلبته وشردته حتى لقد بلغ عدد من هلك من الحجاج قتلا وجوعا وعطشا عشرين ألفا •••

---

(١) انظر ص ١٦١ ــ ١٦٥

وجاء بعد ذلك الى ذكر الارومة المجالية فقال [1] اولا انه كان في الكرك في منتصف القرن السابع عشر فريقان او ارومتان يتنازعان سيادتها احدهما ما يعرف بالامامية وثانيتهما زعماء قبيلة العمرو التي تنتسب قبيلتهم الى جد اسمه عقبة من قبيلة حرب الحجازية [2] جاء الى الكرك في أوائل الفتح الاسلامي وتوطنها ، وان الارومة المجالية التي تنتمي الى تميم الداري نزحت في هذا الظرف من الخليل بقيادة زعيم لها اسمه جلال بن شديد الى الكرك ، وان حفيده سالما تحالف مع العمرو ضد الامامية فتمكن بذلك العمرو من القضاء على خصومهم وتشريدهم من الكرك والانفراد في السيادة . ومنذئذ نشب التنافس بين العمرو والارومة المجالية على سيادة الكرك ، وصار زعماء هذه الارومة يترقبون الفرص الى ان واتتهم في عهد زعامة زعيم آخر اسمه سالم جاء بعد ثلاثة زعماء قبله ، حيث تحالف هذا مع بني صخر وبني حميدة والحجايا وهاجموا بجموعهم العمرو وهزموهم هزيمة منكرة تشتت بعدها شملهم وآلت سيادة الكرك الى الارومة المجالية نتيجة لذلك مع اغضائها عن اتاوة فرضها بنو صخر لقاء تحالفهم معها على بعض عشائر الكرك الاسلامية والمسيحية ، وعن استيلاء بني حميدة على الارض الممتدة من الكرك الى وادي الموجب ، والحجايا على وادي الحسا .

وفي سنة ١٨٠٤ م اثار يوسف الذي كان زعيم المجالي والذي وصفه المؤلف بالحنكة والدراية بقية العمرو واهل الكرك على بني

(١) ص ١٧١ – ١٧٧ .

(٢) ان المؤلف يروي ايضا عن القلقشندي في نهاية الارب ان العمرو من آل تميم من غزية القحطانيين انظر ذيل الصحيفة ١٧٢ .

حسيدة فاغاروا عليهم واجلوهم عن ما في ايديهم من الاراضي التي سارع يوسف الى وضع يده عليها ، ثم اخذ خلفاؤه يشتبكون مع بني صخر تارة ومع الحجايا تارة الى ان رفعوا ايديهم عن الكرك ووادي الحسا وغدوا في عهد محمد حفيد يوسف سادة المنطقة بلا منازع .

على انهم لم يستريحوا ولم يريحوا حيث ظلوا يشتبكون في منازعات ومصاولات مع قبائل المنطقة بسبيل احتفاظهم بسيادتهم عليها . وتعاقبت حركات الوهابيين والحملة المصرية والحكم العثماني بعد جلائها والحال على هذا المنوال .

ومما ذكره المؤلف من احداث هذه الحقبة الحرب الاهلية الطاحنة التي تمخضت بها البلاد في عهد زعامة صالح بن محمد المجالي والتي كان فيها المجاليون متحالفين مع بطني الفائز والحامد من بني صخر وبني عطية وبطن العليين من الحجايا والسلايطة ومعان الشامية والشوبك ضد الحويطات والمناعين من الحجايا والترابين والطفيلة ووادي موسى ومعان الحجازية وقد استمرت امدا وتكررت وقائعها وقتل فيها مصلح اخو صالح ثم تصالحت الجبهتان .

غير ان المجاليين لم يلبثوا ان تنازعوا مع بني صخر وتحالفوا مع الرولة بزعامة سطام بن شعلان ضدهم مما جعل بني صخر يستنجدون بالحكومة العثمانية التي تدخلت ووطدت الامن ثم فرضت سلطانها وأنشأت متصرفية في الكرك عام ١٨٩٢ هـ وعينت لها متصرفا تركيا واضطرت خليلا المجالي الذي كان صاحب الحكم في الكرك الى التخلي له عنه .

على ان الارومة المجالية لم تتوار . بل ظلت تفرض زعامتها في المنطقة . وقد لعب احدهم قدر المجالي دورا قويا في سنة ١٩١٠ م حينما ثارت المنطقة لكثرة الضرائب والتجنيد وجمع السلاح حيث اتحدت صفوف القبائل جميعها تحت لوائه وتعاهدت على الانقضاض

على الحكومة والقضاء عليها وعدم تمكينها من تنفيذ القوانين الجديدة، غير ان قوات الحكومة التي تجمعت وزحفت من كل ناحية تمكنت من التغلب على هذه الحركة وقمعها . وقد فر قدر ثم اعلن خضوعه فعفت الدولة عنه . ثم دعاه والي الشام فلبى الدعوة وهناك لقى حتفه وقيل ان الوالي دس له السم في القهوة للخلاص منه .

ولم يذكر المؤلف مواقف اخرى معينة لهذه الارومة بعد ذلك، ولقد وصفها في مكان آخر من كتابه [1] بانها اكبرعشائر الكرك واقواها، والوصف هو لحالتها التي كانت عليها حين كتابته كتابه . والواقع المعروف انها ما زالت تحتفظ بمظاهر وجاهتها وزعامتها في منطقة الكرك بل في شرق الاردن وان رجالها يستمدون من ذلك في نشاطهم المتنوع الذي كثيرا ما اوصلهم وما يزال الى مراكز حكومية وانتخابية هامة بعد الحكم العثماني .

(١) ص ٣٤٨ – ٣٤٩

٢ ـ في منطقة عجلون

قال مؤلف تاريخ شرق الاردن وقبائلها [١] انه كان في عجلون شعب زراعي ماهر وانه حينما سقطت حكومة المماليك ولم يبق سلطة تحميهم من غارات البدو أوجدوا دويلات صغيرة تعرف بالنواحي وجعلوا كل واحدة منها تحت سيطرة رئيس قوي الشكيمة من واجبه صد غارات البدو والدفاع عن كيان المنطقة ، وان هذه النواحي ما تزال قائمة الى الان يعمل رؤساؤها لصالح رعاياهم ويتوسطون بين الاهلين والسلطات ، وانه لم يكن من المحتم ان تنتقل الزعامة فيها من الاب الى الابن بل يختار لها الاصلح غير انها تبقى في الاسرة صاحبة الزعامة في الناحية ، وان اشهرها اليوم بنو جمة وزعماؤها البطانية والسرو وزعماؤها الروسان والوسطية وزعماؤها العزام وبنو عبيد وزعماؤها النصيرات والكورة وزعماؤها الشريدة والكفارات وزعماؤها العبيدات والرمتا وزعماؤها الزعبية وجبل عجلون وزعماؤها الفريحات [٢] .

وكلام المؤلف الاخير وان كان ينطوي على وصف الحالة التي كان عليها الامر في ظرف كتابته كتابه فان روحه وسياقه يفيد ان هذه الحالة هي امتداد للحالة التي كانت قبل تنظيمات الدولة العثمانية في أواخر القرن الثالثعشر الهجري ، ومعنى هذا ان نواحي منطقة عجلون العديدة كانت تحت حكم شيوخها من الارومات العربية خلال الحكم العثماني وان لم يكن هناك ما يساعد على بيان أوفى . وليس ما يمنع ان يكون هذا هو ايضا ما كان عليه الامر قبل هذا الحكم ، بل هذا هو الارجح قياسا على ما عرف من امر الانحاء الشامية المماثلة في جغرافيتها وحياتها الاجتماعية .

---

(١) ص ١٦٥

(٢) سمع مؤلف هذا الكتاب من جده وقد عمر حتى جاوز التسعين من عمره ان اسرة دروزة من الفريحات .

ومما ذكره المؤلف في صدد هذه الارومات [1] ان عدد البطاينة زعماء ناحية بني جهمه يبلغ ثلاثة آلاف نسمة وان جدهم قدم من قرية عرمان من جبل الدروز منذ مئتين وخمسين سنة ، وان الزعامة في ناحية بني عبيد كانت لعشيرة كبيرة تعرف بالخصاونة ــ تحريفا عن الغسانية لان اصلها من دير غسانة في جبل القدس ــ وتنسب الى جعفر الصادق فغلبهم عليها النعيرات الذين ينتسبون الى قبيلة الرولة ، وان الفريحات زعماء ناحية جبل عجلون هي اكبر حمايل الناحية واقواها وتنتسب الى قبيلة اللهيب اليمنية وهي قديمة السكنى في هذه الناحية وان أحد زعمائها يوسف البركات الذي استولى على ارض كفر نجة ــ وكفر نجة مركز الناحية ــ استطاع في اواخر القرن الثاني عشر ان يحصل على امر من والي الشام بتعيينه شيخا لمشايخ جميع جبل عجلون فاثار بذلك حسد عشيرة الشريدة فانبرت لمنازعته وقتله بعض رجالها غير ان الاسرة ظلت تحتفظ بالزعامة حيث خلف يوسف اخوه كائد وخلف كائدا اخوه بركات ، وتحالف الفريحات مع العدوان فعززوا بذلك مركزهم وزعامتهم، وان الزعبية زعماء ناحية الرمثا هم أقوى واكبر حمولة في هذه الناحية ويدعون النسبة الى عبد القادر الكيلاني وهم متوزعون في انحاء عديدة من الاردن وفلسطين وحوران ، وكانت بينهم وبين بني صخر والسرحان وبني خالد مصاولات مديدة استمرت الى سنة ١٩٢١ م . وان الروسان زعماء ناحية السرو كانوا يعرفون سابقا باسم الخزاعلة ويمتون بالصلة الى خزاعلة العراق ثم تسموا باسمهم اقتباسا من أسم احد زعمائهم أو من الفرع الذي ينتسبون اليه في القبيلة ، وان العبيدات زعماء ناحية الكفارات اكبر حمولة في هذه الناحية وينتسبون الى قبيلة بني ابراهيم الحجازية ، وان الشريدة زعماء ناحية الكورة امنع واقوى عشائر منطقة عجلون ويدعون النسبة الى بني مخزوم وقد كانت الزعامة في هذه الناحية لعشيرتين هما الرشدان والمهيدي فصاهر جد

---

(١) ص ٢٧١ ــ ٣٤١

الشريدة حماد الامير المهيدي ثم استطاع ان يحل محله في زعامة ناحيته ، ثم تصاول مع عشيرة الرشدان حتى تمكن من اخراجها من الكورة بعد قتل معظم رجالها فاستتبت له زعامة جميع الناحية ، وكان بين زعماء هذه العشيرة وزعماء عشيرة الفريحات صيال ونزاع غير ان كلاً منهما استطاع ان يحتفظ بزعامته في ناحيته ، وان العزام زعماء ناحية الوسطية ينتسبون الى عزازمة جبل الدروز الذين بينهم وبين عزازمة بير السبع صلة قربى والذين جميعهم ينتسبون الى قبيلة الشرارات من بني كلب القحطانيين ، وانهم اكبر واقوى عشائر الناحية •

ومما قاله المؤلف [1] ان شرق الاردن اصبح بعد جلاء الحملة المصرية بلا حكومة وانتشر قطاع الطرق والعصابات في شتى الانحاء فاصبحت حياة المتحضرين محفوفة بالاخطار واخذ عربان السعيدي خاصة يثقلون على مناطق عجلون مما جعل الاهلين يراجعون الحكومة العثمانية التي استجابت فارسلت جيشا ضربت عربان السعيدي ضربة قاصمة ثم أنشأت في جبل عجلون حكومة على رأسها قائممقام تابع لمتصرف نابلس وذلك عام ١٨٥١ هـ فكان ذلك بدء خضوع هذا الجبل لسلطة العثمانيين وتنظيمهم الاداري الحديث مع استمرار زعامات نواحيه المحلية التي استمرت الى اليوم •

(١) ص ١٨١ •

٣ ـ امـارة بني قنصو في عجلون

هناك ارومة عربية كان لها الحكم في عجلون في القرن الحـادي عشر الهجري يقينا وقبل ذلك احتمالا لم يذكرها مؤلف تاريخ شـرق الاردن وقبائلها . وانما ذكرها الامير حيدر الشهابي واسكندر المعلوف على هامش سيرة الامير فخر الـدين المعني الثاني وهـي اماره بني قنصو .

وقنصو اسم احد ملوك دولة الشراكسة . وكان العرب يقتبسون اسماء ملوك الترك والشركس المشهورين اسماء لابنائهم على ما مر امثلة عديدة منه .

واخبار هذه الامارة أوفى في تاريخ الامير حيدر . ولذلك سوف يكون معولنا عليه في الدرجة الاولى .

والمستفاد من سياق الامير حيدر انهم من قبيلة الغزاوية احـدى قبائل شرق الاردن وغوربيسان . وشيوخها يتلقبون بلقب الامـارة على ما ادركناه حيث عرفنا شيخها بشير الذي كان يتلقب بذلك اللقب . ولعل ذلك من آثار عهد هذه الامارة . وقد وصف اسكندر المعلوف[١] اميرها الشيخ حمدان بوصف الغزاوي الساعدي امير عجلون ممـا فيه توكيد لذلك .

واول مرة ذكر الامير حيدر فيها هذه الارومة كانت في حوادث سنة ١٠٢١ هـ حيث ذكر اسم الامير حمدان بن قنصو بصفته حـاكم سنجق عجلون . ومما ذكره في سياق ذلك ان الصدر الاعظم نصوح باشا الذي جاء الى حلب في السنة المذكورة عزل حمدان بن قنصو عن

---

(١) تاريخ الامير فخر الدين الثاني ص ٧٠ ـ ٧٢ .

سنجقية عجلون بتحريض والي الشام حافظ احمد لانه كان من حلفاء الامير فخر الدين الثاني الذي كان بينه وبين الوالي جفاء ونضال • وفي الخبر ان الصدر عزل كذلك بتحريض الوالي الشيخ عمر شيخ المفارجة عن مشيخة حوران لانــه حليف المعني وعــين للمشيخة خصمه الشيخ رشيد شيخ السردية وان الامير المعني لما علم بذلك تحقق من رداءة نية الدولة ضده (١) •

والخبر يفيد ان حاكمية الامير حمدان سابقة بامد ما على هــذا التاريخ • وليس هناك ما يمنع ان تكون امتدادا لحاكمية اسلافه بل هذا ما نرجحه وان لم يكن في يدنا ما يثبته او مــا يزيــد بيــانــا عن ذلك •

وقد يفيد الخبر ان هذه الحاكمية وظيفة حكومية • غير ان المتبادر ان الامير حمدان واسلافه من قبل لم يكونوا ليوظفوا بهذه الوظيفة لو لم يكن لهم من عصبيتهم ومركزهم في المنطقة سند •

ثم ذكره الامير حيدر في حوادث سنة ١٠٢٢ هـ (٢) في سيــاق خبر مهاجمة الامير حمدان والشيخ عمر شيخ المفارجة على رأس عربهما لعرب السردية في حوران ونهبهم لمواشيهم حيث يفيد هذا ان حمدان وعمر انما فعلا ذلك تحديا للوالي وانتقاما لنفسيهما كما يدل على ماكان لهما من عصبية وقوة • ومما جاء في السياق ان الامير فخر الدين المعني ركب برجاله الى القنيطرة واشتبك في نفس الوقت مع عسكر والــي الشام وعرب السردية وفروخ بك الذي حل محل حمدان بن قنصو في سنجقية عجلون وهزمهم ، وان الامير حمدان لم يلبث ان عــاد الى منصبــه •

---

(١) ج ١ ص ٦٢٧ نسخة مغبغب •

(٢) ص ٦٢٨ •

ولقد اثار هذا التحدي والي الشام على ما جاء في سياق آخر للامير حيدر الشهابي فشكى الامير المعني للاستانة فجاءت الحملة الكبيرة التي زحفت على لبنان وضايقت الامير واضطرته الى مغادرة البلاد الى ايطالية على ما شرحناه في سيرة بني معن في الجزء الاول . ونتيجة لذلك غادر الامير حمدان حاكمية عجلون وذهب مع جمع من عربه الى خارج المنطقة [١] .

وفي سنة ١٠٢٥ هـ عزل حافظ احمد عن ولاية الشام وعين لها محمد شركس صديق الامير المعني ، فعاد الامير حمدان لمنصبه نتيجة لمساعي الامير يونس والامير علي المعنيين اللذين كانا ينوبان عن الامير فخر الدين . غير ان حمدان بوغت في طريق عودته الى عجلون من قبل خصومه ليلا وهو مخيم في احد المنازل فضربوه واثخنوه فلم يلبث ان مات فتولى الحكم ابنه الامير احمد [٢] .

ولما عاد الامير المعني من اوروبا سنة ١٠٢٨ هـ جاء الامير احمد للسلام عليه وجدد عهد التحالف والموادة على ما كان عليه ابوه قبله [٣].

وفي سنة ١٠٢٨ هـ عزل والي الشام الامير احمد فجاء الى الامير المعني ملتمسا مساعدته فطيب خاطره واستطاع بعد قليل استصدار الامر باعادته الى منصبه [٤] . غير ان عما للامير اسمه بشير برز لمنازعة ابن اخيه الحكم ــ وفي هذا دليل على ان الارومة كانت صاحبة الحكم المستند الى ما قبل هذه السنين في عجلون ــ وسافر الى الاستانة مع فروخ بك الذي كان ولاه الوالي سنجقية عجلون حينما عزل حمدان ثم حينما عزل احمد للمرة الاولى ، وهناك بذل جهوده حتى استطاع استصدار امر سلطاني بتولية بشير مقابل تعهد هذا بانشاء قلعة في عجلون . وكان ذلك في سنة ١٠٣٠ هـ . ولما عاد من الاستانة وابرز الامر

---

(١) انظر الامير حيدر ج ١ ص ٦٢٨ ــ ٦٤٤

(٢) ص ٦٤٥ ــ ٦٤٧ (٣) ص ٦٥٩ (٤) ص ٦٦٥ ــ ٦٦٦

ساعده الوالي على تسلم المنصب وطرد ابن اخيه • وجاء هذا الوالي الى الامير فخر الدين ثانية ملتمسا المساعدة فنصحه بالتريث لان وظيفة عمه جاءت من السلطان رأسا فرجع على غير رضى وجاء بعياله وبعض عربه ومواشيه الى جنين ونزل عند الامير احمد الحارثي امير اللجون [1] •

ولم يدع بشير ابن اخيه يستريح حيث طارده في منزله الجديد وباغته واستولى على جملة من مواشيه • فعظم ذلك على الامير الحارثي وارسل ابنه الى الامير فخر الدين بكتاب يستنصره فيه على بشير • وحينئذ جد الامير المعني مع والي الشام وقدم له التقدمات المغرية وجعله يوافق على عودة الامير احمد • وحينئذ ركب الامير فخر الدين على رأس بعض قواته ومعه الامير احمد بن قنصو ورجال فخر الدين على رأس بعض قواته ومعه الامير احمد بن قنصو ورجاله والامير الحارثي ورجاله الى عجلون فطردوا الامير بشير واستلم الامير احمد المنصب [2] •

وفي أثناء ما كان الامير بشير يمارس الحكم في عجلون ارسل الامير المعني معتمدا له الى الاستانة فتمكن من استصدار امر بسنجقية عجلون لابنه حسين الذي كان في السادسة من عمره • ورجع المعتمد يحمل الامر بعد اعادة والي الشام احمد للسنجقية ببضعة اشهر فخرج الامير المعني الى جسر المجامع وجاء الامير احمد لاستقباله فأبرز له امر سنجقية عجلون لابنه فاجابه بالسمع والطاعة وكلفه الامير المعني بان يكون نائبا عن ابنه فابى وخرج مع جماعة من رجاله من عجلون الى حوران • واغتنم بشير الفرصة فجاء الى عجلون وتعصب له بنو عبيد وباغتوا النائب الذي اقامه الامير المعني عن ابنه وحصروه مع رجاله ولم يفكوا الحصار الا على شرط الخروج من البلاد • وحينئذ استولى

---

(١) ص ٦٦٨ – ٦٦٩ •

(٢) ص ٦٧٧ – ٦٧٨

الامير بشير على الحكم • وتمكن من الحصول على تثبيت من الوالي مصطفى باشا • وارسل الامير المعني معتمده الى الاستانة ثانية فاستصدر امرا جديدا بتثبيت السنجقية لحسين ابنه ولكن الوالي لم ينفذه مما أدى الى تفاقم الخلاف بينه وبين الامير المعني ثم الى القتال في عين جر على ما شرحناه في سيرة بني معن • ومع ما كان من الامير المعني تجاه الامير احمد فان هذا ظل وفيا له وكان معه أثناء خلافه وقتاله مع الوالي •

وكان الامير بشير يناضل في هذه الاثناء في سبيل الاستيلاء على عجلون • واغتنم فرصة انشغال الامير المعني بامور لبنان وابن سيفا خصمه اللدود فزحف على عجلون وحاصر حاميتها في القلعة وضيق عليها حتى اضطرت الى اخذ الامان منه على شرط الجلاء • ولما استولى على عجلون ارسل الى الامير المعني يطلب منه المصالحة ويبدي استعداده ليكون في حكم عجلون بمثابة نائب عن ابنه • وبعد اخذ ورد ومفاوضات ووساطات وافق الامير المعني على ذلك • وكان هذا عام ١٠٣٤ هـ [1] •

ولم يعد الامير حيدر يذكر الامارة لا فيما تبقى من سيرة الامير فخر الدين المعني الى أن أسره احمد الكوشوك وارسله الى الاستانة خيث قتل ولا بعده • ولم نعثر في غير مصدر على شيء من سيرة هذه الارومة فلا مناص من الوقوف في ذلك عند هذا الحد مع احتمال ان يكون حكمها امتد امدا ما بعد سنة ١٠٣٤ هـ •

---

(١) ص ٧١٤

٤ ـ في منطقة البلقاء والارومة العدوانية

يقول مؤلف تاريخ شرق الاردن [1] ان منطقة البلقاء اصبحت منذ زوال حكومة المماليك تحكم حكما عشائريا [2] • واول من بسط حكمه عليها العجارمة الذين ينتسبون الى جد لهم اسمه نوفل العجرمي جاء من العلاء ـ ولا يذكر المؤلف تاريخ قدومه ـ ونمت ذريته وقويت حتى بسطت حكمها على البلاد ردحا من الزمن • ثم نافستها قبيلة المهداوية التي تنتسب الى جذام من قحطان [3] ـ ولا يذكر المؤلف كيفية وسنة طروئها ايضا ـ وانتزعت الحكم منها • ثم جاء بعدها دور العدوان الذين يحكي المؤلف ـ وكلامه مبني على الروايات التي تختلط عادة بالغث والسمين والخيال ـ انهم ذرية جد اسمه عدوان جاء ابوه فايز حوالي سنة ١٦٤٠ م الموافقة لسنة (١٠٥٠ هـ) الى البلقاء ونزل على عشائر كندة النازلة بجوار جبل السامك وتزوج ببنت شيخها فولدت له ولدا سماه عدوانا ! [4] •

---

(١) ص ٦٦ ـ ١٧١ •

(٢) نحن نرجح ان هذا كان كذلك في زمن حكومة المماليك وان لم تمدنا المصادر بشيء منه على ما ذكرناه في التمهيد .

(٣) ص ٢٤٠

(٤) ص ١٦٦ يروي المؤلف هذا هنا ويذكر في مكان آخر حينما يذكر قبيلة العدوان وفروعها (ص ٢٦٨) نقلا عن اعلام الزركلي ان عدوانا الذي له اسم آخر هو الحارث احد اولاد عمرو بن قيس من قيس علان وان منازل بنيه كانت بالطائف ومنها تفرقوا كما يذكر ان القلقشندي في بلوغ الارب يذكر ذلك ويزيد عليه ان العدوان والضفير وغيرهم كانوا من القبائل التي كانت تحت امرة عرب الفضل من عرب الشام وان الحمداني قال انهم من عرب برية الحجاز ! ورواية نمو القبيلة من عدوان بن فائز في البلقاء متهافتة فيما يبدو ونرجح ان العدوان قبيلة أو فرع من قبيلة من القبائل التي جاءت الى البلقاء ولا مانع ان تكون حجازية الاصل ....

ويستمر المؤلف في روايته فيقول ان عدوانا تزوج ببنت احد شيوخ قبيلة المهداوية التي كانت اذ ذاك في أوج سيطرتها فولد له ابن اسمه حمدان صار بطلا مقداما وفارسا مغوارا فالتف حوله عدد من الفرسان المتبرمين من زعيم المهداوية جودة واعلنوا انشقاقهم عليه فنشب صراع دام مديد بينه وبينهم ثم بين ابنائهم من بعدهم وانتهى بغلبة ابناء عدوان وانصارهم وتشرد المهداوية واحتلال بني عدوان اراضيهم وغدوهم اصحاب السيادة في المنطقة .

ومهما يكن من الرواية وما شابها من خيال فلا يمنع ان يكون فيها شيء من الحقيقة وهو ان قبيلة العدوان نافست قبيلة المهداوية وغلبتها على منازلها وعلى حكم المنطقة التي كان لها كما هو المتبادر .

ومما ذكره المؤلف من سيرة العدوان ان الشيخ ظاهر العمر ارسل قوة حوالي عام ١٧٦٠ م ــ ١١٧٤ هـ لغزو العدوان الذين كانت زعامتهم لدياب بن كايد فتمكنت من الانتصار عليه وتشريده مع عشائره واحتلال قلعة السلط . غير ان اخا لدياب اسمه صالح كان منفصلا عن اخيه ونازلا في شونة نمرين ــ في الغور ــ خرج على رأس رجاله على قافلة للشيخ ظاهر ونهبها وبادرت قوات الشيخ الى الزحف عليه فاشتبك معها وكسرها وقتل قائدها واصبح زعيم البلقاء بدون منازع . ونمي الخبر الى دياب الذي كان نزح الى منطقة الكرك فجاء لاستعادة زعامته فابى صالح التخلي له فاشتبك معه فانغلب فاستنجد بحكومة الشام فامدته بجيش زحف به على السلط فتحصن صالح بالقلعة فهاجمه اهل البلد وقتلوه لانه كان يسومهم العذاب فعادت السيادة فاستتبت لدياب . غير ان اهل البلاد لم يلبثو ان ثاروا عليه ايضا فقتلوه وشردوا رجاله . وقد استطاع الشيخ نمر بن حمدان العدوان بعد قليل ان يجمع شمل قبيلته وان يزحف على رأسها ويفرض سيادته عودا على بدء حيث غدا سيد البلاد مدة عشرين سنة ثم تنازل عن الحكم لحمود بن صالح .

ولقد ذكر صالحا المذكور المرادي في سلك الدرر [١] في سياق ترجمة محمد باشا العظم والي الشام فقال انه هلك على يده جملة من الخوارج منهم صالح العدواني من بغاة المشايخ ، وذكر الخوري بريك في كتاب تاريخ الشام [٢] ان ابن عدوان تمرد على والي الشام سنة ١٧٨٠ م ــ ١١٩٣ هـ فركب عليه محمد باشا العظم وانتصر عليه وقطع رأسه واستسلمت قلعة السلط له ، حيث يبدو من هذا الخبر ــ والمؤلفان معاصران للاحداث ــ ان اهل السلط استنجدوا على صالح بوالي الشام ، وان حكم او زعامة البلقاء كانت خاضعة لاشراف ولاة الشام .

ونعود الى مؤلف تاريخ شرق الاردن فنقول ان مما ذكره انه في أثناء ما كان العدوان والمهداوية تتصاولان على الحكم والزعامة في البلقاء في اواخر القرن السابع عشر او اوائل الثامن عشر ظهرت في الافق قبيلة بني صخر التي تدعي النسبة الى قبيلة حرب الحجازية [٣] واستقرت بعد تطواف ومصاولات في البلقاء واخذت تقوى الى ان طمحت الى الزعامة في المنطقة . وقد حاولت انتزاع الزعامة من العدوان بعد تنازل نمر عنها فنشب بينها وبين العدوان حرب انغلبت في وقعتها الاولى وغلبت في الثانية فالجأت العدوان الى الجلاء عن البلقاء الى منطقة عجلون وفرضت زعامتها في البلقاء . على ان هذه الزعامة لم تستتب لها حيث تصدت لها قبيلة عباد بمؤازرة اهل السلط فازاحتها عن الزعامة ووطدتها لنفسها .

ولقد أغارت هذه القبيلة بعد ان استتبت لها الزعامة في البلقاء على حوران فنهبت مقدارا عظيما من غنمها فاستنجد اهل حوران بدياب

---

(١) ج ٤ ص ٩٧ ــ ١٠٣ (٢) ص ٩٩ ــ ١١٣

(٣) ص ٢١٤ قال المؤلف هذا عزوا الى زعيم بني صخر ثم قال ان الحمداني ذكر في نهاية الارب انهم ابناء حرب بن علة من قحطان ــ وحرب الحجازية عدنانية ــ وان القلقشندي قال في بلوغ الارب انهم بطن من جذام من قطان (انظر الصفحة نفسها) .

ابن حمود شيخ العدوان فاشار عليهم بتوسيط اهل السلط وتوسط هؤلاء ولكن قبيلة عباد لم تعبأ بوساطتهم فاحنقهم وحينئذ اغتنم شيخ العدوان الفرصة فعقد حلفا بينه وبينهم ودخل في الحلف بنو حسن ، ثم اغار الحلفاء بقواتهم على عباد فهزموها وألجأوها الى النزوح الى بيسان واسترد العدوان زعامتهم نتيجة لذلك •

وأساء العدوان تصرفهم مرة اخرى في الناس فتحالف عليهم قبائل عباد والبشاتوة والصقر والغور واهل السلط وكسروهم واضطروهم الى الالتجاء الى اعدائهم بني صخر الذين كانوا اذ ذاك في سهول مادبا والاحتماء بهم •

ولما جاء ابراهيم باشا الى البلقاء في اعقاب زعماء ثورة فلسطين حاول العدوان وبنو صخر الوقوف في وجهه غير انه تغلب عليهم وكسرهم وأسر دياب العدوان وارسله الى حمص حيث بقي في سجنها الى ان جلت حملة مصر عن بلاد الشام •

ولما عاد الحكم العثماني وحاولت الدولة تنظيم الادارة في منطقة البلقاء عارضها بدوها وفي مقدمتهم الشيخ قبلان العدوان الذي آلت اليه زعامة العدوان حيث كان يطمح الى اعادة مجد قبيلته الغابر • غير ان محاولته لم تجد حيث مضت الدولة في توطيد سلطانها وارهاب الاهلين ونجحت في ذلك •

وفي اواخر القرن التاسع عشر كانت زعامة العدوان لعلي بن دياب وكانت البلقاء تابعة لمتصرفية نابلس فجاء متصرفها هولو باشا الى السلط لجباية الاموال فتظاهر العدوان امامه بسلاحهم احتفاء في الظاهر وارهابا في الحقيقة ــ كما يقول المؤلف ــ حتى خاف المتصرف فعلا وعاد بدون جباية • وقد ادرك القصد فعزم على الانتقام • فدعا عليا وشيوخ القبيلة الى نابلس وحلف لهم على الامان فلبوا الدعوة واحتفى بهم حفاوة كبيرة ثم دعاهم ثانية فانساهم كرم الضيافة الاولى طلب اليمين على الامان فلما وصلوا لم يقابلوا بالحفاوة التي قوبلوا بها

في المرة الاولى وارسل المتصرف قسما منهم الى قرى نابلس وقبض على علي ومن معه بينما كانوا نائمين وارسلهم اسرى الى عكا ، حيث قضوا سنتين في سجنها ثم اطلق سراحهم . وكان ذلك عام ١٨٨٢ م .

وقد حاول علي بعد عودته الانتقاض على الحكومة فاخفق لان قبيلتي عباد والكايد انشقتا عليه فلم ير بدا من الشخوص الى دمشق وتقديم خضوعه للوالي .

ولم يذكر المؤلف بعد ذلك نشاطا للعدوان الى ان زال الحكم العثماني وقامت امارة شرق الاردن برئاسة الامير عبد الله حيث ذكر ان احد بطون العدوان وقسما كبيرا من عربان البلقاء ثاروا في سنة ١٩٢٣ م بزعامة سلطان باشا زعيم العدوان على حكم الامير . غير ان هذه الحركة قمعت بمساعدة القوة الجوية الانكليزية ففر سلطان الى جبل الدروز لاجئا حيث اقام بضعة اشهر ثم عفي عنه فعاد الى قبيلته . ووقف المؤلف في حكاية نشاط العدوان عند هذا الحد .

ولقد ذكر مؤلف جبل نابلس العدوان في سياق الحرب الاهلية التي نشبت بين صفي اليمن وقيس في جبل نابلس في الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الهجري ، ومما قاله عنهم [1] انهم كانوا من صف القيسية وان زعماء الصف القيسي في جبل نابلس استنجدوا بالعدوان حينما استنجد زعماء الصف اليمني بعرب الصقر وغيرهم من البدو الذين كانوا يتحزبون مع نعرتهم ، وان العدوان بقيادة سلطان البلقاء الامير علي دياب كما يسميه المؤلف وبما انضم اليهم من حلفائه من بني صخر والفريحات جاؤوا الى فلسطين واشتبكوا مع جماعات الصف القيسي بالقتال ضد الصف اليمني ، وان الدائرة في اول الامر دارت على الصف القيسي ثم تغير الموقف نتيجة لقتل الشيخ رباح العيد عقيد الصقر من قبل احد عبيد الامير علي فتمكن القيسيون من الغلبة

---

(١) ص ٢٩١ – ٢٩٢

على خصومهم وهزيمتهم وتشريدهم • وجمع الصقر مع ذلك شملهم واحتشدوا في مكان اسمه الشرار فتوجه الامير علي الدياب نحوهم واشتبك معهم وكسرهم ونهب مواشيهم وشرد نساءهم ثم سار نحو يافا فنهب عرب ابـي كشك ونهب كـل من صادفه من الصف اليمني ومن الجملة قرى البرقاوي •

٥ ـ في منطقة معان والعقبة

لقد ذكر مؤلف تاريخ شرق الاردن في النبذة التي عقدها على قبيلة الحويطات (١) شيئا من نشاط هذه القبيلة وما كان لها من نفوذ وسطوة على القبائل الضاربة في هذه المنطقة سواء منها المستقرة أو الرحالة بقيادة زعمائهم ابن نجاد ثم ابن جازي ثم ابن ابي تايه في القرون الثلاثة الاخيرة• غير ان هذا النشاط قد كان في النطاق القبيلي البدوي فرأينا ان نترك الكلام عنه الى فصل القبائل •

---

(١) ص ٢٢٨ ـ ٢٣٣

حركة القبائل العربية

وحالتها الحاضرة في بلاد الشام

(سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين)

تمهيد وبيان مصادر هذا البحث

قلنا في التمهيد لفصل الامارات العربية في بلاد الشام وجزيرة الفرات ان هذه البلاد كانت مباءة تموج عربي قبيلي مستمر أثناء حقبة التغلب التركي فضلا عن ما كان من مثل ذلك قبل هذه الحقبة ممتدا الى الفتح الاسلامي وما قبله ، وان ذلك كان من اسباب احتفاظ العروبة بحيويتها ونشاطها وطابعها وصمودها للزحف التركي بل وتغلبها عليه وطبعه بطابعها .

ولقد كتب الاستاذ وصفي زكريا كتابا في جزئين بعنوان عشائر الشام [١] احتوى اسماء القبائل العربية التي تنتشر اليوم في كل ناحية من انحاء سورية ومنازلها وفروعها ووصف حالتها وما كان لها من نشاط واحداث في النطاق القبيلي منها ما هو عائد لمختلف ادوار الحقبة ومنها ما يمثل الحالة الحاضرة وهذا غير ما اندمج في حياة المدن والريف وغدا جزءا اساسيا من اهلهما وضاعت أصوله القبيلية او لم يبق منها الا اثارة مما هو كثير جدا .

وقد استند مؤلف الكتاب الى مصادر قديمة وحديثة وعربية وافرنجية بالاضافة الى دراساته ومشاهداته الشخصية وسماعه من احياء معمرين بالنسبة للحالة الحاضرة والغابرة القريبة . مما يجعلنا نكتفي بالتعويل عليه في نطاق ما تناله أي عشائر سورية الحاضرة التي تشتمل

---

(١) نعتقد ان استعمال لفظ عشيرة وعشائر غير دقيق في مقام القبيلة والقبائل لان العشيرة تطلق على الوحدة الخاصة التي ينتسب اليها الفرد وهي بمعنى الحمولة في حين ان المقصود من كلمة عشيرة وعشائر في كتاب الاستاذ زكريا هو القبيلة .

على بلاد الشام الوسطى والشمالية والجزيرة الفراتية ، ثم العشائر العربية في اراضي لبنان التي ذكرها المؤلف ايضا .

وقد كتب الانكليزي بيك باشا كتابا في تاريخ شرق الاردن وقبائلها نقله الى العربية بهاء الدين طوقان احتوى بدوره اسماء قبائل وعشائر هذه المنطقة وتتفا من تاريخها وحالتها الحاضرة . وكتب عارف العارف كتابا في تاريخ بير السبع احتوى كذلك اسماء قبائل هذه المنطقة وتتفا من تاريخها وحالتها الحاضرة وكل من المؤلفين استند بدوره الى مراجع عديدة قديمة وحديثة ثم الى دراساته ومسموعاته ومشاهداته الشخصية وسيكون على كتابيهما معولنا في قبائل وعشائر هاتين المنطقتين الشاميتين ايضا .

ومن الجدير بالذكر والتنبيه ان الذي يدرس انتشار القبائل العربية وحركاتها وتطوراتها في براري البلاد العربية ومرن جملتها بلاد الشام موضوع هذا الفصل يرى صورا طريفة هي من دون شك طبق الاصل لما كان يجري منذ آلاف السنين حيث نجد من هذه القبائل التي جاءت من جزيرة العرب في دور العروبة الصريحة امتدادا لما كان من مجيء امثالها في دور العروبة غير الصريحة ما يزال محتفظا ببداوته العريقة يعيش على الابل والكلأ وينتجع النجعة البعيدة الموغلة في البادية حسب المواسم ومنها ما اخذ يتطور فيعيش على الماشية وتكون نجعته غير موغلة ومنها ما صار تطوره اوسع فاخذ يشتغل بالزراعة مع تربية الماشية ويعيش مع ذلك في بيوت الشعر ، ومنها ما أخذ يعيش في موسم الشتاء في بيوت الطين والحجر وفي الصيف في بيوت الشعر والقصب ومنها ما اتخذ القرى وبيوت الحجر له مسكنا ، ومنها ما صار ذا معيشتين ان صح التعبير فيعيش بدويا في البادية وحضريا في الريف والمدينة ، ومنها ما يمتد تاريخ انسياحه الى مئات السنين ومنها ما طرأ في الحقب الاخيرة ، ومنها ما زاحم غيره في منازله فطرده عنها او شاركه فيها ومنها ما ينتمي الى

قبائل كبيرة ما يزال بعضها في جزيرة العرب ومنها ما يتصل نسبه بعشائر معروفة قديمة سكنت البلاد قبل الفتح او في القرون الاولى التالية له ، ومنها ما كان اول انسياحه من اليمن الى نجد الى العراق الى الشام ، ومنها ما انفصل عن بعض فحل فريق منه في بلاد الشام وآخر في العراق ، وبقيت منه بقية في نجد او الحجاز ، ومنها شراذم لا يعرف لها تاريخ تضامت الى بعضها فكونت حلفا واسما خاصا أو انضمت الى قبائل قوية كبيرة فغدت منها بطريق الولاء والاندماج ، ومنها ما انفصل عن بعضه حتى غدا مستقل الشخصية ، ومنها ما لا يزال بين فروعه الصلات الوثيقة مع التفرق في المنازل . هذا الى ما يزال مرعيا لدى الجميع من عادات وتقاليد قبلية شخصية واجتماعية وحربية وقضائية ومعيشية وادبية تجعل لحياتهم لونا خاصا .

ولقد صنف الاستاذ زكريا اسماء القبائل وفروعها حسب منازلها المتوزعة على محافظات سورية واقضيتها وسنتابعه بدورنا في ذلك [1].

---

(١) طبع الجزء الاول من كتاب عشائر الشام في سنة ١٣٦٣ هـ ـ ١٩٤٥ م والثاني في سنة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م واسماء القبائل ومنازلها في الجزء الثاني . وبطبيعة الحال ان ما سوف ننقله عنهما خاصة من اسماء ومنازل ومعايش انما يمثل الحالة قبيل طبع الكتاب.

قبائل سورية ولبنان

١ ــ عشائر محافظة دمشق

آ ــ قضاء دومــا

عشيرة الروالة :

هي أجل عشائر محافظة دمشق • ومخيم رئاستها الكبير في فصل الصيف في قرية عدرا الواقعة في منتهى قضاء دوما • وهـــذه القبيلة احدى فروع قبيلة عنزة الكبرى من اعظم القبائل العدنانية بل العربيـــة عددا وأعلاها شأنا وأكثرها انتشارا • وينسبها النسابون الى عنز بن وائل بن جديله بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان • ومواطنها الاصلية بين اواسط نجد وشمال الحجاز • واليها تنتسب بيوتـــات آل السعود وآل الصباح وآل خليفة الحاكمة في المملكة السعودية والكويت والبحرين • وهذه الفروع ترجـع الى جذمين كبيرين همـــا ضنأ [١] مسلم وضنأ بشر • وضنأ مسلم بطنان هما الجلاس والوهب • وعشيرة الرولة من بطن الجلاس •

ولقد اخذت القبائل العنزية تفد على بلاد الشام منذ اوائل القرن الحادي عشر • غير ان قبيلة الروالة كانت أخراها وفادة • وقد نزل القادمون لاول مرة في الجوف ونازعوا قبيلة السرحان فيه واضطروها الى النزوح عنه • ثم اخذوا ينتشرون في انحاء الشام ويصطدمون ببعض القبائل القديمة فيغلبون تارة ويغلبون اخرى حتى استقروا • وكان مكان

---

(١) ضنأ بمعنى نسل .

نزول واستقرار الروالة منطقة دوما الشام .

وتعد الروالة اكبر قبائل عنزة عددا واعظمها قوة واوسعها نفوذا كما انها احفظ القبائل للتقاليد البدوية واعرقها في القشافة واشدها تعلقا بالاباعر والقفار واكثرها توغلا في النجعة . ولعل ذلك بسبب حداثة قدومها بالنسبة لفروع عنزة الاخرى .

واكثر بيوت الروالة من نوع الخربوش ذي العمود الواحد . وقليل منهم يقتنون الغنم ويربونها . أما اكثرهم فيقتنون الابل .

ويقدر عدد الروالة بخمسة آلاف بيت ويقدر عدد ابلهم بمئة الف .

وتاريخ الروالة طافح بالاحداث في القرنين الثالث عشر والرابع عشر حيث قضوا كل القرن الثالث عشر وشطرا من القرن الرابع عشر بالتناحر والتطاحن مع العشائر النجدية والشامية .

وحينما حاولوا النفوذ من الجوف الى حوران اصطدموا بقبيلة الولد علي العنزية التي حاولت منعهم فنشب بينها وبينهم تناحر شديد متعدد الوقائع وتمكنوا في النهاية من التغلب على المناوأة والنفوذ الى حوران والجولان .

ومن احداثهم المشهورة الغارات المتبادلة بينهم وبين بطن الزين من بني صخر ثم بينهم وبين شمَّر آل الرشيد واخذهم منهم واحة الجوف ووادي السرحان وقريات الملح وسيادتهم عليها حقبة من الزمن . وقد تمكنت شمر من استردادها منهم سنة ١٣٣٧ ه ثم استردوها بعد ثلاث سنين ثم طلبها منهم العاهل السعودي فتخلوا له عنها . واصطدم الروالة مع قبيلة العمارات العنزية وتكررت الوقائع الدموية بينهما فترة من الوقت . وكانت غارات متبادلة بينهم وبين عشائر جبل الدروز واللجاه والصفاة فترة من الوقت كذلك .

وزعامة الروالة العامة معقودة منذ قرن لآل الشعلان وقد صاهر العاهل السعودي هذه الاسرة فازدادت وجاهة وسؤددا .

ومعظم الوقائع التي جرت بين الروالة وغيرهم في القرن الرابع عشر جرت في عهد زعيمهم الامير نوري الشعلان الذي امتدت زعامته خمسين سنة ١٣١٢ ـ ١٣٦٢ هـ والـذي اشتهر شهرة عظيمة بـدهائه وحنكته ونفوذه وتلونه بلون الحكم الذي كانت تتقلب فيه بلاد الشام ونيلـه بسبب ذلك الحظوة والمرتبات من جميع الحكام على اختلاف الوانهم وتناقضهم ، ولقد كان اثيرا عند الملك فيصل عام ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ م ويتقاضى منه مرتبا صخما فلما غزا غورو دمشق كان من اول المرحبين به والنائلين الحظوة عنده ، وظـل على ولائه لـلافرنسيين طيلة عهدهم المشئوم وكان ينال منهم التكريم والتأييد والمرتبات الضخمة ...

والروالة تنقسم بادىء بدء الى اربعة بطون كبيرة هي الجمعـان والكواكبة والقعاقعة والفرحة ، وكل منها يتفرع الى فروع عديدة وكل من هذه الفروع يتفرع بدوره الى فروع عديدة اخرى .

وآل الشعلان من الجمعان ومع اعتراف البطون الثلاثة بزعامتهم العامة فلكل منها زعيم خاص ايضا وزعـامة الكواكبة لابن كويكب والقعاقعة لابن القعقاع والفرحة لابن الخضع .

وهناك عشائر متحدة مع الروالة تسمى المحلّف لانها اتحدت معها بطريق المحالفة ، وهي من بطن الجلاس ايضا ولكنها تميزت على مايبدو باسمائها ثم اتحدت مع الروالة ، وهي ثلاث عشائر صغـيرة اكبرهـا الاشاجعة ثم السوالم ثم العبد الله ومجموع بيوتها ٨٥٠ وتتفرع بدورها الى فروع ثانوية عديدة .

ومن الروالة فريق ينزل في ناحية القريتين من محافظة حمص وله فيها مزارع وارضون [١] .

---

(١) عشائر الشام ج ٢ ص ٢٣ ـ ٣٩ .

الجملان :

تأتي بعد الروالة في كثرة العدد النسبية بالنسبة لغيرها • وتدعي الانتساب الى الاشراف والى جد اسمه الشيخ جميل وتقول انها نزحت من قلب الجزيرة الى شطي الفرات في زمن لا تتذكره ثم جاءت الى ديار حماه فاستقر منها فيها جماعة وجاءت جماعة اخرى فاستقرت في شرق مرج الغوطة في قضاء دوما حيث هي •

واكثر الجملان رحالة ويعتنون الى هذا بتربية الماشية بالشراكة مع الدمشقيين • ومنهم من يعمل بالحراثة عند اهل المزارع أو يرعون الماشية لغيرهم • وهم ودعاء وصلاتهم حسنة مع جميع القبائل • ولهم حصانة عند الجميع فلا يغزون • وينتجعون في الشتاء حتى يصلون الى شمال حرة الصفا • وعددهم ٢٥٠ بيتا وفروعهم الجسيم والحمود والشواحنة والجلاغمة والضواهرة والناصر والشمالات ورئاستهم لآل حمد من الجسيم [١] •

عشائر نعيمية :

في بلاد الشام عشيرة كبيرة اسمها النعيم متوزعة في مختلف انحاء البلاد جماعات كبيرة وصغيرة • باسم النعيم الصريح حينا وباسماء أخرى حينا • وفي قضاء دوما من الجملة جماعات عديدة وصغيرة تنتسب اليها •

منها الحسيكات ومنازلها شرقي عدرا وتسكن بيوتا من طين وقد أخذت تنصرف الى الزراعة مع احتفاظها بالتقاليد البدوية وزعامتها لابن فتح •

ومنها الحمامرة ومنازلها حوش خرابو والبلالية والعاشمية من

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩ ـ ٤٠ .

الغوطة وزعامتها لابن الكحلان .

ومنها حرب . ومنازلها حوش البحدلية وقرى شبعا وسكاء الغزلانية من الغوطة ويشتغلون بتربية المواشي واخذوا يميلون الى الاستقرار وزعامتها لابن الحسان . وفروعها السمير والابو شجر والخالد والراضي .

ومنها الوهيب . وهي شرذمة صغيرة ويعمل رجالها ونساؤها أجراء عند فلاحي المرج وشيخها ابن المحيلي (١) .

الصياد :

يعدها البعض من النعيم . وهي تدعى انها من الاشراف . ومنازلها قرب منازل الجملان . وهي مثلها محصنة لاتغزو ولا تغزى . واكثرها أصحاب ماشية ويتشاركون فيها مع الدماشقة . وزعامتها لابن السليم . وفروعها السليم والابو حمد والبكار والبريدات والرملة والحماة والعبد الرزاق (٢) .

العقيدات :

هي من قبيلة العقيدات الكبرى من قبائل محافظة الفرات .ومنازلها شمال المرج وتشتغل برعي مواشي قرى المرج وفي حراثة الاراضي وحصادها . وعددها ٤٠٠ بيت وفروعها الضامن والحمودي والمعاضيد والمشاهدة وحمد . وزعامتها لابن الجاسم ولكل من الفروع زعيم خاص مع ذلك . وبعض هذه الفروع تحضر وسكن ببيوت المدر مع احتفاظها بالتقاليد البدوية (٣) .

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٤٠ - ٤١

(٢) ص ٤١ .

(٣) ص ٤٢ - ٤٧ .

الغيـــاث :

هذه القبيلة في أقصى الجنوب الشرقي من قضاء دوما في سهـل خصيب يسمى الرحبة عند حرة الصفا . ويقال ان اصلها من شمَّر . وتشتغل اليوم بالزراعة مع احتفاظها ببداوتها . وكان لها شهرة بالفتك والنهب وقطع الطريق بزعامة شيخها خلف العياش الذي كان قـائدا مغوارا . واستمرت على ذلك الى اواسط القرن الحاضر رغم مـا كانت تتعرض له من تنكيل شديد . ثم خفت حدتها نتيجة لضربة شديدة انزلها فيها الافرنسيون الذين أنشأوا في منطقتها مخفرا وجمعوا معظم سلاحها. وفروعها القلابنة والبطفة والروس والهرب والحواش ولكل منها زعيم خاص وليس لها زعيم عام في الوقت الحاضر [١] .

ب ــ قضاء وادي العجم

ليس في هذا القضاء الا جماعات من النعيم والفضل . وهي امتداد للنعيم والفضل النازلين في قضاء الجولان والكلام عنهم مؤخر الى الكلام عن النعيم والفضل في هذا القضاء [٢] .

ت ــ قضاء القلمون

ليس في هذا القضاء الجبلي الاجرد سوى شراذم من النعيم ثم من الحروك والعمور الذين هم من قبائل محافظة حمص والذين سيكون الكلام عنهم اشمل في بحث قبائل هذه المحافظة . وجماعة الحروك من فرع اللويسات . وجماعة العمور من فرع النجاد وفرع البدور .ويشتغل بعض هذه الشراذم اليوم في الحراثة عند اهل القرى التي ينزلون فـي جوارها [٣] .

---

(١) ص ٤٢ (٣) ص ٤٧ (٢) ص ٤٧ .

ث ــ قضاء الجولان

آل فضل :

قبيلة كبيرة ذات زرع وضرع وتعد مع لواحقها نحو الف بيت . وقد صار اكثر من نصفها مستقرا يحرث ويزرع ويقطن في بيوت الحجر وله مزارع وقرى عديدة . اما النصف الثاني فانه ما يزال بدوي المعيشة وان كان هو الآخر يشتغل في الزراعة وتربية الماشية .

ورئاسة القبيلة لآل الفاعور الذين يتلقبون بلقب الامارة وينتسبون الى آل فضل الذين كانت لهم امرة العرب في القرن السادس وما بعده على ما شرحنا سيرتهم في الجزء السابق . ويرجح ان قسما كبيرا من القبيلة ليست من ارومة زعمائها وانما هم افاويق من العرب انضمت الى الامراء وعشيرتهم الاصلية بطريق الحلف والولاء وصار اسم الذي ينتسب اليه الامراء اسما عاما للجميع . ويرجح ان الامراء نزحوا الى جولان مع عشيرتهم الاصلية في القرن التاسع او العاشر نتيجة لمنازعات وقعت بين فروع آل فضل على الامرة .

وقبيلة الفضل فرق منها ما هو متحد متضامن ملتف حول الامارة الفاعورية ومنها ما هو مستقل بعض الشيء مع احتفاظه بنسبته الى الفضل وكل من الفريقين يبلغ النصف وفروع الفريق الاول هي الهلالات والعطيرات والشحاشبة والبلاحسة والنبهان والقنوص والربيع والشراعة والمناولة والحمالة والربايعة والحمدان والكواشية . وفروع الفريق الثاني هي البحاترة والهوادجة والعجارمة والحروك [1].

النعيم :

أكبر مجموعة من قبيلة النعيم هي الموجودة في قضاء الجولان . ويزعمون انهم جاؤوا اليه حوالي القرن الحادي عشر . وقسم منهم اهل

---

(1) ص ٤٨ ــ ٥٢ .

زرع وآخر اهل ضرع • وفروع القسم الاول هي ابو نمي والخواشة والعويشات والفواخرة والسبارحة والعزة والوهبان والبكار والشقاقين وابو عاصي والرميلات والخنامنة والسياد والهوارين والنيد والنعيسات والكريدين والعفادلة ، ويبلغ عدد بيوتهم جميعا نحو ٣٠٠٠ ولهم قرى يملكونها ويستغلون اراضيها ويحتفظون في الوقت نفسه بالتقاليد البدوية •

وفروع القسم الثاني هي النميرات والرميلات والبين والخذيمات والشقاقين والمعدين وعتبة والشراحيل والمجايلة والمراجيل • وعشائر الصياد وحرب والحمامرة في قضاء دوما من هذا القسم • ويتراوح عدد بيوت كل من هذه الفروع بين خمسين ومئة وخمسين ومئتين أي ان عدد بيوت الجميع قد يبلغ الفا او اكثر • وزعامة النعيم العامة في آل الطحان من فرقة الابو نمي ومقرهم في قرية كودنة التي هي ملكهم [1]•

اللهيب :

منازل هذه القبيلة في الحولة غير ان فريقا منهم أتى الى الجولان واستقر فيه وهم يزعمون ان اصلهم من العراق • ولهم شهرة وبراعة في السطو والسلب وعدد بيوتهم ١٥٠ ورئاستهم لابن العلي [2] •

---

(١) ص ٥٢ ــ ٥٤ .

(٢) ص ٥٤ ــ ٥٥ .

٢ ـ عشائر محافظة حوران

آ ـ قضاء ازرع

السلوط :

هي أشهر عشائر هذا القضاء ومنازلها في وعرة اللجاة • ويروى انها متوطنة في هذه الوعرة منذ زمن قديم جدا كما يروى ان اصلها من زبيد وانها كانت نازلة في جبل الدروز ثم دحرتها عشائر هذا الجبل عن منازلها فتحولت الى اللجاه بعد ان دحرت بدورها منها عشيرتي الدياب والمناظرة اللتين ارتحلتا الى قضاء الزوية •

ويعيش السلوط في الخيام ولا ينجعون الا الى مسافات قصيرة • ويزرعون الرقاع الخصبة المتفرجة في اللجاه • ويعدون نحو ٥٠٠ بيت ولهم نحو ٢٠٠٠٠ رأس من الماشية ، ولهم خرب عديدة ولهم شهرة قديمة بالعدوان على زروع حوران والجيدور ووادي العجم ومواشيها• وقد اتخذوا وعرتهم معصما أمينا • وخلال الحرب العامة الاولى كثر عدوانهم فسيرت عليهم حملة ضربتهم ضربة شديدة • ولكنهم لم يلبثوا ان استأنفوا نشاطهم • وكانوا حلفاء الدروز في حروبهم مع ابراهيم باشا عام ١٢٥٢ هـ ثم صاروا في زمن الانتداب حلفاء للافرنسيين ضد الدروز !

وهم جذمان القبليون ويسمون بني حمد • ومنازلهم في الجنوب الغربي من اللجاه وشيخهم ابن الحمد وعددهم ٣٠٠ بيت وفروعهم العوران والمدالجة والعتابقة والفواخرة والضبوب والرماح واللزوق والشرعة • والشماليون ويسمون بني عمر ومنازلهم في الشمال الغربي من اللجاة وشيخهم ابن الغصين وعدد بيوتهم ٢٠٠ وفروعهم المراشدة والحجرة والزعران والصوابرة والسيالة •

وقد أنشأت الحكومة السورية سنة ١٩٢٦ م ناحية في الجنوب جعلت مركزها قرية حامر وعينت لها زعيما اسمه طلال ابو سليمان مديرا وناحية في الشمال مركزها قرب محطة المسمية وعينت لها زعيما اسمه احمد الغصين مديرا لتضمن الامن في بلادهم وتكبح شرهم وهكذا صاروا بشكل ما حكام منطقتهم الرسميين (١) !

شراذم متنوعة اخرى :

يتجول في قرى قضاء ازرع الغربية الشمالية التي تعرف بالجيدور شراذم من فرقتي البكار والوهبان من النعيم تشتغل في الرعي في قريتي العونية وغباغب . ويأتي اليه فريق من فرع الابي عيد من قبيلة الاحسنة فيعمل في الحراثة والحصاد . وكذلك يأتي الى هذا الغرض فريق من الحروك والولد علي (٢) .

ب ـ قضاء درعا

يتردد على هذا القضاء احيانا بعض فصائل من فرق الروالة ولواحقها . ويأتي اليه وقت الحراثة والحصاد بعض عشائر جبل الدروز كالعظامات والجوابرة . والسردية والمساعيد وبعض فروع العيسى من قبائل شمال شرق الاردن . وقد اخذ بعضها يستقر فيه (٣) .

ت ـ قضاء الزوية

الوُلد علي :

هذه القبيلة عنزية من ضنأ مسلم وبطن الوهب . ويبلغ عدد

---

(١) ص ٥٧ ـ ٥٨ . (٢) ص ٥٧ . (٣) ص ٥٦ .

بيوتها ٥٠٠ وعندها نحو ٣٥٠٠ بعير و ٦٠٠٠ شاة . وفيها بيتان عريقان وهما بيت الطيار وبيت سمير . وكانا يتعاوران حماية ركب الحج الشامي في زمن الحكم العثماني مقابل جعل معلوم . وكانت الطريق بين الشام والحجاز وما جاورها تقع تحت سيطرتهم ونفوذهم دون منازع . وقد كان بين هذه القبيلة وبين الروالة تناحر مديد بسبب التزاحم على المنازل واستيطانها وكذلك الحال بينها وبين عشائر اهل الشمال كالسرحان والسردية والصقور وبني صخر .

وقد ذكر الولد علي سائح سويسري في كتاب رحلة له عام ١٢٢٤ هـ فقال انهم ينزلون على طريق الحج حتى قلعة الزرقاء وان لشيوخهم آل الطيار المقام المعلى بين الرؤساء ثم يليهم آل سمير ، وان والي الشام لجأ الى ابن سمير سنة ١٨١٠ م حينما فر من الشام ـ يوسف باشا الكنج ـ وان الولد علي يأخذون عوائد من الصرحين مرور ركب الحج في اراضيهم .

والولد علي جذمان رئيسيان الاول الامشطة وهو جذم ابن سمير وفروعه العطيفات والعواظ والدمجان والمجيبل والجذالمة ولكل منها رئيس خاص مع الخضوع لزعامة ابن سمير العليا . والثاني ضنأ مفرج وهو جذم ابن الطيار وفروعه الحمامدة والطلوح والجبارة والمشادقة والصقمة . ولكل منها زعيم خاص مع الخضوع لزعامة ابن الطيار العليا كذلك .

وتلتحق الولد علي بالروالة في النجعة الشتوية فتسير وراءها الى جبل عنزة أو الجوف أما في الصيف فيمكث اكثرها في الجولان . وبعض الولد علي يتردد على اراضي محافظة حمص ويتبدى فيها [1] .

الدياب :

كانت هذه القبيلة على ما يروى تنزل في اللجاه فدحرها السلوط

---

(١) ص ٥٩ ٦٤ .

فنزلت في قضاء الجولان غربي بحيرة طبريا . وهي وان اخذت تشتغل بالزراعة في خرب واراض لها فانها ما تزال تعيش في الخيام . وعدد بيوتها ٣٥٠ وعندها كمية وافرة من الغنم والبقر . وزعامتها لابن الفريج وفروعها الفريج والمرالات والغبية والخشوش والغرايزة (١) .

التلاوية :

هذه القبيلة كانت في غور بيسان ثم جاءت الى ارض البطيحة واستقرت فيها . وتشتغل في الزراعة وتربية الماشية وتسكن في الخيام . وعدد بيوتها ٤٠٠ وعندها ١٤٠٠ جاموسة و ٥٠٠ بقرة وقليل من الغنم والماعز . وزعامتها لابن المرعي وفروعها المسالحة والجمعات والعايدة والقبول والشفايدة . ويشتغل بعضهم في صيد السمك من بحيرة طبريا (٢) .

المناظرة :

اصل هذه القبيلة من شرق الاردن وقيل من اللجاه . وهي الآن مستقرة في وادي اليرموك . وعدد بيوتها ١٠٠ وفرقها المساعدين والحجازية والقطاطية . وزعامتها لابن المسعد . ويشتغلون في اراضي آل الجزائري المغاربه (٣) .

الكلابات :

هذه عشيرة صغيرة يظهر انها من العشائر القديمة في بلاد الشام ومنازلها قبلي فيق ويشتغل بعضها في الزراعة وبعضها في تربية الماشية (٤) .

---

(١) ص ٦٤ — ٦٥ . (٢) ص ٦٥ (٣) ص ٦٥ .
(٤) ص ٦٥ — ٦٦ .

الفحيلية :

هذه بقية من عشيرة بهذا الاسم كان لها شأن وذكر وسؤدد في القرن الحادي عشر . وهي تنزل في اراضي كفر حارب والسمرة والنقيب على شاطىء بحيرة طبريا .

وقد ذكرهم السائح الدانيماركي الذي زار بلاد الشام في اوائل القرن الثالث عشر فقال ان قوتهم مئتا خيال وان والي الشام يلبس كل عام شيخهم فروة ويعهد اليه بجباية ضرائب عشائر حوران واللجاه لقاء جعل معين من الضرائب وانهم كانوا يأخذون الخوة من جميع قرى حوران [1] .

---

(١) ص ٦٦ .

٣ ــ عشائر محافظة جبل الدروز

المساعيد :

قيل ان اصلهم من العراق ومن فروع شمر • وان لهم اقارب في انحاء كربلاء والمسيب اسمهم المسعود • وهم اقدم من الدروز في هذا الجبل يشتون في تل الاصفر وربما بلغوا الازرق ويصيفون في قرى المقرن القبلي • وعدد بيوتهم ٦٠٠ وعندهم ١٥٠٠ بعير و ٤٠٠٠ شاة ويعدون من اكبر عشائر الجبل عددا واغناها بوفرة الماشية • وينقسمون الى جذمين العصافير والسميران وكل منهما يتفرع الى فروع عديدة • ورئيسهم الاعلى ابن السرور من العصافير [١] •

الحسن :

يقال انهم من زبيد كما يقال انهم اعقاب عشيرة قديمة قبل الاسلام كان رجالها مبرزين في نظم الشعر وفصاحة اللسان • وهم صناديد فتك وسلب واصدقاء الدروز ورعاة ماشية اهل المقرن الشمالي • وعدد بيوتهم ٣٥٠ وعندهم ١٠٠٠ بقر و ٣٠٠٠ شاة • وفرقهم الصيور والحواسنة والطوابع والعميرات والعتيقات والمزاودة ، وكل منها يتفرع الى فروع ثانوية • وليس لهم رئيس عام ، غير ان بني المطلق هم عقداؤهم في الحرب واوجههم [٢] •

الشراقات :

تدعى هذه القبيلة ان اصلها من العراق • وعددها ٢٥٠ بيتا

---

(١) ص ٦٧ ــ ٦٨ •

(٢) ص ٦٨ ــ ٦٩ •

وهي فرقتان الصفيان والعنيزان ، وزعامتهما لابن الصفيان وهي ترعى ماشية اهل المقرن القبلي • وبينهم وبين الدروز والمساعيد والحسن صداقة وتعاون وبعضهم يزرعون قسما من ارض الرحبة مع الغياث • وعندهم ٥٠٠ بعير و ٢٠٠٠ شاة [١] •

العظامات :

وهؤلاء كذلك يدعون انهم من العراق وهم اصدقاء المساعيد وشركاؤهم في المعارك • وعندهم ٥٠٠ بعير و ٣٠٠٠ شاة • وعدد بيوتهم ٢٥٠ ويشتون في ارض الجبانة ويصيفون جنوبي الجبل حول امتان وام الرمان وهم فرقتان السويعد والمعرعر الذين يتسمى فرعا القبيلة باسميهما [٢] •

الشنابلة :

يدعون انهم والحسن من ارومة واحدة وانهم انشقوا عنهم منذ قرنين وعددهم ٢٥٠ بيتا وعندهم ٣٠٠ بعير والفا شاة • ومنازلهم حول قرى الرحى والكفر والقنوات وعتيل والسويداء وسليم • وفروعهم الوهبان والمسالخة والسيفان والرمضان والنمر والنوافشة ورئاستهم لابن النمر [٣] •

السردية :

من أجل عشائر هذه الانحاء واكرمها محتدا وتاريخا على مايصفها الاستاذ زكريا الذي يقول ان البعض ينسبهمالى بني صخر في حين انهم يدعون النسبة الى بني مخزوم القرشيين ويقولون انهم جاؤوا الى حوران من زمن الفتح وان الشهابيين الذين نزحوا في القرن السادس

---

(١) ص ٦٩ •   (٢) ص ٦٩ — ٧٠   (٣) ص ٧٠ •

الى وادي التيم منهم • وتاريخهم مملوء بالمناحرات • فهم في تناحر مستمر مع بني صخر • وقد تناحروا في القرن العاشر مع السرحان وانتزعوا السيادة منها ودحروها الى الجوف وصاروا حكام بادية حوران وعجلون ، وممن اشتهر من زعمائهم في القرن الحادي عشر الشيخ رشيد الذي كان مناوئا للامير فخر الدين المعني الكبير ومنحازا لوالي الشام احمد الحافظ خصم الامير • وكان الامير يلتزم شيخ المفارجة الشيخ عمر فكان الشيخان يتنافسان على الزعامة فتكون للشيخ عمر حينما يقوي المعنى وللشيخ رشيد حينما يضعف او يفسد ما بينه وبين الوالي • وممن اشتهر من زعمائهم في القرن الثاني عشر الشيخ محفوظ الذي كان يزود ركب الحج بالجمال ويتعهد بحمايته من عدوان البدو • وعدد بيوتهم ٢٥٠ وهم فرسان مغاوير وعندهم شمم وغرور بنسبهم وماضيهم • وكانت منازلهم حول قرية القريَّة ثم في قرى حوت وبكة وام الرمان وديبين أما الآن فهم على حدود الاردن او داخلها وبعضهم يشتغل في الزراعة • وينتجعون في الشتاء الازرق ويصل بعضهم الى قريَّات الملح وزعامتهم لابن مسعود [1] •

الجوابرة :

يزعمون انهم من زبيد ومنهم من يزعم انهم من جبارة وكلتا القبيلتان في العراق • ويقولون انهم جاؤوا منه في القرن الحادي عشر واكثرهم رعاة لدى الدروز واجراء حراثة • وعدد بيوتهم ١٦٠ ورئاستهم لابن المخاميس • وفروعهم هي المخاميس والمصابرة والشيبات والسلجان والتليتي والجهم والراهي والعلي •

---

(١) ص ٧٠ — ٧٢ .

شراذم متنوعة :

وفي هذا القضاء شراذم بدوية صغيرة تنتسب الى قبائل اخرى . منها شرذعة من المساعيد اسمها الغانم انفصلت عن اصلهـا واستقلت وزعامتها لابن الغانم . ومنها شرذمة اسمها الحواسن تدعى ما يدعيه الجوابرة من النسبة الى العراق . وزعامتها لابن الكريم . ومنهـا شرذمة اسمها الربيدات منفصلة عن العظامات . وزعامتها لابن ابـي مـدحل [1] .

(۱) ص ۷۳ .

٤ ـ عشائر محافظة حمص

الاحسنة :

عشيرة عنزية من ضنأ مسلم وبطن الوهب • فهم ابناء عم الروالة • وصلاتهم معهم حسنة • وما يزال اكثر هذه العشيرة في المملكةالسعودية•

ويرجح الباحثون ان جماعة الاحسنة في سورية هم مع الولد علي السابقون الاولون في القدوم الى بلاد الشام من عنزة • ولها تاريخ نضال قوي مع القبائل التي كانت قبلها حتى استطاعت ان تثبت قدمها في براري حمص وحماه • ثم فرضت سلطانها عليها حتى صارت تأخذ الاتاوات من القوافل السائرة بين الشام والعراق ومن القرى المتطرفة • وقد اشتبكت مرارا مع شمر ثم مع الفدعان والاسبعة والروالة والموالي حتى صار العداء بينها وبين الموالي خاصة تقليديا • ومن زعمائهم المشهورين في قيادة هذا النضال عبد الله الفاضل وفارس المزيد وجديع القبلان وملحم الفارس ومحمد الملحم • وقد اعدم الترك هذا الاخير اثناء الحرب العامة لانهم شعروا منه انحيازا نحو الثورة الهاشمية وتشوفا الى الالتحاق بالامير فيصل • وكان من الفرسان المغاوير • وتعد الاحسنة من اجل عنزة قدرا ورهبة جانب بسبب تاريخها النضالي برغم قلتها • وهي منصرفة اليوم نحو الاستقرار بالزراعة ولها اراض وخرب عديدة ومواش • ولكنها ما تزال تعيش في الخيام • وترحل للنجعة ولكن رحلتها قصيرة المدى •

وفروع الاحسنة هي الجحيم والشمسي والعويمر والفضةوالشرابة والقبلان والملحم والمساليخ والفقراء والخماعلة • وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية • ولكل منها رئيس خاص • وزعامتها العليا لآل ملحم •

ويلحق بالاحسنة جماعة من العمور يسمون اليوم بعمور الملحم نسبة الى زعماء الاحسنة • وعدد بيوت الاحسنة مع لواحقهم ٧٠٠ بيت [١] •

بنو خالد :

قال القلقشندي انهم بطن من بني مخزوم من قريش • ونقل عن الحمداني انهم من احلاف آل فضل امراء عرب الشام، وقال الصيادي انهم كانوا من اعظم قبائل الشام شأنا • وهذا يدل على انهم قديمون في هذه البلاد [٢] •

وبنو خالد اغنى عشائر الشام في الماشية حيث يقدر عددها عندهم بثمانين الفا بالاضافة الى ثمانية آلاف بعير • ويستتبع هذا كثرة نتاجهم من السمن والصوف والخراف وما يدره ذلك عليهم من الربح الوفير • ويصيف اكثرهم في شرق محافظة حمص وبعضهم في شرق حماه وشمال السلمية ويشتون في انحاء تدمر وبراري الحماد •

وعدد بني خالد ١٥٠٠ بيتا وفروعهم هي الزمول والبياطرة والبطة والجبور والنهود والشمور والشقرة والزرقة ، وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع عديدة اخرى ولكل منها زعيم خاص والزعامة العليا فيها لابن الدندن • وبعض هذه الفروع وخاصة الزمول اخذ يهجر البداوة والظعن وينقلب زارعا [٣] •

الفواعرة :

اصل هذه القبيلة غامض • فهناك من يقول انها جماعات من قبائل

---

(١) ص ٨٦ ـ ٩٥ •

(٢) هذا ما جاء في كتاب عشائر الشام للاستاذ زكريا ج ٢ ص ١٠٣ ـ ١٠٧ غير انه ورد في كتاب تاريخ شرق الاردن وقبائلها لبيك الانكليزي عزوا الى بلوغ الارب للقلقشندي انهم اما ان يكونوا بطنا من بلي من قضاعة او بطنا من غزية من هوازن ص ٢١٣ تعريب بهاء الدين طوقان •

(٣) ص ٩٧ ـ ١٠٢ •

مختلفة تجمعت تحت رئاسة الامير حسين القنطار من آل فاعور امراء الفضل نتيجة لنزاع قام بينه وبين اقاربه وهناك من يقول ان حسن هذا من امراء الموالي ، وعلى كل حال فهم الآن عشيرة مستقلة ، وقد تعرضت لهجمات عديدة من الروالة والحديديين وبني خالد والاسبعة وعشائر الدروز استمرت قرنا كاملا ولم تتوقف الا منذ ثلاثين عاما . وقد كانوا أغنياء بالمواشي ونشيطين في العمل فكان ذلك مما أثار الحسد ضدهم وعرضهم للهجمات ، وقد جنح بعضهم الى الزراعة وصار لهم اراض وخرب ، ومواشيهم كثيرة يبلغ عدد شياههم ٣٠٠٠٠ بالاضافة الى الف بعير ، ويتشاركون مع الحمصيين بالغنم والسمن والصوف ، وينتجعون في الشتاء الحماد مع الاحسنة والروالة ، وعددهم ٥٠٠ بيت وينتشرون زرافات صغيرة في اطراف حمص ، وزعامتهم لابن رمضان ، وفروعهم العلقاوين والحفاحفة والمعيدين والطاريجة والبهادلة والتويمات والزيادنة والعرامنة والهناذرة والعبيد ، ويتفرع بعض هذه الفروع الى فروع ثانوية ، ولكل منها زعيم خاص [1] .

النعيم :

في هذه المحافظة جماعة من النعيم ايضا ، وبعضهم يدعى انهم اشراف هاشميون وانهم قدماء في بلاد الشام ، وبعضهم اهل ضرع وبعضهم اهل زرع ، والاولون ينجعون الحماد شتاء ، أما الآخرون فقد استقروا وتحضروا .

وينتشر النعيم حول قرى حمص وسلمية ، وهم ودعاء في الجملة اغنياء في المواشي مشهورون بالكرم والتقوى ، ويقدر ما عند نعيم حمص من المواشي بستين الف رأس وما عند نعيم سلمية بثلاثين الفا بالاضافة الى نحو ٣٠٠٠ بعير ويتشاركون مع الاسر الحمصية

---

(1) ص ١٠٣ – ١٠٧ .

البارزة في الماشية ونتاجها • وزعيم نعيم سلمية ابن الحسين وزعيم نعيم حمص ابن المحمد • وعددهم ٤٠٠ بيت وفروعهم السيد والعبيد والطبيشات والعصفور والبطمة واهل عز الدين والناصيف والهميش والابراهيم والبجارة والخليفات والزواتنة والدغيلة •

ويلتحق بالنعيم عشيرة اسمها الحزوميون عدد بيوتها ١٢٠ وشيخها ابن الباشان •

وهناك اربع فروع من النعيم انشقت واستقلت في اسمائها ومعايشها يبلغ مجموعها ٥٠٠ بيت وهي الشقيف في قرية المنزول والطويلع رعاة قرى قضاء قلمون والعتيق رعاة وحراثون تلكلخ والمعاقير [١] •

الحروك :

عشيرة صغيرة عدد بيوتها ١٠٠ وفروعها الهرامشة وبيت جريبان وبيت شاهر واللويسات وشيخها ابن الفياض [٢] •

العقيدات :

في محافظة حمص جماعة من قبيلة العقيدات الكبيرة التي تتكثف في محافظة الفرات • وعدد بيوتها ٣٧٥ وكثير منهم تحضروا واستقروا في قرى الدولة • وما يزال بعضهم اهل ضرع وبادية • وفروعهم الابوبكير والابو هرموش والابو شعبان والابو عساف ، وليس لهم زعامة عامة وزعيم الفرع الاول ابن الاحمد والثاني ابن الفاطمي والثالث ابن المطر والرابع ابن الحسين • ويتشارك اصحاب الماشية منهم مع الحمامصة ايضا [٣] •

---

(١) ص ١٠٧ – ١٠٩ •   (٢) ص ١٠٩   (٣) ص ١٠٩ – ١١٠

المشارقة الرعية :

هذه فرقة من لواحق مشارقة قبيلة الموالي • عدد بيوتها ٢٠٠ وزعامتها لابن العزو ومنازلها في قرى ناحية جب الجراح • وفروعها الخزيمات والاشوخ والقريطات والعبد الله [١] •

العمور :

يزعمون انهم من نجد وان لهم فيها اقارب وانهم جاؤوا في اوائل القرن الثاني عشر ونزلوا بين سلمية وتدمر وحماه ثم تفككوا وصاروا شراذم ، منها ما هو مستقل ومنها ما التحق بقبائل اخرى • ومن المستقلين عمور الابي حربة • وزعيمهم ابن المضهور ومنازلهم ناحية تدمر • وفروعهم الخضر والمناصرة والخليفة والناصر والزليفان والعناترة • وعددهم ١٢٠ بيتا • ويشتغلون بتربية المواشي • وهم فتاك اشرار من الطراز الاول على حد وصف الاستاذ زكريا •

ومنهم عمور الخرسان • وزعامتهم لابن المعجل ومنازلهم في ناحية تدمر ايضا وهم فرقتان العمران والقمان وعدد بيوتهم ٨٠ وهم كسابقيهم يشتغلون بتربية الماشية وفتاك اشرار من الطراز الاول •••
ومنهم البدور • وزعامتهم لابن البطية • ويعملون رعاة في قرى الرحيبة وجيرود وعددهم ٧٥ بيتا •

ومنهم النجاد • وزعيمهم ابن النعير • وبعضهم استقر في قرية دير عطية وصار من الفلاحين •

أما الملتحقون منهم فهم عمور الملحم الذين التحقوا بالاحسنة وعمور المهارشة الذين التحقوا بفدعان الولد وعمور الفراع والعمري الذين التحقوا بالاسبعة الاعبدة [٢] •

---

(١) ص ١١٠ — ١١٢ •

(٢) ص ١٥٥ •

الصُّلُبة أو الصُّليب :

في نواحي القريتين وتدمر والسخنة داخل محافظة حمص فريق من هذه القبيلة . وهي قبيلة عجيبة فذة في تـاريخها ومعايشها . فهـي مجموعة فرق تنتقل من مكان الى مكان ولا يكاد يخلو منهـا مكان من اقصى جنوب نجد الى سواحل الخليج العربي الى ضفافي الفرات والدجلة وجبل سنجار في العراق . وهم يقيمون ويظعنون زرافات صغيرة . واكثر اقـامتهم في الحمـاد الـذي يحسنون التجول فيه . ويتعاطون امورا يعدها البدو خسيسة . منها ارتزاقهم بصيد الغزلان والارانب والطيور واقتياتهم منها ومعالجة المرضى بالكي وبادوية نباتية يستحضرونها من البادية وتربيتهم الحمير البيضاء واقتصارهم عليهـا في الركوب وبيعها وبيع الملح ، وهم مشهورون في الشحاذة والتطفل على موائد الغير وعدم الاستنكاف من أي من الطعام . وكثير منهم يلبسون جلود الغزلان . ويتخذون منها ما يشبه القفاز والجورب . ومعيشتهم بسيطة ويتحملون شظفها بصبر عظيم . ونساؤهم ورجالهم سواء في اللباس ، وكل ما يميز بعضهم عن بعض في طرز وضع عصابـة حمراء يتعصب بها الفريقان . فالنساء تدلي طرفيها على القفا في حين ان الرجال يلفونها على نفسها .

وهم بارعون في نظم الشعر البدوي وانشاد الاغاني الحمـاسية والضرب على الربابة . وبعض نسائهم بارعات في الجمـال والظرف وقرض الشعر البدوي كذلـك . والشعر والانشاد من جملـة موارد العيش عندهم . وشعراؤهم يدورون بين العشائر من اجـل ذلـك أيضـا .

وهم أعرف اهل البادية بالمراعي والمناهل واحذقهم بسلك القفار والمفاوز حتى ان البدو انفسهم يتخذونهم أدلاء في جولاتهم وغزواتهم البعيدة . ولهم صداقة مع جميـع القبائل ومحصنون لا يقـاتلون ولا يقاتلون ويقال انهم يكرهون الكذب والسرقة والغش والخـداع

والمكر والمداجاة والغبن في البيع والتجارة ويؤدون ما عليهم من ديون بدون تأخير .

وليس لهم ذكر في كتب انساب العرب القديمة . وهذا ما جعل الآراء تضطرب فيهم فيذهب بعض الكتاب من العرب والافرنج الى انهم من بقايا الافرنج الصليبيين مع ان عاداتهم ولهجتهم وسحنهم لاتدع ريبا في اصالة عروبتهم وكل ما يمكن ان يكون ان الحروب فككت وحدتهم وشردتهم فانستهم اصل قبيلتهم . وكلمة صليبية تعني صُبَّة أي اصلية وهم يزعمون انهم قحطانيون ونخوتهم اولاد صليبي واولاد غانم .

وشيخهم في سورية بن معيذف . وفروعهم كثيرة . لا يقطن في سورية منها الا فرع واحد هو فرع الحازم [1] .

---

(١) عشائر الشام ج ٢ ص ١١٢ ـ ١٢٤ انظر ايضا عشائر العراق ج ١ ص ٢١١-٢٢٦

٥ ـ عشائر محافظة اللاذقية

هذه المحافظة جبلية ضيقة وغاصة بالسكان • وليس فيها الا شرذمة اعرابية اسمها الزعيرات واصلها من بني خالد تشتغل في الرعي لـدى سكان قضاء مصياف من اقضية هذه المحافظة • وعدد بيوتها خمسون وزعيمها ابن العبد الله (١) •

وفي هذا القضاء نفدة من بني عز احد فروع الموالي وقد تحضرت واستقرت في بضع قرى • وما تزال تحتفظ بالطابع القبيلـي وتتصل بـأقـاربها (٢) •

والى هذا فهناك الدنادشة في قضاء تلكلخ • وهم متحضـرون ومستقرون مع احتفاظهم بالتقاليد والمزايا القبيلية • وقد فصلنا الكلام عنهم في النبذة الخاصة التي عقدناها عليهم في فصل الامارات العربية (٣) •

---

(١) ص ١٢٨ (٢) ص ١٢٨ (٣) ص ١٢٨ ـ ١٢٩

٦ ـ عشائر محـافظة حماه

الاسبعــة :

قبيلة عنزية كبيرة . عدد بيوتها نحو ٤٠٠٠ وهي غنية بالسلاح والابل والخيل والغنم . ومشهورة بالشجاعة والفروسية ، وقد نزحت الى بلاد الشام من شمال الحجاز في اوائل القرن الثالث عشر مع قبائل عنزية اخرى منها الفدعان والعمارات على ما ذكره الامير حيدر الشهابي في كتابه في حوادث سنة ١٢٣٠هـ [١] وقد تمكنت من تثبيت قدمها في براري هذه المحافظة برغم محاولة والي الشام من صدها واستعانته على ذلك بعشائر الاحسنة والروالة وغيرها من عشائر عنزة على ماذكره الشهابي ايضا . بل ولقد فرضت هيمنتها وصارت تأخذ الخوة من قرى حمص وحماه والقوافل النى تمر بمناطق منازلها . ولم تزل على بداوتها لم يتحضر أي فريق منها . وتربي الابل والماشية معا باستثناء بعض الشيوخ والرؤساء الذين صار لهم اراض ومزارع .

وهي الآن قسمان متميزان الاسبعة الاعبدة والاسبعة البطينات . والاولى ٢٥٠٠ بيت والثانية ١٥٠٠ بيت والزعامة في الاولى لآل الراشد والثانية لآل هديب . والبطينات اشد تساندا من الاعبدة بفضل قوة زعـامتها .

ومنازل البطينات شمال قضاء سلمية في القيظ والقعرة داخل الحدود العراقية في الشتاء . وهي فرقتان القمصة والرسالين وكل منهما يتفرع الى فروع عديدة . اما منازل الاعبدة فهي في القيظ شمال حماه . وفي الشتاء تتجه هي الاخرى نحو الحدود العراقية . وفرقهـا هي

---

(١) ص ٦٠٧ ج ٣ نسخة رستم انظر ايضا عشائر الشام ج ٢ ص ٢٤٩ .

المرايجه والامكسة والعبادات والدوام والبيايعة والاعرفة والوثرة والرماح • وكل منها يتفرع الى فروع • ولكل منها رئيس خاص [١] •

العقيدات :

هذه جماعة من قبيلة العقيدات الكبيرة النازلة في وادي الفرات • واكثرهم يقيم في قرى املاك الدولة شرقي السلمية وقرب حماه • وهي مع ذلك اهل ضرع اكثر منها أهل زرع وينجعون في الشتاء البادية وهم ذوو بأس شديد على قلتهم • وفروعهم هنا الدهامشة والابو سيف والابو سلامة والابو سرايا • ومجموع بيوتها ٥٠٠ [٢] •

بنو عز الرعية :

هذه قبيلة صغيرة مشتقة من بني عز الموالي عدد بيوتها ١٥٠ وشيخها ابن الخالد وتصيف في جنوب السلمية وتشتي في البادية وتشتغل في تربية الماشية وفروعها السلطان والصافية والقبلان والكريش [٣] •

التركي :

وهذه ايضا قبيلة صغيرة تنتسب الى فرع الحبلان من قبيلة العمارات العنزية التي ما زالت في نجد • ورجالها فرسان مغاوير على قلتهم وقد تعرضوا للتنكيل الشديد في زمن الحكم التركي اكثر من مرة • وعدد بيوتهم ١٥٠ ولبعضهم مزارع يشتغلون فيها ويسكنون البيوت الحجرية واكثرهم سكان خيام يشتغلون في تربية الماشية • وفروع القبيلة هي الدرويش والشهيل والموذنين والعومد والطابي والجابر والروبعين والغليم والدرعان والعياش والعنيزان والسعل والبقعه وبنو زيد وزعامتها لبني العلوش [٤] •

---

(١) ص ١٤٠ – ١٥٠ •

(٢) ص ١٥٠ – ١٥١ (٣) ص ١٥١ (٤) ص ١٥٢ – ١٥٤

البشاكم :

هذه كذلك قبيلة صغيرة نصف حضرية كانت من لواحق قبيلة الموالي ثم انفصلت عنها . وهي قوية الشكيمة . وتشتغل في الزراعة في قرى املاك الدولة بالاضافة الى تربية الماشية . وبيوتها ٤٥٠ وزعامتها لابن الدندن وفروعها الغربان والرملات والخوين والسراج والعجاج والجميس والحديد والعراجي والدندن [١] .

الجملان :

هؤلاء من اقارب جملان الغوطة . وعددهم ٢٠٠ بيت وزعامتهم الآن لابي عقاب الذي تدعى اسرته النسبة الحسينية . وتشتغل هذه القبيلة بمعالجة المرضى والمجانين والمفلوجين ، بالاضافة الى الزراعة والماشية . وفروعها الدرباس والضواحي والهمامات والريان والزبيدات، ومنازلها في قرى قضاء السلمية . وقد تركت الحصانة فصارت تغزو وتغزي خلافا لجملان الغوطة والتحقت او تحالفت مع الحديديين [٢] .

الموالي :

ينزل جماعة من قبيلة الموالي في هذه المحافظة . ومنازلها في قرى قسمانه وكوكب ومعان وخنيفس وعطشان . وهي متحضرة مستقرة تحرث على القسم في اراضي الدولة وملاكي حماه . وهي شراذم من فروع السماطية وبني عز والخرفان والبو شيخ والشطيحات والخليفة والكندوش والعلي [٣] .

الحديديون :

ينزل جماعة من هذه القبيلة التي ينزل اكثرها في محافظة حلب في

---

(١) ص ١٥٤ . (٢) ص ١٥٤ ـ ١٥٥ (٣) ص ١٥٥ ـ ١٥٦

ناحية الحمراء من محافظة حماه واكثرها من فرعي الابي حسن بزعامة ابن السرحان والخليف بزعامة الابراهيم • وعددها ٧٠٠ بيت • وهناك الى هؤلاء شراذم حديدية اخرى صغيرة العدد في هذه الناحية ايضا تنتسب الى فروع الحميلية والابي زليط والجوالة والابرز والمعاطة والابي جميل والابي كنش والحجاج والابي صليبي والابي كليب [١]•

السماطيه :

هذه قبيلة من لواحق الموالي • مستقرة اليوم في قرى املاك الدولة في ناحيتي محردة والمضيق • عددها ٣٠٠ بيت • وفروعها ابو حيات والحليبا ت والخوابرة والهوارين • وكانت زعامتها لابن الابراهيم فانشقت عليه [٢] •

الجماجمة :

قبيلة صغيرة تنتسب الى الموالي وتقيم في بعض قرى املاك الدولة في ناحية محردة ايضا • وزعامتها لابن المسلوخة وعددها ١٠٠ بيت • يسكنون في الشتاء البيوت والكهوف وفي الصييف بيوت الشعر [٣] •

النعيم :

ينزل في محافظة حماة جماعة من قبيلة النعيم من فرقة الابي جبار ومقامها في قريتي معرزاف وكفر يهود في ناحية محردة • وشيخها ابن العلبوني وعدد بيوتها ٥٠ [٤] •

---

(١) ص ١٥٦
(٢) ص ١٥٦ (٣) ص ١٥٧ (٤) ص ١٥٧

٧ ـ عشائر محافظة حلب

آ ـ قضاء المعرة

الموالي :

هذه القبيلة مؤلفة من قبائل عديدة مختلفة المنابت والاصول ومتجمعة تحت رئاسة آل ابي ريشة المنحدرين من بني مهنا امراء طي الذين كان لهم بروز عظيم في مجال السلطان البدوي في القرن السادس وما بعده على ما فصلناه في نبذة الامارة الطائية • ويرجح ان اسم الموالي آت من كون القبائل المندمجة تحت هذا الاسم التفت حول عشيرة آل ابي ريشة المهناوية الطائية القديمة وصارت حلفائها ومواليها • وعلى كل حال فان قدم امراء هذه القبيلة يستتبع قدم تكونها ويسوغ القول بالتالي انها من اقدم القبائل الشامية التي ظلت محتفظة بصبغتها العشائرية خلال عدد كبير من القرون •

ويقول المؤرخون انه ما من قبيلة في براري جزيرة الفرات وشمال سورية الا اصطدمت في وقت ما بالموالي واكتوت بنارهم وطغيانهم مما يمكن ان يدل على قدم تكون قبيلتهم واعتبارهم انفسهم اصحاب الحق الثابت في البر الموروث عن آبائهم الاولين الذين كان لقب امير العرب محصورا فيهم واعتبارهم غيرهم طراء يحاولون مشاركتهم في برهم أو ازاحتهم عنه • وقد اكتسبوا من ممارسة الاشتباك المستمر مع غيرهم قوة وشجاعة وعنفا حتى صار يخشى بأسهم على قلة عددهم بالنسبة الى بعض القبائل الطارئة • وقد ذكرنا كثيرا من احداثهم المتأخره التي وقعت لهم بعد ان تركز اسم الامارة الطائية وقبيلتها في اسم عشيرة الموالي وآل ابي ريشة في نبذة الامارة الطارئية في الجزء الاول مما لا ضرورة الى تكراره هنا •

وهم فريقان رئيسيان . الشمـــاليون والجنوبيون . ورئـــاسة الشماليين العليا في آل ابراهيم والجنوبيين في آل عبد الكريم وكلاهمـــا من آل ابي ريشة . والرئاسة العليا على الجميع لآل عبد الكريم بالاسم دون الممارسة . ولهم ارضون يستفلحونها كما ان عندهم قطعان غنم كبيرة . وكثير منهم يسكنون قرى وبيوتا من اللبن ، حيث يصح ان يوصفوا بانهم انصاف بدو .

وفروع الفريق الشمالي هي بنو عز والخليفة والمشارقة والدواونة والشريف والدولة والحسو والكلكـــل والقنير والعميطـــة والشليوط واللكدوش والغازي والطوقان والبوسرايا والبوعـــاصي والبوحمـــد والبو كمال والبو حيـــد والبو عبـــاة والبوحرادةوالحنافرة والبعيـــج والسرميكات والحليسات والشمامطة والجليبات والمعاضيد والشطيحات والعبيـــد ..

أما فروع الفريق الجنوبي فهي ابو ريشة والعبيـــد والطهمـــاز والجماجمة والشويرتـــان واخوة وضحـــة والوادي والاسود والبـــدر والخطباء والعلي باك والزيدان والعوان والشبوط والغران والبكراش والدليم والجيسات والنعيم والمصارع والزنادعة والبو حمد والكليب والراشد والقواويس [1] .

الحديديون :

وهذه القبيلة من القبائل الكبيرة ذات التاريخ . وقـــد وصفهـــا الاستاذ زكريا بانها اكبر عشائر الرعية في محافظة حلب عـــددا واكثرها ثروة واميزها اتقانا لتربية الماشية وصنع السمن واشدهااستعدادا للتحضر والاستقرار في القرى والتعلق بالحرث والزرع واقربها للوداعـــة وطاعة الحكومة حتى يمكن القول انه لو لا العداء القديم بينهـــا وبين الموالي

---

(١) ص ١٥٨ — ١٧٢

لاصبحت منذ زمن بعيد اولى القبائل المتحضرة ولاصبح سهل الاندرين عامرا بالقرى آهلا بالسكان مزدهرا بالزرع والغرس كما كان قديما . ومع ذلك فهم في طريق التحضر ولهم ارضون واسعة وقرى كثيرة بحيث يعدون انصاف بدو .

واصلهم من انحاء الموصل في العراق ولا يزال لهم فيها اقارب . بينهم صلات وتزوار .

وفروع الحديديين في سورية متوزعة في براري حلب والمعرة وحماه والباب . وعددهم ١٦٠٠ بيت ، عدا القبائل الملتحقة بهم من غير اصلهم والتي غدت تحمل اسمهم وعددها ٣٣٠٠ بيت فيكون عدد من يتسمى بهذا الاسم نحو ٥٠٠٠ بيت . ورئاستهم العليا لآل ابراهيم . ولقد نشب بينهم وبين الموالي عداء وصيال منذ اوائل القرن الهجري الثالث عشر تكررت بسببه الاشتباكات الدموية بين القبيلتين حتى غدت تقليدية ونالهما منها أذى عظيم نهبا وقتلا واغتيالا . ولم يصف الحال بينهما الا منذ عشرين عاما . وقد سرد الاستاذ زكريا نبذة من تاريخ هذا الصيال لم نر ضرورة الى ايرادها .

وقد كان الحديديون منذ ورودهم من انحاء الموصل حتى الربع الاخير من القرن الثالث عشر يقطنون في قضائي الباب ومنبج ثم توسعوا في الانتشار الى الجنوب حينما جاءت عشيرة الولد وزاحمتهم . وكانت الدولة العثمانية تعهد اليهم بحراسة الطريق بين حلب وسراقب وكانوا يتقاضون رسوم مرور من القوافل .

والحديدون الان ثلاثة اقسام . (١) قسم حديدي اصلي يسمى الكومة بزعامة آل ابراهيم الذين كانت لهم الزعامة العليا على جميع الحديديين . ويتفرع هؤلاء الى فروع الابوكنش والابو صليبي والابو جميل والابو فاتلة والابو حربة والحجاج والابو زليطي والمراسة والمعاطلة . وكل منها يتفرع الى فروع ثانوية (٢) وقسم يضم فروعا

عديدة حديدية اصلية وملتحقة تمردت على زعامة آل ابراهيم وتفرقت من حولها وهي الغناطسة في قضاء الباب والابو شهاب في قضاء ادلب والابرز في قضاء جبل سمعان والابو حسن في ناحية الحمراء من حماه .
(٣) وقسم لواحق من الشوايا والرعية (المشتغلين بتربية الماشية) وينضوي في هذا القسم قبائل النعيمات والولد علي والجميلة والابو قعيرات والابو شهاب الدين والعميرات والابو سبيع والبو حربة والبو عيسى والحسابين والابو عطيوي ، ويتراوح عدد بيوت هذه اللواحق بين ٥٠ و ٥٠٠ بيت . وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية [١] .

ب ـ قضاء جبل سمعان

في جنوبي هذا القضاء . أي في جبل الاحص ومطخ قنسرين عشرات من القرى المأهولة بجماعات بدو الاصل والنزعة واللهجة تحضرت واستقرت منذ قرنين او اكثر في قرى املاك الدولة . ومازالت مع ذلك تحتفظ بالتقاليد والعادات القبلية [٢] .

السكن :

منها قبيلة السكن . وهي خليط من عشائر مختلفة . كالنعيم والعميرات والاكراد والشيخة والولدة ولكل منها فروع عديدة ثانوية . ويقطن معهم فلول من عشيرتي جيش وبني خالد . ويرجح ان اسم السكن نشأ من تحالف هذه الجماعات على التعاون ضد الغريب والسكن معا في جبل الاحص ذي الخرب الداثرة العديدة والاراضي الخصبة المنبسطة والهواء الجيد . وهم قديمون اسما وتوطنا على مايدل عليه ذكرهم بهذا الاسم من قبل سائح دانيماركي زار بلاد الشام في

---

(١) ص ١٥٢ ـ ١٨٩ (٢) ص ١٦٠ .

سنة ١١٨٠ هـ • ويقدر عددهم جميعا بخمسمائة بيت • ولهم قرى عديدة يفلحونها • والزعامة العامة لآل الشبلي [١] •

الابو ليل :

تنتسب هذه القبيلة الى عقيدات الفرات وفي قول انهـا اصلا من شمر عبدة • وكثرتها مستقرة في قرى عديدة من املاك الدولة في هذا القضاء وبعضها لا يزال رحالا وزعامتها لابن شويطية وعدد بيوتها ٣٠٠ وفروعها الهرامشة والزغيفات والنواضلة والبو عجيل والبو تامر والبو حمد والبو حليحل [٢] •

الولـــدة :

يقطن في قرى عديدة من قضاء جبل سمعان جماعة كبيرة من فرع الابي شعبان من قبيلة الولدة الكبيرة احدى قبائل محافظة الفرات • وزعامتها لابن الشريف مع احترامهم لزعامة ابن الفرج زعيم قبيلة الولدة العام • وعدد بيوتها ٤٥٠ وفروعها الحويوات والترن والعمالجةوالمسرات والصعب [٣] •

الابو شيخ :

اصل هذه القبيلة من عشيرة الابي شعبان الضاربة في قضاء الرقة• ولها بدورها عدد من القرى تستفلحها في هذا القضاء وعددها ٤٠٠ بيت وفروعها الوفاء والشاهر ومريمين والابو سالم والعميرات والعلــي • وزعامتها لابن الحاج حسن [٤] •

الابو شعبان :

بالاضافة الى قبيلة الابو شيخ المار ذكرها ففي هذا القضاء قبيلة

---

(١) ص ١٩٠ ــ ١٩١ • (٢) ص ١٩٢ ــ ١٩٣ (٣) ص ١٩٣

(٤) ص ١٩٤ ــ ١٩٥

تحمل اسم الابي شعبان . وهي من قبيلة ابي شعبان الكبيرة ايضا من فرع البو محمد . ولها اراض عديدة تستفلحها وعدد بيوتها ٦٠٠ وزعامتها لابن العبد الكريم وفروعها المشاهدة والملاحمة والبو حمد وعبذة موسى [١] .

الوهب :

تنتسب هذه القبيلة الى شمر . وعدد بيوتها ٦٠٠ وليس لها ارض تستفلحها ولا تزال رحالة ولديها بضعة آلاف من الماشية وهي فرقتان الاولى العويسات وزعامتها لابن العكاش والثانية الغثيث وزعامتها لابن العمالة [٢] .

النعيم :

تقيم جماعة من النعيم في هذا القضاء ايضا ولها فيه قرى عديدة . وبيوتها ١٥٠ وزعامتها لابن الاسماعيل [٣] .

بنو زيد :

تزعم هذه القبيلة انها من عشيرة بني زيد العراقية وانها قدمت من العراق في القرن الثاني عشر ، ولها قرى عديدة في جبل سمعان وفي قضاء الباب تستفلحها ، وعدد بيوتها ٣٠٠ وزعامتها لابن الرمضان وعندها ١٠٠٠٠ رأس من الغنم و ٥٠٠ بعير . وفروعها الشمل والحزاب والخليلات والمحاسنة والصخر والمراشدة والجبارة [٤] .

اللهيب :

قبيلة اللهيب منتشرة في انحاء عديدة من بلاد الشام ومشتهرة

---

(١) ص ١٩٤ ـ ١٩٥ (٢) ص ١٩٤ (٣) ص ١٩٥ (٤) ص ١٩٥

بسرقة المواشي والعدوان على القرى • وما تزال عريقة في البداوة وتقاليدها • والجماعة التي في قضاء جبل سمعان منها تبلغ ٤٠٠ بيت ، نصفهم رحالة اصحاب ضرع او ماشية ونصفهم فلاحون ولهم قرى عديدة • وزعامة القبيلة العامة لابن العاشق • وفروعها الزيارة والهدبان والفرج والغنام والشباط والعوابدة والزامل والبو حسن والشيحان [١] •

البقارة :

اصل هذه القبيلة من بقارة دير الزور • وهي متحضرة وتقيم في عدد من القرى وعددها ٦٠ بيتا ورئيسها ابن الحمادين [٢] •

الحديديون :

في جبل الاحص قسم من الحديديين بزعامة ابن المشيعل • يقيمون في قرى عديدة [٣] •

ت ــ قضاء ادلب

في هذا القضاء افاويق من عشائر مختلفة • ففي ناحية ريحا قسم من اللهيب في مئتي بيت في ثلاث قرى لهم وشيخهم ابن البيضار • وقسم من قبيلة العدوان في بعض قرى القضاء وشيخهم ابن السليم • وجماعة من الحديديين في ناحية سراقب في قرى املاك الدولة من فرقتي الابي شهاب والابراهيم • وفيه كذلك شراذم من فروع الراشد والسعران والاسود والبدور والجباري والدليم من لواحق الموالي وشراذم من البو ليل والنعيم والبو شعبان ايضا [٤] •

---

(١) ص ١٩٥ ـ ١٩٧ • (٢) ص ١٩٤ (٣) ص ١٩٢
(٤) ص ١٩٧ ـ ١٩٨

ث ــ قضاء اعزاز

في هذا القضاء ايضا افاويق من عشائر مختلفــة مثل سابقتــه ومتوزعة في قراه تستفلح اراضيها .

منها جمــاعة من عشيرة الهنادي من قبائل قضاء الباب . وجماعة من البو خميس من قبائل هذا القضاء ايضا وجماعة من فرع الغنــائم من قبيلة بني سعيد من قبائل قضاء منبج وجماعة من فرع العجيل من قبيلة الجبور من قبائل محافظة الجزيرة ثلثاها مستقر وثلثها رحال . وجماعة من الابو بطوش احدى قبائل قضاء منبج وجماعة من بني جميل من قبائل قضاء الباب وجماعة من العميرات من قبائل قضاء عين العرب وجماعة من المجادمة من قبائل قضاء الباب [1] .

ج ــ قضاء جسر الشغور وسهل الغاب

في سهل الغاب الداخل في نطاق هذا القضاء جماعات عــديدة من قبائل اخرى جاءت للعمل في ارضه وصار لها دار اقامة . وهــي شراذم قليلة يتراوح عدد بيوتها بين العشرة والمئة . وهــي الفواطرة وعبده من نعيم حمص والنباخنة من جيس وحمودة من بني سعيــد والطوقان من الموالي وناخوس من بني خالد وحمادي من التركي .

وبالاضافة الى ذلك ففي الجبال والسهول المحيطة بهــذا القضاء جماعات بدوية اخرى اهل زرع وضرع ايضا . ويتراوح عدد بيوتها بين الخمسين والمئة ومعظمها يسكن القرى ويستفلح الارض . وبعضها يربي الماشية .

ومن هذه الجماعات جماعة جيس او قيس واخرى من البقــارة من قبائل الفرات واخرى من التركي من قبائل حماه واخرى من النعيم

---

(١) ص ١٩٨

من اقارب نعيم حمص واخرى من الخزاعلة احدى قبائل العراق واخرى من العدوان واخرى من الموالي يقال لها الفريجاوية واخرى من المجادمة واخرى من الحديديين يقال لها المداهيش واخرى من الموالي من فرقة الخليفة واخرى من الهنادي واخرى من القبيعات واخرى من شمر [1] .

ح ـ قضاء حارم

في هذا القضاء جماعة من العقيدات في نحو ٢٠٠ بيت واخرى من البقارة في نحو ٢٥٠ بيتا وقد كان في سهل العمق المجاور لهذا القضاء كثير من الاعراب فاضطروا بسبب اغتصاب الترك لواء الاسكندرونة الى النزوح عنه [2] .

خ ـ قضاء الباب

الغناطسة الحديديون :

هم من الحديديين الاصليين . ولهم في هذا القضاء نحو عشرين قرية يستفلحون اراضيها . وزعامتهم لابن العليوي . وعدد بيوتهم ٩٠٠ منهم ٥٥٠ رحالة و ٤٥٠ مستقرون حضر . واسماء فرقهم هي الغناطسة والعصيبات والابو كردي والابو ثابت والنويمات والابو غيث والابو عطيري والابو غزال والجفانية [3] .

الوهب :

يقطن فريق من قبيلة الوهب التي ذكرنا ان فريقا منها يقطن في قضاء جبل سمعان في قرى عديدة من املاك الدولة في هذا القضاء

---

(١) ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ (٢) ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ (٣) ص ٢٠١ .

ايضا . وعدد بيوت هذا الفريق ٦٠٠ نصفها رحالة ونصفها مستقر وعندهم بضعة آلاف من الشياه ورئاسة الفريق الرحال لابن العمالة والفريق المستقر لابن النهار . وفروعهم المريطات والسياد والعويسات والكليش وضاهر الغنام (١) .

الكيار :

يزعمون ان اصلهم من العراق وان لهم ثمة اقارب وانهم جاؤوا الى بلاد الشام في اوائل القرن الحادي عشر . وقد ذكرهم في رحلته السائح الدانيماركي نيبوهر سنة ١١٨٠ هـ وعددهم ٥٠٠ بيت ثلثاهم رحل وثلثهم الثالث حضر . ويقيم الحضر في قرى عديدة يستفلحونها . وعندهم بضعة آلاف رأس من الماشية . وفروعهم العواد والقرامطة والبو عبد الله والحمران والبو بلد والبو حديد والعركش وزعامتهم لابن عواد (٢) .

البو خميس :

قبيلة منفردة تعد من الرحل منشقة في الاصل من عشيرة الدليم العراقية وقد جاءت الى بلاد الشام في اواسط القرن الثاني عشر . ونزلت في بدء الامر قرب دير الزور وانصرفت الى الزراعة ثم ارتحلت بسبب اضطهاد متصرف الدير لها الى هذا القضاء في اوائل هذا القرن وانصرفت عن الزراعة . وعدد بيوتها ٦٠٠ وعندها بضعة آلاف رأس ماشية . وزعامتها لابن الراشد وفروعها الحسن والحسين والراشد والبدر والحازم والجدعان والحمرو (٣) .

الابو بطوش :

قبيلة متحضرة تعد من قبيلة بني سعيد من قبائل قضاء منبج

---

(١) ص ٢٠١ ـ ٢٠٢

(٢) ص ٢٠٢ .

(٣) ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤

ولكنها تنتمي الى قبيلة العبيد العراقية ، وهي تقيم في قرى عديدة وعدد بيوتها ٢٥٠ [١] .

الحديديون الابرز :

في هذا القضاء جماعة من فرع الابرز من قبيلة الحديديين تقيم في قرى عديدة تستفلح في اراضيها وزعيمها ابن المشعل [٢] .

المجادمة :

هذه جماعة من قبيلة بني سعيد من قبائل قضاء منبج ويقطنون في قرى عديدة في هذا القضاء [٣] .

النعيم :

وفي هذا القضاء شرذمة من النعيم لها املاك في بعض قرى ناحية دير حافر برغم انها رحالة ، وزعيمها ابن الخرفان [٤] .

العون :

هذه فرقة من قبيلة بني سعيد ايضا تقيم في قرى عديدة من ناحية دير حافر [٥] .

الابو عاصي :

هذه فرقة من الابي خميس تقيم في بعض قرى هذا القضاء وشيخها ابن الحجي [٦] .

الابو جميل :

هذه قبيلة اكثرها متحضر ويقيمون في بعض قرى ناحية دير حافر

---

(١) ص ٢٠٤ (٢) ص ٢٠٥ (٣) ص ٢٠٥
(٤) ص ٢٠٥ (٥) ص ٢٠٥ (٦) ص ٢٠٥

وزعيمها ابن كبيبة وفروعها العساف والنجمات والزيادة والعيان . وتنتمي الى بني تميم في الحجاز وتدعى انها جاءت اولا الى نجد ثم الى العراق ثم الى قضاء الباب في اوائل القرن الثاني عشر . وعدد بيوتها مئة [1] .

الفردون :

هذه كذلك قبيلة متحضرة تقيم في قرى عديدة في ناحية دير حافر ايضا وعدد بيوتها ٤٠٠ وتنتمي الى قبيلة الابي شعبان . وزعيمها ابن الخلف . وفروعها السلامة والشحمي وحسين الفردون والجلانطة [2] .

الابو سبيع :

اكثر هذه القبيلة يقيمون في قرى عديدة من ناحية دير حافر واقلها رحال . وتنتمي الى فرقة السبخة من قبيلة الابي شعبان وعددها ١٢٠ بيتا وزعامتها لابن الفرهود [3] .

الهنادي المصاروة :

هؤلاء نصف حضر . من بقايا الاعراب المتطوعة في جيش ابراهيم باشا . وينتمون الى قبائل مصرية مختلفة . وقد ظلوا في بلاد الشام بعد رجوع الحملة المصرية وتزوجوا وتناسلوا وتضامنوا فتألف منهم قبيلة سميت باسم الهنادي نسبة الى ارومة كانت اكبرها واقواها . ولهم قرى عديدة في هذا القضاء ، ويوجد في اقضية منبج وعين العرب والشغر والمعرة فرق منهم . ولا يزالون يتسمون بسمة البداوة ويلتزمون تقاليدها وعددهم ٤٠٠ بيت وهم مجدون في عملهم وحالتهم حسنة . وهناك فريق من الهنادي رحل وصلتهم مستمرة بالهنادي المستقرين

---

(١) ص ٢٠٥

(٢) ص ٢٠٦

(٣) ص ٢٠٦ — ٢٠٧

ويعرفوز بالبيايعة وهم تحت راية ابن موينع رئيس فرقة الاقمصة من قبيلة الاسبعة وعددهم ٢٥٠ بيتا .

ولا يزال لجميعهم صلات ومراسلات مع اقاربهم في القطر المصري ويتبادلون الزيارة [١] .

بنو زيـــد :

وفي هذا القضاء فريق من بني زيد الذين منهم فريق في جبل سمعان . ويقطنون في قرى في ناحية دير حافر . وشيخهم ابن الرمضان وعددهم ١٠٠ بيت وفروعهم الشمل والصقر والمحاسنة والرحيمات والخراب والجدادمة [٢] .

د ــ قضاء عين العرب

هذا القضاء واسع الصحراء كثير القرى جيد التربـة وسكانـه اعراب واكراد . والاولون يقطنون في الجنوب والآخرون في الشمال . ومن الاعراب :

١ ــ العون :

قبيلة تنتسب الى بني سعيد وهي في القرى المحيطة بمركز نـاحية صرين في الضفة اليسرى من الفرات وعددهـا ٢٠٠ بيت . ومنهم من يعمل بالحراثة في قرى عائدة لاسـر حلبية . وزعيمهـا ابن مستو . وفروعها السمعوان والعواسات والشموعة واليوسف والصلالوة والحمادات والعميرية وبيوتها نحو خمسائة [١] .

---

(١) ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨   (٢) ص ٢٠٩

(٣) ص ٢٠٩

٢ ــ العيمدات :

قبيلة تنتسب الى الابي شعبان ومستقرة في قرى ناحية صرين ايضا زعيمها ابن الحمود وفروعها الخطاب والشاهر والمطرد والبو غازي والعسيرية وبيوتها نحو خمسائة (٢) •

ذ ــ قضاء جبل الاكراد

لا تخلو قرى هذا القضاء من افاويق وشراذم اعرابية تنتمي الى قبائل مختلفة • وفيه بالاضافة الى ذلك قبيلة كبيرة نوعا نصف حضرية هي قبيلة العميرات ، وقد مضى عليها هنا نحو قرنين • ولها قرى عديدة تستفلح اراضيها كما انها تعني بتربية الماشية • وعدد بيوتها نحو الف وزعيمها ابن الغزل (٢) •

ر ــ قضاء منبج

الايوبينا :

قبيلة كبيرة نوعا منفصلة عن الابي شعبان احدى قبائل قضاء الرقة • وهي حضر فلاحون في قراها الممتدة في شطي الفرات وعدد بيوتها الف وعندها عدد كبير من الغنم والبقر ايضا • وفروعها الجعافرة والابو اسامة والابو سلوم والعمر والمكالحة والخطاب وليس لها زعيم عام ولكل فرع زعيمه الخاص (٣) •

بنو سعيد :

وهذه ايضا قبيلة كبيرة متحضرة ذات فرق عديدة متباينة الاصول

---

(١) ص ٢٠٩ (٢) ص ٢١٠ (٣) ص ٢١١

والمنابت • وتدعي النسبة الى زبيد وتروي انها جاءت الى هـذا القضاء في اواخر القرن الماضي وكانت قبل نازلة في انحاء دير الزور • وعـدد بيوتها نحو الف وشيخها الاكبر ابن الدرويش الذي يدعي النسبة الى اسعد بن سعدون امير زبيد • وتقيم هذه القبيلـة في قرى عـديدة تستفلحها • وفروعها المجادمة والخراج والدمالجة والعون والغلاض والبو صلاح والحمدون وبنو جميل والبو عتيق وعمار وغنايم وشريرات والمسرات والخنافرة والبو دبش وشمر بني سعيد وبراغشة وعجلان والبو بطوش وعجيل بني سعيد وشيوخ وجعابزة والبو عجوز والبنوبنا وحسان ومفاليج وحليسات والبو سلطان وبنـي عصيـد وحريضات، وبعض هذه الفروع او فروع منهـا متوزع في اقضيـة اخرى علـى ما مر بيانه [1] •

الابو سلطان :

اصل هذه الفرقة من قبيلة البقارة احدى قبائل محافظة الفرات • وتعد الآن من لواحق بني سعيد وتقيم في قرى عديدة تستفلحها وهي متحضرة وعدد بيوتها ٣٥٠ وفروعهـا :الحراجلة والحـداد واليوسف والراشد [2] •

الوُلدة :

هذه القبيلة منفصلة من فرع الولدة المتفرع من قبيلة الابي شعبان الكبيرة احدى قبائل قضاء الرقة • ولها في هذا القضاء نحو خمسين قرية بعضها في ضفة الفرات واكثرها في السهول الممتدة جنوبي منبج • وعددها نحو ١٥٠٠ بيت وهي الى هذا غنية بالماشية •

وقد جاءت الى هـذا القضاء دفعة بعد دفعة ورئيسها العـام ابن الغانم وهو مزارع كبير وله بيت فسيح في قرية خفسة اهم قرى الولدة• وفروعها هي البومسرة والوردات والجعابرة والبو مانع وخفاجة والغانم

---

(١) ص ٢١١ ـ ٢١٣ (٢) ص ٢١٣

والجعابات والبو حسن والصعب [1] .

والى هذه القبائل الكبيرة في هذا القضاء ففيه شراذم من قبائل اخرى نازلة فيه منها الابو دبش الذين يمتون الى الموالي . وهم حضر ولهم قرى وزعيمهم محمد سعيد وبيوتهم خمسون ومنها شرذمة من النعيم . وهي مزارعة في قرى املاك الدولة وعدد بيوتهـا مئة وزعيمها ابن الابراهيم .

ومنها النوامات . وهم من الحديدبين . وعددهم ١٥٠ بيتا ويقيمون في قرى عديدة يفلحون اراضيها .

ومنها العون . وهم من بني سعيد . ولكنهم الان مستقلون عنهم ولهم قرى يفلحونها وعددهم ١٢٠ بيتا وزعيمهم ابن الجادر .

ومنها الجلاد . ويدعون ان اصلهم من نجد وعددهم ١٢٠ بيتا وزعيمهم ابن الهنيدي .

ومنها العميرات . واصلهم من الابي شعبان وهم نصف بدو في قرى سقي الفرات .

ومنها بنو عصيد وينتمون الى قبيلة برق احدى قبائل قضاء جرابلس ويقيمون في قرى عديدة وزعيمهم ابن الحاج يوسف [2] .

وبالاضافة الى هذه الشراذم فان في هذا القضاء عشائر صغيرة يقول الاستاذ زكريا انه لم يتحقق له ارومتها وعددها ومكانتها وهي البرق والخنافرة وابو عيسى والحديفة والغراوين والعدوان والبقارة والمارندية والسبخة وابو مسلم والحايط وجيس والقرامطة وكل منهم يقيم في قرية يستفلح اراضيها [3] .

ز ــ قضاء جرابلس

في هذا القضاء شراذم من قبائل شتى . وهي متوزعة في قرى هذا القضاء وتنتمي الى قبائل ابي سعيد وابي سلطان والبرق والبوبطوش والعون والحسان والعكيدات والمجادمة والعجيل والعماري والمغار [4] .

---

(١) ص ٢١٤ ــ ٢١٨

(٢) ص ٢١٠ ــ ٢١٤ .

(٣) ص ٢١٨

(٤) ص ٢١٨

٨ ــ عشائر محافظة الفرات

آ ــ قضاء دير الزور

البقــارة :

قبيلة كبيرة تنزل في الضفة اليسرى من الفرات • وتعد من اكثر القبائل اختلاطا بمدينة دير الزور • ويروى انها من بقايا قبيلتي انمار وأياد اللتين كانتا في هذه الديار قبل الفتح كما يروي انها من اعقاب محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين • ويخرجون تسميتهم من هذا الجد • ولا يسند الروايتين مسند وثيق •

ويوصف البقارة بالشجاعة والشراسة • ولا يقل مجموع بيوتهم عن ٣٠٠٠ ولهم قرى عديدة يستفلحونها في منطقة دير الزور • والى هــذا فهم متعلقون بتربية الماشية • وشيخهم الاكبر ابــن البشر • وفروعهم العابد والعبيد والبو سلطان • ويلحق بهم افخــاذ عديــدة متفرقة كالبو بدران والعبد الكريم والبو حسن والبو شيخ والبومعيش والكليزات وبقارة الجبل [١] •

العقيدات :

تعد هــذه القبيلة اكبر القبائل الريفية في بــلاد الشام عــددا واوسعها منازل ومحارث ومزارع واشدهــا في الوثوب والمقــارعة • وهي مؤلفة من فرق اكثرها اصلي وبعضها ملحق • وقد طرأت على وادي الفرات في اوائل القرن الثاني عشر • ويقال انهم زبيديون قحطانيون•

---

(١) ص ٢١٩ ــ ٢٢٢ .

وفي اسباب وظروف قدومهم اقوال لا يدعمها سند وثيق .

ويقطنون في قرى عديدة في اقضية الدير والميادين وابي كمال على ضفتي الفرات . ومنهم من يقطن على ضفتي الخابور ويسكنون في بيوت من اغصان الطرفاء يسمونها سبابيط في الصيف وفي بيوت الشعر في الشتاء . ومنهم جماعات منتشرة في محافظات اخرى مما مر ذكره قبل . ورئاستهم العليا لآل الحفعل غير ان هذه الرئاسة الان اسمية ولكل فرع رئيس خاص يدين له . وعددهم ٨٠٠٠ بيت وعندهم قطعان كبيرة من الماشية .

أما فروعهم فهي الابو كامل والحسون والبقعات والابو حردان والدميم والشعيطاط والمشاهدة والمجاودة والشويط والثلوث والابوسرايا والبكير وولد الشيخ عيسى والابو خابور . ومن هذه الفروع ما يزيد عن الالفين ومنها ما لا يزيد عن المئة .

وقد كان للعقيدات تاريخ مليء في النضال والنشاط في زمن الدولة العثمانية تعرضوا بسببه للتنكيلات والغارات المقابلة من الدولة والقبائل الاخرى . واستمرت حالتهم هذه في زمن الانتداب الافرنسي وتعرضوا بسببها للتنكيلات ايضا على ما يستفاد من النبذة التاريخية التي أوردها الاستاذ زكريا . وقد اكتفينا بهذه الاشارة تفاديا من التطويل [1] .

ب ـ قضاء الميادين

الجحيش :

هذه بقية من قبيلة افنى معظمها العقيدات بسبب سخريتها واهانتها لامرأة منهم . وكان لها ماض حافل بالوقائع والغزوات . وكانت لها

---

(١) ص ٢٢٢ ـ ٢٣٤

السيادة في وادي الفرات قبل وفود العقيدات • ولها قريتان تستفلح أراضيها وزعيمها ابن العجيل [1] •

العقيدات :

يوجد في نواحي عديدة من هذا القضاء جماعات من العقيدات . ففي ناحية المركز جماعات من فروع الابو كامل والابو عز الدين والبيكر وفي ناحية البيصرة جماعات من فروع المشاهدة والبكير والابو كامل • وفي ناحية العشارة جماعة من الابي كامل ايضا [2] •

وبالاضافة الى ذلك ففي بلدة الميادين مركز القضاء جماعات اعرابية الاصليين من منابت مختلفة • واحدة عرفت بالقلعيين واهم أسرهم أو فروعهم البو خليل والبو مصطفى والبو ناصر • وثانية عرفت باسم المشاهدة نسبة الى مشهد وثالثة عرفت بالعانيين نسبة الى عانة ورابعة عرفت بالروايين نسبة الى راوة وخامسة عرفت بالديريين نسبة الى دير الزور [3] •

ب ـ قضاء البو كمال

كل عشائر هذا القضاء من العقيدات من فرع الابي كمال وينقسمون الى اثني عشر فرعا ثانويا هي الحسون الدميم والشعيطات والابو مريح والبوقاعان والمجاودة والمشاهدة والابو حردان والمراسمة والمراشدة والجغايفة والابو زيدان • ولكل من هذه الفروع قرى يستفلحونها وزعيم يدينون بزعامته • ومع انتساب هذه الفروع الى فرع ابي كمال فالمستفاد من شرح الاستاذ زكريا ان منها ما هو اصلي من الابي كمال ومنها ما هو غريب عن هذا البطن بل عن العقيدات

---

(١) ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦ .

(٢) ص ٢٣٦ ــ ٢٣٩

(٣) ص ٢٣٥ .

وانما التحقت به التحاقا . ومنها من اصله من قبيلة الجبور ومنها من اصله من قبيلة الدليم ومنها من اصله من قبيلة العبيد [1] ! .

ت ــ قضاء الرقــة

الابو شعبان :

قبيلة كبيرة . تدعى انها زبيدية من رهط عمر بن معد يكرب . وهي خمسة فروع رئيسية هي العنادلة . الابو عساف والسنخة والولدة والابو جرادة وكل منها قبيلة كبيرة برأسها .

والعفادلة منصرفة الى الزراعة ومنازلها على البليخ والفرات ولها بضع قرى في الشامية وعدد بيوتها ٣٠٠٠ وعندها قطعان كبيرة مــن الماشية . وزعامتها لآل المشلب وفروعها الذياب والمدلج والغانم والشبل والبريج والجماسة والحليسات والحواس والمجادمة .

ومنازل الولدة على ضفتي الفرات وفي الشامية وهي قسمان ولدة الجزيرة وولدة الشامية . والاولى نحو ٢٥٠٠ بيت والثانية نحو ١٠٠٠ بيت . وزعامة الاولى لابن الدندل والثانية لابن الفرج . ويشتغل بعضها ولا سيما زعماؤها بالزراعة ولهم ارضون واسعة . وعندها قطعان كبيرة من الماشية ايضا . وفروع ولدة الشامية هي الحويوات والعجيل والمناصر وفروع ولدة الجزيرة هي النــاصر والابو جــابر والشفرات والمرادات والجعابات والعامر والبو ظاهر والعلي . وبعضها يتفرع الــى فروع ثانوية .

ومنازل الابو عساف في اعلى وادي البليخ وعددهم ٥٠٠ بيت وهم أقل فروع الابي شعبان انصرافا الى النجعة والتبدي . ولهم قرى عديدة يستفلحونها . وفروعهم هي العمشات والفقرة والخليفة والوادي

---

(١) ص ٢٣٩ ــ ٢٤٢ .

والاردني والملاقفة . وزعامتهم لابن الحسان .

ومنازل الابي جرادة في القرى المحاذية للخط الحديدي غربي تل ابيض . ونصفهم اهل ضرع ونصفهم اهل زرع . ورئيسهم ابن العبد الله وعددهم ٥٠٠ بيت وفروعهم الروالة والعقرب والمنيف والجوخدار والدناوة والبشاكمة .

ومنازل السبخة في الضفة اليمنى من الفرات في الشامية . ولهم فيها قرى عديدة بالاضافة الى عدد ضخم من الشياة والبقر . وزعامتهم لابن العليوي وفروعهم ذياب العساف وحمد العساف وضاهر العساف والابو دبس وشمر والابو حمد . وعددهم نحو ١٥٠٠ بيت [١] .

الجيام :

عشيرة صغيرة نصف حضرية ، وتنضوي الى قبيلة الابي جرادة . وزعامتها لابن المحمد وعددها ٨٠ بيتا وهي تقيم في قرى ، تستفلح اراض لها فيها [٢] .

المشهور :

اصل هذه القبيلة من البقارة وعدد بيوتها ٣٠٠ ولها اراض تستفلحها كما ان عندها بضعة آلاف رأس من الماشية . ورغم تقدمها في الحضارة فما زالت تأوى الى بيوت الشعر وزعامتها لآل الجلود [٣] .

النعيم :

وهذا القضاء لم يخل من النعيم حيث يقيم فيه شرذمة قليلة من هذه القبيلة [٤] .

---

(١) ص ٢٤٢ - ٢٤٧
(٢) ص ٢٤٨
(٣) ص ٢٤٩ - ٢٥٠
(٤) ص ٢٥٠

الفدعان :

قبلة عنزية منيعة الجانب بعيدة المنتج على ما وصفهـا الاستاذ زكريا ، ويروي انها جاءت الى بلاد الشام في القرن الثالث عشر مـع الاسبعة والعمارات على ما يستفاد من كلام الامير حيدر الشهـابي في حوادث سنة ١٢٣٠ هـ حيث ذكر ان والي الشام سير جيشا واستعـان بسهنا الفاضل شيخ الاحسنة والدريعي شيخ الروالة لاجل صدها عن البلاد ولكنها تمكنت من تثبيت قدمها فيها .

والفدعان قسمان رئيسيان هما الوُلد والخرصة .

فالولـد ينزل قسم منهم في القيظ الشاميـة في وادي الفرات وقسم منهم في الجزيرة في وادي البليخ وفي الشتاء يعبرون القعرات ويبعدون حتى يبلغوا القعرة والحماد وجنوبي الرطبة .

وزعامتهم لابن مهيد وعدد بيوتهم ٢٥٠٠ ، وهم فرعان رئيسيـان هما ضنأ منيع وضنأ فريد . وكل منهما يتفرع الى فروع ثـانويـة عـديدة .

وهنـاك جماعات عـديدة من قبائل اخرى ملتحقة بالولـد يبلغ مجموع بيوتها ٢٠٠٠ وهي بعض فرق الاسبعة والابو خميس والعمور والكيار والوهب والحوازم والغراوين .

وعند الولد ولواحقها قطعان كبيرة من المـاشية تعيش عليهـا ، ولرئيسها ارضون واسعة في جبل الشبيت وفي عين عيسى وفي البليخ ، ربما بلغت مساحتها سبعمائة الف دونم او أكثر . وفيها القرى العديدة وقطعان الماشية الكبيرة . وله في بعضها قصور فخمة مجهزة بـاحدث الوسائل الحديثة .

والخرصة تصيف في الجزيرة على طول نهر البليخ وتنجع فـي الشتاء لبراري الشامية وتبلغ القعرة ووادي المياه في الحدود العراقية .

وعدد بيوتها ١٥٠٠ وهي فرعان رئيسيان ايضا هما ضنأ حريص وضنأ كحيل ، وزعامتها العليا لابن قعيشيش الذي هو زعيم ضنأ حريص ايضا ، وكل من الفرعين يتفرع الى فروع ثانوية عديدة .

وهناك جماعة من اعراب ولد سليمان من عنزة ، مؤلفة من خمسة فروع ملتحقة بالخرصة ، وعند الخرصة قطعان من الماشية ولكنها أقل من قطعان الولد ، ولبعض زعمائها بعض القرى والارضين ايضا [1] .

---

(1) ص ٢٤٩ – ٢٦٥ .

٩ ــ عشائر محافظة الجزيرة

شمر :

في هذ هالمحافظة قبيلتان كبيرتان من قبائل شمر • ولقد كانت عشائر شمر الجرباء التي منها هاتان القبيلتان وحدة في الانتشار والنشاط اسهب في تاريخها ونشاطها واسمائها وفروعها العزاوي في كتبه تاريخ العراق بين احتلالين وعشائر العراق • وكان مجال انتشارها جزيرة الفرات في نطاق حكم ولاة العراق فلما تكونت الدولتان السورية والعراقية بعد الحرب العالمية الاولى صار قسم من شمر الجرباء في الاراضي السورية وقسم آخر في الاراضي العراقية • وقسم العراق هو الاكثر عددا كما ان الذين هم في سورية من فرعين فقط من فروع شمر الجرباء العديدة • وقد رأينا ان نترك الالمام بتاريخ شمر واحداثها ونشاطها وزعامتها الى فصل القبائل العربية في العراق وان نلم هنا بحالة الفروع الشمرية في الاراضي السورية •

وشمر الجرباء هي قبائل طائية الاصل اندمجت في قبائل شمر الاصلية حينما قدمت من اليمن الى نجد وبسطت سيطرتها على منطقة جبلي اجا وسلمى التي كان ينزل فيها القبائل الطائية • والجرباء لقب نبزي لزعماء القبائل الشمرية الطائية الذين يسمون ايضا بآل محمد نسبة الى جد قديم مشهور لهم •

والفرعان أو القبيلتان الشمريتان في سورية هما سنجارة التي تسمى ايضا بشمر العميشات نسبة لرؤسائها آل عمشة وشمر الخرصة ، التي تسمى ايضا شمر العواصي نسبة لرؤسائها من آ لالعاصي •

ومنازل سنجارة اقرب الى منطقة دير الزور منها الى العراق على

ضفتي الخابور وجعجع • وزعامتها لآل عمشة الذين هم من آل محمد أو آل الجرباء • وعدد بيوتها ٢٠٠٠ وفروعها الرئيسية هي العامود والفداعة والثابت ، وكل منها يتفرع الى فروع ثانوية ومن هذه الفروع ما يتفرع الى فروع اخرى • وقسم من سنجارة موجود في ارض العراق ولكل من فروعها قسيم في ارض العراق بالتبعية •

ومنازل آل الخرصة هي على حدود العراق وجنوبي قضاء ديريك، ولذلك تسمى بشمر العراق وتسمى كذلك بشمر العواصي نسبة الى زعمائها آل العاصي الذين هم من آل محمد كذلك • وعدد بيوتها ٣٠٠٠ وفروعها هي الغشم والهضة والبريج والبهمان والصبحة والعليان والحصنة • وكل من هذه الفروع يتفرع الى فروع اخرى • ولكل منها رئيسه الخاص • وقسم من الخرصة موجود في العراق ولكل فرع من فروعها قسيم في ارض العراق بالتبعية •

وتنجع سنجارة في الشتاء الى المنطقة الواقعة بين جبلي سنجار وعبد العزيز في الشمال ونهر الفرات حتى راوه في الجنوب داخل الحدود العراقية • وتنجع الخرصة الى ممالح البواره وتتوغل في داخل الحدود العراقية حتى راوه ايضا •

وشمر اسم مرعب في البراري الجزيرية والشامية والعراقية لان جميع افرادها مسلحون بالبنادق والرشاشات والتومي •

وقد شغف شيوخ شمر سورية بامتلاك الاراضي والقرى والاشتغال بالزراعة واقتناء قطعان الماشية حتى غدوا من كبار ملاك الاراضي ومن اصحاب الثروات الكبيرة ، وصاروا يعيشون في قصور خاصة مجهزة بالاجهزة الحديثة عيشة الرفاه • واخذ كثير من ابناء القبيلتين يحذون حذو شيوخهم حتى صار من المحتمل ان يتحضروا ويستقروا في وقت غير بعيد • وسنجارة وخاصة فرع الفداعة متأثر أكثر من الخرصة بمخالطته القبائل المتحضرة في حين ان الخرصة لا تزال

اكثر تعلقا بالبداوة [1] .

طـــي :

تعد هذه القبيلة الثانية في محافظـــة الجزيرة من حيث المكانـــة والنفوذ وبعد الصيت وعراقة النسب . وقد وصفها الاستاذ زكريـــا بانها قبيلة ريفية . ورؤساؤها يعادلون رؤساء شمر في كرم النبعة والمكانة وهي قبيلة طي القحطانية الكبرى التي كانت تنزل قبل الاســـلام فـــي منطقة اجا وسلمى في نجد .

والمستفاد من كلام الاستاذ زكريا ورواياته ان فروع طي التي تعيش الآن في سورية عيشة البداوة نزحت الى هذه البلاد في القرن الحادي عشر حينما جاءت شمر الاصلية من اليمن الى نجـــد وغلبت طي على منازلها حيث بقي فريق منها في منطقة اجا وسلمى واندمج مع شمر ونزح فريق آخر الى بلاد الشام واستقر في جزيرة الفرات .

فاذا صح هذا والغالب انه صحيح لشدة غلبة الطبيعة البدويـــة على الطائيين الموجودين الآن في هذه المحافظة فتكون هجرة الطائيين هذه ليست الاولى ، لانه كان في بلاد الشام شمالها وجنوبها فروع عديدة من طي منذ القرون الاولى من الفتح منهم بنو الجراح فـــي فلسطين الذين تحالفوا مع بني مرداس وثاروا على سلطان الفاطميين . ومنهم امراء بني حارثة الذين كانوا حكام منطقة اللجون في فلسطـــين قبل القرن العاشر . ومنهم العويسات امراء منطقة الرملة في القرن العاشر وما بعده ، على ما ذكرناه في فصل الامارات العربية في بلاد الشام . ومنهم كذلك بنو مهنا أو آل فضل الذين كانت لهم امارة العرب وسلطان البادية في القرن السادس الهجري وبعده على ما شرحناه كذلك في نبذة خاصة في الجزء الاول من الكتاب .

---

(١) ص ٢٦٧ — ٢٩٢ .

وتتفرع طي التي نحن في صددها الى فروع عديدة منها ما هو طائي قح ومنها ما هو ملتحق بها على طريقة الحلف • والفروع الطائية الاصلية هي العساف والحريث وسنبس واليسار وبني فرير • ومن هذه الفرق جماعات في الاراضي العراقية واخرى في الاراضي التركية تتيجة للتقسيمات السياسية التي تمت بعد الحرب العالمية الاولى ، اما الفروع الملتحقة فهي الجلاجمة والراشد والجوالة وحرب وبنو سبعة وابو عاصي والغنامة والمعامرة والبقارة •

والزعامة العامة لابن الراشد مع احتفاظ كل فرع برئيس خاص به•

ومنازل طي حول القامشلي جنوبا وشرقا • وعندهم ارضون واسعة خصبة ويتعاطى كثير منهم الزراعة مع عنايتهم بتربية الماشية والحل والترحال لاجلها • وكثير منهم يعيش في بيوت من اللبن ولا يبعدون في نجعتهم • وهم سائرون نحو الاستقرار والتحضر [١] •

الجبور :

وهي قبيلة مهمة ايضا • ومنازلها في حوض نهر الخابور • وعدد بيوتها ٤٠٠٠ وتنتمي الى قبيلة زبيد القحطانية • وقد نزحت الى بلاد الشام على ما يقوله مؤرخوها في اواخر القرن العاشر •

ورئاستها العليا لآل ملحم • وهم اسرة كثيرة العدد يكادون يؤلفون أكبر فروع القبيلة • وقد نشطت في الحقبة الاخيرة في مجال الزراعة وتربية الماشية حتى صار لها ارضون واسعة وقرى عديدة وقطعان ماشية كبيرة وغدت نصف بدوية وهي سائرة حثيثا نحو الاستقرار مع التعلق بالتقاليد البدوية •

وهي ثلاثة فروع او جذوم هي الهياكل والبو خطاب والعميرات • وكل منها يتفرع الى فروع ولكل منها رئيس خاص [٢] •

(١) ص ٢٩٢ – ٢٩٨ (٢) ص ٢٩٨ – ٣٠٢

البو حمدان :

قبيلة صغيرة متحضرة وتحسب من لواحق البقارة وهي مستقرة لا تنتقل الا ضمن حدود قراها العديدة في ناحية الدرباسية • وعددها ٢٠٠ بيت وزعامتها لابن الحمدان [١] •

حرب :

هي كذلك قبيلة صغيرة متحضرة وتحسب من لواحق طي • ولها قرى عديدة تقيم فيها في قضاء القامشلي وعدد بيوتها ٣٠٠ واكثرهم يعيش في بيوت من الحجر وقليلهم في بيوت من الشعر • وزعامتهم لآل العبيد [٢] •

البقــارة :

وهم قسم منفصل من قبيلة البقارة الكبيرة في منطقة دير الزور • ويسمى بقارة الجبل لانه ينزل في السفح الشمالي من جبل عبد العزيز وله فيه اراض واملاك كما ان لهم في الشمال الغربي والشرقي من الحسجة ارضا واملاكا • ويشتغلون في قطع الحطب من الجبل وبيعه • وزعامتهم لابن السليمان وفروعهم البو علاي والمريخات والحمدان والصوفيان والبو معيش والبو شيخ والرفيع والبو حسن والبو مصعة والعبيدات [٣] •

قيس ــ جيس :

هذه قبيلة قديمة يقال انها جاءت في عهد الفتح الاسلامي ثم استقرت في اقصى شمال الشام حيث هي • وقد صار فريق منهم في

---

(١) ص ٣٠٢ (٢) ص ٣٠٣ (٣) ص ٣٠٢ – ٣٠٣

الاراضي التركية نتيجة للتقسيمات السياسية بعد الحرب العالمية الاولى . والذين هم في اراض سورية ينزلون بين جبل عبد العزيز ووادي البليخ وعددهم ٢٠٠ بيت وعندهم قطعان ماشية كبيرة . وزعامتهم لابن الشيخ حسن . وفروعهم هي السيارة وبنو محمد وبنو يوسف وكل منها يتفرع الى فروع . وهذه القبيلة على قلتها فتاكة لا يصطلى لها بنار . ولها اشتباكات مروعة مع القبائل العنزية [1] .

الشرابيون :

تزعم هذه القبيلة انها والجبور من نبعة واحدة وانها أول من حرث ارض الجزيرة وزرعها من القبائل العربية . وهم الآن فلاحون فقراء في خدمة القبائل الغنية القوية ونساؤهم يرضعن اطفال القبائل ويربينهم . وقد صاروا بسبب ذلك ينتمون الى قبيلة بني سعد التي منها حليمة مرضعة الرسول عليه السلام . وفيهم كثير يقرأون ويكتبون ويتخذون عقد النكاح وشفاء الامراض بالرقي والتعاويذ مهنة ويسمونهم الملالي جمع مَلّا وهي كلمة تركية بمعنى شيخ او فقيه .

ورئيس الشرابين ابن ابوزو . وعددهم ١٢٠٠ بيت وفروعهم البو محمد والطاهات . وكل منهما يتفرع الى فروع عديدة .

ولفرع البو محمد اراض يحرثونها في ضفاف الخابور الاعلى وبعضهم يعمل اجراء لدى الملاكين الاكراد وعندهم قطعان غنم كبيرة ايضا . ولفرع الطاهات كذلك ارضون يزرعونها وقطعان غنم كبيرة يقتنونها [2] .

---

(١) ص ٣٠٣ — ٣٠٤

(٢) ص ٣٠٤ — ٣٠٥

ذكر الاستاذ زكريا في سياق عشائر الشام اسماء بضع عشائر تنزل في اراضي لبنان على اعتبارها جزءا متمما لبلاد الشام وهي كما يلي :

الزريقات :

قال عنها انها فندة متفردة تزعم الانتساب الى عشيرة الاسبعة العنزية وهم رعاة عند آل مرعب بكوات عكار وآل رعد بكوات الضنية وعددهم مئة بيت وينتشرون زرافات صغيرة في كل شمال لبنان ويتبعون اصحاب المواشي التي يربونها (١) .

العويشات :

قبيلة صغيرة في وادي خالد وجبل اكروم في شمال لبنان وعددها ٥٠ — ٦٠ بيتا وتشتغل في تربية البقر والغنم والجواميس . وكانت ملاكة وادي خالد فانتقل ملكه الى اغوات بيت حمود الدندشيين (٢) .

العتيق :

هذه فرقة من النعيم اصلها من نعيم حمص . وهي نصف رحالة . وتشتي في جبل اكروم وتصيف في وادي خالد في شرقي عكار وغربي حمص وعددها ٣٠٠ بيت ورئاستها لابني الاسعد والاحمد (٣) .

الغنام :

منازل هذه القبيلة في وادي خالد وتدعى النسبة الى الموالي وهي

---

(١) ص ١٢٥ (٢) ص ١٢٥ (٣) ص ١٢٥

ذات غنم وبقر وابل وعددها ٢٠٠ بيت •

العجـارفة :

هذه القبيلة رعاة عند آل رعد بكوات الضنية • وتشتي في سهل عكار وتصيف في جرود الضنية • وعددها ٣٠٠ بيت (١) •

اللهيب :

وهذه فندة من قبيلة لهيب التي هي متوزعة في انحاء عديدة من بلاد الشام على ما مر بيانه • وهم رعاة لدى وجهاء عكار (٢) •

الارامش :

فندة من اللهيب في جنوبي لبنان تشتي في قضاء صور وتصيف في ميس شمالي غربي الحولة وعددها ٢٥ بيتا ورئيسها ابن الاحمد (٣)•

الحمدون :

وهذه كذلك فندة اخرى من اللهيب في جنوبي لبنان تشتي غربي الحولة وتصيف في سفوح جبل عامل ورئيسها ابن المناور وعددها عشرون بيتا (٤) •

اللقلوق :

وهذه ايضا فندة من اللهيب تنزل في اواسط جبل لبنان وجروده منذ قرنين • واسمها آت من مكان كانوا يتملكونه في اعالي كسروان غربي العاقورة وتنورين • وتقضي صيفها فيه وتنتقل في الشتاء الى قضاء الكورة وتشتغل في تربية الماشية بالشراكة مع بعض اللبنانيين •

---

(١) ص ١٢٦ (٢) ص ١٢٦ (٣) ص ١٢٦
(٤) ص ١٢٦

وعددها ٥٠ بيتا وزعيمها ابن الحياد وهي معروفة باكرام الضيــوف والصدق والشهامة والامانة [١] .

عرب المسلخ :

لا يخلو جبل لبنان في وسطه وجنوبه من بعض رعاة من منابت مختلفة غامضة تصيف في جروده الشاهقة وتتبع منابت الكلأ في هضابه ومنحدراته وتهبط في الشتاء القرى المتوسطــة والساحلية الدافئة . ويسميهم اهل لبنان باسم عرب المسلخ ولعلهم من اللهيب [٢] .

---

(١) ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) ص ١٠٧ .

القبائل العربية

في الاردن وبرية السبع وفلسطين

اولا ـ قبائل وعشائر الاردن وفلسطين

صنف المؤلف الانكليزي بيك الذي نوهنا بكتابه في مطلع الفصل قبائل الاردن وعشائرها حسب منازلها • ومزج نتيجة لذلك بين القبائل البدوية وعشائر المدن الحضرية •

وقد رأينا الافضل ان نذكر القبائل البدوية ثم نتبعها بالعشائر الحضرية مع التزام تصنيف المنازل الذي سار عليه المؤلف في الوقت نفسه•

١ ـ قبائل منطقة البادية

اول ما ذكره المؤلف هذه القبائل وهي كما يلي :

بنو خالد :

هم فريق من بني خالد النازلين في اراضي سورية • وقد نزحوا الى الاردن نتيجة لنزاع قام بينهم وبين قبيلة النعيم • وقد نزلوا اولا في الجولان ثم تحولوا الى شمال شرق الاردن نتيجة لضغط عـرب الفضل عليهم •

ويملك بنو خالد عددا كبيرا من الابل • ولا يرحلون الى الشرق في الشتاء الى ابعد من الخط الحديدي الحجازي • وينزل معظمهم عادة حول الرمتـا • ويملـك زعيمهم قرية حوشا بجوار الرمتـا • وهم ثلاثة بطون :

١ ــ الجبور • ويتألفون من عشائر القضاة والناصر والدعاس والضميم والسليم والسعيد والجديان والنبيط • وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية •

٢ ــ الصبيحات • ويتالفون من عشائر البطنة والتمنام والمسيعيد والعظمة والبطمة والصليحيين والففروان والعثمان •

٣ ــ الهنود • ويتألفون من عشائر الحسين والرملة والركبة والصريعيين والقرعان والسليمي [1] •

بنو صخر :

قال مؤلف الكتاب ان الحمداني يروي انهم فخذ من قبيلة حرب الحجازية بينما يروي القلقشندي انهم فخذ من قبيلة جذام الفحطانية • وهم فرعان كبيران : الطوقة والكعابنة •

ويتفرع الاول الى فروع الغمين والخضير والعقل • والثاني الى فروع الخرسان والجبور • وكل من هذه الفروع يتفرع الى فروع اخرى بحيث يبلغ مجموعها الستين • ويؤرخ تاريخ طروء هذه القبيلة الى الاردن باواسط القرن الحادي عشر • والزعامة في الطوقة لبني الفائز وفي الكعابنة لبني محمد •

وقد سجل بنو صخر احداث نزاع عديدة مع القبائل الاخرى وفيما بينهم ايضا بحيث شغلوا حيزا غير يسير في تاريخ قبائل الاردن • ولقد انقسم فرع الطوقة الى حزبين كبيرين الفائز والزين وتصاولا صيالا شديدا ومديدا وقد استنجد الفائز بعنزة والزين بالسردية في هذا الصيال فكان ذلك مما زاد في استعاره [2] •

---

(١) تاريخ شرق الاردن وقبائلها تأليف بيك تعريب بهاء الدين طوقان ص ٢١٤ وسنكتفي بعد الآن بذكر ارقام الصحف لان كل مقتبساتنا في هذا الفصل منه •

(٢) ص ٢١٤ ــ ٢٢١ •

بنو عطية :

هذه القبيلة حجازية وما تزال اصولها في الحجاز • ويقطن بعض فروع هذه القبيلة في منطقة الكرك كفلاحين ويعرفون ببني عطية الشمال او المزايدة • ويتجول بعضهم في انحاء الكرك ومعان ويصلون احيانا الى ديار بئر السبع والخليل فيعملون حصادين في موسم الحصاد • وحين يسوء الموسم يرحلون الى شمال الاردن حتى يصلون الى البلقاء •

ويتفرع بنو عطية الى ثلاثة فروع رئيسية هي العطيات والعقيلات والخميسات • وكل منها يتفرع الى فروع وفروع فروع بحيث يبلغ مجموعها السبعين [١] •

الحجايا :

تزعم هذه القبيلة انها فرع من قبيلة عيد • احدى القبائل الشمرية الطائية وانها كانت تتسمى باسم عبده ثم صارت تتسمى باسمها الذي يعني اللاجئين لانها كانت التجأت الى شيخ عشائر الروالة بسبب نزاع بينها وبين فرع آخر من قبيلة عبده •

وهي ثلاثة فروع : المحموديون والعلييون والمناعين وكل منها يتفرع الى فروع بحيث يبلغ المجموع العشرين [٢] •

الحويطات :

يدعى الحويطات النسبة الى العترة الفاطمية العلوية وليس هناك ما يثبت ذلك • وقد روى المؤلف قصة عن نشأتهم وتفرعهم عن جد اسمه حويط بن غازي عاش في بني عطية التي كانت تنزل في منطقة العقبة؛ وقد شاب القصة خيال كثير ثم قال وسواء صدقت الرواية أم كذبت

---

(١) ص ٢٢٢ – ٢٢٥

(٢) ص ٢٢٦ – ٢٢٧

فانه لا جدال في ان الحويطات برزوا في منطقة العقبة ونهضوا جنبا الى جنب منذ البداية مع بني عطية وانهم لما كثروا انتشروا في اماكن مختلفة. وهم ينتسبون الى ابناء حويط ، سويعد وعمران وسعيد واقبال . والمنتسبون الى الاول هم في الجنوب ويعرفون بحويطات تهامه ومن المحتمل ان يكون جماعة منهم هاجروا الى مصر . والمنتسبون الى عمران مقيمون في جوار العقبة ويعرفون بالعمران . والمنتسبون الى سعيد نازلون في شمال العقبة وقد نزح كثير منهم الى فلسطين وصاروا يعرفون بالسعيديين . والمنتسبون الى اقبال مقيمون في شمال العقبة كذلك وصاروا يعرفون بحويطات ابن جازي نسبة الى بيت الزعامة فيهم . وهؤلاء هم حويطات شرق الاردن موضوع الكلام . ولقد عاشوا عيشة قرار خلال عصور عديدة وكانوا يربون الماشية والابل ويزرعون التلال التي في شمال العقبة . وقد ذكرهم سائح اسمه بوخارد زار البلاد في اوائل القرن التاسع عشر وقال انهم كانوا ينزلون في جبال الشراه حول قرى ضانا والبصيرة والطفيلة وانهم شيدوا عدة ابراج حول هذه الاماكن . ومما قاله السائح ان فرعا منهم نزلوا في شمال العقبة حيث يمر موكب الحج المصري وان سلطان مصر كان يعطي شيخه ابن نجاد جعلا سنويا . ويظهر ان الزعامة صارت من بعد هذا الى ابن جازي حيث ذكر السائح ايضا اسمه كشيخ لهم حينما زار البلاد .

ولقد استطاع زعماؤهم بنو جازي فرض سلطانهم على جميع القبائل المستقرة والرحالة في اواسط القرن التاسع عشر . فلما ارادت الحكومة العثمانية انشاء حكومة في معان حاولوا عرقلة ذلك لانهم رأوا فيه انتقاصا لسيادتهم ، غير ان الحكومة تغلبت عليهم بالقوة ثم جنحت الى ملاينتهم فتم التفاهم بينهم وبينها ..

غير ان النزاع عاد ثانية لان الدولة طلبت ضرائب سنتين سلفا وكانت زعامة الحويطات انتقلت الى الشيخ عودة بن حرب ابي تايه فابى الاذعان واصطدم مع قوة الحكومة ثم رضخ. وقد اشتهر بالفروسية

والشجاعة شهرة عظيمة بما كان منه من نشاط وبسالة وغارات في النطاق القبيلي . وقد انضم في الحرب العالمية الاولى الى الثورة الهاشمية والتحق بحملة الامير فيصل وابلى بلاء حسنا زاد من شهرته وصيته .

ومات عودة سنة ١٩٢٧ م فعادت زعامة الحويطات ثانية الى آل جازي الذين لهم الزعامة اليوم .

ولم يذكر المؤلف الذي لخصنا عنه ما تقدم فروعا اصلية للحويطات وانما قال انه يتبعهم سبع عشائر لا تمت اليهم بصلة قرابة او نسب وهي : السميحيين الذين يقولون ان اصلهم من مصر والدماينة والعطون والهديان من بني عطية والزوايدة والزلابية من عنزة والمصيبحين الذين يقولون انهم اعقاب حاج من الحجاز [1] .

السرحان :

هذه القبيلة عريقة في القدم . قال عنها ابن دريد انها بطن من الاسبع من كلب بن وبره . وكلب من قضاعة .

كانت هذه الفبيلة من قبائل حوران وكانت أقوى قبائل حوران واعظمها سلطانا في القرن السادس . وكانت على رأس حلف قبائلي كبير يدعى باهل الشمال ويضم قبائل العيسى والفحيلي والفضل .

وفي اواسط القرن السابع عشر اشتبكت مع قبيلة السردية بنضال دام انتهى بتغلب هذه عليها وغدوها صاحبة السيطرة في المنطقة الممتدة من دمشق الى البلقاء ثم انفصلت العيسى والفحيلي عنها فتضاءلت قوتها واضطرت الى الرحيل عن حوران فرحلت الى الجوف ونزلت في الوادي المعروف باسمها وهناك شرعت في بناء الحصون والقلاع وانشاء الحدائق والمزارع حيث كانوا اقتبسوا ذلك من اقامتهم في حوران .

---

(١) ص ٢٢٨ ــ ٢٣٣

ولما اخذت القبائل العنزية تفد من الحجاز الى بلاد الشام وفدت بادىء بدء على الجوف فاصطدمت بالسرحان وطردتهم واسرع بنو صخر لمساعدتهم ولكنهم منوا في النهاية بكسرة منكرة فاضطر السرحان الى النزوح عن الجوف الى البلقاء باستثناء نفر منهم رضخوا للوافدين وبقوا حيث هم .

وينقسم السرحان الى خمسة بطون وهي الرشيد والهياب والحجل والمنيد والحمدان وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية اخرى [١] .

العيسى :

بطن من قبيلة آل فضل ومنازله في شمال شرقي الاردن . ويتفرع الى اربعة فروع كبيرة وهي السويلم والعلي والحويطة والحريز . وكل منها يتفرع الى فروع ثانوية اخرى بحيث يبلغ مجموعها اربعة عشر [٢].

---

(١) ص ٢٣٤ - ٢٣٧ (٢) ص ٢٣٨

٢ ــ قبائل منطقة البلقاء

الازايدة :

منازل هذه العشيرة غربي مادبا وتتألف من الفرق الآتية :
١ ــ الخبابسة ، ٢ ــ الحريبات ، ٣ ــ الخواطرة ، ٤ ــ الفشيكات، ٥ ــ العبابسة ، ٦ ــ العجولين ، ٧ ــ المعاعية [١] .

السليط أو السلايطة :

اصل هذه العشيرة من الفواضلة من بلي من قضاعة . وهي حليفة لبني صخر وتعد ساعدهم الايمن في حروبهم وغزواتهم . ومنازلها بخربتي الهون والمشيرفة بين أم رصاص والموجب . وهي فرعان الغيثان وابو رجيلة [٢] .

الشخاترة :

يقال انهم بطن من بلي من قضاعة . ومنازلهم بجوار مادبا وهم ثلاث فرق هي الحمد والعلي والحماد [٣] .

الشوابكة :

اصلهم من قرية الشوبك ــ في منطقة الكرك ــ وقد هاجروا الى البلقاء على اثر الاضطرابات التي حدثت في الشوبك في اوائل الحكم العثماني . وهم ثلاثة فرق : المطايبة والمصالحة والمرابحة [٤] .

العوازم :

يقال انهم بطن من عرب الهنادي الذين قدموا من الديار المصرية ونزلوا بجوار سمخ . ومنازل العوازم حول ماعين [٥] .

---

(١) ص ٢٥٠ (٢) ص ٢٥٠ (٣) ص ٢٥٠
(٤) ص ٢٥٠ ــ ٢٥١ (٥) ص ٢٥١

الغنيمات :

يقال انهم بطن من بني غنيم من لخم ، وان جدهم هجر قبيلته منذ ٢٥٠ سنة تقريبا على اثر خصام بينه وبين اقاربه ونزل عند قبائل الروالة ، ثم نزح الى اراضي الكورة في جنوبي مادبا . وتنازع اعقابه مع بني حميدة فادى ذلك الى خروج الغنيمات من الكورة ونزولهم في اراضي الكفير غربي مادبا . وهم ثلاث فرق وهي آل عبد الله وآل علي وآل حمد . ويتبعهم فريق السيوف وهم بطن من البطاينة من حمايل قرية البارحة في قضاء عجلون [١] .

بنو حميدة :

يرجح ان هذه القبيلة من هلبا سويد من جذام وان اصولها قدموا من شمال الحجاز الى الاردن وقد نزلوا اولا في الكرك ثم نزح فريق منهم الى البلقاء [٢] .

الفواضلة :

يروى ان جدهم فاضل جاء مع عشيرته التي صار اسمها مقتبسا من اسمه من الحجاز وانه نزل مع عشيرته في جوار الطفيلة اولا ثم انتقلوا الى اراضي الجبل في جنوبي مادبا . وكان سيد هذه الجهات جينذاك ابا الغنم شيخ قبيلة الغنيمات الذي اشتهر بقسوته وظلمه . وقد تمكن فاضل ورجاله من قتله بحيلة . ومنذئذ صاروا سادة الجبل واصحابه .

ويتفرع الفواضلة الى فروع البريزات والقطيش والطوالبة والنوافعة والعجالين والهاشم والسلمان والشبيلات والحضور والسمارات والهواوشة والقبلات والصبيحات [٣] .

---

(١) ص ٢٥٢ (٢) ص ٢٥٣ (٣) ص ٢٥٣ – ٢٥٤

التوايهة :

يقولون ان جدهم هو تايه اخو فاضل المذكور آنفا وانه قدم معه من الحجاز . ومنازل هذه القبيلة بسنطقة جبل مادبا . وفروعها هي الهروط والفقها والذويبات [1] .

اللبادنة :

وهؤلاء ايضا ينتسبون الى الحجاز ويقولون ان جدهم ابا ربيحة جاء مع فاضل الى شرق الاردن ، ويقيمون اليوم في منطقة الكورة من مادبا . وفروعهم هي اللوايسة والرواشدة والشراونة والحواتمة . وكل منها يتفرع الى فروع ثانوية ، ويتبع الشراونة عشيرتان نزحتا من الكرك وانضوتا الى هذا الفرع وهما الهواوشة والحيصة . وكل منهما يتفرع بدوره الى فروع ثانوية [2] .

المطارفة :

يتبعون بني حميدة الكرك في المشيخة وهم خمس فرق كبيرة هي الديارنة والرياحنة والضرابعة والفقراء والغويين . ويفيد كلام المؤلف ان هذه الفرق لا ترتبط بأصل واحد بل هي من اصول مختلفة ولكنه لا يذكر سبب اجتماعهم تحت اسم المطارفة وليس بين فروعهم فرع بهذا الاسم . وكل من هذه الفرق يتفرع الى فروع ثانوية . ويتبع فرق الديارنة ثلاث فرق هي البواريد ــ فرع من عباد ــ والفلاحات من الخليل والجماعين من احدى قرى نابلس .

ومنازل فرق المطارفة جردان وام شجيرة وام لبيقةوالبقيعةوالكورة والمليج في منطقة مادبا [3] .

---

(١) ص ٢٥٤ (٢) ص ٢٥٥ (٣) ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦

الحديد :

يقال ان جدهم فياد بن رسلان من الشام وانه هاجر الى الاردن قبل ٢٥٠ سنة • وهم الآن خمس عشائر هي : (الحنيطيين) ومنازلهم في ابي علنده و (الدبايبة) ومنازلهم في القويسمة و (الرقاد) ومنازلهم في الكفير و (الزفغة) ومنازلهم في القويسمة و (الشوابكة) ومنازلهم في الرقيم • ويتفرع كل من هذه العشائر الخمس الى فروع ثانوية عديدة• ويفيد كلام المؤلف ان العشيرة الاولى فقط هي من ذرية الحديد وان العشائر الاخرى من اصول اخرى انضوت الى ذرية الحديد وتسمت باسمها [1] •

الشوابكة :

فرع من احدى عشائر الغنيميين في الشوبك • ومنازله في الرقيم والخشافية [2] •

الدعجة :

يجتمع تحت هذا الاسم ثلاث قبائل كل منها من اصل مختلف عن الآخر • ولعل بعض بطونها من الدعاجنة من جذام المذكورين في بلوغ الارب للقلقشندي • واولى القبائل الثلاث (الشبيكات) التي تدعي انها من بطن بلى من قضاعة جاءت منذ ٣٠٠ سنة وثانيتها (الخطيلات) التي تتفرع الى فرعين كل منهما من اصل مختلف وهما الغرير الذي يقال انه بطن من عرب ابن معجل والهملان الذي يقال انه بطن من العمرو وثالثتها (الجواميس) الذي يقال ان اصلهم من الجولان وان اسمهم آت من اشتغال جدهم بتربية الجواميس [3] •

---

(١) ص ٢٥٧ – ٢٥٨ (٢) ص ٢٥٨ (٣) ص ٢٥٨ – ٢٥٩

الشطية :

يقال انهم قدموا من غور المزرعة في الكرك ومنازلهم الآن في غور دامية بجوار مقام ابي عبيدة [1] .

عبـــاد :

اكبر قبائل البلقاء ويظن انهم من تنوخ كما يقال انهم من جذام . وينقسمون الى فرعين كبيرين . الجرومية والجبورية . وكل منهما يتفرع الى فروع عديدة بحيث يبلغ مجموعها نحو الثلاثين وعدد افرادها نحو ٣٠٠٠٠ ومع ما قاله المؤلف عن اصلهم فان ما ذكره من تفصيلات عنهم يفيد انهم أو ان معظمهم من اصول مختلفـــة لا يكاد يجمع بينها جـــامع . وليس في الاسماء اسم عباد ولا الجرومية ولا الجبوريـــة . وليس في كلام المؤلف تعليل لانضواء الجميع تحت اسم عباد ثم افتراقهم الى قسمين كبيرين وتسمية كل فريق باسمه [2] . !

العجارمة :

يظن انهم فرع من جذام وهم الآن عشائر عديدة مختلفة الاصل ايضا وهي (المطيريون) الذين يزعمون انهم من بني مطير النجديـــة (والسواعير او النوافعة) الذين هم من اقدم بدو البلقاء ونواة العجارمة و (الحرافيش) الين هم وحرافشة بعلبك من اصل واحد و (الشهوان) الذين اصلهم من الطفيلة . و (الشريقيون) الذين يقال ان اصلهم من السرحان و (العفاشات) الذين يقال انهم من اقدم سكان البلقاء [3] .

العدوان :

ذكرنا في فصل نشاط الارومات العربية في مجال الحكم والسلطان

---

(١) ص ٢٥٩ (٢) ص ٢٦٠ – ٢٦٤ (٣) ص ٢٦٥ – ٢٦٧

في منطقة البلقاء هذه القبيلة وما يروى عن اصلها فلا حاجة الى الاعادة ٠ وهي من القبائل الكبيرة القوية ٠ وتنزل في الشتاء في غور نمرين وفي الصيف في اراضي صويلح وحسبان ٠ وتتفرع الى اربعة فروع اصلية هي العساف والكائد والسكر والنمر ٠ ويتبعها عشيرتان ليستا منها هما القرضة والثوابية ٠ وكل من هاتين العشيرتين يتفرع الى فروع عديدة [١] ٠

المشالخة :

وهذه ايضا من عشائر البلقاء الكبيرة القوية ٠ وتتكون من فروع عديدة مختلفة الاصول تكومت على بعضها على طريقة الحلف والولاء ٠ ومنازلها في غور دامية ٠ وهذه الفروع هي الديات والربيع والسعيفان والضميدات والعلاقمة والغراغير والفاعور والمشاهرة [٢] ٠

النعيمات :

بطون عديدة متوزعة في انحاء الاردن ٠ ومنها فرع ينزل في البلقاء في اراضي ام السماق [٣] ٠

المساعيد :

منازلهم في غور الفارعة بين السلط ونابلس ٠ ومعظمهم يشتغلون بالزراعة ٠ وشيوخهم يتلقبون بالامارة ٠ ويظن ان لهم صلة بالمساعيد النازلين في منطقة العريش [٤] ٠

---

(١) ص ٢٦٨ – ٢٦٩ (٢) ص ٢٧٠ (٣) ص ٢٧٠

(٤) لم يذكر مؤلف كتاب تاريخ شرق الاردن هذه القبيلة لانها كانت من قبائل فلسطين. وقد رأينا ان نذكرها لان فلسطين العربية والاردن صارتا مملكة واحدة . وقد ذكرها عارف العارف في كتابه تاريخ بير السبع وقبائله ص ١٢٠) دون ان يصف شيوخها بالامارة وهو ما نعرفه يقينا . وقد ذكرهم مؤلف كتاب جبل نابلس وذكر مشاركتهم في الحرب الاهلية التي نشبت بين الاسر البارزة في جبل نابلس في نطاق القيسية واليمنية . وكانوا يمنيي النعرة فحاربوا الى جانب الصف اليمني الذي كان يترأسه بنو طوقان . واشتهر منهم الامير بركات الضامن في القرن الثالث عشر (انظر تاريخ جبل نابلس ص ٢٨٣ و ١٣٩) .

٣ ـ قبائل منطقة عجلون

البلاونة :

يقولون انهم فرع من قبيلة بلى من قضاعة وهم بداة مستقرون يعملون في الزراعة في الغور الذي يعرف اليوم باسمهم والمجاور لغور ابي عبيدة . وهم ثلاث فرق هي الحناطلة والمخادلة والعلاونة [١] .

البشاتوه :

منازلهم من تل ابي القمل الى زور الباشا ويخيم قسم منهم في اراضي فلسطين وهم فريقان : البكار والشحيمات [٢] .

صخور الغور :

هم فرع من صخور البلقاء ويتفرعون الى ثلاثة فروع الظهيرات واللبون والمراونة . ومنازل الفرعين الاولين الشونة والاخير غور جسر المجامع [٣] .

الغزاوية :

اصلهم من بلاد غزة ومن ذلك اسمهم ويدعون انهم من نسل عمر ابن الخطاب . وهم قسمان قسم منازله غور الاربعين في الاردن وآخر منازلة في غور بيسان بفلسطين . وقد جاؤوا قبل خمسة قرون وصاروا اصحاب سيطرة وصولة في عجلون واصطدموا بالمشالخة فيها الذين ارغموهم على النزوح الى غور الاربعين وغور بيسان وقد انتزعوا الغورين من صخور الغور وعشيرة الحسنة من ولد علي .

---

(١) ص ٢٩٤

(٢) ص ٣١١

(٣) ص ٣١١

ويتبع الغزاوية عشائر عديدة ليست منهم ومن اصول ومنابت مختلفة وهي الزيناتي والمباكير والبواطي والدبيس والدعوم والزبيدات والطواحة والطويسات والعبيسية والعيل والقويسم والرياحنة والكفارنة والكنعان والمشاعلة والهديبات [1] .

وقد مر في فصل الارومات العربية البارزة في مجال الحكم والسلطان في شرق الاردن نبذة في ما كان لشيوخهم في القرن العاشر والحادي عشر من حكم وسلطان في عجلون ومنطقتها .

بنو حسن :

منازل هذه القبيلة حول جرش . ولها ارض تفلحها . وهي مستقرة مع المحافظة على البداوة . ويظن ان اصلهم بطن من بني عذرة القحطانيين . وهم فرعان المشاقبة والعموش . ويتبعهم اربع عشائر ليست منهم ومن اصول ومنابت مختلفة وهي الحراحشة والخوالدة والخزاعلة والزيود . وكل منها يتفرع الى فروع عديدة يبلغ مجموعها نحو اربعين [2] .

الصقور [3] :

منازلهم في غور بيسان . وكانوا ينتشرون في القرن الثاني عشر الى نواحي صفد . وكان لهم نشاط في ظرف بروز الشيخ ظاهر العمر على ما مر بيانه في سيرة الزيادنة . وبعد ان استقروا في غور بيسان صاروا يشتركون في الاحداث التي كانت تجري في مناطق جنين ونابلس وكانوا يمني النعرة ويتضامنون في هذه الاحداث مع الصف اليمني الذي كان يرأسه بنو طوقان .

---

(١) ص ٣١١ – ٣١٢ .

(٢) ص ٣٣٢ – ٣٣٥ .

(٣) لم يذكرهم مؤلف تاريخ شرق الاردن لانهم حين كتب كتابه كانوا من قبائل فلسطين. وقد ذكرهم مخائيل الصباغ مؤلف تاريخ الشيخ ظاهر العمر (ص ٢٤ – ٣٥ و ٤٥ – ٤٦) وذكرهم مؤلف تاريخ جبل نابلس (ص ٢٨٣ و ٢٨٩ و ١٣٦) .

٤ ــ قبائل منطقة الكرك

البصيراوية :

منازلهم عند قرية فقوع وهم ثلاث فرق الليمون والدهيسات وابو ركاب [١] .

بنو حميدة :

منازلهم بحمرة وادي حماد وشمالي القصر وغربي جبل شيحان ووادي الموجب . ولهم قرى عديدة يفلحونها . وهم فخذان كبيران الدعاجنة والمطارفة . وكل منهما يتفرع الى فروع عديدة . وبنو حميدة الذين هم في البلقاء اقاربهم [٢] .

البلاونة :

هم اقارب بلاونة منطقة عجلون . ويقال لهم الفقراء ومنازلهم بدمنة . ويتفرعون الى ثلاثة فروع وهي السلامات والقبلان والفلاح [٣] .

الخرشة :

منازلهم خربة مجره ووادي الحسا . ويتفرعون الى ستة فروع وهي العناتير والسلمان والجبلات والشماعين والمراجين والسخان [٤] .

العمرو :

هم من بطن من تميم الذين هم بطن من الغزية القحطانية على ما ذكره القلقشندي في بلوغ الارب . ومنازلهم بجوار قريتي المعروض

---

(١) ص ٢٥٧ (٢) ص ٢٥٨ (٣) ص ص ٢٥٨ (٤) ص ٢٥٩

والمجرة . ويتبعهم فرقة يقال لها الجرادات ومنازلها قرب دمنة . وكان بينهم وبين عشيرة المجالي صيال قديم انتهى بتغلب الاخيرين على الاولين. والى هؤلاء ينتسب آل عمرو زعماء الخليل الاقطاعيون [1] .

النعيمات :

يرجح انهم فرع من بني نعيم سورية مع انهم يدعون النسبة الى جعفر الطيار . ومنازلهم في ذات رأس وشقيره . وهم فرقتان العبادلة والاحامدة وكل منهما يتفرع الى فروع ثانوية اخرى [2] .

المصاروة :

يقولون ان اجدادهم من متطوعة ابراهيم باشا . تخلفوا عنه وعاشوا بدوا [3] .

الغوارنة :

يطلق هذا الاسم على سكان غور الصافي وغور المزرعة . وسكان غور الصافي فريقان كبيران هما العوايسة والمحلف وينضوي تحت الاول ست عشائر هي العشيبات والشعار والخليفات والمرادات والشمالات والشحادات . وهي من منابت واصول مختلفة تكومت على بعضها بالحلف والولاء . وينضوي تحت اسم الثاني ست عشائر ايضا هي : الحشوش والمحافظة والبوات والمشاعلة والمعاقلة والخطبا وهي كسابقتها من منابت واصول مختلفة ومتكومة على بعضها بطريق الحلف والولاء .

وسكان غور المزرعة ايضا فريقان هما الخنازرة والاحلاف . وينضوي تحت اسم الاول الخنازرة والجعارات والدغيمات . وتحت اسم الثاني العجالين والهويمل والنوايشة والعونة والمغاصبة والشباطات. وفروع كل من الفريقين من منابت واصول مختلفة متكومة على بعضها بطريق الحلف والولاء بدورها [4] .

---

(١) ص ٣٥٦ و ١٧١ ـ ١٧٣
(٢) ص ٣٥٩
(٣) ص ٣٥٩
(٤) ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ .

قبائل منطقة معان

اللياثنة :

يطلق هذا الاسم على العشائر المنتشرة في وادي موسى ويختلف المؤلفون القدماء في اصل اللياثنة فمنهم من ينسبهم الى قضاعه ومنهم من ينسبهم الى كنانة • وينضوي تحت اسمهم عشائر عديدة منها من هم لياثنة اصليون ومنهم من هم من اصول ومنابت مختلفة • وهذه العشائر هي (بنو عطا) الذين يدعون انهم من بلى و (الرواجفة) الذين يدعون انهم من بني هلال و (الشرور) الـذين يـدعون انهم من قبيلة حرب و (العبيديون) الذين يدعى فرع منهم انه هو اصل اللياثنة و (العلايا) الذين يدعون انهم لياثنة ايضا • وينضوي تحت اسم كل من هـذه العشائر فروع بعضها من اصل ومنبت مختلف عن الآخر [1] •

---

(1) ٢٦٥ – ٢٦٦ .

٥ ـ عشائر المدن والقرى الاردنية

قلنا في التمهيد ان في المدن والقرى الاردنية كثيرا من الحمائل والاسر التي تتسمى باسم العشيرة والتي تحتفظ بالطابع العشائري زيا ولهجة وعصبية وتقاليد • وقد ذكر مؤلف كتاب شرق الاردن عددا عظيما منها واورد نتفا تاريخية واجتماعية عن كثير منها • ومن هذه العشائر ما هو شراذم لا يزيد عدد افراده عن خمسين ومنها ما هو متفرع كثير العدد قد يبلغ الثلاثة آلاف • وكثير منها يمت الى قبائل وارومات عربية قديمة ومنها ما هو معروف الاصول ومنها ما هو غير معروف • ومنها ما ينضوي فيه فروع واتباع ليست منه منبتا واصلا • ومنه ما لا يزال له اقارب في الاردن وخارجه • ومنها ما هو نصراني على اختلاف المذاهب ومنها ما هو مسلم • ومنها ما هو قديم ومنها ما جاء من خارج الاردن في القرون الاخيرة وسنكتفي باسمائها والمهم من صفاتها كما يلي :

اولا عشائر السلط (١) :

الجزارية والحبارات والحياصات والخريسات والدبابسة والرمامنة والعربيات والحدايدة والحمامرة والزعبية والعطيات والعمايرة والعوامة وهي اكبر الحمائل في السلط ويبلغ عدد افرادها ٥٥٠ ويتبعها عشائر عديدة من غير اصلها ، والفواعير والقطيشات ، والبشارات والنواضرة والحدادين والدبابنة والشرابشة والفواخرية والقعاورة والقماقمة والقواقشة والمشاشفة والبنور ، وما قبل البشارات من الحمائل مسلمون

(١) تاريخ شرق الاردن وقبائلها ص ٢٣٩ ـ ٢٤٩ •

والبشارات وما بعدها مسيحيون ومن هؤلاء من يدعي انه من بقايا الغساسنة مثل الحدادين والقعاورة .

ثانيا ــ عشائر منطقة عجلون [1] :

١ ــ في قرى ناحية جهمه من هذه المنطقة عشائر وحمائل البصول والكوافحة وابو كرسنة وبنو طعان وبنو هاني والبطاينة والتلول والجلابنة والحتافلة والحجازات والحمامرة والخريسات والخلايلة والدلاقمة والذينات والسردادية والرفايعة والرواشين والشخاترة والشرايرة والشطناوية والشوحة والطبيشات والعبابنة والجرادات والغرايبة وهذه من اكبر حمائل هذه الناحية حيث يبلغ عدد افرادها الالفين ، والقواسمة والزعامة في الناحية للبطاينة .

٢ ــ وفي قرى ناحية عبيد عشائر وحمائل اسلامية ومسيحية معا . فالاسلامية هي الازارعة والبدور والجرارحة والخصاونة ــ وهذه اكبر حمائل الناحية واقواها ولها الزعامة في الناحية ــ والدلاوه والزغيبات والزقاية والسواقد والشامية والشواقبة والشوامنة والشباب والعتامنة والعواشرة والعواودة والمريانيين والمسادين والمساعدة والمغايرة والنصيرات ــ وهذه عشيرة كبيرة من أهم عشائر الناحية ــ والنفارشة والهامية والهنانده والوقفية . أما العشائر والحمائل المسيحية فهي الحناحنة والدحابرة والقنادحة والدلالعة والدموك والسويدان والكشامنة والكلافحة والعابسة والعمامرة والعميشات والعوازرة والغنيمات والفانك والنمورة والنويصر .

٣ ــ وفي قرية ناحية جبل عجلون البطوش والبعول والبعيرات وبنو سعيد وبنو شقير وبنو عطا وبنو فواز وبنو المقداد والجواورة والخرابشة والخزيمات والخشينية والخطاطية والربابنة والزعارير والزغول والسيوف والشويبات والشويطيريه والصمادية ــ وهذه اكبر

---

(١) ص ٢٧١ ــ ٣٤١

حمائل الناحية ــ والعروض والعظيمات والعنيزات والغرايبة والغــزو والفريحات ــ وهذه من اكبر حمائل الناحية ــ والقدحات والقضــاة والقواقنة والمومنية • وهذه جميعها مسلمة • وفي الناحية عشائر وحمائل مسيحية ايضا وهي بنو زيدان وبنو جريس وبنو سمور والربضية ــ وهي من الحمائل الكبيرة ــ والعويسات والقطيشات والمزاهر • والزعامة في هذه الناحية للفريحات •

٤ ــ وفي قرى ناحية الرمثا عشائر وحمــائل البطات والحرارة والدرايسة والحمزات والربابعة والرواشدة والزريقات والزعبية ــ وهذه اقوى واكبر حمائل هذه الناحية ــ والساكره والسمــيرة والشبول والشريح والعتامنة والعرجان والمخادمة ــ وهي من الحمائل الكبيرة ــ والمصاروة والمنابعة والمبايسة النواصرة والوردات • والزعامة في هذه الناحية للزعبية •

٥ ــ وفي قرى ناحية السرو في هذه المنطقة: البداسنة وبنوابراهيم والصوابحة والجرادنة والفلاحات والبواعنةوالحوريةوالخلوفوالخلايطة والدقامسة والروسان والشلول والصغــيرين وانصوالحــة والعبابنــة والمصاروة والملكاوية ــ وهــذه حمولة كبيرة يزيد عدد افرادها عن الالفين ــ والنعامنة والنعمان •

٦ ــ وفي قرى ناحية الكفارات من هذه المنطقة : الحكوموالحمادية والخزاعلة والخطبا والدعابسة والسعافنة والشبينات والطوالبةوالعبيدات ــ والاخيرة اكبر حمائل ناحية الوسيطةوصاحبةالزعامة فيها ــوالعكوش والعمرية والعمور والغوانم والكناينة والمشاعرة والملاعبة والنصايرة •

٧ ــ وفي قرى ناحية الكورة من هذه المنطقة : الاعبدة واهل دير ابو سعيد والبشارات وبنو حمد وبنو رشيد وبنو الدومي وبنو عــامر وبنو عواد وبنو فياض وبنو مفرج وبنو ملحم والجوارنة والحمادين والحمامصة والحوارنة والخشاشنة والخطاطبة والخطبــا والخمــايسة والدرواشة والدهون والدواغلة والدلالعة والربابعة والزعبية ــ وهي من

اكبر حمايل قرية جفين ــ والزقيرية والشرارقة • والشريدة ــ وهذه من امنع واقوى عشائر منطقة عجلون ومتوزعة في قرى عديدة ــ ولها الزعامة في الناحية ، والشريقين والطشامنة والعمايرة والعمرية ــ وهي من حمايل الناحية الكبيرة ــ والفرهود ــ وهذه مسيحية ــ والفتيان والقادرية وعقلة والكساسبة والمحاسنة والمحول والمساعدة والمسران والمطشين والمقابلة والمقدادية والنوافلة ــ وهذه اكبر حمائل قرية سموع ــ •

٨ ــ وفي قرى ناحية المعراض من هذه المنطقة : البطارشة وبنو عبده وبنو مصطفى والحماصنة والحوامدة والدبسية والراضي والرواشدة والزيادنة والزريقات والعتامنة ــ وهذه من الحمائل الكبيرة في قرية سوف ــ والعظامات والعفارات والعلاوين والعياصرة والعويسات ــ هذه مسيحية ــ والفلاحات واللواحمة والقواقزة والليات والمحاسنة والمرازيق •

٩ ــ وفي قرى ناحية الوسطية من هذه المنطقة: آل الذيب والبشايرة وبنو عمر والجديان والحاج علي والحدادين والحموري والدغيمات والدويكات والرحاضة والرفاعية والرواشدة والزراقوة والشنان والطواها والعتامنة والعرايضة والعزام والعمرات والعمرية والعناقرة والعنوز والعواودة والعلاونة والغزازة والقديسات والقرعان والقزاقزة والمطالقة والمعابرة والمقابلة والمهيدات والنمرات والهزايمة ، وعشيرة العزام هي صاحبة الزعامة في الناحية •

ثالثا ــ عشائرة منطقة الكرك [١] :

١ ــ في مدينة الطفيلة التابعة لهذه المنطقة عشائر : البحارات

---

(١) ص ٣٤٧ ــ ٣٥٧

والثوابيه والحمايدة والحميدات ـ وهي من الحمائل الكبيرة المتوزعة ـ والسعوديين والعبيديين والعطاعطة والقطيفات والكلالدة والهلالات والوهيبات •

٢ ـ وفي مدينة الكرك من الحمائل والعشائر المسلمة المجالي التي هي اكبر واقوى عشائر الكرك والتي شرحنا ما كان لها من نشاط وبروز في فصل الارومات العربية البارزة • ثم الحباشنة والصرايرة والضمور والطراونة والقطاونةوالنوايسةوالمعايطة وفي المدينة من الحمائل والعشائر المسيحية البقاعين والحدادين والزريقات والعكشة والحجازيين والمدانات والهلسة ومن فروع الهلسة القسوس •

٣ ـ وفي قرى اهل الناحية ثلاث عشائر مسلمة هي البطوش والبرارشة وبنو حسن •

رابعا ـ عشائر منطقة معان [١] :

١ ـ في معان الشامية عشائر عيال الحصان وعيال القرامسة وعيال المحاميد والخورة والكراشين •

٢ ـ وفي الشوبك عشائر الشقيرات واللواما والهياهية والرفايعة والملاحيم والغنيميين والطورة •

خامسا ـ عشائر مادبا [٢] :

١ ـ في مادبا ثلاث عشائر مسيحية هي الكرادشة والعزيزات والمعاعية اصلها من الكرك ونزحوا الى مادبا بسبب حادث خطف فتاة •

٢ ـ وهناك عشيرة تتسمى باسم المصاروة في قريتين قريبتين من

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٦٠ ـ ٣٦٤

(٢) ص ٢٥١ ـ ٢٥٢

مادبا هما زيزياء وسحاب . وهذه العشيرة من اعقاب متطوعة جيش ابراهيم باشا التي تخلفت في البلاد .

ومن الجدير بالذكر ان هذه العشائر ليست كل أسر المدن والقرى الاردنية . فان المؤلف لم يذكر الا اسماء الحمولات والاسر التي تتسم بسمة العشائر [1] .

---

(١) انظر عبارة للمؤلف في الصحيفة ٣٩٢ حيث قال عن حمولة البعيرات انها الحمولة الوحيدة في قرية اوصرة ورجح انها قرشية المنبت .

٦ ـ قبائل برية بئر السبع

١ ـ قبيلة الترابين [١] :

هذه القبيلة اكبر قبائل برية بئر السبع عددا ، وتدعى انها حجازيه الاصل ، ومنازلها ممتدة في غرب بئر السبع ، وتقتني الابل وتفلح الارض كل ما ساعدتها الامطار ، ومنها فريق في برية سيناء ،

وهي فرعان رئيسيان المزارعة والغوالي ، ومشيختها العامة لابن الصوفي ، وفروع المزارعة هي الصناع والصواعين والعوادرة والنعمات والضوايحة ، ولكل منها رئيس خاص ، وفروع الغوالي هي الستوت والحصينات والمغاصبة والبكور والختالين والعمور والعميرات والزريعيين والنبعات والشلاهبة ، وكل منها له رئيس خاص ورئيس الستوت ابن ابي ستة رئيس عام على هذا الفرع ،

وهناك عشائر منضمة الى الغوالي على طريقة الحلف والولاء وهي الحسنات والوحيدات والمحافظة والجراوين ، ولم يذكر المؤلف عدد هذه القبيلة ، ولقد ذكر ان عدد قبيلة العزازمة الآتي ذكرها يربو على عشرة آلاف فيكون عدد الترابين التي هي الاكثر عددا اكثر من ذلك بطبيعة الحال ،

٢ ـ العزازمة [٢] :

هذه القبيلة تلي الترابين في العدد والاهمية ، وتدعى انها من

(١) ص ٧٧ ـ ٩٣ من كتاب تاريخ بئر السبع وقبائلها لعارف العارف والكتاب مطبوع سنة ١٩٢٤ والنبذ المقتبسة تمثل حالة القبائل في ظروف طبع الكتاب وما قبلها بطبيعة الحال ومع ان برية بئر السبع متصلة ببرية سيناء وقبائلها متصلة بقبائل هذه البرية فقد راينا الحاق هذه النبذة عنها بفصل القبائل الشامية لانها جزء منها من الاعتبار الجغرافي ٠

(٢) ص ٩٤ ـ ١٠٢

قضاعة ويقول بعضهم انها من بني كلب • ويعزو بعض الباحثين حمائل وعشائر العزازمة في مصر وجبل الـدروز وجبل عجلون الى هـذه القبيلـة •

ومنازل القبيلة في جنوب بير السبع وتمتد امتدادا واسعا • وهي عشرة فروع رئيسية هي المحمديون والصبيحيون والصبيحات والزربة والفراحين والمسعوديون والسواخنة والعصيات والسراحين • ولم يـذكر المؤلف شيخا عاما لهذه القبيلة ولكنه ذكر اسماء شيوخ كل فرع من الفروع • وقال عنها انها صاحبة مواش وحلال وان عددها يربو على العشرة آلاف ، وانها تفلح بعض اراضيها بالقمح والشعير والـذرة والبطيخ •

وهناك قبيلة صغيرة اسمها الرباطية يعيش بعضها مع الصبحيـين وبعضها مع المسعوديين ولها اراض تفلحها ، واصلها من سورية ، وكثير من افرادها يحسنون القراءة والكتابة •

٣ ـ التياها [١] :

الاقوال في تاريخها واصولها متعددة ومتناقضة • فهناك من يقول انها مضرية حجازية وآخر انها ازدية يمنية وآخر انها فريق من بني هلال الذين جاؤوا في القرن الرابع من الحجاز الى الشام ومنها الى مصر فالمغرب وآخر انها من قبائل الفتح الاسلامي الاول والى هذا فهناك تناقض في الاقوال بالنسبة لفروعها حيث ينسب بعض هذه الفروع نفسه الى اصل غير اصل الفروع الاخرى •

ومنازل هذه القبيلة في الشرق الشمالي من بير السبع ولها ابـل وتفلح الارض كسابقاتها كل ما ساعدت الامطار • ومنها فريق في برية سيناء وفروعها الرئيسية هي الحكوك والنقوش والبدنيات وعيال عمري

(١) ص ١٠٣ ـ ١٢٣

والثلالين والشتيتات والصقيرات والبنيات . والفروع الثلاثة الاخيرة هي التي في برية سيناء . وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية عديدة . ومشيخة التياها العامة لآل هزيل الذين لهم تاريخ مذكور بالقوة والجبروت، ولكل من الفروع رئيسه الخاص .

وهناك عشائر عديدة كانت تنتمي الى التياها بطريق الحلف والولاء ثم تميزت عنها حتى غدت ذات شخصية خاصة .

منها (بنو عقبة) الذين يزعمون انهم من نسل عقبة بن نافع . ولهم مركز محترم بين البدو لان فيهم قضاة مشهورون . وهم ثلاثة فروع هي قريش والصبيحات والطورة . ومشيختهم لابن العقبى .

ومنها (القديرات) التي تنتسب الى شمر . وهي اربعة فروع هي الجفافلة والمطارقية والخزيزات والعثمان . ومشيختها العامة لابن الاعسم . وقد قدرها المؤلف باربعة آلاف وهذا يعني انها قبيلة كبيرة قائمة بنفسها .

ومنها (الظلام) الذين ينتسبون الى قبيلة بلى . وهي ثلاثة فروع هي المهاينة والجنابيب والهميسات . ويربو عدد هذه القبيلة على الالفين .

ومنا (الرماضين) الذين ينتسبون الى شمر . وهم فرعان المسامرة والشعور ، وليس لهم الآن شيخ عام ولكل من الفرعين شيخه الخاص .

ومنها (القطاطوة) ويعزون اصلهم الى الحجاز .

ومنها (القرويناويه) وهؤلاء ليسوا عشيرة مستقلة وانما هم جماعات متوزعة التبعية بين القبائل الاخرى وينسبون اصلهم الى الحجاز .

٤ ـ الحناجرة [1] :

مما يقال انهم جاؤوا الى هذه المنطقة في اوائل الفتح الاسلامي

(١) ص ١٣٤ ـ ١٣٩

كما يقال انهم فرع من قبيلة السواركة احدى فروع قبيلة الجبارات الآتي ذكرها •

وهي ثلاثة افخاذ هي النباهين والحمدات والنعيمات • غير ان تشكيلاتهم العشائرية هي :

١ ـ حناجرة ابي مدين وشيخهم ابن ابي مدين •

٢ ـ حناجرة الضواهرة وشيختهم ابن ابي ضاهر •

٣ ـ حناجرة الحمدات وشيخهم ابن السميري •

٤ ـ حناجرة النصيرات وشيخهم بن المصدر •

والاخيرة تنتسب الى الاوس والخزرج اي انها ليست حنجرية اصــلا •

وكل من هذه العشائر يتفرع الى فروع عديدة • والزعامة العامة لابي مدين •

ومنازل القبيلة في الاراضي الممتدة على شاطىء البحر بين غزة ودير البلح ولها اراض خصبة تستغلها في زراعة السمسم والحبوب الصيفية• ويؤخذ من تقديرات المؤلف أن عدد افراد هذه القبيلة يبلغ نحو ثلاثـة آلاف وخمسمائة • وهذا حين كتابته لكتابه بطبيعة الحال •

٥ ـ الجبارات [1] :

تدعى هذه القبيلة انها حجازية المنبت ومن نسل ابي جابر الانصاري وانها نزحت من الطائف في اوائل الفتح الاسلامي الى البلقاء ثم انشطرت شطرين رحل احدهما الى العراق وانتشر ثانيهما في بلاد الشام فنزل بعضه في براري حماه وحمص وجاء بعضه الى برية بير السبع وظل بعضه في البلقاء • والخلط واضح في الكلام • ولكنه لا يمنع ان يكون بين جبارات برية بير السبع وجبور سورية والعراق صلة من القربى • وهم كالقبائل السابقة اصحاب ابل وزراعة • ومشيختها العامة لابن الدقش الذي لاسرته مركز محترم بين القبائل بسبب شهرة قضاتها •

---

(١) ص ١٤٠ ـ ١٥٣

وفروع هذه القبيلة هي الدقوس والسواركة والرواوعة والولايدة وابو جابر والوحيدات والرتيمات والحسنات والعمايرة والقلازين والسعادنة . ويتراوح عدد افراد هذه الفروع بين ٢٠٠ و ٥٠٠ بحيث يبلغ عدد الجميع نحو ٣٠٠٠ ولكل فرع رئيسه الخاص . وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية .

ويستفاد من بحث المؤلف ان هذه الفروع لا ترتبط ببعضها باصل ومنبت واحد بل كل منها مختلف في ذلك عن الآخر ، حيث يسوغ القول انها تكومت على بعضها في ظرف من الظروف تحت اسم الجبارات الذي يمكن ان يكون النواة فيه احد الفروع ولعله فرع ابي جابر . وهناك من يقول بان وحيدات الجبارات والترابين من اصل واحد وهناك من ينفي ذلك .

٦ ـ السعيديون [1] :

يدعي السعيديون ان اصلهم من الحجاز . ومنازلهم في وادي عربة [2] وهم اربع فرق رئيسية هي الحمايطة والرمامنة والمذاكير والروايضة وليس لهم شيخ عام ولكل فرعه شيخه الخاص . وعددهم نحو الف . وهم اهل ماشية اكثر منهم اهل زرع .

---

(١) ص ١٥٤ ـ ١٥٩

(٢) وادي عربة من الوديان المشهورة في الجغرافية العربية التاريخية حيث يرجع بعض الباحثين اصل تسمية العرب اليه وقد نسب سكانه الاقدمون فقيل لهم عرابة وعربه وعرب الخ ... ويبلغ طوله مئتي كيلو متر يضيق جنبا ويتسع جنبا ويحيط به من طرفيه جبال شاهقة لا يمكن اجتيازها الا من مسالك معينة يسميها البدو نقابه ومفردها نقب ويبلغ عددها ثلاثون . وهي بين البحر الميت وخليج العقبة على امتداد الوادي . وهي منيعة جدا بحيث ان من يتمكن من احدها يستطيع ان يمنع الغير من اجتيازها مهما كانت قوته وعدده . ويبلغ ارتفاع هذه الجبال ٧٠٠ مترا و ٢٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وفي الوادي وديان صغيرة وآبار وعيون عديدة ايضا تجف حينا وتمتلأ بالماء حينا . وفي وسطه جبل يسمى جبل الريشة يقسم الى قسمين قسم منحدر جنوبا الى خليج العقبة وآخر شمالا الى البحر الميت . ويزداد هذا القسم انحدارا كلما اتجه شمالا حتى انه ينخفض عند هذا البحر نحو ١٢٩٢ قدما عن سطح البحر . ويعرف السهل عند سفح جبل الريشة الجنوبي بالقاع وهو صالح للزراعة. (انظر تاريخ بير السبع وقبائلها ص ١٥٧ ـ ١٥٩) .

الإمارات العربية في العراق

تمهيد :

ظل العراق أثناء قيام الخلافة العباسية تحت التغلب التركي والبويهي والسلجوقي الى أواخر القرن السادس الهجري • ثم رضخ لسلطان المغول بعد ان اكتسحه هولاكو في سنة ٦٥٦ هـ نحو مئة وخمسين سنة في ظل خلفائه الذين اسلموا والذين كانت لهم دولتان هما ما يعرف بالدولة الايلخانية ٦٥٦ ــ ٧٣٨ هـ وما يعرف بالدولة الجلايرية ٧٣٩ ــ ٨١٤ هـ • ثم رضخ لسلطان التركمان المسلمين الذين كان لهم بدورهم دولتان هما ما يعرف بالدولة البارانية او دولة قرەقويون (الغنم الاسود) ٨١٤ ــ ٨٧٤ هـ وما يعرف بالدولة البايندرية او اق‌قويون (الغنم الابيض) ٨١٤ ــ ٩١٤ هـ ، وكان العراق في هذه الاثناء وتلك عرضة لزحف تتري مغولي وتركماني متواصل • ثم رضخ لسلطان ايران الى سنة ٩٤١ هـ ثم لسلطان الدولة العثمانية الى سنة ١٣٣٥ هـ مع تخلل هذه الفترة احداث وتشاد وتنافس بين هذه الدولة ودولة ايران ثم نادر شاه الافغاني الذي استولى على بلاد ايران ، وكان العراق في هذه الاثناء كذلك عرضة لزحف تركي وعجمي •••

ومع ذلك فان الحركات العربية المتنوعة في هذه الحقبة الطويلة لم تقف وبعبارة اخرى كانت مظاهر الحيوية العربية قائمة مستمرة • ولقد كان العراق مأهولا بالارومات العربية قبل التغلب التركي منها ما كان يعيش عيشة البداوة ومنها ما كان يعمر المدن والارياف ويعيش عيشة الحضارة ، وكان سكنى بعضها العراق يمتد الى ما قبل الاسلام ثم الى دور الفتح الاسلامي وبعده • وفضلا عن ذلك فقد كان مباءة تموج عربي مستمر طيلة حقبة التغلب التركي من ناحية الجزيرة العربية

ومن ناحية بلاد الشام وجزيرة الفرات . ولقد كان من تلك الحركات ما كان يجري في نطاق الحياة القبيلية ومنها ما كان يتجاوز هذا النطاق الى نطاق الامارات العربية التي كانت تمارس الحكم والسلطان في مدن ومناطق عديدة بمقياس ضيق حينا وواسع حينا آخر على نحو ما كان يجري في جزيرة الفرات وبلاد الشام مما ألممنا بكثير من صوه في الفصول السابقة من هذا الجزء وفي فصول الجزء الاول .

— ١ —

امارة بني مزيد الاسدية

— ١ —

هذه الامارة من اقدم الامارات العربية الاصيلة التي قامت في العراق في عهد مبكر من حقبة التغلب التركي حيث قامت في أواخر القرن الرابع في أثناء لمعان نجمي بني مرداس الكلابيين وبني المسيب العقيلين في الجزيرة الفراتية على ما شرحناه في فصل الامارات العربية في بلاد الشام في الجزء الاول وامتدت اكثر من قرن ونصف ، واتسعت في بعض ادوارها سعة غير يسيرة ولعب بعض امرائها او ملوكها دورا كبيرا على مسرح السياسة ولمع بعضهم لمعانا قويا •

وكان مسرح بروز هذه الامارة الاول منطقة الحلة التي ظلت مركز دولتهم وقوتهم حيث كانت منازل قبيلتهم •

سند الدولة ابو الحسن

— ٢ —

واول من ذكره التاريخ منهم سند الدولة ابو الحسن علي بن مزيد بوصفه امير بني اسد حيث ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٣٨٧ انه تعصب لعلي والحسن ابني ابي الزواد بن المسيب في خلافهما مع اخيهما المقلد حينما نازع هذا اخاه الاكبر عليا الحكم وانتزعه منه وان المقلد سار اليه للايقاع به بعد ان اصطلح مع اخويه وان لم يذكر نتيجة مسيره [١] •

---

(١) ج ٩ ص ٤٦

ولقد ذكر ابن الاثير ابا الحسن مرارا عديدة باسلوب يدل على انه كان يشغل حيزا مهما في منطقته وبين امراء العرب • فذكره في حوادث سنة ٣٨٧ هـ حيث ذكر خبر خروجه عن طاعة بهاء الدولة البويهي المتغلب فسير هذا اليه عسكرا ففر منهم الى مكان لا يقدرون على الوصول اليه ؛ ثم سعى حتى اصلح حاله مع الملك فعاد الى بلده [١] • وهذا الخبر يدل على ان ابا الحسن كان صاحب حكم اقطاعي في بلده الذي كان يسمي الجامعين على ما يستفاد من سياق روايات ابن الاثير •

ثم ذكره في حوادث سنة ٣٩١ هـ [٢] في سياق حملة المقلد على المدائن حيث كان ابو الحسن في هذا الظرف حليفا للمقلد وقد سار معه على رأس بني اسد • وقد ذكر ابن الاثير ان ابا جعفر الحجاج وزير بهاء الدولة خرج اليهم فدارت الدائرة عليه فجمع جيشا ثانيا وسار به اليهم فالتقوا في نواحي الكوفة فدارت الدائرة هذه المرة على المقلد وابي الحسن وجماعتهما من بني اسد وعقيل فانهزموا وقتل واسر منهم خلق كثير • وقد سار الحجاج بعد ذلك الى حلل ابن مزيد فاوقع بمن فيها فانهزموا ونهب الحلل والبيوت والاموال وكان فيها من العين (النقد) والمصاغ والثياب ما لا يقدر •

ثم ذكره في حوادث سنة ٣٩٧ هـ في سياق ما كان بين ابي جعفر الحجاج المذكور وبين زميل له من رجال الدولة هو عميد الجيوش من نزاع ، حيث ذكر ان ابا جعفر جمع جمعا كبيرا وسار به الى بغداد لارغام خصمه وكان معه بعض امراء العرب ومن جملتهم ابو الحسن علي بن مزيد [٣] •

ثم ذكره في حوادث سنة ٤٠١ هـ حيث ذكر ان أخا له اسمه ابو الغنائم كان يقيم في المكان المعروف بجزيرة بني دبيس ـ وهم من بني

---

(١) ص ٤٧ (٢) ص ٥٩

(٣) ابن الاثير ج ٩ ص ٦٦ ـ ٦٧

اسد ايضا ــ فقتل احد وجوههم في هذه السنة وفر الى اخيه فتبعه بنو دبيس ولكنهم لم يدركوه . وعز على ابي الحسن ان يطارد اخوه فانحدر الى الجزيرة الدبيسية في الفي فارس وانشب الحرب مع بني دبيس وجماعتهم فدارت الدائرة عليه وقتل اخوه [١] . فكان هذا بدء عداء وصيال بين الفرعين الاسديين تكررت وقائعهما على ما سوف نذكره بعد

ثم ذكره في حوادث السنة نفسها في سياق حادث لبني خفاجة في منطقة الكوفة حيث ذكر ان الامراء سلطان وعلوان ورجب اولاد ثمال الخفاجي جاؤوا الى الوزير البويهي فخر الملك حينما فتح دير العاقول ومعهم رؤساء عشيرتهم وضمنوا حماية سقي الفرات ودفع بني عقيل عنها . ثم اختلفوا مع قائد الملك البويهي المسمى ذا السعادتين فقبض هذا على سلطان وجماعة من رجال عشيرته ونهب بيوتهم فشفع فيهم ابو الحسن وبذل مالا عنهم [٢] .

كذلك ذكره في حوادث السنة نفسها ايضا في سياق خبر قطع بني خفاجة طريق الحجاج وفتكهم فيهم ونهبهم اموالهم حيث ذكر ان فخر الملك الوزير سير العساكر في اثرهم وكتب الى ابي الحسن بن مزيد يطلب منه أخذ ثأر الحجاج منهم فسار خلفهم ولحقهم وقد قاربوا البصرة فاوقع فيهم وقتل واسر خلقا كثيرا منهم واسترد ما وجده معهم من اموال الحجاج واسراهم وارسله الى الوزير [٣] .

ثم ذكره في حوادث سنة ٤٠٣ هـ حيث ذكر ان سلطان الدولة حينما تولى الملك بعد ابيه بهاء الدولة خلع على ابي الحسن واعترف بامارته [٤] .

ثم ذكره في حوادث سنة ٤٠٥ هـ حيث ذكر انه شفع في سلطان بن

---

(١) ص ٧٧ — (٢) ج ٩ ص ٨١

(٣) ج ٩ ص ٨٢ ــ ٨٣ — (٤) ص ٨٣ .

ثمال امير بني خفاجة لدى الملك البويهي فقبلت شفاعته واخذت على سلطان العهود ولكن بني خفاجة نكثوا بعهودهم وهبوا سواد الكوفة وقتلوا طائفة من الجند بقيادة ثمال فكتب نائب الملك الى ابي الحسن يطلب منه تأديبهم لانهم خفروا ذمته فسار اليهم واوقع بهم واسرا محمدا بن ثمال وجماعة من قومه (١) .

وذكره في حوادث السنة نفسها حيث جمع جموعه من العرب والاكراد وزحف على الجزيرة الدبيسية لاخذ ثأر اخيه ابي الغنائم . وقد انتصر على خصومه فهزمهم وقتل اثنين من امرائهم وهم حسان ونبهان . والتجأ المنهزمون الى منطقة الحويزة . وقلد الملك البويهي الجزيرة اليه فلبث فيها . وجمع مضر بن دبيس جموعه وكبسه ليلا ففر فاستولى على امواله وحلله (٢) .

نور الدولة دبيس بن ابي الحسن

— ٣ —

ومات ابو الحسن سنة ٤٠٨ هـ فحل محله في الامارة ابنه ابو الاغر دبيس الملقب بنور الدولة بعهد من ابيه . وأقره الملك سلطان الدولة وخلع عليه . وقد نازعه اخ له اسمه المقلد وذهب الى بغداد وبذل بذولا كثيرة فخرج معه جماعة من الترك فذهب وكبس اخاه في النعمانية ونهب حلته وهزمه الى واسط . غير انه استطاع ان يتغلب على اخيه ويثبت الحكم لنفسه بمساعدة الاثير الخادم احد رجال الملك البويهي النافذين (٣) .

ولقد استجار طراد بن دبيس ــ ابن صاحب الجزيرة الدبيسية ــ بعد وفاة ابي الحسن ــ بابن سهلان وزير سلطان الدولة لاجل رد

---

(١) ج ٩ ص ٨٤ (٢) ص ٨٥ — ٨٦ (٣) ص ١٠٥

الجزيرة التي قلدها ابو الحسن اليه وكان ابن سهلان يكره ابا الحسن واولاده فلباه وسار في جريدة مع طراد فتمكن من طرد نصر ومهارش ولدي نور الدولة اللدين كانا يقيمان في الجزيرة ونهبا اموالهما ثم بدل لهما الامان على ان يكون طراد شريكا لبني مزيد في الجزيرة (١) .

وفي سنة ٤١١ هـ نشب نزاع تنافسي بين الملك البويهي سلطان الدولة واخيه مشرف الدولة فاندمج دبيس نور الدولة في النزاع منحازا الى جانب مشرف الدولة حتى فاز هذا على اخيه . وقد تولى نور الدولة مهاجمة بن سهلان وزير سلطان الدولة في واسط وهزمه (٢) . وهكذا أخذ نور الدولة ثأره من ابن سهلان بسبب مساعدته لطراد بن دبيس .

وقد ذكر ابن الاثير في حوادث السنة نفسها ان نور الدولة تحالف مع غريب بن معن امير بني شيبان ضد قرواش بن ابي الزواد ووافاهم عسكر من بغداد فساروا اليه وقاتلوه وهزموه ونهبوا خزائنه واثقاله (٣) .

وفي سنة ٤١٧ هـ استعان منيع بن حسان امير خفاجة بنور الدولة ضد قرواش فلباه وسار معه وقاتلوا قرواشا وغلبوه . وكان معهم كذلك عسكر من بغداد (٤) .

ولقد ذكر ابن الاثير في حوادث السنة نفسها اخبارا فيها صور عجيبة متناقضة مما كان يقع بين امراء العرب .

فمنيع بن حسان امير خفاجة الذي استعان بنور الدولة في السنة نفسها على قرواش فلباه يسير الى الجامعين وهي بلدة نور الدولة فينهبها فيسير نور الدولة في طلبه الى الكوفة فيفر منها الى الانبار فيستولي عليها وينهبها ويحرقها وهي لقرواش ، فيسير قرواش الى الجامعين فيتحالف مع نور الدولة برغم مساعدة هذا لمنيع وبني خفاجة عليه (٥) !..

---

(١) ج ٩ ص ١٠٦ (٢) ص ١١١ (٣) ص ١١١
(٤) ص ١٢١ – ١٢٢ (٥) ج ٩ ص ١٢٢

ومن هذه الصور ما ذكره ابن الاثير في سياق حوادث سنة ٤٢٠هـ حيث تحالف المقلد بن ابي الاغر وهو ابن عم نور الدولة مع منيع امير خفاجة ضد ابن عمه ولرسلوا الى بغداد فبذلوا مالا جهزوا به عسكرا يقاتل معهم نور الدولة . وكان ينشب في هذا الظرف نزاع بين ابي كاليجار بن سلطان الدولة الذي تولى الملك بعد ابيه وبين عمه جلال الدولة على الحكم وكانت الريح تهب مع ابي كاليجار فخطب نور الدولة له وارسل اليه يحرضه ويعده بالتأييد فاحبط بذلك حركة خصومه في بغداد . ولقد تمكن ابو كاليجار من ملك البصرة ثم الاهواز ثم سار الى واسط وكان بها العزيز بن جلال الدولة ففارقها الى النعمانية — وهي في حكم نور الدولة ففجر هذا عليه البثوق — السدود — فهلك كثير من جماعته مع اثقالهم (١) .

ولقد التقى الملكان المتنازعان في السنة نفسها فدارت بينهما معركة كنبت الهزيمة فيها على ابي كاليجار الذي كان معه نور الدولة ، ففارق صاحبه ورجع الى بلده ، وقد انحاز ابن عمه المقلد في هذا الموقف الى جلال الدولة فلما كتب لهذا النصر قصدوا نور الدولة وقاتلوه فانهزم من امامهم الى السندية . وتوسط احد زعماء عقيل مع جلال الدولة وتكفل بنور الدولة وضمن عنه عشرة آلاف دينار اذا اغضى عن موقفه واعاده الى ولايته فاجاب الى ذلك وخلع عليه . واثار هذا غيظ خصمه المقلد فسار ومعه جمع من خفاجة فنهبوا مطير اباذ والنيل وسورا وهي من اعمال نور الدولة اقبح نهب واستاقوا مواشيها واحرقوا منازلها (٢) .

وفي سنة ٤٢٤ هـ نشب خلاف بين نور الدولة واخ له اسمه ابو قوام ثابت فاستعان هذا بالبساسيري الذي كان حينئذ وزيرا للخليفة في بغداد فسار معه الى قتال نور الدولة فدخلوا النيل واستولوا عليه ثم استولى

---

(١) ج ٩ ص ١٢٩ (٢) ص ١٢٩ — ١٣٠

على اماكن اخرى من اعمال نور الدولة ، فسير هذا اليهم جماعة من اصحابه فمنوا بالهزيمة وملك ثابت اعمال نور الدولة نتيجة لذلك . وسار نور الدولة فاستنصر ببني خفاجة فلبوه وساروا معه الى جانب من كان معه من بني اسد والتقوا بثابت فانشبوا معه الحرب ثم تراسلوا واصطلحوا على ان يعود نور الدولة الى اعماله ويقطع اخاه اقطاعا (١) .

وفي سنة ٤٣٣ هـ اعتدى الترك الغز على الموصل واستولوا عليها فراسل صاحبها قرواش امراء الاطراف واستصرخهم فلباه نور الدولة فيمن لباه وقاتل مع قرواش وامراء العرب الآخرين الغز وظفروا عليهم واستولوا على خيامهم واموالهم (٢) .

وفي زمن الملك الرحيم البويهي الذي تولى بعد ابيهابي كاليجار اتسع نطاق سلطان نور الدولة حيث اقطعه الملك الجديد نهر الصنة ونهر الفضل وكانا من اقطاع عسكر واسط . واعترض هؤلاء وارسلوا يتهددون نور الدولة ثم زحفوا عليه . وارسل طائفة من عسكره اليهم نصبوا لهم كمينا فاوقعوا بهم وقتلوا واسروا كثيرا منهم وغنموا أموالهم ودوابهم (٣) .

ومما ذكره ابن الاثير في سياق حوادث سنة ٤٤٤ هـ خبر التجاء المقلد بن قرواش الذي كان ينازع اخاه قريشا على امارة الموصل الى نور الدولة (٤) فلقي عنده الحماية والكرامة . ولقد تكررت وقائع التجاء بعض الامراء وكبار رجال الدولة الى بني مزيد بعد نور الدولة ايضا فكانوا يلقون عندهم الحماية والكرامة حتى صار ذلك تقليدا من تقاليدهم كان ينالهم بسببه البلاء احيانا على ما سوف نذكره بعد .

وفي سنة ٤٤٦ هـ نجمت فتنة بين السنة والشيعة في بغداد فاقتتلوا .

---

(١) ج ٩ ص ١٥١ — (٢) ص ١٣٦ .

(٣) ص ١٩٢ — (٤) ج ٩ ص ١٩٢

واحرق السنيون مشهدا شيعيا في باب التين وسرت النار حتى احرقت مقابر عديدة من مقابر المشهورين من ملوك وخلفاء وعلماء ووزراء . فلما انتهى خبر ذلك الى نور الدولة عظم عليه الامر واشتد لانه هو واهل بيته وسائر اعماله شيعة فقطع خطبة الخليفة العباسي القائم بامر الله في هذه الاعمال لان الخليفة يعتبر سنيا ، فروسل وعوتب في ذلك فاعتذر بان اهل ولايته شيعة وانهم اتفقوا على ذلك فلم يمكنه ان نشق عليهم وان الخليفة لم يكف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا ... ثم اعاد الخطبة الى حالها بعد ان هدأت النفوس [1] .

وفي السنة ذاتها قصد بنو خفاجة الجامعين ـ بلدة نور الدولة ـ واعمالا اخرى من اعماله فنهبوا وفتكوا . وكان نور الدولة شرقي الفرات وبنو خفاجة غربيه فارسل الى البساسيري يستنجد به ، وكان بينه وبينه مصاهرة بحيث تزوج ابنه منصور بينت البساسيري [2] فلباه وجاء على رأس حملة وسار معه فقاتل بني خفاجة واجلاهم عن الجامعين وانهزموا ودخلوا البرية فلم يتبعهم . ولم يكد يعود حتى رجعوا الى المعمورة والعيث فيها فعاد اليهم وطاردهم حتى ظفر بهم وقتل منهم خلقا كثيرا ونهب اموالهم وجمالهم وعبيدهم وشردهم كل مشرد [3] .

وفي سنة ٤٤٨ هـ كانت الحرب بين قريش بن بدران صاحب الموصل والبساسيري بسبب زحف قريش على الانبار ونهبه ما كان للبساسيري وغيره ونهب حلل اصحابه بالخالص وخطبته لطغرلبك السلجوقي في اعماله . وكان مع البساسيري نور الدولة ومع قريش قطلمش بن عم طغرلبك فدارت الدائرة على قريش ومن معه وجرح هو نفسه . ولما تفاقم الخلاف والوحشة بين البساسيري والخليفة العباسي القائم بامر الله وتحالف البساسيري مع امراء العرب واتفقوا على قطع خطبة العباسيين والخطبة للفاطميين كان نور الدولة في جملة من دخل في الحلف والاتفاق واتاه

---

(١) ج ٩ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ (٢) ص ٢٠٥ (٣) ص ٢٠٨

الخلع من الخليفة الفاطمي [1] .

وقد ادى هذا الى غضب طغرل بك على نور الدولة وتسييره عليه حملة ، غير ان نور الدولة وسط قائد طغرل بك لاصلاح الامر بينه وبين مولاه بالتضامن مع قريش فنجحت الوساطة [2] .

ولما تمرد ابراهيم ينال اخو طغرل بك وذهب هذا الى بلاد الفرس لقمع حركته سنة ٤٥٠ هـ واغتنم البساسيري فرصة غيابه وزحف على بغداد التجأ عميد الملك وزير طغرل بك الى دبيس فاكرمه وعظمه . وارسل الخليفة أثناء حصار البساسيري لبغداد الى دبيس يستقدمه الى بغداد فانحدر اليها بمئة فارس ، وقد نصح الخليفة بالخروج موقتا من بغداد حتى يتفادى الخطر على حياته على ان يخرج الى واسط ويأتي هو بجموعه اليها ويكون الى جانبه فطلب الخليفة منه التريث فاعتذر عن المقام في بغداد واظهر استعداده لانتظار الخليفة خارجها حيث يبدو من هذا ان نور الدولة وقف موقفا طيبا من الخليفة برغم صهارته ومحالفته مع البساسيري . على انه لم يكن منقطعا عن حركة البساسيري ايضا حيث روى ابن الاثير ان طغرل بك حينما عاد سنة ٤٥١ هـ الى بغداد بعد قمع حركة اخيه وتمكن من اجلاء البساسيري عن بغداد وعاد الخليفة اليها واعتزم مطاردة البساسيري قبل نجاته الى الشام سار جريدة الى الكوفة حيث كان البساسيري هناك وكان معه نور الدولة . فرحل اهله وخاصته ورحله الى البطيحة . ثم التحق بهم وظل اولاده منصور وبدران وحمدان مع البساسيري الذي وقف في وجه الاتراك فدارت الدائرة عليه وهلك وأسر بنو نور الدولة فيمن أسر [3] .

وكان طغرل بك قد انحدر الى واسط لمطاردة البساسيري فتوسط قائده الذي توسط في المرة الاولى لاصلاح الامر بين نور الدولة وطغرل

---

(١) ج ٩ ص ٢١٨   (٢) ص ٢١٩

(١) ج ٩ ص ٢٢٣ — ٢٢٨

بك ونجح في وساطته واحضر نور الدولة الى طغرل بك مسلما معتذرا فقبل اعتذاره واخذه صحبته الى بغداد مع امراء الاطراف الآخرين وحضر الولائم الكبرى التي اقامها الخليفة والسلطان احتفاء بالنصر وخلع عليه الخليفة والسلطان فيمن خلعا عليه من الامراء في هذه المناسبة [1] .

ولما مات السلطان طغرل بك سنة ٤٥٦ استدعى نور الدولة من ديوان الخليفة فيمن استدعى الى بغداد . ثم انحدر الى الموصل مع شرف الدولة مسلم بن قريش فاقام له سماطا عظيما وخلع عليه وعلى ابنه منصور الذي كان معه [2] .

ولما تولى الب ارسلان الملك ذهب هو وشرف الدولة مسلم اليه مسلما حينما وصل الى خوزستان (الاهواز) فقوبلا بحفاوة وكان وزير السلطان نظام الملك فيمن استقبلهم من رجال السلطان [3] .

ومما ذكره ابن الاثير من احداث نور الدولة انه تشفع سنة ٤٦٠هـ في فخر الدولة بن جهير الذي عزله طغرل بك من الوزارة فقبل السلطان الب ارسلان شفاعته واعاده الى مرتبته [4] .

ولم يذكر ابن الاثير نور الدولة بعد ذلك الا في حوادث سنة ٤٧٤ هـ حيث ذكر خبر وفاته ، وكان عمره ثمانين سنة . وبلغت مدة حكمه ٥٧ سنة . وقال عنه انه كان ممدحا في كل زمان مذكورا بالتفضيل ورثاه الشعراء فاكثروا [5] .

بهاء الدولة منصور ابن نور الدولة

— ٤ —

وتولى الحكم بعده ابنه ابو كامل منصور الملقب ببهاء الدولة .

---

(١) ج ١٠ ص ٣ (٢) ص ٩ (٣) ص ٢١
(٤) ج ١٠ ص ٢٠ (٥) ص ٤١

وقد انحدر الى بغداد فثبت الخليفة والسلطان ولايته وخلعا عليه [١] ٠
وكان حسن السيرة ٠ ولكن حكمه لم يطل حيث توفي سنة ٤٧٩ وقد وصفه ابن الاثير بوصف صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ٠ ومما ذكره المؤرخ ان نظام الملك الوزير حينما سمع خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة ٠ لانه كان فاضلا قرأ على ابن برهان فبرع بذكائه الذي استفاد منه ٠ وله شعر جيد منه في الفخر :

فان انا لم أحمل عظيما ولم اقد لهاما ولم اصبر على فعل معظم
ولم أجر الجاني وامنع حوزه علام انادي للفخار وانتمي

ومنه في الرثاء في صاحب له :

فان كان اودى خدننا ونديمنا ابو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن انثى لا محالة ميت وفي كل حي للمنون نصيب
ولو رد حزن او بكاء لهالك بكيناه ما هبت صبا وجنوب [٢]

وقد رثى بهاء الدولة كثير من الشعراء وذكروا علمه وفضائله ٠

سيف الدولة صدقه بن بهاء الدولة

— ٥ —

وتولى الحكم بعده ابنه صدقه الملقب بسيف الدولة وهو المع نجوم هذه الدولة ٠ وقد ارسل الخليفة نقيب النقباء اليه فعزاه بابيه ٠ وانحدر هو الى بغداد فثبت الخليفة والسلطان ملكشاه ولايته وخلعا عليه [٣] ٠

وفي سنة ٤٨٣ هـ تعرضت مدينة البصرة لغارة من عرب بني عامر

---

(١) ص ٤١ (٢) ص ٥١ ٠
(٣) ج ١٠ ص ٥١ — ٥٢ ٠

فنهبوها اقبح نهب [1] ، فسير ملكشاه حملة وامر سيف الدولة بالانضمام اليها فوجدوا العرب قد فارقوا البصرة وظفروا بالمشعوذ وصلبوه [2] .

وفي سنة ٤٩٠ هـ اغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة فوجه اليهم جيشا وقع فيهم وقعة شديدة [3] .

وفي سنة ٤٩٣ هـ نازع محمد بن ملكشاه اخاه بركياروق الذي كان استتب له الملك وانقسم الناس فريقين ، وانحاز سيف الدولة الى جانب بركياروق . وجرت بين الطرفين وقعتان حربيتان كسر بركياروق في اولاهما وانتصر في الثانية واشترك في الوقعتين الى جانبه عسكر سيف الدولة بقيادة ابنه عز الدولة [4] .

وفي سنة ٤٩٤ هـ ارسل وزير بركياروق الى صدقه سيف الدولة يقول انه متخلف عنده لخزانة السلطان الف الف دينار وكذا دينارا لسنين كثيرة فان لم ترسلها سيرنا العساكر الى بلادك واخذناها منك . فاحنقه هذا الكلام وقطع خطبة بركياروق وخطب لاخيه محمد الذي كان ما يزال ينازعه الحكم . وكان بركياروق غائبا عن بغداد بسبيل الصيال مع اخيه فلما رجع وعلم بالامر دعا سيف الدولة الى بغداد مرة بعد مرة دون ان يلبي الدعوة فارسل احد رجاله اليه ليقنعه بالحضور ويضمن له ما يريد فأبى الا على شرط ان يسلم اليه الوزير ولم يستجب بركياروق الى شرطه فاستمر على تمرده عليه وارسل الى

---

(١) كان هذا بتحريض من مشعوذ دجال كان يدعي السحر وعلم النجوم وقبض عليه في سرقات عديدة في بغداد ثم فر الى عرب بني عامر قرب الاحساء وحرض اميرها على البصرة ومناه بما فيها من اموال عظيمة . وقد ذكر ابن الاثير ان من جملة ما تعرض للنهب والحرق في هذه الغارة داران للكتب واحدة وقفها عضد الدولة الملك البويهي وهي اول دار وقفت في الاسلام وثانية وقفها الوزير ابو منصور شاه مروان وكان بها جملة عظيمة من نفائس الكتب واعيانها (ج ١٠ ص ٦٢ — ٦٣) .

(٢) ج ١٠ ص ٦٢ — ٦٣ (٣) ص ٩٠ (٤) ص ١٠٢

الكوفة حملة طرد منها نائب بركياروق وضمها الى حكمه [1] .

وجمع محمد جموعا كثيرة وزحف بها على بغداد وكان بركياروق مريضا فخاف عليه اصحابه وخرجوا به الى الجانب الغربي ودخل محمد فنزل بدار الملك واصدر الخليفة المستظهر بالله توقيعا بملكه وامر بالخطبة له . وقدم سيف الدولة الى بغداد فقوبل بحفاوة عظيمة حتى خرج الخلق كلهم للقائه (وهذا تعبير ابن الاثير [2]) .

ومما ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٤٩٥ هـ خبر خروج تاج الرؤساء ابن اخت امين الدولة ابي مسعد بن الموصلايا الى الحلة مستجيرا بسيف الدولة وكان يتهم بامالة قلب الخليفة عن بروكياروق الى اخيه محمد فاجاره واسبغ عليه رعايته [3] . وفي الخبر شيء من الغرابة لان السياق الاول يدل على ان الملك استتب لمحمد ولم يكن معنى لخروج الرجل والتجائه . ولعل الرجل كان متهما بتهمة اخرى . وعلى كل حال فالخبر يدل على ما ذكرناه قبل من ان بني مزيد كانوا موئلا للاجئين وكانوا يلقون عندهم التكريم والحماية .

كذلك مما ذكره المؤرخ في حوادث السنة نفسها ان سيف الدولة بنى في هذه السنة مدينة الحلة بالجامعين . وكان هو وآباؤه قبله يسكنون البيوت العربية [4] .

وفي سنة ٤٩٦ كان كل من السلطان محمد واخيه بركياروق متغيبين عن بغداد في سبيل المصاولة ضد بعضهما وكان لكل منهما نواب في بغداد يتناحرون بدورهم مع بعضهم ، واغتنم احد امراء الترك المنحازين الى محمد الفرصة واسمه ينال انوشتكين فاخذ يعتدي على الناس ويصادرهم ولم يقو احد على منعه فارسل الخليفة بعد ان أعياه امره الى سيف الدولة يخبره بما يفعله ينال ويطلب منه الحضور الى

---

(١) ج ١٠ ص ١٠٧ (٢) ج ١٠ ص ١٠٧
(٣) ج ١٠ ص ١٢٢ (٤) ص ١٢٢

بغداد لكنه جاء واجتمع معه واتفق على اداء مبلغ من المال اليه ليرحل عن بغداد وعاد الى الحلة تاركا ابنه دبيس لمراقبة الامور . ونكث ينال بوعده فلم يرحل وعاد الى سيرته وبالغ في الظلم والافعال القبيحة واقطع القرى لاصحابه فارسل الخليفة الى صدقه في ذلك فسير اليه الف فارس لطرده فغادر بغداد قبل وصولهم وعبر دجله وقصد شهرابان فمنعه اهلها فرحل عنها الى اذربايجان حيث كان محمد يتصاول مع اخيه بروكياروق في انحائها [1] .

ويدل الخبر على ان سيف الدولة صدقه كان في هذا الظرف من أقوى الامراء المعول عليهم .

وفي سياق آخر اورده ابن الاثير نفس الدلالة . فقد ارسل بركياروق الى بغداد قائدا اسمه كمشتكين ليكون شحنته فيها ـ والتعبير بمعنى قائد بغداد ومدير شرطتها العام ـ فلما سمع ايلغازي الذي كان شحنة لمحمد في بغداد سار الى سيف الدولة وسأله تجديد العهد على دفع من يقصد بغداد من جهة بركياروق فاجابه الى ذلك [2].

ولقد جاء كمشتكين الى بغداد وتمكن بمساعدة انصار بروكياروق فيها من التغلب عليها واقام الخطبة لبركياروق واضطر ايلغازي الى الخروج من بغداد . ثم ارسل الى سيف الدولة رسولا مع حاجب من ديوان الخليفة بشأن اقامة الخطبة لبركياروق في بلاده فرفض ثم سار من الحلة الى مكان قريب من بغداد فادى ذلك الى قطع خطبة بركياروق في بغداد . وقد ارسل الى ايلغازي والى أخ له اسمه سقمان كان يتولى حصن كيفا الذي هو من امنع الحصون على دجلة يستدعيهما اليه لتأليف جبهة ضد كمشتكين فلبياه مع ما لديهما من القوة واخذت قواتهم تعيث فسادا في اطراف بغداد فارسل الخليفة قاضي القضاة الى سيف الدولة يطلب منه الكف فجعل ذلك رهنا بخروج

---

(١) ج ١٠ ص ١٢٣ (٢) ص ١٢٤

كمشتكين من بغداد والا فليس غير السيف واخذ يرعد ويزبد فعاد القاضي الى بغداد واخذ يبذل جهده مع الخليفة حتى تمكنوا من اخراج كمشتكين وحينئذ اقاموا الخطبة لمحمد . فعاد سيف الدولة الى بلده وايلغازي الى بغداد .

ولقد سار كمشتكين الى واسط على رأس انصار بركياروق واقام فيها الخطبة لبركياروق ونهب سوادها فبادر سيف الدولة من ناحية وايلغازي من ناحية الى واسط ففارقها وتحصن بحصن وراء دجلة فسار سيف الدولة اليه وعبر النهر خوضا فدب الخوف في قلوب جماعة كمشتكين فتفرقوا وطلب كمشتكين الامان من سيف الدولة فمنحه اياه فسار الى همذان حيث كان بركياروق وعاد سيف الدولة الى الحلة (١) ، ويدل السياق على ما شغله سيف الدولة من حيز وما صار يقوم به من دور خطير على مسرح الدولة .

وقد تمكن سيف الدولة في هذه المناسبة من تثبيت حكمه في واسط . وكان فيها جماعة من الترك فنودي فيها برئت الذمة ممن يقيم منهم فيها فسار جماعة منهم الى بركياروق واخرى الى بغداد ودخل جماعة منهم في خدمة سيف الدولة . ثم سار سيف الدولة الى هيث فملكها عنوة (٢) وكانت اقطاعا من السلطان بركياروق لامير من بني عقيل اسمه بهاء الدولة ثروان بن وهب .

وفي سنة ٤٩٩ هـ انحدر صدقه من الحلة الى البصرة فملكها عنوة بتحريض من السلطان محمد وموافقته وكان يليها امير تركي اسمه اسماعيل بدت منه مواقف اسخطت السلطان فاوعز الى سيف الدولة بالسير عليه واخذ البلد منه . وقد امتنع اسماعيل في القلعة ردحا من الوقت ثم ارسل بطلب الامان لنفسه واهله وامواله فاجيب الى طلبه (٣) .

---

(١) ج ١٠ ص ٢٤ – ١٢٥

(٢) ج ١٠ ص ١٢٥

(٣) ص ١٤٠ – ١٤١

وهكذا امتد سلطان سيف الدولة الى البصرة وان كانت خرجت من حكمه بعد قليل ، حيث ذكر ابن الاثير ان عرب ربيعة والمنتفق وغيرهم قصدوا البصرة وتغلبوا على الحامية التي اقامها سيف الدولة فيها ودخلوها واقاموا فيها اثنين وثلاثين يوما ينهبون ويدمرون ويحرقون . وان السلطان محمد ارسل اليها بعد ذلك شحنة وعميدا واخذها من صدقة (١) .

وفي سنة ٥٠٠ هـ ملك صدقه تكريت وكانت اقطاعا لامير تركي اسمه اقسنقر البرسقي ، فسار اليها وحاصرها مدة تزيد على سبعة اشهر حتى ضاق الامر على واليها من قبل اقسنفر واضطر الى تسليمها اليه . وحاول البرسقي استردادها فلم ينجح في محاولته (٢) .

ولقد كان اعتادت خفاجة ان تعيث في منطقة الكوفة فعهد السلطان محمد الى سيف الدولة بحماية البلاد منها فرتب جيشا بقيادة ابنه بدران لهذا القصد . غير ان خفاجة لم تكف ء نعيثها كل ما وجدت الفرصة ممكنة فعزم على ضربها ضربة شديدة فحرض في سنة ٥٠٠ هـ عرب عبادة عليها وكان بين العربين عدواة وثارات فساروا مع عسكره الى حلل خفاجة واوقعوا فيها وقعة شديدة ونهبوا اموالها . وقد اجلاها سيف الدولة بعد ذلك الى نواحي البصرة واورث عبادة ارضها واموالها (٣) .

ومما ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٥٠٠ ان ابا القاسم بن جهير وزير الخليفة عزل هذه السنة وتعرض لغضب مولاه فقصد دار سيف الدولة في بغداد لاجئا اليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فارسل اليه سيف الدولة من اخذه الى حلة حيث نال الحماية والرعاية . ثم ذكر في حوادث سنة ٥٠١ السلطان سخط على ابي دلف سرخاب صاحب سماوه وآبه فقصد صدقه مستجيرا فاجاره . فارسل السلطان بطلبه فاجاب اني

---

(١) ص ١٤٣ — ١٤٤ (٢) ج ١٠ ص ١٤٧ . (٣) ج ١٠ ص ١٤٧

لا امكن منه بل احامي عنه واقول ما قاله ابو طالب لقريش حينما طلبوا منه رسول الله :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

فاغضب جوابه السلطان • وزاد في غضبه تحريض العميد البلخي احد رجاله وتخويفه من عاقبة ما صار لصدقة من قوة وتمكين وجرأة على اجارة اعداء السلطان واتهمهم بالباطنية ـ وهي تهمة ذلك العصر ـ فبيت السلطان العزم على ارغامه بالقوة • وشعر صدقة بنية السلطان فاستشار اصحابه فاشار ابنه دبيس بان ينفذه الى السلطان ليستعطفه واشار قائد جيشه بجمع الجند والاستعداد للحرب • فمال صدقة الى هذا الرأي واخذ يستعد حتى صار لديه عشرون الف فارس وثلاثون الف راجل • وارسل الخليفة اليه يحذره ويعرض وساطته لاصلاح الامر بينه وبين السلطان • وكان رسول الخليفة نقيب النقباء فاجاب صدقة ان علي طاعة السلطان ولكني لا آمن على نفسي منه • فارسل السلطان قاضي القضاة اليه ليطيب قلبه ويزيل خوفه ، ويعلمه بعزمه على قصد الافرنج ويأمره بالتجهز للغزاة معه فاجاب ان اصحاب السلطان قد افسدوا قلبه علي وغيروا حالي معه برغم ما كان من سالف خدمة ومناصحة وامتنع عن الانضمام اليه شخصيا ووعد بامداد السلطان بالمال والرجال وما يحتاج اليه في الجهاد حينما يخرج من بغداد الى الغزو • وترادت الرسل بين صدقة والخليفة بسبيل الاصلاح وتقلب الموقف غير ان الشك بين الرجلين تفاقم ، ثم سار السلطان على رأس عساكره اليه • وخامر على صدقة كثير من رجاله واصحابه ومن جملتهم ابن عم له اسمه ثابت كان يحسده على ما صار اليه من قوة وسعة سلطان وجاه • والتقى العسكران ودارت بينهما رحى القتال • وكان صدقة على فرس له اسمها الملهوب لم يكن لاحد مثلها • واظهر بطولة رائعة في المعركة • غير انه اصيب بسهم اسقطه عن فرسه وما لبث ان هلك فاحتز رأسه وحمل الى بغداد

وقتل من جماعته ما يزيد على ثلاثة آلاف وانهزم الباقون [١] .

وهكذا انتهت حياة سيف الدولة بعد اللمعان العظيم الذي كان له . وقد وصفه ابن الاثير فقال انه كان جوادا حليما صدوقا كثير البر والاحسان ملجأ لكل ملهوف يلقي من يقصده بالبر والتفضل وكان عادلا وكانت رعيته في أمن ودعة وقد احبته حبا عظيما حتى لم يسمع برعية احبت اميرها كحب رعيته له وقد عظم شأنه وعلا قدره واتسع جاهه واستجار به كبار الناس وصغارهم فاجارهم وكان مع ذلك كله متواضعا متحملا فكان من محاسن الدنيا . وكان يحفظ الشعر ويقتني الكتب الجيدة في مواضيعها وخطوطها وكان له خزانة كتب فيها الوف المجلدات [٢] .

ولما انهزم عسكر صدقة بادر ابنه بدران الى الحلة فحمل ما قدر عليه من مال ونفائس وسير النساء والاولاد الى البطيحة واختفى هو عن الانظار .

ولما عاد السلطان الى بغداد ارسل الى البطيحة امانا لزوجة صدقة فجاءت الى بغداد فاستقبلها السلطان واعتذر لها عن قتل زوجها وقال لها وددت ان يحمل الي حتى افعل معه ما يعجب الناس من الجميل ولكن الاقدار غلبتني . وكان دبيس بن صدقة قد وقع اسيرا فاطلق سراحه واحسن اليه واقطعه اقطاعا كثيرا وابقاه في صحبته بعد ان اخذ عليه العهد بالتزام السكون [٣] . وقد التحق بدران بن صدقة بعد قليل بالامير مودود الذي اقطعه السلطان الموصل فاكرمه وأحسن صحبته ، وظل ابن صدقة الثالث منصور مختفيا الى سنة ٥٠٢ هـ فجاء الى السلطان فتقبله واكرمه [٤] .

وقد ولى السلطان الحلة التي كانت تعرف بالحلة السيفية نسبة

---

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص ١٥٤ ــ ١٥٨

(٢) ج ١٠ ص ١٥٤ ــ ١٥٨

(٣) ج ١٠ ص ١٥٤ ــ ١٥٨

(٤) ص ١٦٦

لمنشئها سيف الدولة صاحب جيش صدقة سعيد بن حمد العمري وكان حازما صارما ذا رأي وجد [1] .

دبيس بن صدقة

— ٦ —

وظل الامر على هذا الى ان مات السلطان محمد سنة ٥١١ هـ وملك محله ابنه محمود فتقدم دبيس بن صدقة اليه وخاطبه في العودة الى الحلة فاذن له فعاد اليها سنة ٥١٢ هـ . وقد حاول ان يسير على غرار ابيه وان ينال من الجاه والصيت ما ناله . وكان له في سبيل تحقيق ذلك حركات ومواقف عديدة اوردته في النهاية مورد الهلاك وقضت على الدولة المزيدية [2] .

ولقد غضب الخليفة على احد رجاله واسمه ابو الحسين فلجأ الى دبيس . فارسل الخليفة يعاتبه على اجارة الرجل فاجاب قائلا اني عبد الخليفة وواقف عند امره ولكن الرجل استذم بي ودخل منزلي فما اكرهه على امر ابدا . وجاء نقيب النقباء الى ابي الحسين فحدثه وضمن له عن الخليفة ما يريد فاجابه الى العودة . فقال له دبيس انا اتكفل بالسير معك واصلاح الامر بنفسي . فاطمع هذا ابا الحسين وجعله يتلكأ بالعودة . وبعد قليل خرج ابو الحسين الى واسط واخذ يجمع حوله الانصار وملك واسط وجعلها مركزا له وقوى الارجاف، بقوته حتى خافه الخليفة وكتب الى دبيس شاكيا قائلا له ان ابا الحسين قد مد يده الى بلاد الخليفة وانه قد فارق جواره فيجب عليه ان يقصده ويعاجله قبل تفاقم امره . فارسل دبيس العساكر اليه ففارق واسط مع جماعته وصادفهم عسكر دبيس فنهبوا اثقالهم وتفرق عن ابي الحسين معظم جماعته ووقع في اسر بعض البدو فحملوه الى دبيس وهذا ارسله

---

(١) ج ١٠ ابن الاثير ص ١٦٦ (٢) نفس الصفحة المذكورة .

الى الخليفة [1] .

والسياق يدل على ما اخذ يشغله دبيس من حيز ويقفه من مواقف قوية متناسبة معه كما هو المتبادر .

وفي نفس السنة برز البرسقي في عسكره ليقصد الى الحلة ويجلي عنها دبيس انتقاما منه لمد يده الى اقطاعه ، فاستعد دبيس وجمع جموعا كبيرة من العرب والاكراد واتصل ببعض امراء الترك وتحالف معهم فادى ذلك الى انكفاف البرسقي عن قصده [2] .

وفي سنة ٥١٣ هـ نشب النزاع على السلطنة بين محمود واخيه مسعود ولدي السلطان محمد بن مشكلشاه . فان محمودا خلف اباه في الملك . وكان مسعود يتولى ولاية الموصل واذربيجان . فكاتب دبيس اتابكه واسمه جيوش بك يستحثه على طلب السلطنة لمولاه ولقي ذلك هوى في نفس مسعود فاعلن نفسه سلطانا وخطب في اعماله باسمه وجمع جموعه لارغام اخيه على التخلي له عن المنصب . وقد قال ابن الاثير في سياق الخبر ان غرض دبيس كان اختلافهم حتى ينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله ابوه باختلاف السلاطين . ولقد التقى الاخان بجموعهما ونشبت بينهما الحرب فدارت الدائرة فيها على مسعود . وفي ابان الارتباك الذي احدثه نزاع الاخين فيما بينهما اخذ دبيس يعيث في البلا دناهبا مخربا . فارسل اليه السلطان محمود رسولا يطيب قلبه ويطلب منه الكف فلم يلتفت اليه وارسل اليه المسترشد بالله الخليفة رسولا في مثل ذلك فلم يلتفت اليه كذلك ، بل سار الى بغداد وضرب سرادقه بازاء دار الخليفة وقال للخليفة انك ارسلت تستدعي السلطان محمود فاذا عاد فعلت وصنعت واظهر له ما كان يعتمل في نفسه من حقد وغل بسبب قتل جماعة السلطان محمد اباه وذكر كيف طيف برأسه وتهدد الخليفة . فوعده هذا باصلاح الحال بينه وبين السلطان محمود .

---

(1) ج ١٠ ص ١٨٠ — ١٩٠ (2) ص ١٩٠ — ١٩١

وكان هذا غائبا . فلما عاد منتصرا على اخيه جنح دبيس الى المسايرة فارسل الى السلطان هدايا كثيرة وسأله الصفح فاجابه الى ذلك بشروط لم ترضه فعاد الى لجاجه ونهب سوادا للسلطان . فسار السلطان الى الحلة في الف سفينة فطلب الامان فاجيب الى طلبه . ولكن ظهر انه كان يقصد الى المطاولة والمراوغة حيث ارسل نساءه الى البطيحة وسار من الحلة الى الجزيرة ملتجأ الى ايلغازي صاحب ماردين . وترادت المراسلات والوساطات بعد ذلك بينه وبين السلطان حتى تم الصلح سنة ٥١٥ هـ على ان يكون اخوه منصور رهينة في بغداد . على ان الخليفة لم يرض عن ما تم لما رآه من لجاج دبيس وطلب من السلطان ابعاده عن العراق او تعيين البرسقي شحنة لبغداد والعراق حتى يقف له بالمرصاد ان تعرض للبلاد ، فنفذ طلب الخليفة وعين البرسقي شحنة .

وغادر السلطان محمود العراق الى همدان وعاد دبيس الى مواقفه المزعجة فطلب الخليفة من البرسقي المسير اليه وازعاجه عن الحلة ففعل وخرج دبيس الى لقائه فالتقوا ونشب القتال بينهم شرقي الفرات فانهزم عسكر البرسقي . واكتفى دبيس بما جرى . وكتب الى الخليفة انه على الطاعة ولو لا ذلك لاخذ البرسقي وجميع من معه . وسأله ان يرسل وكيله الى القرى الخاصة لقبض دخلها . فحمد الخليفة صنيعه وترددت الرسل بينهما وانتهت الى وفاق بشرط عزل وزيره جلال الدولة ابي علي ابن صدقة وهو ابن اخي دبيس ـ ويظهر انه كان يحرض الخليفة على عمه او كان دبيس يظن فيه ذلك ـ واعتقاله غير ان جلال الدولة تمكن من الهرب واللجوء الى الموصل فنهبت دوره ودور اصحابه [1] .

ومما ذكره ابن الاثير من احداث دبيس انه كان لبعض اصحابه اقطاع في واسط تعطلت بسبب ما كان من خلاف ووحشة فلما انقضى ذلك امرهم بالمسير الى اقطاعهم فمنعهم اتراك واسط فجهز دبيس عسكرا

---

(١) ج ١٠ ص ١٩٩ ـ ٢١٣

وسيره الى واسط لارغامهم . وارسل الترك الى البرسقي يطلبون مساعدته فامدهم . ولما وصلت حملة دبيس ونشب القتال بينهما وبين الواسطيين وعسكر البرسقي دارت الدائرة على الحملة ووقع قائدها وجماعة من اعيان العسكر اسرى وقتل منها ما يزيد على الالف . وعلم السلطان محمود الذي كان في همدان بما جرى فقبض على منصور ابن صدقة أخي دبيس وكان في صحبته وسمل عينيه واعتقله ، فاهاج هذا وذاك ثائرة دبيس واخذ يعيث فسادا في البلاد واخذ كل ما للخليفة في نهر ملك . وذعر الناس فجلوا الى بغداد [1] . ثم اطلق خادما للخليفة كان عنده أسيرا وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة وحلف لينهبن بغداد ويخربها . فاغتاظ الخليفة وامر البرسقي بالبروز الى حربه وتجهز هو نفسه ليكون على رأس الحملة ، وامر المنادين ينادون بان لا يتخلف من الاجناد احد فاجتمع خلق كثير . وسارت الحملة العظمة وعلى رأسها الخليفة وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفيه البردة النبوية وفي يده القضيب ونزلت في نهر الملك . وحث البرسقي الامراء على المناصحة . وجمع دبيس جموعه ونشبت الحرب بين الطرفين بقوة وشدة فدارت الدائرة على عسكر دبيس فانهزموا وألقوا انفسهم في الماء وقد قتل وغرق خلق كثير منهم . ونجا دبيس بفرسه وسلاحه وعبر الفرات . واستولت الحملة على الحلة واعتقلت نساء دبيس وسراريه . وقصد دبيس قبيلة الغزية من عرب نجد وطلب منهم أن يحالفوه فأبوا فذهب الى عرب المنتفق وتحالف معهم وقصد واياهم البصرة فدخلوها ونهبوها . وقتلوا كثيرا من حاميتها وفي جملتهم مقدمها . وتجهز البرسقي لمطاردة دبيس ففارق البصرة وسار في البرية حتى بلغ قلعة جعبر وكانت في يد الافرنج . وحرض هؤلاء على حلب على ان يكون نائبا عنهم فيها فساروا الى حصارها فاعيتهم ففارقهم الى

---

(1) ج ١٠ ص ١٩٩ - ٢١٣

الشام والتحق بالملك طغرل بن السلطان محمود ـ اخي محمود ومسعود ـ واقام معه واخذ يحسن له قصد العراق والمطالبة بالسلطنة ، وهون عليه الامر فاستجاب الى الاغراء وسار سنة ٥١٩ في عساكر كثيرة حتى وصل الى دقوقا وكان السلطان محمود ما يزال غائبا عن بغداد فتجهز الخليفة للمسير اليه وصده ، فعدل الى طريق خراسان واخذ اصحابه يعملون يد النهب والفساد في البلاد ، ثم اتفق مع دبيس على خطة عسكرية وسار كل منهما لتنفيذ ما يخصه منها . وكادت تنجح لو لا حمى شديدة ألمت بطغرل فاضطرته الى العدول عنها . ثم التحق هو ودبيس بالسلطان سنجر عم السلطان محمود في خراسان [1]. واستدعى هذا ابن اخيه السلطان محمود وكان في همذان فلبا فسلم اليه دبيسا ووصاه باكرامه واعادته الى عمله واصلاح ما بينه وبين الخليفة ، فوعده بذلك وعاد دبيس معه الى العراق . وحاول محمود اصلاح الحال بينه وبين الخليفة ولكن الخليفة رفض تولية دبيس شيئا من البلاد . وقد سار دبيس برغم ذلك الى الحلة واستولى عليها وطرد الوالي الذي كان يليها من قبل السلطان . وكان ذلك سنة ٥٢٣ هـ

واغضبت حركة دبيس السلطان والخليفة واخذا في تجهيز حملة واسعة وارسالها لصده . فارسل الى الخليفة يستعطفه ويعده ان هو رضي عنه ان يكون العبد المملك وان يرد اضعاف ما اخذ فلم يجبه ، فارسل الى السلطان هدايا جليلة المقدار من جملتها ثلاثمائة حصان ومئتي الف دينار ليرضى عنه هو والخليفة فلم يجبه هو الآخر . وحينئذ قصد البصرة ودخلها واستولى على اموال طائلة كانت للخليفة والسلطان فيها . فسير السلطان اليه حملة ففارق البصرة ودخل البرية [1] .

وفي هذه الاثناء مات صاحب صرخد في جبل حوران فقامت على

---

(١) ج ١٠ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣

حكم القلعة سرية له • ثم ايقنت انه لا يتم لها الامر الا بالاتصال برجل
له قوة ونجدة • فوصف لها دبيس وكثرة عشيرته وما هي عليه حالته
فارسلت تدعوه الى صرخد لتتزوج به وتسلمه القلعة وما فيها • فوافق
واخذ أدلاء وسار من ارض العراق نحو الشام فضل الادلاء في الطريق،
وانتهى به السير الى عشيرة من كلب كانت نازلة شرقي الغوطة فاخذوه
وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق • وسمع عماد الدين زنكي الخبر
فارسل يطلبه من تاج الملوك مقابل اطلاق ولده ومن معه من الامراء
المأسورين عنده فقبل تاج الملوك الطلب وارسله الى عماد الدين •
وايقن دبيس بالهلاك لان عماد الدين كان من جملة الامراء الذين
كانوا في حملة الخليفة السلطان • ولكن عماد الدين فعل خلاف ما ظن
حيث احسن اليه ورتب له الاقوات والسلاح والدواب وقدمه على
نفسه وفعل معه ما يفعل مع اكابر الملوك • وعلم الخليفة بالقبض على
دبيس بدمشق فارسل رسولين الى تاج الملوك ولكنهما وصلا بعد ان
ارسل هذا دبيسا الى عماد الدين زنكي •

وفي هذه الاثناء مات السلطان محمود (سنة ٥٢٥ هـ) وملك ابنه
داود ونازعه عمه مسعود فسار داود اليه وحصره في تبريز ودار بينهما
القتال ثم اصطلحا على ان يدعا للخليفة امر الخطبة لاحدهما واناط
الخليفة الامر بالسلطان سنجر الذي كان صاحب الرئاسة السلجوقية
العليا وحرضه في نفس الوقت على أن لا يأذن لاحد منهما وان يكون
الخطبة له وحده •

وكاتب مسعود عماد الدين زنكي يستنجد به ويطلب مساعدته
فوعده بذلك وحينئذ قويت نفسه على المطالبة بالسلطنة وجرت وقائع
حربية عديدة بينه وبين خصومه من اخوته واولاد اخوته اشترك عماد
الدين زنكي ودبيس فيها معه وكانت الدائرة تدور عليهم فيها • واغتنم
دبيس فرصة الفوضى والارتباك فسار الى بلاده سنة ٥٢٦ هـ وجمع
جمعا وحاول طرد والي الحلة فاخفق • ثم قصد واسط فانضم اليه
عسكرها وجاء والي الحلة اليه في عسكره فاقتتلوا فدارت الدائرة عليه

ثانية [1] .

ولم يذكر ابن الاثير ماذا جرى لدبيس بين سنة ٥٢٦ وسنة ٥٢٩هـ التي ذكر خبر قتله فيها حيث ذكر ان السلطان مسعود قتله على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى [2] . فالظاهر ان جماعة السلطان ظفروا به واسروه وسيروه الى سيدهم فقتله مع انه كان منحازا اليه مع عمادالدين زنكي على ما مر بيانه ...

وقد ذكر ابن الاثير بعد ذلك ان صدقة ابن دبيس كان وقت قتل ابيه في الحلة فاجتمع عليه عسكر ابيه ومماليكه وكثر جمعه فامر السلطان قائده بالمسير اليه واخذ الحلة منه ولكن القائد لم يسر عجزا وجبنا وتحسبا من كثرة عساكر وجموع صدقة فبقي صاحب اليدوالحكم في الحلة [3] .

ولقد حاول الخليفة المسترشد بالله ان يغتنم فرصة ما دب بين الاسرة السلجوقية من نزاع وتنافس وقتال ليوطد سلطانه بدون متاعب . وكان السلطان مسعود قد استطاع ان يتغلب على اكثر الامراء وان يفرض سلطانه فتصدى الخليفة لصده عن بغداد وادى ذلك الى القتال بينهم فدارت الدائر على الخليفة فوقع اسيرا ثم وثب عليه بعض الباطنيين فقتلوه وهو في الاسر وكان ذلك سنة ٥٢٩ هـ فبويع بالخلافة ابنه الراشد بالله (٥٢٩ — ٥٣٠) بموافقة السلطان مسعود الذي فرض سلطانه نتيجة لانتصاره . غير ان الخلاف لم يلبث ان نشب بينه وبين الخليفة الجديد . وقد مال كثير من الامراء وولاة الاطراف الى جانب الخليفة وكان من جملتهم عماد الدين زنكي وصدقة بن دبيس . غير ان السلطان مسعود استظهر على الخليفة وانصاره واضطره الى الخروج من بغداد منهزما الى الموصل ، واستغل السلطان حادث فراره

---

(١) ج ١٠ ص ٢٣٨ — ٢٤٣

(٢) ج ١١ ص ١١

(٣) ابن الاثير ج ١١ ص ١٢

فاستفتى العلماء فافتوا بخلعه فخلعه وبايع المقتفي لامر الله (٥٣٠ـ٥٥٥ﻫ)
وحينما رأى صدقة ان سلطان مسعود قد استتب ثانية قصده واصلح
حاله معه وزوجه ابنته ، وتثبت حكمه لبلاده بالتبعية في ظله [١] .

وفي سنة ٥٣٢ ﻫ فارق الراشد الموصل الى اذربيجان وتحالف مع
الملك داود ابن اخي السلطان مسعود وزحفوا معا على بغداد فخرج
اليهم السلطان مسعود وهزمهم . وكان صدقة معه . ولكن عسكره
انشغلوا بالغنيمة فكر جماعة داود والراشد عليهم وهزموهم وقبضوا
على صدقة فيمن قبضوا عليه من الامراء وقتلوه فيمن قتلوه منهم [٢] .
ومع ذلك فان السلطان مسعود تمكن من صد الراشد وداود وهزيمتهما،
فظل الامر مستتبا له وللخليفة الذي اقامه .

محمد بن دبيس وعلي بن دبيس

— ٧ —

وقد تولى الحكم بعد صدقة اخوه محمد [٣] . وفي هذه الاثناء
ماتت زوجة السلطان مسعود فتزوج من سفرى بنت دبيس بن صدقة[٤].
وهكذا استمرت صلات الصهارة بين امراء الحلة والسلطان مسعود[٥] .

وفي سنة ٥٤١ ﻫ زحف علي بن دبيس على الحلة في جماعة من
بني اسد وغيرهم وغلب اخاه محمدا وملك مكانه . واستهان السلطان
بامره اولا فاستفحل وكثر جمعه . فسير عليه عسكرا من بغداد
فكسرهم . وكان اهل الحلة يتعصبون له . ثم اخذ يمد يده الى
اقطاع الامراء بالحلة ويتصرف فيها . وصار شحنة بغداد ومن فيها على
وجل منه . وجمع الخليفة جماعته وجعلهم على السور لحفظه وراسل

---

(١) ج ١١ ص ١١ — ١٨
(٢) ص ٢٣
(٣) ص ٢٤
(٤) ص ٢٥
(٥) ج ١١ ص ٢٥

عليا في الوقت نفسه فاجابه بانني العبد المطيع فسكن النـاس واستقر الحكم له [١] .

ولقد كثر بعد ذلك فساد اصحـاب علي بالحلة وما جـاورها فاقطعها السلطان لقائد من قواده اسمه سلاركرد فسار اليهـا بعسكره وبما انضاف اليه من عسكر بغداد سنة ٥٤٢ هـ وجمع علي جموعه . والتقى الفريقان بمطرا باذ فكتبت الهزيمة على علي وملك سلار كرد الحلة . وسار علي الى اقطاع زعيم كردي اسمه البقش كان على خلاف مع السلطان فاستنجد به فسار معه الى واسط ومنها الى الحلة حيث تمكن من اجلاء سلار كرد عنها واعادة علي اليها [٢] .

وفي سنة ٥٤٤ هـ تحالف البقش مع ملكشاه ابن السلطان محمود ضد عمه السلطان مسعود وطلبوا من الخليفة ان تكون الخطبة لملكشاه فلم يجبهم الى ذلك وحصن بغداد وارسل الى السلطان مسعود الـذي كان متغيبا عن بغداد يعرفه بالحـال . وحينئـذ نهب البقش النهروان وقبض على علي بن دبيس ـــ ويظهر انه لم يقبل التحالف معه ضـد السلطان مسعود على ما كان من مساعدته على العودة الى حكمـه ـــ غير انه لم يلبث ان تركه حينما عا دالسلطان مسعود وفر . وحينئـذ قصد علي السلطان والقى بنفسه بين يديه واعتذر له فرضي عنه [٣] .

وسكت ابن الاثير بعد هذا عن الحلة وامرائها الى سنة ٥٥١ هـ فذكر ان وزير الخليفة المهلهل رحل من بغداد الى الحلة هذه السنـة فاخذها في سياق ما كان من حصار السلطان محمد بن محمود لبغداد واضطراب حالة بغداد ولم يذكر ماذا كان من امر اميرها علي [٤] .

ثم سكت عنها الى سنة ٥٥٨ هـ حيث ذكر ان الخليفة المستنجـد بالله (٥٥٥ ـــ ٥٦٦ هـ) امر في هذه السنة باهلاك بني اسد اهل الحلـة

---

(١) ص ٤٠
(٢) ص ٤٦
(٣) ج ١١ ص ٥٤
(٤) ص ٨٠

المزيدية لما ظهر من فسادهم ولما كان في نفسه منهم بسبب مساعدتهم للسلطان محمد لما حاصر بغداد ، فامر يزدن بن قماج بقتالهم واجلائهم عن البلاد . وكانوا منبسطين في البطائح والعوير فلا يقدر عليهم فسار اليهم يزدن بعسكر كثيف وارسل الى ابن معروف مقدم المنتفق وهو بارض البصرة فجاء في خلق كثير وحصروهم وسكروا عنهم الماء وسدوا عليهم المسالك فاستسلموا ، فقتل منهم أربعة آلاف ونودي فيمن بقي من وجد في الحلة المزيدية حل دمه فتفرقوا في البلاد ولم يبق منهم بالعراق من يعرف . وسلمت بطائحهم وبلادهم الى بن معروف [1] .

ومهما يكن من ثغرات في السياق الذي يسرده ابن الاثير فان المتبادر منه ان امارة بني مزيد قد زالت في عهد علي او بعد وفاته قبل سنة ٥٥١ هـ . ثم كانت الضربة القاصمة التي امر الخليفة بانزالها ببني اسد عماد هذه الامارة .

على ان بني اسد لم يبيدوا بالمرة . وقد عادوا ثانية الى منطقة الحلة حيث ذكرهم العزاوي في الجزء الاول من كتابه تاريخ العراق بين احتلالين [2] في جملة من ذكرهم من القبائل العربية التي كانت موجودة ونشيطة في العراق في عهد المغول ٦٥٦ ــ ٧٣٦ هـ بل وبعد هذا العهد حيث قال انهم ينزلون في انحاء الحلة وفي جنوب واسط وان ابن بطوطة استعان بهم في زيارته لمرقد الشيخ احمد الرفاعي . وقد امتد وجودهم الى الآن حيث ذكرهم العزاوي في كتابه عشائر العراق [3] في جملة القبائل العراقية الموجودة ووصفهم بانهم من اكبر العشائر .

---

(١) ج ١١ ص ١١١　　(٢) ص ٥٤٠　　(٣) ص ٤٤ ــ ٥٥ ج٤

— ٢ —

الامــارة الخفاجية

— ١ —

لقد مر ذكر بني خفاجة كثيرا في سيرة بني مزيد الاسديين المسرودة قبل هذا ثم في سيرة بني المسيب العقيليين المسرودة في فصل الامــارات العربية في بلاد الشام وجزيرة الفرات في الجزء الاول حيث يستفاد من سياق اخبارهم انهم كانوا يشغلون حيزا غير يسير في مجال النشــاط العربي في القرنين الرابع والخامس الهجريين وان منازلهم في الكوفــة وما حولها وانه كان لامرائهم بروز في مجال الحكم والسلطان في هذه المنطقة بحيث يصح أن يقال انه كان في منطقة الكوفة امــارة عربية خفاجية يسكن ان تسلك الى جانب ما قام في مناطق الجزيرة والعراق والشام من امارات ودول عربية اصيلة ، وان كان من الحق ان يقــال ان شأن الامارة الخفاجية كان ثانويا محلية بالنسبة الى ما كــان من شأن دول بني حمدان وبني المسيب وبني مزيد وبني مرداس •

ابو طريف عليان بن ثمال

— ٢ —

واول من ذكر بروزه من امراء خفاجة في مجال الحكم ابو طريف علياذ بن ثمال حيث ذكر ابن الاثير انه قـلـّد سنة ٣٧٤ هـ حماية الكوفة فكان ذلك بدء امارة بني ثمال كما قال المؤرخ نفسه [١] •

---

(١) ج ٩ ص ١٤

ولم يذكرهم ابن الاثير بعد ذلك الا سنة ٣٩١ هـ حيث ذكر مسير فرواش بن المقلد الى الكوفة وايقاعه بني خفاجة عندها في السنة المذكورة وقعة عظيمة اضطروا نتيجة لها الى الالتجاء الى الشام والاقامة فيها وقتا ما (١) .

ومنذئذ كثر ذكرهم . فقد ذكرهم في حوادث سنة ٣٩٢ هـ في سياق خبر استنجاد ابي جعفر الحجاج نائب ووزير بهاء الدولة الملك البويهي بهم حينما سير قرواش بن المقلد جمعا من عقيل الى المدائن وحصروها . حيث ارسل الحجاج جيشا لفك الحصار عن المدائن ، واجتمعت عقيل وبنو اسد فقويت شوكتهم فخرج الحجاج بنفسه اليهم واستنجد ببني خفاجة واحضرهم من الشام فجاؤوا وانضووا الى لوائه وقاتلوا معه بني عقيل وبني اسد فدارت الدائرة على قوات الحجاج واسر وقتل منها خلق كثير واستبيح معسكرها . فجمع الحجاج جمعا آخر وكر به على بني عقيل وبني اسد ومعه بنو خفاجة والتقوا بنواحي الكوفة فكان النصر هذه المرة حليفه فانهزم بنو عقيل وبنو أسد ونهب بنو خفاجة وعسكر الحجاج حللهم وبيوتهم واموالهم (٢) .

ثم ذكرهم في حوادث سنة ٣٩٣ هـ في سياق النزاع والقتال الذي وقع بين الحجاج وزير بهاء الدولة وعميد جيوشه . فاستنجد الحجاج الذي كان يقيم في نواحي الكوفة ببني خفاجة ايضا فلبوه وقاتلوا الى جانبه (٣) .

حسان بن ثمال

- ٣ -

وفي حوادث سنة ٣٩٧ هـ ذكر ابن الاثير اسم حسان بن ثمال

---

(١) ج ٩ ص ٥٧ (٢) ص ٥٩ (٣) ص ٦٠

كأمير لبني جفاجة تولى بعد اخيه عليان على ما يبدو في ظرف ووقت سابق لم يذكرهما المؤرخ ، وقد ذكره في سياق خبر الحرب التي نشبت بين قوات بهاء الدولة الملك البويهي وصاحب البصرة المسمى بـابي العباس حيث كان حسان يحارب قوات بهاء الدولة الى جانب ابـي العباس • وقد دارت الدائرة على ابي العباس وحسان ففر هذا الـى الكوفة حيث اقام مختفيا ردحا من الزمن [1] •

وفي السنة نفسها سار قرواش بن المقلد الى الكوفة فدخلهـا وكان اميرها ابو علي بن ثمال ـ ويظهر ان هذه كنية حسان ـ غائبـا • فلما علم سار اليه ونشبت الحرب بينه وبين قرواش فانهزم هذا وعاد الى الانبار مهزوما وصادر ابو علي اصحابه [2] •

وقد ذكر ابن الاثير خبر قتل ابي علي هذا في حوادث سنة ٣٩٩ هـ وقال في سياق ذلك ان الحاكم بامر الله صاحب مصر كان ولاه الرحبة ـ وهذا الخبر لم يذكره المؤرخ قبل ـ فسار اليها فخرج اليه عيسى ابن خلاط العقيلي فقتله وملك الرحبة [3] •

ويدل الخبر على ما كان من انتشار ابي علي وترشحـه للعمـل في ظل الفاطميين الذين كانوا في هذه الاثناء قـد ملكوا بـلاد الشام وامتدوا الى شمالها والى الجزيرة معا •

ومما ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٤٠١ هـ انه خطب للحاكم بامر الله في هذه السنة في الكوفة في جملة ما خطب له فيه من البلاد ، مع التنبيه على ان المؤرخ لم يذكر خبر استيلاء قرواش على الكوفة • فيظهر انه تمكن من الاستيلاء عليها بعد سنة ٣٩٧ هـ أو بعد قتل ابي ثمال سنة ٣٩٩ هـ •

وعلى كل حال فالراجح ان ابا علي بن ثمال خطب للحاكم الفاطمي

---

(١) ص ٦٧ (٢) ص ٦٨ (٣) ص ٧٢

في الكوفة قبل ذلك فكان ذلك مما وجهه في نظر هذا الخليفة وجعله يوليه الرحبة ٠

سلطان وعلوان ورجب اولاد ثمال

— ٤ —

ومما ذكره ابن الاثير في سياق حوادث سنة ٤٠١ ﻫ مما يتصل ببني خفاجة ان فخر الملك وزير بهاء الدولة لما فتح دير العاقول أتاه سلطان وعلوان ورجب اولاد ثمال الخفاجي — أي اخوة ابي علي — مع اعيان عشائرهم فضمنوا منه حماية سقي الفرات ودفع عقيل عنها . وانهم ساروا معه الى بغداد فاكرمهم وخلع عليهم وامرهم بالمسير مع احد رجاله الحسن بن منصور الى الانبار فلما صاروا في نواحيها أخذوا مع جماعتهم يعيثون ويفسدون فقبض الحسن على نفر منهم ثم اطلقهم بعد ان اخذ عليهم الايمان بالطاعة والكف عن الفساد ٠

ومما جاء في السياق ا نكاتب سلطان وكان نصرانيا من اهل دقوقا اشار على سلطان — الذي يظهر انه كان المتقدم على اخوته وصاحب الامارة بعد قتل ابي علي — بالقبض على الحسن بحيلة ، وعلم الحسن بالمكيدة فصنع طعاما ودعا اليه سلطانا وكاتبه وجماعة من اعيان خفاجة ؛ وامر اصحابه بقتل بعضهم وقبض على سلطان وكاتبه وبقية الذين ابقاهم احياء وارسلهم معتقلين الى بغداد ونهب بيوتهم ، وظلوا معتقلين الى ان تشفع فيهم ابو الحسن بن مزيد وبذل مالا عنهم [1] ٠

كذلك مما ذكره ابن الاثير عنهم في حوادث السنة نفسها انهم ساروا الى واقصة ونزحوا ماء البرمكي والريان — ويظهر انهما بئران في طريق الحج — والقوا فيهما الحنظل ووصل الحجاج من مكة الى

---

(١) ج ٩ ص ٨١

العقبة فلقوهم ومنعوا الماء عنهم ثم اعملوا فيهم السيف حتى قتلوا معظمهم واستولوا على اموالهم واثقالهم • وسير وزير بهاء الدولة عسكرا في أثرهم وكتب الى ابي الحسن بن مزيد بالانتقام للحجاج فسار خلفهم وكانوا قد قاربوا البصرة يريدون التوغل في البر فاوقع بهم واسترد ما وجده معهم من اموال الحجاج وجاء على اثر ذلك سلطان ابن ثمال الى ابي الحسن معتذرا واستشفع به لدى الوزير فقبلت شفاعته واخذت عليه العهود بلزوم ما يحمد امره (١) • ولم يكد يفارقهم حتى وصلت الاخبار بان خفاجة نهبت سواد الكوفة وقتلت طائفة من الجند • وجاء اهل الكوفة مستغيثين الى وزير بهاء الدولة فسير عسكرا وكتب الى ابي الحسن وغيره بمحاربتهم فساروا اليهم واوقعوا بهم واسروا محمد بن ثمال وجماعة معه ونجا سلطان • وادخل الاسرى الى بغداد مشهرين حيث حبسوا مدة من الزمن • وهب على المنهزمين منهم ريح شديدة حارة قتلت منهم خمسمائة رجل وافلت جماعة من الحجاج كانوا اسرى عندهم وكانوا يستخدمونهم في ترعية مواشيهم (٢) •

وفي حوادث سنة ٤٠٩ هـ ذكر ابن الاثير خبر التجاء بن سهلان وزير سلطان الدولة الملك البويهي الى بني خفاجة حينما قامت الوحشة بينه وبين ملكه (٣) • كما ذكر في حوادث سنة ٤١٥ هـ خبر استنجاد كل من العلويين والعباسيين الموجودين في الكوفة بهم في أثناء فتنة نجمت بينهم في هذه السنة (٤) حيث يدل هذا وذاك على انهم كانوا اصحاب منعة وقوة •

منيع بن حسان

— ٥ —

وفي حوادث سنة ٤١٧ هـ ذكر المؤرخ ان خفاجة تعرضوا للسواد

---

(١) ج ٩ ص ٨١ (٢) ص ٨٤ (٣) ص ١٠٦

(٤) ص ١١٦

وما في يد قرواش بن المقلد صاحب الموصل فانحدر لدفعهم فاستعانوا بدبيس بن مزيد فلباهم . وكان اميرهم ابا الفتيان منيع بن حسان . فالتقوا في ظاهر الكوفة فتناوشوا مناوشة بسيطة ثم انسحب قرواش لانه لم ير لنفسه طاقة بالجمع الذي كان منضما اليه عسكر من بغداد ايضا فتبعوه الى الانبار ففارقتها فاستولوا عليها ونهبوها (١) .

وفي السنة نفسها سار منيع الى الجامعين من اعمال دبيس فنهبها فسار دبيس في طلبه الى الكوفة ففارقها وقصد الانبار التي كان قرواش استعادها فنازلها وتمكن من دخولها ونهبها واحرق اسواقها . وانحدر اليه قرواش ولكنه مرض فاشتد طمع خفاجة وعادوا الى الانبار فاحرقوها ثانية . وسار قرواش الى الجامعين فتحالف مع دبيس ضدهم وزحفوا عليهم في عشرة آلاف مقاتل وكانوا في الف مقاتل فلم يقدروا عليهم واضطروا الى الانصراف عنهم . ثم سار منيع الى الملك ابي كاليجار بن سلطان الدولة الذي كان في نزاع على الملك مع عمه جلال الدولة فاعلن طاعته له فخلع عليه فأتى الى الكوفة وخطب له فيها ووضع يده على ما كان لعقيل من سقي الفرات (٢) .

والعجيب ان يغزو منيع الجامعين بلدة دبيس بعد مدة قصيرة من استعانته به وسيره معه لقتال قرواش .

وقد يدل هذا الحادث والحوادث العديدة التي ذكرناها قبل وغيرها مما سوف نذكره بعد على ان بني خفاجة كانوا عتاة بغاة لا يتورعون عن العدوان على كل من يقدرون عليه كل ما امكنهم ذلك دون أي اعتبار ومانع كما تدل على انهم كانوا بدوا رحالة يغيرون ويفرون ....

---

(١) ص ١٢٢

(٢) ج ٩ ص ١٢٢

محمود الاخرم الخفاجي ورجب ابن منيع

— ٦ —

وسكت ابن الاثير عن حفاجة بعد هذا الحادث الى سنة ٤٤٦ هـ فذكر في حوادثها انهم قصدوا الجامعين واعمال نور الدولة دبيس فنهبوا وفتكوا . وكان نور الدين في شرق الفرات وخفاجة في غربه فاستنجد بالبساسيري فجاء وقاتلهم واجلاهم فدخلوا البر فعاد عنهم فعادوا الى العيث والفساد فعاد اليهم ثانية وطاردهم حتى ظفر بهم في حصن في البرية اسمه خفان فاوقع بهم ونهب اموالهم وعبيدهم ومواشيهم وشردهم كل مشرد ورجع الى بغداد ومعه خمسة وعشرون من رؤوسهم عليهم البرانس وقد شدوا الى الجمال بالحبال فصلبهم (١) .

ثم ذكرهم في حوادث سنة ٤٤٩ هـ حيث قال ان دبيسا ومحمودا ابن الاخرم الخفاجي اصلحا حالهما مع السلطان طغرل بك (٢) . ثم ذكرهم في حوادث سنة ٤٥٢ هـ فقال ان السلطان طغرل بك خلع على محمود بن الاخرم ورد اليه امارة بني خفاجة وولاية الكوفة وسقي الفرات وضمنه خواصه ــ أي املاكه الخاصة ــ باربعة آلاف دينار وصرف عنها رجب بن منيع (٣) .

والسياق يدل على ان امارة بني خفاجة انتقلت بعد منيع الى ابنه رجب وان زعيما آخر من بني خفاجة وهو محمود بن الاخرم برز منافسا لبني ثمال فانتزع السلطان الامارة من رجب وقلده اياها .

استمرار حركات ونشاط بني خفاجة
بدون ذكر امراء لهم

— ٧ —

وقد اخذ ابن الاثير يذكر بني خفاجة فترة بعد اخرى بدون ذكر

---

(١) ص ٢٠٨ (٢) ص ٢٢٢ (٣) ج ١٠ ص ٤

امير لهم . فذكرهم في حوادث سنة ٤٥٥ هـ في سياق خبر اشتراكهم في رد غارة لبني عقيل على نواحي بغداد مع نور الدولة دبيس دون ذكر امير لهم [١] . وسكت عنهم الى سنة ٤٨٥ هـ فذكر خروجهم في هذه السنة على الحجاج ونهبهم اياهم بعد مغادرتهم للكوفة اغتناما لفرصة موت الملك بركياروق وتنازع اولاده على السلطنة دون ذكر امير لهم كذلك [٢] . وقد قتلوا كثيرا من الحجاج والعسكر الذين معهم ثم قصدوا الكوفة فقتلوا كثيرا من اهلها وسلبوا ثياب الرجال والنساء . وقد سيرت بغداد العساكر عليهم فادركوهم وهم منصرفون عن الكوفة فقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبوا اموالهم فألم بهم بعد ذلك ضعف شديد [٢] .

والخبر يؤيد ما قلناه من شنشنتهم وبغيهم ويدل على ان الكوفة لم تكن بلدهم وانما كان امراؤها منهم في بعض الظروف وانهم كانوا يعيشون في بيوت الشعر عيشة البداوة المتنقلة .

وسكت عنهم ابن الاثير الى سنة ٤٩٩ هـ حيث ذكر انه نشب فيها حرب شديدة بينهم وبين قبيلة عبادة . وكان القتال قرب الكوفة وقد كتبت الهزيمة عليهم . وكانت الحرب بسبب عدوان جماعة منهم على بعض افراد من عبادة ونهبهم ابلهم كما هي شنشنتهم [٣] .

وتجددت الحرب ثانية بين القبيلتين في السنة التالية فكانت الهزيمة هذه المرة على خفاجة . وكان سبب الحرب على ما يذكر ابن الاثير ان سيف الدولة صدقة بن مزيد ارسل ولده بدران في جيش الى اطراف بلاده لحمايتها من خفاجة لانهم كانوا يؤذون اهل هذه النواحي ، ولكنهم استمروا في اذاهم فكتب الى ابيه فاحضر عبادة وحثهم على التجهز مع عسكره لاخذ ثأرهم منهم وتقدمت عبادة فناوشتهم وصمدت لهم خفاجة

---

(١) ج ١٠ ص ٩ (٢) ص ٧٥
(٣) ج ١٠ ص ١٣٩

ثم لحق عسكر بن مزيد فتمت الهزيمة عليهم ونهبت اموالهم فاعطاها سيف الدولة لعبادة تعويضا عما اخذ منهم في العام السابق .

واصاب خفاجة من هذه الهزيمة امر عظيم فنزحت الى نواحي البصرة واقامت عبادة في بلادها [1] .

ويظهر ان الضربة مع ذلك لم تكن قاصمة لهم وانهم عادوا الى منطقة الكوفة ثانية حيث ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٥٦ هـ ان خفاجة اجتمعت في الحلة والكوفة هذا العام وطالبت برسومها من الطعام والتمر وغير ذلك فمنعهم امير الحاج وهو مقطع الكوفة ووافقه على منوعه شحنة الحلة . فاخذوا يعيثون في الارض فسادا وينهبون سواد الكوفة والحلة . فسار اليهم شحنة الحلة واميرها فانهزموا الى الرحبة ثم ارسلوا الى الامير يطلبون الامان والصلح فلم يجابوا . فاستجاروا بالعرب وساروا للقتال وحملوا حملة شديدة فهزموا عسكر الامير وقتلوا خلقا كثيرا وكان الامير من جملة القتلى . وتجهز وزير الملك السلجوقي عون الدين بن هبيرة وخرج في طلبهم فهربوا الى البرية ثم ارسلوا يعتذرون ويقولون بغي علينا وفارقنا البلاد فتبعونا وسألوا العفو فاجيبوا الى ذلك .

ولقد ظلوا بعد ذلك يشغلون حيزا في مجال الحركة والبروز على ما يفيده خبر ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٥٦٨ هـ حيث قال ان الحماية على سواد العراق ، والحماية نوع من الخفارة ذات المخصصات ـ كما هو المتبادر ـ كانت في هذه السنة لبني حزن من خفاجة ، وان والي الكوفة والحلة اخذها منهم وجعلها لبني كعب من خفاجة نفسها ، وان ذلك احنق بني حزن فاخذوا يغيرون على السواد ويعيثون فيه فسادا فسار الوالي اليهم ومعه الغضبان امير بني كعب وفي الطريق اصاب الغضبان سهم ارداه فعادت العساكر من حيث أتت واعيدت

(١) ج ١٠ ص ١٠٤

الحماية الى بني حزن ثانية [1] .

ولم يعد ابن الاثير يذكرهم مع انه استمر على تدوين تاريخه الى ما بعد الربع الاول من القرن السابع . ولكن الحادث الاخير الذي ذكرهم في مناسبته يفيد انهم ظلوا ينشطون ويثبتون وجودهم .

ولقد جاء ذكرهم في تاريخ ابي الفداء في حوادث سنة ٧١٦ ه في سياق وحوادث نزاع وتنافس بين الملك الناصر القلاووني وملك بغداد التتري حيث ذكر ان ابن السوايكي الذي استولى على البصرة استنجد بمحمد بن عيسى على قائد الملك التتري فجمع هذا عربه من خفاجة وعرب اخوته واولاد اخوته وزحف نحو هذا القائد وهزمه [2] .

ولقد ذكرهم العزاوي مرارا في كتابه عشائر العراق وفي كتابه تاريخ العراق بين احتلالين . وقد جاء في الجزء الاول من الكتاب الثاني في حوادث سنة ٧١٦ ه [3] ان ملك بغداد التتري خربندا جرد مع نائبه جماعة من التتر وعرب خفاجة لنصرة حميضة بن ابي نمي شريف مكة على اخيه رميثة . واستطرد المؤلف فقال ان ابن بطوطة قال عنهم انهم كانت في يدهم سلطة الكوفة والانحاء المجاورة لها . وان مواطنهم حتى الآن قريبة من تلك الانحاء والقسم الكبير منهم في لواء المنتفق .

ثم جاء في الجزء الثالث من هذا الكتاب في حوادث سنة ٨٢٤ ه [4] ان قبائل ربيعة استنجدوا بقبيلة خفاجة حينما وقعت الحرب بينهم وكان اميرها اذ ذاك عذره فجاء الى الحلة ولما رآها خالية من حاكم ذي شوكة ومنعة طمع فيها فحاصرها واستولى عليها ونهبها وقتل منها جماعة وتساقط اهل البلد خوفا منه وخرجوا الى الجانب الآخر ولم

---

(١) ج ١٠ ص ١٤٨ (٢) ج ٤ ص ٨١ (٣) ص ٤٤١

(١) ص ٦٤ — ٦٧

بيد الشاه محمد ـــ الملك التركماني ـــ في بغداد حراكا • ثم ارسل اليه شخصا اسمه ابو علي كان له اخ مقرب من السلطان ومعه رسالة اليه يقرر له فيها مالا على حفاظ بلد الحلة • وقبل عذره ذلك وبقي في الحلة حتى استوفى المال وتركها فحكمها ابو علي •

واستطرد العزاوي فقال ان خفاجة من قبائل العراق القديمة وان ابن خلدون ذكرها وقال انها من بني عقيل وان جدها هو خفاجة بن عمر بن عقيل وانها انتقلت الى العراق واقامت به وملكت ضواحيه وكان لها مقامات تذكر وانها الآن ـــ والكلام لابن خلدون ايضا ـــ بين دجلة والفرات وهي صاحبة صولة وكثرة • ثم ذكرها العزاوي في الجزء الرابع من كتابه عشائر العراق في جملة من ذكرهم من قبائل العراق الحاضرة ، وقال ان منازلهم في الحلة والمسيب وكربلاء [1] ـــ أي منازلهم القديمة ـــ مما سوف نورد خلاصته في فصل القبائل العربية في العراق ، حيث يبدو من كل هذا ان وجود بني خفاجة ونشاطهم في هذه الربوع استمرا دون انقطاع بعد القرن السادس ايضا الى اليوم •

---

(١) ج ٤ ص ٨٦ ـ ٩٢ انظر خلاصة عن بني خفاجة في معجم القبائل لكحالة ج ٢ ص ٣٥٠ ـ ٣٥٢

- ٣ -

الامارة المشعشعية العلوية

اوليتها ومؤسسها محمد بن فلاح وابنه المولى علي

- ١ -

قامت هذه الامارة في منطقة العراق الجنوبية في اوائل عهد حكومة التركمان البارانية التي تأسست سنة ٨١٤ هـ ـ ١٣٣٨ م . وقد ذكر سيرتها مؤلف كتاب تاريخ العراق بين احتلالين في اكثر من جزء من اجزاء كتابه القيم الثمانية [١] .

واولى النبذ التي ذكر المؤلف هذه الامارة فيها هي ما جاء في الجزء الثالث من كتابه [٢] . والمستفاد منه ان منشىء الامارة هو محمد بن فلاح بن هبة الله من احفاد الامام موسى الكاظم . ومسقط رأسه واسط . وقد تخرج على الشيخ احمد بن فهد الذي كان من اكابر الصوفية واعاظم مجتهدي الشيعة الاثنا عشرية في عصره . وقد تزوج محمد بنت استاذه ووضع يده على كتب له فيها علوم غريبة تعلم منها بعض الخوارق أو المخارق واخذ يمارسها امام الناس ويعلمها

---

(١) مؤلفه الاستاذ عباس العزاوي المحامي . وقد بذل فيه جهودا عظيمة مشكورة ، واستند في تأليف اجزاء كتابه الى عدد عديد من المصادر التركية والفارسية والعربية المخطوطة والمطبوعة التي ذكرها ووصفها في مطلع كل جزء من اجزائه . وكتابه معقود على تاريخ العراق من سنة ٦٥٦ هـ التي نكب فيها باحتلال المغول ثم التركما ثم الفرس ثم الترك العثمانيين الى سنة ١٣٣٥ هـ التي نكب فيها بالاحتلال الانكليزي .

(٢) ص ١٠٧

لمريديه ويقول عن نفسه انه المهدي الموعود فاثر على الناس وخاصة على الاعراب واخذوا يلتفون حوله حتى استوثق من نفسه فاظهر دعوته سنة ٨٢٠ هـ او ٨٢٧ هـ على اختلاف في الروايات ثم اخذ يقوي نفسه ويكثر جمعه حتى تمكن من الاستيلاء على جميع خوزستان ــ الاهواز في الكتب العربية ــ الواقعة في جنوب العراق الشرقي فقامت بذلك الدولة التي عرفت بالدولة المشعشعية والتي امتدت الى اواخر القرن الثاني عشر الهجري •

وقد جاء اسمها على ما يستفاد من النبذة من طريقة الهتاف بعلي ابن ابي طالب باسلوب يعرف في التصوف بالتشعشع وكان يؤثر بالناطقين به ويجعلهم في حالة روحانية غريبة •

ومصادر العزاوي تتخالف بعض الشيء في تفصيل الوقائع التي تم بها قيام الدولة • والمستفاد منها اجمالا ان حركات حربية عديدة سبقت قيام الدولة رسميا وان ابنا لمحمد اسمه علي كان له بلاء حسن في حشد الناس والقضاء على القبائل المناوئة لحركة ابيه ومطامحه واعداد السلاح والمال اللازمين لهذه الحركة • وقد نشب خلاف بين الامير فضل بن عليان التبعي حاكم الجزائر التي هي قسم من الاهواز وبين اخوته ساعد على نجاح الحركة حيث ارتحل هذا من الحويزة عاصمة الجزائر فاغتنم محمد وابنه علي الفرصة وتمكنا من الاستحواذ عليها في سنة ٨٤٤ هـ فكان ذلك تدشينا رسميا لقيام الدولة التي صارت الحويزة عاصمة لها •

ولقد علم الامير اسبان بن قره يوسف حاكم بغداد التركماني بحصار محمد للحويزة فجمع جيشه وسار لدفعه عنها فلم ير محمد ان يصطدم معه فتخلى عن حصار المدينة ثم ارسل الى اسبان هدايا وتحفا عديدة فحاز على رضائه وعاد الى بغداد • ولم يكد يعود حتى زحف محمد ثانية واستولى على المدينة وبنى قلعة حصينة فيها لتكون معصما له وعدة للدفاع عن المدينة في الوقت نفسه • وقد كثر نتيجة

لذلك اتباعه بمن انضم اليه من قبائل تلك الانحاء مثل عبادة وبني ليث وبني خطيط وبني سند فزاد قوة الى قوة • وقد اورد المؤلف في هذا السياق روايات عن كتب الشيعة في صدد الدولة المشعشعية منها ان المشعشع الاول هو فلاح وليس ابنه محمد وانه ظهر عام ٨١٤ هـ وتوفي عام ٨٥٤ هـ فخلفه ابنه محمد الملقب بالمهدي • ومنها أن آل المشعشع دولة عربية ملكت الاهواز والحويزة واكثر بلاد خوزستان من سنة ٨٠٤ تقريبا الى سنة ١٠٢٥ ثم ضعفت سلطتهم وصاروا او كانوا امراء للملوك الصفويين — والمتبادر ان المقصد من العبارة تحت سيادة هؤلاء الملوك — وان اول من ملك منهم فلاح بن محمد المتوفي سنة ٨٥٤ ، وانه ملك الحويزة قبل ان تخطط ، وان بعض اولاده عرفوا بالغلو في المذهب والبراعة في الشعوذة • وقد عقب المؤلف على هذه الروايات فقال عن الاولى انها غير صحيحة وقال عن الثانية انه لم يعرف لفلاح ذكر في التاريخ وان امارتهم دامت الى اواسط القرن الهجري الثالث عشر [1] •

والمستفاد من سيرة الدولة المشعشعية انها كانت تدور بصورة رسمية في نطاق سيادة الدول التركمانية ٧٣٨ — ٩١٤ ثم في نطاق سيادة الفرس ٨١٤ — ٩٤١ ثم في نطاق سيادة الدولة العثمانية • غير انها كانت تتمتع احيانا بسيادتها التامة حينما كان يطرأ على هذه الدول ضعف وارتباك بل وتقف منها موقف الصيال والمناوأة •

ومما ذكره العزاوي من سيرة الدولة في عهد محمد انه طمح الى الاستيلاء على واسط قبل استيلائه على الحويزة فسار اليها واستطاع في الجولة الاولى ان يتغلب على حاكمها وحاميتها • غير ان هؤلاء كروا عليه وقتلوا عددا كبيرا من جماعته وهزموا الباقي هزيمة شديدة • على انه لم يلبث ان استأنف نشاطه وجمع القبائل حوله الى ان تم له النجاح

---

(١) انظر ج ٣ ص ١٠٧ — ١١٨ وقول المؤلف انها دامت الى اواسط القرن الثالث عشر محل توقف لانه كان يقوم محلها قبل ذلك امارة لبني كعب على ما سوف يأتي بعد •

في الاستيلاء على الحويزة على ما ذكرناه قبل [1] .

ومما ذكره العزاوي من سيرته ايضا انه لما قوي قوة كبيرة بما انضم اليه من القبائل طمح الى الاستيلاء على البصرة عقب استحواذه على الحويزة فسير عليها حملة فلم تنجح في ما قصدت اليه ولكنها مع ذلك استولت على قصبة من قصبات البصرة اسمها الرماحية فغدت من متصرفاته وبنى قلعة فيها [2] .

وقد قال المؤلف في سياق حوادث سنتي ٨٤٥ و ٨٤٦ ان وقائع المشعشعين لم تنقطع كما قال في حوادث سنة ٨٤٧ هـ ان الامير اسبان قضى هذه السنة وما بعدها في حرب المشعشع ايضا دون بيان آخر [3] .

ومما ذكره المؤلف ان والي الموصل الامير الوند احد امراء الاسرة المالكة التركمانية جاء في سنة ٨٥٣ هـ الى الحويزة ملتجأ الى المملكة المشعشعية نتيجة لنزاع قام بينه وبين ابن عمه الحاكم حيث يفيد هذا ما صار لهم من قوة ومنعة . كذلك مما ذكره ان المولى عليا ابن محمد الذي كان يشارك اباه في الحكم والنشاط اغتنم فرصة اضطرب فيها امر الحكومة التركمانية فاخذ يوسع حدود مملكته في انحاء البصرة ثم تحرك سنة ٨٥٧ هـ نحو واسط فحاصرها حتى ضاق الامر على اهلها وخرجوا منها مع حاكمهم الى البصرة فاستولى عليها ، وانه خرج في نفس السنة على الحجاج فنهب اموالهم ودوابهم وجمالهم والمحمل والآنية المذهبة . وهرب الناجون من الحجاج الى المشهد فتبعهم وحاصرهم . ولما تضرع اليه سدنة المشهد طلب منهم القناديل والسيوف الموجودة في المشهد — وهو مشهد الحلة وكان في خزنته سيوف الصحابة والسلاطين — فارسلوا اليه مئة وخمسين سيفا واثنى عشر قنديلا نصفها ذهب ونصفها فضة ، وان بغداد سيرت حملة للتنكيل به وانضم اليها حاكم الحلة مع

---

(١) السياق نفسه .

(٢) ص ١١٥ — ١١٦

(٣) ج ٣ ص ١٢٢ و ١٢٧ — ١٢٨

رجاله ولكنهم كسروا كسرة هائلة وانهزموا ، وقفل هو الى الحويزة غانما سالما • وقد جاء سلطان بغداد الى الحلة بعد قليل فنقل اموالها وما في المشهد من سيوف وقناديل الى البصرة [1] •

وفي سنة ٨٦٠ هـ توجه المولى علي الى مهروز وطريق خراسان في ولاية بغداد فنهب وقتل واسر الذراري والنساء واحرق الغلات وقتل مشايخ مركز سلمان الفارسي [2] •

وسير السلطان التركماني جهانشاه عليه حملة لرده فلما علم بذلك عاد الى الحويزة مكتفيا بما نال • على انه لم يبق فيها الا ريثما استراح حيث سار في سنة ٨٦١ هـ الى بهبهان في جبل كيلو فضرب عليها الحصار • وفي اثناء الحصار اصابه سهم طائش من ناحية المدينة كان فيه حتفه [3] •

وعلم حاكم بهبهان بذلك فخرج من المدينة وكر على عسكر المشعشع واوقع فيه ودخل احد الجنود الى خيمة المولى فحز رأسه وارسل الرأس والجثة الى بغداد [4] •

وقد استطرد المؤلف الى ترجمة المولى علي فقال انه كان منفورا من اهانته للعتبات الشريفة في النجف وكربلاء ومن كثرة ما قتل ونهب وخرب ، وانه اخذ السلطة من ابيه في حياته وساق الناس الى عقيدة حلول روح الامام علي فيه ، وان والده عجز عن ردعه وكتب الى الاطراف بذلك ، وان له بعض مدونات نعت نفسه فيها بالمهدي حينا وبالالوهية حينا وانه كان حلوليا • وتطرق من هنا الى شرح العقيدة المشعشعية عامة فقال فيما قاله انهم حلوليون يعتقدون بحلول الله في علي فصار الها [5] • ولقد ذكر المؤلف في الجزء الثاني من كتابه [6] جماعة تعرف بالنصيرية كانت تنزل في حديثة الفرات ثم تحولت الى

---

(١) ص ١٤٢ – ١٤٤ ج ٣ (٢) ص ١٤٧ (٣) ص ١٤٩

(٤) ص ١٥١ (٥) ص ١٥١ – ١٥٦ (٦) ص ١٨٠ – ١٨٢

عانة ثم الى واسط وقال ان المشعشعية استقت من عقيدة النصيرية لانها وهي الاقدم منها تقول بالوهية علي بطريقة الحلول •

ومما ذكره ان هذه الطائفة تركز تقديسها في ثلاثة اشخاص هم علي ومحمد وسلمان الفارسي وترمز اليهم بحروف العين والميم والسين ، مما فيه توافق مع النحلة النصيرية العلوية اللاذقانية التي شرحناها في فصل تنوخيي اللاذقية من هذا الجزء ومما يحتمل ان يكون ذلك التوافق نتيجة تسرب من هنا الى هناك لان النحلة اللاذقانية بدأت تتكون وتستقر في القرن الخامس على ما شرحناه في الفصل المذكور •

وقد روي العزاوي بعد هذه الاستطرادات ان محمدا المشعشع كر على جيش بغداد المرسل للتنكيل بهم فشتت شمله وتعقبه الى واسط واثخن فيه قتلا حتى لم يكد ينجو منه احد [1] • والعبارة تفيد ان محمدا عاد فمارس السلطان بعد موت ابنه كما هو المتبادر وقد ظل يمارسه حتى سنة ٨٦٦ حيث توفي فخلفه فيه ابنه المولى محسن [2] •

عهد المولى محسن

— ٢ —

والمستفاد مما ذكره العزاوي من سيرة محسن انه بلغ مكانة اسمى من مكانة ابيه واخيه وانه تمكن من الاستيلاء على جميع الجزائر — جزائر البصرة — واكثر انحاء منطقة بغداد وان الكرد البختيـاريين والفيليين اذعنوا له وانه كان كريما محبا للفضيلة وانـه استولى على الحلة فيما استولى عليه [3] •

وسكت المؤل عن محسن الى سنة ٨٨٤ هـ ثم قال انه سمع

(1) ج ٣ ص ١٥٦

(2) ص ١٦٠

(3) ص ١٧٤ ــ ١٧٥

بوفاة السلطان حسن الطويل ملك التركمان البايندارين ــ الذي كان اقوى واعظم ملوك الدولة بل ملوك التركمان واشدهم نشاطا واكثرهم وقائع ــ فتوجه الى انحاء بغداد في هذه السنة حتى دخل ديالي ومضى الى الخالص فنهب واسر وقتل بعد ان مكث ثمانية ايام ، وان نائبه في الرماحية ذهب الى الجحيش احد فروع زبيد وآل جوذر من فروع الجبور لمطاردة جماعة متمردين عليه من رعاياه فنهبهم وسلبهم وقتل منهم ووصل الى قياقيا من قرى الحلة ورجع بدوره بدون معارض ولا صاد ، لان بغداد كانت مشغولة بحادث موت السلطان حسن الذي قتل قتلا والبحث عن قتلته وتنصيب ابنه [1] . حيث يفيد الخبر اشتداد قوة وحيوية المشعشعيين وطموحهم وجرأتهم على اغتنام الفرص السانحة بسبيل توسيع نطاق سلطانهم .

ثم ذكر المؤلف محسنا في حوادث سنة ٨٩٣ ايضا فقال انه طمح الى الاستيلاء على مدينة تستر قاعدة خوزستان فارسل ولده حسنا على رأس حملة من اجل ذلك . وكان في خوزستان اميران عربيان هما الامير جابر والامير نصر ــ دون بيان آخر ــ فحالا دون نجاحه لانهما لم يرتاحا الى قوة وسطوة المشعشعيين وانتشار بدعتهم .

ثم ذكر ان محسنا ارسل ابنه سفيرا الى السلطان الجديد فنال كل رعاية منه وابلغه نية والده في ارسال جيشه للاستيلاء على الجزائر والبصرة الى حدود الحلة والرماحية لان امراء المنتفق عادوا اليها وطلب رأيه واذنه بذلك ، ولم يذكر المؤلف نتيجة العرض والنية [2] .

وسكت المؤلف عن المشعشعيين الى سنة ٩١٤ هـ ثم ذكر خبر وفاة المولى محسن في هذه السنة ، وكان شاه العجم قد استولى في هذا الظرف على سلطان العراق من التركمان [3] .

---

(١) ص ٢٥٨ ــ ٢٦١

(٢) ص ٢٧٢ ــ ٢٧٣

(٣) ص ٣٤٦ ــ ٣٤٧

وقد ذكر بهذه المناسبة عزوا الى مؤلف اسمه ابن شدقم ان محسنا كان ذا جأش وقوة وانه بنى البلدة المعروفة بالمحسنية وسكنها وهي الآن ــ الكلام لابن شدقم ــ في عام ١٠٨٣ ــ ١٠٨٥ سكن نسله وبها قلعة حصينة تنزلها طائفة من عسكر الشاه تعرف باسم قيزيل باش (الرأس الاحمر) •

خلفاء محسن
فلاح وبدران وسجاد ومانع

ــ ٣ ــ

ولقد روي المؤلف اربع روايات عن ما كان عقب وفاة محسن منها ان ابنه فلاحا تولى مكانه وان الشاه سار سنة ٩١٤ الى المشعشعين وقتلهم • ومنها ان الشاه بعد فتحه بغداد توجه الى الحويزة • وكانت بيد علي وايوب اولاد محسن • وتظاهرا بالتشيع ولكن حاشية الشاه نبهته الى ما هما عليه من غلو والحاد فقتلهما مع اعيان طائفتهما واستولى على الحويزة وتستر وسائر انحاء خوزستان• ومنها ان فلاحا تولى بعد اخويه القتيلين بتفويض من الشاه • حيث ارسل للشاه بعد عودته الى فارس تحفا لائقة ففوض اليه حكم ايالة الحويزة • ومنها ان الشاه لما فتح بغداد كان امير المشعشعين محسنا وحينما توجه الى الحويزة جاءه خبر بوفاة محسن وجلوس ابنه فياض مكانه • وعلم فياض بتوجه الشاه نحوه فاستعد للقتال • ولما وصل الشاه اشتبك مع قواته في معركة دارت الدائرة فيها عليه فاستولى الشاه على الحويزة ونصب احد رجاله حاكما عليها •

وسياق المؤلف يفيد انه اخذ بالرواية الثالثة ، حيث قال ان

---

(١) ص ٣٤٥ ــ ٣٥٠ ج ٣

فلاحا حينما مات خلفه ابنه بدران ثم خلف بدرانا ابنه سجاد الذي اطاع الشاع وبذل المال المقطوع . ولم يزد على هذا شيئا في صدد سيرة فلاح وبدران وسجاد [1] .

وفي هذه الاثناء استولى العمثانيون على معظم العراق ونشب صيال ونضال بين دولتي الفرس والترك حيث كان الفرس يناضلون في سبيل استراد ما خرج من يدهم وكان الترك العثمانيون يناضلون في سبيل الاحتفاظ بما دخل في يدهم وقد امتد هذا النضال اكثر من مئة سنة ، وكانت الدولتان تتساجلان النصر احيانا وتتقاسمان السلطان على العراق نتيجة لذلك احيانا . وكانت الامارة المشعشعية تدخل حينا في سلطان هؤلاء وحينا في سلطان اولئك .

وقد ذكر العزاوي المشعشعيين عقب استيلاء العثمانيين الاول على العراق الذي كان في سنة ٩٤١ هـ فقال ان امير الحويزة مانعا المشعشع اذعن للدولة العثمانية بالطاعة حينما استولت على العراق اسوة بالامراء الآخرين ولم يزد [2] .

مبارك

— ٤ —

وسكت عن المشعشعيين ثانية الى سنة ٩٦١ هـ فقال نقلا عن مرآة الممالك ان والي العراق مصطفى باشا عزم على فتح الحويزة

---

(1) ج ٣ ص ٣٧٤ .

(2) ج ٤ ص ٤٤ قال المؤلف في حاشية الصفحة نفسها ان كتاب كلشن خلفا انفرد بذكر مانع ولا يعرف صلته بمن سبقه . ثم ذكر في الجزء الخامس ص ٣١٥ في فصل الاستدراكات التي استدركها على محتويات الجزء الرابع ان كشف الظنون ذكر ان سجادا خلفف اباه بدران في سنة ٩٤٨ هـ وظل في الحكم الى سنة ٩٩٢ هـ فيكون حسب هذه الرواية بدران هو الذي كان حاكما عند الفتح العثماني وليس مانعا .

وانتزاعها من طائفة المشعشعيين فسار اليهـا وارسل القائـد البحري الرئيس علي الى الجزائر ليمنع حاكمها من ضرب البصرة • ولم يتيسر الفتـح [1] •

ثم سكت عنهم الى سنة ١٠٠٦ هـ فقال نقلا عن كتاب جامع الدول ان خارجيا من جانب البصرة يقال له السيد مبارك جمع جمعـا عظيما من اوشاب العرب والعجم فنهبوا البلاد وافسدوا فيها فوجهت الاستانة ايالة بغداد الى وزير اسمه حسن باشا وامرته بدفع غائلته ، ثم ذكر عزوا الى كتاب آخر اسمه فذلكة الكاتب شلبي هذا وزاد عليه ان اهل هذه الاصقاع استمدوا من شاه العجم فكان ضرر جيشهم اكبر فاستعانوا بالدولة العثمانية فامرت حسن باشا بدفع الغائلة •

وقد عقب المؤلف على هذا فقال ان الكاتب شلبي لم يذكر النتائج وان السيد مبارك هذا هو امير المشعشعيين [2] • والمستفـاد مـن استدراك المؤلف الذي اورده في الجزء الخامس واشرنا اليه قبل قليل عزوا الى كشف الظنون ان مباركا هذا هو ابن المطلب بن بدران وانه خرج في سنة ٩٩٨ هـ على المولى زنبور الذي تولى الحكم بعد ابيه سجاد سنة ٩٩٢ هـ فاقصاه عن الحكم وحل محله الى ان توفي سنة ١٠٢٥ اوسنة ١٠٢٦ هـ حسب اختلاف الروايات •

ومما اورده العزاوي في حوادث سنة ١٠٢٢ ان الصلح انعقـد بين دولتي الفرس والترك في هذه السنة وكان من جملة الشروط التي تعهد بها الشاه ان لا يشتم الصحابة ولا الائمة المجتهدون ولا ام المؤمنين عائشة وان يؤذن لمن اراد القدوم الى انحاء بغداد وان تراعي الحدود التي كانت ايام السلطان سليمان فلا يتعرض للقلاع والبقاع وان تكون

---

(١) ج ٤ ص ٧٤ وعلق المؤلف على هذه الرواية قائلا ان هذه الرواية انفرد بهـا مؤلف مرآة الممالك ولم يذكرها غيره من مؤرخي هذه الحقبة .

(٢) ص ١٤١ ج ٤ .

البلدان والممالك التي في يد مبارك بن سجاد (والسياق يفيد ان مباركا هو بن المطلب) المشعشعي نابعة لبغداد وان لا يساعد ولا يحمي من قبل الشاه [1] .

المولى فرج الله

— ٥ —

وسكت المؤلف عن المشعشعيين فترة طويلة تبلغ مئة سنة ثم ذكرهم في حوادث سنة ١١٠٩ هـ في مناسبة صيال بين امير البصرة وامير الحويزة ثم بمناسبة عجز الحكومة العثمانية عن اخضاع امير البصرة لسلطانها وكان قد تغلب على حكمها واستبد به مستقلا او شبه مستقل فقال ان امير الحويزة المولى فرج الله ارسل سفيرا الى وزير بغداد مبديا استعداده للاستيلاء على البصرة وتقديمها للدولة وان الوالي اذن له فزحف وتمكن من الاستيلاء عليها ولكنه احتفظ بها ولم يسلمها للدولة كما وعد . وكانت هذه مشغولة بحروب في اوروبة فاغضت عما وقع . ويظهر ان الامير المشعشعي اراد ان يحتمي بالشاه ليحتفظ بالبصرة فاخبره بنيته فلم يرض عن نكثه لوعده وعين للبصرة واليا من قبله لادارتها موقتا الى ان تعاد للدولة العثمانية تنفيذا للمعاهدة القائمة بينهما . ولما فرغت الدولة من مشاكلها في اوروبة اتجهت الى استخلاص البصرة وغيرها وارغام المتغلبين والمتمردين من الامراء والعشائر وجهزت الجيوش والقواد لذلك . وقد ارسل الشاه رسولا ومعه مفاتيح البصرة مصنوعة من الذهب ليقدمها للسلطان وفاء بالمعاهدة وابدى اهل البصرة اذعانا وارتياحا فتيسرت عودة المدينة الى سلطان

---

[1] ج ٤ ص ١٦٣ — ١٦٤ والسياق يفيد ان العراق كانت مقسمة الحكم بين الفرس والترك العثمانيين في هذا الوقت .

الدولة العثمانية بسهولة ويسر في سنة ١١١٢ هـ [١] .

والمتبادر ان الامير المشعشعي رضخ للشاه وتخلى عن البصرة حينما رفض هذا اقراره على فعله فلم يمر لـه ذكر في سياق تسلم الدولة العثمانية للبصرة .

المولى عبد الله

— ٦ —

ثم ذكر المؤلف المشعشعيين في حوادث سنة ١١٢٣ هـ — ١٧١١ م بمناسبة مطاردة الوزير العثماني — وهذا لقب والي بغداد اذ ذاك — لقبيلة بني لام العاصية فقال ان بني لام فروا من وجهه الى الاراضي الايرانية حتى وصلوا الى الحويزة والتجأوا الى اميرها المولى عبد الله ، وان الوزير لما اقترب من ارض الحويزة ارسل بعض اغواته الى الامير يطلب منه تسليم القبيلة فاعتذر بانها لاجئة عنده وان كل ما يمكنه ان يفعله هو ان يأخذ منها ما في يدها من منهوبات ويرسلها اليه وراسل الامير الى الوزير بعض الهدايا فلم يقبلها لانه ماطل في اعادة المنهوبات . وكتب امير الحويزة الى الشاه يخبره ان العثمانيين تجاوزوا الحدود . ولكن الشاه علم حقيقة الامراء فغضب على الامير حتى اضطر هذا الى الفرار من غضبه وقضاء فترة من الوقت شريدا بائسا الى ان عفا الشاه عنه [٢] .

والسياق يفيد ان امارة المشعشعيين غدت في هذا الطرف في نطاق مملكة الفرس وتحت سيادتهم .

ثم ذكرهم العزاوي في حوادث سنة ١١٣٠ هـ فقال ان شيخ بني

---

(١) ج ٥ ص ١٤٠ — ١٥٠ (٢) ج ٥ ص ١٨٦ — ١٨٧

لام اتفق مع امير الحويزة واخذ يعيث فسادا في الارض وينهب سفن التجار وان الوزير سير حملة للتنكيل بها دخلت اراضي الحويزة بمساعدة المولى عبد الله وضربت بني لام فانهزموا تاركين ما معهم من المنهوبات [1] .

ثم ذكرهم في حوادث سنة ١١٣١ هـ فقال ان امير الحويزة المولى عبد الله قدم الى بغداد لاجئا الى الوزير مع عياله ورجاله فرارا من الشاه لعمل استوجب عليه العقوبة وان الوزير آواه وتعهد بالشفاعة له . واستطرد الى ذكر بعض صفات هذا الامير قائلا انه كان مهذبا وكاملا واديبا وشاعرا مطبوعا وعالما بالمعقول والمنقول ويحفظ دواوين المتقدمين، وقد اورد بعض مقطعات غزلية من شعره . وجاء في السياق اسم وزير له وهو الشيخ فرج حيث يفيد هذا ان الامارة المشعشعية كانت ذات تشكيلات حكومية منتظمة نوعا ما [2] .

خلفاء المولى عبد الله ونهاية الامراة

— ٧ —

ثم ذكرهم في حوادث سنة ١١٤١ هـ فقال ان اهل الحويزة اعلنوا العصيان والتمرد فتوجه الوزير اليهم بجيش ولما وصل خاف الاهلون وقدموا للوالي الهدايا وسلموه مفاتيح البلد وطلبوا عفوه فعفا ونصب الامير السابق المولى محمدا حاكما عليهم وكان الايرانيون عزلوه [3] .

والخبر يفيد ان الحويزة عادت ثانية في هذه الظروف الى سلطان العثمانيين .

ثم ذكرهم في التلخيص الاجمالي للعهد العثماني الثاني في العراق

(١) ص ١٩٥

(١) ج ٥ ص ١٩٧ — ١٩٨ (٢) ص ٢٢٣ — ٢٢٤

المتمد من سنة ١٠٤٩ الى سنة ١١٦٣ هـ فقال ان امارة الحويزة لم تهدأ في هذه الحقبة وانها كانت تستولي على البصرة احيانا وان علاقتها تراوحت بين الدولة العثمانية والدولة الايرانية وان امراءها في هذه الحقبة هم المولى منصور الذي استمرت امارته الى سنة ١٠٥٣ ثم المولى بركة الى سنة ١٠٦٠ ثم المولى علي بن خلف المطلب الى سنة ١٠٨٨ ثم المولى حيدر بن علي الى سنة ١٠٩٢ ثم المولى فرج الله الذي نشب بينه وبين المولى هبة الله نزاع . وفي سنة ١١١٢ هـ صار الحكم للمولى علي ثم عاد الى فرج الله الى سنة ١١١٤ ثم ولى المولى عبد الله الى سنة ١١٢٧ ثم المولى علي الى سنة ١٣٢ هـ ثم الى المولى محمد بن عبد الله الى سنة ١١٣٥ ثم المولى عبد الله بن هبة الله ثم المولى المطلب ثم المولى محمد الذي ظل محتفظا بالحكم بعد نهاية العهد أي بعد سنة ١١٦٣ هـ [1] وكان عهد الاميرين الاخيرين في ايام نادر شاه الافغاني الذي برز في اواسط القرن الثاني عشر فاستولى على الحكم في بلاده ثم استولى على الحكم في بلاد الفرس ثم اخذ يمتد الى العراق واستطاع ان يبسط سلطانه على انحائه الجنوبية مع بغداد فترة من الوقت [2] .

والخلاصة مفيدة في بابها لانها اشتملت على سلسلة تامة نوعا ما للامراء الذين تولوا الامارة خلال هذه الحقبة ومنهم من لم يرد له ذكر من قبل .

ولم يعد المؤلف يذكر في اجزائه التالية الامارة المشعشعية . وفي الجزء السادس ذكر للحويزة باسلوب عابر يدل على انها لم تعد مركزا للامارة المشعشعية منذ سنة ١١٩٣ هـ [3] .

وقد ذكر المؤلف في الجزء السابع ان بني كعب اقاموا امارة على اطلال المشعشعيين وحلوا محلهم في الحكم على الحويزة [4] .

---

(١) ج ٥ ص ٣٠٥ (٢) ج ٥ ص ٢٠٠ – ٢٧٥

(٣) ج ٦ ص ٨١ و ٢٠٥ و ٢٨٩ (٤) ص ٣٨ – ٣٩

وسياق المؤلف قد يفيد ان الامارة المشعشعية قد انهارت في اواخر القرن الثاني عشر فقامت الامارة الكعبية مكانها وان لم يحتو السياق تفصيلا او تاريخا معينا للوقائع . وهكذا تكون الامارة المشعشعية قد عمرت نحو اربعة قرون ونصف سجل امراؤها ورعاياها العرب نشاطا غير يسير في أثناء رضوخ العراق لسلطان التركمانيين فالفرس فالعثمانيين .

— ٤ —

امارة بني كعب في الحويزة والمحمرة
كيفية نشوءها وسيرتها الاولى

— ١ —

ذكرنا في مبحث الامارة المشعشعية السابق ان امارة لبني كعب قامت على اطلالها وحكمت في الحويزة . فاقتضى السياق ان نعقد هذه النبذة على هذه الامارة ولو ان قيامها كان متأخرا بالنسبة للامارات العربية الاخرى .

ولقد وصف العزاوي بني كعب فقال انها قبيلة قديمة معروفة كانت منتشرة في مواطن عديدة من العراق وان من اهم فروعها المحيسن وهو فرع الامارة ثم الدريس والنصار وان بعض فروعها قد أووا الى انحاء المحمرة وجزيرة الخضر وجزيرة المحلة والفلاحية التي هي الآن في نطاق الدولة الايرانية [1] .

ومع ما يقوله العزاوى من قدم القبيلة في العراق فانه لم يذكرها في سياق احداث العراق الا في تواريخ متأخرة ، واقدم مرة ذكرها فيه في سنة ١١٧٦ هـ بمناسبة ذكر ما كان لشيخها سليمان العثمان من مواقف مناوئة للدولة العثمانية فقال ان كل الناس كانوا راضين وشاكرين للوزير الا شيخ كعب سليمان العثمان فانه قام ببعض ما لا يليق في ايامه واستشعر بالخوف منه فلم يأت الى بغداد ثم بدرت منه بوادر اقتضت ان ينهض الوزير لاخضاعه . ولما سمع الشيخ بخبر مجيئه الى جهاته

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٥٣٤ و ج ٧ ص ٣٣–٢٤ و٧٩و٨٢و٢٨٣و٢٩٦

ووجد نفسه لا يطيق القتال ارسل الى الوالي معتذرا مستعفيا وواعدا بالطاعة فعفا عنه واخذ هداياه [١] .

ثم ذكرها في حوادث سنة ١١٩٣ هـ بمناسبة صدام حربي وقع بين والي البصرة الايراني وتامر شيخ المنتفق حيث كانت قبيلة كعب الى جانب جيوش ايران التي دارت الدائرة عليها في الصدام [٢] .

ثم ذكرها في حوادث سنة ١٢٣٣ هـ بمناسبة ذكر سيرة ونشاط صادق بك احد رجال الحكومة العراقية في أثناء ما كان يقوم بين هؤلاء الرجال من تشاد وتناحر على الحكم في العهد المعروف بحكم المماليك في العراق (١١٦٢ ـ ١٢٤٧ هـ) حيث ذكر ان صادق بك لجأ الى بني كعب في ظرف من ظروف التشاد [٣] .

ثم ذكرها في حوادث سنة ١٢٤٢ هـ بمناسبة ذكر خبر زحف ابناء حمود التامر شيخ المنتق على البصرة ومناصرتها لهم في ذلك [٤] .

ثم ذكرها في حوادث سنة ١٢٥٣ هـ بمناسبة ذكر زحف والي بغداد عليها واخذه المحمرة منها [٥] .

اما أمارتها وهي موضوع البحث الاساسي فقد ذكرها المؤلف استطرادا بعد ذكره الحادثة الاخيرة .

ومما قاله في هذا الصدد ان بني كعب اقاموا امارتهم على اطلال المشعشعيين وحلوا محلهم في الحكم على الحويزة . وكان مركز امارتهم الفلاحية . وهم الذين أنشأوا المحمرة في سنة ١٢٣٦ هـ وتم بناؤها في سنة ١٢٤٠ هـ وتليها جزيرة الخضر وتمتد الى ساحل شط العرب حتى الخليج وفي غربها جزيرة المحلة في نفس الشط . وكانت جميع هذه المنطقة للعراق فصارت ايران تطالب بها من جراء هذه العشيرة التي

---

(١) ج ٦ ص ٣٣ ـ ٣٤ (٢) ص ٨٠ (٣) ص ٢٥٦
(٤) ص ٢٩٣ (٥) ج ٧ ص ٣٨

كانت تريد ان تكون في نجوة فتميل تارة الى ايران واخرى الى العراق ـ الدولة العثمانية ـ وكل ما رأت تضييقا من جانب صارت الى الجانب الآخر ثم انقادت الى ايران لان هذه اكتفت منها بالقليل [١] .

والسياق يفيد ان الامارة الكعبية قامت قبل سنة ١٢٣٦ هـ بـامد ما وان مركزها الاول كان الحويزة مركز الامارة المشعشعية . ومن المحتمل أن يكون امراء بني كعب اغتنموا فرصة ضعف او ارتباك في هذه الامارة فزحفوا بقومهم على الحويزة واستولوا عليها في اواخر القرن الثاني عشر او اوائل القرن الثالث عشر فقامت لامارة الكعبية نتيجة لذلك على اطلال الامارة المشعشعية ثم شمل سلطانها المناطق التي ذكرها المؤلف .

الامراء البو ناصر وجابر ومزعل وخزعل

ـ ٢ ـ

ومما ذكره المؤلف [٢] ان الامارة كانت في يد الامير البو ناصر الا ان الذي ملكها وابرز نشاطها هو الامير جابر الذي توفي سنة ١٢٩٨ هـ ولا يذكر تاريخ امارة البو ناصر ، كما انه لا يذكر اسماء الامراء الذين تولوا الامارة قبل هذين الاميرين وكان منهم ما كان من نشاط بسبيل انشاء الامارة وتوسيع حدودها . وقد ذكر ان الذي خلف جابرا هـو الشيخ مزعل وان هذا مات سنة ١٣١٥ هـ فخلفه الشيخ خزعل الذي طالت مدة حكمه واكتسبت الامارة استقرارا في عهده . غير ان الحكومة الايرانية سخطت عليه في سنة ١٣٤١ هـ ـ ١٩٢٠ م فـانتزعت منـه الامارة وحجرت عليه الى ان مات سنة ١٩٣٦ م . ولا يذكر المؤلف ما اذا كانت حكومة ايران اقامت اميرا مكانه او نسفت الامارة بالمرة .

---

(١) ج ٧ ص ٣٨ ـ ٣٩ (٢) ج ٧ ص ٣٨

غير ان المعروف ان في المحمرة شبه حكومة عربية في نطاق السلطان الايراني .

ومما ذكره العزاوي ان منطقة هذه الامارة ظلت موضوع خلاف ونزاع بين ايران والدولة العثمانية من جراء هذه العشيرة الى سنة ١٢٦٣ هـ ــ ١٨٤٧ م حيث عقدت معاهدة بين الدولتين سويت بها مسألة الحدود الجنوبية والشمالية بين الدولتين وغدت هذه المنطقة في نطاق السلطان الايراني (٢) .

---

(١) ج ٧ ص ٣٨

(٢) ج ٧ ص ٧٨ ــ ٧٩

امارة بني عليان الطائية

كما انتشرت قبائل طي في مختلف انحاء الشام وكان لعدد كبير من زعمائها نشاط وبروز في مجال الحكم والسلطان في ادوار وانحاء عديدة من هذه البلاد على ما ذكرناه في فصول سابقة انتشرت في العراق ايضا • وكان لبعض امرائها وهم بنو عليان امارة في جنوب العراق قامت في القرن الهجري التاسع او قبله وامتدت الى القرن الثاني عشر •

واخبار هذه الامارة مبثوثة في أكثر من جزء من اجزاء كتاب العزاوي تاريخ العراق بين احتلالين معزوة الى مصادر عديدة تركية وعربية • غير انهذه الاخبارةمكتنفةبكثيرمنالغموضوالاقتضاب•ولقد امتد نشاط هذه الامارة وامراؤها نحو ثلاثة قرون ومع ذلك فلم يذكر من اسماء امرائها الا اسمان واحد في سياق حوادث سنة ٨٤٤ ﻫ وهو الامير فضل بن عليان التبعي وآخر في سياق حوادث سنة ٩٧٤ ﻫ وهو الامير فضل ايضا • وقد جاء الكلام عن هذه الامارة في الاغلب باسم بني عليان •

واول مرة ورد ذكرها كانت في الجزء الثالث من الكتاب المذكور في سياق حوادث سنة ٨٤٤ ﻫ حيث ذكر اسم الامير فضل بن عليان التبعي الطائي كحاكم للجزائر وهي الجزائر الواقعة في شط العرب وما يتصل بها من انحاء وبلاد بين واسط والبصرة • وقد ذكر هذا الامير بمناسبة نفرة وقعت بينه وبين اخوته في السنة المذكورة وانتقاله من الجزائر مع جمع كبير من اهل الجزائر الى قرية اسمها ابو الشون في جهة الحويزة التي صارت عاصمة للدولة المشعشعية ، وذلك قبل أن يستولي عليها محمد المشعشع • وقد بقي الامير فضل مدة هناك

ثم سار على رأس رجاله نحو واسط وهناك اشتبك في قتال مع المغول فقتل منهم جماعة وفر [١] .

والخبر يفيد اولا ان حكم بني عليان الطائيين للجزائر كان حكما أسرويا وثانيا انه كان ممتدا الى امد ما قبل سنة ٨٤٤ هـ ، وان لم يمكن ايراد شيء من سيرتهم القديمة .

ثم ورد ذكرهم في حوادث سنة ٩٥٦ هـ في مناسبة ما كان من اضطراب في ايالة البصرة وما كان من عدوان الاعراب على ابناء السبيل وامر السلطان العثماني ـ لان العثمانيين كانوا قد بسطوا سلطانهم على العراق قبل خمس عشرة سنة (٩٤١ هـ) ـ لمحافظ بغداد بالسير اليهم والتنكيل بهم . وقد جاء في سياق الخبر ان الوالي وصل بحملته الى المـدَينة مستقر آل عليان حكام الجزائر وان ذلك احدث الرعب في الاطراف وان العرب حاولوا الوقوف في وجه الحملة فنشب بينهم وبينها معركة دامية كتبت الغلبة فيها عليهم . وحاول العرب الكرة في الليل ولكنهم اخفقوا وفي الصباح نشط الوزير الى مطاردتهم وقتل منهم مقتلة كبيرة ولم يطق امير المدينة البقاء ففر منها . وقد عمر الوزير البلد والسور واقام حامية فيها واخضع سائر نواحي الجزائر للدولة ، مع التنبيه على ان العرب الساكنين في الاطراف ظلوا على عصيانهم ومناوأتهم وهذا ما جعل الوزير يبني السور على المدينة ويقيم الحامية فيها [٢] .

والسياق يفيد كذلك ان حكم آل عليان في الجزائر استمر بعد سنة ٨٤٤ هـ الى هذه السنة وان لم يمكن كذلك ايراد شيء من سيرتهم خلال هذه المدة الطويلة . وقد تضمن الخبر شيئا جديدا هو اسم عاصمتهم وهي المدينة .

---

(١) ج ٣ ص ١١٢ ـ ١١٣

(١) ج ٤ تاريخ العراق بين احتلالين ص ٥٦ د ـ ٥٧

ثم ورد ذكرهم في حوادث سنة ٩٦١ هـ في مناسبة خبر عزم والي البصرة على انتزاع الحويزة من المشعشعين حيث ذكر في السياق ان الوالي ارسل من طرفه القائد البحري على رئيس الى الجزائر بخمس قدرغات (نوع من المراكب) ليمنع ابن عليان من ضرب البصرة اغتناما لفرصة انشغال الوزير وغيابه عنها ، وان الفتح لم يتيسر وان اكثر من مئة من جماعة القائد البحري قد استشهدوا [١] .

والسياق يفيد ان بني عليان لم يلبثوا ان استعادوا سلطانهم على الجزائر بعد حادث سنة ٩٥٦ هـ كما هو المتبادر .

ثم ورد ذكرهم في حوادث سنة ٩٧٥ هـ في سياق جاءفيه ان آل عليان في البصرة كانوا اذعنوا بالطاعة للحكومة قهرا وان العشائر في انحاء البصرة وبراريها من اقربائهم وانه كان في تصرفهم بعض القرى والنواحي وان ولاة بغداد كانوا يقسون عليهم في التكاليف التي لا تطاق وانهم كانوا ثاروا عليها قبل سنة ٩٧٤ هـ مرارا بمن معهم من العشائر فاحدثوا اضرارا كبيرة في البلاد المجاورة لهم مما يعود تصرفه للحكومة فجهز والي بغداد اسكندر باشا الذي كان في ذات الوقت قائد القوات العثمانية حملة وزحف على رأسها للتنكيل بهم فاشعل في انحائهم نيران النهب والغارة واضطرهم الى الاذعان عنوة وبنى هناك قلعة سماها الاسكندرية [٢] .

وفي السياق شيء جديد وهو ذكر بني عليان باسلوب قد يفيد انهم كانوا في هذه الآونة اصحاب السلطان في البصرة وان سلطانهم كان يشمل انحاء كثيرة من ايالة البصرة وان عشائر براري البصرة هي عشائرهم .

وقد نقل العزاوي عن كتاب اسمه تحفة الكبار في اسفار البحار تفصيلا لحملة اسكندر باشا جاء فيه ان انحاء واسط كانت ولا نزال

(١) نفس المصدر ص ٧٤ .

(٢) ج ٤ ص ١٠٦ .

يقطنها العشائر وان ابن عليان يتولى رئاستها منذ القديم وكان يبدي الطاعة للدولة مرة ويعصاها اخرى وانه اظهر العصيان بعد جلوس السلطان سليم الثاني (٩٧٤ ــ ٩٨٢ هـ) فاختارت الدولة اسكندر باشا الشركسي لقمع عائلته فاعد ٤٥٠ سفينة وجيشا مؤلفا من عرب وكرد ومدفعية وانكشارية ابحروا عليها في نهر الفرات وزحف هو بنفسه على رأس قوة برية كبيرة من بغداد ٠ وقد زحفت الحملة اولا نحو جزيرة مشهورة يقال لها صدر البحران حيث كانت الجيوش العربية (التابعة لآل عليان كما هو المتبادر) محتشدة فنشب القتال بين الطرفين فكتب النصر للحملة العثمانية وتبعثرت جموع العرب وقتل منهم ما لا يعد كما مات جملة من رجال الترك المشاهير ٠ ومع ذلك فان الحرب لم تنته حيث كان العرب يتخذون النخيل ملاجيء للاختفاء وينطلقون منها فيكرون على جيوش الدولة ثم يعودون اليها ٠ وقد عمدت الحملة الى قطع النخيل واحراق القرى فانكشف العرب واضطروا الى الاذعان ٠ وقد أنشأت الدولة قلاعا عديدة وضعت فيها الحاميات لتأمين الامن والنظام في تلك الربوع ٠

ومما جاء في السياق ان الامير فضل ــ وهذا اسم امير الامارة في هذا الظرف ــ ارسل ابن اخيه ومفتيه محمد الحارث الى الوالي بطلب الصلح فخلع اسكندر باشا عليهم خلعا ثمينة ثم قال لهم اذا كان ابن عليان صادقا في طلب الصلح وجب عليه ان يؤدي لخزينة البصرة كل سنة خمسة عشر الف دينارا ذهبا وان يترك رهائن من اولاد الشيوخ في البصرة فقبل السفراء وذهبوا ونهض الجيش والاسطول الى المحل المسمى صاعبة وهناك جاء الامير سلطان اخو الامير فضل مع حاشيه على خمسين سفينة فاعلن الطاعة والانقياد ثم وافى شيوخ الجزائر ورؤساؤهم الى الوالي فسلموه الرهائن التي طلبها ٠ ولكن الامير فضل لم يأت الى الوالي كما ان عرب نهر الطويل النازلين مقابل قلعة الرحمانية ظلوا على عنادهم وتصلبهم ولم يلبوا الدعوة مما اضطر

الوزير الى انشاب الحرب معهم ثانية وقد استمرت خمسة ايـام هلك منهم فيها ما لا يحصى وتشتت الناجون ونهب الجيش اموالهم واحرق قراهم وقطع اشجارهم وأسر عيالهم [1] .

والسياق يدل على ما كان عليه العرب وامراؤهم بنو عليان من قوة شكيمة وعدة وعلى ما كان لهم من سعة سلطان ونفوذ ، ويفيد ان الحملة لم تقض عليهم وكل ما كان منها انها اضطرتهم الى الخضوع مع احتفاظهم بسلطانهم الاقطاعي مقابل مبلغ معين يدفعونه عن البـلاد التي تحت ايديهم .

وسكت المؤلف عنهم الى سنة ١٠٤٩ هـ ـ ١٦٣٩ م فذكرهم في حوادث هذه السنة وفي سياق ذكر الامارات والعشائر العراقية العربية والكردية باسلوب يفيد ان امارتهم ما تزال قائمة مع تنبيهه الى ان المعلومات عنهم قليلة جدا [2] .

ولقد جاء ذكر الجزائر في الجزء الخامس من كتـاب العزاوي بمناسبة ذكر حملة وزير بغداد على والي البصرة المتغلب حسين بـاشا افراسياب الفارسي الاصل وما جرى بين الوزير وبين هذا المتغلب من صيال وحروب في سنة ١٧٠٦ هـ حيث جاء في السياق ان الوالي استولى علـى الجزائر وجعلهـا محط خيامه دون ذكر بني عليان امرائهـا بكلمة ما [3] .

ولم يعد المؤلف الذي استمر يؤرخ احداث العراق الى الاحتلال الانكليزي في سنة ١٣٣٥ هـ ـ ١٩١٧ م يذكر هذه الاسرة حيث يفيـد هذا ان حكمها انتهى في ظروف لم تذكرهـا مصادر المؤلف في اواخر القرن الحادي عشر الهجري بعد حكم ونشاط استمر نحو ثلاثة قرون .

---

(١) ج ٤ ص ١٠٦ ـ ١٠٩

(٢) ج ٤ ص ٢٥٥

(٣) ج ٥ ص ٧٩ ـ ٨١

- ٦ -

الامـــارة الخزعلية

الشيخ مهنـــا والشيخ سلمـــان

- ١ -

ان قبائل خزعل او الخزاعل من قبائل العراق القديمة ، وقـد سجل لمشايخها منذ اواسط القرن الحادي عشر نشاط تجاوز النطـاق القبيلي الى نطاق الحكم والسلطان في بعض مدن واقاليم العراق الجنوبي بحيث يصح ان يقال انه كان في العراق الجنوبي امارة خزعلية ٠

واخبار نشاط هذه الامارة مبثوثة في أكثر من جزء من أجزاء تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ٠

واولى مرة ذكر فيها هذا النشاط كانت في الجزء الخـامس من الكتاب المذكور حيث قـال المؤلف عن قبيلتهم في مقـام التعريف ان المعروف ان اصل هذه القبيلة هو خزاعة غير ان اسمها الشائع في العراق هو خزعل للفرد وخزاعل للجمع المتأتي من كونها تتألف من قبائل أو فروع عديدة تنتسب الى خزاعة [١] ، ثم قال ان رئيس الخزاعل في سنة ١٠٤٩ هـ كان الشيخ مهنا وانه اعلن العصيان في هذه السنة في اطراف السماوة واخذ يعيث في الارض فسادا ويؤذي ابناء السبيل وكان ممن

---

(١) ص٢٠-٢١ ثم عادالعزاوي فذكرفي الجزءالثالثمن كتابهعشائرالعراق الذيالفهبعدكتابه تاريخ العراق بين احتلالين على ما يظهر انه لم يبق عنده ريب في ان قبائل الخزاعل من طيء ومن فرع سنبس وليسوا من خزاعة استنادا الى ما شرحه القلقشندي في الجزء الاول من صبح الاعشى (انظر كتاب عشائر العراق ج ٣ ص ٢٤٥) ٠

بلحظهم الشاه . فامر الوزير بتجهيز حملة وسيرها بقيادة كتخداه (وكيله أو نائبه) علي آغا فضرب القبيلة ضربة شديدة وشتت شملها وفر الشيخ مع شرذمة قليلة من قومه الى بلاد العجم فدخل ما كان تحت سطوته في حوزة الحكومة .

وتفيد العبارة كما هو المتبادر منها انه كان لهذا الشيخ سلطان وحكم على بعض مواقع هذه المنطقة تحت سيادة الدولة العثمانية فاراد ان يستغل مـا كان بين دولتي ايران والترك العثمانيين من تشاد وصيان على العراق او ربما كان بتحريض من الشاه فاعلن عصيانه وبعبـارة اخرى اعلن استقلاله التام في المنطقة التي كانت تحت سلطانه .

ولم يكف امراء الخزاعل عن طموحهم حيث اعلن اميرهم في سنة ١١١٢ هـ الشيخ سلمان بن عباس العصيان والتمرد على الدولة وبسط حكمه على الرماحية وخالد كبشة وحسكة وبني مـالك ونهر الشاه والنجف والاشرف . وقد سير ولاة بغداد عليه ثلاث حملات واحدة بعد أخرى فكانت تمنى بالاخفاق . واطمع ذلك الشيخ فحشد جموعـا كبيرة وزحف بها على الحلة وحاصرها بقصد الاستيلاء عليها . ولكنه لم يتمكن من ذلك لان اهلها احتاطوا للامر فبنوا سورا حولها وتأهبوا للدفاع عنها وارسل والي بغداد جيشا ساعدهم على صده [1] .

وقد ارسل الوالي في سنة ١١١٣ هـ الى سلمان ووالده عبـاس يدعوهما الى الطاعة ويحذرهمـا وينذرهما ويمنيهمـا في الوقت نفسه بالاماني . ولكن سلمان لم يذعن فكتب الوالي للاستانة فامرتـه بالحملة عليه وارسلت اوامرها للامراء بالتضامن والتعاون . وزحفت حملة قوية من بغداد واستعد سلمان للقائها وحشد بدوره حشودا كبيرة روي ان عددها اربى على الاربعين الفا بين مشاة وفرسان . واتخـذ العرب الى هذا الادغال معاصم لهم . ولكن الحملة التي كانت متفوقة

---

(١) ص ١٥١ ــ ١٥٢ ج ٥

عليهم بالمدفعية والاسلحة الاخرى تمكنت من كسرهم وتشتيتهم غير انها لم تتعقبهم . وكلما فعله الوالي انــه ترك في الحسكة ضابطا ومحافظا . ولم يلبث الشيخ سلمان ان جمع شمل رجــاله وزحف على الحسكة فاستولى عليها عودا على بدء [١] . ولمـا بلغ الخبر الاستانة ارسلت للوزير في سنة ١١١٤ هـ امرا بوجوب قمع حركة الخزاعل وجعلته قائدا للجيش وامرت كلاً من ولاة ديار بكر وقرمان والموصل بالسفر الى بغداد مع ما لديهم من قوة لمساعدته . واستشعر الشيخ سلمان الخطر فعمد الى الخدعة حيث ارسل اباه ليعلن استعداده لدفع الضرائب المترتبة على البلاد التي تحت يده ويطلب الامان ويوسط قاضي بغداد بذلك وارسل ابنه مع ابيه ليكون رهنا . وقد قبل الوالي منــه وترك حربه . وهكذا ظل حاكما على الانحاء العديدة التي كانت في حوزته كملتزم تحت سيادة الدولة [٢] .

وفي سنة ١١١٦ هـ جاء الى بغداد وال جديد ففكر في القضاء على الشيخ سلمان الذي انقادت له العشائر حتى صار يدعى الامارة العــامة على العرب ويهدد هيبة الدولة وسلطانها . وقد شعر سلمان في الوقت نفسه بالقوة فسولت له نفسه ان يزحف على بغداد ويملكها . وبــدأ عمله بالاستيلاء على الحسكة التي هي من احسن ضيــاع العراق . فساق الوالي عليه جيشا قويا فلما وصل الى الحسكة وجده انه انهزم الى السماوة فاستولى الوزير على امواله وعياله واخذ العهود والمواثيق على اهل المنطقة بالسكينة ونبذ شيخ الخزاعلة ووضع مدفعا على سور الحسكة ليدفع عنها الهجمات . وحاول الشيخ ان يحصل على عفو الوزير وامانه فوافق هذا على شرط ان يعود الى بلاده ليكون تحت

---

(١) ج ٥ ص ١٥٤ ــ ١٥٦

(٢) ج ٥ ص ١٥٧ ــ ١٥٨

هيمنة الدولة فلم يأمن وفر الى البصرة ملتجأ الى شيخ المنتفق الـذي أجـاره [1] .

الشيخ حمود الحمد والشيخ محسن

- ٢ -

ولقد كان نزاع وصيال بين الدولة وامير المنتفق في هذه الظروف وقد تمكنت الدولة من التغلب على هذا الامير وتشريده عن البصـرة التي كانت في حوزته على ماسوف يرد في سيرة الامارة المنتفقية.ولم يذكر المؤلف ماذا جرى في شيخ الخزاعل الذي كان لاجئا الى المنتفقي بـل لم يذكره بالمرة [2] .

على انه عاد المؤلف فذكر حوادث ومواقف متنوعة عديدة للخزاعل تدل على انهم استمروا على نشاطهم وحركاتهم وطموحهم . من ذلك في حوادث سنة ١١٣٦ هـ في سياق اخبار الصيال بين العجم والـدولة العثمانية من انه كان في جيش الدولة عشائر عربية عديدة منها الخزاعل دون بيان آخر [3] .

وقد يفيد الخبر ان هـذه القبائل عـادت فـاذعنت للـدولة وانسجمت معهـا . ومن ذلك في حوادث سنة ١١٧٨ هـ ان شيـخ الخزاعل حمود الحمد لم يعد يسمع لاوامر الحكومة فزحف عليه الوزير وانشب معه القتال وانتصر عليه وعلى قومه واستولى على خيـامهم وغنم منهم غنائم كثيرة [4] . ومن ذلك في حوادث سنة ١١٩٥ هـ ان

---

(١) ج ٥ ص ١٦٦ ـ ١٦٧ ان ما ذكره السياق من استيلاء الشيخ على الحسكة كانه شيء جديد يناقض ما ذكره قبل من انه كان استولى عليها الا اذا كان الوالي اصر على تخلي الشيخ عن الحسكة حينما طلب منه الامان .

(٢) انظر ج ٥ ص ١٧٥ ــ ١٨٥

(٣) ج ٥ ص ٢١٢

(٤) ج ٦ ص ٣٩ ـ ٤٠

الشيخ حمود قدم على وزير بغداد حينما جاء في هـذه السنة الـى السماوة وقدم له الهدايا فاكرمه وتلطف معه وثبته في مشيخة الخزاعل ، غير انه لم يلبث ان اعلن عصيانه فعزله الوزير ونصب الشيخ محسنـا شيخ الشامية شيخا على الخزاعل ايضا ونهض بالجيش لقتاله • واتحدت عشائر الخزاعل الحمد والسلسـان وتبعهم عشائر اخرى تحت قيـادة الشيخ حمود وتحصنوا في قلاعهم التي يسمونها سيبانه والمحاطـة بالاهوار بحيث صار الوصول اليهم عسيرا • غير ان الوزير جنح الـى سد الفرات من ناحيتهم فانقطع عنهم الماء فاضطر الشيخ حمود الـى ارسـال النساء والاطفـال بطلب العفو فعفا واعـاده الى المشيخـة ثانية [1] • والسياق يدل على ما كان عليه الشيخ من قوة ومنعة في العرب كما هو المتبادر • ويظهر ان اعادة الشيـخ للمشيخة اثـارت الشيخ محسنا شيخ الشامية فاعلن عصيانه بدوره وتحصن في سيباته (قلعته) فنهض اليه الوزير وحاصره وضيق عليه حتى جعله يفر بمن معه تاركين اموالهم وامتعتهم وحينئذ ضم الوزير مشيخة الشامية الى الشيخ حمود ضميمة الى مشيخة الجزيرة [2] • والعبارة تفيد ان الشيخ حمود كان صاحب سلطان وحكم على ما يسمى الجزيرة فاتسع سلطانه حتى شمل الشامية ايضا • وهكذا تكون الامارة الخزعلية قد قامت مرة اخرى ، او لعلهـا لم تكن زالت بـالمرة وانمـا اهمـل ذكر استمرارها •

على ان الشيخ حمود لم يستمر على ولائه حيث عاد الى التمرد في سنة ١١٩٩ هـ فنهض اليه الوزير حتى وصل الى مكا ناسمـه لملوم وكانت الخزاعل محتشدة بالقرب منه • واعتصم الشيخ كالعادة وراء الاهوار فعمد الوزير الى تدبيره القديم بسد الفرات ثانية • وفي هـذه الاثناء شاع ان العجم زحفوا نحو العراق وجاءت رسل الشيخ حمود

---

(١) ج ٦ ص ٨٦ – ٨٧ (٢) ص ٩٣ – ٩٤

يطلبون العفو فاجاب الوزير الى الطلب والبس الشيخ خلعة الامـــارة وعــاد [1] .

وفي سنة ١٢٠٢ تحالف الشيخ حمود مع سلمان الشاوي والشيخ ثويني شيخ المنتفق ضد الدولة واعلنوا عليها العصيان فنهض وزير بغداد اليهم واشتبك معهم في وقائع دارت الدائرة في نهايتها عليهم . وقد فر الشيخ حمود نتيجة لذلك فقرر الوزير عزله وعين مكانه الشيخ محسنا المحمد . على ان هذا لم يلبث بدوره على ولائه للدولة وامتنع عن توريد الاموال الاميرية فسير الوزير عليه قوة جعلته يعتذر ويطلب العفو ويتعهد بالمال ويقدم الرهائن . ثم اخذ يشتد في الجبـــاية لجمـــع الاموال المطلوبة به مما جعل قومه يضيقون به فيميلون الى شيخهم القديم الشيخ حمود ويرساون العرائض يطلبون فيهـــا اعادته الـــى المشيخة . وقد وافق الوزير على ذلك فارسل اليه الخلعة مع كتـــاب المشيخة [2] .

سبتي المحسن وغانم المحسن وسليمان المحسن

— ٣ —

على ان الشيخ حمود بدوره لم يثبت على ولائه للدولة . فقـــد اخذ يقوم بحركات عدوانية في سنة ١٢١٢ هـ فسير الوزير عليه حملـــة كبيرة بقيادة نائبه فتحصن كالعادة في سيباتنه وراء الاهوار ولكن النائب اقتحم عليه معصمه وانشب معه الحرب وكسره وهزم قوته وجرحه ولم يكد ينجو الا بشق النفس . ثم دعا النائب شيخ الشامية محسن الغانم وشيخ الجزيرة سبتي المحسن وطلب منهما الاموال فاستعدوا للاداء وعين سبتي المحسن شيخا على الخزاعل في الجزيرة ومحسن الغانم شيخا على الخزاعل في الشامية وكساهما خلعا [3] .

---

(١) ص ٩٤ (٢) ج ٦ ص ١١٢ — ١١٣ (٣) ص ١٢٠

وواضح من هذا ان الزعيمين كانا اصحاب حكم وسلطان على الشامية والجزيرة • والراجح انهما كانا من مشايخ الخزاعل • واذا صح هذا وسياق العزاوي يفيد صحته ضمنا لا صراحة فمعنى ذلك ان منطقة الجزيرة الشامية كانت منطقة حكم مشايخ عديدين من الخزاعل وانه كان عليهم شيخ مشايخ صاحب السيادة العليا في المنطقة وان هذا المنصب كان موضع تنافس بينهم في الوقت نفسه • ومع ذلك فمن الحق ان ننبه على أن الملحوظ ان هذا الحكم والمشيخات كانت في هذا الظرف في نطاق النشاط القبيلي •

ومن الاحداث التي كان للخزاعل ذكر فيها عدوانهم في سنة ١٢١٥ هـ على سابلة وهابية قدمت الى براري العراق في نطاق عهد قائم بين الدولة والامراء السعوديين الوهابيين حيث ذكر العزاوي ان آل السلمان من الخزاعل جاؤوا في هذه السنة الى زيارة النجف فصادفوا السابلة فهاجموها وقتلوا منها ٣٠٠ شخص • وقد امر الوزير نائبه بالنهوض اليهم والتنكيل بهم قصاصا على ما اجترحت ايديهم • وعلم الخزاعل بذلك فاجتمعوا وتحصنوا في قلعة السلمان • غير ان النائب اقتحم عليهم وضربهم وهزمهم وغنم اموالهم • وذهب الفارون فاعتصموا بالاهوار فقطع عنهم الماء فاضطروا الى اعلان الخضوع وطلب العفو والتعهد بالاموال الاميرية فرضي عنهم [1] •

ولقد حنق الامير السعودي من عدوان الخزاعلة وطلب من الدولة دية القتلى فماطلته فما كان منه الا ان اغار بجموع كثيرة على كربلاء بسرعة ودخلها ونهبها وغنم منها اموالا لا تحصى وعاد كما جاء [2] •

وفي سنة ١٢١٩ هـ انحرف شيخ الشامية عن الطاعة فجرد الوزير عليه خيلا اغارت على قومه في هور شلال فاتلفت زروعهم وخربت ديارهم • ولم يكن الشيخ في حلته فلما سمع بما جرى

---

(١) ج ٦ ص ١٣٨ — ١٤٠ (٢) ص ١٤٤

فر ونجا[1] .

وفي سنة ١٢٢٨ هـ جهز الوزير حملة زحف بها للتنكيل بشيخ الخزاعل الذي ظلل مستمرا على عصيانه غير انه استشعر بالضعف امامه العرب فلم يتجاوز الحلة واوعز لبعض وجهاء المنطقة بالتدخل لستر الموقف فاقنعوا الشيخ بالحضور الى الوزير واظهار الولاء والتعهد بالمال المترتب عليه ففعل واكتفى الوزير منه وعاد من حيث اتى[2] .

ولقد كان لضعف موقف الوزير رد فعل في نفوس الخزاعل وغيرهم من العرب فاخذوا يتعرضون للمارة ويعتدون على الناس في كل جهة . وامتنعوا عن اداء الاموال الاميرية .

وفي سنة ١٢٢٩ هـ جاء اربعون الف زائر ايراني الى كربلاء فزحفت القبائل واحدقت بالمدينة ، وضج الناس بالشكوى فجهز الوالي حملة بقيادة احد رجاله ، واستعمل هذا دهاءه وحكمته واستطاع ان يفرق العرب عن كربلاء ويؤمن زيارة الزوار الايرانيين للمقامات وعودتهم آمنين . ثم سار الى القبائل واحدة بعد اخرى للتنكيل بهم . ولكنه جنح الى معاملة الخزاعل بالحسنى فقابلوه بالمثل وجاء الشيخ محسن الغانم اكبر شيوخهم واعلن الخضوع والطاعة باسم قومه وتعهد بالاموال الاميرية فاحسن اليهم وانصرف عنهم[3] .

على ان هذه الحالة لم تدم ، فان جاسما الشاوي احد رجال وزير بغداد مر بشيخ الخزاعل سليمان المحسن في السنة التالية فلم ير منه حفاوة فحقد عليه واخذ يحرض الوالي . وفي هذه الاثناء جاءت شكوى من شيخ آخر من شيوخ الخزاعل اسمه عباس الفارس ضد الشيخ سلمان ــ ولعل ذلك بتحريض من الشاوي ــ فجهز الوزير حملة وسار على رأسها . وبدا الانقسام ظاهرا في الخزاعل حيث جاء عباس يعلن ولائه واخلاصه . واضطرب شيخ الشامية مغامس فترك

---

(١) ص ١٦٣ (٢) ص ٢٢٠ ــ ٢٢١ (٣) ج ٦ ص ٢٢٤

دياره وضرب في الصحارى • واعتصم الشيخ سلمان في الاهوار واستقر في محل يقال له المدينية فاتلف الوزير زروعه ثم ضيق عليه الخناق • غير ان المعصم استعصى عليه فلم ير مناصا من العودة بدون نتيجة • وكان فارس الجربا زعيم شمر مستاء من الوزير لانه لم يلق منه العناية والرعاية التي كان يلقاها من اسلافه فجاء سنة ١٢٣١ هـ مع عشيرته الى الخزاعل ونزل عند سليمان المحسن الذي كان حانقا بدوره على الوزير فتحالف الشيخان وامتد التحالف فشمل قبيلة زبيد وغيرها واخذوا ينتشرون في انحاء الحسكة والحلة ويتسلطون على القرى والمقاطيع • فجنح الوزير الى ضرب العرب ببعضهم فطلب من حمود التامر شيخ المنتفق ان يزحف على الخزاعل ثم دعا قبيلة الصقر ألد أعداء شمر الجربا وغيرها من القبائل المعادية الى الحركة فاشتعلت نيران الحرب بين الجبهتين العربيتين ودارت الدائرة في النهاية على جبهة الخزاعل وشمر (١) • ولم يذكر المؤلف ما ترتب على ذلك من نتائج •

وقد ذكر العزاوي في حوادث سنة ١٢٤٨ هـ خبر امتناع الخزاعل وعشائر الشامية واهالي الهندية عن توريد الاموال الاميرية فجهز الوالي عليهم حملة اخفقت فعززها بثانية نجحت وتمكنت من جباية قسم من المال واخذ تعهد بالمباقي (٢) • والخبر يفيد كما هو المتبادر ان الخزاعل عادوا فاستأنفوا نشاطهم وعادتهم في التمرد على الدولة وعدم دفع الاموال الاميرية المترتبة عليهم •

وفي سنة ١٢٦٧ هـ تحالفت القبائل ومن جملتها الخزاعل وتمردت ايضا فجهزت الدولة عليهم قوة ضربتهم ثم ألقت القبض على كريدي شيخ الخزاعل وثلاثة من قومه مع شيخ زوبع ظاهر المحمود ونفتهم الى الاستانة (٣) •

---

(١) ج ٦ ص ٢٢٦ — ٢٢٨ (٢) ج ٧ ص ٢٠ — ٢١

(٣) ج ٧ ص ٨٨ — ٩١ وقد روى المؤلف ان ظاهرا تمكن من الافلات في الطريق والعودة.

وفي سنة ١٢٨٦ هـ عادت العشائر في منطقة الهندية الى التحالف والتمرد والامتناع عن دفع الاموال حتى لقد حاصروا مدينة الديوانية مركز اللواء والتي كانت قوات الدولة متجمعة فيها ونهبوا المؤن والمعدات الواردة اليها من جهة الحلة وقطعوا الطريق ودمروا الاسلاك البرقية وكثر جمعهم وتفاقم خطبهم ووقعت مناوشات بينهم وبين قوات الدولة كانت كفتهم فيها الراجحة حتى لقد قتل قائد القوات ومتصرف المنطقة . ونصح رئيس اركان الحرب باخذهم بالحكمة لئلا يتفاقم الخطب ويتسع الخرق اكثر . غير ان بعض رجال الحكومة نصحوا الوالي – وكان مدحة باشا الشهير – بعدم الاخذ بهذا الرأي لما يترتب عليه من ذهاب هيبة الدولة فاخذ بالنصيحة وهيأ القوات الكبيرة واستعان بناصر باشا امير المنتفق ومتصرفها واخيه منصور باشا ورجاله – وكان هؤلاء منسجمين في هذا الظرف مع الدولة – فبادروا الى بذل عونهم ، وقد امكن في النهاية وبعد مشقات كبيرة التغلب عليهم وضربهم وتشتيتهم وقتل واسر كثير منهم بعد ان استمرت حركتهم شهرين ونيفا . وقد وصف العزاوي هذه الحادثة التي عرفت بواقعة الدغارة بانها من اهم غوائل العراق لانه لم يكد يبقى احد من القبائل الا اشترك فيها . وقد قبض على عدد من رؤوس الفتنة فحوكموا وحكم على بعضهم بالاعدام ونفي بعضهم الى الرومللي . ثم اعلن الوالي العفو العام فكان ذلك ختاما حكيما للحركة [١] .

ولم يعد المؤلف يذكر الخزاعل ونشاطهم فنقف نحن ايضا عندما وقف عنده .

---

(١) ج ٧ ص ٢٠٧ – ٢١٢ والدغارة اسم القبيلة التي بدرت منها الحركة وكان شيوخها من رؤسائها . . . .

- ٧ -

الامــارة المنتفقية

اولية الامــارة والامير مــانع

- ١ -

قام في عهد الاحتلال المغولي ٦٥٦ ــ ٧٣٨ هـ امارة منتفقيــة في البصرة وحولها تقلبت على ادوار وامتد نشاطها في صور متنوعة الــى اواخر الحكم العثماني أي نحو سبعة قرون .

وفي اجزاء كتاب تاريخ العراق بين احتلالــين للعزاوي والجزء الرابــع من عشائر العراق له اشياء كثــيرة عن منشأ هذه الامــارة وسيرتها معزوة الــى مؤلفات متنوعــة عربية وتركيــة ومخطوطــة ومطبوعــة .

وقد رأينا سيرة هذه الامارة متسلسلة ومتواصلة في اجزاء كتابه تاريخ العراق بين احتلالين اكثر . ولذلك فان معولنا في سيرة هــذه الامارة سيكون على هذه الاجزاء في الدرجة الاولى .

ولقد قال العزاوي في الجزء الاول من كتــابه تاريخ العراق [١] ان قبائل المنتفق بكافة فروعها كانت تقيم من امد بعيــد في العراق . ويستفاد من اقواله في الجزء الرابع من كتابه عشائر العراق [٢] ان هذه العشائر وان كانت عدنانية تنتسب الى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الا انها لم تبق صافية الدم والنسب

---

(١) ص ٥٤١

(٢) ص ٢٨

وانه تخللها عشائر قحطانية زبيدية وحميرية عاشت معها واكتسبت طباعها وصار اسم عشائر المنتفق ينتظمها جميعا [1] .

اما الامارة المنتفقية التي هي موضوع الفصل فانها قامت لاول مرة في البصرة في اواخر القرن الثامن الهجري على ما ذكره العزاوي في الجزء الثالث من كتابه [2] بمناسبة ذكر انتزاع الملكة دوندي ملكة المملكة البارانية التركمانية في سنة ٨٢٠ هـ البصرة من مانع امير العرب بعد حروب مستطردا الى القول ان مانعا قد انتزعها من السلطان احمد ابن اويس ملك الدولة الجلايرية المغولية (٧٨٥ ــ ٨١٣ هـ) وان مانعا المذكور هو مانع الاول امير المنتفق على اغلب الاحتمالات .

ومن الجدير بالذكر ان المؤلف ذكر في حوادث سنة ٧٩٦ هـ [3] اسم صالح بن حيلان كصاحب البصرة والبحرين بمناسبة ذكر خبر استيلاء تيمورلنك على العراق وارساله عسكرا حافلا الى انحاء البصرة والبحرين لاخضاعها حيث يفيد هذا ان مانعا استولى على البصرة بعد هذا التاريخ . وكان العراق في هذه الفترة في حالة مضطربة حيث كان الصيال قائما بين تيمورلنك والسلطان احمد بن اويس والسلطان العثماني وسلطان مصر والشام وكان السلطان احمد يتمكن فترة بعد فترة من العودة الى العراق وممارسته الحكم فيه . فالمتبادر ان مانعا استنسح فرصة الاضطراب فتمكن من بسط حكمه على البصرة في اواخر القرن الثامن او اوائل القرن التاسع .

ويمكن ان يستفاد من اقوال العزاوي في اماكن عديدة من اجزاء كتابه تاريخ العراق بين احتلالين [4] ومن الجزء الرابع من كتابه عشائر العراق [5] ان مانعا هذا ليس من القبائل المنتفقية وانما هو من اشراف الحجاز . فقد اختلف ابناء ابي

---

(١) انظر ايضا معجم القبائل لعمر رضا كحالة ج ٣ ص ١١٤٣

(٢) ص ٤٣ (٣) ص ٢١١

(٤) ج ١ ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ و ٤٧٢ و ٥٤٣ و ج ٣ ص ٤٣ و ج الرابع ص ٤٦ ـ ٤٧

(٥) ص ١٧ ـ ٢٤

سمي امير مكة وشريفها في القرن السابع فيما بينهم وتنازعوا واستنجد احدهم بملك المغول في العراق خدابنده الذي حكم بين سنة ٧٠٣ وسنة ٧١٧ هـ فانجده فاخفق فجاء الى العراق واقام مع بعض اخوته واقاربه في انحاء الحلة ومنهم الشريف شهاب الدين احمد بن رميثة الذي حظي باحترام السلطان المغولي ابي سعيد (٧١٧ ــ ٧٣٦ هـ) ففوض اليه امر الاعراب في العراق حتى صار نافذ الامر عريض الجاه كثير الاعوان والاتباع • وتمكن بعد موت السلطان من بسط حكمه على الحلة ونواحيها • غير ان السلطان حسن ملك الدولة الجلايرية المغولية (٧٣٨ ــ ٧٥٧ هـ) انتزعها منه • ولكن الشرفاء بقوا فيها • ويظهر ان بعضهم تمكنوا بين عشائر المنتفق حتى صاروا اصحاب الرئاسة فيهم • وكان زعيمهم في اواخر القرن الثامن مانعا الذي تمكن من بسط حكمه على البصرة على ما أسلفناه قبل • وهذا يتطابق مع احد القولين الذين عزاهما العزاوي الى كتاب التاريخ المجهول بفرق واحد هو ان الشرفاء جاؤوا الى العراق في المئة السابعة بل في اوائل المئة الثامنة وليس في المئة السادسة •

وقد تكون رواية شرافة مانع وامراء المنتفق صحيحة وقد تكون ملفقة بقصد توطيد الميزة والسلطة للزعماء على عشائر المنتفق التي كانت شيعية النحلة • ومهما يكن من امر هذه النقطة فالاحداث تدل على ان الامراء صاروا مندمجين اندماجا تاما في قبائل المنتفق وصاروا يعرفون بآل شبيب نسبة الى احد اجدادهم على ما يستفاد من الجزء الرابع من كتاب عشائر العراق (١) •

(١) ص ١٩ ــ ٢٤

– ٢ –

ولقد تجدد نشاط امراء المنتفق وطموحهم الـى حكم البصـرة وحواليها بعد نزع الملكة دوندي هذا الحكم من مانع ونجحوا فيـه اكثر من مرة . ولقد ذكر العزاوي في الجزء الرابع من كتابه نقلا عن نخبة التواريخ في سياق ذكره فتح العثمانيين العراق ان راشدا بن مغامس حاكم البصرة الذي كان مستقلا وصاحب خطبة وسكة ارسل في سنة ٩٤٥ هـ ابنه مانعا ووزيره محمدا الى السلطان سليمان في ادرنة لتقديم واجب الطاعة والخضوع فقدما اليه مفاتيح البلد مع الهدايا فقابلهمـا السلطان بحفاوة وابدى لهما لطفا كبيرا . وقد عقب المؤلف العزاوي على هذه النبذة قائلا انه لم يقف على احوال هذه الامـارة ولا على نفوذها بالرغم من تحريه ذلك في مواطن عديدة ، والملحوظ انهـا من الشرفاء توصلوا الى الحكم بقوة العشائر وعدم المعارض . ولم يربط العزاوي بين كلامه هذا وبين ما ذكره في الجزء الثالث مع انه قـال ان الامير مانعا هو من امراء المنتفق ومن الشرفاء على اقوى الاحتمالات . ومهما يكن من امر فالنبذة قد تفيد ان بني مانع عادوا فتمكنوا من بسط سلطانهم ثانية على البصرة بعد ان انتزعتها منهم دوندي وان لم تذكر المصادر وقت ذلك وكيفيته ثم استمر السلطان فيهم الى ان دخلت البلاد العراقية في سلطان الدولة العثمانية في سنة ٩٤١ هـ . وكانوا حسب الوصف المار اصحاب سيادة تامة يخطب لهم على المنابر وتضرب باسمائهم السكة .

(١) ص ٤٦ – ٤٧

- ٣ -

ثم ذكر العزاوي ان مؤرخي الترك قالوا ان راشدا حاكم البصرة الذي اظهر الطاعة للسلطان سليمان في سنة ٩٤٥ هـ نقض عهده فامر السلطان والي بغداد بالزحف نحوه على رأس حملة قوية . ورأى راشد ان لا قدرة له على المقاومة فركن الى الفرار ودخل الوالي المدينة وقضى على حكومة راشد ووطد الحكم العثماني فيها ، وعلق على هذه الرواية قائلا ان الحكومة العثمانية لم يرق لها ان تجاورها حكومة او امارة تمنع الوصول الى خليج البصرة [١] .

على ان امراء المنتفق لم يكفوا عن طموحهم الى حكمها حيث ذكر العزاوي في الجزء الخامس من كتابه [٢] في سياق حوادث سنة ١١٠٢ هـ عزوا الى تاريخ اسمه تاريخ راشد والى كتاب آخر اسمه كلشن خلفاء ان عشائر الجزائر ـ جزائر البصرة في شط العرب ـ اتفقوا مع امراء المنتفق فخرجوا عن الطاعة وهاجموا البصرة بجيش يتراوح بين الالفين والثلاثة آلاف بين فارس وراجل وان الوالي خرج لصدهم بعدد اقل فانكسر وفر معظم رجاله وقتل هو في جملة من قتل من عسكره وتقدم العرب بعد ذلك فاستولوا على البصرة وكانوا تحت قيادة الامير مانع شيخ المنتفق . غير ان اهل البصرة اتفقوا على اخراجه من البصرة وتمكنوا من ذلك واختاروا احد اعيانهم فولوه زمام المدينة .

ولم يكف الامير مانع عن طموحه ونشاطه . ولقد امر السلطان بقتل والي البصرة سنة ١١٠٣ هـ لمماطلته في توريد الاموال التي دخلت

---

(١) ج ٤ ص ٤٩ ـ ٥٠

(٢) ص ١٢٣

في يده فجمع مانع جموعه واخذ يزعج الوالي الجديد بغاراته وحركاته ، بل وطمع في الاستيلاء على المدينة والتقى برجاله مع الوالي وقوانه في الجزائر ونشبت القتال بينهما واستمر بضعة ايام ودارت الدائرة على الوالي فانهزم مع قوته ونهب العرب اثقالهم واموالهم وسفنهم . وقد عرضت الواقعة بتفاصيلها على الاستانة ـ وعزا المؤلف هذا الى كلشن خلفا ـ فوجهت لائمتها الى الولاة لانها تيقنت ان تصرفاتهم هي التي اضطرت مانعا الى القيام في وجه الحكومة ، وانها ارسلت الى مانع كتابا استمالته ، واضافت الى تيماره (كلمة تركية اصطلاحية يقصد بها مرتباته) مقدارا جديدا جبرا لخاطره وعاد الوالي بعد ذلك الى البصرة [1] .

والسياق وان افاد ان البصرة ظلت في سلطان الدولة فانه يفيد ان قوة الامير مانع جعلت الحكومة تجنح الى المسايرة والمحاسنة كما يفيد ان مانعا كان ذا صفة اقطاعية بشكل ما .

ومع ذلك فالمستفاد من سياق حوادث سني ١١٠٦ ـ ١١٠٩ هـ ان مانعا ما لبث ان زحف عليها وبسط سلطانه اغتناما لفرصة انهماك الدولة بالحروب مع اوروبا وعدم تمكن ولاتها من توطيد سلطانهم . ولقد جاء في السياق ان امير الحويزة المولى فرج الله ارسل رسولا الى والي بغداد يبلغه استعداده وقدرته على الاستيلاء على البصرة وتقديمها للدولة وان الوالي اذن له فزحف عليها ولم يستطع الامير مانع دفعه فترك المدينة فاستولى عليها . وقد حاول الامير المشعشعي ان يحتفظ بها لنفسه غير ان الشاه لم يوافقه وارسل مفاتيح المدينة الى السلطان وفاء باحكام المعاهدة القائمة بينهما . وفرغت الدولة في سنة ١١١٢ هـ من مشاكلها وتمكنت من توطيد سلطانها على مدينة البصرة وانحائها [2] .

---

(١) ج ٤ ص ١٣٥ ـ ١٣٦

(٢) ج ٤ ص ١٣٨ ـ ١٤٩

الامير مغامس بن مانع

— ٤ —

على ان امراء المنتفق لم يكفوا عن طموحهم الى حكمها وقد تمكنوا من ذلك في سنة ١١١٧ هـ . فقد مات والي البصرة فارتبكت حالتها واخذت القبائل تتمرد وتعيث فسادا في انحائها واغتنم امير المنتفق مغامس بن مانع الذي صارت اليه الامارة بعد ابيه الفرصة فزحف واستولى على البصرة . ومما ذكره العزاوي من سيرة مغامس هذا أثناء حكمه ان ربانا هولانديا كان في ظروف استيلائه على البصرة في الخليج فارسل يهنئه ويلتمس منه عقدا تجاريا بين الهولنديين والعرب وعهدا بحماية كنيسة الرهبان الكرمليين ودارهم في البصرة وان الامير احال الامر الى قاضيه الشيخ سلمان فصادق على ذلك فاصدر الامير براءة هذا نصها : « توكلت على الله »

تعلمون به الواقفون على كتابنا هذا من كافة خدامنا وعمالنا وضباطنا اننا اعطينا حامل الورقة البادري حقا على موجب ما بيده من فرمانات اولياء الدولة القاهرة ومن اوامر الوزراء العظام والامراء الكرام . وله منا فوق ذلك زيادة الحشمة والرعاية وقد اسقطنا عن خدامه وترجمانه الجزية والخراج وكتبنا له هذا الكتاب سندا بيده يتمسك به لدى الحاجة اليه . وعلى كتابنا هذا غاية الاعتماد . والله تعالى شأنه ولي العباد وبه كفى حرر في ٢٢ من رجب الفرد سنة ١١١٧ هـ

الفقير مغامس آل مانع [1]

والتوقيع يربط فيما هو المتبادر بين حلقات الاسرة الحاكمة منذ قيام حكمها في اواخر القرن الثامن او اوائل القرن التاسع .

ولقد وصف العزاوي حكم الامير مغامس في البصرة فقال انه

---

(١) ج ٥ ص ١٦٧ — ١٦٨

لم يكن عشائريا وانه كان عنده قاض شرعي وانه أنشأ مدرسة سماها باسمه لتعليم العلوم وحبس عليها اوقافا وكان الطلاب يأكلون ويناموت فيها وان آثارها ظلت امدا غير قصير بعده وكانت تعرف بـالمدرسة المغامسية (١) .

ولقد كتب والي بغداد الى الاستانة بحالة جنوب العراق واستيلاء مغامس على البصرة فارسلت اليه مرسوما بولاية البصرة اضافة الى ولاية بغداد وامرته بتجهيز الجيوش وبـذل الجهود في اخماد الفتن واسترداد البصرة . فاستعد وزحف . واخذ اولا يجتهد في اخضـاع القبائل الثائرة وكان من هذه القبائل قبيلة زبيد بزعامة شيخ شيوخها عبد القادر فنكل بها وهزمها ثم لقي في طريقه بعض فروع من المنتفق فضربها وشتتها واستولى على كثير من مواشيها ومتاعها . ثم سـار الى البصرة وكان الامير مغامس قد علم بزحفه فجمع جموعا عظيمة روى المؤلف نقلا عن مصادره انها كانت مئة الف او يزيدون بمـا جاءه من مدد من نواحي بغداد والاحساء والحويزة وعشائر آل سراح وزبيد وبني خالد وغزية ومياح وشمر حتى امتلأت بهم السهول . وقد اشتبكت قوات الطرفين وابلى كل منهما بلاء عظيما غير ان الدائر دارت على العرب . وقد قتل تركي شيخ قبيلة الاجود وكان جبارا عنيـدا فكان قتله من اسباب انكسارهم وهزيمتهم بعد ان بلغ من هلك منهم نحو عشرة آلاف . وكان الوالي يبذل الذهب والفضة بسخاء لكل من يأتيه برأس او قلب منهم . ثم مضى الـى البصـرة فدخلها ووطـد النظام فيها (٢) .

على ان مغامسا لم يكف عن نشاطه وطموحه ، فقد اخذ يتجول بين العشائر محاولا تجديد العهود معها . وقد استجابت له قبيلة غزية فاعطته عهدا بان لا يأتيه من قبلها شر وان تحمي ظهره من ناحية الشامية.

---

(١) ص ١٨٠ (٢) ج ٥ ص ١٦٨ — ١٨١

وحينئذ هاجم حسكة والرماحية والانحاء الاخرى المناوحة لها ونهبها واحرق زروعها • وجاء الشيخ شبيب امير قبائل قشعم الى بغداد فشكا للوالي من قبيلة غزية واتفاقها مع مغامس وحذره من العواقب • وكتب الوالي الى الاستانة فامرته بالتجهيز وامدته بولاة الموصل وديار بكر وما عندهم من قوة واستعان بالاضافة الى ذلك بامير تشعم الذي كان تحت قيادته اربعة آلاف فارس • وسار لتعقب العصاة الذين راغوا من طريقه • ولقد مال نحو عشائر المنتفق فارسل اليه اميرها الشيخ ناصر عريضة يشكو فيها مغامسا ويقول انه اصل الشر ويطلب الانقاذ منه فاجابه جوابا مطمئنا جعله يأتي اليه ويعرض ولاءه ومساعدته • واستأنف الوزير وجموعه تعقب مغامس حتى وصل الى مكان يعرف بابي مهنة كان مغامس قد تحصن فيه هو ومن معه من ربيعة وسياح والمنتفق في عدد يتراوح بين خمسين وستين الفا • ويظهر انهم برغم هذا العدد فضلوا الانسحاب من وجه الوزير والتفرق في البطائح فتعذر على الوزير تعقبهم • أما مغامس فقد ذهب الى الحويزة لاجئا • ولقد وطد الوزير الامن والنظام في المنطقة وخلع على الشيخ شبيب وغيره من رؤساء العرب الذين اظهروا الولاء وبادروا الى المساعدة وعين نائبه نائبا عنه في البصرة وعاد منصورا [1] •

وقد عقب المؤلف على هزيمة مغامس وعربه فقال [2] ان المنتفق قارعوا الدولة بعد هذه الحادثة اكثر من مئة وسبعين سنة مقارعة وبيلة حتى صار رجالها ــ رجال الدولة ــ يخافون من ظل العربي وخياله • ولو كان العرب على شيء من النظام والتدريب لامكنهم الاستقلال ولاخفقت الدولة في الاحتفاظ بسلطانها في البلاد لانهم اكثر عددا من جهة وكانوا متذمرين من ادارة الحكومة فيقبلون على قتالها بعنف وشدة من جهة أخرى •

---

(١) ص ١٩٧ ــ ٢١٦ (٢) ص ١٧٩ ــ ١٨٠

الامير محمد بن مـــانع

— ٥ —

ولم يعد العزاوي الى ذكر مغامس . ولكنه ذكر في حوادث سنة ١١٣٨ هـ خبر عصيان محمد بن مانع امير المنتفق حيث يفيد هـــذا ان مغامسا قد مات في هذه الفترة وان امراء المنتفق عادوا الى نشاطهم وحركاتهم [١] ، وان لم يذكر نتيجة عصيان الامير محمد هذا .

الشيخ سعدون

— ٦ —

وقد ذكر المؤلف بعد الامير محمد الشيخ سعدون كزعيم او امير للمنتفق وقال عزوا الى كتاب حديقة الزوراء وكتاب دوحة الوزراء في سياق حوادث سنة ١١٥١ هـ ان الشيخ سعدون كان يزعم انه سلطان العرب وكان يتصرف تصرفا متسقا مع زعمه وان نائب الوزير خرج اليه واعتقله بالحيلة واخذه معه الى بغداد حيث القي في السجن ثم تشفع فيه بعض الاعيان فعفا عنه الوزير وثبته في الرئاسة والبسه حلتهـــا . ولكنه ظل حاقدا محنقا فلم يكد يعود حتى جمع نحو عشرة آلاف مقاتل من قومه ونزل بهم بين النجف والكوفة وتغلب على بعض القرى ومنع الزراع من الانتفاع قائلا انا السلطان في هذه الديار ثم حـــاصر الحلة والبصرة قائلا انها ملكنا وليس للروم — أي الترك العثمانيين لان العرب ومؤلفيهم القدماء كانوا ينعتون الدولة العثمانية ومن قبلهـــا الدولة السلجوقية في الاناضول بهذا النعت — فيها شيء وانا كنـــا نأخذ كل عام من اهلها الغنيمة . وقد اورد العزاوي تعقيبـــا لمؤلف

(١) ص ١٧٩ — ١٨٠

(٢) ج ٥ ص ١٩٧ — ٢١٦

الحديقة جاء فيه : ان هذا الكلام صادق فان هؤلاء المنتفق هم اعراب البصرة وانهم اكثر العرب مضرة وقد عجز الولاة عن كسرهم وذل الوزراء عن درء أذاهم . وعاد العزاوي بعد ايراده هذا التعقيب الى السياق فروى عن الحديقة ان الوزير لما سمع بحركة السعدون عجل بالمسير على رأس قوة فيها عدد كبير من خيالة الاكراد، ولما علم السعدون بقدوم الوزير قفل الى ناحيةالبصرة فتبعه الوزير فاحتجب في بطون الاهوار وكسر السد من جميع الجهات . غير ان خيالة الاكراد اقتحموهم فنشب قتال شديد بينهم وبين خيالة المنتفق ومع ما ابدا المنتفقيون من بطولة وكانوا عليه من كثرة فان خيالة الاكراد تمكنوا من التفوق عليهم واضطروهم الى الهزيمة والتحرز في الاهوار . وحينئذ وجه الوزير عليهم المدافع وضيق عليهم الحصار حتى جاءوا وارسل السعدون ابنه الوزير خاضعا طالبا العفو فعفا ورجع الى بغداد مكتفيا منهم بذلك (١) . حيث يبدو ان الوزير لم ير امكانا لاكثر من ذلك لما كانوا عليه من قوة شكيمة .

ولم يكد الوزير يعود حتى عاد الشيخ سعدون الى موقفه المتحدي فسير الوزير نائبه هذه المرة اليه ، ولما وصل هذا البصرة وجد السعدون مستعدا مترقبا فاشتبك الطرفان في معركة طاحنة انجلت عن هزيمة السعدون وقومه . وقبض عليه وقتل وارسل رأسه الى الوزير فارسله بدوره الى الاستانة لما كان يذاع عنه من قوة البطش (٢) .

الشيخ عبد الله

— ٧ —

والظاهر ان هذه الضربة قد أثرت في المنتفق بعض الشيء حتى

---

(١) ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ج ٥

(٢) ج ٥ ص ٢٥٨ وقد قال العزاوي عزوا الى مصدر قديم ان آل السعدون ينتسبون الى هذا الامير .

اذا كانت سنة ١١٨٢ هـ ـ ١٧٦٨ م عادوا الى استئناف نشاطهم وطموحهم حيث ذكر العزاوي ان شيخهم في هذه السنة الشيخ عبد الله تعرض لبعض مقاطعات البصرة وتسلط عليها وادى ذلك الى منافرة بينه وبين متسلم البصرة • وارسل وزير بغداد رسولا للتأليف بين الشيخ والمتسلم فابدى الشيخ موافقته على الصلح • ولكن الرسول لم يكد يرجع حتى عاد الى موقفه • وحينئذ نهض الوزير للتنكيل به على رأس قوة كبيرة ورأى الشيخ انه لا قدرة له على المقاومة فترك الديار (١) •

الشيخ تامر ـ الشيخ تويني

ـ ٨ ـ

ومع ذلك فانهم لم يلبثوا ان استأنفوا نشاطهم وطموحهم • فقد حاصر الايرانيون في سنة ١١٨٩ هـ البصرة ثم استولوا عليها • واراد حاكمها العجمي بسط نفوذه على العشائر • وكانت المنتفق من جملة من اراد بسط نفوذه عليها فابى شيخها تامر الاذعان والطاعة فزحف الحاكم بعشرة آلاف مقاتل لارغامه ، وجاء مدد من الاطراف للشيخ تامر فلما التقى الطرفان انقض العرب على العجم كالصواعق فقتل من هؤلاء عدد كبير ولم يكد ينجو منهم احد وكان الحاكم واخوه من جملة الهلكى وغنم العرب كافة اثقالهم واموالهم • وادى النصر الى انسحاب ايران من البصرة (٢) •

وفي سنة ١١٩٣ هـ صارت مشيخة المنتفق الى الشيخ ثويني نتيجة لقتل تامر في معركة نشبت بين المنتفق والخزاعل • وكان بين هذا وبين سليمان اغا متسلم البصرة السابق حقوق قديمة فعاضده حتى عاد الى منصبه بعد انسحاب العجم (٣) •

---

(١) ج ٦ ص ٤٠ ـ ٤١

(٢) ج ٦ ص ٧٩ ـ ٨١

(٣) ص ٨١

وفي سنة ١٢٠٢ هـ خرج الحاج سليمان الشاوي احد كبار رجال وزير بغداد — وهو عربي حميري — مغاضبا وحشد جموعا كثيرة من العرب لقتال الوزير • واستعان في جملة من استعان بهم بثويني شيخ المنتفق وحمد الحمود شيخ الخزاعل وزحف الجميع نحو البصرة وتسلطوا على مقاطعاتها وارسل ثويني اخاه الى المدينة فضبطها والقى القبض على متسلمها واخذ كافة امواله ووضعه في سفينة وارسله الى جهة مسقط • وهكذا عاد حكم البصرة الى المنتفق مرة ثانية لانهم لم يكفوا عن الطموح اليها كما هو المتبادر • ولو كان ذلك لفترة قصيرة • فقد اهتم الوزير — والي بغداد — فهيأ القوات الوافرة وسار على رأسها ومعه حمود بن تامر السعدون — الذي يبدو انه كان خصما او منافسا لثويني — ومئة من قومه • ولما وصلوا الى الحسكة وجدوا الخزاعل متأهبين بقيادة شيخهم حمود فاشتبكوا معهم في معركة كتبت الهزيمة فيها عليهم وقتل كثير منهم • ثم زحف الوزير نحو المنتفق وكان شيخهم والشاوي قد استعدوا وكان حمود شيخ الخزاعل قد التحق بهم فدارت معركة ثانية بين الوزير وبين هؤلاء ابدى الفريقان فيها بطولة وجرأة ولكن الدائرة دارت في النهاية على العرب • وكان انضمام حمود السعدون الى جانب قوات الدولة عاملا مهما في هذه النتيجة • وقد منحه الوزير مشيخة المنتفق بدلا من ثويني مكافأة له وتمكينا لمركزه (١) •

على ان الوزير لم ير من المصلحة ان يستقل تامر في المسرح والبروز فاوعز الى الثويني بالقدوم الى بغداد فجاء اليها سنة ١٢٠٥ هـ فنال عفوه وتكريمه • وقد ابقاه عنده مكرما الى سنة ١٢١١ هـ حيث اصدر امره بعزل حمود واعادة المشيخة الى ثويني • وعين لصحبته رئيس اغوات اللاوند — صنف من العسكر — وجملة بيارق من الخيالة (٢) •

---

(١) ج ٦ ص ٩٥ – ١٠٢

(٢) ص ١٠٩ و ١١٨ – ١١٩

وفي سنة ١٢١٣ استولى الوهابيون الذين كان حاكمهم الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود على الاحساء التي كان حكامها امراء بني خالد ، وكان اميرها حينذاك براك بن عبد المحسن . وقد ضبط الوهابيون الاحساء وجميع مصافاتها في ساحل البحر حتى شمل استيلاؤهم القطيف والعقير وكافة القرى . وجاء الامير براك الى بغداد مستنجدا محرضا . ولم يرق للدولة العثمانية ان يتسع سلطان الوهابيين هذا الاتساع . فامرت بمساعدة امير الاحساء على استخلاص البلاد منهم ، واوعز وزير بغداد للشيخ ثويني بان يتولى حركة الاستخلاص . وتيجة لذلك سار ثويني على رأس عشائر المنتفق ومن انضم اليهم من الزبير والبصرة ونواحيهما ومن عشائر الضفير وبني خالد ، وقصدوا اولا القطيف . وجمع الامير السعودي الوهابي عشائر مطير وسبيع والعجمان والسهول واهل العارض واستعد لرد الزحف . وحينما تواجه الطرفان اقدم عبد من عبيد بني خالد واسمه حطيس على اغتيال ثويني رئيس الحملة فاثار قتله اضطرابا وتخاذلا في جموعه أديا الى انهزامهم فتبعهم الوهابيون الى قرب الكويت وهم يقتلون ويغنمون منهم . وقد سارع الامير براك بعد قتل ثويني الى الانضمام الى الجبهة الوهابية ، مع من معه من الرجال وعلل المؤلف ذلك بان براك قد داخله الندم من السير مع ثويني وتيقن ان الاحساء لن تعود اليه اذا ما استردها ثويني وان اغتيال ثويني من قبل عبد من عبيد بني خالد انما كان من تدبيره وتنيجة لاتفاقه مع مشاري بن سعود قائد الحملة الوهابية .

ويعرف العزاوي ثويني فيقول انه عبد الله بن محمد بن مانع القرشي الهاشمي العلوي الشبيبي وانه تولى مشيخة المنتفق كما تولاها ابوه وجده . وكان احد اجواد العرب وشجعانهم وكانت خصومته للسعوديين قائمة قبل هذه الوقعة (١) ويربط العزاوي بهذا التعريف

(١) ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٥

بين حلقات أسرة امارة المنتفق ويؤكد انها الاسرة العلوية الشريفية كما هو المتبادر ٠

الشيخ حمود

— ٩ —

وقد قال العزاوي بعد ذلك ان مشيخة المنتفق وجهت الى حمود ابن تامر بن سعدون بن محمد بن مانع الشبيبي ابن اخي ثويني لامه وابن عمه ٠ وكان هذا مشهورا بالاناة والذكاء والبصيرة ٠ وله وقائع عديدة ٠ وقد استمرت امارنه من سنة ١٢١٣ الى سنة ١٢٤٢ هـ واطاعه البادي والحاضر [١] ٠

ولقد اهتمت الحكومة انعثمانية للحركة الوهابية وخاصة بعد انتصارها المذكور آنفا فاعدت حملة جديدة قوية انفقت عليها بسخاء واعطيت قيادتها لنائب الوزير الذي سار معه عشائر المنتفق بزعامة حمود وجميع عشائر العراق من شمر والظفير وقشعم واهل الزبير ومن يليهم ٠ وقد قصدت الحملة الى الاحساء فاعتصم اهلها في قلعتين فيها هما المبرز والهفوف فحاصرها النائب ٠ غير ان متاعب الصحراء وشحة الماء والمؤن والكلأ أزعجت الحملة ازعاجا شديدا واستغل الامير الوهابي السعودي الموقف فعرض المصالحة فرضي النائب على شرط ان يرفع الوهابيون ايديهم عن الاحساء ويعيدوا المدافع التي اخذوها من الحملة السابقة ويدفعوا تكاليف الحملة ولا يتعرضوا للحجاج فقبل الوهابيون هذه الشروط فانعقد الصلح وعادت الحملة [١] ٠

وفي سنة ١٢١٨ هـ وقعت حادثة اخرى بين الوهابيين والمنتفق ٠

---

(١) ج ٦ ص ١٢٥

(٢) ج ٦ ص ١٢٥ — ١٣٤

فان رجلا افغانيا جاء من بغداد الى الدرعية ـ عاصمة السعوديين ـ متظاهرا بالنسك والزهد ثم اغتنم فرصة وثب بها على الامير عبد العزيز فقتله وجرح أخا له . فلم يكد الامير سعود بن عبد العزيز يجلس على العرش مكان ابيه حتى سارع الى الاغارة على البصرة ونهبها انتقاما لابيه . وفي طريقه صادف كتيبه من خيالة المنتفق ومعها رئيسهم منصور ابن تامر السعدون فقتل منهم جماعة واسر منصورا واخذه معه الى الدرعية حيث ظل فيها اربع سنين ثم اطلق سراحه واعاده الى اهله [1] .

وفي سنة ١٢٢٥ هـ في أثناء الحكم الذي عرف بحكم المماليك في بغداد والذي كان يتمثل في تحكم بعض رؤساء الجيش في امور العراق ومناوأتهم لحكم الولاة الذين يأتون من الاستانة والذي امتد من سنة ١١٦٢ هـ الى سنة ١٢٤٧ هـ اعلن متسلم البصرة سليم اغا العصيان اغتناما لفرصة الفوضى والاضطراب بل وطمح الى حكم بغداد بالاضافة الى البصرة ، فطلب والي بغداد من حمود التامر شيخ المنتفق قتال سليم اغا واخراجه من البصرة فسارع الى التلبية وسير ابنه برغش على رأس رجاله وجماعة من اهل الزبير ولم يكد هذا يصل الى اطراف البصرة حتى ذعر سليم اغا وتخلى عن المدينة وابحر الى ابي شهر . وقد اراد الشيخ حمود ان يغتنم الفرصة فيبسط حكمه على البصرة عودا على بدء غير ان الوزير استعان بصديق على صرفه عن ذلك [2] ، حيث ينطوي في هذا استمرار طموح امراء المنتفق الى حكم البصرة امتدادا لما كان لاجدادهم من سالفة فيها .

وفي سنة ١٢٣١ هـ تحالف فارس زعيم شمر الجرباء مع سلمان الحسن شيخ الخزاعل ضد الدولة وتابعهم على ذلك قبائل زبيد وشمر وغيرهم فانتشروا بين الحسكة والحلة واخذوا يتسلطون على

---

(١) ص ١٦٠ ـ ١٦١

(٢) ج ٦ ص ١٩٧ ـ ١٩٨

القرى والمقاطيع ويعتدون على ابناء السبيل • فجنح وزير بغداد الى ضرب العرب ببعضهم بسبب ما كانت عليه حالة الحكم والقيادة من اضطراب فطلب من حمود التامر شيخ المنتفق ان يزحف على الخزاعل وأردفه بعشائر الظفير ألد أعداء شمر الجرباء وغيرهم من الاعداء الآخرين فاشتعلت نيران الحرب بين الجبهتين العربيتين وكتب النصر فيها على جبهة المنتفق وانصار الدولة (١) •

ولقد قتل في أثناء الصيال بين المماليك والولاة احد كبار المماليك سليمان باشا البكير فشغل مكانه ابنه سعيد بك الذي تزعم حركة الصيال مع والي بغداد • ولقد قويت يد الوالي فاستولى الرعب على سعيد بك وجعله يفر الى المنتفق ويقيم عند شيخهم لاجئا • وجهز الوالي حملة قوية وزحف على رأسها لمطاردته واستعد شيخ المنتفق للدفاع عن جاره • وكان الوزير متفوقا بالمدافع فتمكن في الجولة الاولى من هزيمة المنتفق • غير ان جماعة من جيشه كان لهم صلة بسليمان باشا والد سعيد بك أرادوا مساعدته اعترافا بجميل والده عليهم فتخلوا عن الوزير وانضموا الى سعيد بك وتابعهم العشائر التي كانت مع الوزير حتى انه لم يبق مع هذا الا مئتان من خاصته • وحينئذ كر المنتفقيون وسعيد بك على الوزير فاحاطوا به وبنائبه واسروهما واخذوهما الى سوق الشيوخ ـ احدى بلدان العراق ـ وهناك قتلوهما مع شخص ثالث اتهم بقتل برغش بن حمود في وقعة سابقة • وقد قويت شوكة الشيخ حمود بعد هذه الواقعة وصار امر سعيد بك في يده • ونتيجة لذلك تنازل هذا واخوته عن كثير مما كان لهم من قرى واقطاعات في جنوب البصرة للشيخ حمود فازداد بذلك قوة الى قوة واطاعه الحاضر والبادي وسالمته الاعادي حسب عبارة المؤلف (٢) •

---

(١) ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨

(٢) ج ٦ ص ٢١٤ ـ ٢٢٨

وهكذا حقق الشيخ حمود مطمحه في الحكم على انحاء البصرة من جديد اسوة بآبائه واجداده .

وفي أثناء الصيال المذكور آنفا عينت الدولة واليا لبغداد بدلا من الوالي الذي كان يجنح الى التمرد والاستبداد بالحكم . واعتمد هذا الصمود وعدم التخلي عن الولاية للوالي الجديد واستنجد بسبيل ذلك بالشيخ حمود وطلب منه ان يوافيه الى بغداد بالف وخمسمائة مقاتل ليساعده على تأمين النظام فجاء على رأس القوة المطلوبة . وجاء الوالي الجديد فضرب الحصار على بغداد . وكان العرب ـ المنتفقيون ـ يتحكمون في بغداد من اجل ارزاقهم وتكاليفهم بحيث صار امرهم لا يطاق . ولم يستفد الوالي الجديد من حصاره شيئا فاضطر الى الانسحاب فكان ذلك خير وسيلة لترحيل شيخ المنتفق وعشائره والاستغناء عنهم بداعي ان النظام جرى على محوره المطلوب . وكان ذلك عام ١٢٣١ هـ ـ ١٨١٦ م . ومع ما كان من ترحيب الوالي القديم بالفرصة لترحيل المنتفقين فان ذلك كان وبيل العاقبة عليه لان أعيان البلد والاغوات اتفقوا بعد رحيلهم على الوزير القديم واستقبال الوزير الجديد ونجحوا في النتيجة حيث تمكن الجديد من الدخول الى بغداد وممارسة الحكم ثم من اغتيال الوالي القديم [١] .

التنافس على الزعامة
حمود ـ عقيل ـ فارس بن عقيل

— ١٠ —

وفي سنة ١٢٣١ هـ ثارت منافسة حامية على الزعامة العليا للمنتفق بين رجال الاسرة . كان المتولي لها حمود بن تامر السعدون والمنافس

---

(١) ج ٦ ص ٢٣٥ ـ ٢٤٢

له براك بن ثويني ومحمد بن عبد العزيز بن مغامس • واقسم المنتفقيون الى اقسام كل منهم يناصر اميرا • وكان الوزير يرغب في عزل حمود وتعيين براك لان أباه وجده من قبل كانا اصحاب الرئاسة ، غير انه أراد أن يختبر قوته في السنة المذكورة للتنكيل ببعض القبائل فلبى الطلب وسار اليها ومع ما ابلاه من البلاء فانه لم يحقق امل الوزير ، فعدل عن تعيينه وعين للرئاسة الشيخ عقيل بن محمد الثامر بعد اعلان عزل حمود واعطاءِ الاسلحة الكافية وكتب الى متسلم البصرة بذلك • واحنق عمله حمودا فامر ابنيه ماجدا وفيصلا بالزحف على البصرة وكان ذلك سنة ١٢٤٢ هـ فزحفا برجالهما وكانت عشائر كعب واباضية مسقط معهما وضايقوا البصرة ومتسلهما • وعمد المتسلم الى ارضاء امام مسقط وجعله يتخلى عن مساعدة حمود ويسحب جماعته ، وجاءه جماعة من نجد ليساعدوه على المنتفقيين وانضم اليهم اهل الزبير • وهكذا انقلب الموقف واستطاع المتسلم ان يصمد وارتد ولدا حمود مخفقين • وفي هذه الاثناء قدم الشيخ عقيل لتولي الرئاسة ولم يقدر حمود على مقاومته فركب خيله وانسحب الى البادية [١] •

وفي سنة ١٢٤٧ هـ وقع صدام بين الشيخ عقيل وجماعته من جهة وبين الشيخ صفوق الفارس رئيس شمر من جهة • فقد كان الاول محظيا من حكام العراق في عهد حكم المماليك بينما كان الثاني منفورا فكان شيء من التنافر بين الزعيمين ، وفي هذه السنة انهار حكم المماليك فانعكس الموقف حيث فقد الشيخ عقيل اصدقاءه • واغتنم صفوق الفرصة للانتقام من عقيل • وكان لعقيل خصوم من قومه مسجونون بسعيه فاطلق سراحهم تنيجة لتبدل صفة الحكم والحكام فانضموا مع جماعتهم الى صفوق • ولم تلبث الجبهتان ان اشتبكتا في قتال دارت الدائرة فيه على عقيل وجماعته وسقط هو عن فرسه فمات

---

(١) ج ٦ ص ٢٨٩ – ٢٩٠

لساعته [1] .

منصور باشا وناصر باشا ـ الشيخ فهد

- ١١ -

وتولى المشيخة فارس بن عقيل . غير ان منصورا بن راشد بن تامر السعدون نافسه وتمكن من اخذ المشيخة منه عنوة حيث انقسم المنتفقيون الى قسمين كل قسم ناصر واحدا من الاثنين وادى الانقسام الى قتال كسب فارس جولته الاولى وخسر الثانية حتى لقد وقع اسيرا في يد خصومه [2] وقد سارع شيخ ثالث هو صالح بن عيسى بن محمد التامر السعدون الى بغداد لالتماس الزعامة لنفسه دون منصور وفارس اغتناما لفرصة ما جرى بينهما من قتال ولانه كان يتولى الزعامة فترة من الوقت في زمن وال اسمه نامق باشا . غير ان منصورا جاء الى بغداد وجاء معه شيخ زبيد وتمكنا من حمل الوزير على اعلان عزل فارس وتعيين منصور مكانه . وقد صار يعرف منصور هذا بلقب الباشا لان الدولة انعمت عليه برتبة الباشاوية أثناء زعامته [3] . وكانت هذه الاحداث في سنة ١٢٦٧ هـ .

وقدذكر العزاوي في حوادث سنة ١٢٦٩ خبر اشتباك حربي بين قبائل المنتفق وقوات الدولة العثمانية عند نهر الفرات دارت الدائرة فيه على الجنود العثمانيين وقتل فيه قائدهم عزوا الى كتاب اسمه قرة العين دون ذكر سبب [4] .

ولقد اخذت الحكومة العثمانية في هذه الظروف أي في الثلث الثالث من القرن الهجري الثالث عشر تطبق تنظيمات ادارية حديثة من شأنها جعل اقاليم الدولة اكثر ارتباطا بها وخضوعا لقوانينها والقضاء

---

(١) ج ٧ ص ١٨ - ١٩
(٢) ص ٩٣
(٣) ص ٩٦ — ٩٧ و ١٠٥
(٤) ص ١٠٥ — ١٠٦

على نظام الحكم الاقطاعي . واتجهت نيتها الى ادخال الامارة المنتفقية التي كانت تتمتع باستقلال محلي عشائري ومدني تحت رئاسة امرائها ضمن هذه التنظيمات فقام بينها وبين الامراء تشاد وتجاذب استمرا طويلا حيث كان الامراء يبذلون جهدهم للاحتفاظ بامارتهم وصلاحياتهم والحكومة تبذل جهدها لتطبيق تنظيماتها على منطقة الامـارة وتنص اطرافها بسلخ بعض النواحي عنها . ولقد رأت في سنة ١٢٨٠ هـ انـه قد حان الوقت لتنفيذ هذه العزيمة . وكان منصور السعدون عضوا في مجلس بغداد الكبير ، ويظهر ان الوالي استشاره فقال لـه انـه اذا عينه متصرفا على لواء المنتفق المزمع انشاؤه فانه مستعد لجعله تـابعا للدولة كسائر الاقاليم على شرط ان لا يسلخ من نواحيه عنه شيء . ووافق الوالي على ذلك فاعلن قيام المتصرفية بدلا من المشيخة وعـين منصورا قائممقاما او متصرفا وحصل له على رتبة ميرميران التي تمنح صاحبها لقب باشا . وكان لمنصور اخ اسمه ناصر ـ ويعرف بنـاصر باشا لانه حصل على رتبة مماثلة لرتبة اخيه ـ عارض تحويل المشيخة الى متصرفية وأيده في ذلك جمهور قبائل المنتفق وشيوخهم وتطورت المعارضة الى عصيان مسلح وحركات عـدوانية ضد مرافق الدولـة وقوافلها . واعتزم الوالي تجهيز حملة لضربهم وارغامهم ولكنه تلقى من الاستانة امرا بعدم التسرع تفاديا للاخفاق والانتكاس فصدع بالامر والغى قراره السابق . غير انه أسند المشيخة المنتفقية الى شخص غـير منصور وناصر اسمه الشيخ فهد العلي [1] منحدر من السعدون مثلهما قاصدا بذلك الى اثارة النزاع والمنافسة بين الامراء ، وادخل بالاضافة الى ذلك شيئا جديدا على صفة المشيخة حيث جعل شيخها الجـديد بمثابة ملتزم لمبلغ معين يورده سنويا لمدة ثلاث سنين . وغضب الاخوان ناصر ومنصور من صرف المشيخة عنهما فاعلنا تمردهمـا على الشيخ

---

(١) هو والد عبد المحسن السعودي احد رؤساء الوزارة العراقية على ما اوضحه العزاوي .

فهد ، وامدت الحكومة هذا بقوة عسكرية ومدفعية تمكن بها من اخماد حركتهما غير ان التشاد والتجاذب استمرا طيلة مدة التزام الشيخ فهد بسبب تحريك الحكومة التي كانت تستهدف استمرار التنافس والنزاع بين المشايخ ، فلما انتهت هذه المدة دعت فهد الذي صار هو الآخر باشا ودعت ناصر باشا ومنصور باشا الى بغداد لتجديد مدة الالتزام بالمزايده، وفاز ناصر بالالتزام [1] ،

ولم تكف الحكومة عن التفكير في القضاء على المشيخة وانما كانت ترقب الوقت المناسب ، وفي سنة ١٢٨٦ هـ تولى مدحة باشا الشهير ولاية بغداد وقام باصلاحات وتنظيمات متنوعة ، وقد انتهت مدة التزام ناصر في اوائل مدته ، والظاهر انه رأى الوقت مناسبا للخطوة الحاسمة نحو الغاء المشيخة فقرر تشكيل لواء باسم لواء المنتفق واخراج جزائر البصرة وغيرها من الانحاء التي كانت في نطاق الامارة المنتفقية والتزامها من هذا النطاق ، وكانت هذه المناطق مستند امراء المنتفق وقوة ساعدهم وفيها ٣٠٠٠٠ مسلح من القبائل التي تدين لهم ، ويقول العزاوي ان مدحة باشا فاوض في ذلك ناصرا وفهدا ، وان هذين الزعيمين وغيرهما رأوا ان التمرد على ذلك سوف يكلفهم كثيرا وقد لا يوصلهم الى بغيتهم فجنحوا الى المسايرة واذعنوا لقرار الوالي ، ولا سيما انه تريث في سلخ الانحاء التي أراد سلخها ولم يقض على اسم المشيخة المنتفقية قضاء تاما ، وان الوالي عين ناصرا متصرفا للواء المنتفق وعين ابنه فالحا قائممقا للشطرة احد اقضية اللواء وشخصا آخر من الاسرة اسمه فريد بك للجبيلية وهي قضاء آخر من اقضية اللواء وفهد باشا متصرفا للواء الحلة ، وحاول منصور باشا ان يعارض فارضاه بعضوية مجلس بغداد الكبير ،

ثم اذاع بيانا على المشايخ والاهالي في « ديرة المنتفق » ذكر فيه قابلية بلادهم للعمران وحرمانها من الطمأنينة والامن بسبب الاسلوب الذي تجري عليه امور الحكم خارج نطاق الانظمة والقوانين والشرع ،

---

(١) ص ١٤٣ - ١٩٢ ج ٧

وبين الغاية من العمل وهو ادخال التنظيم الجديد لضمان امنهم وطمأنينتهم وحريتهم وحقوق تصرفهم في امورهم واموالهم وسير امورهم في مجرى الحق والعدل والصلاح والتقدم واعلن الغاء عوائد ورسوم الخيل والسمن والاغنام وغيرهما من الرسوم والاكتفاء بالاعشاب ... » ثم شجع ناصر باشا على انشاء مدينة تكون مركزا للمتصرفية مسماة باسمه وهي « الناصرية » ولتكون في الوقت نفسه حصنا للدفاع . وهكذا تمت الخطوة بشيء من اليسر [1] . وكان ذلك في سنة ١٢٨٦ هـ .

ومع ذلك فلم تنته حوادث المنتفق وحيويتهم ونشاطهم بل ومشيختهم التي يظهر انه بقي لها شيء من الكيان الرسمي على مايستفاد من سياق ساقه العزاوي في الجزء الثامن . وقد جاء فيه فيما جاء ان منصور باشا تبين ان نية الحكومة ما زالت متجهة الى القضاء على الامارة المنتفقية فاستنسح فرصة وتسلل من بغداد عائدا الى موطنه سنة ١٢٩٧ هـ وارسل اخاه ناصرا الى الاستانة لبذل الجهد في احباط تلك النية . ثم خطا خطوة اخرى فاعلن استقلال المنتفق واخذ يستعد للمقاومة . وكان من رأي قائد الجيش العراقي ضرب المنتفق ضربة حاسمة والقضاء على مشيختهم بالمرة وكان الوالي مترددا تحسبا من قوة المنتفق . وكان ناصر باشا في الاستانة ومنصور باشا في البلاد يبذلون جهودهم لاحباط رأي القائد بالاساليب المتنوعة التي من جملتها الرشاوي حيث أورد المؤلف نص برقية ارسلها القائد الى السلطان يقول فيها ان ليرات السعدون وطمع الوزراء سوف يكون حائلا دون صلاح العراق . واخيرا رجح رأي القائد وفوض اليه امر الزحف فزحف على رأس قوة عظيمة وتمكن من ضرب المنتفق وتشتيت شملهم فكان في ذلك القضاء الحاسم على الامارة المنتفقية وامتيازاتها

---

(١) ج ٧ ص ١٤٣ – ١٥٦ و ١٩٢ – ١٩٨ و ٢٣٣ – ٢٣٩ وننبه على ان في سياق المؤلف شيئا من التضارب والتباين بسبب اختلاف الروايات . انظر ايضا ج ٤ من كتاب عشائر العراق للعزاوي ص ١١٧ – ١٢٢

ولقد حاول منصور باشا ان يجمع شمل عربه وان يقف في وجه الحملة ولكن الحملة كانت متفوقة كثيرا في العدد والعدد فلم تغن محاولته شيئا . وكان فالح باشا بن ناصر باشا في هذه الآونة في الناصرية ففر هو ومنصور وسائر اقاربهم الى الشامية . وبعد قليل طلب منصور العفو فاجيب اليه على شرط ان يذهب الى الاستانة ويقيم فيها عضوا في مجلس الشورى فذهب وظل مقيما فيها الى ان وافته منيته . وكان ذلك شأن اخيه ناصر الذي ظل في الاستانة وتوفي فيها هو الآخر [1] .

بدر السعدون وسعدون باشا وعجمي باشا

— ١٢ —

ومع ذلك فان اسرة الامارة لم تتوار عن المسرح كما ان مشيخة عشائر المنتفق ظلت قائمة في هذه الاسرة ، حبث ذكر العزاوي اسم بندر السعدون كرئيس عشائر المنتفق في سنة ١٢٩٨ [2] ه واسم سعدون باشا كرئيس لهذه العشائر الى سنة ١٣٢٩ [3] ه واسم عجمي باشا السعدون ابنه كرئيس لها كذلك [4] . وقد قاد هذا وقائع جرت بين عشائر المنتفق وعشائر الضفير والبدور في سنة ١٣٣٠ ه [5] . واثنى المؤلف عليه بقوله انه كان مشهورا بافعاله وخدماته الوطنية . وهذا بالاضافة الى شخصين آخرين ذكرهما المؤلف احدهما مزيد باشا السعدون الذي كان في سنة ١٢٩٢ ه متصرفا لنجد [6] وعبد المحسن السعدون الذي صار في سنة ١٩٢٦ ه رئيسا للوزارة العراقية وانتحر نتيجة لازمة وطنية نضالية كانت قائمة بين العراق والانكليز .

---

(١) ج ٨ ص ٤٩ — ٧٦ (٢) ص ٥٧ (٣) ص ٥٨
(٤) ص ٥٨ (٥) ص ٢٣٠ (٦) ص ٢٣٠

ولقد قال العزاوي في حوادث سنة ١٣٢٨ [1] ﻫ ان قبائل المنتفق في اضطراب وامتناع دائم عن دفع الاعشار والرسوم الاميرية وان الجيش لا يستطيع بسببها اجتياز ما بين الناصرية وسوق الشيوخ حيث يدل هذا على احتفاظها بحيويتها وقوتها رغم انهيار الامارة المنتفقية •

وفي الجزء الرابع من كتابه عشائر العراق فصل خاص بعشائر المنتفق التي تعيش اليوم عيشة ريفية • وسوف نقتبس منه المفيد في الفصل الخاص الذي نعقده على القبائل العربية •

(١) ج ٨ ص ١٩٧

— ٧ —

بنو الجليل

هوية هذه الاسرة ومدى بروزها

— ١ —

تولى الحكم في الموصل وما يليها رجال عديدون من أسرة واحدة بين سني ١٧٢٦ م — ١١٣٩ هـ و ١٧٢٦ هـ — ١٨٤٦ هـ باستمرار تقريبا • وسيرتهم مبثوثة في كتاب تاريخ الموصل للقس سليمان صائغ الموصلي وتاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي • وليس في الكتابين شيء صريح عن هوية الاسرة الا قول الصائغ انها من البيوتات العريقة في الشرف وان جدها الاكبر عبد الجليل بن عبد الملك — ونسبة الاسرة اليه — قد أقبل من ديار بكر واستوطن الموصل في اوائل القرن الثامن عشر •

وقد سألنا الاستاذ العزاوي صاحب التآليف القيمة في مختلف شؤون العراق التاريخية وذا الاطلاع الواسع الثقة فاجابنا يقول انه سمع من البارزين من رجال الاسرة انهم من قبيلة ربيعة المعروفة • ومن المعلوم يقينا ان قبائل بكر وتغلب وربيعة كانت تنزل في جزيرة الفرات وتمتد الى الشمال حتى تصل الى بلاد ديار بكر التي لا تزال تحمل اسم احداها كما انه كان يطلق اسم ديار ربيعة على قسم آخر من هذه البلاد ، وكل هذا قبل الفتح الاسلامي ، وكانت هذه القبائل تدين بالنصرانية ثم اندمجت في الاسلام • وهكذا تكون الاسرة اذا صحت

نسبتها الى ربيعة ـ وليس ما يمنع ذلك ـ أسرة عربية أصيلة .

والمستفاد من سيرة هذه الاسرة على ما سوف نشرحه بعد ان الذين تولوا الحكم من رجالها كانوا يتولونه من قبل الدولة العثمانية كموظفين ويظلون في الحكم طالما كانت الدولة راضية عنهم . وكانت الدولة تولي بعضهم ولايات غير الموصل مجموعة حينا مع الموصل وغير مجموعة حينا آخر وكانت تقصيهم حينا بعد آخر عن الموصل وغيرها ولكنها كانت على الاغلب تعين للموصل خاصة واحدا من الاسرة في معظم الحقبة التي ذكرناها .

وهكذا تكون حالتهم من هذه الناحية تشبه حالة الاسرة العظمية التي تولى رجالها حكم البلاد الشامية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مدة تقرب من مدتها . وقد رأينا ان نفرد لها في هذا الفصل نبذة كما افردنا للاسرة العظمية نبذة في فصل الأسر الحاكمة في بلاد الشام . وسيرتها متسقة متسلسلة في تاريخ الموصل للصائغ اكثر . ولذلك سيكون معولنا عليه في الدرجة الاولى على ان ننبه على ما يكون بين ما جاء فيه وفي تاريخ العراق للعزاوي من مناقضة أو زيادة مفيدة .

ولاة بني الجليل وسيرتهم

ـ ٢ ـ

ان اول من تولى ولاية الموصل من رجال هذه الاسرة هو اسماعيل ابن عبد الجليل . وكان ذلك سنة ١١٣٩ هـ ـ ١٧٢٦ م . فقد كانت الحرب دائرة الرحى بين الدولة العثمانية وايران في هذا الظرف فقدم الجليليون المساعدات الكثيرة لتجهيز العساكر في الموصل وامدوها بالمال والسلاح فقدرتهم الدولة وعينت اسماعيل واليا للموصل في

السنة المذكورة [1] • فكان ذلك بدء بروز الاسرة في مجال الحكم والسلطان •

وقد امتدت ولايته للموصل ثلاث سنين وقال الصائغ انه حسَّن شؤون الولاية وعمر في الموصل الجامع المعروف بجامع الاغوات •

وفي سنة ١١٤٢ هـ عزل عنها وعين للولاية وال غريب غير ان ولاية هذا لم تطل الا سنة واحدة حيث عين حسين باشا ابن اسماعيل واليا سنة ١١٤٣ هـ – ١٧٣٠ م وهو الوالي الثاني للموصل من الاسرة [1] • وكان ابوه اسماعيل ما يزال على قيد الحياة • وهو من اشهر رجال الاسرة أو أشهرهم • وقد أقصي عن ولاية الموصل واعيد اليها سبع مرات خلال سبع وعشرين سنة ١١٤٣ – ١١٧١ هـ ١٧٣٠ – ١٧٥٧ م وقد اشتهر شهرة عظيمة ومنح رتبة الوزارة ولقب بالوزير الكبير • وكانت له جهود عظيمة في الدفاع عن الموصل في ظروف غزو نادر شاه الافغاني للعراق واستيلائه على معظمه ، حيث زحف بعد استيلائه على بغداد سنة ١٧٣٢ م على الموصل فصمد له حسين باشا صمودا قويا وتمكن في النهاية من صده بل وهزيمته • ولم يكف نادر شاه عنها حيث عاد اليها بعد سنوات وكان حسين باشا قد رمم اسوارها وقوي استحكاماتها فضرب نادر شاه عليها الحصار واخذ يغير على القرى المجاورة فينهبها ويسبي اهلها ، وارسل رسالة مسهبة الى حسين باشا يهدده ويدعوه الى التسليم • ورد حسين باشا برسالة مسهبة قوية سخر فيها من تهديده وتحديه • واثار حماس اهل المدينة حتى جعلهم يتضامنون معه تضامنا قويا في الدفاع والصمود امام الغازي برغم ما كان معه من قوى عظيمة روت الروايات انها كانت تبلغ ثلاثمائة الف • ولقد قصفت مدفعية نادر شاه المدينة ولكن ذلك لم يعد بطائل • وكانت تجري من آن لآخر معارك بين طلائع الطرفين حول المدينة

---

(١) تاريخ الموصل سليمان الصائغ ص ٢٧٤

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٤

فكانت خسائر الغزاة اكثر بل وكانت طلائعهم تمنى بالهزيمة مما جعل نادر شاه ييئس من فتحها عنوة ويطلب من حسين باشا ارسال وفد للمفاوضة والتفاهم وتم ذلك على اساس انصراف الحملة عن الموصل وبقاء حكمها في عهدة حسين باشا . وقد بذل رجال الاسرة جهودا عظيمة في هذه المواقف واشتهر منهم فيها مراد باشا ومحمد امين باشا وعبد الفتاح باشا وعبدي آغا ومصطفى آغا وعبيد آغا الخ [1] ...
حيث يدل هذا على ان الاسرة كانت كبيرة وقوية منذ عهد مبكر من تولي رجالها الحكم بل ولعل ذلك كان من اسباب ذلك . ومع ان المؤلف ذكر ان حسين باشا تولى ولاية الموصل سبع مرات فانه لم يذكر الكيفيات والاسباب والتواريخ [2] . على انه ذكر خبر تقلده الحكم في قارص والبصرة وكوتاهية حيث يفيد هذا انه كان يعين من آن لآخر لولايات اخرى ثم يعود الى ولاية الموصل .

وقد ذكر الصائغ ان امين باشا بن حسين باشا تولى ولاية الموصل بعد ابيه وهو الثالث من الاسرة ممن ولي حكم الموصل منها ، وقال انه كان شجاعا صائب الرأي خبيرا بشؤون الادارة وانه تقلد في حياة أبيه المناصب الرفيعة ومنح رتبة ميرميران سنة ١١٥٦ هـ وعمره ثلاث وعشرون سنة وانه عهد اليه في سنة ١١٦٦ هـ باصلاح احوال منطقة سنجار فقام بالمهمة قياما حسنا وانه رافق اباه الى كوتاهية واقام فيها مدة غير يسيرة وانه تولى حكم بغداد ثم حكم الموصل ثلاث مرات ومنح في سنة ١١٨٠ هـ رتبة الوزارة وكان له وزير اسمه سلطان آغا وان الحرب وقعت بين الدولة العثمانية وروسية في ظرف ولايته الاخيرة للموصل فامرته الدولة بالسير الى الحرب مع رجاله فسار واظهر شجاعة اشتهر بها شهرة عظيمة وانه وقع اسيرا وبقي خمس سنين الى ان انعقد الصلح فاطلق سراحه وجاء الى الاستانة فاستقبل استقبالا شائقا ونال تكريم السلطان وعاد الى الموصل سنة ١١٨٩هـ ـ ١٧٧٥ م

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٧٥ ـ ٢٨٨ (٢) انظر مثلا ص ٢٧٤ ـ ٢٩١

ولم يلبث ان مرض ومات [1] .

وفي أثناء اسارة امين باشا ولت الدولة على حكم الموصل عبدالفتاح باشا بن اسماعيل باشا ومنحته رتبة الوزارة . وهو الوالي الرابع للموصل من الاسرة . وكان ذلك سنة ١١٨٣ هـ - ١٣٦٩ م على ماجاء في تاريخ الموصل للصائغ [2] .

وقد ذكر المؤلف ان الدولة انتدبنه سنة ١١٨٦ هـ لاصلاح شؤون طرابلس فأناب عنه في حكم الموصل ابن عم له اسمه احمد اغا حيث يفيد هذا ان حكم الموصل ظل في عهدته . وقد قام بعض اهل الموصل بشغب على هذا النائب وحاولوا قتله فانقسم الناس الى فريقين وافضى الامر الى القتال . وفي هذه الاثناء فشا الطاعون في الموصل وانحائها فزاد الارتباك والاضطراب وتوفي في أثناء ذلك عبد الفتاح باشا فعينت الدولة لولاية الموصل سليمان باشا بن امين باشا الذي استطاع ان يعيد الامن والطمأنينة [3] ، وهو الوالي الخامس للموصل من الاسرة . وقد عهدت الدولة اليه سنة ١١٩٣ هـ بولاية بغداد ايضا اضافة الى ولاية الموصل على ما تفيده عبارة الصائغ . تم نقلته الى ولاية سيواس ثم الى ولاية قارص .

وتولى ولاية الموصل في هذه الاثناء وال اسمه عبد الباقي وكان ظالما عاتيا فظلم الناس واستنزف اموالهم وشن غارة على العمادية فنهبها فحمل اهلها عليه وقاتلوه وقتلوه ، فاعادت الدولة سليمان باشا ثانية لولاية الموصل وكان ذلك سنة ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٥ م [4] .

---

(١) تاريخ الموصل ص ٢٩١ - ٢٩٢ ذكر العزاوي في الجزء السادس من تاريخ العراق بين احتلالين ان الدولة وجهت ايالة بغداد والبصرة معا الى امين باشا سنة ١١٨٩ هـ ووجهت ايالة الموصل وكركوك الى ابنه سليمان باشا . والخبر الاول لم يرد في كتاب الصائغ . والثاني ورد في سياق آخر على ما سوف يرد في المتن .

(٢) ص ٢٩٢

(٣) ص ٢٩٢ - ٢٩٤

(٤) ص ٢٩٣

وثارت عشائر الرشوال الكردية فندبته الدولة الى اخماد ثورتها ففعل ثم ندبته الى قتال والي بغداد عمر باشا الذي تمرد على الدولة فسار اليه وظفر به • وفي سنة ١٧٨٩ م قاد حملة التنكيل باليزيديين فتوفي في اثناء رحلته [١] •

وقد ذكر الصائغ ان سليمان باشا كان متحليا بجليل الاخلاق

---

(١) ص ٢٩٤ استطرد مؤلف الكتاب هنا الى ذكر طائفة اليزيدية وعقائدها وخلاصة ما جاء في نبذته عنها ان اتباعها يكثرون في نواحي الموصل على يمين دجلة في سنجار وعلى يساره في الشيخان وفي هذه المنطقة معبدهم المسمى الشيخ عدي . ومنهم جماعات بجوار حلب ووان وارضروم . ويبلغ عددهم (٣٠٠٠٠٠) وعزا الصائغ الى مؤلف اسم الاب مارتال ان منهم جماعات في جبال القفقاس وسواحل بحر قزوين وجبال الطاي وبلاد الصين باسم آخر . ويراسهم امير يقيم في الشيخان له سلطة مطلقة عليهم وتحت امره امراء ثانويون خاضعون له . ولهم رئيس ديني يدعونه بابا شيخ له حق التشريع والارشاد في الشؤون الدينية . والمنصبان محصوران في اسرتين يتوارثهما الابناء عن الآباء . والاقوال متضاربة في نسبة وعقائد هذه النحلة ، فهناك من ينسب الاسم الى يزيد بن معاوية أو يزيد بن عبد الملك ويقول ان النحلة انشأها شخص اسمه الشيخ عدي بن مسافر الاموي الذي قدم الى هذه المنطقة من جهة بعلبك وانشأ زاوية فتبعه خلق كثير وتوفي سنة ٥٥٥ هـ ـ ١١٦٠ م وهناك من يقول ان منشىءالنحلة رجل كردي اسمه الشيخ عدي ايضا استولى في سنة١٢١٩م على دير في هذه المنطقة فاتخذه زاوية وسماه باسمه واستطاع ان يضم جماعات كثيرة حوله فغدا شيخ النحلة وغدا الدير معبد الطائفة ومحجها . ومع ان السياق يفيد على صحة احدى الروايتين ان منشىء الطائفة مسلم فان المروى عن عقائدها وطقوسها لا يدل على اي صلة بينها وبين الاسلام حيث يقال ان للطائفة صنما بشكل طائر يسجدون له ويسمونه طاووس ملك وهو عندهم رمز للاله السامي الذي كان قبل الخلق والوجود في كل مكان والذي يرسل خدامه الى العالم لارشادهم ، ويجعلون الشيخ عدي احد هؤلاء بل ويضعونه مع طاووس ملك في مرتبة واحدة ... ويعتقدون بتناسخ الارواح ولا يعتقدون بالبعث ولا بجهنم ولا بالشياطين . ولهم كتب دينية منها كتاب اسمه الجلوة ويعزي الى الشيخ عدي ويحتوي تعاليم الطائفة القديمة وآخر اسمه الكتاب الاسود وضع سنة ١٣٤٢ هـ فيه عادات اليزيديين المعاصرة . ويذهب الصائغ دون عزو الى مصدر ان هذه النحلة مانوية المبدأ ويقول ان بعض المؤرخين يذهبون الى اتصالها بمذهب زرادشت القائل باله الخير واله الشر فيعبد الاول لخيره وصلاحه اللذين لا يحدان والثاني اتقاء لاذاه . ومن عادات اليزيديين النفرة من اللون الازرق وعدم تلفظهم بحرفي الطاء والشين وعدم استخدامهم الفرس والحصان في حمل الاثقال ولهم مواسم شتى منها زيارة قبور موتاهم في أول اربعاء من نيسان بالدفوف والزمار ثم تستمر حفلاتهم يومي الخميس والجمعة مطبلين مزمرين راقصين آكلين شاربين ... ولقد

مع الحزم واصالة الرأي وانه تولى الموصل عدة مرات ومدحه الشعراء وانه عمر اسوار الموصل الخ ...

وقد خلفه الحاج عبد الباقي باشا بن عبيد اغا الجليلي سنة ١٧٨٥ م وهو سادس ولاة الاسـرة ومات هو الآخر اثنـاء حملة قادهـا ضد اليزيديين [١] .

وقد خلفه في ولاية الموصل محمد باشا بين امين باشا وهو الوالي

كتب كثيرون رسائل في اليزيدية وعقائدهم منها كتاب لعبد الرزاق الحسني المؤرخ العراقي المعروف مطبوع سنة ١٩٥٣ استقى مادته من الكتب العديدة المؤلفة عنه ومن مصادر تاريخية أخرى ثم من دراساته ومسموعاته الشخصية من بعض رؤسائهم وفيه تفصيل عن حاضرهم وماضيهم وكتبهم وعقائدهم ورؤوسهم وشؤونهم المتنوعة . وبين ما جاء فيه وبين النبذة التي اوردها عنهم سليمان الصائغ مؤلف تاريخ الموصل ولخصناها آنفا تطابق مع زيادات عليها . وفيه نبذ منقولة من تاريخ ابن الاثير وابن خلكان وابن الوردي وابي الفداء والذهبي وابن تيمية واليافعي والمقريزي والشعراني والحنبلي الخ ... عن الشيخ عدي وطائفته التي يسميها بعضهم بالعدوية وهم يصفونه بالاموي وبالتقوى والعلم ومنهم من يطنب فيقول عنه الولي الشهير ذي الفتح الطاهر والحال الباهر والانفاس الصادقة والآيات الخارقة ، وينوهون بكثرة اتباعه ومريديه في جبال الموصل الكردية التي تسمى الهكارية ويقولون ان الانحراف في العقيدة انما كان بعده في زمن خليفته الشيخ حسن الذي قتله بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في سنة ٦٤٤ هـ ومما في الكتاب ان طاووس ملك هو رمز للشيطان وان للكون الهين اله شر واله خير واله الشر هو الشيطان وقد طرده اله الخير الى الدنيا ، واليزيديون يتقربون اليه بالعبادة والولاء خوفا منه حتى انهم يهملون اله الخير لانهم مركنون الى بره ورحمته ! ويرمزون الى اله الشر بالطاووس . ويعتقد اليزيديون ان الشيخ عدي صعد الى السماء . ويحرفون القرآن ويمحون منه اسم الشيطان والكلمات الاخرى المتصلة به ويفسرون الصلاة والصوم والحج بتفسير يسقط هذه التكاليف .ويعتقدون بالم اعظم ثم بآلهة اخرى عديدة منها طاووس ويسمونه رئيس الآلهة . وقد اورد الحسني نصوصا عديدة من كتابيهم الجلوة والاسود . ويستفاد مما اورده ان الكتابين قديمان وان نشرهما هو الحديث . وفي الكتابين بيانان عن صفات الله الاعظم والآلهة الاخرى واحكام النكاح والطقوس وتراتيل ودعوات ومواعظ وتذكيرات عن لسان شيخهم . وعن كيفية ارسال الله للشيخ عدي بن مسافر الاموي الى الابلش وهو المكان الذي حل فيه ووعظ واشتهر وقدسيته الخ .... فاليزيدية والحالة هذه فرقة اسلامية الاصل شابها شوائب من الوثنية والزرداشتية بعد شيخها الاول ولعب الجهل ومآرب الزعماء وجنوحهم الى استغلال الطائفة وتزعمها وطاعتها لهم دورا كبيرا في تكوينها وتطورها .

(١) ص ٩٤

السابع للموصل من الاسرة . وكان له وزير اسمه بكر افف وعمر جامع باب الابيض وجامع المحمودية مع مدارسهما ومدحه الشعراء وقد امتدت ولايته الى سنة ١٢٢٢ هـ ــ ١٨٠٧ م فخلفه نعمان باشا بن سليمان باشا . وهو الوالي الثامن للموصل من الاسرة (١) .

وفي عهده اشتدت ثورة اليزيديين وتفاقم عــدوانهم فسار اليهم وقاتلهم واخضعهم . ثم لم يلبث ان مرض فاستقال من الحكم فعينت الدولة شخصا اسمه احمد باشا بن بكر افندي ــ ولا يذكر الصائغ ان كان من الاسرة أم لا وان كان سياقه يفيد النفي فثارت فتنة وحرب اهلية قتل فيها (٢) .

وفي تاريخ العراق بين احتلالين بيان أوفى عن هذه الفتنة حيث ذكر المؤلف ان الجليليين اغبروا من نصب احمد باشا متصرفا للموصل ــ وهذا يدل على انه ليس من الاسرة ــ واخذوا يتربصون به وظهر منه من الخرق وعدم القابلية ما اضعف هيبته من القلوب فكان ذلك فرصتهم واختاروا احد رجالهم اسعد بك زعيما لحركة النضال ضده وانحــاز اكثر الناس اليهم وأدى الامر الى القتال بين قوات الشعب بزعامة اسعد بك وبين قوات الوالي الى ان هلك هذا برصاصة اصابته (٣) .

وسياق العزاوي يدل على تمكن الاسرة في الموصل وقوة شخصيتها واعتبارها ولاية الموصل حقا طبيعيا لها كما هو المتبادر .

وقد عينت الدولة على ما ذكره الصائغ للولاية بعد احمد باشا محمود باشا ابن محمد باشا وهو التاسع من ولاة الموصل من الاسرة فتمكن من تهدئة الاضطراب (٤) .

وفي زمنه شق الاكراد في الجبال عصا الطاعة فسيرت الدولة حملة

---

(١) ص ٢٩٤ في الجزء السادس من تاريخ العراق للعزاوي ص ١٧٧ ان الذي تسلم الحكم اولا محمود بك ابن محمد باشا ولكن حالــة الحكم ارتبكت فانسحب فتسلم الحكم نعمان .

(٢) ص ٢٩٤ ــ ٣٠٢ ان كلمة افندي تركية كانت مثل لقب عام مقام سيد عندنا وكانت تطلق ايضا على من يقرا ويكتب في معرض التنويه . وهي اقل من كلمة بك في معرض التشريف

(٣) ج ٦ ص ١٩١ ــ ١٩٤

(٤) تاريخ الموصل ص ٢٠٢

كبيرة عليهم بقيادة الصدر الاعظم واستنجد بالجليليين فأمدوه برجالهم واموالهم حتى تمكن من قمع فتنتهم (١) .

ومات محمود باشا سنة ١٨٠٩ م ــ ١٢٢٤ هـ فخلفه سعد الله باشا ابن الحاج حسين باشا وهو عــاشرهم . وكان عالمــا فقيها يجل العلم وارباه . وقد بذل جهده في نشر ألوية العلم . ولكن المنية لم تهمله طويــلا (٢) .

وقد خلفه احمد باشا بن سليمان باشا سنة ١٢٢٧ هـ ومنح رتبة الوزارة وهو حادي عشرهم . وهو الذي عمر جامع نبي الله شيث ومدرسته واوقف عليهما الاوقاف الكثيرة (٣) .

وتولى الولاية بعده حسن باشا بن الحاج حسين باشا سنة ١٨١٧م ــ ١٢٣٣ هـ وهو ثاني عشرهم . وكان عالما نحريرا . وهو الذي عمر المدرسة الحسينية وسعى فــي سبيل تنشيطهــا حتى صار لهــا شهرة عظيمــة (٤) .

ثم تولى الولاية بعده عبد الرحمن بك بن عبد الله بك سنة ١٢٣٧هـ وهو ثالث عشرهم . ولكنه لم يلبث ان توفي فخلفه الوزير يحيى بن نعمان باشا وهو رابع عشرهم ومنح رتبة كبير الوزراء وقد أنشأ مدرسة عرفت باسمه وكان لها شهرة كبيرة . وقد ألم في عهده بالموصل غــلاء عظيم فساعد اهلها فيه مساعدة عظيمة . وقد ارتحل الى القسطنطينية عام ١٨٢٦ هـ فتولى الولاية بعده عبد الرحمن باشا بن محمود باشا وهو الخامس عشر من ولاة الاسرة (١) .

ولقد ذكر العزاوي في الجزء السادس من تاريخ العراق (٢) في صدد يحيى باشا اشياء لم يذكرها الصائغ حيث ذكر ان الادارة اختلت في عهده وان نزاعا قام بين الاسرة الجليلية واعيان الموصل أدى الى شغب حتى لقد اعتدى الناس على قصر الوالي ونهبوه واضطر الوالي الــى

---

(١) ص ٢٠٣ (٢) ص ٢٩٧

الفرار الى بغداد فأمرت الدولة والي بغداد ـ وكانت الموصل رسميا تابعة لاشرافه ـ بالتدخل حتى هدأت الامور وعاد يحيى باشا • ومما رواه العزاوي في هذا السياق ان اضطراب الموصل كان بتحريك والي بغداد بسبب ما ظهر من تآمر يحيى باشا عليه • فقد ثارت عشائر شمر بزعامة شيخها الشيخ صفوق فزحف والي بغداد عليها فانهزمت فاستولى الجيش على اثقالها ووجد بين متاع شيخها كتاب من يحيى باشا اليه يدل على انه كان له علاقة معه • ومما ذكره العزاوي ولم يذكره الصائغ ان الدولة وجهت رتبة الباشاوية الى اسعد بن نعمان باشا ـ اخي يحيى باشا ـ وابقته كتخدا ـ نائبا للوالي ـ في الموصل كما كان • وقد قال ايضا ان يحيى باشا تولى الموصل مرتين مرة من سنة ١٢٣٨ الى سنة ١٢٤٢ هـ واخرى من سنة ١٢٤٩ الى سنة ١٢٥٠ هـ وأنه كان آخر ولاة الاسرة • وهذا وذاك مخالف لما في كتاب الصائغ • على ما سوف تأتي بعد • ومما قاله العزاوي كذلك انه اطلع على مخطوطة فيها تاريخ يحيى باشا اسمه نزهة الدنيا في الوزير يحيى جعله يعتقد ان ما نسب الى يحيى باشا من تحريك شمر غير صحيح وانما اختلق لتبرير القضاء على حكم الاسرة لانها غدت صاحبة نفوذ قوي في المنطقة ومر وقت لم تكن تقدر عليها [١] •

اما الصائغ فقد ذكر ان الدولة قلدت الولاية بعد عبد الرحمن باشا لامين باشا بن الحاج عثمان بك بن سليمان باشا سنة ١٢٤٤ هـ ـ ١٨٢٨م وهو الوالي السادس عشر والاخير من الاسرة على روايته • وقد مرض واستقال سنة ١٨٤٦ م ـ ١٢٦٣ هـ ولم يلبث ان مات [٢] •

وقد عقب الصائغ على تاريخ الاسرة قائلا ان الجليليين تناوبوا ولاية الموصل وحكمها مدة مئة وعشرين سنة وعرفوا بالدعة والتواضع من الرفعة والسؤدد والرتب السامية • وكان حكمهم فيها اشبه بحكم

(١) تاريخ العراق بين الاحتلالين ج ٧ ص ٢٨

(٢) ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤

مستقل . لهم الوزراء والكتاب واشتهروا بالخصال الحميدة والعـدل وفعل الخير ومساعدة الاهالي في النازلات وبذلوا جهودهم في انشاء الجوامع والمدارس واوقفوا لها اوقافا كثيرة وساعدوا النصارى علـى انشاء وترميم الكنائس والاديرة . وقد تركوا املاكا واسعة باقية الى اليوم لانهم جعلوها وقفا دريا . ولا تزال ذريتهم تسير سيرة اجدادهـا في الاخلاق الحميدة والمكارم العديدة وقد جمعوا بين سعة اليسار وحب الخير فاحتفظوا بمكانة أسرتهم الرفيعة واحبهم الناس واحترموهم على اختلاف الطبقات [١] .

وبمثل هذا عقب العزاوي ايضا الذي قال ان الاسرة نالت منزلة كبيرة وادت خدمة عظيمة للثقافة بما أنشأته من مدارس ومعاهد وجوامع، وان عدد المؤسسات الخيرية المنسوبة اليها هائل وانها ما تزال محتفظـة بمقامها ولم تكن في ايامنا باقل نصيبا من سابق عهدها [٢] .

---

(١) ص ٣٠٤

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٢٧ – ٢٩

حركة القبائل العربية في العراق
وحالتها الحاضرة

القبائل العربية في العراق

– ١ –

قلنا في التمهيد لفصل الامارات العربية في العراق ان العراق كان مباءة تموج عربي مستمر في أثناء حقبة التغلب التركي فضلا عن ما كان من مثل ذلك قبل هده الحقبة ممتدا الى حركـة الفتـح الاسلامـي وما قبلها •

ولقد احتوى اجزاء كتاب عشائر العراق للعزاوي واجزاء كتاب تاريخ العراق بين احتلالين له اسماء واحداثا كثيرة جدا للقبائل العربية في العراق في النطاق القبيلي منها ما هو عائد لمختلف ادوار تلك الحقبة ومنها ما يمثل الحالة الحاضرة المتصلة بالحالة الغابرة تدل على ان العراق في هذه الحقبة كان يعج بالنشاط العربي القبيلي وانه كان مباءة تموج مستمر واسع النطاق لحركات القبائل العربية ، وتوضح بالتالي ما كان عليه العرب من حيوية وتبين سببا من الاسباب الهامة التي جعلت العروبة في العراق تحتفظ بطابعها القوي رغم ما تعرض له من زحف تركي متنوع الاسماء ومن سيادة تركية استمرت اكثر من الف عام •

وسيتناول بحثنا هنا الحالتين الحاضرة والغابرة في حقبة التغلب التركي • وسيكون معولنا فيه على كتب العزاوي المذكورة آنفـا التي اقتبس كثيرا مما احتوته من مصادر كثيرة جدا مخطوطة ومطبوعـة واضاف اليها مشاهداته ودراساته وسماعه بالنسبة للحالة الحاضرة حيث يبدو من خلال ذلك ما بذله من جهود عظيمة مشكورة اغنى بها المكتبة العربية بالنسبة لموضوعه الهام • وكتبه حديثة العهد • وتاريخ العراق بين احتلالين ثمانية اجزاء وقد طبعت خلال سنة ١٣٥٣ هـ ــ ١٩٢٥ م

و ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦ م وكتاب عشائر العراق اربعة منها واحد في عشائر الاكراد وقد طبعت خلال سني ١٣٦٥ هـ ـ ١٩٣٧ م و ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م ٠

ولقد صنف العزاوي قبائل العراق في اجزاء كتابه عشائر العراق صنفين الاول القبائل البدوية ويقصد بذلك شرح حالة وتاريخ واسماء وفروع ومنازل واحداث القبائل التي ما زالت او ما زال معظمها يعيش عيشة بدوية في السكن والمعيشة ٠ والثاني القبائل الريفية ويقصد بذلك شرح حالة وتاريخ واسماء وفروع ومنازل واحداث القبائل التي تعيش عيشة ريفية أي تزرع وتربي الماشية وتستقر في منازلها وتحتفظ بتقاليدها وطبائعها القبيلية ٠ وسوف نتابعه في تصنيفه هذا ٠

اولا : القبائل البدوية

قبائل شمر :

اول القبائل التي ذكرها العزاوي من الصنف الاول القبائل الشمرية وقد اورد وصفا لها نقلا عن مخطوطة للحيدري جاء فيه انها من اجل عشائر العراق وانها عدة قبائل وان عددها يبلغ مئة الف واكثر [1] . والمتبادر ان تقديمها في الذكر كان بسبب اهميتها وكثرتها لا بسبب قدمها . لان هناك قبائل كثيرة اقدم منها طروءا بل منها ما كان طروءه مع الفتح في حين ان شمر بدأت تطرأ على العراق في القرن الحادي عشر الهجري .

ويختلف المؤلفون في سبب تسمية شمر اختلافا عجيبا لا طائل وراءه في مجال اليقين . فبعضهم يصلهم الى شمر يرعش بن افريقش ابن ابرهة ذي المنار احد ملوك التابعة وبعضهم يجعل شمرا اسم جد من اجدادهم وبعضهم يجعل اسمهم وصفا حيث قال لهم رؤساؤهم حينما ألح عليهم الجدب شمروا فشمروا وارتحلوا فصار شمر اسما لهم ... [2] .

وشمر قحطانية الاصل نزحت من اليمن على ما يستفاد من النبذة التاريخية التي كتبها العزاوي ووصفي زكريا [3] الى نجد قبل بضعة قرون وحلت في منطقة جبلي طي المشهورين أجا وسلمى بعد ان غلبت عليهما من كان فيها من قبائل طي وزبيد فصارت المنطقة تعرف بجبل شمر . ولقد اندمج فروع من قبائل طي وزبيد فيهم ـ وهم في الاصل

---

(١) ج ١ عشائر العراق ص ١٢٨ (٢) المصدر نفسه ص ١٢٨

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٧ وعشائر الشام لوصفي زكريا ج ٢ ص ٢٦٧

قحطانيون مثلهم ـ ففدت هذه الفروع تتسمى باسمهم وتعد منهم حتى ان آل محمد أو آل الجرباء ـ وهو اسمهم الثاني ـ اعظم زعماء شمر صينا وشأنا هم طائيون في اصلهم • ثم اخذوا ينساحون من نجد الى العراق منذ القرن الحادي عشر بسبب الجدب • وكانت اخرى هجراتهم الى العراق في اوائل القرن الثالث عشر حينما قويت الحركة الوهابية السعودية واكتسحت نجد ، حيث اندمج فريق منهم في مناوأتها فلما اخفقت المناوأة نزحوا الى العراق بقيادة زعمائهم آل محمد ، وقد ظل جماعات من شمر في نجد والتفوا حول آل الرشيد الذين سيطروا على نجد في اواسط القرن الثالث عشر لفترة ما ثم رضخوا للسعوديين حينما تغلب هؤلاء على آل الرشيد نتيجة لنشاط ومغامرة العاهل السعودي الراحل عبد العزيز • واستقلوا باسم شمر الجبل لانهم بقوا مستقرين في منطقة جبلي نجد التي سميت باسم شمر •

ولقد كان معظم قبائل شمر في حوض دجلة والفرات فلما زالت الدولة العثمانية وقامت دولتا العراق وسورية توزعت في اراضيهما حيث صار منهم جماعات في اراضي سورية واخرى في اراضي العراق •

ويقول العزاوي [١] ان القبائل الشمرية وان مال جماعات منها الى الريف واتخذ الزراعة عملا لها فان جمهورها الاكبر ما يزال يعيش عيشة بدوية •

والآن نأتي الى التفصيل متابعين فيه تصنيف وتسلسل العزاوي •

القبائل الشمرية الطائية

خرصة :

ذكر المؤلف خرصة شمر في رأس قبائل شمر [٢] مع انها ليست

---

(١) عشائر العراق ج ١ ص ١٧٧

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٧ -- ١٨٠

اقدم القبائل الشمرية نزوحا الى العراق • وذكرها في سلسلة القبائل الشمرية الطائية تمييزا لها ولشقيقاتها عن القبائل الشمرية الاصلية التي نزحت من جزيرة العرب الى نجد ثم اندمج فيها بعض القبائل الطائية واتسمت بسمتها واسمها على ما شرحناه قبل •

وقد وصفها المؤلف بانها من قبائل شمر الشهيرة وانها عضد آل محمد [1] ، وتكاد ان تكون هي المقصودة حينما تذكر شمر بدون اضافة اخرى او حينما تذكر شمر الجرباء • وقدتوزعت فياراضيسورية والعراق تحت زعماء من آل محمد أو الجرباء •

ولقد كتب المؤلف نبذة طويلة [2] في آل محمد هؤلاء وتسلسلهم واحداث بعض مشاهيرهم • والمستفاد منها ان تسمية آل محمد ترجع الى جد قديم لهم وان تسمية الجرباء نبز نبزت به زوجة محمد حيث اصيبت بمرض جلدي • وممن ذكرهم في معرض ذلك مطلق الذي تولى المناوأة للسعوديين ونزح الى العراق ثم اخذ يشتبك معهم بتشجيع من الحكومة العراقية ، وفارس اخو مطلق ورفيقه في المناوأة الذي استفرت قدم شمر في العراق به والذي كانت له وقائع جعلت له صيتا داويا • وقد ذكرنا بعض وقائعه في فصل الامارات العراقية • ومنهم صفوق ابنه الذي وصفه المؤلف بانه اشهر من نار على علم وان الحكومة العراقية لقبته بسلطان البر • وقد ساعدها في حربها مع العجم • واقطعه والي بغداد عانة وما يتبعها من القرى نتيجة لبلائه الحسن في هذه الحرب مع عشائره • ومنهم ابنه فرحان الذي منح لقب الباشاوية لما كان من انسجام بينه وبين الدولة ومنهم عجيل الذي كان زعيمهم في سنة ١٣٦٥ ولقيه المؤلف واثنى على اخلاقه ومزاياه وقال انه اخذ كثيرا من معلوماته عن شمر عنه •

وخرصة العراق تتفرع الى فروع الغشم والهضبة وآل عليان

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧٨

(٢) ص ١٣ ـ ١٧٠

والبريج والعامود والصبحة والاخيرة ليست من الخرصة وانما انضوت اليها انضواءا • ورئاسة الهضبة لابن جليدان وآل عليان لابن دايس والبريج لابن كعيط والعامود لابن عامود • ولكل من هــذه الفروع الثانوية رئاسة خاصة ايضا • اما نخوة خرصة فهي « سيافة [1] » •

سنجارة شمر :

وهذه شمرية طائية مثل السابقة • وهي الان متوزعة بين العراق وسورية • ولا يزال قسم منها في نجد [2] والرئاسة العليا فيها في العراق لابن الاحدب •

وفروعها الرئيسية هي الثابت والفدافدة والغفيلة والزميل • ورئاسة الثابت لابن الاوضح والفدافدة لابن وتيد والغفيلة لابن رمال والزميل لابن ثنيان • وكل من هذه الفروع يتفرع بدوره الى فروع ولكل منها فروع ثانوية لكل منها رئاسة خاصة بدوره • ونخوتها العــامة زوبع ولها نخوة خاصة هي جدعة أو خيال الجدعة • ويقول العزاوي ان اصل سنجارة من زوبع طي من فرقة الحريث على ما يذكرون وان سببا ما دعاهم الى الاندماج في نطاق القبائل الشمرية الطائية [3] •

زوبــع :

قال العزاوي الذي ذكر زوبع بعد سنجارة في سلسلة القبــائل الشمرية الطائية [4] ان هذه القبيلة تعد نفسها من شمر سنجارة او من جذمها غير ان هناك بعض الفروق حيث تحافظ على الاسم القديم من جهة وبعض فروعها يتسمون باسماء جديدة من جهة اخرى • والمتداول ان زوبع هو بن محمد الحريث احد زعماء فرع من فروع طي •

---

(١) عشائر العراق للعزاوي ج ١ ص ١٧٨ – ١٨٢

(٢) عشائر العراق ج ١ ص ١٨٣ – ٢٠٤

وبعض فروعها تقربت في الايام الاخيرة الى المدن واتخذت الزراعة مهنة غير ان البداوة هي الغالبة عليها • وكان قدومها الى العراق اسبق من سنجارة • وتسكن في اراضي أبي غريب واليوسفية وقسم منهم في البادية • والباقون يعيشون مع سنجارة في البداوة والصحارى البعيدة •

ونخوة زوبع « معن » وتتفرع الى فروع رئيسية ثلاثة هي الحيوات والجدادة والفداغة • وكل فرع من هذه الفروع يتفرع الى فروع • ولكل منها رئاسة خاصة • وهناك عشائر عديدة من قبائل أخرى منضمة الى فرع الحيوات يبلغ عددها ست عشرة • وبعض هذه العشائر المنضمة يتفرع بدوره الى فروع بل ومنها ما يتفرع الى فروع الفروع حتى ليبلغ عدد فروع زوبع وفروع فروعها والمنضمات اليها وفروعها نيفا ومئة مما فيه دلالة على كثرتها وسعة نطاقها •

وفي اكثر من جزء من اجزاء تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي صور متنوعة لنشاط عشائر زوبع القبيلي في مختلف المناسبات يدل على ما شغلوه في احداث العراق من حيز واسع ايضا [١] •

الصايح :

جاء ذكر هذه القبيلة او مجموعة القبائل كما هي في الحقيقة بعد زوبع في سلسلة العشائر الطائية الشمرية • ويستفاد من كلام العزاوي ان أسمها مرتجل ومطلق على مجموعة من قبائل شمرية تابعت زعيما اسمه الصديد حينما تنازع مع شمر الجرباء او مع زعمائها حيث ارسل صيحة او نداء للقبائل الشمرية فاستجابت اليه وتابعته مجموعة منها فسميت بالصايح [٢] • أما القبائل المنضوية تحت هذا الاسم فهي الاسلم

---

(١) ج ٥ ص ٢٧٣ – ٢٧٤ و ج ١ ص ١٩٣ و ج ٦ ص ٢٦٤و ج ٧ ص ٩٠ – ٩١وج٨ ص ١٩٨ – ٢٠٠

(٢) عشائر العراق ج ١ ص ٢٠٤ – ٢١٤

والصبحي والزميل والتومان • والرئاسة العليا في المجموعة لابن الصديد• ولم يذكر المؤلف نخوة عامة للمجموعة •

والاسلم تعرف بضنا كدير واهل الحيسة ونخوتهم ستر سلمى ويعنون بسلمى احد جبلي طي • والرئاسة فيهم لابن حسان ويتفرعون الى فروع النبيحان ـ و ـ البعير ـ و ـ الجحيش ـ و ـ الوهب ـ و ـ المنيع • ولكل من هذه الفروع رئاسة خاصة وتتفرع بدورها الى فروع ثانوية • ورئيس النبيحان ابن حسان والبعير ابن السراي والوهب والمنيع معا ابن طوالة •

قبائل شمر القحطانية

عبدة شمر :

ذكرها العزاوي بعد الصايح في سلسلة العشائر الشمرية القحطانية تمييزا لها من القبائل الشمرية الطائية [1] • ووصفها بانها من اشهر قبائل شمر واكثرها ذكرا واتصالا مع عشائر العراق وقال ان منها قسما لايزال في نجد ونخوتها سناعيس • وفروعها : اليحيا والدغيرات والربيعية •

ورئاسة اليحيا لابن عجل والدغيرات لابن هشمي • وليس للفرع الثالث رئيس عام • وكل فرع من هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية ولكل منها رئيس خاص • ومما قاله المؤلف عن عبدة ان كثيرا من قبائلها ركنوا اليوم الى الزراعة ومالوا عن البداوة مع احتفاظهم بمألوفات العادات العشائرية • ولم يذكر العزاوي هذه القبائل في سياق احداث العراق ونشاط قبائله برغم الوصف الضخم الذي وصفها به • غير انه ذكر في سياق ذكره فرع العلي احد فروع الربيعية ان امارة جبل شمر كانت في آل علي قبل ان تتكون امارة الرشيد ، كما ذكر في سياق ذكره فرع آل خليل من فروع الربيعية

(١) ج ١ عشائر العراق ص ٢١٦ ـ ٢٢٩

ان آمارة الرشيد منه ، ثم اخذ يسرد شيئا من تاريخ امراء هاتين الامارتين وفروع الربيعية في نجد مما لا صلة له ببحثنا [1] .

شمر طوقة :

ذكرها العزاوي بعد عبدة في سلسلة القبائل القحطانية [1] ووصفها بانها من شمر الاصليين وانها نزحت الى العراق من مدة طويلة ، وان منازلها في الجانب الغربي من دجلة بين نهر ديالي والكوت . وانها انفصلت عن شمر في سنة ١١١٨ هـ نتيجة لعصيان القبائل الشمرية وتعرضها لضربة حكومية شديدة حيث تفرقت هذه القبائل شذر مدر .

وتتفرع شمر طوقة الى فروع الصلتة والغرير والصدعان . ورئاسة الصدعان لابن مناعي وليس للفرعين الاولين رئاسة عامة . وكل من الفروع الثلاثة يتفرع الى فروع وفروع فروع بحيث يبلغ العدد خمسة وثلاثين . ولكل منها رئاسة خاصة .

وقد قال المؤلف فيما قاله عن شمر طوقة ان فروعها اختلطت حتى صار التمييز بينها متعذرا . وقد ذكرها مرارا في تاريخ العراق بين احتلالين في مجال النشاط القبيلي باسلوب يدل على ما كان من حيوية [2] .

المسعود :

ذكر العزاوي هذه القبيلة بعد شمر طوقة في سلسلة العشائر الشمرية الاصلية [3] . ووصفها بانها لا تشبه شمر اليوم في حياتهم

---

(١) عشائر العراق ج ١ ص ٢٣٣ ــ ٢٥١ انظر ايضا تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٦٩ ــ ١٧١ و ١٧٤

(٢) انظر تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٢٤٩ و ج ٨ ص ٧٢و ١١٧

(٣) عشائر العراق ج ١ ص ٢٥١ ــ ٢٥٣

الماشية ولا تأتلف معهم في آدابهم وعوائدهم لانها غدت من القبائل الريفية . وغالبها في كربلاء والمسيب . ولا تزال مع ذلك تحتفظ بالتقاليد والتقسيمات العشائرية . ونخوتها (عليّة) وفي الايام المعضلة (سعد) ورئيسها العام ابن الخصيمي . وتتفرع الى ثمانية عشر فرعا هي الغرير ـ الامارة ـ الغيلان ـ الهنداس ـ الفرحان ـ الكوام ـ السحيف ـ السير ـ البو غانم ـ العواد ـ الهرير ـ البو مصري ـ العكابات ـ الرميلات ـ الهوابر ـ الصعبيين ـ المناجعة ـ المحازمة ـ بني سعد . ولكل من هذه الفروع رئيس خاص .

ويلحظ ان اسم الغرير ورد في جملة فروع هذه القبيلة كما ورد في جملة فروع شمر طوقة . وقد قال العزاوي في سياق كلامه عن شمر طوقة ان الغرير اختلطت بقبائل عديدة مما ينطوي فيه تعليل هذا التعدد .

الغرير :

بالاضافة الى ذكر الغرير كفرع من المسعود وكفرع من شمر طوقة فان هناك مجموعة تحمل هذا الاسم كقبيلة مستقلة .

وقد عقد العزاوي لها نبذة بعد المسعود [1] في سلسلة العشائر الشمرية الاصلية ، وقال انها اشتهرت باسم غرير شهوان وانها من قبائل شمر التي وردت العراق قبل غيرها .

ومما ذكره المؤلف عنها ان نخوتها سناعيس وان من المحفوظ انها تتصل بفرع الربيعية من شمر عبدة . ويسكنون في هذه الايام في قضاء المحمودية وشيشبار ورؤساؤهم ابن الدليمي وابن الصيهود . وفروعهم الخليفة والعمران والعبابدة والغويثات والجواسمة والبو جناد

---

(1) عشائر العراق ج ١ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٧

واسعيدات والسفافحة والبو حسين والشريفات والزابية والمعاضد والعبابدة والبونية وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع وكل منها له رئيس خاص .

وقد ذكر العزاوي في تاريخ العراق غرير شهوان مرارا في مجال الاحداث القبائلية باسلوب يدل على ما كان لهم من نشاط وحيوية منذ أوائل القرن الثاني عشر [١] .

عنزة :

ذكر العزاوي هذه القبيلة بعد الغرير [٢] ، ووصفها بانها من قبائل العرب الكبرى التي ينتسب اليها الملوك السعوديون وامراء الكويت والبحرين والتي تتوزع اليوم في نجد والحجاز وسورية والعراق . وقد اورد روايات متنوعة عن اصلها ونسبتها متفقة على انها عدنانية من ربيعة مع اختلاف في التسلسل . ومما اورده عن السمعاني ان جدها القديم الذي تنتسب اليه هو عنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان ... ومما قاله في صدد طروئها على العراق انها لم تأت الا من زمن قريب مصادف لمجيء شمر الجرباء أي في أوائل القرن الثالث عشر الهجري غير انه استدرك قائلا ان هناك بعض قبائل منها جاءت قبل هذا الزمن بكثير ولكنها لا تتسمى باسمها . ومما قاله عن تفرعها انها تنقسم الى جذمين كبيرين بشر ومسلم وانه تكون من كل منهما قبائل عديدة ، وان معظم فروعها خارج جزيرة العرب .

والموجودون في العراق هم العمارات احد فروع بشر . وهما فرعان كبيران الجبل والدهامشة . ورئيس فرع الجبل ابن هزال ونخوته (اخوة بتلة) ورئيس فرع الدهامشة بن مجلاد ونخوته (اولاد علي غريب الديار) .

---

(١) انظر تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٦٣ و ٢٤٦ و ١٩٢–١٩٣ و١٩٨–١٩٩

(٢) ج ١ عشائر ص ٢٥٨ – ٢٩٤

وكل من فرعي الجبل والدهامشة يتفرع الى فروع رئيسية واخرى ثانوية . وفروع فرع الجبل الرئيسية هي الحبلان والصكور والسلكة وفروع فرع الدهامشة الرئيسية هي العلي والمحلف . ولكل من الفروع الرئيسية والثانوية رئاسة خاصة . ويزيد عدد الفروع وفروع الفروع عن مئة ....

وقد ذكر العزاوي حوادث كثيرة عن عنزة في مجال النشاط القبيلي في العراق مما يدل على ما كان لهم من حيوية [1] .

وننبه على ان العزاوي لم يقصر الكلام على فروع عنزة في العراق بل وذكر جميع فروعها الصغرى والكبرى في خارج العراق ايضا فلم نر ضرورة لمتابعته في ذلك .

الضفير :

ذكر العزاوي هذه القبيلة بعد عنزة [2] ووصفها بانها اشهر قبائل نجد والعراق وان القسم الكبير منها يتجول في الجانب الغربي من الفرات بين الزبير وانحاء السماوة ولها مكانتها المعروفة ومضي لها دور لا يستهان به ايام ورودها العراق في اول القرن الثالث عشر الهجري من نجد ، وانها في الاصل قبائل عديدة تضافرت وكونت مجموعة تمكنت من المحافظة على كيانها والتزام الوفاق بما يعود عليها من بسط سطوتها حتى غدت قوة كبيرة يخشى بأسها . ولا تزال الى اليوم تعد من القبائل البدوية المعروفة وان كان بعضها مال الى الارياف . وقد ذكر العزاوي عزوا الى الحيدري ان عددها يبلغ ثلاثين الفا واكثر وانها جاءت الى العراق نتيجة للحركة الوهابية السعودية وما كان

---

(١) انظر عشائر العراق ج١ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ وتاريخ العراق ج ٦ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ و ٢٢٧ ـ ٢٢٨ و ج ٧ ص ١٠٦ و ١٨٠ و ج ٨ ص ١٢ ـ ١٣ و ٧٦

(٢) ص ٢٩٥ ـ ٣٠٤ ج ١ عشائر .

من وقائع بينها وبين زعماء الحركة وان بعض فروعها اذعنت لآل سعود وبقيت في نجد .

والضفير في العراق مجموعتان كبيرتان . وهما البطون والصمدة . وزعامة البطون لابن سويط الذي تنقاد له عشائر الجزيرة عند الخلاف في القضاء ولا يرد له قضاء ويعرف في العرف العشائري باسم المنهي وهو أعلى مناصب القضاء العشائري وفي مثابة محكمة التمييز .

وفروع البطون الرئيسية هي البويت وبنو حسين وآل سعيد وبنو خالد وآل كثير والطلوح والسويط والسلطان وآل مزعر والحولة والبطاح والضويحي والرسمي والعدوان . وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية ولكل من هذه وتلك زعيم خاص ايضا .

وزعامة الصمدة لابن ظاهر ونخوتهم اخوة سلمة ويتفرعون الى فروع آل عريف والجواسم والتنيسان وآل معلم والمسامير والذرعان والعلجانات والعسكر وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية ولكل منها رئيسه الخاص .

وقد ذكر العزاوي قبائل الضفير اكثر من مرة في كتابه عشائر العراق وتاريخ العراق في مجال الاحداث والنشاط القبيلي باسلوب يدل على ما كان لهم من حيز وحيوية [1] .

حرب :

ذكر العزاوي هذه القبيلة بعد الضفير [2] وقال ان قسما منها مال الى العراق وسكن الشامية قرب الاخيضر في انحاء الحجرة وعين تمر بسبب استيلاء السعوديين على الحجاز وبقي قسم منها في الحجاز

---

(١) انظر مثلا عشائر العراق ج ١ ص ٢٩٧ و تاريخ العراق ج ٦ ص ١٢٧ - ١٣٢ و ١٦٣ و ١٦٨ و ١٩٠ - ١٩١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ج ٨ ص ٢٣٠

(٢) عشائر ج ١ ص ٣٠٥ - ٣١٠

خاضعا لهم • ومما قاله انه رأى رئيس القسم الذي جاء العراق وحادثه كثيرا حول قبيلته وتلقى منه اسماء فروعها حيث يبدو ان الذين طرأوا من حرب قد طرأوا نتيجة لاستيلاء العاهل السعودي الراحل عبدالعزيز على الحجاز وقضائه على المملكة الهاشمية فيه • ولقد قال العزاوي بعد الذي قاله انه سمع ان هذه القبيلة عادت الى مواطنها الاصلية • وذكر مع ذلك اسماء فروعها ورؤسائهم •

وقد رأينا أن نسجل حادثة قدومهم وعودتهم لانها تمثل صورة من صور التموج العربي بين الجزيرة العربية والاقطار المجاورة لها الذي لم ينقطع منذ أقدم الازمنة التاريخية دون ان نرى ضرورة الى ايراد اسماء الفروع والرؤساء الذين هم ليسوا في العراق •

صلبب او الصلبة :

ذكر العزاوي هذه القبيلة بعد حرب [1] وقال انها بدوية تتردد على العراق في كل سنة ومنها ما هو بمثابة المستقر فيه • ولا تفترق عن البدو الا من جهة انها تتعاطى امورا خسيسة في نظر العرب كصنع الادوية وبيعها وطرق نسائها بالحصى ــ للنظر في البخت ــ ولا تحمل سلاحا ولا تحارب ولا تغزو ولا تنهب وتتموج في البوادي فرقا صغيرة • وقد برعت بل انفردت في صيد الغزلان والحيوانات الوحشية واتخاذ جلودها لباسا وخياما واقتناء الخمر وبساطة الحياة • والكدية ــ الشحادة ــ غالبة في طباعها • ومن مزاياها انها اعرف البدو بمواطن المياه في البوادي • ولقد احترم العرب رغبتهم كما يقول العزاوي فصاروا يعدون العدوان عليهم ظلما • ونفى ما يزعمه بعض كتاب الافرنج من أصلهم الصليبي واكد عروبتهم بعاداتهم واجسامهم ولغتهم • وقد يذهب الى ان الحروب القبيلية ضربتهم وشردتهم فصاروا الى ما صاروا اليه من

---

(١) ص ٣١١ ــ ٣٢٦ ج ١

الوضع الاجتماعي .

واشهر فروعهم او مجموعاتهم :

١ ــ نفس صليب ونخوتهم عيال الصليبي ورئيسهم ابن حليس .

٢ ــ آل ماجد ونخوتهم عيال غانم ورئيسهم ابن الشنوف .

٣ ــ البذاذلة ونخوتهم الهديب ورئيسهم بن جاني ويسكنون في انحاء سنجار ومنازل شمر الجربا .

٤ ــ الهزيم ورئيسهم ابن هزال . ويسكنون في شفاتا قرب عين التمر .

٥ ــ آل مسيلم ورئيسهم بن طمهور ونخوتهم عيال مسلم . ويسكنون في انحاء كربلاء والنجف الاشرف .

٦ ــ العناترة ورئيسهم بن الخليوي . ونخوتهم اولاد عنتر ويسكنون في انحاء السماوة .

٧ ــ البناك ورئيسهم ابن كرموش ويسكنون في حدود لواء كربلاء .

٨ ــ السعد وينتسبون الى سعد العشيرة من قحطان . ويقال انهم اصل كل الصلبة . ويسكنون في انحاء سامرا وسنجار والجزيرة . ومن رؤسائهم ابن الصايد وابن الحنيان وابن جرائد .

٩ ــ الخصيلات . ورئيس هذا الفرع في العراق ابن الخصيلي . وقد ذكر العزواي اسماء فروع اخرى يبدو انها ليست ساكنة في العراق فلم نر ضرورة الى ذكرها في هذا المقام .

وقبيلة انصلبة هي آخر من ذكره العزاوي في سلسلة القبائل البدوية . ثم انتقل الى ذكر القبائل الريفية التي عقد عليها جزئي كتابه

الثالث والرابع من عشائر العراق • أما الجزء الثاني من هذا الكتاب فهو خاص بالعشائر الكردية في العراق •

وقبائل الصلبة من القبائل المتجولة في اكثر من اقليم • ومنها جماعات تتجول في بلاد الشام • والاوصاف المذكورة لها هنا نفس الاوصاف التي ذكرها لها وصفي زكريا في كتابه عشائر الشام على ما اوردناه في فصل قبائل بلاد الشام •

ثانيا : القبائل الريفية

قال العزاوي كلمة عامة في سياق كلامه عن عشائر الارياف[1] رأينا أن نذكرها في مطلع الكلام عن هذه القبائل وهي ان عشائر الارياف متداخلة كثيرا يصعب فصل فروع بعضها عن بعض . والغالب ان ذلك تأتي من تحول هذه القبائل من حياة البداوة الى حياة الريف ورضوخها لمقتضيات هذه الحياة الاجتماعية . وقد صنفها في صنفين رئيسيين وهي القبائل القحطانية والقبائل العدنانية. وسنتابع المؤلف في تصنيفه وتسلسله بقطع النظر عما فيهما من الثغرات والمباينات .

أولا : القبائل القحطانية

قال المؤلف في مطلع كلامه عن هذه القبائل[2] ان اكثريتها في شمال بغداد وقل من كان منها في الجنوب . ولا تتجاوز على الاغلب فيه لوائي الحلة والديوانية . وتمتد في انتشارها الى الموصل وما والاها . وقد نبه في الوقت نفسه على انه ليس هناك منازل قحطانية خالصة حيث تشترك القبائل العدنانية معها في المنازل ، وقد ذكر هذه القبائل بعد ذلك كما يلي :

العشائر الزبيدية

وهذا ثاني عنوان له . وقد ذكر تحت هذا العنوان سلسلة عديدة الحلقات من القبائل . وقال في بدء كلامه [3] ان العشائر الزبيدية من

---

(١) ج ٣ ص ٧٦
(٢) ص ٢٩ – ٣٠
(٣) ج ٣ ص ٣٠ – ٣١

عشائر العراق المعروفة بكثرتها ومكانها وقحطانيتها وهي منتشرة في مواطن عديدة من العراق • وقد طرأت اول الامر في زمن الفتح ثم تلاحقت • ولا تزال اصولها في جزيرة العرب • ومنها جماعات في اقطار الشام وفلسطين ونجد ومصر • ومما قاله ان من هذه العشائر من ينتسب الى زبيد الاكبر من سعد العشيرة ومنها من ينتسب الى زبيد الاصغر التي منها عمرو بن معدي كرب الزبيدي •

زبيد الاكبر

قال المؤلف ان القبائل التي تنتسب الى زبيد الاكبر تتسمى باسم زبيد بدون قيد منذ القديم جدا ولا تزال • وان رئاستها كانت في آل عبد الله في انحاء الحلة والديوانية • وكانت قبلهم في فخذ الفرج ، وقد صارت اليهم في أول القرن الثالث عشر الهجري فصاروا اصحاب مكانة رفيعة وكلمة نافذة وامتد نفوذهم من بغداد الى حدود الخزاعل • على ان المستفاد من سياق كلام المؤلف ان هذه الرئاسة غدت اسمية بسبب الحياة الريفية التي تحولت اليها القبائل وما أدى ذلك اليه من تباعدها في السكنى حيث غدا لكل عشيرة زعامتها الخاصة [1] •

وفروع زبيد الاصلية هذه او قبائلها ست وهي البو سلطان والجحيش والسعيد وبنو عجيل والمعامرة والعمار •

١ ـ البو سلطان :

تسكن هذه القبيلة العوادل والبزل والظلمية والصافي والخميسية في انحاء الحلة • وقسم منها في نهر النيل التابع للمحاويل • ونخوتها « قنوني » ومنهم من ينتخي « زوبع » ورئاستها لابن الجربان وفروعها

---

(١) ج ٢ ص ٣٢ ـ ٣٦

الرئيسية البو محمد والبو حمد والجربوع • وكل منها يتفرع الى فروع ثانوية ولكل من فروعها وفروع فروعها رئيس خاص •

ويلحق بهذه القبيلة عشائر عديدة على طريق الحلف والولاء ونتيجة للمشاركة في السكنى وهي الخشخشية والعلاك والعويد والعويسات والدغيرات والبو غنة وخيكان والبو سلمان • وبعض هذه العشائر تتفرع الى فروع ثانوية ولكل من العشائر والفروع رئاسة خاصة [1] •

٢ ـ الجحيش :

هذه القبيلة متفرقة في انحاء عديدة وتكاد في كثرتها ان تعدل سائر عشائر زبيد على ما يقوله العزاوي [2] •

فمنها جماعة في الحلة • رئيسها ابن النصر ونخوتها جاحش وكثرتها بين الصويره والمحاويل • وفروعها : الفرج والبو كليب والبو نعيم والبو صالح والجلابيون • وكل منها يتفرع الى فروع عديدة ولكل منها رئيس خاص • ويتبعها عشيرة البطة وهي غنامة وتدعى انها من العزة • وتتفرع الى فروع عديدة لكل منها رئيس خاص •

ومنها جماعة في الموصل ، وهي لا تشترك مع جحيش الحلة لا في الفروع ولا في العوائد لبعد الدار وقدم الانفصال وانما تشترك في الزبيدية والنخوة •

وقسم كبير منها يقيم في انحاء تلعفر وسنجار • ورئيسها ابن طه • وفروعها العيسى والفارس والبو متيوت • وكل منها يتفرع الى فروع ومنها ما يتفرع الى فروع فروع ولكل منها رئيس خاص •

٣ ـ السعيد :

تسكن هذه القبيلة بين عشائر عفك في اراضي الدغارة ويزرعون

---

(١) ص ٣٦ ـ ٤٠ ج ٣ (٢) ج ٣ ص ٤٠ ـ ٤٦

الارز والغلات الشتوية ومنهم من يقتني الابل والغنم • ونخوتهم العامة (باسعد) والخاصة (اخوة ستة) ولا يعرف بالتحقيق تاريخ نزوحهم الى العراق • وليس لها رئاسة عامة الآن • وفروعها آل راشد وبوجمعة والشجير والنوافع ووالمغربين وبنو سعد والبوجبة • وكل فرع من هذه الفروع يتفرع الى فروع ولكل من الفروع الرئيسية والثانوية رئيس خاص •

وبعض فروع هذه القبيلة في جانبي نهر ديالي والمحمودية وفي الكرادة الشرقية وباجسرا وقرى بلاط الصغير والكبير في نارين [1] •

٤ ــ بنو عجيل :

تسكن هذه القبيلة في جويمسته من اراضي الحربة والرحمانية من الصويرة والديوانية من الصويرية وفي الحيدرية • ونخوتها العامة جاحش • ورئيسها ابن الزنبور • وفروعها هي المصاليخ والبو غنيمة والبو سهيل والبو عبيد والبو عبد الجادر (القادر) والحضاريون والبو خليف والكرارصة والبو خميس • وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع اخرى • ولكل منها رئيسه الخاص [2] •

٥ ــ المعامرة :

تسكن هذه القبيلة المحاويل والمسيب والحربة المجاورة لاراضي السيافية ونخوتها « اخوة سلمة » ورئيسها ابن المحيميد • وفرقها كثيرة متداخلة حتى لقد استقل بعضها عن بعض ودخل في بعضها من غيرهم • وأهم هذه الفرق هي البو شريفة والبو جامد والبو حمير • وكل منها تتفرع الى فروع ولكل منها رئيس خاص [3] •

---

(١) ج ٣ ص ٤٨ ــ ٥١ (٢) ص ٥١ ــ ٥٣ (٣) ص ٥٢ ــ ٥٤

٦ ــ العمار :

تسكن هذه القبيلة في النيل من توابع الحلة • ورؤساؤها آل مرجان • ويتفرع منها فرعان البو عرار والبو عمري • ولكل منهما رئيس خاص [١] •

وهنا ينتهي الكلام عن القبائل التي تحمل اسم زبيد دون اضافة او اسم آخر • ونقول بهذه المناسبة ان تاريخ العراق بين احتلالين قد ذكر عشائر زبيد اكثر من مرة في مجال احداث العراق باسلوب يدل على انهم كانوا اصحاب شأن ونشاط غير يسير منذ القرن الثامن الهجري [٢] •

عشائر اخرى زبيدية وحميرية

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان الذي جاء بعد ذكر فروع العمار عشائر عديدة كما يلي :

١ ــ آل حميد [٣] :

تسكن هذه القبيلة داخل قضاء الرفاعي في اراضي صريفة وفلعة سكر واراضي الجمرة والبدعة واراضي العبد واراضي الحميرة وهي من العشائر الزبيدية الحميرية • وقسم منها بدو وقسم ريفي • وفروعها البدوية هي . آل رميح ورئيسه بن رميح ، والعويس ورئيسه ابن منيف، والعتول ورئيسه ابن رميج ، والسحيم ورئيسه ابن السحيم والسوالم ورئيسه بن مرشد والعايد ورئيسه ابن الجبر •

---

(١) عشائر ج ٣ ص ٥٤

(٢) انظر مثلا تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ و ج ٥ ص ١٧٣ ــ ١٧٤ و ١٧٧ و ١٨٠ ــ ١٨١ و ج ٦ ص ١٤٣ و ١٧١ و ٢٢٣ و ٢٥٢ ــ ٢٥٦ و ٢٩٥

(٣) ج ٣ ص ٥٤ ــ ٥٩

وفروعها الريفية هي الصريفيون ـ ولم يذكر المؤلف لهذا الفرع رئيسا عاما ـ والعتا بورئيسه ابن ابي رهن ، والطوكين ورئيسه ابن المتلب ، والشويلات ورئيسه بن خير الله ، والقراغول ـ ولم يذكر المؤلف لهذا الفرع رئيسا عاما ـ وكل من هذه الفروع الخمسة يتفرع الى فروع ثانوية لكل منها رئيس خاص .

وتساكن آل حميد قبيلة آل عكيل وتعد منها وهي قحطانيةورئيسها ابن غلام .

٢ ـ بنو زيد [١] :

هذه القبيلة من العشائر الحميرية وهي متوزعة في مواطن عديدة مما يدل على قدمها في العراق واكثرها في انحاء الغراف حتى ليبلغ عدد بيوتها هنا نحو اربعة آلاف بيت . ونخوتها زيود . ومنها من يسكن في أم الفطور شرقي الشطرة ومقاطعة الكوارية ومنها من يسكن في السماوة ولواء ديالي وانحاء سلمان باك وهور مقرقوف والمحمودية وانحاء الحلة .

وفروعها في الغراف : الرواجح وآل ملحم وآل شمخي وآل شديد والفنجان . وفروعها في ام الفطور والكوارية : آل جبارة وآل معن والعظيميون وآل مبارك وآل بستان وآل جدية ، والبو عودة والبوبحر وآل جعين . وفروعها في انحاء سلمان باك ولواء ديالي هي اولاد بركة وبيت لامي والزهامنة والعراكات وبيت جليب وبيت تمام والبو مهية وبيت كطمية والغزال . وفروعها في هور عقرقوف والمحمودية هي العباسية والبو رجيب والبو خزام والبو سراط والبو كردي وآل ناربن والملالي .

وفروعها في انحاء الحلة العساكرة واللفتة . وفي مهروت فرع منها

---

(١) عشائر العراق ج ٣ ص ٥٩ ـ ٦١

اسمه الرواشد . وقد ذكر المؤلف اسماء رؤساء بعض هـذه الفروع دون بعض .

٣ ــ البو محمد [١] :

قال العزاوي عزوا الى الحيـدري انها من عشائر زبيـد ، وان رؤساءها من العزة . وعقب على ذلك بقوله ان اصل هـذه العشيرة « العزة » ودخل فيهـا عشائر زبيدية كثيرة فغـدت تتسم بسمتهم . وتسكن في جانبي دجلة في محل يقال له نهر أم الجمل ويمتد الى تربـة العزير . وفروعها بيت لويلو والبو عبود والشدة والبطابطة والحمران وبيت نصر الله والفريجات . وكل من هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية ولكل منها رئيس خاص .

ويلحق بهذه القبيلة عشائر ليست من ارومتها على طريق الولاء والحلف مثل المخاورة والبهادل والبو زيد .

٤ ــ السواعد [٢] :

وهي من العشائر الزبيدية تمت الى فرعي السعيد والجحيش ثم مالت الى الجزائر وغدت مستقلة . وفروعها بيت زامل ورئيسه بن زامل وبيت عبد السيد ورئيسه بن السيد والكورخة ورئيسه ابن حميدان . وبتفرع عن الاول اثنى عشر فرعا وعن الثاني عشرة وعن الثالث احـد عشر فرعا .

٥ ــ آل ازيرج (ازريق) [٣] :

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان بعد السواعد فرقتين . همـا ازيرج المنتفق وازيرج العمارة .

---

(١) ص ٧٢ ــ ٧٦ (٢) ص ٦٨ ــ ٧٢ (٣) عشائر ج ٢ ص ٦١ ــ ٦٨

وقال تحت عنوان ازيرج المنتفق انها من القبائل الحميرية التي ساكنت العدنانية ونخوتها حمير وآل محمود واخوة باشه وغالبها في لواء المنتفق وتسكن الجزيرة من انحاء الفرات واراضيها البطنجة وام الدود والسبل ورئيسها بن بطي • وهي كثيرة العدد وفروعها البوناصر والبو حميرة والبو حوالة والبو وطيوط وآل سهلان والبو يوسف والبو سعد وكل منها تتفرع الى فروع عديدة ولكل منها رئيس خاص •

وقال تحت عنوان ازيرج العمارة ان رئيسها ابن المنشد ونخوتها حمير • وهي في المجر الصغير • وفروعها البوعطوان وآل ربيع والحريشيون والسواعد وكل منها يتفرع الى فروع • ولكل منها رئيس خاص •

ولقد قال العزاوي في خاتمة بحث الازيرج ان الملحوظ ان عشائر الارياف متداخلة جدا ومن العسير فصل بعضها عن بعض • وقد عد هذه العشائر زبيدية وحميرية بناء على ما بينها من اتصال وتقارب •

زبيد الاصغر

ذكر العزاوي بعد الازيرج وتحت هذا العنوان عددا كبيرا من القبائل وفروعها • وقد جعلها في مجموعات او حلقات •

الحلقة الاولى : الجبور

ذكر تحت هذا العنوان خمس قبائل رئيسية كما يلي :

١ ــ الجبور [١] :

قال المؤلف انها من زبيد الاصغر المنبثة في انحاء عديدة من العراق

---

(١) ج ٣ ص ٨٨ ــ ٩٣

ولها كثرتها في مجموعات • وتمت الى عمرو بن معدي كرب الزبيدي وبينها وبين العزة والدليم والعبيد وجبور نجد قربى متواترة تدل على ان جميعها من زبيد • ومواطن الجبور لواء ديالي ولواء بغداد واليوسفية ولواء الحلة وانحاء الموصل وفي الزاب الكبير وفي الخابور وفي الديوانية • وليست لها نخوة عامة • فمن فروعها من نخوته حسير ومنها من نخوته اولاد جبر ومنها من نخوته اولاد المر • وليس لها رئيس عام ولكل فرع رئيسه الخاص •

وفروعها الكبرى (البو سالم) ورئاسته لابن النادوس و (البو عامر) — وليس له رئيس عام — و (البو نجاد) وليس له رئيس عام و (الهيجل) ورئاسته لابن عبد ربه و (البو عميرة) ورئاسته لابن المهيدي و (الكضاه) وليس له رئيس عام و (البو خطاب) ورئيسه ابن محجوب • واكثر هذه الفروع يتفرع الى فروع وفروع فروع بحيث يبلغ العدد نحو الستين •

٢ — جبور الوادي [٢] :

قال المؤلف ان هذه القبيلة من الهيجل وهي في انحاء الموصل في قرية جهينة من حمام علي ورئاستها لابن العطا الله ونخوتها (اخوة واوية) ومنها جماعة في انحاء الحلة والرميثة • وعددها نحو عشرين الفا • وفروعها (الجوازرية) والرئاسة فيه لآل خليل و (الجوزر) ورئاسته لابني ناصر وفدعم و (بنو منصور) ورئاسته لآل عناد و (آل ودوي) ورئاسته لابن الدبي و (الجميعان) ورئاسته لابن عبد المحسن و (عمر لنك) ورئاسته لابن الحسن و (البو جمال) ورئاسته لابن ضايف و (الصفران) ورئاسته لابن طعان و (البو عكة) ورئاسته لابن المهنا و (العامر) ورئاسته لآل سليمان و (العوديون) ورئاسته لآل شعلان و (البو عبيد) ورئاسته لابن العبود و (جبور الهور)

---

(١) ج ٣ ص ٨٨ — ٩٣

ورئاسته لآل عامر و (آل شكر) ورئاسته لابن حمادي و (البو شيخ علي) ورئاسته لابن العبيد و (البو غياض) ورئاسته لابن سايب و (الجنابات) ورئاسته لآلحسين و (آل عيسى) ورئاسته لابن البريسم وابن المشعان و (آل طرودي) ورئاسته لابن العبود و (آل مغيطي) و (البو رجان) و (الحفريان) ولم يذكر المؤلف للفروع الثلاثة الاخيرة رؤساء .

وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية .

وهذا عدا الجبور الذين هم في الرميثة من السماوة والذين ذكرهم المؤلف لحدتهم وقال ان رئاستهم لآل حبيب ونخوتهم (عجمي) وفروعهم (المهادي) و (آل ملاعب) و (البو صرار) و (البو سعد) و (الحديان) و (البو مرجان) و (البو نصار) و (البوكوس) و (اللحافات) و (آل جبال) و (الصفران) و (آل حسين) و (آل عامر) .

٣ ــ اللهيب [١] :

قال العزاوي انهم يعدون من الجبور ومنتشرون كثيرا وهم مستقلون في عشائرهم وفروعهم ولذلك افرد لهم ذكرا خاصا .

وفروع هذه القبيلة : ١ ــ الدوايخ والدرافلة مع زوبع ، ٢ ــ ومنهم مع الاسلم في الصايح ، ٣ ــ البو غافل والزغمان مع طي في لواء اربل ، ٤ ــ الجغيفات والمرهج والجمعة وهم متفرقون في بغداد والحلة ولواء ديالي ومنهم أسر في نفس الموصل ، ٥ ــ الرحال في قرية الحورية في الجرناف ورئيسه ابن العبد الله ، ٦ ــ الحجازيون في الحورية ورئيسه بن الزويد ، ٧ ــ الدويزات في مقابل القيارة ورئيسه ابن الحجي ٨ ــ البو رحيل في ابي جردة ورئيسه ابن الشحاذة ، ٩ ــ الصاتلمش

---

(١) عشائر ج ٢ ص ٩٣ ــ ٩٥

في شمامك ورئيسه بن حميد ، ١٠ البو مراد .

ومع اللهيب الشللة من بني سبعة في انحاء الموصل ورئيسها ابن البحر ونخوتها العرجة التي هي نخوة اللهيب وتتفرع الى خمسة فروع هي البو فضل والبو سرور والرايخ والشباع والدرفيل .

ومع اللهيب ايضا الكريعات في ناحية المحاويل ورئيسها ابن الهندي وفروعها البو كرير ـ و ـ البو حسن ـ و ـ البو عبيد ـ و ـ الدبيسات ـ و ـ البو صالح ـ و ـ البو شادوش . ولكل من هذه الفروع رئيسه الخاص .

٤ ـ الجفانية [١] :

هناك من يجعل هذه القبيلة من الجبور وهناك من يجعلها من اللهيب . وهي من اللهيب ولكنها استقلت وسكنت مع الدليم فوق عانة في الجزيرة وفي الزوية قرب عانة . وفروعها البو عجاج ورئاسته لابن السلامة ـ والبو دعيج ورئاسته لابن العياش ـ والبو علي ورئاسته لابن الدعبول ـ والبو خلف ورئاسته لابن السطم . وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية عديدة .

٥ ـ الشرابيون [٢] :

قال العزاوي ان هناك من يعد هذه العشيرة من لواحق الجبور والحال انها عشيرة قديمة وكثيرة . وهي مع ذلك كالجبور من نبعةواحدة على كل حال . ونخوتها « العمر » وفروعها البو صالح ورئاسته لابن النمر والبوخوشي ورئاسته لابن ويسي والبو حسن ورئاسته لابن اليوسف والزعازعة ورئاسته لابن الرحيم ويبلغ عدد بيوت الشرابيين عشرة آلاف منهم جماعة تجاه زاخو في فيتس خابور وفي سورية على

---

(١) ج ٣ ص ٩٥ ـ ٩٦ (٢) عشائر ج ٣ ص ٩٧

حدة وطي وفي نهر الرد وتسمى اراضيهم الصفرة ورئيسهم خلف الدهام .

الحلقة الثانية : الجنابيون

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان قبيلتين :

١ ـ الجنابيون :

قال انها من العشائر الزبيدية وان لها مكانتها وان قسما منها بين الثرثار ودجلة في اراضي صيخية والزبيدي وقسما في الاسكندرية من المسيب وفي جرف الصخر وفي شيشبار واللطيفية وقسما منها في انحاء تكريت . وان نخوتها العامة اولاد عكاب وان الرئاسة في انحاء تكريت لابن مهدي وفي انحاء الاسكندرية وجرف الصخر لابن العلي ، وان الذين في انحاء تكريت رحل يقتنون الابل والغنم . وفي انحاء المسيب والمحمودية يتعاطون الزراعة . ويسكن في بغداد عدد وافر منها . وفروعها الرئيسية : البو صكر والمراشدة والنوافلة والمصالحة والبو حسون والبو مهلهل والبو مريود والكواصمة . وكل من هذه الفروع يتفرع الى فروع ومنها ما يتفرع منه فروع فروع ايضا بحيث يزيد عدد الفروع وفروع الفروع على الخمسين . ولكل من الفروع وفروع الفروع رئيس خاص [١] .

٢ ـ الجنابات :

اصل هذه القبيلة من الجنابيين افترقت عنهم وتفرقت في انحاء عديدة تحت هذا الاسم وليس لها رئيس عام .

---

(١) ج ٣ ص ٩٧ ـ ١٠٤

وفروعها الفضيلات ورئيسه ابن آل مهدي ويقيم في الشامية ـ والعكلات ورئيسه بن جرو ويقيم في المشخاب والمهناوية ـ وآل حسينة ورئيسه ابن السلمان ويقيم في هوا الشامية ـ وآل سلط ورئيسه ابن حسين ـ وآل رحال ورئيسه بن آل عبيس ـ وآل زعتر ورئيسه ابن عمشان [1] .

الحلقة الثالثة : الدليم

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان عددا عظيما من القبائل وفروعها وملحقاتها كما يلي :

١ ـ الدليم :

قال العزاوي انها من زبيد وان لواء الدليم يتكون من اغلب هذه العشيرة وان اكثرها يتعاطى الزراعة وقسما منها لا يزال على البداوة ، وقال عن اسمها نقلا عن ابن دريد انه تصغير أدلم بمعنى الاسود . وكثرة الدليم على ما قاله في ساحل الفرات الاعلى من انحاء الرمادي في جانب الجزيرة الشامية .

ويتفرع الدليم على ما يعزوه العزاوي الى بعض شيوخهم الى ثلاثة فروع رئيسية متفرعة عن ثلاثة اجداد لهم هم خميس جد المحامدة وجمعة جد القتلة وسبت جد الباقين .

وفرقة الرؤساء من سبت . ونخوتها رديني وهو اسم احد اجدادها أيضا . وهي متفرعة الى فروع وفروع فروع . ورئاستها لابن السليمان . وفروعها الرئيسية هي البورديني ـ والبو خليفة ـ والبو مرعي و البو سالم ـ والبو نمر ـ والبو جليب ـ والبو فهد ـ والبو علوان

---

(١) عشائر ج ٣ ص ١٠٤ ـ ١٠٥

ـ والحلابسة ـ والبو عبيد ـ والبو بالي ـ والكرابلة ـ والملاحمة .

وكل من هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية عديدة حتى يبلـغ عدد الفروع والفروع الفروع نحو التسعين ولكل منها رئيس خاص .

والرئاسة في فرقة خميس والمحامدة لابن الشلال ونخوتها خميس وتسكن من سن الذبان من الفلوجة الى حدود البو علوان في اراضي الزوير ومنها جماعة في التاجي . وفروعها الرئيسية هي البو عزام ـ والبو ذياب ـ والبو شهاب ـ والمصالحة ـ والحجاليون ـ والبو عكاش ـ والبو طعمة ـ والفلاحات ـ والجريصات ـ والشيحة ـ والبو كرينع ـ والبو خميس ـ ودليم الخضر ـ والخوابرة ـ والمشالك ـ والبو سلطان ـ ودليم المالح ـ ودليم الصباح ـ والعواصم . وكل من هـذه الفروع يتفرع الـى فروع بحيث يبلغ العـدد اكثر من سبعين [1] .

وهناك عشائر ملحقة بسبت وخميس عاشت بينهما وصارت كأنها منهما وهي البو حيات ـ والقراغول [2] ـ والمراشدة ـ والتراجمة ـ والشواولة . ولكل منها رئيسه الخاص . وبعضها يتفرع الى فروع ثـانوية [3] .

وبالاضافة الى هذه العشائر الملحقة بسبت وخميس ذكر المؤلف اسماء بضـع عشائر في السلسلة بعـدها وقال انهـا تساكن الديلم . وهـي :

---

(١) عشائر ج ٣ ص ١٠٥ ـ ١٢٧

(٢) يقول العزاوي في تعليل هذا الاسم ان المغول استخدموا بعض قبائل عربية حراسا لمحافظة الطرق وسموهم بهذا الاسم الذي صار يعنى في اللغة التركية العثمانية « مخفر » او « حرس » ثم تكونت من هذه المخافر او الحرس مجموعات حافظت على الاسم الذى سماها به المغول ج ٣ عشائر ص ١٢٨ وهذا الاسم يتكرر في قبائل اخرى حتى ان هناك قبيلة قائمة بذاتها بهذا الاسم على ما سوف يرد بعد .

(٣) ج ٣ ص ١٢٧ ـ ١٢٩

١ ـ العكيدات: وقال المؤلف انها من العشائر المعروفة في العراق ورئيسها بن جمال او ابن كمال • وفروعها البو جمال او البو كمال ـ والبو جامل او البو كامل ـ والبو خابور والبو سرايا ـ والشويط ـ والجحيش •

ثم قال بعد هذا ومن عشائرهم في العراق ـ والمتبادر انه يقصد العكيدات ـ البو عيلات ـ والبو مريج ـ والبو اسماعيل ـ والجرابعة ـ والظريفات ـ والبو دلو ـ والبكر ـ والظواهر ـ وآل عزو في الموصل والبو سرايا في الموصل • ثم ذكر عددا آخر من هذه العشائر وهي : البو علي ـ والبو سويلم ـ والبو حسن ـ والبو داني ـ والجملان ـ والبو موسى ـ والبو فرج ـ والبو بيدر ـ والشعيطات•

وبعض هذه العشائر يتفرع الى فروع ولكل منها رئيسه الخاص [1] •

٢ ـ الشجيرية : وهي من سلسلة العشائر التي تساكن الدليم ورئيسها ابن الجسام • واصلها من زبيد وهناك من يقول انها من شمر• وقسم منها مع شمر طوقة وفروعها البو زامل ـ والبو سعدي [2] •

٣ ـ الكرطان : وهي من نفس السلسلة • اصلها جيس او قيس ونخوتها العامة ناصر وهي نخوة الدليم ويسكن قسم منها مع الدليم وقسم آخر في مواطن اخرى • وفروعها البو عبوس والبو فارس ـ والبو سليمان ـ والبو حبيب ـ والبرطلية ـ وبو عثمان ـ وبو علي ـ والبو شيخان ـ والبو حسن ـ والبو سويد ـ والدراوشة ـ والبو يونس ـ والبو حبر • ولكل منها رئيسه الخاص • ومن هذه الفروع من يسكن في الدجيلية ومنها من يسكن غربي المحمودية القديمة ومنها من يسكن في اليوسفية ومنها من يسكن في بزاير ابي غريب ومنها من يسكن في الهندية ومنها من يسكن في شعاثا • وبعضها يتفرع

---

(١) ج ٣ ص ١٢٩ ـ ١٣٥

(٢) نفس المصدر ص ٣٥ ١ـ ١٣٦

الى فروع ثانوية عديدة (١) .

٤ ــ البو شعبان :

وصف العزاوي هذه القبيلة بانها بطن من حمير من القحطانية ، وقال مع ذلك عزوا الى كتاب عشائر الشام انها من زبيد وتمت بنسب الى عمرو بن معدي كرب ، واكثرها في بلاد الشام واقلها في العراق بين عشائر الدليم (٢) .

٥ ــ البكارة :

وصفها العزاوي بانها من العشائر الزبيدية وان اصلها في انحاء الشام وقليلا منها في لواء الدليم ورئيسها هنا بن حميد وفروعها البو علي والبو مفرج . ويسكنون في الجزيرة وفي الكرمة من مواطن الدليم (٣) .

٦ ــ الجميلية :

قال العزاوي ان هذه القبيلة تساكن الدليم وعاشت معهم واكتسبت عوائد كثيرة منهم . وهي عشيرة كبيرة من العشائر القيسية وقسم منها رحالة . وقسم منها في الكرمة وقسم منها في هور مكركوف ونخوتها عايد ورئاسة الجماعة التي في انحاء الكرمة لابني العباس والظاهر وتعد نحو ١٣٠٠ او ١٤٠٠ بيت . وفروعها البو جاسم ــ والبو جريو ــ والمرمي ــ والبو راشد ــ والبو حمد ــ والبو سويد ــ والبو نوفل ــ والبو شريعة ــ والبو بيبي ــ والبو ثابت ــ والبو حمدان ــ والبو جرير ــ والبو علي المحمد . وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع كثيرة حتى يبلغ عدد فروعها وفروع فروعها الخمسين . ورئيسها

---

(١) ج ٣ ص ١٣٦ــ١٣٧ (٢) ص١٣٨ (٣) ص١٣٨ــ١٣٩ واسمها في عشائر الشام البقاره .

العام ابن الهنـدي • ولكل فروعهـا رئيس خـاص في الـوقت نفسـه [1] •

خلفة جمعة آل فلته :

القبائل المذكورة سابقا هي من فرعي السبت والخميس الدليميين وملحقاتهما • وقد بقي الكلام على فروع الجمعة منهم •

وقد ذكره العزاوي تحت هذا العنوان وقال انه من عشائر الدليم الكبيرة المعروفة • تقادم انفصالها وسكنت مواطن اخرى متنقلة من واحد الى آخر • ولا تتشابه مع الدليم الا في نخوة « اولاد ناصر » وقد اختلطت بهم عشائر اخرى من غير ارومتها • ومنها الآن من يسكن في الهندية ومن يسكن في المهناوية أو في المشخاب والشامية • ورئاستها في آل فرعون • وفروعهـا الرئيسيـة : آل دليهم ـ وآل كيتم ـ وآل عزيز ـ والضيادة ـ والبو موسى ـ وآل اسماعيل ـ والبو حسن ـ والبو محاسن ـ والبو جاسم ـ والعوامر ـ والدغاغلة ـ والعبودة ـ والمراشدة ـ والزرقات ـ وبني سالة • ومنها ما يتفرع الى فروع كثيرة حتى يبلغ عدد الفروع وفروع الفروع نحو التسعين • ولكل من الفروع وفروع الفروع رئيسه الخاص [2] •

العبيد :

قال العزاوي عن هذه القبيلة انها من زبيد الاصغر ورئـاستها لآل الشاوي • وينطوي فيها قبائل عديدة كما يلي :

١ ـ خلفة مشهد وفروعها البو شاهر والمشاهدة والاول يتفرع اثنى عشر فرعا والثاني ستة فروع رئيسية واثنى عشر فرعا ثانويـا • ولكل منهم رئيس خاص • ويسكن بعض فروعها في الحويجة وبعضها

---

(١) ج ٣ ص ١٣٩ ـ ١٤٣

(٢) ج ٣ ص ١٤٣ ـ ١٥١

في انحاء الزاب الادنى وبعضها في اليوسفية ، وبعضها في انحاء حمام علي قرب الموصل ، ولكن اكثرها في الحويجة [1] .

٢ ــ خلفة علي : وتسكن في الحويجة وما جاورها ، ومنها جماعة كبيرة في الاعظمية ، ورئيسها ابن الروضان وفروعها : البو هويشل ــ والحمران ــ والبو مسعود ــ والبو فضل ــ والبو حاضر ــ والذويبات ــ والعساجرة ــ والحسيوات ــ والمعاجلة ــ والحمور [2] .

٣ ــ خلفة حازم : وتسكن في الحويجة كذلك وفروعها البو عساف ــ والبو حسان ــ والبو صالح ــ والاول يتفرع الى اربعة فروع ثانوية اخرى ، ولكل من الفروع وفروعها رئيسه الخاص [3] .

٤ ــ خلفة دويمع :

يسكن بعض فروع هذه القبلية في اليوسفية وبعضها في الحويجة وبعضها في انحاء الضلوعية التابعة لسامراء وبعضها في لواء ديالي وبعضها في لواء كركوك ولواء بغداد ولواء الموصل ولواء الحلة ولواء الدليم ، ومال كثير منها الى المدن .

وفروعها الرئيسية : البو هيازع ــ والبو عكلة ــ والبو رياش ــ والبو جهيمي ــ والبو غنام ، ويتفرع بعض هذه الفروع الى فروع ثانوية كثيرة ، ولكل منها رئيسه الخاص ، وقد اشتهر بعض زعمائها من آل الشاوي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وكانت لهم مشاركة في احداث العراق الحكومية على ما ذكره العزاوي في كتابه تاريخ العراق [4] .

٥ ــ العزة :

قال العزاوي عن هذه القبيلة انها من زبيد الاصغر وهي واسعة

---

(١) ص ١٥٢ ــ ١٥٤

(٢) ص ١٥٤ ــ ١٥٥

(٣) ج ٣ ص ١٥٥

(٤) ج ٣ ص ١٥٦ ــ ١٦٢

النطاق معروفة في لواء ديالي • وقسم كبير منها في لواء بغداد واقسام أخرى في الوية الموصل وكركوك والحلة والدليم والكوت والعمارة •

وقد نقل عن بعض المؤرخين ما يفيد انه كان لهاذكر وشأن في العراق • واشار الى بعض مراسيم سلطانية عثمانيـة صدرت لبعض زعمائها باقطاعهم بعض الاراضي في القرن الحادي عشر والثاني عشر • وقد اهتم المؤلف لتسجيل اكثر شيء يمكن عن هـذه القبيلة لانـه ينتسب اليها •

وفروعها او عشائرها الرئيسية هي البو جواد ، وفيه بيت الرئاسة والبو عواد ـ والبو بكر ـ والبو فراج ـ والشمطة • وكل من هذه العشائر تتفرع الى فروع ومنها ما يتفرع الى فروع فروع حتى لببلـغ عددها مئة وزيادة ، ولكل منها رئيسه الخاص •

وهناك عشائر ملحقة بالعزة ، منها القراغول وهم يعدون من العزة ومنها السريوات ومنها الفريشات • وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية • ولكل منها رئيسه الخاص كذلك (١) •

وقد استطرة المؤلف الى عشائرالعزة خارج العراق في نجد وفلسطين فلم نتابعه في ايراد ذلك لان المقام لا يقتضيه •

وتنتهي هنا حلقة الدليم التي يدل ما اوجزناه عنها على سعـة نطاقها وكثرتها • وقد ذكرها العزاوي اكثر من مرة في كتابه تاريخ العراق بين احتلالـين باسلوب يـدل على مـا كان لها من نشاط وحيوية أيضا (٢) •

عشائر زبيدية وحميرية اخرى

ذكر المؤلف تحت هذا العنوان قبائل عديدة اخرى :

---

(١) ج ٣ ص ١٦٢ ـ ١٨٨

(٢) انظر ج ٦ ص ١٣٨ ـ و ٢١٥ و ٢٤٨ و ٢٦٤ ـ ٢٦٥

منها البدير : وقال انها تعد من العزة • وهي في الدغارة والشامية ورئيسها ابن الشهد • وفروعها الفراحنة والبو خلف والبو سعد وبولان والسندال وبنو حجيم والبو جاسم • ولكل منها فروع ثانوية ولكل فرع رئيسه الخاص [١] •

ومنها الحديديون : وقال ان قسما منها يدعي انه من زبيد • واكثرها رحل وقليل منها يسكن القرى • وهي في انحاء الموصل •

وفروعها : المطاوحة والكواصمة والبو دروبي والملاوحة والشويجات والسويفات والاكعد والبو كضيب والبو سويدان والنوافلة • ورئيس القسم الزبيدي ابن الورشان • ورئيس سكان القرى ابن الشهاب مع احتفاظ كل فرع برئاسته الخاصة [٢] •

ومنها خسرج (الخزرج) : وهي متفرقة في مجموعات قليلة منها جماعة في شرقي البو جواري وجماعة في سميكة وجماعة في اراضي شطيطة واخرى في مندلي واخرى في ارض السيافية وفي انحاء العنبكية •

والذين في شرقي البورجواري ثلاثة فروع هي البومسار والبو فلاح والمعامير [٣] •

ومنها بنو ركاب (بنو رجاب) : وتسكن في التساعين والرشيدة والحجاميات وام الدانك والرديوة وام الطعيم والصفاوة في داخل قضاء الرفاعي • وتعد من عشائر الاجود • وفروعها الرئيسية : آل عايد — وآل صالح — والجابر — والبو غوينم — والبو عطا الله — وآل حاتم •

وكل منها يتفرع بدوره الى فروع ثانوية حتى يبلغ العدد نحو اربعين • ولكل منها رئيسه الخاص [٤] •

---

(١) ج ٣ ص ١٨٨ — ١٩٠
(٢) ص ١٩٠ — ١٩٢
(٣) ج ٣ ص ١٩٢ — ١٩٣
(٤) ص ١٩٣ — ١٩٧

العشائر الطـائية

عقد المؤلف العزاوي هذا الفصل بعد انتهاء كلامه عن العشائر الزبيدية على اختلافها • وقال في اولــه ان العشائر الطائيــة تشارك الزبيدية في نسب قحطان • واذا كان للعشائر الزبيدية الاثر الكبير في فتح العراق فان العشائر الطائية سكنته من القديم وكــان لها فيه امارة وصار لها في عهد المغول ومن بعدهم الصوت الاعلى واكتسبت امارتها المكانة الممتازة وكانت الدول تخطب ودها في الشام ومصر والعراق • ثم اورد نبذة مقتضبة في تفرع بيت الامارة • واخذ بعد ذلك يذكر العشائر الطائية •

والامارة الطائية التي اشار اليها المؤلف هي التي كتبنا عنهــا نبذة خاصة في فصل الارومات العربية البارزة في مجال الحكم والسلطان في شمال سورية والفرات في الجزء الاول من هذا الكتاب • ونشير بهــذه المناسبة الى امارة بني عليان في منطقة الموصل فهي الاخرى طـائية • وقــد كتبنــا نبذة عنهــا في فصل الارومــات البارزة في مجــال الحكم والسلطان والعراق ، ولقد امتد انتشار الطائيين الى فلسطين ايضا ، وكان لهم فيها بروز في مجال الحكم والسلطان على ما اوردنــاه في بعض الفصول السابقة من هذا الجزء •

واليك الآن ما ذكره العزاوي من فروع القبائل الطائية الريفيــة في العراق •

١ ــ عشائر شمر الطائية :

قال المؤلف في صدد الكلام عن هــذه العشائر ان كلامنا هنــا عن عشائر شمر الريفية • ولقد ذكرنا منها في الجزء الاول شمر طوكة

وزوبع والجدادة والمسعود فلا نرى ان نعود الى ذكرها ثانية • وسنكتفي بذكر ما لم نذكره [1] •

فمن ذلك بنو سعد : وهي ريفية والاقوال فيها متضاربة ولكن الشرية غالبة عليها • وفروعها (البو علي) ورئيسه بن جار الله ويسكن في قرية السعدية وفي ناحية بني سعد في قضاء الخالص • و (الرباح) ورئيسه بن العاشور و (الزريرات) ورئيسه ابن العزير ويسكن في المسيب و (المحامدة) ويسكن في كربلاء ومنه جماعة في ناحية خان بني سعد [2] •

والشمامرة : وهي ريفية تسكن في مقاطعة الناصرية من المسيب وفروعها (الجراونة) ورئيسه ابن العوفي و (الجدي) ورئيسه ابن الخريبط و (العبودي) ورئيسه بن النمل [3] •

والجعفر : وهو في مهروت ورئيسه بن الدنبوس • وفروعه العوادل والبو شديد والشهيلات والسكوك والبو نصيف [4] •

والاكرع : يسكن غالب هذه العشيرة الدغارة • وفروعها (آل احمد) ورئاسته لآل رسن و (البو نايل) ورئاسته لآل محمد و(العمرو) ورئاسته لابن السلمان و (آل شبانة) ورئاسته لابن العطية و (الكروش) ورئاسته لآل الرشيد و (الهلالات) ورئاسته لابن الصالح و (المجابر) ورئاسته لابن الجبار و (آل خليفة) و (الطواريف) ورئاسته لابن الحميد و (البو عزيز) ورئاسته لابن الجبر • ومعظم هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية كثيرة بحيث يبلغ العدد نحو الاربعين [5] •

والبو حسان : تسكن هذه العشيرة في الرميثة في اراض واوبة

---

(1) ج ٣ ص ٢٠٣ — ٢٠٤

(2) ص ٢٠٤ — ٢٠٥

(3) ص ٢٠٥

(4) ص ٢٠٥

(5) ج ٣ ص ٢٠٥ — ٢٠٨

والعوجة ومنها جماعة تسكن في لواء العمارة • ورئاستها لابن الناصر • وفروعها (آل خميس) ورئاسته لابن عريعر و (آل عبد الحسين) ورئاسته لابن العبد و (آل جليل) ورئاسته لآل محمد و (آل عبس) ورئاسته لابن الرحال و (والبو عينين) ورئاسته لابن حمادي و (آل سحور) ورئاسته لابن الوالي و (الجلابطة) ورئاسته لابن الصياد و (الحماش) ورئاسته لابن الناصر • وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع اثنوية لكل منها رئاسته الخاصة [1] •

٢ ــ عشائر بني لام :

ذكر العزاوي هذه العشائر في سلسلة العشائر الطائية وقال انها لا تزال اقرب الى البداوة منها الى الحضارة وان كان مكانها محدودا وتتعاطى تربية الماشية • وقد سيطرت في القديم على اكثر بقاع لواء العمارة وكان هناك عشائر عديدة تابعة لها • ثم انفصلت عنها فانحسر نفوذها ولا توازيها من عشائر طي الا شمر • وهي من اقدم العشائر التي احتفظت باسمها القديم • وقد امتدت سلطتها قديما من القرنة الى الشاطىء الشرقي من نهر ديالي قريبا من بغداد • وكان لها في التاريخ وقائع حتى ان تاريخ لواء العمارة متكون من حوادثها • وكانت بمثابة صاحبة الامارة او الاقطاع او الالتزام في هذا اللواء • وقد كانت من سكان جبلي اجا وسلمى ونزحت الى العراق في القرن الثامن الهجري • والرئاسة فيها لاسرتي جنديل وعرار ، مع تعدد الرؤساء من كل منهما في وقت واحد [1] •

وعشائر بني لام المعروفة الاصلية ثلاث وهي آل نصيري وآل نصار والحويفظ • وفروع الاولى (الطعان) و (المعلني) و (العبد الشاه) و (آل عبد الخازن) و (البلاسم) و (عبيد الشويخ)

---

(١) ص ٢٠٨ ــ ٢١٠

(٢) ج ٣ ص ٢١٠ ــ ٢٢٣

و (الزبود) و (الحمد) و (الظاهر) وهو بيت الرئاسة . وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع ولكل منها رئيسه الخاص . وفروع الثانية (الرحمة) و (الخميس) و (المرمر) ورئاسة الاول لبني مشكور واليوسف والمولى والثاني لابني الخميس والعباس والثالث لابن نصار. ولم يذكر المؤلف عن العشايرة الثالثة الا قوله انها تدعى انها من اولاد حويفظ بن براك وانها فخذ برأسها [1] .

ثم ذكر العزاوي اسم عشيرة (جنانة) كعشيرة ملحقة ببني لام وقال ان بعض العشائر مالت الى بني لام بسبب ما اكتسبت عشيرتهم من مكانة وصارت تعد بمرور الايام منهم مع انها لا صلة نسبية بينها وبينهم ومنها ما هو من جذم عدناني . ونقل عن كتاب تركي اسماء عشائر بني سالة والبو دراج والرستيم والبو فرادي والذهبيات وبيت علاك وبيت دجن والنجاة وبيت دخيل وساءه وبيت هماش كعشائر ملحقة ببني لام . أما هو فلم يذكر غير جنانة التي تتفرع الى ستة عشر فرعا وهي الكمر والدريسات والخسرج وبنو عكة والصكور والشياخنةوكعبوالزبيدات والدلفية والصبيح والجمالة والبهادل والمواجد والفراكي والسراي والابيض . وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع عديدة . ولكل منها رئيس خاص . وبعضها قحطاني وبعضها عدناني [2] .

ثم ذكر العزاوي تحت عنوان عشائر بني لام الاخرى العشائر التالية :

١ ــ الغزي : ورئاستها لآل حبيب ونخوتها اولاد محفوظ ورؤساؤها زراع . وفروعها (آل موليه) و (آل بو برهي) و (آل نصير) و (آل مويجد) و (الطحيلات) و (الطوامي) . ويتبعهم آل طشيش من الاعبس وآل غزيج من بني اسد .

٢ ــ البو علي : ورئاستها لآل جودة ونخوتها علاوشة . وفروعها

---

(١) ص ٢٢٣ ــ ٢٢٥ (٢) ج ٣ ص ٢٢٥ ــ ٢٢٧

(الشويبات) و (آل بصري) و (آل جريب) و (المجانية) •

٣ ــ آل غفلة : ورئاستها لآل حشل • وفروعها (العرار) و (آل زريف) و (آل شهاب) و (آل شناتي) •

٤ ــ آل صوايح : ورئاستها لآل دريعي وفروعها (آل صوايح) و (آل بصل) و (البو خبيرة) و (البدة) و (الشبيب) •

٥ ــ آل الاجود : ورئاستها لآل تولة وآل ظفير وآل نهاب وفروعها (البو حمد) و (السويديون) و (البو نصيري) •

٦ ــ آل بو غنم : ورئاستها لآل صراخ •

٧ ــ أهل العرجة : ورئاستها لآل مرزوك • وفروعها (البو عبد الحسن) و (المصطفى) و (السحوم) و (العمر) •

٨ ــ آل عليوي : ورئاستها لآل مصعط وآل مهنى وآل نعيمة وهي رحالة • وفروعها (آل كريم) و (آل خشيلة) و (آل رميض) •

٩ ــ آل معن : ورئاستها لآل حسين وآل ضياح وآل جرمد وفروعها (المويلحيون) و (آل سلمة) و (البو عكاب) •

١٠ ــ آل حسين : وفروعها (الكوام) و (البوزركة) •

١١ ــ آل نصر : ورئاستها لآل مزيغل وآل فهد وآل هداد •

١٢ ــ آل فرطوس : ورئاستها لابن الفارس • وفروعها (آل عطاس) و (البو زبارة) و (البوارس) و (العبادة) و (آل سلمة[1]) •

ويلحق بهم العشائر التالية :

١ ــ العبيد : ورئاستها لابن شيخان • وفروعها (الاعجام) و (الهطراويون) و (الخبال) و (الجديح) •

---

(١) ج ٣ ص ٢٢٨ ــ ٢٣١

٢ ـ آل بدر : وفروعها (البو عبيدة) و (البو ضويو) و (آل صياح) و (آل بو حسون) .

٣ ـ البو طبر : ورئاستها لآل مايع وآل صفحي . وفروعها (آل وايل) و (آل بورسن) و (البو طبر) و (آل مساليم) (آل شهد) .

٤ ـ البو نوار : ورئاستها لآل فرحان وفروعها (البو نوار) و (آل غرير) و (آل وازي) و (آل جدوع) و (آل جدوع) و (آل حرة) و (آل طعس) .

٥ ـ الشريفات : ورئاستها لآل حايف وآل دويان وآل صالح وآل مشاي وفروعها (آل عويد) و (آل الشريف) و (الدرواشة) و (آل صلال) و (آل طوى) و (آل عاصي) .

٦ ـ الجري : ورئاستها لابن الكبيح . وفروعها (الدريس) و (المحمد) و (العبابسة) و (النيوس) و (آل نبهان) و (الرفيعات) [1] .

وهنا ينتهي الكلام عن بني لام وهم على ما يفيده الكلام من العشائر العراقية المهمة في كثرتها وتفرعاتها . وقد ذكرهم العزاوي في كتابه تاريخ العراق بين احتلالين مرارا في مجال حوادث العراق والنشاط القبيلي فيه منذ القرن الحادي عشر باسلوب يدل على ما كان من شأن وحيز إيضا [2] .

٣ ـ القشعم (الجشعم) :

قال العزاوي ان هناك من يقول ان قشعما هو ربيعة بن نزار

---

(١) ج ٣ عشائر ص ٢٣١ ـ ٢٣٤

(٢) انظر تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١١٥ و ١٤٠ و ١٥١ ـ ١٥٢ و ١٦٤ ـ ١٦٥ و ١٨٦ ـ ١٨٧ و ١٩٢ و ١٩٥ و ١٩٧ و ٢٥٢ ـ ٢٥٣ و ٢٥٥ و ٢٦٤ و ٢٧١

العدناني وهناك من يقول انه من بني السماء القحطاني وانه وصل في دراسته الى ان هذه العشيرة من طي من قحطان ومن بني لام استقلت عنهم منذ امد بعيد . وصار لها كيان خاص . وقد كانت الرئاسة العشائرية لها مدة من الزمن ثم جردتها الايام من عشائرها فمالت الى الارياف وبقيت محافظة على بداوتها [1] . ويرجع تاريخ وجودها واسمها الى القرن الثامن وربما الى قبله حيث ذكر ابن الفرات على ما يذكره العزاوي في حوادث سنة ٧٩٥ هـ ان تامر بن قشعم نقم على الامير نعير امير طي فامر عربانه بالتوجه نحو نعير فجازوا على املاكه في البصرة فاستولوا عليها ونهبوها .

ومع ذلك فيستفاد من كلام المؤلف ايضا ان قشعم اسم امير نعشيرته . استطاع ان يوطد كلمته على عشائر عديدة فتسمت باسمه فلما تطورت الظروف وانعزلت العشائر عنه انفرد بعشيرته الخاصة التي ظلت تتسمى باسمه [2] .

ونخوة قشعم (عبد المشورب) وفروعها (الشيوخ) و (الناصر) و (آل جنعان) و (آل بندر) و (اللهيب) و (آل شليهب) ويلحق بها (المخالي) و (الشهبان) . ويساكنها (الجنابيون) و (المسعود) و (البو براطم) . وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية [3] .

ولقد ذكر العزاوي قشعما كثيرا في أجزاء كتابه تاريخ العراق بين احتلالين في مجال الاحداث باسلوب يدل على ما كان لهم من حيز ونشاط وحيوية [4] . وقد قال عنهم انهم من اكثر من القبائل ذكرا بين قبائل العراق بعد قبائل طي [5] . والمتبادر ان هذا يعود الى ظروف رئاسة قشعم على غيرها من العشائر على ما ذكرناه آنفا .

---

(١) ج ٣ عشائر ص ٢٣٤ (٢) ج ٣ عشائر ص ٢٤٣ ـ ٢٣٦ (٣) ص ٢٣٦

(٤) انظر ج ٤ ص ٤٩ و ٥١ ـ ٥٢ و ج ٥ ص ١٨٤ و ٢١٧ و ٢٤٠ و ٢٦٠ و ج٦ ص ١٢٧ و ١٣٨

(٥) ج ٤ ص ٢٤٥

٤ ـ عشائر سنبس :

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان التابع لسلسلة العشائر الطائية عشائر عديدة كما يلي :

١ ـ سنبس : قال المؤلف عنها ان غالب طي في العراق يرجع اليها الا انها استقلت عنها باسمائها الخاصة • ونخوتها معن • وتسكن في شمامك بين الزابين • ومنها ما يقطن في الزاب الاعلى ومن يقطن في قضاء مخمور من لواء اربل وكثير منها في بغداد ويعرفون بالطائية • ورئاستها لابن حمود صاحب قرى هويرة وزمزوك • وفروعها: (المدللين) ورئاسته لابن الكلبو و (الضريس) ورئاسته لابن العبادي و(الرشيد) ورئاسته لابن العباس و (الراشد) ورئاسته لابن الحسو ومنه جماعة في سورية و (العساف) ورئاسته لابن العبد الرحمن • ومنه جماعة في سورية و(الزرازير) ورئاسته لابن رومي و (المعاجلة) و (حرب) ورئاسته لابن الصالح و (السناجرة) ورئاسته لابن فتحي و (الجوالة) ورئاسته لابن عبد الله و (الحريث) ومنه جماعة في سورية و (البوشري) ورئاسته لابن عباس و (العاصي) و (الفليته) ورئاسته لابن معرف و (الغنامة) ورئاسته لابن اليوسف و (بنو فرير) ورئاسته لابن رومي و (المعامرة) ورئاسته لابن الغازل [1] •

٢ ـ البو عامر :

وهذه عشيرة من سنبس استقلت باسمها وتقيم في الراشدية واليوسفية وابي غريب وانحاء الحلة وقسم منها في الكوفة • ونخوتها العامة معن والخاصة كوشة • وفروعها (البو غزال) ورئاسته لابن الشيخان و (المواهبة) ورئاسته لابن الشبلي و (البو شعبان) ورئاسته لابن الدرويش و (البو خميس) ورئاسته لابن العلي و (الحرارنة)

---

(١) ج ٣ عشائر ص ٢٣٧ ـ ٢٤١

ورئاسته لابن المغير و (الكطيشات) ورئاسته لابن العباس و (الصباخنة) ورئاسته لابن العودة و (البو عيادة) ورئاسته لابن عساف (العميشات) ورئاسته لابن الهويجل و (البو غزلان) ورئاسته لابن الحسن و(البو عطا الله) ورئاسته لابن الحسين و (البو محيي) ورئاسته لابن الشلال و (المسارة) ورئاسته لابن الفياض و (البغادة) ورئاسته لابن الشيمر و (العامرية) ورئاسته لابن السيف و (البو حجي طينة) ورئاسته لابن الوتاس • ومن هذه الفروع ما يتفرع الى فروع ثانوية عديدة [1] •

٣ ـ الخزاعل :

قال العزاوي ان الشائع انها من خزاعة ولكنه تيقن مما قرأه في صبح الاعشى للقلقشندي انها من طيء ومن سنبس • ونخوتها (اخوة فاطمة) وفروعها (آل شلال) ورئاسته لآل عبطان ويسكن في الشنافية وناحية الغماس وناحية المليحة وناحية الصلاحية • و (آل مغامس) ورئاسته لآل حمادي وآل سلمان الظاهر ويسكن مع آل شلال • و (البو حمد) ورئاسته لآل رخيص • ويسكن في اراضي مخيرة والشبل والرميثة والعطشان والمشخاب • و (البو محمد) ورئاسته هي رئاسة البو حمد ويسكن معه • و (آل كرنوص) ورئاسته لآل مزعل ويسكن في الرميثة وبعض هذه الفروع تتفرع بدورها الى فروع عديدة [2] •

والخزاعل هم أصحاب الامارة الخزعلية التي ذكرناها في فصل الامارات العربية في العراق ، وفيه ما يدل على ما كانت عليه هذه القبيلة من نشاط وحيوية •

٤ ـ آل شبل :

هذه العشيرة من عشائر الشامية في الغماس من حد الشنافية

---

(١) ج ٣ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤

(٢) ج ٣ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩

الى الاوريج • وهي من اكبر عشائر اللواء واهمها وتعتبر من الخزاعل• وقوة الخزاعل بها • ونخوتها اولاد شبل • وفروعها (آل لجام) ورئاسته لابن العبطان و (آل خزيم) ورئاسته لابن سلمان آل ظاهر • وكل من هذين الفرعين يتفرع الى فروع عديدة •

ويسكن في الحلة فريق من آل شبل ورئيسهم ابن الزعير وفروعهم آل حوير واللهيبات وآل خرطوس وآل مايح والبو زيادة وآل كاصي والعكارات وآل عبد عون والجلالدة والبو خليوي والجواسم • وبعض هذه الفروع في الحيرة في اراضي الكرثة • ويسكن من اللهيبات فريق في الجعارة يتفرع الى فروع آل شامي وآل زكي والبو شاعر والبو حسين والبو حوطة والفنهرة والبو شيخ علي ورئاسته لبني الحاج جبار والكسار •

٥ ــ اليسار :

قال العزاوي عن هذه العشيرة انها من عشائر طي الكبيرة • ونخوتها اكطع ورئيسها ابن عنيزان • وتسكن في المهناوية والمحاويل والويسية والخواص والناصرية وابي سميح ونهر الحر والجمالية في كربلاء • ومنها جماعات في انحاء الموصل وشمامك • وكثرتها في المهناوية وما يجاورها •

وفروعها (الهديب) ورئاسته لابن عنيزان و (الدولة) ورئاسته لابن عيال و (الكوام) ورئاسته لابني الحسين والسليم و (السبطة) ورئاسته لابن الشلاش و (الهجل) ورئاستهلابنالحاج محمد و(المعيبد) ورئاسته لابن العودة و (الليلي) ورئاسته لابن الليلي و (الشهاب) ورئاسته لابن الناعور و (النعيم) ورئاسته لابن العمران و (البراطم) ورئاسته لابن الشبيب و (النواصر) ورئاسته لابن مدودي و (البو

---

(١) ج ٣ ص ٢٤٩ ــ ٢٥٣

زيد) ورئاسته لابن السلوم و (الناعور) ورئاسته لابن الظاهر و(المسافر) ورئاسته لابن الحسون و (الشكر) ورئاسته لابن سماوي و(الحمثان) و (الظاهر) و (العراعرة) ورئاسته لابني الهويري والجاسم و (السنان) ورئاسته لبني الحديد والصلاوة والحمرة و (الشواجم) ورئاسته لابن الرعوي و (الشهبيون) ورئاسته لابن المنوخ و (الذياب)و(العساف) و (والرطاطة) ورئاسته لابن الدياب و (السوكي) ورئاسته لابن المطر و (المحاميد) ورئاسته لابن الحصني و (البو جواري) ورئاسته لابني العموري والعساف و (الصوافة) ورئاسته لابن المحمود و (الحباب) ورئاسته لابني الصويلح والعويد و (الفرهود) ورئاسته لابن الفندي وهم رؤساء الكل و (الفواضل) ورئاسته لابني المدلب والعاصي و (الفريجات) ورئاسته لابن المحمد و (الشفاته) ورئاسته لابن الشخير . وهذه العشيرة من اكثر العشائر فروعا او اكثرها . وبعض فروعها يتفرع الى فروع ثانوية بحيث يبلغ عدد الفروع وفروع الفروع الستين [١] .

٦ ــ البو جواري :

نخوة هذه العشيرة اكطع ورئاستها لابن المحيمد وتسكن في الضلوعية في قضاء سامرا ومنها جماعات في تكريت وفي مندلي . وفروعها البو غفير والدواغنة والبو شاجم . ومنها ما يتفرع الى فروع ثانوية ولكل منها رئيسه الخاص [٢] .

٧ ــ المعين :

تسكن هذه العشيرة في اليوسفية وهور رجب ورئيسها ابن الصالح وهي متجولة في الجزيرة . ومنها البو حداد وكثرتهم في البيجي والفنحة [٣] .

---

(١) ج ٣ ص ٢٥٣ ــ ٢٥٨ (٢) ج ٣ ص ٢٥٨ (٣) ص ٢٥٩

٨ ـ انغرير :

قسم من هذه العشيرة في الموصل وقسم آخر في كربلاء ومنها قسم في سورية . ورئاستها لابن الرومي [١] .

٩ ـ البو عيسى :

تسكن هذه العشيرة في لواء الدليم وهي كبيرة ونخوتها عاوس ورئاستها العامة لابن عيفان . وفروعها الرئيسية البومهنا ـ وهو فرع الرئاسة ـ والبو صالح . وكل منهما يتفرع الى فروع ثانوية عديدة لكل منها رئيسه الخاص .

ومن هذه العشيرة فرقة كبيرة تسكن مع بني حسن وتعد منها . ويلحق بها عشيرة اسمها العويسات نتيجة للمساكنة .

وفي انحاء سامرا جماعة من البو عيسى . فروعها البو سليمان والبو احمد والبو حلبو والبو خضير والمخالبة . ولكل منها رئيسه الخاص [٢] .

١٠ ـ بنو سبعة :

توزعت هذه العشيرة في اراضي تركية ولوائي كركوك والموصل . وهي فرعان البو خضر والشعلة . والاول هو الذي في اراضي تركية بين ماردين ونصيبين . ورئاسة الثاني لابني عامر وخضر . وفروعه الموسى والمحمد العامر والكرعان والبو دلوة والحسين العامر والعلي العامر والعرار . ولهم في لوائي كركوك والموصل عدد غير قليل من القرى [٣] .

---

(١) ص ٢٥٩

(٢) ج ٣ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢

(٣) ج ٣ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤

١١ ـ الموالي :

تسكن هذه العشيرة في لواء الدليم . ورئيسها ابن مناور ونخوتها صبحي . وفروعها البوحمادي والوساير والبوحمود والجواهنة [١] .

١٢ ـ البو مفرج :

تسكن هذه العشيرة في الحويجة من لواء كركوك ومنها جماعات في انحاء الموصل وفي اراضي جلية والحركاوي من انحاء اليوسفية . ورئيسها ابن الطيار . وفروعها البو صالح والبو زركة والخشافنة والجكاكات والبو عامر والبو حيد والبو جامل والبو رزوقي والبو عليوي والطوابنة والبو ظاهر والعلادنة والمداهنة [٢] .

١٣ ـ البو حمدان :

تسكن هذه العشيرة في الزاب الاعلى وفي ناحية حمام علي وفي الحويجة قرب الزاب وفي اراضي الحلوة . وتتفرع الى فروع : البو سلمان والبو حسين والشهوان والبو صباح والساجعة واللطيف والبو حمدون . والبو حياص والبد جنديل والبو اسحاق والبو دولة والشكر والبو حمد والبكعان والبو سيود والبو حادث والغرير [٣] .

---

(١) ج ٣ ص ٢٦٤

(٢) ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦

(٣) ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥

ثانيا : العشائر العدنانية

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان عشائر عديدة في الجزء الرابع من كتـابه عشائر العراق مع تنبيهه الى ان عشـائر قحطـانية تداخلت فيهـا •

عشائر المنتفق

واول ما ذكر من السلسلة امارة المنتفق • وقد سرد موجزا لتاريخها ونسبة امرائهم وافخاذهم (١) • مما لم نر ضرورة لاقتباسه اكتفـاء بفصل الامارة المنتفقية الذي كتبناه في فصل الامارات العربية فـي العراق •••

ولقد قال العزاوي ان لواء المنتفق يتكون من عشائر المنتفق وان هذه العشائر عدنانية وان تخللها قحطانية زبيدية وحميرية (٢) • ثم اخذ يذكر هذه العشائر واحدة بعد اخرى كما يلي :

١ ــ بنو مالك :

مما قاله المؤلف عن هذه العشيرة ان رئاستها كانت لآل خصيفة ثم صارت لآل رميض • وعشيرتهم البو صالح التي كانت لهـا الرئاسة العامة على العشائر الاخرى •

ونخوة بني مـالك زيود (٣) • وهم مجموعـة عشائر • من أهمهـا :

---

(١) ج ٤ ص ١١ ـ ٢٧ (٢) ص ٢٨ (٣) ص ٣٠ ــ ٣١

١ ـ البو صالح : وهي عشيرة كبيرة تكونت منها ناحية البو صالح في لواء الناصرية • وفروعها (آل غلام) ورئاسته لآل حسين و (آل نصر الله) ورئاسته لآل نصر الله و (آل كويـع) ورئاسته لآل عبود و (آل مبادر) ورئـاسته لآل مطشـر و (آل خليوي) ورئـاسته لآل جعاري و (آل كردي) ورئاسته لآل مويحد و (الزركـان) ورئاسته لآل مبرد • ثم فرع الرئاسة الذي لم يذكر المؤلف لـه اسمـا خـاصا •

ويلحق بهذه العشيرة ثلاث عشائر هي (آل حمر) ورئاستها لابن شنينة و (الحصونة) ورئاستها لآل السيد خلف و (آل جمعان) التي تتفرع الـى فروع عديـدة والتي تسكن ناحيـة العكيكة من سوق الشيوخ [1] •

وقد قال العزاوي بعد ذلك ان من بني مالك جماعة ممندة من العزير الى القرنة واكثرهم في اراضي تركية • وفرقهم كثيرة اشهرهـا بيت ساري والطريفات وبيت كادوش وبيت سعيد والشفانية والشـدة واهل الدير وبنو نهد وفضلة وآل حمودي وبنو سكين • ولكل منها رئيسه الخاص •

والمتبادر انه يريد ان يقول ان هذه الجماعة تابعة لابو صالح لان كلامه جاء في سياق الكلام عن هذه العشيرة • وقد ذكر بعدها اسم عشيرة جديدة مما يؤيد ذلك [2] •

٢ ـ العليات :

يقول العزاوي ان اصل هذه العشيرة من طي ولكنها تعد الآن من عشائر بني مالك ونخوتها (اخوة علية) وتسكن المجرة من ناحية عكيكة من سوق الشيوخ • وفروعهـا آل شدود والمنـابتة • البـو صياحة وآل عبد السيد والعليـانات ورؤساء العليات بنو شدود من

---

(١) ج ٤ ص ٣٢ ـ ٣٤

(٢) ص ٣٣ ـ ٣٤

٣ ــ آل حسن :

تسكن هذه العشيرة في ناحية كرمة بني سعيد . وهي كثيرة العدد قوية في المعارك . وفروعهـا (البو حميدي) ورئاسته لابن الجولان و (البو حمدان) ورئاسته لابن اللطيف و (آل بعاج) ورئاسته لابن العباس و (بنو مسلم) ورئاسته لابن الوهيب و(الغريافية)و(المشيرجة) ورئاسته لابن الياسر و (السورة) ورئاسته لابن المزيعل وهو الرئيس العام للقبيلة و (الشحلاوية) ورئاسته لابن محسن وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية ولكل منها رئيسها الخاص [2] .

٤ ــ آل ابراهيم :

من هذه العشيرة جماعة في المشخاب وجماعة في الناصرية مركز لواء المنتفق . وفروعها (آل حسن) ورئاسته لآل الشاويش و (آل مصدك) ورئاسته لابن المصـدك و (البو حمودي) ورئاسته لابن الروصان و (آل خشاب) ورئاسته لابن الداغر و (الصليمـات) ورئاسته لابن كطيو و (الهصاصرة) ورئاسته لابن مغامس و (الحمران) ورئاسته لابن الياسر [3] .

٥ ــ الحجام :

تسكن هذه العشيرة في جانب الجزيرة في اراضي السايح والكسور وفي الشامية في قضاء سوق الشيوخ . ورؤساؤها بنو العندي وآل ناهي وآل ياسر . وفروعها (البو غطيش) و (الدحلة) و (العتيبة) و (آل جمعة) و (اهل الشاخة) و (الزويدات) وتتفرع هذه الفروع

---

(١) ج ٤ ص ٣٤ ــ ٣٥
(٢) ص ٣٥ ــ ٣٧
(٣) ص ٣٧ ــ ٣٨

الى فروع ثانية . ولكل منها رئاسة خاصة [1] .

٦ ــ كوت جار الله :

تقيم هذه العشيرة في الكوت ورئيسها ابن جار الله [2] .

٧ ــ كوت ابن محنية :

تقيم في الكوت ايضا ورئيسها ابن الجويد [3] .

٨ ــ الشواليش :

رؤساؤها آل وشاح وهم اصحاب اراض زراعية والباقون زراع تابعون . وهم خليط [4] .

٩ ــ الحساوبة :

هذه العشيرة فرعان اهل الجزيرة ورئيسها ابن الحضري واهل الشامية ورئيسه ابن العبيد ويعملون في الغراس [5] .

١٠ ــ آل اسماعيل :

رئيس هذه العشيرة ابن خشان وهم تبع كرمة بني سعيد ومنهم آل حرب [6] .

١١ ــ الدجين :

رئيس هذه العشيرة ابن اللفتة ويتبعون في الفصل آل حجام [7] .

١٢ ــ آل زياد :

رئيسها ابن الجابر . ومن فروعها آل علي والدحاح . ورئاستها لبني الجابر والنعيم [8] .

---

(١) ص ٣٨ ــ ٤٠ (٢ ــ ٥) ص ٤٠ ــ ٤١

(٦ ــ ٨) ص ٤١ ج ٤

١٣ ـ الجوير :

تسكن الـديوانية وتتفرع الـى فروع (المطاردة) ورئيسه ابن الجريذع و (الشليشات) ورئيسه ابن الموزان و (البو نجم) ورئيسه ابن الظاهر [١] .

١٤ ـ بنو حطيط :

كثرة هذه العشيرة في الحمار التابعة لناحية الجبايش • وفي نهر ابي سدة • ورئيسها ابن تقي • وفروعها البو سدة وآل فرج الله وآل عبد الله وآل رحمة الله والبو عبدعون وآل بهيد • وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية [٢] .

١٥ ـ الحمامة :

رئيسها بن الحاج نعيم • وتصعد بنسبها الى ربيعة [٣] •

١٦ ـ البو شعيرة :

رئيسها بن وزير ، وافخاذها العبيد والبورمي [٤] •

١٧ ـ الكوام (القوام) :

رئاستها لآل حطيط وتتولى سدانة ام العباس [٥] •

١٨ ـ المطيرات :

رئيسها بن عودة • وفروعها مطير الشامية ومطير الجزيرة [٦] •

١٩ ـ بنو أسد او بنو سد :

رئيسها ابن الخيون وتعد من اكبر العشائر • وهي قبيلة بني مزيد اصحاب الامرة في منطقة الحلة في القرن الرابع والخامس مما

---

(١) ص ٤١ (٢) ص ٤١ ـ ٤٢ (٣ ـ ٦) ص ٤٣

فيه الدلالة على قدم سكناها العراق • وفروعها الرئيسية (الشيوخ) ورئاسته لآل خيون و (الحداديون) ورئاسته لبيت عباس الظاهر و (آل عربيج ـ غرين) • وكل من هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية عديدة لكل منها رئاسته الخاصة •

ومن حلفائهم عشائر البو شامة وآل احول وآل اسماعيل والعمايره والنهود وعبادة وبنو مشرف وآل حسيني وآل سواري وبنو حطيط والبو عايش •

ويلحق بهم : الفرطوس • وهي احدى عشائر الغزي الكبيرة • ويسكن جماعات من بني اسد في ألوية كربلاء والحلة وديالي • ويتفرع الذين في انحاء كربلاء الى (البو غانم) و (البو ضاحي) و(البو مجدي) و (البو بحر) و (البو مجزم) [٢] •

٢٠ ـ عبادة :

من العشائر القديمة السكنى في انحاء المنتفق ثم انتشرت في انحاء عديدة من العراق • وتعد في عداد ثلث بني مالك • وفروعها الرئيسية (الهلالية) و(البوعبد علي) و (آل فرحان) و (آل عثمان) ورئيس هذه الفروع بن يسر وتسكن في الحمار بين سوق الشيوخ والجبايش •

ومن عبادة ، ١ ـ الدبونيون في الموصل ، ٢ ـ البدران في لواء البصرة • ومن هؤلاء جماعة في قرى لهم غربي الموصل و ٣ ـ بنو سبعة في قرى لهم في تل الشعير و (الدوبان) في قرى لهم في ناحية دهوك ٤ ـ بنو سلامة في الجانب الغربي من الموصل ، ٥ ـ النصاروة في كربلاء • ويتفرع البدران الى سبعة فروع والنصاروة الى ثلاثة عشر فرع ثانوي [٣] •

---

(١) ج ٤ ص ٤٣ (٢) ص ٤٤ ـ ٥٢

(٣) ج ٤ ص ٥٢ ـ ٥٦

٢١ ـ بنو عز :

تسكن هذه العشيرة في نـاحية داقوق قرب شبيكة وفروعهـا (البو شاهر) ورئاسته لابن العيوش و (البو سراج) ورئاسته لابن عبد الرحمن و (البو نجم) ورئاسته لابن المحل و(الصجاجير) ورئاسته لابن الخلف و (العثامن) ورئاسته لابن غزل • وقد قال المؤلف انـه ليس لهذه العشيرة اليوم علاقة ببني مالك [١] •

عشائر اخرى ملحقة ببني مالك

ذكر المؤلف تحت هذا العنوان بضع عشائر كما يلي :

١ ـ بنو خيكان :

تسكن هذه العشيرة في ناحية عكيكة وكرمة بني سعيد والحمـار في سوق الشيوخ • وفروعها الرئيسية (آل رحمة) وهو فرع الرؤساء آل مغشش و (آل شميس) ورئـاسته لابن فزيـع و (العساجرة) و (البو شعيرة) ورئاسته لآل وزير و (النواشي) ورئـاسته لابن الحسون و (آل الاحول) ورئاسته لآل عيسى و (العمايرة) ورئاسته لآل كزار و (البو خليفة) ورئاسته لابن مكطوف و (الجماملة) ورئاسته لابن السالم و (المطيرات) ورئاسته لآ لعودة • وكل من هذه الفروع يتفرع الى فروع عديدة حتى يبلغ العدد نحو الستين [٢] •

٢ ـ الصيام :

قال العزاوي عن هذه العشيرة انها عشيرة كبيرة رئاستها لابن مبارك وهي من عشائر المدينة الرئيسية التابعة لقضاء القرنة • وتعد من

---

(١) ج ٤ عشائر ص ٥٦ ـ ٥٧

(٢) ص ٥٨ ـ ٦٢

ملحقات بني مالك • وفروعها الرئيسية (الامارة) ورئاسته لآل مبارك • الذين لهم الرئاسة العامة و (العوايد) و (آل علي) ورئاسته لابن حسوني و (اهل الشط) و (اهل الخاص) ورئاسته لآل عطوان و (اهل الهوير) و (المعدان) و (اهل نهر صالح) وكل من هذه الفروع يتفرع الى فروع عديدة يبلغ عددها الاربعين • ومن ملحقات هذه العشيرة عشائر (آل الشامي) و (المحيات) والكعنيين [1] •

٣ ــ بير حميد السعد :

رئيسها ابن السعد ونخوتها سعدة ويقولون انهم من عشيرة بني سعد التي رضع النبي عليه السلام فيها وتسكن في اطراف القرنة بين دجلة والفرات • وفروعها (السعد) ورئاسته لابن عبد الواحد وهو فرع الرؤساء و (نهر الباشه) ورئاسته لابن مهدي واسمه من اسم النهر الذي يسكن عنده • و (اهل الكوير) ورئاسته لابن شهوبي و (بنو مالك) ورئاسته لابن شيخ علي و (اهل الحالة) ورئاسته لابن رزن و (السميلات) و (الزيايدة) ورئاسته لابن منوني و (البوعزبة) ورئاسته لابن عداي [2] •

٤ ــ بنو منصور :

مواطن هذه العشيرة في انحاء القرنة على الضفة اليمنى من الفرات وفروعها(اهل الرحمانية) ورئاسته لابن الشناوة و(اهل الجري)ورئاسته لابن الصبوان و(اهل ابي غريب)ورئاسته لابن العودة و(اهل الحدة) ورئاسته لابن دهش و(اهل الحوش)ورئاسته لابن الجراح و(آل جاسم) ورئاسته لابن وادي و (مزرعة) ورئاسته لابن الرحم و (النعيم) ورئاسته لابن براك [3] •

---

(١) ج ٤ عشائر ص ٦٢ ــ ٦٥

(٢) ص ٦٥ ــ ٦٦

(٣) ص ٦٦

٥ ـ الحلاف :

هي عشيرة قديمة العهد من عشائر القرنة • رئاستها لابن الميرطة • وفروعها البو كتايب والجنزي واهل النمار وباهله • ولكل منها رئيسه الخاص [١] •

٦ ـ اهل النرش :

اسم هذه العشيرة من اسم مكانها • وهي من حلاف • ورئاستها لابن الفضل ومواطنها انحاء القرنة وفروعها الحمداوي والصويلح والكريم وآل حجاج ناصر وآل شاهين والبو يزيد وبنو طوك والبندار والثور والسكران [٢] •

٧ ـ اهل الجلعة :

واسمها كذلك من اسم مكانها ورئيسها ابن المعارج وفروعها المعارج والعبود والجيش والحسون [٣] •

٨ ـ اهل الشهلة :

هذه العشيرة على شط العرب وهي من الخلاف واسمها من اسم مكانها ايضا وفروعها الكشوش والحسن وآل جبارة والبو اسيود والمسعود [٤] •

٩ ـ عشاير السويب :

السويب ناحية كبيرة من نواحي القرنة وهي اكبر ناحية بين نواحي العراق • وعشائرها كثيرة مختلطة • ورئاستها العامة لابن

---

(١) ص ٦٧
(٢) ص٦٧ـ٦٨
(٣) ص ٦٨
(٤) ص ٦٨

السويجت وغالبها يمتون الى بني مالك . واسماء هذه العشائر هـي المياح والبو بصيري والحوافظ والبو جنعان واهـالي ابو غرب واهالي النشوة [1] .

١٠ ـ عشائر مزيرعة :

والاسم من المكان وهي في انحاء القرنة ورئاستها لابن خير الله وتدعى انها من ربيعة [2] .

---

(١) ص ٦٨ ـ ٦٩ (٢) ص ٦٩

عشائر بني سعيد

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان الذي جاء بعد عشائر مزيرعة عشائر عديدة . بعضها يسكن الغموكة والدواية وبعضها يسكن كرمة بني سعيد في لواء المنتفق وبعضها يسكن لواء العمارة ورئاسة ساكني الغموكة والدواية لآل مشاة وآل فجر وفروعهم آل معيوف وآل عامر وآل جمر وآل غشيم وآل مرعي . ورئاسة ساكني كرمة بني سعيد آل انجاح طاهر آل حسين وفروعهم آل رديني والبو معافى والاجنارية والقرية والغضابنة [1] .

والساكنون في لواء العمارة عشائر كبيرة ذكرها المؤلف بشيء من التفصيل كما يلي :

١ ـ العيسى :

وصفها انها من عشائر بني سعيد المهمة وانها في الاصل من طي . ورئاستها لابن الفدعم وفروعها الرئيسية آل دبين وآل حمدان والجبارات . وكل من هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية عديدة [2] .

٢ ـ البزون :

قال العزاوي ان هذه العشيرة مشتقة من آل عيسى وكانت تعيش معها واسمها هو اسم جدها . وتسكن الجزيرة بجوار آل ازيرج في لواء العمارة ونخوتها سعدة ورئاستها لابن ابي عوجة وفروعها آل خليفة

---

(١) ج ٤ ص ٦٩ - ٧٢

(٢) ص ٧٢ ـ ٧٣

وآل بري • وكل منهما يتفرع الى فروع عديدة ثانوية [1] •

٣ ـ آل مريان :

قال العزاوي ان اصل هذه العشيرة من الندى فمالت الى بني سعيد • وتسكن في العمارة • وفروعها آل نخش وآل عواد وآل صافي وبيت شويخ والصليح والبو طويل ويلحق بها عشائر النويصران والنفاك والبو خنفس [2] •

عشائر الاجود

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان الذي جاء بعد نبذة آل مريان كثيرا من العشائر وقال انها من عشائر المنتفق وتسكن في اللواء المسمى بهذا الاسم وتعد ثلث عشائر المنتفق • وهي منتشرة بين الدراجي في حدود السماوة وكوت معمر قرب سوق الشيوخ في جانبي الفرات وفي الغراف الى الحصونة شرقي البدعة الى الناصرية • وبينها من لا يمت اليها بصلة نسبية • ورئاستها لابن المناخ ونخوتها اخوة منصور • ثم فصل تفرعات بيت الامارة [3] واخذ بعد ذلك يذكر العشائر المنطوية في الاجود واحدة بعد اخرى كما يلي :

١ ـ غزية :

وصفها العزاوي بانها قديمة العهد في العراق وانها كانت ذات صولة ودولة وبطون عديدة • ونقل عن الحمداني والسمعالي والحيدري ما جاء عنها في معرض التنويه باهميتها في تاريخ القبائل العربية وعراقه

---

(١) ص ٧٢ ـ ٧٣ (٢) ص ٧٥ ـ ٧٦

(٣) ص ص ٧٩ ـ ٨٦

اسمها القديم • وهي التي يتمثل الشاعر العربي القديم بها في بيتــه المشهور :

وهل انا الا من غزيـــة ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وهي منتشرة في انحاء عديدة من لواء المنتفق ومنها من لاتزال البداوة غالبة عليه ومنها من يشتغل في تربية المواشي • وفروعهـا الحميد والرفيع والبعيج وساعدة • وقد سماها عشائر • وكل منهـا يتفرع الى فروع عديدة ومنها ما يتفرع الى فروع فروع ايضا ولكل منها رئيسه الخاص [1] •

ومن الجدير بالذكر ان العزاوي ذكر غزية في كتابه تاريخ العراق بين احتلالين اكثر من مرة باسلوب يدل على ما كان لها من نشاط وحيوية في النطاق القبيلي في العراق في القرن وما بعده [2] •

٢ ـ خفاجة :

وهذه ايضا من العشائر القديمة في العراق التي كان لها مكانة رفيعة وسلطة واسعة • وفي الجزء الاول من هذا الكتاب نبذة خاصة في امارة بني خفاجة في جهات واسط والكوفة ونشاطهم • وقد فقدت اليوم كثيرا من مكانتها وصارت تعد من الاجود • ونخوتها عامر • وفروعها آل عبد السيد والعلوي وآل سعيد وآل عصيدة والمشاخيل والبو شهاب وآل شمخي والطلاحية وآل سالم والتريميون وآل عجة وآل سسم والمراونة والبهادل • وبعضها يتفرع الى فروع ثانويــة ولكل منها رئيسه الخاص •

وفي الحلة جماعة من خفاجة رئاستها لآل السماوة • وفروعها آل زور والبو خليل والصلخة والجدوع واللوبــة والعجمي وآل خنيفر

(١) ج ٤ ص ٧٩ ـ ٨٦

(٢) انظر ج ٢ ص ٢٢٠ و ج ٥ ص ١٣٩ و ١٧١ ـ ١٧٢ و ١٧٧ و ١٨١ ـ ١٨٤

وهوى الشام وآل متيج والهيال والرفيعات والطرفة والجدوع والبو سرية والخنان والدغافل . ولكل منها رئيسه الخاص وبعضه يتفرع الى فروع ثانوية .

وفي المسيب منها جماعة وهي الترابيون ورئيسها ابن الحسد وفي كربلاء جماعة منها ايضا وهي فرعان الطهامزة والموزون [١] .

٣ ــ الشريفات :

هذه العشيرة رحالة تتجول في الشامية وسوق الشيوخ والناصرية والوية بغداد والدليم والموصل يكارون بابلهم . ورؤساؤهم آل حايف وآل العجيل وآل صالح وآل مشاي . وفروعهم آل عويد وآل شريف والدرداشة وآل صلال وآل طوى وآل عاصي . ونخوتهم اولاد واحد . ويلحق بهم عشيرة الجري التي يرأسها بن مناجي وعشيرة العكيشيش التي يرأسها ابن العكيشيش وعشيرة الملالي التي يرأسها ابن الدمدوم [٢] .

٤ ــ البدور :

من عشائر المنتفق المعروفة . نخوتها الخاصة اولاد بدر والعامة يتيم كالاجود . وتسكن في شمال الناصرية وفي المايعة والاشباب . وفروعها (آل زويد) وهو فرع الرؤساء آل شحم و (والرسن) و(آل نجم) و (الغوار) وكل منها يتفرع الى فروع ثانوية عديدة ولكل منها رئيسه الخاص [٣] .

٥ ــ الزهيرية :

تتجول هذه العشيرة في الشامية والجزيرة ويرأسها ابناء ضويف

---

(١) ص ٨٦ ــ ٩٢

(٢) ج ٣ ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣ و ج ٤ ص ٩٢ ٩٣

(٣) ص ٩٢ ــ ٩٦

والبفي . واصلها قيسية وتتصل بالاجود بجد واحد وهي غنامة [1] .

٦ ـ الحسنيات :

اصل هذه العشيرة من عشائر الضفير اختلطت بغيرها وانضم اليها غيرها . ومواطنها السديناوية والعثمانية والمانعية والعويجة في الشامية . وبسبب مجاورتها لمدينة الناصرية فقدت كثيرا من صفات البادية . وفروعها (العليسيون) ورئاسته لآل جنح والحاشوس و (البو عظم) و (البو سوف) و (البو حمد) و (الدايرة) و (البو فياض) وكل منها يتفرع الى فروع عديدة .

وفي لواء ديالي جماعة بهذا الاسم ايضا ويتفرع الى فروع (البو حمد) ورئاسته لابن السعيد و (البو سالم) ورئاسته لابن الاحمد و (البو سلامة) ورئاسته لابن الاحمد نفسه كذلك [2] .

٧ ـ عبودة :

وصفها العزاوي بانها من العشائر الكبيرة والمهمة وان اصلها من ربيعة وتعد من عشائر الاجود . كانت تابعة لامارة المنتفق فغدت مستقلة . ورئاستها لابن خيون . وفروعها (السناجر) و (البو شمخي) و (آل جهل) و (عبودة العرب) و (آل حسن) و (البو شوحي) و (البو نجيم) و (آل عمار) و (آل عواد) و (الدبات) و (السادة) و (آل علي) و (آل رمضان) . وكل من هذه الفروع يتفرع الى فروع ولكل منها رئاسته الخاصة . وهي متفرقة في المساكن حيث تتفرق في الحاوي والصديقة وام الثمن ولواء الديوانية والشطرة وتل كرجة وناحية السندياوية والكصة وسوق الشيوخ وكربلاء والناصرية [3] .

---

(١) ص ٩٦

(٢) ص ٩٦ ـ ٩٨

(٣) ص ٩٧ ـ ١٠٥

٨ ـ العصوم :

رئاستها لآل محروث • وتسكن في انحاء الناصرة ونخوتها عصوم وهي غنامة متجولة [١] •

٩ ـ المارد :

نخوتها اولاد حمد واكثرها بدو ومنها زراع • وهي بين سوق الشيوخ والناصرية • ورئاستها لابن الغانم •

وقد سرد العزاوي بعد المارد اسماء عشائر كثيرة قال انها تعد من الاجود • وكثير منها ذكر تحت عناوين اخرى فلم نر ضرورة لسردها لانها تكرار [٢] •

وكتب المؤلف بعد ذلك نبذة تاريخية لامارة المنتفق وامرائهم وتفرعاتهم [٣] لم نر ضرورة لايرادها هنا اكتفاء بما كتبناه عن امارة المنتفق في فصل الامارات العربية في العراق •

عشائر المنتفق في الالوية الاخرى

ذكر المؤلف عشائر عديدة تحت هذا العنوان كما يلي :

١ ـ في لواء البصرة :

قال العزاوي تحت هذا العنوان ان عشائر الصيامر والعوابد وآل علي وآل بدران والحيادر وعشائر اخرى من بني مالك مالت الى البصرة وامتدت الى قضاء القرنة • وفي نواحي القرنة من بني مالك عشائر السويب والسعد والحلاف وبني منصور وفي نواحي البصرة عشائر

---

(١) ج ٤ ص ١٠٥ (٢) ص ١٠٥ (٣) ص ١٠٦ ـ ١٢٢

نهارنه والحلاف وبدران . وكثير منها تشتغل في الفلاحة وتسكن القرى ومنها جماعات تركت الارياف وسكنت مدينة البصرة [1] .

٢ ـ في لواء العمارة :

من عشائر المنتفق في هذا اللواء جماعات من العيسى والنبرون وآل مريان وآل ازيرج والسواعد [2] .

٣ ـ في لواء الديوانية :

في هذا اللواء عشائر كبيرة من عشائر المنتفق كما يلي :

١ ـ بنو جحيم : وهي مجموعة عشائر بدورها :

منها الاعاجيب ، نخوتها جماز . وتسكن الرميثة على شط الفرات والسدرة والمملحة والجمجمة . ومن رؤسائها ابن ابي الحجيج . وفروعها البو عيد والبو ناصر والبو موسى والخميس وآل عبد الله والسلاجعة وآل دبيس والضواورة والبو درقي والدوتي جلة والرواشة . وبعض هذه الفروع تتفرع الى فرع ثانوية ولكل منها رئاسة خاصة [3] .

ومنها الظوالم : رئيسها ابن ابي الجون ونخوتها باشة . وتسكن في العوجة ما بين الابيض والسماوة . وفروعها آل سليمان والجمعة وآل سميح والبو خضير والملحان وكل منها يتفرع الى فروع ولكل منها رئاسته الخاصة .

ومنها الصفران : رؤساؤها ابن المعجون وابن الرداد ونخوتها عامر . ومساكنها في ناحية الخفاق تجاه السماوة . وفروعها آل غانم وآل عطاوة والمومنون والبو رويسة والفلاحات والغنم . ولكل منها

---

(١) ج ٤ عشائر ص ١٢٢

(٢) ص ١٢٢ ـ ١٢٣

(٣) ص ١٢٣ ـ ١٢٥

رئيس خاص [1] .

ومنها آل توبة : في السماوة في ناحية الخضر ورؤساؤها بنو الحسين والرزق . وفروعها الغواصنة والفضل والحمادنة والعواجد [2] .

ومنها الاعبس : رؤساؤها ابن الدرام وابن المونس . وتسكن في اراضي الخضر التابعة للسماوة وفروعها الفليج وآل يونس والبو ماجد والبو يونس والنصير والبو حسين والحفنان والمشاعلة والمومنون وآل عزام والبو جاولتي [3] .

ومنها البركات : وتسكن في ناحية الخناق من السماوة ورؤساؤها ابن الخارع وابن اليوسف وابن المسير وفروعها المحيرجة والبو سيجه والجزيرة وآل عكاب وآل حمدي والحشيش وآل عطا الله والمطول . ولكل منها رئيس خاص [4] .

ومنها الجوابر : وتسكن في ناحية الخضر في مقاطعة البديري والباب والصبية وام الحنطة والجزيرة ومويلحة . ورؤساؤها بنو الحاجم وصفر والحجاج ووناس . وفروعها آل حسان والشريدات وآل محيفظ وآل منيهل والبو ريشة وآل شجي والبو شطيط والنويصرات . ولكل منها رئيس خاص [5] .

ومنها آل زياد : من هذه العشيرة جماعة في المنتفق . وجماعة اخرى في الديوانية . وقد مر ذكر الاولى . وهذه الثانية ويسكنون في السماوة من الديوانية ورئاستها لآل جميل وفروعها البو حمد وآل عصيدة والدراوشة والبو لحي وآل أديم وآل حسان وفي الشامية والدغارة جماعة اخرى من آل زياد ورئاستهم لابن الجحالي وفروعهم الهراوي والمناذير [6] .

---

(1) ص ١٢٥ ـ ١٢٧

(2) ص ١٢٨

(3) ص ١٢٨ ـ ١٢٩

(4) ص ١٢٩

(5) ص ١٢٩ ـ ١٣٠

(6) ص ١٣٠ ـ ١٣١

ومنها البو جياش : وتسكن هـذه العشيرة العوجة من قضاء السماوة . وفرقهـا آل جريب وآل عنتر وآل حـويش وآل جعيب والحامرة والشنابرة وآل زويد والبو جراد والسوالم والربايع وآل نجيرس والزكوريون وآل معلتي وآل رفوش والبو حسين وآل حمود وآل كريم ولكل منها رئيسه الخاص [1] .

عشائر بني مالك في الديوانية

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان الذي جاء بعد نبذة البو جياش عشائر عديدة كما يلي :

١ ــ بنو زريج (زريق) :

تسكن في انحاء السماوة ونخوتها زوله وفروعها (آل مصال) ورئاسته لابن الدواح و (آل دخان) ورئاسته لآل صلال و (و آل شوبحه) ورئاسته لآل عبيس و (العماريون) ورئاسته لآل سوادي و (آل النوم) ورئاسته لابن الهدام و (الشبانات) و (البو صالح) ورئاسته لآل والي وكل من هذه الفروع تتفرع الى فروع عديدة لكل منها رئيسه الخاص [2] .

٢ ــ العوابد :

في انحاء الشامية . وفروعها (آل رباط) ورئاسته لآل عطيـة و (الصبغان) و (آل رحمة) ورئاسته لآل محسن و (آل نويشي) ورئاسته لآل حمزة و (الحجارية) وبعضها يتفرع الى فروع عـديدة ولكل منها رئيسه الخاص [3] .

---

(١) ص ١٣١ ــ ١٣٣
(٢) ص ١٣٣ ــ ١٣٨
(٣) ص ١٣٨ ــ ١٤٠

٣ ـ آل علي :

رؤساء هذه العشيرة آل وادي ونخوتها اولاد صكر وهي في انحاء الشامية . وفروعها (آل فرح) و (آل بريص) و (آل ابو حلوه) و (الهياجلة) و (البو هدوه) و (آل حميد) و (الصبغان)[١] .

٤ ـ الحميدات :

وهي في انحاء الشامية ايضا ونخوتها آل صكر واولاد حميد ورئاستها لآل الغضبان . وفروعها (آل وطان) و (اهل النصيفة) و (البو عزيب) و (البو خويطر) و (المكاطيف) و (البو صريو) وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية ولكل منها رئيسه الخاص [٢] .

٥ ـ بنو حسن :

ورئاسته لابن الحاج سعدون وهي في اراضي هور منصور ونخوتها فاطمة . وفروعها (الجراح) و (البو دحيدح) و (المجائيم) و (آل جميل) و (البو عارض) و (البو سلامة) .

ويلحق بهذه العشيرة عشائر الشبانات والزرفات والبو نعمان والبو شيخ مهدي وآل عيسى والجعافرة والحواتم والبو عاصي . ولكل منها رئيسه الخاص وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية [٣] .

٦ ـ آل ابراهيم :

نخوتها آل حسين وهي في المشخاب التابع لناحية الفيصلية ورئيسها العام ابن الجبر وفروعها آل خشاب والصليحات والخبيطات . وكل منها يتفرع الى فروع ولكل منها رئيسه الخاص [٤] .

---

(١) ص ١٤٠ ـ ١٤٣
(٢) ص ١٤٣ ـ ١٤٥
(٣) ص ١٤٥ ـ ١٤٨
(٤) ص ١٤٨ ـ ١٥٠

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان الذي جاء بعد نبذة آل ابراهيم عشائر عديدة وقال انها عشائر متجمعة يطلق عليها هذا الاسم وكانت ضمن عشائر المنتفق ونخوتها اولاد منصور وليس لها رئيس عام (١) .

منها آل عياش : وتسكن في انحاء الشفافية من الشامية وفروعها (آل ابراهيم) و (وآل سلمية) (٢) .

ومنها خفاجة : ورئاستها لآل تومان العبد . ونخوتها عامر وتسكن في ناحية الشفافية . وفروعها (آل سبتي) و (البو خويرة) و (آل كريطي) و (آل عجيل) . ولكل منها رئيسه الخاص (٣) .

ومنها بنو سلامة : ورئاستها لآل حمود وتسكن في ناحية الشفافية (٤) .

ومنها بنو عارض : ورئاستها لآل شحل وآل حسون . ونخوتها (صعبة) وفروعها (العون) و (العبيد) و (العبد ربه) و (الحربي) و (البو عبيد) و (آل حجي) و (الدغافل) وبعضها يتفرع الى فروع عديدة . ولكل من الفروع وفروع الفروع رئيسه الخاص (٥) .

ومنها الطفل : نخوتها منصور وتسكن في انحاء الهندية ورؤساؤها آل غيدان . وفروعها (البو سعدون) و (آل شيخ سعيد) و (العيفار) و (آل شعيب) و (آل خماس) و (آل سهلان) و (آل حتروش) و (الحيادر) و (زغيب) و (الكراكشة) و (البو السمن) و (البو حويوه) و (البو هاوية) و (بنو مسلم) وبعضها يتفرع الى فروع وفروع فروع ايضا (٦) .

---

(١) ص ١٤٨ ـ ١٥٠ (٢) ص ١٥٠
(٣) ص ١٥٠ (٤) ص ١٥٠
(٥) ص ١٥٠ ـ ١٥١ (٦) ص ١٥٢ ـ ١٥٤

عشائر اخرى

ذكر العزاوي بعد عشيرة الطفيل تحت هذا العنوان عـددا من العشائر كما يلي :

١ ــ الغزالات : رئاستها لابن المزعل • واصلها من بنـي صخر ونخوتها (اخوة ميزة) ومشهورة بالجمال والشجاعة • واكثرها غنامة ومنها ما يشتغل في الزراعة • وفروعها البو وحيد وآل زور والبو خميس وآل لايذ والبو شوكة والجواسم واهل الدين والبو حجي [١] •

٢ ــ عشائر عفك : قال العزاوي انها من باهلة • ومنها جمـاعات في بلاد نجد • ومنها عشائر عديـدة في العراق مواطنهـا الـدغارة وهي هذه :

(١) آل غانم : ورئاستهم لابن المحمد وفروعهم آل شخير وآل حسين وآل عكلة وآل شيخ محمود وآل شيخ احمد وآل داود والبو شهيد وآل فاضل والحزامـات • ويلحق بهم آل خويسة والكوارظ والجعافرة ومطوك وجرداع واليسارات واخديدان واهل الجلعة وآل عميش وبنو ليث والعرايا والشراهنة وعقيل [٢] •

(٢) آل شبية : ورئاستهم آل شبيب ونخوتهم طرفة وفروعهم البو نصار والبو راشد والخشيمات وآل خدام وآل شنيتر والعجاريج وآل حاجم وآل خشم وآل شريعة والبو شبيب والكفارات • ولكل منها رئيسه الخاص [٣] •

(٣) البحاحثة : رئيسهم ابن وطبان ونخوتهم شيخة • وفروعهم آل نجم وآل جنـاني وآل فليفـل وآل دهيـم وآل هـلال والبو

---

(١) ص ١٥٤ ــ ١٥٥ (٢) ص ١٥٥ ــ ١٥٧

(٣) ص ١٥٧ ــ ١٥٨

ايدام [1] .

(٤) آل حمزة : رئيسهم ابن عبود ونخوتهم جبسة . وفروعهم آل نذير وآل ورش وآل خنفر وآل سلطان وآل محمود وآل كريم والبو شبيب [2] .

(٥) المخاضرة : رئيسهم ابن الفرحان . وفروعهم آل دبيس وآل كنيش والبو خليفة والحلاحلة والبو رومي والدرويش والفرج ولكل منهم رئيسه الخاص [3] .

(٦) البراجع : رئيسهم ابن المرهون . وفرعهم آل عبد الله وآل فضل الله وآل اسماعيل والمشكور والصوالح [4] .

(٧) البوناشي : رئيسهم ابن البدر وفروعهم العرادات والسفيان وآل مجار والزليمات وآل بدر [5] .

(٨) جليحة : رئيسهم ابن الحاج حسن . وفروعهم آل صريصر واهل الربع والعصامات والبو سحير والهجاولة [6] .

ربيعـــة

قال العزاوي ان عشائر ربيعة من العشائر القديمة التي ترجع الى ما قبل الاسلام وانها منتشرة في ألوية المنتفق والعمارة والبصرة . ومنها مجموعة كبيرة اليوم في لواء الكوت الذي يتكون منها . وتعرف بربيعة الفرس . ورئيسها ابن الامير ونخوتها سعدي . وكان بينها وبين المنتفق وقائع وحروب . وكان لها امارة تعد من افضل الامارات العربية في قدرتها ومنعتها وكفاءة امرائها . ومن طبيعتها الركون الى السلم

---

(١) ص ١٥٨
(٢) ص ١٥٨ – ١٥٩
(٣) ص ١٥٩
(٤) ص ١٥٩ – ١٦٠
(٥) ص ١٦٠
(٦) ص ١٦٠ – ١٦٢

والطمأنينة وتوقى الففتنة بقد رالامكان • وقد تفرع بيت امارتها الى فروع عديدة فصلها المؤلف ولم نر طائلا من ايراد تفصيله [1] •

وسياق كلام المؤلف يفيد ان امارة ربيعة كانت امارة قبائلية وفي الجزء الثالث من كتابه تاريخ العراق بين احتلالين عبارة صريحة حبث قال ان امارتها في تغلب ونخوتها تغالبة [2] •

وعشائر ربيعة هي كما يلي :

١ ــ المياح : رئيسها ابن الياسين • ونخوتها اولاد مياح وسكناها في جانبي الغراف وفروعها الشحمات والبو بدر والدبات والكويشات والبيضان واولاد زيد وآل غريب وبنو عكة وبيت جريم والهاشم وبيت منيهل •

ومن المياح جماعة كبيرة في القرنة رئيسها بن عبد الله وفي الدشتة قرب السعدية جماعة كبيرة منها ايضا رئيسها ابن الفليج وفروعها البو جمعة والبو غرة والهريشات والشحمات والسبانات والحجاج والعساجرة [3] •

٢ ــ السراج : نخوتها حمدة وتقيم في انحاء بيت قصاب والجانب الشرقي من الغراف • وفروعها السراج وعتاب • وكل من الفرعين يتفرع الى فروع عديدة ولكل منها رئيس خاص • وليس لها رئيس عام •

وفي العمارة جماعات من السراج • فروعها الصبيح والاخشاب وكل منها يتفرع الى فروع عديدة [4] •

٣ ــ اهل الثلث : وفروعهم الوحيلات والحلاف والبو فرادي وآل سليم والفكيكات • وكل منها يتفرع الى فروع عديدة ولكل منها رئيسه الخاص [5] •

---

(١) ج ٤ ص ١٦٤ ــ ١٦٦ عشائر — (٢) ج ٣ ص ٦٤ ــ ٦٥

(٣) ص ١٦٦ ــ ١٦٨ عشائر ج ٤ — (٤) ص ١٦٨ ــ ١٧٠ — (٥) ص١٧١ــ١٧٣

٤ ـ الكريش (قريش) : رئيس هذه العشيرة ابن عبد الحميد ونخوتها يتيم وتسكن في جانبي دجلة في انحاء النعمانية وفروعها الحجي والفرج . ولكل منهما يتفرع الى فروع عديدة [١] .

٥ ـ المقاصيص : رئاسة هـذه العشيرة في بيت رشيد وتسكن الدخيلية وام البرام في ناحية ام حلانة . وفروعها العريان والبو دويجي والبو فراس والعنابرة والبو رشادة والبو جمعان والبو لاجح والعرجان وبيت رشيد والبو حبيب . ولكل منها رئيسه الخاص [٢] .

٦ ـ بنو عمير :

وهي عشيرة كبيرة . نخوتها عامر . وتسكن بين دجلـة والغراف من انحاء الكوت ورئيسها ابن كليل . وفروعها الجعيفرية والعطاطفة والهليجية والبو غربي والجودة والزركان والدريسات والبو حنانـي والعابد والبو جابر والغنيمة والخراوتة والفليجات والفرع الاخير يتفرع الى فروع عدبدة اخرى [٣] .

٧ ـ البو دراج : رئيسها ابن الطلال وابن الحطاب . وفرقهـا بيت طلال وبيت كولان والكولبة وبيت علي خان وبيت فـارس والبو غيث والبر كمر وبيت ام شرتي والبو خضر . ومنهم جماعة في العمـارة يحتفظون باسماء فروعهم الاصلية مثل بيت فارس والكوكبة والبو حمر والبو خضير والبو غيث ورئيسهم ابن صدام [٤] .

٨ ـ ربيعـة :

ومن ربيعة مجموعة كبيرة في انحاء الحويزة تعرف باسم ربيعـة وتسكن في ساحل نهر كارون الشرقي وفروعها حرب وهذا فرع الرؤساء

---

(١) ص ١٧١ ـ ١٧٢
(٢) ص ١٧٣ ـ ١٧٤
(٣) ص ١٧٤ ـ ١٧٥
(٤) ص ١٧٤ ـ ١٧٥

والزركان والسلامات والنواصر والحميد والجبارات والبو بالي والبو عطوي [1] .

٩ ــ كنانة او جنانة :

تتوزع هذه العشيرة في انحاء عديدة من العراق منها من يسكن في اراضي الدخيلية في قضاء الرفاعي . رئيسهم ابن الحاج خضيروفروعهم آل كمر والمجاجيل والدريسات وآل مسعود والجلالات .

ومنها مجموعة كبيرة في لواء العمارة رئيسها ابن الدنبوس وفروعها العظامات والدريسات والزريجات والجلالات والشخياتوبيت سيد وبيت بريسم وبيت جتوى وبيت زامل والكمر [2] .

١٠ ــ الدفافعة :

رئيسها ابن العلي ونخوتها عروس . وفروعها بحارنة وجبيران وسوالمة ومهبات وحميدات ونجادات وسعيدات وفضيلات وجواملة وبيت الطريفي وآل شهاب والبو شكير والغليسات وآل داود . والرؤساء من الفرع الاخير فضلا عن ان لكل فرع رئيسا خاصا . ومن هذه الفروع ما يتفرع الى فروع ثانوية [3] .

١١ ــ بنو ويس : وفروعها (البو سلمان) ويسكن الهارونية ورئيسه ابن السلمان و (حجيرة) بالعزية و (الغزيوي) ورئيسه ابن المالح و (والجنحيدم) في العسدية ورئيسه ابن المالح و (الكطو) في يلدروز و (الجراونة) والجبارة [4] .

١٢ ــ الانباريون : وتسكن الآن في الحركاوي عند فتح نهر اليوسفية . ونخوتها اولاد علي ورئاستها لابني السليمان والحاج

---

(١) ص ١٧٦ ــ ١٧٧
(٢) ص ١٧٧ ــ ١٧٨
(٣) ص ١٧٨ ــ ١٧٩
(٤) ص ١٧٩ ــ ١٨٠

حسين • وهي اصحاب جمال وثراء وعمل زراعي • وفروعها البو سهيل والبو شيخ علي والبو علوش والبو حسن والبو خدام والبو حسين والبو عبد ربة والبو طهماز • والبو محسن والعاكول والبو حردان والبو شهاب [1] •

وقد قال العزاوي بعد هذا كخاتمة لبحث عشائر ربيعة يطول بنا ذكر عشائر ربيعة المنتشرة في الانحاء العديدة والمشهور ان عبوده وعبادة منهم وان عشائر ربيعة تولت رئاسة اكبر عشائر القرنة والهارثة وبني خيكان كما هو الشائع ••••

وفي اجزاء تاريخ العراق بين احتلالين تكرر ذكر ربيعة في مجال الاحداث القبيلية منذ اوائل القرن التاسع الهجري باسلوب يدل على ما كان لها من نشاط وحيز [2] •

---

(١) ص ١٨٠ ــ ١٨١

(٢) انظر تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٦٤ ــ ٦٥ و ج ٥ ص ٢٥٥ ــ ٢٥٩ و ج٦ ص ١٢١ و ١٦٦ .. ١٧١ و ٢١٦

عشائر كعب

عقد العزاوي فصلا على عشائر كعب وامارتها [١] بعد نبذة الانباريون وقال في مقدمته ان بني كعب من العشائر القديمة في العراق من ربيعة واشار الى امارة بني كعب في الحويزة والمحمرة وخضوعها لسلطان ايران مما شرحناه في نبذة خاصة سابقة .

ويستفاد من شروحه ان من عشائر كعب من هو موزع في اراضي العراق واراضي ايران مثل عشائر المحيسن والبو غبيش والدريس والخنافرة والمجدم والحزبة والنصار وكعب الدبيس والعنافجة وعبد الخان والجواسية ، حيث يوجد جماعات من كل من هذه العشائر في اراضي العراق واخرى في اراضي ايران . والذين هم في العراق منهم يسكنون قريبا من حدود ايران في السهوة والبوارين والشهلة وأم الخصاصيف والزيادية والطويلة والدعيجي والزين والرميلة وأم الحنابي والفلاحية والذين هم في ايران يسكنون اراضي المحمرة وعلى الخليج في انحاء خور الدورق وعبادان وبهمشير والجزيرة الخضراء والمينوحي .

ويقول العزاوي ان عشائر كعب لا يختلفون عن سائر العشائر العربية في عوائدهم ـ والمتبادر انه يقصد بالكلام الذين هم في اراضي ايران ـ ولهم مهارة في تلقي الاخبار وعناية بالغرس والزرع . ومنهم من يقوم بتسيير الزوارق والمشاحيف ويعيشون على التمر [٢] .

وقد عقد المؤلف بعد ذلك نبذة بعنوان عشائر كعب في العراق [٣]. ومع ان العنوان يدل على ان المقصود هم الذين هم في العراق فقط فان

---

(١) ج ٤ ص ١٨١ وما بعدها . (٢) ج ٤ ص ١٨٨

(٣) ص ١٨٩ ـ ١٩٠

سياقه احتوى ما يفيد ان من العشائر التي ذكرها من يسكن ايران ايضا •
وقد ذكر ان رئيس عشائر كعب في العراق هو ابن عاصي • اما فروعها وبالاحرى عشائرها فهي :

١ ــ آل حسن : ويسكنون بمعزية شمالي العمارة • ويتفرعون الى تسعة فروع •

٢ ــ آل عامر : ويسكنون في العمارة وجماعة منهم في ايران ويتفرعون الى خمسة فروع •

عشائر اخرى متصلة بكعب

ثم ذكر المؤلف تحت هذا العنوان عددا كبيرا من العشائر وقال ان امارة كعب لا سلطة لها عليها وانها متوزعة في اراضي ايران والعراق ايضا كسابقاتها وان من اشهرها بنو طرف والباوية والمطور والكطارنة وبنو مالك وبنو صالح والبو محمد والنشوة والمياح والزبيد والخميس والخزرج وآل ذجير وبنو تميم وبنو سالة والموالي وجنانة والثوامر والعايد وبنو علي وخفاجة والشرفاء والبو بصيري الحوافظ والبو جنعان واهالي ابو غريب وآل كثير • وبعض هذه الفروع يتفرع الى فروع ثانوية [١] •

عشائر اخرى
متصلة بالمنتفق وربيعة

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان عشائر عديدة كما يلي :

١ ــ السودان : وهذه العشيرة في انحاء العمارة وفروعها بيت احمد ومنه الرؤساء والبو عبود والبو جحيلي والبو كريم والبو عليوي والبو ضاحي ولكل منها رئيسه الخاص •

ويلحق بالسودان عشائر البو حمادي والكواضي والصكور [٢] •

---

(١) ص ١٩٠ ــ ١٩٥

(٢) ص ١٩٥ ــ ١٩٨

٢ ـ بنو خالد : نخوتهم هبوش ورئيسهم ابن رويز وفروعهم السحبان والدعمان والمراجعة والحلاتمة والمداهنة والبو رمح والحمبور. وهم في الخالص ومنصورية الجبل وقضاء كفري . ومنهم جماعة في الشامية رئيسها ابن جزار وفروعها آل دغفر والبو مطر وآل معيـان والسنيدات والشبانات . ومنهم الخويلد في لواء المنتفق [١] .

٣ ـ الكوام : في الدجيلة عند الامام منصور . وفروعها بيت سميس وهو فرع الرؤساء وبيت طعيمة والبو حسن وبيت دبيتي والبو ويس وبيت حميد والشواعل [٢] .

عشائر قيس

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان عشائر عديدة كما يلي :

١ ـ قيس : نخوتها زعب وتسكن في حران ومنها جماعة في العراق وفرقها ابو شعبان والصيالة ومنها الحيسات في انحاء بيجي والملحان في ابي غريب . وتسكن في ناحية السعدية [٣] .

٢ ـ الكروية : لهـا قرى عديدة ورئاستها لابن حـازم الـذي يتسمى بلقب الامارة عن اجداده . وفروعها المصاليح والبو نزال والدويان والحمامدة والبو كـاظم العبو الله والغلامات والبو دراج والصوافـي والكحاطنة والرحاملة والصبابحة والدراوسة والعويسات والشمسيـات والنزارات . وبعضها يتفرع الى فروع ثـانوية ولكل منهـا رئيسه الخـاص [٤] .

٣ ـ الداينية : وتسكن في اراضي بلدروز في جدول التحويله . ورئيسها ابن الشيخ محمد وفروعها البو محب والبو مهدي والحلوف

---

(١) ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ (٢) ص ٢٠٠ (٣) ص ٢٠١
(٤) ص ٢٠١ ـ ٢٠٥

والفريحات والزكية والزكدرلية والمحيات ويلحق بها الدستكية والنفافشة والحريث ولكل منها رئيسه الخاص [1] .

٤ ــ الردينية : وتسكن في اراضي الدجلة غربي مندلي ورؤساؤها بنو البربوني واللهيص • وفروعها الدريبات والنعيم والكويشات وبيت زيدان ولكل منها رئيسها [2] .

٥ ــ الزهيرية : وتسكن في مهروت واطراف مندلي • ورئيسها ابن النويني وفروعها البو كران والصولاغ والبديرات والمغيلات والعرين [3] .

٦ ــ الخيلانية : وتسكن الهارونية وسنسل وصدر مهروت ورئيسها ابن الرميص [4] .

٧ ــ الدهلكية : وتسكن مع الدينية ورئيسها ابن الشطب [5] .

٨ ــ الكرخية : وتسكن في ناحية كنعان • وفروعها الوشاحات والكرات والفضول والعرينات ورئيس هذه الفروع العام ابن الرغش • ثم الجلالات والعمادات والنعيمات والوارية والشميسات ورئيسها العام ابن السعبد مع احتفاظ كل فرع برئاسة خاصة [6] .

٩ ــ الاركينة : وتسكن في بركينة ومهروت • ورئيسها ابن الرجب وفروعها البو رومي والبو محمد [7] .

١٠ ــ الكميعات : وتسكن في الهارونية وتمتد حتى تل ابي ردان• ورئيسها ابن الكسارة • وفروعها البو عروش والبو سعيد والبو نيلة [8] .

١ ــ المهدية : وتسكن في المقدادية وفي حربتلية • ورئيسها ابن

---

(١) ص ٢٠٦
(٢) ص ٢٠٧
(٣) ص ٢٠٧
(٤) ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨
(٥) ص ٢٠٨
(٦) ص ٢٠٨
(٧) ص ٢٠٨ـ ٢٠٩
(٨) ص ٢٠٩

ابي والدة . وفروعها الهواشم والبو غليض والبو غزالي والجعامات والبو رجب [١] .

١٢ ـ الندة : وتسكن في قضاء مندلي وفي الدبلة من قضاء الحلة. ورئيسها ابن العزيز . وفروعها الحمايل والمصعب والمحسن والشسُات والعوادل والحلف والبو كليب والبو مفرج [٢] .

١٣ ـ الجورانية : في بلدروز ورئيسها ابن الشهاب . وفروعها البو صكر وبيت فياض وبيت معلتي وطوينات وسماحي وغشام وبيت شناوة وبيت سعيوف وبيت حايط [٣] .

عشائر عدنانية اخرى

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان الـذي جاء بعـد ذكر عشيرة الجوانية عشائر عديدة اخرى كما يلي :

١ ـ المجمع : وصفها المؤلف بانها عشيرة كبيرة في انحـاء سامراء ومنها جماعات في لواء دالي واراضي ابي عروج ورئيسها ابن المهدي . وفروعها الجلال والرواشد وكل من الفرعين يتفرع الى فروع رئيسية واخرى ثانوية حتى يبلغ العدد نحو الثلاثين [٤] .

٢ ـ بنو تميم : هم من بني تميم القبيلة القديمة المشهورة . وما تزال اكثرية هذه القبيلة في انحاء نجد والاحساء . ومنها جماعات كبيرة موزعة في انحاء مختلفة من العراق مثل لواء ديالي وهور عقرقوف والمشخاب والهارونية وبلدروز والمنتفق والبصرة . ورئيسها العام ابن السهيل . وفروعها المصالحة والطبجاح والخضيرات والعبايشة والنصيف والعكابات والرباكات والمسميلات والشريفات والمراعيص والطرشـان

---

(١) ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ (٢) ص ٢١٠
(٣) ص ج ٤ عشائر ص ٢١٠ ـ ٢١١ (٤) ص ٢١١ ـ ٢١٦

والبو حياص والعطاطفة والبو حشمة والشديدة والعوينات والعناتية والبو ناصر والمراعبة والبو فرج والعبيدات والجورانية . وبعضها يتفرع الى فروع وفروع فروع ولكل منها رئيسه الخاص . وبعضها ليس من تميم وانما صار منهم بطريق المساكة والولاء [1] .

٣ ــ العنبقية : وهي من العشائر المعروفة في انحاء الخالص في ناحية دلتي عباس ونهر حمادي ومنها جماعات في لواء كركوك واخرى في تكريت . وفروعها (الجعافرة) ورئاسته لابن عناية . و (الحوافظ) ورئاسته لابن الحاج محمد و (الجوخلية) و (الجويرات) ورئاسته لابن العبد و (البو بالي) ورئاسته لابن اليوسف و (العبدلية) و (البو جارود) ورئاسته لابن العباس و (البو زين) وكل منها يتفرع الى فروع عديدة ولكل منها رئيسه الخاص [2] .

٤ ــ الكريط : وتسكن في طويريج في اراضي الصليعة والسجلة وام الحمري . ورئيسها بن لوقي . وفروعها البو خلف والحوافظ والقشائر والحويفظات وكل منها يتفرع الى فروع ولكل منها رئيسه الخاص [3] .

٥ ــ حرب : تدعى هذه العشيرة انها من سلالة حرب جد معاوية ابن ابي سفيان . وهي من العشائر القديمة . وتسكن في انحاء قرهتبه وفي الشمايك قرب الزاب الاعلى وفروعها البورفة والبو حجر والبو صكر والحراشات والطوالات والبو سليمان ولكل منها رئيسه الخاص [4] .

العلويون

ذكر العزاوي تحت هذا العنوان بعد حرب عددا من العشائر ونبه

---

(١) ص ٢١٦ ــ ٢٢٢
(٢) ص ٢٢٢ ــ ٢٢٦
(٣) ص ٢٢٦ ــ ٢٢٨
(٤) ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩

في اول الكلام انه يصعب احصاء العشائر التي تنتسب الى الامــام علي وقال ان أصلها افراد تكاثووا في المدن والبادية ٠ وقل من هو مقطوع بنسبه [١] ٠ واخذ بعد هذا يذكر هذه العشائر كما يلي :

١ ــ الحديديون :

قال العزاوي عن هذه العشيرة انها مخلوطة من زبيد وغيرها وفيها جماعات معروفون بانهم سادة حسينية ٠ واسمهم آت من لقب جــد يرجعون اليه اسم السيد نور الدين الملقب بعجان الحديد ٠ ومنهم من يسكن في ناحية الحمــدانية في الموصل ٠ ومنهم من يسكن في نــاحية الشورة ومنهم من يسكن في ضواحي الموصل في قرية لهم ومنهم مــن يسكن في لواء كربلاء ومنهم متجولون ٠ وفروعهم هي : (الدروبي) ورئاسته لابن السليمان و (الشويكات) ورئاسته لابن الشيخ حسين و (العمرات) ورئاسته لابن عذاب و (البو سليمان) ورئاسته لابن ورشان ٠ وكل منها يتفرع الى فروع عديدة ٠ وبعض هذه الفروع يتعاطى تربية المواشي والاتجار بها ٠

وهناك عشائر متفرعة من عشائر وارومات اخرى اختلطت بالحديديين وسكنت مع فروعهم وهي البو سويدان والسلاطنة والجوايزة والبو عامر والشياهنــة والجوامرة والبو رويعي والبو صبيــح والعصافرة والويسات [٢] ٠

٢ ــ السميذع :

هم والحديديون ابناء جد واحد استقلوا باسمهم وعشيرتهم وهم موزعون في الوية كركوك وديالي واربيل وسامراء ومنهم جماعــات في اراضي سورية وتركية ٠ وفروعهم (البو عليوي) و (العنان) و (البو

---

(١) ص ٢٢٩

(٢) ص ٢٢٩ ــ ٢٣٥

ظاهر) و (البو صالح) و (الرحاوي) و (البو حديد) و (البو جاسم) و (البو شحادة) و (البو جواد) واكثر الذين في العراق اهل زراعة وماشية [1] .

٣ ــ المشاهدة : وهؤلاء في شمالي بغداد في المحل المعروف باسمهم ومنهم جماعة في الجانب الشرقي من دجلة وفي التاجي وفي الرحبة . ورئيسهم ابن البرجس وفروعهم (البو ظاهر) و (البو تاج الدين) و (البو كمولي) و (المطاردة) و (البو لطيف) و (القبطان) و (المعلك) و (البو شيتي) و (البو حياة) و (البو حمد) و (البو عثمان) و (البو حسين الحديد) و (البو هرموش) و (البو عون) و (البو شويل) و (البو شوكة) و (البو زين الدين) و (البو اسماعيل) و (الجدادعة) وكل منها يتفرع الى فروع ولكل من الفروع وفروعها رئيس خاص [2] .

وتدعى هذه القبيلة انها اولاد جعفر المبرقع ابن الامام علي الهادي . ونخوتها اولاد علي . وافرادها مجدون .

٤ ــ الحياليون :

ولهم اسم آخر وهو البو عبد العزيز . يدعون انهم من ذرية الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر الكيلاني . ولكن الاسرة الكيلانية لا تعترف لهم بذلك . وكثرتهم في الجهة الغربية من سنجار . ومنهم من يسكن في انحاء الموصل . ومنهم من يسكن في اراضي الطارمية شمالي المشاهدة . وفروعهم (البو حمد البكر) و (البو حسين) و (البو غنيمة) و (البو جاسم) و (البو غنام) و (المطالكة) و (العشارات) و (الاغوات) ولكل منهم رئيسه الخاص . ومنهم جماعة في قرية ابي كرمة في لواء ديالي [3] .

---

(١) ص ٢٣٥ ــ ٢٢٦ (٢) ص ٢٣٦ ــ ٢٤٠

(٣) ص ٢٤١ ــ ٢٤٢

٥ ـ النعيم :

كثرة هذه العشيرة في الحويجة • ومنهم من يقول انها حسينية ومنهم من يقول انها حسينية • وفروعها العيسى والفقراء والبو سيد والمهنا والحواترة والبو مصري والعزيز والنفل والعجارمة والعجل والعبايد • ومنها جماعة في السعدية وفروعها البو خالد وابو شحاذة والبو عليوي والسميدع والبو جواد والبو صالح ويلحق بها عشائر البحر والشراعطة والرجيبات [1] •

٦ ـ آل ياسر :

رئيس هذه العشيرة ابن الياسري • وتسكن في المشخاب في ناحية الفيصلية وفروعها آل عزيز وآل دريس وآل كاظم وآل حمزة [2] •

٧ ـ العناكشة :

رئيس هذه العشيرة ابن السلمان وتسكن في انحاء الشامية • وفروعها البو سيد علي والبو سيد ابراهيم والبو سيد حسون وآل رهمة والبو علي خان [3] •

٨ ـ المحانية :

تنتسب هذه العشيرة الى السيد محنة • ويقيم بعضها في هور منصور في ناحية الجدول الغربي وبعضها في اراضي الرغيلة وبعضها في الدغارة وبعضها في اراضي خور الدخن في قضاء الشامية • وفروعها العوزي والبو كراغول والبو سيد جودة والبو سيد محسن والبو سيد جاسم • وفرع محسن يتفرع الى اربعة فروع ثانوية في

---

(١) ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣

(٢) ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤

(٣) ص ٢٤٤ •

الدغـــارة [١] .

٩ ـ البو صعبر :

تسكن هذه العشيرة في الكوفة وفي الحلة . وفروعها البو داود والبو يوسف والبو سيد علي [٢] .

١٠ ـ آل ابي طبيخ :

ويقـــال لهـــذه العشيرة آل السيد هادي ايضا وتسكن فـــي الغمـــاس [٣] .

١١ ـ آل السيد مهدي :

جد هذه العشيرة والعشيرة السابقة واحد . وهـــي متوطنة فـــي الرميثة في شط خنجر [٤] .

١٢ ـ آل زوين :

تسكن هذه العشيرة في الجعارة . ومن فروعها البو سيد حسين والبو سيد محمد والبو سيد علي . ومنها جماعات في التاجية والنجف والنعمانية [٥] .

١٣ ـ العذاريون :

هذه العشيرة منتشرة في لوائي الحلة والديوانية وتمت الى الامام زيد علي . وفروع الذين في لواء الديوانية هي آل السيد محمد وآل السيد موسى . وفروع الذين في لواء الحلة هي آل السيد محمد وآل سوادي وآل السيد علي وآل السيد مصطفى وآل السيد عبد [٦] .

---

(١) ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥
(٢) ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦
(٣) ص ٢٤٦
(٤) ص ٢٤٦
(٥) ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧
(٦) ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨

١٤ ـ السادة بنو حسن :

هذه العشيرة في الشامية . وفروعها آل السيد صافي والبو سيد ناصر وسادة الاميال والجعافرة [١] .

١٥ ـ آل مكوطر :

هذه العشيرة في الشنافية . ولها الزعامة والمكانة فيها [٢] .

١٦ ـ السادة البو زيد :

تسكن هذه العشيرة في الحلة والديوانية . وفروعها البو سيدحسين والبو سيد خلف [٣] .

١٧ ـ السادة :

تسكن هذه العشيرة في العمارة . وقد جاءت من الحجاز سنة ١٢١٣ هـ ايام امارة المنتفق وتولت رئاسة البهادل العامة . ومن افخاذها آل السيد هاشم وآل السيد نور وآل السيد مشكور وآل السيد يوسف وآل السيد شريف وآل السيد محمد [٤] .

السوامرة

قال العزاوي تحت هذا العنوان الذي جاء بعد نبذة السادة في العمارة ان في سامراء مجموعة عشائر من السادة يطلق عليها السوامرة ولكنه لا يرى صلة بين بعضها والبعض الآخر الا نادرا [٥] .

ومن هذه العشائر :

١ ـ البو عباس : وهي اكبر عشائر سامرا وينتمون الى الشريف يحيى وينشر جماعات منهم في بغداد والحلة والعمارة وكفرى . وفروعها

---

(١) ص ٢٤٨ (٢) ص ٢٤٨ (٣) ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩

(٤) ص ٢٤٩ (٥) ص ٢٥٠

البو عبد العزيز والبو كنعان والبو مرتضى والبو دور والبو عبد الله والبو حامد والبو طالب . وبعضها يتفرع الى فروع ثانوية . ورئاستها لابن السيد عباس [١] .

٢ ــ البو عيسى : رئيسها ابن الكريم . وهي التي ذكرت ضمن عشائر سبنس [٢] .

٣ ــ البو مليس :

رئيسها ابن الشيخ عباس . ومهنتها تربية المواشي والمتاجرة بصوفها . وفروعها البو جاسم والبو خليل والبو نعامة والبو ديز والبو جميل [٣] .

٤ ــ البو نيسات :

رئيسها ابن المهدي . وفروعها بوديس وبو حسب الله وبو صدير وبو ربيع وبو فتح الله وبو عبد الحسين وبو جعيفر [٤] .

٥ ــ البو اسود :

رئيسها بن مطر . وفروعها البو مطر والبو جليب والشناترة والبو عني والبو عساف [٥] .

٦ ــ البو باز :

رئيسها بن العلي الاكبر . وفروعها البو مهيدي والبو هادي والبو مهيدي [٦] .

٧ ــ البو بدري :

رئيسها ابن بدري . وفروعها البو محمد البدري والبو حمزة والبو

---

(١) ص ٢٥٠ ــ ٢٥٢
(٢) ص ٢٥٢
(٣) ص ٢٥٣
(٤) ص ٢٥٣
(٥) ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤
(٦) ص ٢٥٥

عبد الله والبو عرموش والبو عساف [١] .

٨ ـ البو دراج :

رئيسها ابن العابد . وفروعها البو خليفة والبو جمعة والبو ناصر [٢] .

٩ ـ البو عظيم :

رئيسها ابن الزيدان [٣] .

١٠ ـ العشاعشة :

رئيسها ابن الياسين [٤] .

١ ـ البو عبد الرحمن :

يرأسها ابن الحاج محمد وابن السالم [٥] .

وتنتهي هنا حلقات القبائل العربية في العراق . ويبدو من التمعن فيها ان القبائل العربية منتشرة انتشارا واسعا في جميع انحاء العراق . منها ما يزال في حالة البداوة ومنها ما اخذ يسير في طريق التحضر . ومنها الحديث الطروء ومنها القديم . ومن الجدير بالتنبيه ان القبائل التي ذكرت اسماؤها وانسابها وتفرعاتها بهذه الكثرة العجيبة هي التي ما تزال تحتفظ بطبيعتها ومظاهرها وتقاليدها القبيلية ، وان من الطبيعي ان يكون كثير من القبائل التي كانت في العراق قبل الفتح والتي طرأت عليه بعد الفتح قد تحضرت بمرور الزمن وعمرت مدن العراق وقصباته وريفه . وفي كل ذلك تعليل لاحتفاظ العراق بطابعه العربي الشامل رغم ما تعرض له من زحوف تركية وخضع له من سيادة تركية خلال احد عشر قرنا .

---

(١) ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ (٢) ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ (٣) ص ٢٥٧
(٤) ص ٢٥٧ (٥) ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨

خاتمة [1]

لمحة موجزة في مراحل توطد السيادة العربية
في بلاد الشام والعراق محل السيادة التركية

---

(1) هذه اللمحة مقتبسة من كتاب الوحدة العربية للمؤلف وخاصة الصحف : ٣٢٥ – ٣٠٧ و ٣١٥ – ٣٢٦ و ٣٤١–٣٦٢ و ٤٦٠ – ٥٠٢ و ٥٢٤ – ٥٤٤ من الاجزاء ١ – ٥ من كتاب حول الحركة العربية له ومصادرها .

تمهيـــد

لقــد ظل الهلال الخصيب أي بلاد الشام والعراق موضوع هذا الجزء والجزء السابق تحت التغلب ثم السيادة التركية التي بدأت في القرن الثالث الهجري والتي تمثلت منذ القرن العاشر الهجري في سيادة الدولة العثمانية الى سنة ١٣٣٦ هـ ــ ١٩١٨ م

ومع احتفاظ هذه البلاد بالطابع الغربي الشامل لغة ودما وتقـاليد وعادات دون أن تتأثر كثيرا بما كان يأتيها من جماعات الترك وامتداداتهم حينا بعد حين ويستقر فيها بفضل القرآن العربي الذي هو كتـاب المسلمين المقدس وبفضل احترام الترك للعرب ولغتهم واعتبارهم ذلك مظهرا واجبا من مظاهر الاسلام الذي كانوا يدينون به ، ثم بما كـان العرب عليه من حيوية قوية وما كان من استمرار انسياح القبائل العربية من جزيرة العرب اليها وقيام الارومات العربية على الحكم المحلي المباشر على ما مر تفصيله فان العرب استناموا للسيادة التركية واستساغوهـا واعتبروها غير غريبة وغير اجنبية عنهم لانهم والترك على دين واحـد ، وكان هذا يغذي بحرص الحكام الترك على بثه وتوكيده جيلا بعـد جيل والحيلولة دون ثوران الشعور القومي العربي واعتبار ذلك دعوة الى العصبية الجاهلية التي نهى النبي عنها بقطع النظر عن ما في ذلـك من سوء تأويل وفهم • وقد توطد ذلك خاصة بطول المدة التي استطاع الترك أن يفرضوا سيادتهم فيها على بلاد العرب وهي الف سنة ونيف ، فعاش اهل البلاد طيلة هذه المدة في جو الفكرة الاسلامية اللاقوميـة وفي غفلة عن حقيقتهم العربية والتفكير القومي •

ولقد جنحت الـدولة العثمانية من اواسط القرن الثالث عشـر الهجري ــ القرن التاسع عشر الميلادي ــ الى القضاء على نظام الاقطاع

والمشيخات المحلية في بلادها ومن جملتها بلاد الشام والعراق التي كان ذلك النظام ستارا فيها بين السواد الاعظم العربي والتأثير التركي وتشديد قبضتها عليها في ظل التنظيمات الادارية الحديثة التي اقتبستها من اوروبا وبتأثير اوروبا السياسي والثقافي والاجتماعي حتى تم ذلك في اواخر القرن المذكور على ما مامر ذكره في المناسبات السابقة •

ولقد رافق هذا حلول اللغة التركية محل اللغة العربية في دواوين الحكم وصارت معرفة اللغة التركية من شروط توظيف العربي فيها بنطاق واسع بكثير مما كان • وأدى هذا الى صيرورة هذه اللغة لغة التعليم في المدارس الحكومية مما كان يحمل بذور عملية تتريكية في بلاد العرب باسلوب او صورة ما ولو تكن مقصودة في الاصل — حيث كان القصد تخريج موظفين يعرفون اللغة التركية — ومما كان يصح ان يعد نكسة بالنسبة للعروبة لان لغة الحكم كانت في ابان الحكم الاقطاعي المحلي الذي كان هو الحكم المتصل بالشعب في هذه البلاد عربية [١] •

وفي هذه الاثناء كان الاتصال بين بلاد الدولة العثمانية وبين اوروبا التي كانت سبقتها في مختلف الميادين الحضارية آخذا بالاشتداد ترافقه رغبة الاقتباس والتقليد • فكان ذلك من اسباب انبعاث الحركة القومية التركية ثم الحركة القومية العربية بالاضافة الى الانبعاث العلمي والحضاري •

وكانت الحركة القومية العربية تستهدف بعث الامجاد العربية

---

(١) لقد وصل الامر في سياق ذلك الى ان صارت اللغة العربية نفسها تدرس باللغة التركية وفي كتب تركية والى ان اتسع نطاق اللغة التركية كلغة تعليم الى ان صارت لغة المدارس الرشدية بل الى ان كادت تغدو لغة الصفوف الاخيرة من المدارس الابتدائيةالحكومية وان صار الكلام باللغة العربية شبه محظور وتحت طائلة العقاب المدرسي في اثناء الحصص والفرص ! وقد شهد المؤلف هذا ومارسه ابان دراسته الابتدائية والرشدية والاعدادية في مدارس نابلس الحكومية خلال سنة ١٣١٢ — ١٣١٩ هـ ١٨٩٥ — ١٩٠٢ م •

السياسية والقومية والثقافية والحضارية التي ركدت حركتها في عصور انتغلب التركي وتوطيد حقوق العرب ولغتهم في بلادهم التي كانت تتموج في الكيان التركي الاسلامي راضية او ساكنة . واشتدت حركة الانبعاث القومي والسياسي خاصة بعد اعلان الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ م - ١٣٥٤ هـ فاخذ المتنورون العرب وخاصة في بلاد الشام والعراق يبذلون نشاطهم ودعوتهم في نطاق منظمات علنية وسريه ، وكانوا في بدء الامر يستهدفون ان يكون لبلادهم استقلال ذاتي يمارس الحكم فيه رجال منهم وتكون اللغة العربية هي لغته الرسمية . فلم يرق ذلك لجماعة الاتحاد والترقي التي سيطرت بعد الدستور على شؤون الدولة وكانت تهدف الى تمكين العنصر التركي من التفوق والاستعلاء على العناصر الاخرى ، فنشب بين الفريقين صراع وتناد وتطور بعد ما دخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ هـ الى جانب الالمان حيث اشتدت قبضة الاتحاديين على الدولة واخذوا يطاردون رجال الحركة العربية ويسجنونهم ويشنقونهم ويشردون ضباط العرب والاسر العربية . واستغلت انكلترا ذلك فجرى اتصال بينها وبين شريف مكة الحسين بن علي بسبيل القيام بثورة عربية على الدولة العثمانية مقابل الاعتراف باستقلال بلاد العرب في نطاق مملكة عربية كبرى تضم بلاد الشام والعراق والحجاز . وانتهى الاتصال الى اتفاق ثم اعلان الثورة العربية في ٩ شعبان ١٣٣٤ هـ - حزيران ١٩١٦ م في الحجاز .

ولقد احتلت القوات الانكليزية معظم بلاد العراق في أثناء الحرب ثم احتلت بالاشتراك مع قوات الثورة العربية التي كانت تحت قيادة فيصل بن الحسين القسم الداخلي والشمالي من بلاد الشام واحتلت لوحدها فلسطين وقام في دمشق حكومة عربية برئاسة الامير فيصل ، واحتلت القوات الافرنسية جبل لبنان والسواحل الشامية . ولقد كان

المأمول ان تقوم مملكة عربية مستقلة تشمل بلاد الشام والعراق والحجاز استنادا الى وعود الانكليز وعهودهم للملك حسين • غير انه ظهر ان الانكليز كانوا يبيتون الغدر والخيانة للعرب حيث اتفقوا مع الافرنسيين على تجزئة بلاد الشام والعراق الى مناطق تخضع لنفوذهم واستعمارهم، وحيث وعدوا اليهود بوطن قومي في فلسطين تحت نفوذهم كذلك • فقام منذ ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها بين العرب اهل بلاد الشام والعراق من ناحية وبين الانكليز والافرنسيين من ناحية أخرى صراع ونضال كان هدف العرب منه تحرير بلادهم من المحتلين الغادرين وتوطيد السيادة العربية فيها • ولقد امتد هذا الصراع والنضال عشرات السنين وتقلب على ادوار واطوار وانتهى بحمد الله وقوته الى تحقيق ذلك الهدف السامي باستثناء الجزء المغتصب من فلسطين •

وخلال هذه المدة اشتد تيار الفكرة القومية العربية فوعي اهل البلاد حقيقتهم العربية وعيا تاما •

تحرر العراق وتوطد السيادة العربية فيه

يتألف العراق اليوم من ثلاث ولايات كانت منفصلة عن بعضها في عهد الدولة العثمانية وهي ولايات بغداد والبصرة والموصل • وقد وقعت هذه الولايات تحت الاحتلال الانكليزي في أثناء الحرب العالمية الاولى وغدت اقليما موحدا تحت الادارة العسكرية الانكليزية • ولقد بدأ نضال اهلها في سبيل التحرر والاستقلال فور انتهاء الحرب المذكورة حيث ظهرت نيات الانكليز الخبيثة في حكم البلاد حكما استعماريا واستغلال ثرواته ومركزه الممتاز • ثم ثاروا سنة ١٩١٩ م ثورة كبرى ازعجت الانكليز وكبدتهم أفدح الخسائر واضطرتهم الى التراجع عما كانوا يترسمونه من حكم استعماري ونصب الامير فيصل بن الملك حسين ملكا على العراق في ٣ آب ١٩٢١ م والاعتراف بالعراق دولة عربية مستقلة • فكان ذلك تدشينا لعودة السيادة العربية الى هذا القطر متمثلة في ملكها العربي وحكومته العربية •

ولقد حاول الانكليز توطيد سيطرتهم على هذه الدولة واستندوا في ذلك الى قواتهم المحتلة فأدى هذا الى أخذ ورد وتشاد بينهم وبين رجال العراق وتتج عن ذلك معاهدة سنة ١٩٢٤ م التي اعترف الانكليز فيها باستقلال العراق وسيادته وتضمنت مع ذلك قيودا شديدة الوطأة من شأنها تشويه الاستقلال والسيادة وعرقلتهما ، وقد استمر رجال العراق على العمل على الغاء هذه القيود واشتد الاخذ والرد بينهم وبين الانكليز وكاد يتفاقم وينقلب الى ثورة مما جعل الانكليز يوافقون على تعديل المعاهدة في سنة ١٩٣٠ م تعديلا خفف القيود والشروط

والمنح التي نصت عليها المعاهـدة السابقة وصارت الـدولة العراقية والسيادة العربية في نطاقها اكثر بروزا وتوطدا • وقد دخل العراق فـي سنة ١٩٣٢ م بناء على ذلك الى عصبة الامم عضوا كدولة مستقلة ذات سيادة نتيجة لذلك •

ولقد مات فيصل في سنة ١٩٣٣ م فخلفه ابنه غازي • ومـات هذا في سنة ١٩٣٨ م فنودي بابنه القاصر فيصل تحت وصاية خـاله عبدالاله بن علي بن الحسين الى سنة ١٩٥٣ م حيث بلغ فيصل سن الرشد فاستلم مهام الملك •

ولقد ظل رجال العراق يسعون في سبيل ازالة القيود والشروط التي تضمنتها معاهدة سنة ١٩٣٠ م ، حتى انهم اغتنموا فرصة الحرب العالمية الثانية وجنوح الانكليز الى تشديد قبضتهم على العراق ومرافقه فثاروا عليهم سنة ١٩٤٠ ثورة عظيمة يصح ان تسمى حربا رسمية بزعامة رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزارة وكبار ضباط الجيش العراقي • ومـع ان هذه الثورة اخفقت فان مساعي رجال العراق لم تقف الى سنـة ١٩٥٥ هـ حيث انعقد بين العراق والانكليز اتفاق انهيت به احكام المعاهدة وتوابعها وتعهدت فيه بريطانية بالجـلاء عن العراق وتسليم المطارات الانكليزية للحكومة العراقية مقابل موافقة العراق على الاشتراك في حلف مع تركية وغيرها من دول الشرق الاوسط تشترك فيه بريطانية وغيرها من دول المعسكر الغربي وعلى قبول مساعدة بريطانية بنـوع خاص على الدفاع عن العراق في حالة تعرضه للعدوان بقوات ترسلها اليها وعلى منح بريطانية حق الارتفاق المتنوع في ارض العراق وجعل امد الحلف والاتفاق خمس سنين قابلة للتجديد •

ولقد ثار الرأي العام العربي في العراق وغير العراق الذي كـان يأمل ان يتفلت العراق من هيمنة الانكليز تفلتا تاما على هذه القيود والشروط والمنح واعتبرها توطيدا للهيمنة الانكليزية واستمرارا لهـا باسلوب آخر • ورأى فيها مآرب استعمارية متنوعة منهـا تشميل

الهيمنة الاستعمارية لجميع بلاد الشرق العربي وتفتيت التجمع العربي وتعويق نمو الحركة القومية العربية التحررية التي اخذ يقودها البطل العربي الملهم جمال عبد الناصر قائد ثورة مصر المباركة والتي كان شعارها الحياد الايجابي ومعاداة من يعادي العرب ومصادقة من يصادقهم والتعامل مع الجميع تعامل الند للند واضطلاع العرب وحدهم في الدفاع عن بلادهم ضد أي عدوان من أي جهة جاء ... واخذ الصراع يشتد بين الجماعات الوطنية في العراق وحكامه المنحرفين الذين جعلوا العراق أقوى حصن للاستعمار يطعن به العروبة ويعرقل حركة تحررها الى ان بلغ ذروته في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ م فانفجر بشكل حركة انقلابية عسكرية بقيادة ثلة من ضباط العراق الكبار اشهرهم عبدالكريم قاسم وعبد السلام عارف واطاحت بالحكم الملكي واعلنت الحكم الجمهوري وقضت على الملك وخاله ولي العهد ورئيس وزرائه نوري السعيد واعتقلت جميع الذين كانوا يساندون الحكومة العراقية في خططها وسياستها من الساسة والوزراء والضباط وقضت على بعضهم وسجنت بعضهم وحررت العراق من قيود حلف بغداد والاتفاقية الانكليزية العسكرية فتوطدت بذلك السيادة العربية على هذا الجزء من الهلال الخصيب بريئة من كل شائبة بحول الله وقوته وجهاد العرب [1] .

---

(١) لم نذكر في خاتمة هذه النبذة تفصيلا للنكسة المريرة التي المت بثورة العراق المذكورة آنفا وادت الى ما ادت اليه من فواجع محزنة ومحنة شديدة في العراق العزيز ثم من انحراف عن الهدف الذي كان في مقدمة أهداف الثورة وهو التضامن ثم الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة نتيجة للانانية الممقوتة التي استحوذت على عبد الكريم قاسم رئيس الحكومة الثورية وجعلته يطمح الى التفرد في حكم العراق ويتضامن بسبيل ذلك مع الشيوعيين والشعوبيين والانكليز بل ويسير بسبيل ذلك بوحيهم وتشجيعهم لان القصد من النبذة هو التنويه بتحرر العراق وتوطد السيادة العربية عليه وهو ما تم بحمد الله على كل حال . والامل عظيم في حيوية العروبة في العراق وروحه النضالية بان لا يتوانى عن تحطيم ما حل فيه من طغيان . كما حطم من قبله ما هو اشد منه .

— ٢ —

تحرر سورية وتوطد السيادة العربية فيها

ان ما عرف بعد الحرب العالمية الاولى باسم سورية والجمهورية السورية ـ قبل الوحدة ـ كان يتألف من ولايتي حلب وسورية • وحينما قامت حكومة الامير فيصل في دمشق في خريف عام ١٩١٨ م على ما ذكرناه في التمهيد كان حكمها يشمل هاتين الولايتين كقطر عربي موحد • ومنذ قامت هذه الحكومة اخذ السوريون يناضلون في سبيل توطيد السيادة العربية على هذا القطر والاقطار الشامية الاخرى وهي ما عرف بلبنان وشرق الاردن وفلسطين حيث كانت هذه الاقطار تؤلف وحدة جغرافية وتعرف بسورية الطبيعية او سورية الكبرى •

ولقد ارسل فيصل حاكما ـ هو شكري الايوبي ـ الى لبنان والسواحل السورية على اثر قيام حكومته في دمشق وقبل مجييء القوات الافرنسية فرفع الحاكم الاعلام العربية المربعة الالوان فوق ربوعها واخذ يوطد السيادة العربية عليها فلم ينشب ان جاءت كتائب افرنسية فاحتلت هذا القسم من بلاد الشام وارغمت الحاكم العربي على طي اعلامه والرجوع الى دمشق • ومن ثم نشب صراع بين رجال الحركة العربية وبين فرنسة التي كانت تعتبر جميع بلاد الشام في نطاق نفوذها واستعمارها بناء على اتفاقية سابكس بيكو الغادرة بينها وبين الانكليز اثناء الحرب وفي الظرف الذي كان الانكليز يتفاوضون فيه مع الشريف حسين ويوقعون له الوعود والعهود باستقلال بلاد العرب • وكان من صفحاته ان تمردت سورية على الاستعمار واعلنت استقلال سورية التام بحدودها الطبيعية في ٨ آذار عام ١٩٢٠ تحت ملكية الامير فيصل كما كان من صفحاته زحف غورو القائد والمندوب الافرنسي

على دمشق ونسفه للدولة بعد ان تفاهمت فرنسة وانكلترة وسلمت الاولى للثانية بما كانت تساوم عليه من امور في صدد الموصل وشرق الاردن وفلسطين [1] •

وسارت فرنسة بعد ذلك على سياسة الارهاب الشديد من ناحية وخطة الخداع والتجارب الهزيلة من ناحية ثانية فكانت تقيم حكومات خاضعة لها كل الخضوع في مدن سورية • فلم يكن هذا وذاك ليفت في عضد سورية التي ثابرت على نضالها ضد فرنسة واخـذت تقـوم بثورات وحركات تمردية متنوعة ثم ثارت ثورتها الكبرى سنة ١٩٢٥ م التي كان شعارها وحدة سورية تحت سيادة العروبة الخالصة • ورأت فرنسة بعد ان استنفدت جهودها في القسوة والبطش والقصف والارهاب ان تجنح الى الحلول النصفية فاصدرت دساتير لاقاليم سورية واقامت الجمهورية السورية الاولى برئاسة محمد علي العابـد سنة ١٩٣٣ م وأملت عليها معاهدة قيدت سورية فيها بقيودها الثقيلة التي تجعلهـا خاضعة لها • ولكن رجال الحركة العربية في سورية لم ينخدعوا ولم يهنوا وثابروا على نضالهم الى ان انفجرت ثورة دمشق في سنة ١٩٣٥ م مما جعل فرنسة تتراجع وتساير اكثر مما سبق بعد ان اعياها قمـع الحركة برغم ما عمدت اليه من البطش والارهاب ففاوضت قادة الحركة الوطنية واسفرت المفاوضة عن معاهدة اعترفت فرنسة فيها باستقلال سورية وسيادتها ووحدتها مع بعض الشروط التي جاءت اخف ممـا

---

(١) كانت انكلترة الخائنة تتظاهر بتأييد حكومة فيصل وتحرضها على مناواة فرنسة مستهدفة بذلك (١) تخلي فرنسـة لها عن القسم الداخل في نفوذها من ولاية الموصل بموجب اتفاق سايكس بيكو ليكون تحت استعمارها وسيطرتها اسوة بسائر بلاد العراق (٢) تخلـي فرنسة لها عن شرق الاردن الذي كان تابعا لادارة سورية منـذ العهد العثماني ليكون تحت استعمارها وسيطرتها بدلا من ان يكون تحت نفوذها تبعا لسورية (٣) موافقتها على ان تكون فلسطين تحت استعمارها وسيطرتها بدلا من ان يكون معظمها تحت ادارة دولية حسب ذلك الاتفـاق . فلمـا سلمت فرنسة لهـا بمـا كـانت تريـده خلت بينهـا وبـين حكومة فيصل في سورية الداخلية باسلوب غادر لئيم فزحف غورو على دمشق واسقط هذه الحكومة !

كانت تريده وجرت انتخابات نيابية وانتخب المجلس النيابي الجديد في أوائل سنة ١٩٣٦ م هاشم الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية رئيسا للجمهورية وتألفت حكومة من زعماء الكتلة فقام بذلك حكم عربي ذو سيادة اخذ ينشط في سبيل توطيد الحكم واستكمال اسباب التقدم والازدهار القومي • على ان رجال النزعة الاستعمارية الافرنسيين الذين وافقوا على ما تقدم كرها ومسايرة لقوة النضال العربي اخذوا يعرقلون نشاط الحكومة ويدسون عليها ثم اغتنموا فرصة تجهم سماء اوروبا منذرا بالحرب العالمية الثانية فنكثوا عهدهم في اواخر سنة ١٩٣٩ م والغوا المعاهدة والحكم الوطني وفرضوا قبضتهم الاستعمارية من جديد بالحديد والنار واخذوا يطاردون ويعتقلون من يظفرون به من رجال الحركة العربية وشبابها مما عرض سورية لمحنة شديدة استمرت الى ربيع عام ١٩٤١ م حيث انهارت فرنسة وركعت على اقدام الالمان وعقدت هدنة معهم فجنح رجال فرنسة الفيشية ـ نسبة الى فيشي عاصمة فرنسة المهادنة مع الالمان ـ الى التفريج بعض الشيء عن سورية• ولكن لم يمض الا قليل حتى غزت سورية القوات الانكليزية ومعها قوات افرنسية تمثل الحركة التي تسمت بفرنسة الحرة بقيادة الجنرال ديغول والتي تمردت على الحكومة الافرنسية الفيشية وهدنتها وانضمت الى صفوف الحلفاء للاستمرار على مناضلة الالمان • وفرضت سيطرتها على سورية وكانت قد وعدتها قبل الغزو بالاشتراك مع بريطانية بمنحها الاستقلال والسيادة فطالبت سورية بانجاز الوعد، وحاول رجال فرنسة الحرة ان يحملوا رجال الحركة الوطنية على عقد معاهدة يعترفون بها لفرنسة بمركز ممتاز عسكري وثقافي واقتصادي فأبوا ان يقيدوا وطنهم بقيود جديدة لان ظروف الحياة قد تغيرت في نظرهم وعظم عندهم الامل بالاستقلال والسيادة بدون قيد فاقام الافرنسيون جمهورية بقرار منهم برئاسة الشيخ تاج الدين الحسني الذي ابدى استعداده للتعاون معهم على تحقيق مقاصدهم • غير ان الشيخ لم يكن مستندا الى تأييد شعبي

ووقف رجال الحركة من جهة اخرى يناوئونه ويطالبون بريطانية التي كانت هي صاحبة الكلمة النافذة والتي كانت حركة فرنسة الحرة ذيلا تابعا لها من دون حول ولا قوة بانجاز وعدها .

وقد اضطرت هذه الى المسايرة واغتنمت فرصة موت رجلها الشيخ تاج فسمحت باجراء انتخابات حرة - لانها ظلت تعتبر نفسها هي المسئولة عن سورية وسايرتها بريطانيا في ذلك - ففاز الوطنيون فيها وانتخب المجلس في ١٧ آب ١٩٤٣ شكري القوتلي الذي كان من اركان الحركة العربية وكان يتزعم الحركة الوطنية في هذا الظرف رئيسا للجمهورية وقامت الى جانبه حكومة من كبار رجال الحركة فقام بذلك عهد وطني استقلالي ذو سيادة للمرة الثانية .

وفي هذه الاثناء كانت الامم التي انضمت الى الحلفاء في نطاق الحرب ضد الالمان تتجمع في سان فرانسيسكو لوضع ميثاق هيئة الامم فانضمت سورية الى ذلك النطاق ثم الى مؤتمر فرانسيسكو وغدت عضوا مؤسسا في الهيئة . وجرت في هذه الاثناء - تشرين الثاني ١٩٤٣- مشاورات الوحدة العربية في مصر التي اثارت حماس العرب وجعلتهم يرون فيها حركة مباركة نحو اهدافهم المقدسة التي تأتي الوحدة في رأسها فاندمجت سورية كذلك في هذه الحركة فكان هذا وذاك مما وطد للعهد قوة ومكانة في العالم العربي وفي العالم الدولي معا .

ولقد اخذ رجال فرنسة الحرة يحاولون اخضاع رجال العهد الجديد بعقد معاهدة معهم تضمن لفرنسة مركزا ممتازا عسكريا واقتصاديا وثقافيا بشكل ما فظل هؤلاء الرجال على ابائهم ونشب بينهم وبين رجال فرنسة اخذ ورد بلغ ذروته في شهر مايس ١٩٤٥ م وبلغ غيظ الافرنسيين اشده كذلك من العهد ورجاله فاقدموا على حركة عوجاء بقصد القضاء عليهم وقصفوا دمشق بالمدافع واعملوا فيها يد التدمير والنهب والتحريق . فتدخلت بريطانية التي كانت وعدت

سورية بالاستقلال والسيادة فاوقفت الافرنسيين عند حدهم . وتقدمت سورية بالشكوى على فرنسة الى مجلس الامن الذي قام في نطاق منظمة هيئة الامم . وقد اصبحت سورية عضوا مؤسسا فيها حيث اشتركت في مؤتمر سان فرنسيسكو الذي وضع ميثاقها ـ مطالبة بجلاء الجيوش الاجنبية عن بلادها استنادا الى ميثاق هذه الهيأة وانتهى الامر بوعد بريطانية وفرنسة بجلاء قواتهما ونفذ الوعد في ١٦ نيسان من سنة ١٩٤٦ فتوطدت السيادة العربية التامة على سورية دون أي شائبة .

ولقد جدد المجلس النيابي في سنة ١٩٤٧ مدة رئاسة شكري القوتلي للجمهورية التي اخذت تنشط في سبيل التقدم والازدهار غير ان المطامع والاصابع حركت حسني الزعيم رئيس اركان حرب الجيش السوري فجعلته يغتنم فرصة الحزن الذي ألم بالامة العربية من جراء نكبة فلسطين واخفاق الدول العربية في درئها فيقوم بحركة انقلاب عسكري في اواخر شهر آذار سنة ١٩٤٩ م ويقصي شكري القوتلي ويفرض نفسه رئيسا للجمهورية . وبعد ثلاثة اشهر اي في حزيران من السنة نفسها حركت الاصابع سامي الحناوي احد كبار ضباط الجيش فقام بانقلاب ثان واعتقل حسني الزعيم واعدمه وقامت اثر ذلك حكومة جديدة برئاسة هاشم الاتاسي التي استجابت لحركة ترمي الى الاتحاد بين سورية والعراق فحركت الاصابع اديب الشيشكلي احد ضباط الجيش السوري فقام بانقلاب ثالث في آخر السنة واعتقل سامي الحناوي واحبط الحركة . وكان في هذه الاثناء جرى انتخاب مجلس تأسيسي وضع دستورا جديدا ثم انقلب الى مجلس نيابي وانتخب هاشما الاتاسي لرئاسة الجمهورية في اوائل سنة ١٩٥٠ م . واراد اديب الشيشكلي ان يظل هو الموجه للحكم فاختلف مع الحكومة فركب رأسه واقدم على اعتقال الوزارة وعددا من البارزين من اعضاء المجلس النيابي في ربيع سنة ١٩٥١ فاضطر هاشم الاتاسي الى ترك منصبه .

وحينئذ قامت حكومة عسكرية برئاسة فوزي سلو اكبر ضباط الجيش بالظاهر وبسيطرة اديب الشيشكلي اقوى رجال الجيش الذي برز رسميا على المسرح كنائب للرئيس في الحقيقة •

ثم خطا الشيشكلي خطوة جديدة في سنة ١٩٥٣ م فوضع دستورا جديدا وعرضه على الشعب مستفتيا اياه به كما طلب من الشعب انتخاب رئيس للجمهورية وفاقا له ولم يترشح غيره ولم يستطع احد ان يرفض الدستور لانه ارهب الناس بسيطرته العسكرية واجراءاته البوليسية ، وهكذا فرض نفسه رئيسا للجمهورية ثم اجرى انتخابات نيابية فاز فيها أولياؤه وصنائعه بالاكثرية لانمعظم السياسيين احجموا عنالترشيح لذلك السبب فقام حكم نيابي مدني في الظاهر وعسكري ديكتاتوري ارهابي في الحقيقة •

وفي اواخر شباط سنة ١٩٥٤ قام ضباط الجيش السوري الذين لم يكونوا مرتاحين لسيطرة الشيشكلي وتصرفاته بحركة مناوئة له كان للسياسيين المدنيين يد فيها فاضطر الشيشكلي الى الاستقالة ومغادرة البلاد فعاد الحكم المدني النيابي في نطاق الدستور الذي وضعه المجلس التأسيسي وعاد هاشم الاتاسي لرئاسة الجمهورية لاتمام مدته التي لم تكن قد انتهت • وحينما قرب موعد انتهائها وكانت مدة المجلس ايضا قد انتهت جرت انتخابات نيابية جديدة ثم انتخب المجلس النيابي الجديد في ١٨ آب سنة ١٩٥٥ شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية فعادت سورية في ظله الى عهدها العربي الحر القويم •

وحاول المستعمرون وخاصة الولايات المتحدة الاميركية وبريطانية ان يبسطوا هيمنتهم على سورية في نطاق حلف بغداد الذي ذكرنا ظروفه واهدافه والمآرب الاستعمارية الكامنة فيه قبل فوقفت سورية بقيادة قائدها العظيم شكري القوتلي صامدة لهم محبطة للمؤامرات التي كانوا يحيكونها ضدها والتهديدات التي كانوا يوجهونها اليها متضامنة مع

حكومة الثورة المصرية اقوى تضامن واشده • ثم قرر رجال الحكومتين ورئيساهما تدعيم الرابطة الاخوية بين البلدين بخطوة عظيمة الخطورة هي توحيدهما في نطاق دولة عربية واحدة باسم الجمهورية العربية المتحدة ووقعوا بذلك ميثاقا في اول شباط سنة ١٩٥٨ ثم جرى في العشرين منه استفتاء في سورية ومصر على رئيس الجمهورية والدستور الموقت اسفر عن ما يقرب من الاجماع بالموافقة على الوحدة برئاسة بطل الثـورة المصرية العربي العظيم جمال عبد الناصر •

وهكذا توطدت السيادة العربية الموحدة على مصر وسورية فكان ذلك من اعظم المراحل والاحداث العربية القومية الحديثة قوبلت باعظم مظاهر الاغتباط والاستبشار في جميع بلاد العرب وغدا للعروبة بهـا وزن عظيم في المجالات الدولية وتيسر بها لهـا اسباب القوة والنمو والتكامل والازدهار •

تحرر لبنان وتوطد السيادة العربية فيه

ولقد كان ما يسمى اليوم بالجمهورية اللبنانية من بلاد الشام يتألف (١) من جبل لبنان و (٢) من منطقة طرابلس الشام التي كانت متصرفية تابعة لولاية بيروت في الحكم العثماني و (٣) من منطقة جبل عامل ومدن صيدا وصور ومرجعيون والنبطية التي كانت هي الاخرى تابعة لولاية بيروت و (٤) من مدينة بيروت التي كانت مركزا لولاية بيروت و (٥) من مناطق راشيا وحاصبيا وبعلبك والبقاع التي كانت تابعة لولاية الشام •

وقد جمعت هذه المناطق باسم لبنان الكبير بقرار من المندوب السامي الافرنسي في سنة ١٩٢٠ م بعد نسف الحكم العربي الفيصلي بقليل •

وقد كان جبل لبنان الاصلي (الصغير) يدار وفق النظام الخاص الذي اقترحته الدول الاوروبية بعد حوادث سنة ١٨٦٠ م على ماشرحناه في بحث تاريخ الموارنة ولبنان في الجزء الاول وظل كذلك الى اواخر سنة ١٩١٤ م ـ ١٣٣٢ هـ حيث الغت الدولة العثمانية على اثر دخولها الحرب العالمية الاولى الى جانب الالمان هذا النظام واخذت تحكم لبنان حكما مباشرا عاديا باسم متصرفية لبنان • أما بقية اجزاء الجمهورية اللبنانية الحاضرة فقد كانت تحكم في نطاق ولايات بيروت وسورية • وظل الامر على هذا المنوال الى اواسط ايلول عام ١٩١٨ م ـ ١٣٣٦ هـ حيث انسحب الترك من هذا القسم كما انسحبوا من سائر بلاد الشام• وارسل الامير فيصل شكري الايوبي لاعلان وتوطيد السيادة العربية

على لبنان الصغير والمناطق الاخرى – عدا بعلبك وراشيا وحاصبيا والبقاع التي كانت تابعة لحكومته استمرارا على ما كان عليه الامر قبل – فسارعت فرنسة الى ارسال كتائبها فاحتلت لبنان الصغير والمناطق الاخرى تنفيذا لاتفاق سايكس بيو على ما شرحناه قبل قليل . وهكذا حلت السيادة أو السيطرة الافرنسية محل السيادة او السيطرة العثمانية في هذا القسم .

ولقد كانت فرنسة تختص منذ اجيال عديدة نصارى بيروت ولبنان وخاصة موارنتها وكاثوليكها المتوافقين معها بالمذهب بعنايتها لمآرب استعمارية وتعقد معهم اواصر الصداقة وتنشيء لهم المعاهد والمدارس تعلمهم فيها تاريخها ولغتها وتخوفهم من العروبة والاسلام وتلقنهم كذبا وزورا انهم ليسوا من العروبة في شيء . وجاء فريق من اليسوعيين الجزويت الذين طردوا من فرنسة نتيجة لثورتها الكبرى الى لبنان واستقروا فيه وفي بيروت وأنشأوا المدارس كما أنشأوا الجامعة المعروفة باليسيوعية ونالوا من حماية فرنسة ومددها ما حرموه في وطنهم لان دعوتهم متسقة مع المنهج الذي كانت تترسمه من استقطاع نصارى لبنان من نطاق العروبة وتخويفهم من الاسلام وتلقينهم الافرنسية وحبها وتاريخها ، فنشأ مع الزمن روابط وعواطف متبادلة بين فرنسة والموارنة والكاثوليك حتى لقد صارت اللغة الافرنسية لغتهم المفضلة في بيوتهم واعمالهم ، وصارت الاسماء الافرنسية اسماء لبناتهم وابنائهم ، وحتى صاروا يرون فرنسة حاميا او كما يسمونها « الام الحنون » ويتمنون ان يكونوا ضمن حمايتها الفعلية ، وحتى صارت فرنسة ترى فيهم الابناء الابرار ، وينعتهم ساستها وكتابها بافرنسيي الشرق ، وترى لنفسها بسبب ذلك حقوقا وتقاليد ومصالح وتطمح الى بسط سلطانها او نفوذها على بلاد الشام وخاصة على بيروت ولبنان . واكد هذه الروابط والعواطف بصورة قوية حوادث لبنان وسورية الطائفية الدموية التي

اخذت تقع عقب جلاء الحملة المصرية والتي بلغت ذروتها عام ١٨٦٠ ، حيث تدخلت فرنسة كوكيلة عن الدول الاوروبية العظمى تدخلا فعليا وارسلت حملة عسكرية الى بلاد الشام باسم حماية ارواح النصارى ، فكان كل هذا مما جعل نصارى لبنان وبيروت وخاصة موارنتهما وكاثوليكهما الـذين يؤلفون كثرة النصارى الكبرى يتجهون لمجيء الحاكم الذي ارسله الامـير فيصل قبل قـدوم الكتـائب الافرنسية وعقب انسحاب الترك ويتلقون قدوم هذه الكتائب بالابتهاج والترحيب ومما جعل فرنسة تعتبر نفسها في وطنها حينما احتلت لبنان والسواحل وتعتبر قدمها راسخة وطيدة .

ولقد حكمت فرنسة لبنان والسواحل في السنتين الاوليين مـن قدومها حكما عسكريا . واهتمت خاصة لمحاربة الحركة القومية العربية التي كان كثير من رجال هذه المنطقة من اوائل العاملين في سبيلها مـع رجال بلاد الشام الاخرى في زمن الدولة العثمانية ، ثم التي كان لهـا فيها انصار يبلغون ثلثي سكانهـا من مختلف الطوائف الاسـلامية والمسيحية .

وقد كان لانهدام العهد الفيصلي ووقوع سورية الداخلية بـين مخالب الاحتلال الافرنسي اثر أليم في انصار العروبة ، وفرصة كبيرة لتشديد فرنسة مناوأتها للفكرة العربية واخمادها نأمة انصارهـا . وقد عمدت في الوقت نفسه الى اثارة النعرات الطائفية الدينية في سكـان لبنان والسواحل ، واوجدت تيارا من التنافس والتناظر بينها جعل كلاً منها يهتم لحقوقه وكيانه ومركزه بالنسبة لغيره من الطوائف في المناصب والوظائف والمراسم مما كان من اشد الضربات التي وجهتها فرنسة الى هذه البلاد اجتماعيا وسياسيا .

وبعد انهدام عهد فيصل وسع الافرنسيون حدود لبنـان فصار يسمى لبنان الكبير ثم عينوا احد زعماء الموارنة حبيب السعد حاكمـا

عاما ففعدت رئاسة احد الموارنة للبنان تقليدا مستمرا على اعتبار ان الموارنة هم طائفة لحدتها اكثر الطوائف عددا • ثم ساروا بعد ذلك على سياسة توسيد مناصب الدولة ووظائف الحكومة للانصار الموالين والطامعين والمتشبعين بالتعصب الطائفي وبالفكرة التي غرسوها وظلوا يتعهدونها وهي عدم الصلة بين لبنان والعروبة مع الكذب المكشوف لهذه الفكرة لان سكان لبنان يمتون قديما الى الجنس العربي لانهم من موجات جزيرة العرب وقد استعربوا واندمجوا في العروبة منذ القرون الطويلة فضلا عن ان نصفهم او اكثر يمتون الى العروبة الصريحة على ما شرحناه في الجزء الاول •

ولقد كان حبيب السعد اول حاكم عام تحت السيطرة الافرنسية للبنان عربي الارومة فكان توليه لمنصبه بمثابة مرحلة من مراحل الحكم العربي في هذا الدور من حيث لم ترد فرنسة ذلك •

وقد تكرر هذا المظهر في سياق الحلول الهزيلة التي كانت فرنسة تطبقها في لبنان تبعا لما كانت تفعله في سورية •

وممن قاموا على رأس الجمهوريات اللبنانية بين سني ١٩٣٠ و ١٩٤٣ شارل دباس واميل اده والفرد نقاش والدكتور ثابت وكلهم عربي الارومة ايضا •

ومن الجدير بالقيد انه بالرغم مما قلناه من انسجام وولاء اكثرية نصارى لبنان لفرنسة فان ما كان من تميز الاقتصاد الافرنسي وتأثيره في تعطيل مصالح لبنان وشل صناعاتهم وتجاراتهم وشركاتهم اولا ، وما كان من صلف الافرنسيين وحمقهم وسوء استغلالهم لمناصبهم وسلطانهم واستغراقهم في رغبة الاثراء بأي وسيلة قد احدث رد فعل شديد في نفوس كثير من هذه الاكثرية حيث ادرك الواعون منها نظرة الازدراء التي ينظر الافرنسيون بها الى الجميع ، وحيث رأوا ان تظاهر فرنسة بحب لبنان واهله لم يكن لسواد عيون ابنائه وانما كان وسيلة الى بسط

سيطرتهم على لبنان وسائر بلاد الشام بطريقه وجعلها مجال فرنسة الاستعماري على حساب مصالحها واقتصادياتها وكرامة ابنائها وحريتهم ، مما كانت آثاره تظهر في الصحف غير المأجورة وفي المناسبات المتنوعة .

وفي سنة ١٩٤٣ م طرأ تبدل جوهري على حالة لبنان ، فان فرنسة الديغولية [1] حينما سمحت في هذه السنة باجراء انتخابات نيابية حرة في سورية تنفيذا للوعد الذي قطعته مع بريطانية بين يدي زحف قواتهم على سورية ولبنان بالاعتراف باستقلال الاقليمين وسيادتهما سمحت بمثل ذلك في لبنان فجرت في ايلول ١٩٤٣ م انتخابات نيابية فاز فيها عدد من النواب المسلمين والنصارى الذين كانوا متبرمين من سيرة فرنسة ناقمين عليها وفي مقدمتهم رياض الصلح احد زعماء الحركة العربية المشهورين والشيخ بشارة الخوري الذي يمت الى اسرة الخوري الاقطاعية العربية التي ذكرناها في سلك الاسر الاقطاعية اللبنانية ، وكان هذان الزعيمان قد تواثقا مع غيرهما من زعماء ونبهاء المسلمين والنصارى على العمل في سبيل نيل استقلال صحيح وسيادة حقيقية وحكم دستوري . وانتخب المجلس النيابي الشيخ بشارة الخوري رئيسا للجمهورية ، واختار هذا رياضا لرئاسة الوزارة فقام بذلك عهد جديد كان فاتحة خير للحركة العربية والسيادة العربية في لبنان .

وقد كان من اهم ما اهتم له زعيما العهد الجديد ازالة ما يتناقض مع أستقلال لبنان وسيادته . وقد اعلن رياض في مجلس النيابي عزم وزارته على توطيد استقلال لبنان وسيادته الكاملة ، وتعديل الدستور ورفع المواد المتناقضة مع ذلك وتوطيد بنيان الامة والقضاء على ذهنية الطائفية البغيضة ، وقرر ان لبنان عربي يمت الى العروبة باوثق المظاهر

---

(١) نسبة الى الجنرال ديغول الذي قام على راس حركة لتحرير فرنسة بالتضامن مع بريطانية والولايات المتحدة حينما انهارت امام زحف الالمان وتهادنت معهم في الحرب العالمية الثانية .

والصفات ، وانه يجب ان يتعاون مع البلاد العربية ، وانذر كل موظف يسير على ما كان يسير عليه من تلقي الوحي من سلطات الانتداب ، واوجب استعمال اللغة العربية وحدها في مصالح الحكومة ، فقوبل بيانه بالهتاف من اعضاء مجلس النواب الذين كانت اكثريته مسيحية ونالت الوزارة ثقة اجماعية لم يشذ عنها الا عضو ماروني واحد هو اميل اده المعروف بشدة تعصبه للطائفية المارونية وفنائه في السياسة الافرنسية .

ولقد كان بيان رئيس الوزارة الذي كان بطبيعة الحال بالتطابق مع رئيس الجمهورية الماروني واعضاء الوزارة الذين ينتسبون الى مختلف الطوائف والمقابلة الاستحسانية التي قوبل بها مفاجأة عظمى للعالم العربي الذي كان يرى في لبنان المعصم المنيع لفرنسة وسلطانها الاستعماري في الشرق العربي ، واعلانا داويا بتمرد ممثلي لبنان على اختلاف طوائفه على هذا السلطان الذي استهتر طيلة خمس وعشرين عاما بمصالح لبنان واهله وخدعهم بالتهويل والتضليل لمآربه واستغلاله، مما اذهل الافرنسيين ورأوا فيه بوادر زلزلة سلطانهم الذي حسبوه منيعا خالدا قوي الاساس ، فاذاع مندوبهم تحذيرا وانذارا بعدم تعديل الدستور ، ولم تعبأ الوزارة بذلك فقدمت التعديل المطلوب الى المجلس فاقره هذا بما يشبه الاجماع في مظاهرة حماس بالغة ، وخطب فريق من النواب يمثلون مختلف الطوائف الاسلامية والمسيحية في سياق ذلك خطبا قوية في صدد الاستقلال والسيادة والعروبة ، فما كان من المندوب الافرنسي الا ان ارسل قوات عسكرية ليلا الى بيوت رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة وعدد من الوزراء والنواب واعتقلهم في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ وارسلهم مخفورين الى قلعة راشيا واصدر امرا باقالتهم وبحل مجلس النواب وبتعيين اميل اده رئيسا للدولة .

ولم يكد يعرف ما جرى حتى انفجر الهياج في لبنان ، فقامت

المظاهرات واعلن الاضراب في بيروت ثم في سائر لبنان ، واخذت الاشتباكات تقع بين الناس والدوريات الافرنسية والسنغالية التي انزلها الافرنسيون الى الشارع ، وقام هؤلاء باعتقالات كثيرة من بيروت وصيدا وطرابلس الشام وتوترت الاعصاب توترا شديدا ، واجتمع فريق من النواب مع الوزراء الذين لم يعتقلوا وقرروا تأليف حكومة طوارىء وطنية اتخذت احدى قرى الجبل معصما ومقرا لها ، واخذت تصدر البلاغات الموجهة للشعب والموظفين ، واحتج بطرك الموارنة والبطاركة الآخرون ورؤساء الطوائف الاسلامية ، واعلن المسلمون والنصارى تضامنهم في الموقف .

وهكذا ولد لبنان ولادة عربية وطنية رائعة وبتعبير أصح ظهر لبنان بوجهه العربي الصحيح والتحق بقافلة النضال العربي في سبيل اهداف الحركة العربية من الاستقلال والسيادة ، وضد المستعمرين واساليبهم ؛ وتزلزلت تحت اقدام الام الحنون ارض كانت تظنها ارضها المستقرة ؛ وتمردت عليها امة كانت تظنها من لحمها ودمها .

ولقد كان للحادث رد فعل شديد ورائع في البلاد العربية فاعلن الاضراب في بلاد العرب احتجاجا على فرنسة وتضامنا مع لبنان واحتجت الحكومات العربية ، وانهالت الصحف العربية على فرنسة لوما وتقريعا ، وكان موقف الانكليز الاستنكاري قويا لانهم اعتبروا العمل الافرنسي تحديا لهم لانهم شركاء في الاحتلال واصحاب الجميل على الحركة الافرنسية الديغولية ، وضامنون لاستقلال لبنان وسيادته فاحتجت الحكومة الانكليزية احتجاجا شديدا وانهالت الصحف الانكليزية على فرنسة لوما وتأنيبا ، وسرى ذلك الى العالم الغربي ، وكان مؤتمر فرانسيسكو في هذا الظرف منعقدا لوضع ميثاق لهيئة الامم وحرية الشعوب وحقها في الحرية والاستقلال فكان وقع العمل شديدا في اوساطه ، مما جعل رجال الحركة الديغولية يتراجعون وهم

محنقون اشد الحنق ، ويطلقون سراح المعتقلين ويلغون اوامرهم ويرضون بعودة رئيس الجمهورية والوزارة والمجلس النيابي .

وهكذا خرج لبنان من محنته فائزا منصورا يتبختر بحلته العربية النضالية . وقد اجتمع المجلس النيابي وتبارى فيه الخطباء بالاشادة بالحرية والاستقلال والتضامن العربي ، ورفع العلم اللبناني الجديد الذي جعل متسقا مع الوان العلم العربي في هذه الآونة على بناية المجلس ودور الحكومة فكان ذلك تدشينا رسميا رائعا لتقويض اركان فرنسة ومزاعمها في لبنان ولاستقلال لبنان وسيادته في نطاق العروبة الخالدة .

ومنذ انكشاف الغمة عن لبنان اخذت تتهيأ له اسباب توطيد الاستقلال والسيادة حيث اعترفت به الدول ، واندمج في مشاورات الوحدة العربية ثم غدا عضوا في الجامعة العربية ، كما غدا عضوا مؤسسا في هيئة الامم . وقد اشتد التضامن بينه وبين سورية في سبيل تصفية الموقف مع فرنسة ، وشارك سورية في رفض التعاقد معها ومنحها مركزا ممتازا ثم وقف يواسيها في محنتها التي تعرضت لها من بغي فرنسة وعدوانها في مايس ١٩٤٥ ويشد ازرها ، ثم اشترك معها في الشكوى لمجلس الامن ضد فرنسة والمطالبة بجلاء الجيوش الاجنبية عن ارضه ، وانتهى الامر بالنسبة اليه كما انتهى بالنسبة الى سورية حيث اتفقت فرنسة وانكلترة على الجلاء عن ارضه ايضا وتم ذلك فعلا في ٣١ كانون الاول من سنة ١٩٤٦ ، فغدا لبنان بذلك حرا مستقلا تحت السيادة العربية دون ما شائبة ولا قيد ، متمثلة برئيسه ورجال وزارته ونوابه الذين يمتون الى الارومات العربية الاصيلة الصريحة والمتطورة .

وفي سنة ١٩٥١ انتهت مدة الشيخ بشارة فجددها المجلس النيابي فلم يرق ذلك للمستعمرين الذين لم يكونوا راضين عن الخطة العربية

التي سار عليها فحركوا صنائعهم ضده حتى اضطروه الى الانسحاب في سنة ١٩٥٢ فانتخب المجلس النيابي كميل شمعون مكانه • وقد تظاهر هذا لفترة قصيرة في السير في الخطة العربية التي كان يتظاهر بها قبل حتى اذا تمكن تراجع عنها وصار يسير في خطة معاكسة بتوجيهات المستعمرين وخاصة الانكليز [١] ، واشتد في انحرافه حينما جنح حكام العراق الى الاندماج الكامل في خطط المعسكر الاستعماري الغربي الدفاعية والسياسية وارتبطوا بحلف بغداد واخذوا يناوئون الحركة العربية المتحررة التي سارت عليها مصر الثورة بزعامة قائدها العظيم جمال وتضامنت معه فيها سورية حيث اخذ يسير في الخطط التي يسير عليها حكام العراق فيزداد الصف العربي تشتتا ودنيا العرب بلبلة • واصبح لبنان وكرا للمؤامرات التي تحاك والدعايات المسمومة التي كانت تبث ضد مصر وسورية • ولما اقتربت نهاية مدته اراد ان يجددها واخذ يستعمل بسبيل ذلك مختلف الوسائل الاغرائية والارهابية وثارت العناصر القومية الواعية المسلمة والمسيحية في لبنان التي كانت ترى في خطة كميل شمعون ضررا وخطرا عظيمين للقومية والبلاد العربية فوقفت تناوئه واشتد التشاد بينها وبينه الى ان بلغ ذروته في اوائل مايس عام ١٩٥٨ فأدى الى انفجار ثورة دموية لاهبة امتدت نحو اربعة اشهر وعمت انحاء لبنان واشرف عليها عدد من زعماء الطوائف الاسلامية والمسيحية في تضامن قوي وكان شعارها اعتزال شمعون وانتهاء سياسة التحالف والتواثق مع المعسكر الاستعماري الغربي وسير لبنان في نطاق السياسة العربية المتحررة • واستعدى شمعون حكام العراق والاردن الضالعين مع ذلك المستعمر فامدوه بالمال والرجال والسلاح • وحاول قلب الثورة في الوقت نفسه الى فتنة طائفية بين المسلمين والنصارى بدعاية انه حامي النصارى والموارنة وكيان لبنان

---

(١) يؤكد كثير من الناس ان كميل شمعون كان موظفا رسميا في المخابرات الانكليزية وان رقم ملفه هو ٢٣ .

من المسلمين والعروبة ، فلم يكن استعداؤه الاول مغنيا في قمع الثورة واخفق في محاولته الثانية بفضل وعي وتضامن عدد كبير من زعماء النصارى بل وعامتهم مع المسلمين وعلى رأسهم بطرك الموارنة المعوشي الذي بدا قديسا عربيا قوميا بتحذيراته ومواعظه ونداءاته وتأييده للحركة القومية العربية المتحررة وللاخوة العربية التي كان لبنان منذ القديم ركنا من اركانها مما خيب آمال واحلام شمعون ومن هم وراءه وجعلهم ينكصون على اعقابهم ويتخلون عن اصرارهم العابث .

وقد جرى في السابع من تموز عام ١٩٥٨ انتخاب للرئاسة في مجلس النواب الذي كان اكثريته شمعونيا فانتخب المجلس بقوة الجو الذي كان يعيش فيه لبنان الامير فؤاد شهاب من الاسرة الشهابية الصريحة العروبة والتي كانت تحكم لبنان ومن قبله وادي التيم على شروط جبهة الاتحاد الوطني المؤلفة من زعماء المسلمين والنصارى التي كانت هي اهداف الثورة على ما ذكرناه قبل .

ولقد كان مجلس الامن في هيئة الامم بناء على طلب شمعون ارسل مراقبين دوليين الى لبنان ليحولوا دون تسرب السلاح والمدد الى الثوار من سورية ، ثم انزلت الولايات المتحدة في ١٥ تموز ١٩٥٨ بعض قواتها الى بيروت بحجة الاستجابة الى طلب شمعون لحماية استقلال لبنان في الظاهر ولضرب ثورة العراق التي انفجرت في ١٤ تموز المذكور ضد عملاء الاستعمار وقضت عليهم في الحقيقة والتي كانت اقوى ضربة نزلت على المعسكر الاستعماري وعملائه الذين يجيء شمعون على رأسهم ، فكان وجوب مغادرة المراقبين الدوليين وانسحاب القوات الاميركية مطلبا اساسيا من مطالب العهد الجديد لما في ذلك من مساس بسيادة لبنان ، وقد جرت المساعي بعد استلام الرئيس الجديد منصبه في سبيل ذلك حتى تم مغادرة المراقبين وجلاء الاميركيين في شهر تشرين الثاني ٩٥٨ فعادت السيادة العربية موطدة على لبنان في ظل عهدها الجديد .

تحرر الاردن وتوطيد السيادة العربية عليه

كان القسم الشرقي لما يعرف اليوم بالمملكة الاردنية الهاشمية أي شرق الاردن أو الضفة الشرقية في العهد العثماني متصرفية تابعة لولاية سورية تعرف بمتصرفية الكرك او البلقاء • أما قسمها الثاني الذي يسمى الآن الضفة الغربية للاردن فقد كان منه ما كان يدار في نطاق متصرفية القدس وهو منطقة القدس والخليل • ومنه ما كان يدار في نطاق متصرفية نابلس التابعة لولاية بيروت وهو الاقسام التي نجت من اغتصاب اليهود من مناطق نابلس وجنين وطولكرم وجماعين • وهذا القسم أي الضفة الغربية قد انضم الى المملكة الاردنية في سنة ١٩٥٠ م • ولقد احتل الانكليز فلسطين في سنتي ١٩١٧ — ١٩١٨ — اثناء الحرب العالمية الاولى • أما قسم شرق الاردن فقد دخل في سنة ١٩١٨ م في نطاق وسيادة الحكم العربي الفيصلي حينما قام في دمشق تبعا لما كان عليه امره في زمن الدولة العثمانية وظل كذلك الى صبف عام ١٩٢٠ م أي الى أن انهار الحكم العربي من سورية بغزوة غورو الباغية على ما شرحناه قبل ، حيث تم الاتفاق بين الانكليز والافرنسيين على سلخه عن سورية ودخوله في نطاق النفوذ الانكليزي •

وقد اخذ الانكليز منذئذ يحاولون تركيز الحكم في شرق الاردن بواسطة زعمائه ثم انتهوا في ربيع عام ١٩٢١ الى الاتفاق مع عبد الله ابن الشريف حسين الذي جاء قبل ذلك بقليل من الحجاز بنية سد الفراغ الذي خلا بانهيار الحكم الفيصلي على ان تقوم فيه امارة يكون على رأسها تحت نفوذهم • وهكذا دخل هذا القسم في نطاق

السيادة العربية في عهد فيصل ثم في عهد اخيه عبد الله مع الاشراف الانكليزي في عهد الاخير .

ولقد اخذ الانكليز يمدون الامارة بمساعدة مالية لضعف امكانياتها فغدوا بذلك وبما اقاموه من حاميات ومطارات وفرضوه من مستشارين وضباط وموظفين اصحاب الشأن النافذ على الامير وحكومته ، وصار معتمدهم يتدخل في كل شيء دون ان يكون هنـاك نصوص وعهود مكتوبة تبرر ذلك .

وقد اخذ عبد الله يبذل جهده في عقد اتفاق يعترف له فيه بالاستقلال والكيان ويحدد الصلات بينه وبين الانكليز ، وظل الانكليز يراوغون في ذلك ، ويستمرون على ما هم عليه من التدخل والسيطرة ويمكنون لقدمهم في الامارة الرسوخ والاستقرار الى سنة ١٩٢٨ ، حيث وافقوا على عقد الاتفاق المطلوب بعد ان تفاهموا مع الامير على اصدار دستور من جانبه يتضمن ما ارادوه من مبادىء تضمن لهم تحقيق مآربهم من الاستقرار والاشراف . وقد احتوى الاتفاق الذي وقع في شباط عام ١٩٢٨ المواد التي تضمن لهم كذلـك الاحتلال والاشراف والتمثيـل السياسي والنصائح النافذة في الشؤون المالية والقضائية والسيـاسية والتشريعية ، والتي تنص ايضا على ان الامير انما يمارس السلطـان بصفته وكيلا لملك الانكليز المنتدب على شرق الاردن من قبل عصبـة الامـم ....

وقد كان هذا مما يثير نفس الامير الذي كان المعيا طموحا والذي كان يعتبر نفسه وريث النهضة العربية الهادفة الى انشاء ملك عربـي ضخم مستقل ، ويجعله يسعى جهده لتعديل مركزه باستقلال حقيقي وسيادة كاملة ، كما كان هذا يثير الفئات الوطنية الواعية ويجعلها تسعى جهدها كذلك في سبيل هذا التعديل . وقد اظهر الامير استعداده فـي مختلف المناسبات للتواثق التام مع الانكليز بقصد الحصول على ثقتهم

ورضائهم بالتعديل ، واغتنم فرصة الحرب العالمية الثانية فقوي تواثقه معهم حتى وعدوه بالتعديل المنشود بعد الحرب ، وفي آذار سنة ١٩٤٦ وفوا له بالوعد فعقدوا معه معاهدة جديدة اعترفوا فيها باستقلال شرق الاردن التام وسيادتها برئاسته ، ونقلوا التزاماتهم الدولية وحق حفظ الامن الداخلي والدفاع الخارجي اليه ، ووافقوا على حقه في التمثيل السياسي التام بحيث انتقل شرق الاردن نظريا من صفة بلاد تحت الانتداب الى صفة دولة مستقلة ذات سيادة ، غير انهم اتفقوا مع الامير على ملحق للمعاهدة احتوى نصوصا ضمنت بقاء سيطرتهم قوية من الوجهة الحربية فضلا عما احتوته المعاهدة من نصوص التشاور التام في جميع الامور السياسية والتعاون والمساعدات المطلقة في حالة قيام حرب او خطر حرب . وقد نص الملحق على ان الانكليز يدفعون مساعدة مالية لتكاليف قوات شرق الاردن الحربية على شرط ان يكون لمندوبهم حق الرقابة على صرف هذه المساعدة !..

وقد قرر المجلس التشريعي الاردني في ٢٥ مايس ١٩٤٦ نتيجة لهذه المعاهدة اعلان شرق الاردن دولة مستقلة استقلالا تاما ومبايعة الامير عبد الله بالملك فغدا يتلقب بالملك بدلا من الامارة .

ومع ان مدة المعاهدة كانت عشرين سنة فوجيء الناس بجريان مفاوضات بين المملكة الاردنية وبريطانية في صدد تعديلها وابدالها بمعاهدة جديدة في اوائل سنة ١٩٤٨ م . ويظهر ان الانكليز رأوا ثغرات في المعاهدات القديمة واردوا ان يسدوها فتم لهم ذلك حيث ضمنت المعاهدة الجديدة شؤونا لم تكن مضمونة بصورة قوية وواسعة ومن جملة ذلك قيام هيئة باسم الدفاع المشترك لتنسيق شؤون الدفاع ووضع الخطط الاستراتيجية والاجراءات المتعلقة بحراسة وصيانة وتحسين المطارات والموانيء وخطوط المواصلات والتجهيزات والترتيبات المتعلقة بالتدريب العسكري وجواز اقامة قوات انكليزية في اماكن

جديدة ومرور قوات انكليزية عبر شرق الاردن مع مؤنها وذخائرها الخ .....

ولقد كان الملك عبد الله شديد الرغبة في توسيع رقعة مملكته وكان من مطامحه ان يضم اليها ما يمكن من فلسطين حتى لقد وافق على تقسيم فلسطين بين العرب واليهود الذي اقترحته اللجنة الملكية الانكليزية في سنة ١٩٣٧ لانها اقترحت ان يضم القسم العربي الى مملكته . ومع ان هذا الاقتراح اخفق نتيجة لجهاد الشعب العربي في فلسطين ورفضه ومقاومته فان تلك الرغبة ظلت قائمة في نفسه . فلما زحفت الجيوش العربية في ١٥ مايس سنة ١٩٤٨ على فلسطين على ما سوف نذكره بعد احتلت القوات الاردنية اكثر المناطق العربية الشرقية التي نجت من الاغتصاب اليهودي وغدت تحت حكم المملكة الاردنية وقوانينها وصارت تعرف باسم الضفة الغربية . وفي ربيع سنة ١٩٥٠ اشرك الملك اهلها في الانتخابات النيابية وفي ٢٤ نيسان من هذه السنة — ٧ رجب ١٣٦٩هـ اجتمع البرلمان الاردني الجديد المؤلف من نواب اردنيين ونواب فلسطينيين وقرر توحيد هذه الاقسام مع شرق الاردن في نطاق دولة واحدة فغدت السيادة العربية قائمة في هذه الاقسام ايضا في نطاق المعاهدة والسيطرة الانكليزية التي شملتها بعد ان ظلت تحت حكم الانكليز المباشر الذي حل محل الحكم العثماني نحو ثلاث وثلاثين سنة (١٩١٧ — ١٩٥٠) .

وفي ٢٠ تموز ١٩٥١ — ١٦ شوال ١٣٧٠ اغتال بعض شباب القدس العرب الملك عبد الله في المسجد الاقصى بدافع النقمة من تصرفاته التي كانت من اسباب كارثة فلسطين فنودي بابنه طلال ملكا على المملكة الاردنية في ٣ ذي الحجة ١٣٧٠ واستلم مهام منصبه في ٤ ايلول ١٩٥١ — اول ذي الحجة ١٣٧٠ حيث كان متغيبا في اوروبا . وطرأ على طلال مرض عصبي فقرر البرلمان الاردني في ١١ آب ١٩٥٢ اعفاءه من الملك

والمناداة بابنه حسين القاصر ملكا تحت وصاية مجلس وصاية الى ان بلغ رشده في ١١ آب ١٩٥٣ ـ ٢٨ ذي القعدة ١٣٧٢ فباشر مهام الملك بنفسه .

وقد ظلت المملكة الاردنية الهاشمية تحت كابوس المعاهدة الانكليزية وقائد الجيش كلوب الانكليزي الى آذار عام ١٩٥٦ م .

ولقد كان لهذا القائد تصرفات ارهابية واغوائية شديدة كانت تزيد نار الحقد والنقمة عليه في صدور الفئات القومية الواعية في المملكة التي اشتدت حيويتها بعد انضمام الضفة الغربية الى المملكة وفيها بقية السيوف من اهل فلسطين المفجوعين بوطنهم والذين يكنون بين جوارحهم أشد عواطف الكره والحقد على الانكليز اصل البلاء ورأس الداء ، وقد اشتدت هذه الحيوية قوة بعد ثورة مصر وقيادة قائدها البطل حركة التحرر القومي العربي التي قوبلت باعظم مظاهر التجاوب والحماس . ولقد اخذ الانكليز يبذلون جهدهم في ادخال المملكة الاردنية في حلف بغداد الذي كانت مصر وسورية والسعودية تناوئه لفتح ثغرة جديدة في الصف العربي من جهة ودرء سراية المناوأة الى هذه المملكة من جهة اخرى حتى وصل الامر الى ارسالهم القائد العام تمبلر الى عمان لاقناع الملك حسين والضغط على حكومته . وقد كان ذلك وسيلة لانفجار قومي شديد تجلى في مظاهرات صاخبة ضد تمبلر وضد حلف بغداد قامت في انحاء عديدة من المملكة وجعلت تمبلر يفر مذعورا والحكومة التي كان يرأسها هزاع المجالي تستقيل . وثار غضب كلوب على ما لحق امبراطوريته من اهانة فصب نقمته وبطشه على البلاد فازداد الحقد ضده حتى بلغ ذروته في آذار سنة ١٩٥٦ حيث اتصل فريق الضباط الاحرار بالملك وطلبوا منه اقصاءه مع الضباط الانكليز ووعدوه بالتأييد .

وقد لقي الطلب من الملك ارتياحا لانه كان هو الآخر قد ضاق

ذرعا من تصرفات كلوب وغطرسته التي جعلته وجعلت حكومته كالظل له ونفذ الطلب بقرار مجلس الوزراء في الرابع من الشهر المذكور فاقيل واخرج من البلاد ثم اخرج بعده ضباطه فتحرر الجيش العربي منهم •

وعم الفرح والحماس البلاد وجرت في هذا الجو انتخابات نيابية فاز فيها عدد من الشبان القوميين المتحررين الذين استلم فريق منهم الحكم واعلنوا تضامنهم مع مصر وسورية والسعودية في السياسة القوميةالمتحررة ومناوأةحلف بغداد وخطط المعسكر الغربيالاستعماري• كما اعلنوا عزيمتهم علىا لغاء المعاهدة الانكليزية لتحرير المملكة نهائيا من احتلال الانكليز وهيمنتهم ، وكان تنفيذ هذا متوقفا على تدبير نفقات الجيش التي كان الانكليز يدفعونها فتعهدت حكومات مصر وسورية والسعودية بدفعها وعقدت مع الاردن ميثاقا بذلك في آذار عام١٩٥٧ مقابل انهاء المعاهدة وآثارها وجرت الاتصالات بين الحكومة الاردنية وبريطانية وانتهت الى موافقة هذه على الغاء المعاهدة وجلاء القوات الانكليزية عن الاردن وتسليم ما في حوزتها من مرافق واجهزة وتم ذلك في آخر صيف السنة نفسها فغدت السيادة العربية على هذه البلاد ايضا موطدة دون ما شائبة •

ولقد كبر على انكلترا والولايات المتحدة الاميركية ان يسير الاردن وسورية ضد خطتهما وفي سياسة عربية تحررية الى جانب مصر فتآمرتا مع صنائعهما على قلب حكومتيهما فاخفقتا في سورية [1] ونجحتا في الاردن حيث اقال الملك في نيسان ١٩٥٧ م حكومته الوطنية المتحررة وسلم مقاليد الحكم لبعض اولئك الصنائع الذين بادروا الى اصلات

---

(١) نبت من الوثائق التي قرئت في محكمة بغداد العسكرية ان الاسبوع الاول من نيسان ١٩٥٧ كان موعدا لانقلاب في سورية في الوقت الذي كان موعدا لانقلاب الاردن . وكانت اصابع الولايات المتحدة وبريطانية وحكومة نوري السعيد واموالهم وراء الانقلابين المبيتين .

سيف الارهاب على البلاد وقلب ظهر المجن للسياسة العربية التحررية ولمصر وسورية واخذوا يفتعلون الاحداث والتهم ضدهما ويتهمونهما بالتدخل في شؤون الاردن وتهديد استقلاله ونقضوا الاتفاقات العسكرية والاقتصادية بين الاردن وسورية ومصر واستعاضوا عن المخصصات التي تعهدتا بدفعها لنفقة الجيش الاردني بمساعدات اميركية وانكليزية. وأدى كل هذا الى التوتر والجفاء بل القطيعة والعداء بين الأردن وشقيقته .

وفي خلال هذه الحقبة قامت الوحدة بين سورية ومصر فانبثقت الجمهورية العربية المتحدة . ولم يسع عاهلي العراق والاردن الهاشميين الا مجاراة الموقف فأنشآ اتحادا بين مملكتيهما على ان تحتفظ كل منها بشخصيتها الدولية وعرشها . غير ان الامر لم يطل على ذلك . فقد اشتد غليان العراق على حكامه وانفجرت فيه الثورة التي قام بها بعض كبار ضباط الجيش في ١٤ تموز ١٩٥٨ على ما ذكرناه في نبذة العراق فالغت هذا الاتحاد بعد ان قضت على الاسرة المالكة . وقد تعرض الاردن لاحتلال انكليزي جديد غداة انفجار ثورة العراق حيث سارعت فرقة من المظليين الانكليز الى النزول الى الاردن بحجة حماية استقلاله من تدخل الجمهورية العربية المتحدة في الظاهر وحماية الكيان الاردني من مضاعفات الثورة العراقية المحتملة او ضرب هذه الثورة في الحقيقة ان امكن . غير ان الذين قاموا بثورة العراق قد استطاعوا توطيد حكمهم من جهة ولقي نزول القوات الانكليزية الى الاردن استنكارا عاما عربيا ودوليا من جهة فلم يسع الانكليز الا الانسحاب في تشرين الثاني ١٩٥٨ فعادت السيادة العربية فتوطدت ثانية على الاردن دون ما شائبة ظاهرة مع استمرار تعويل الحكومة الاردنية على الولايات المتحدة في الدرجة الاولى وبريطانيا في الدرجة الثانية في تسديد نفقات جيشها وعجز ميزانيتها وبعض مشاريعها الانمائية .

— ٥ —

موجز قصة فلسطين الشهيدة

ولقد ذكرنا قبل ان الانكليز كانوا وعدوا اليهود بالموافقة على انشاء وطن قومي لهم في فلسطين بقصد الاتكاء عليهم في تحقيق مآربهم الاستعمارية والحربية ، وانهم حصلوا على موافقة الافرنسيين على ان تكون فلسطين تحت سيطرتهم بدلا من ان تكون تحت ادارة دولية وفقا لاتفاق سايكس بيكو . وقد حصلوا بعد ذلك على موافقة عصبة الامم على ان يكون الانتداب على فلسطين لهم ، ووضعوا لها صك انتداب ينص على جعل فلسطين في حالة سياسية واقتصادية وادارية تساعد على انشاء وطن قومي لليهود فيها ، وتسهيل هجرتهم اليها ، وتخويل الجمعية الصهيونية استثمار مرافق البلاد واسداء المعونة والمشورة للحكومة لصالح فكرة الوطن القومي ، واخذوا يسيرون على هذه الخطة الباغية غير عابئين بما كان من احتجاج العرب ، وبما شرطوه على انفسهم من عدم الاضرار بمصالح العرب ومركزهم ، وبما في هذه الخطة من نكث بعهودهم للعرب وغدرهم بهم .

وقد اخذ اليهود بفضل هذه الخطة الباغية وبتسهيل وحماية الادارة الحكومية الانكليزية اليهودية التي اقامها الانكليز في فلسطين يهاجرون الى فلسطين من مختلف انحاء الارض ، ويتملكون فيها الاراضي ، ويقيمون المستعمرات ، وينشئون المصانع ، ويضعون يدهم على مرافق البلاد ويحتكرون مشاريعها الاستثمارية المهمة . وكان الانكليز كلما تحرك العرب للدفاع عن كيانهم ومصالحهم والشكوى من محاباة الانكليز الباغية لليهود في التشريع والادارة والتسهيل

والحماية يعمدون الى استعمال القوة ضدهم حينا والخـداع والتخدير حينا ودس الدسائس لتوهين حركتهم وتشتيت شملهم حينا •

وفي سنة ١٩٣٢ اخذ تيار الهجرة اليهودية يشتد مما جعل العرب يلمسون الخطر الشديد ويقومون بحركات ثورية اشد من ذي قبل ، وتطورت هذه الحركات الى اضراب عام طويل امتد ستة اشهر من نيسان ١٩٣٦ الى تشرين اول ١٩٣٦ وانبثقت منه ثورة قوية ازعجت الانكليز واليهود اشد الازعاج • فارسلت الحكومة الانكليزية لجنة عرفـت باللجنة الملكية فاقترحت تقسيم فلسطـين بـين العرب واليهود وضم القسم المخصص للعرب الى شرق الاردن وخصت اليهود بقسم كبـير من غرب فلسطين يضم اجود المراكز والاراضي والمرافق لينشئوا فيه دولة على حساب العرب لان اكثر الاراضي والمرافق والمدن والاملاك في هذا القسم كانت عربية كما كان نصف سكانه عربا فثـار العرب ثانية ثورة عظيمة امتـدت سنتين ونيفا ايلول ١٩٣٧ ــ كانون ١٩٤٠ ضد هذا الظلم لان فلسطين كانت وظلت عربية المعالم وواقعة في سرة الوطن العربي وعقدة الصلة بين اجزاء هذا الوطن ، وكانت حالة اوروبا السياسية تنذر في اواخر سنة ١٩٣٩ بنشوب حرب عـامة ، فعمـد الانكليز الى التخدير واعلنوا الغاء التقسيم ، وعزيمتهم على انشاء دولة فلسطينية واحدة يحتفظ العرب فيها بالاكثرية ، وظلت هـذه العزيمـة حبرا على ورق لان الانكليز لم يخطو أي خطوة الى تنفيذها • وفي اثناء الحرب قوى اليهود انفسهم بمساعـدة الانكليز وحمايتهم فامتـلأت أيديهم بالسلاح وصار عندهم آلاف المدربين على الجندية ، واخذوا يهربون اليهود الى فلسطين بالآلاف المؤلفة حتى وصل عددهم الـى ستمائة الف ، واخذوا يطالبون بانشاء دولة يهودية كبرى تضم جميـع فلسطين ، واستغلوا ما وقع على يهود المانيا وبولونيا من اضطهاد وتذبيح استغلالا واسعا • ولما رأوا الانكليز يترددون في اجابة مطالبهم تفاديا من اغضاب العرب والحرب دائرة ثاروا عليهم ، وكبدوهم فادح الخسائر

واثاروا عليهم عظيم المشكلات ، والحقوا بهم بالغ الاهانات دون ان يقابلوهم مقابلة قاسية كما كان شأنهم مع العرب لانهم غرستهم ومعتمدهم في مآربهم .

ولما وضعت الحرب اوزارها وصار غضب العرب غير مهم في نظر الانكليز نكثوا ما قطعوه على انفسهم من عهد بوقف الهجرة واقامة دولة فلسطينية موحدة ، ثم دعوا الى مؤتمر لبحث القضية من جديد واقترحوا تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، فابى العرب فرفعوا الامر الى هيئة الامم ١٩٤٧ ، وبذل اليهود وانصارهم جهودهم في اوساط هذه الهيئة حتى جعلوها تقرر تقسيم فلسطين وتختص اليهود بالقسم الاعظم منها في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧

وابى العرب هذا الظلم واعلنوا الجهاد واستبسلوا فيه حتى جعلوا اليهود وانصارهم يشعرون باليأس من تنفيذ التقسيم وحملوامجلس الامن على اصدار قرار باعادة القضية ثانية الى الجمعية العامة لهيئة الامم لاعادة النظر فيها .

ولقد كان المجاهدون ينقصهم السلاح والعتاد ويطلبونه من الحكومات العربية ولكن معظم هذه الحكومات قصرت تقصيرا مجرما في مدهم بذلك . وهال اليهود والانكليز ان يروا حلمهم يتبدد ويخفق فتعاونوا اشد تعاون على الصمود وامد الانكليز اليهود بكل مساعدة وجعلوهم يصمدون امام ضربات العرب ثم يتفوقون على العرب نتيجة لشح ما في يدهم من سلاح وتقصير حكوماتهم في مدهم بما يحتاجون ، ويحتلون اقساما كبيرة من فلسطين ويعلنون فيها قيام دولتهم في ١٥ مايس ١٩٤٨ ويغدون اصحاب السيادة فيها .

وكان اليهود قد اقترفوا جرائم وحشية ضد العرب العزل جعلت كثيرا من اهل القرى والمدن يذعرون ويفرون من البلاد ، وكان من

المحتمل ان يستولي اليهود على بقية اقسام فلسطين فقررت دول الجامعة العربية تسيير كتائب من جيوشها لحماية العرب وانقاذ فلسطين ، وزحفت هذه الكتائب في ١٥ مايس ١٩٤٨ ، على فلسطين ، واحتلت الاقسام الشرقية والجنوبية التي لم يكن اليهود قد احتلوها • وحينئذ تدخل الانكليز والاميركان لوقف العرب عند هذا الحد وعدم تمكينهم من نسف الدولة اليهودية وارغموا العرب على عقد هدنة في ١١ حزيران سنة ١٩٤٨ • واستغل اليهود الهدنة خلافا لشروطها فجلبوا الطيارات والمدافع والدبابات والسلاح والمقاتلين والضباط استعدادا للجولة الثانية • واستأنف العرب القتال في ٩ تموز ١٩٤٨ لانهم يئسوا من حل عادل وخشوا ان يقوى اليهود اكثر فمكر الضباط الانكليز الموجودون في الجيش الاردني مكرهم حتى سببوا كسر الجبهة العربية المصرية ، ومكنوا اليهود من الاستيلاء على اماكن جديدة ، ثم اجبرت الدولتان السكسونيتان بواسطة مجلس الامن العرب ثانية على عقد هدنة ثانية ، وخرق اليهود هذه الهدنة ايضا فقاموا بحركات حربية ضد الجبهة المصرية تمكنوا بها من الاستيلاء على صحراء السبع المسماة بالنقب والممتدة الى خليج العقبة ولم يكونوا احتلوها قبل ، وحينئذ تدخلت اميركا وانكلترة للمرة الثالثة بواسطة مجلس الامن واجبروا مصر ثم الاردن ثم لبنان ثم سورية على عقد هدنة دائمة مع اليهود حظر فيها استعمال السلاح بتاتا بعد ان استولى اليهود على جميع ما خصص لهم وقسم كبير مما خصص للعرب في قرار التقسيم ، وتوطدت لهم الدولة والسيادة في هذه الاقسام من فلسطين •

وبالاضافة الى ما كان من تقصير معظم الحكومات العربية في مد المجاهدين بما يحتاجون اليه قبل ١٥ مايس ١٩٤٨ على ما ذكرناه فقد كان تقصيرها عظيما في كيفية زحف جيوشها في ١٥ مايس وكميته ووسائله وانكشف ما كانت عليه حالة هذه الحكومات وجيوشها من

ضعف استعداد ونظام وتواثق ، ولعبت المطامع والاهواء في الوقت نفسه دورها الاليم فافتقد التضامن واشتد التخاذل بينها وخاصة بين مصر من ناحية والاسرة الهاشمية التي كان لها الملك في الاردن والعراق من من ناحية فكان كل هذا مما ساعد اليهود على احراز ما احرزوه من نصر واغتصاب ما اغتصبوه من الوطن العربي ومما ساعد انصارهم على التأثير في الموقف وجعل الحكومات العربية تعقد تلك الهدنة ، ومما جرح قلب العرب اشد جرح وادماه .

وهكذا فرضت السيادة اليهودية على معظم فلسطين بدلا من السيادة العربية التركية المسلمة فيها . وقد نجا منها اقسام من متصرفية نابلس ومتصرفية القدس فضم معظمها وهو ما يسمى الضفة الغربية للاردن الى المملكة الاردنية الهاشمية فصارت السيادة عليه للعروبة في نطاق هذه المملكه . وعهد بقسم آخر وهو المسمى اليوم بقطاع غزة والذي كان جزءا من متصرفية القدس في الحكم العثماني الى الحكومة المصرية حيث صار هو الآخر في ظل السيادة العربية .

ومنذ انعقاد الهدنة الدائمة والعرب واليهود في صراع دائم شديد . فاليهود يحاولون تثبيت واقعهم القائم على البغي واللصوصية والاغتصاب والمستند الى قوة الاستعمار الباغية ، والعرب يأبون ذلك كل الاباء ويعلنون عزمهم وتصميمهم على تقويض المسخ اليهودي واعادة السيادة العربية على فلسطين ويحكمون نطاق الحصار الاقتصادي والسياسي على رقبة هذا المسخ انتظارا للفرص المساعدة على خنقه .

ولقد كان جرح فلسطين الدامي وظروف نكبتها من الاسباب القوية التي جعلت الوعي العربي يجيش ويقوى في كل مكان والتي اثارت حركة مصر المباركة ثم حركة العراق اخيرا مما يجعل الامل في تحقيق ذلك العزم قويا ، ولا سيما ان العرب يزدادون قوة وتحررا ووعيا وتكاملا اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا يوما بعد يوم

وخاصة بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة التي يحمل نشاطها في جميع هذه المجالات اعظم البشائر • ولسوف يظل سر فلسطـين وخطورة فلسطين يمد العرب بالحافز حتى يطهروا ارضهم المقدسة من الرجس اليهودي ويعيدوا اليها السيادة العربية كما فعل اجـدادهم من قبـل بحول الله وقوته •



فهرست الكتاب

(١) صنفت هذه القبائل حسب المحافظات والاقضية التابعة لها ، وقد ذكر في سياقها اسماء فروع القبائل ورؤسائها ومنازلها والهام من احداثها ما امكن ذلك .

(١) صنفت حسب المناطق وذكر في سياقها الاسماء والفروع واسماء الرؤساء الهام من الاحداث والصفات ما امكن ذلك .

(١) المقصود من هذا العنوان هو الاسر والحمائل التي تتسمى باسم العشيرة في المدن والقرى وتحتفظ بالطابع العشائري زيا ولهجة وعصبية وتقاليد . والعشيرة في اصلها وحدة عربية اجتماعية صغيرة تضم اسرة او عددا من الاسر من جد واحد .

(١) يقصد بالبدوية القبائل التي لا تزال اغلبيتها تحيا حياة البداوة حلا وترحالا ونجعة . وفي سياق اسمائها ذكرت اسماء فروعها ومنازلها ورؤساؤها والهام من صفاتها وتاريخها واحداثها ما امكن ذلك •

(٢) يقصد بذلك القبائل التي جنح اغلبها الى الاستقرار واشتغل في الفلاحة وتربية الماشية . وفي سياق اسمائها ذكرت فروعها ومنازلها واسماء رؤساؤها والهام من صفاتها وتاريخها ما امكن ذلك •

كتب اخرى للمؤلف

المطبوعـة

١ ــ دروس في فن التربية ــ مترجم عن الافرنسية
٢ ــ مختصر تاريخ العرب والاسلام ــ جزآن
٣ ــ دروس التاريخ العربي
٤ ــ دروس التاريخ القديم
٥ ــ دروس التاريخ المتوسط والحديث
٦ ــ تركية الحديثة
٧ ــ تاريخ حلول اوروبا في الشرق الادنى وبواعث الحرب العالمة الاولى ــ مترجم عن التركية والافرنسية
٨ ــ عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ــ من القرآن
٩ ــ سيرة الرسول عليه السلام ــ من القرآن جزآن
١٠ ــ الدستور القرآني في شؤون الحياة
١١ ــ القرآن واليهود
١٢ ــ القرآن والمرأة
١٣ ــ القرآن والضمان الاجتماعي
١٤ ــ القرآن المجيد ــ مقدمة للتفسير
١٥ ــ حول الحركة العربية الحديثة ــ ستة اجزاء
١٦ ــ مشاكل العالم العربي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومعالجاتها
١٧ ــ الوحدة العربية وكيف تتحقق
١٨ ــ تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم
١٩ ــ الجزء الاول من تاريخ الجنس العربي
٢٠ ــ الجزء الثاني من تاريخ الجنس العربي
٢١ ــ كفاح فلسطين •
٢٢ ــ مأساة فلسطين •

تحت الطبع والاعداد

١ ـ بقية اجزاء تاريخ الجنس العربي

٢ ـ بقية اجزاء هذا الكتاب

٣ ـ التفسير الحديث في ١٥ جزءا

٤ ـ قضية فلسطين في مختلف مراحلها جزآن .

من مراجع هذا الجزء

ديوان المتنبي	
العلويون	تأليف منير الشريف
تاريخ العلويين	تأليف محمد امين الطويل
روض الشقيق	تأليف الامير شكيب ارسلان
ولاية بيروت بالتركي	تأليف رفيق التميمي ومحمد بهجة
تاريخ الطبري	
تاريخ ابي الفداء	
تاريخ العراق بين احتلالين	تأليف عباس العزاوي
تاريخ الدعوة الاسماعيلية حتى العصر الحاضر	تأليف مصطفى غالب
تاريخ ابن خلدون	
تاريخ الدولة الفاطمية	للدكتور حسن ابراهيم
الغرر الجسان تاريخ الامير حيدر الشهابي النسخة نشر مغبغب والنسخة نشر رستم	
عشائر الشام	تأليف وصفي زكريا
ابراهيم باشا في سورية	تأليف سليمان ابي عزالدين
رسالة الاسرة العظمية	تأليف عبد القادر العظم
خطط الشام	تأليف محمد كرد علي
تاريخ الشام	تأليف الخوري مخائيل بريك
تاريخ الجبرتي	
سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر	تأليف المرادي
خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر	تأليف المحبي
جبل الدروز والثورة الدرزية	تأليف كريم ثابت
حول الحركة العربية الحديثة	للمؤلف
الوحدة العربية	للمؤلف

تاريخ فلسطين	تأليف عمر الصالح البرغوثي
مذكرات خطية عن الاسر الاقطاعية	ارسلها عمر الصالح للمؤلف
تاريخ ابن الاثير	
الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل	لمجير الدين الحنبلي
بدائع الزهور ووقائع الدهور	لابن اياس
صبح الاعشى	للقلقشندي
تاريخ شرق الاردن وقبائلها	تأليف بيك وتعريب طوقان
اخبار الاعيان	تأليف الشدياق
تاريخ الناصرة	تأليف اسعد منصور
تاريخ الامير فخر الدين الثاني	اسكندر معلوف
تاريخ ولاية سليمان باشا والي عكا وصيدا	تأليف المعلم ابراهيم عودة
تاريخ جبل نابلس والبلقاء	تأليف احسان النمر
تاريخ الشيخ ظاهر العمر	تأليف مخائيل الصباغ
تاريخ جبل عامل في التاريخ	تأليف محمد تقي الدين آل الفقيه
عشائر العراق	تأليف عباس العزاوي
تاريخ بير السبع وقبائلها	تأليف عارف العارف
معجم القبائل	تأليف عمر رضا كحالة

الاخطاء المطبعية الهامة التي يحسن تصحيحها قبل

قراء الكتاب • وقد تركنا الاخطاء الثانوية لفطنة القارىء

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
٩	٦	الاقدام	الاقدار
٩	١٧	القطوعا	النطوعا
٩	٢٠	مبارزة	مبارزه
٢٢	١١	قطعون	مظعون

في السطور ٥ ــ ٨ من الصفحة ٢٦ تقديم وتأخير فاقرأها وصححها هكذا : بعد كلمة الخواص « على شروط وقيود كثيرة اشد تعقيدا منها في النحلة الدرزية ولا يكون الا بارشاد المشايخ بالتدرج • فمن اراد الانتساب لطبقة الخواص يأتي الى الامام في يوم يسمونه المشورة يبرهن فيه على اذلال نفسه بوضع نعل الامام على رأسه ثم يشرب قدحا من الخمر على سر الامام وبعد اربعين يوماه (وهنا يستمر السياق صحيحا) »

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
٢٧	١٨	وبقيادة	وبعبادة
٤٦	١٨	الظار	الظاهر
٤٨	١٣	جبلة	جملة
٨٢	١٧	واادارات	وادرارات
١٠٦	١٧	دور	دروز

السطر الرابع من الصفحة ١٠٨ يجب أن يقرأ على اعتباره السطر الاول وحينئذ يستقيم السياق

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
١١٥	١٣	سعين	سبعين
١٣٦	٦	وحشاش	وآل الحشاش

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
١٥٣	١٧	فسيرت	فيسرت
١٥٧	٥	مناوأة الفدس	مناوأة نائب القدس
١٦٧	٧	التيمي	التميمي
١٨٨	٩	ذكن	ذكر
٢٤٣	٣	المالي	الشمالي
٢٦٦	١٨ـ١٩	من جماعة	من الآخرين جماعة
٢٦٦	٢٣	يابار	يــا بــا
٢٧١	٩	ناريخ باشا	تاريخ ابراهيم باشا
٣٣٨	٩	الاهالي متأخرات	الاهالي من متأخرات
٣٥٥	١	هذا الوالي الى	هذا الى
٣٦٥	١٢	ومرن	ومن
٤١٤	٩	اشطب كلمة الاصليين	
٤١٥	٧	العنادلة	المفادلة
٤٣٠	١١	عيد	عبدة
٤٧٢	١	بغداد لكنه جاء واجتمع معه	بغداد فجاء واجتمع مع ينال
٤٩٥	٨	منوعة	منعــه
٥١٠	١٣	امراه	الامـــارة
٥٥٧	٦	و ١٧٢٦هـ ـ١٨٤٦هـ	و١٨٤٦م ـ ١٢٦٣ هـ
٥٩٨	١٧	القتلة	الفلتة
٦٠٥	١٦	البورجواري	البو جواري
٦٢٢	٩	الحساوبة	الحساوية
٦٢٤	٩	ويتفوع	ويتفرع
٦٤١	٨	وفوعهم	وفروعهم
٦٦١	٨	واسع	اوسع

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصواب
٦٦١	١٠	ولو تكن	ولو لم تكن
٦٦١	٢٨	١٣١٢ ـ ١٣١٩ هـ	١٣١٢ ـ ١٣٢٢ هـ
٦٦٢	٥	١٣٢٤	١٣٢٦
٦٧٦	٥	ينجهون	يتجهمون
٦٨٢	٩	معها	معه

صدر حديثاً عن :

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

دمشق

مذلّون مهانون دستويفسكي

مرتفعات ويذرنغ اميلي برونتي

مشاكلنا القومية زكي الارسوزي

ابراهام لنكولن محرر العبيد

الوطن العربي الدكتور عزة النص

الزوج الابدي دستويفسكي

المواطن والمجتمع هيرمن هيجدورن

لحن لم يتم ميشيل اركيلو

بحث في الحرية جورج ستيوورت مل

الابيوردي الدكتور ممدوح حقي

نفط العراق حكمت سامي سليمان

كارولين وجوهرة ماري اوهارا

العبقرية العربية في لسانها
زكي الارسوزي

نقد الدين والفلسفة جان ايفا كالفيز

دراسات في العقائد احمد الشيباني

المراهق مارجوري رولنجز

نافذة على الحياة اسكندر لوقا

ابنة الضابط بوشكين

الامة العربية زكي الارسوزي

ابراهام لنكولن حياته ورسائله

الموسيقي الاعمى ف. كورولنكو

صباح الخير يا آنسة دوف
فرانسيس ج. باتون

حجة الوداع الدكتور ممدوح حقي

نحن كرويتز ليو تولستوي

بعث الامة العربية ١-٤
زكي الارسوزي

عقل وعاطفة جين اوستن

مستقبل المراة العربية منير الشريف

حرب صليبية في اوربا
دوايت ايزنهاور

الاسس الثوروية احمد الشيباني

الساعة الخامسة والعشرون
ك. جيورجيو

الحرب الذرية المقبلة هيثم كيلاني

تاريخ الحياة الموسيقية
مصطفى الصواف

الصواريخ والقذائف والاقمار
شارلز كومبز

اساطين الموسيقى العالمية
صميم الشريف

أصل العائلة فريدريك انجلز

الساعة الاخيرة
الفن الذي يحتاجه الشعب
الى اين يسير
الاستعمار الامريكي
قصص شامية
تاريخ الدعوة الاسماعيلية
الثمرات في اللغة والادب
المجاهدون في الحرب الفلسطينية
اليد الماهرة
مستقبل المراة العربية
مشاكل العالم العربي
غانية وقديس
علم الاجتماع الريسي
التربية المثلى
ليرمنتوف فؤاد ايوب
المركيزة جورج صاند
في اميركا مكسيم جوركي
مجموعة قصص
اوسكار وايلد
ديان بيان فو
في ظلال الوعي
تربية الوليد

الأهداف الاستعمارية وراء مشروع مارشال
محاكمات نورمبرغ
قدريلهو : شكيب الجابري
قوس قزح: شكيب الجابري
ايليا ابو ماضي
شعر ودراسة
ألوجيز في الأدب
كافر : ديوان شعر
التيار : ديوان شعر
مختصر المنطق ١ — ٢
روض البشر في اعيان دمشق
تراجم اعيان دمشق
أساطين الموسيقى العالمية
الاشياء وملاحظة البيئة
الدستور السوري
هؤلاء الصهيونيون
البخلاء — الجاحظ
الابيوردي ممدوح حقي
حجة الوداع ابن حزم
العروض الواضح
ممدوح حقي
تاريخ الحياة الموسيقية

١

مفكرو الثورة الالمانية

ادمون فرمي

٢

اثر التسلح في التاريخ

الجنرال فوللر

٣

القادة السوفييت

الجنرال مالينوف

٤

سنوات المصير

فون ايزبيك

٥

حرب صليبية في اوروبا

الجنرال ايزنهاور

٦

اعمدة الحكمة السبعة

الكولونيل لورانس

٧

تاريخ الثورة الروسية

٨

مذكراتي في الجزيرة العربية

عبد الله فيلبي

١

ستةوعشرون رجلا وفتاة

مكسيم جوركي

٢

بيتهوفن

رومان رولان

٣

في سبيل السلام

ليوتولستوي

٤

صديقان

جورج دوهاميل

٥

المتمردون

بوريس جورباتوف

٦

اتالا ورينه

شاتوبريان

٧

اللا اخلاقي

اندريه جيد